كتاب
رفع الخفا شرح ذات الشفا

تأليف

الشيخ العلامة محمد ابن الحاج حسن الآلاني الكردي

المتوفى سنة ١١٨٩هـ

تحقيق

حمدي عبد المجيد السلفي

صابر محمد سعد الله الزيباري

الجزء الأول

بسم الله الرحمن الرحیم

بسم الله الرحمن الرحيم

المقدمة

إن الحمد لله نحمده ونستعينه، ونستغفره ونعوذ بالله من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله.

اللهم صل على محمد وعلى آل محمد، كما صليت على إبراهيم وعلى آل إبراهيم إنك حميد مجيد، اللهم بارك على محمد وعلى آل محمد، كما باركت على إبراهيم وعلى آل إبراهيم إنك حميد مجيد.

أما بعد فإن سيرة المصطفى صلى الله عليه وسلم وخلفائه الراشدين المهديين سراج وهاج للبشرية أجمع فإن معرفتها والعمل بها والسير على ضوئها يخرج البشرية التائهة في متاهات المدنية المزيفة إلى حياة السعادة والهناء والأمن والأمان.

وقد كتب كثير من العلماء تلك السيرة بين مختصر ومطول ومسهب وقد طبع الكثير والكثير منها.

وقد نظم تلك السيرة محمد بن محمد بن محمد الجزري رحمه الله في منظومته ذات الشفا وقد قام بشرحها كثير من العلماء منهم:

١ - الجلال السيوطي حيث شرحها في جزءين على ما ذكر لنا الأخ الأستاذ محمود أحمد محمد أمين مكتبة الأوقاف المركزية في مدينة السليمانية وقال: إنه موجود عند أحد علماء السليمانية وإنه رآه بعينه، ولم أره.

٢ ـ محمد بن الحاج حسن في كتابه رفع الخفا وسيأتي الكلام عليه.

٣ ـ محمد أمين خير الله العمري المتوفى سنة ١٢٠٣ في كتابه منهل الصفا ومسرح الوفا في كشف الخفا عن ذات الشفا. ويوجد منه الجزء الأول في مكتبة الآثار في بغداد تحت رقم (٢٢٣١٦). وتوجد نسخة أخرى من الجزء الأول مع بعض الجزء الثاني فيها تحت رقم (٧٩٧).

٤ ـ محمد بن آدم بن عبدالله الكردي البالكي الروستي. انظر ترجمته في فهرس مخطوطات مكتبة الأوقاف المركزية في مدينة السليمانية (٣/ ١٠٠ ـ ١٠٢) وهو شرح باللغة الفارسية رأيت الجزء الأول منه عند القاضي محمد الخضري في مدينة أشنو في كردستان ايران، وهو شرح مطول جداً فهذا المجلد وحده مقداره كمقدار هذا الشرح رفع الخفا بعشر مرات.

٥ ـ شرح قطعة من المنظومة يقع في (٤٠) ورقة لا يعرف مؤلفه توجد منه نسخة في مكتبة الأوقاف المركزية في مدينة السليمانية تحت رقم (١٠٥٨).

٦ ـ قطعة أخرى تقع في (٣٢) صفحة تأليف محمد يوسف السليماني الشهير بالمحجر توجد منها نسخة في مكتبة الآثار في بغداد تحت رقم (٢٠٧٥٧). وهذا يدل دلالة واضحة على مدى اهتمام العلماء بهذه المنظومة.

وقد اخترنا من بين شروحها شرح رفع الخفا لكثرة نسخها وكونها كاملة، توجد منها نسخ كثيرة في مكتبة الأوقاف المركزية في بغداد والموصل والسليمانية وفي مكتبة الآثار في بغداد. كما توجد منها نسخ كثيرة في المكتبات الخاصة.

وقد اخترنا ثلاث نسخ للتحقيق:

١ ـ نسخة كتبت في سنة ١١٨٩ أي السنة التي مات فيها المؤلف كتبها عبدالله بن ملا يوسف المشهور ايرحي وقوبلت على النسخة التي قوبلت من نسخة الشارح وهي موجودة في مكتبة الآثار في بغداد ذكر الأستاذ أسامة النقشبندي

في فهرس مخطوطات التاريخ والتراجم والسير (ص ٢١٣) وجعلناها الأصل.

٢ ـ نسخة قاضي بيران المدعو عبدالله كتبها سنة ١١٩٠ وهي موجودة عند بعض أفراد عائلة القاضي المذكور وقد أعارنا نسخته جزاه الله خيراً.

٣ ـ نسختي الخاصة في خزانتي كتبها محمد بن محمود في قرية بيرام سنة ١٢٣٤.

أما المؤلف فهو محمد بن الحاج حسن الآلاني الكردي ولد في قرية (سَنجوي) التي تقع في ناحية آلان التابعة حالياً لقضاء سهرده شت من كردستان الإيرانية. ولم نطلع على تاريخ لحياته في عهد الطفولة وطلبه العلم وعلى من درس. ولكنه تلألأ نجمه حينما سكن قرية هرار متبرد ودرس فيها. وهناك ألّف ما ألّف من كتب ورسائل، ومما يدل على تفوقه العلمي بالإضافة إلى مؤلفاته كون الملا عبدالله البيتوشي الكردي والشيخ معروف النودهي من تلامذته.

وبعد هجوم الفرس على منطقته قبل وفاته بقليل هاجر إلى قرية زنته التي تقع قرب مدينة عقرة وتوفي فيها سنة ١١٨٩ هجرية.

وترك كثيراً من المؤلفات منها:

١ ـ زفع الخفا وهو هذا الشرح.

٢ ـ حاشية مدونة على البهجة المرضية في شرح الألفية للسيوطي في النحو، ولها نسخ متعددة في المكتبات الخاصة والعامة، ولدي نسخة منها كما وتوجد نسخة في مكتبة الجامع الكبير في الرمادي.

٣ ـ إيقاد الضرام على من لم يوقع طلاق العوام يقع في ثلاث ورقات توجد من نسخة في مكتبة السليمانية المركزية للأوقاف تحت رقم [مجاميع ٥٣٤ - ٥٣٧] وأخرى في مكتبة الأوقاف المركزية في بغداد. انظر فهرس المخطوطات المذكورة (١/ ٣٨٧) ونسب فيه إلى غير مؤلفه.

٤ ـ منظومة المحاسن الغرر حققتها ونشرت في مجلة الكاروان وستطبع مستقبلاً إن شاء الله تعالى.

٥ ـ شرح منظومة المحاسن والغرر، لا نعرف عنه شيئاً.

٦ ـ رسالة في بيان المحاسن والغرر، قال الشيخ محمد الخال: نظم منها الباب الأول، ثم عاقه عائق فأكمل الكتاب نثراً، ولا نعرف عنه شيئاً.

٧ ـ منظومة في المحذوفات.

توجد منها نسخة في مكتبة الأوقاف المركزية في مدينة السليمانية رقمها [١١٣٢] وأخرى تحت رقم [مجاميع ١١٢١ ـ ١١٢٢].

ولدي نسخة مصورة من إحداهما.

وأعلمني الأخ محمد أحمد مصطفى الكزني أنه حققها وسيطبعها.

٨ ـ رسالة في تحقيق معنى الإكراه الشرعي، ذكرها الشيخ محمد الخال وقال الأستاذ عبدالكريم المدرس أن له رسالتين في هذا الموضوع صغرى وكبرى.

٩ ـ رسالة في نكاح المتعة ذكرها الأستاذان الخال وعبدالكريم المدرس.

١٠ ـ مهدي نامة نظمها باللغة الكردية حققها الأستاذ محمد علي قره داغي وطبعها المجمع العلمي الكردي سنة ١٩٧٥.

١١ ـ تحفة الخلان لإشحاذ الأذهان في الألغاز النحوية ذكره المؤلف فيما يأتي في شرح قول الناظم «وها أنا أشرع في المقصود».

١٢ ـ حواشي شرح الهمزية ذكر ذلك الشارح عند الكلام على بحيرا الراهب فيما يأتي.

١٣ ـ حاشية على فتح المبين ذكرها الشارح كما سيأتي أيضاً.

وقد قام الشراح بزيارة للشام والحجاز واجتمع في مدينة جدة بالمحدث محمد العقاد.

عملنا في الكتاب:

١ ـ استنسخ الأخ صابر محمد سعد الله الأصل ثم قابله به وبعد ذلك قابل بالنسختين الأخريين، وما وجد من اختلاف أشير اليه وبما زيد بين معكوفين هكذا [ ].

٢ ـ قمت بتخريج الأحاديث قدر الطاقة وذكر أماكن كتب السير التي ورد فيها ما ذكره الشارح.

٣ ـ أورده الشارح في كتابه روايات كثيرة فيها الغث والسمين، وربما لم نعرج على كثير مما أورده مما لا أصل له أو هو ضعيف حتى لا تكثر التعليقات اعتماداً منا على ذكاء القارىء الذي سيعرف ذلك حتماً.

والله من وراء القصد

والحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات.

أبو مصطفى

حمدي بن عبدالمجيد بن اسماعيل السلفي

سرسنك في ١٤/ شوال ١٤٠٥ هـ

الصفحة الأولى من نسختي

الصفحة الأولى من نسخة القاضي.

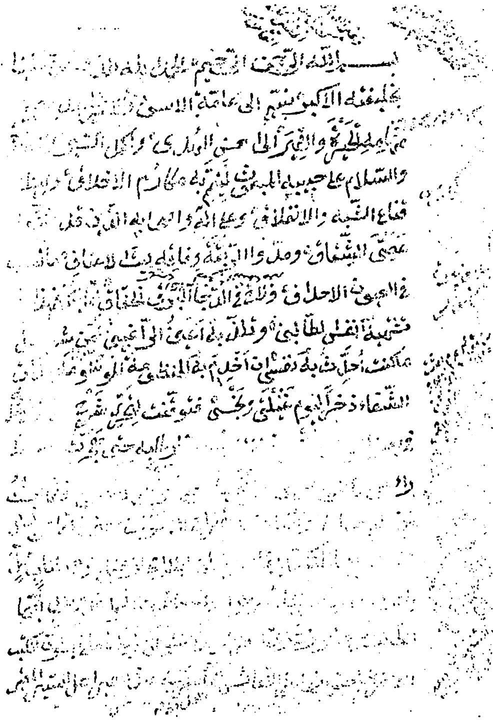

الورقة الأخيرة من نسخة القاضي

انه ارحم الراحمين حقيق برجاء الراجين وصلى الله على سيدنا
محمد وآله اجمعين ثم اني اجزت لاولادي واقاربي واحبابي
وتلامذتي ولاهل بلدي واقليمي بل ولمن ادرك حياتي من
المسلمين على مذهب من يرى ذلك من ائمة الحديث في القديم و
الحديث رواية ما ذكرته في هذا الشرح نفعا للعامة واوصي كل من
بها اهل من الناظرين فيه ان يتحاشى فيما يأتي به القدم او طغى فيه
القلم وان يقيم عذري بالانصاف اذ لم اسبق اليه في الابكار
وهذه نسخة المدة ثبت عليها النظر فاردتها لشكب و
تشهير ولكن لا اجيز احدا يكتب منها نسخة الآن بصحتها وتقابلها
باصلها الا ان اتى بغيرة الناسخ حتى يصل الى المسخ والد
بتنساخ فمن بدله بعد ما سمعه فانما اثمه لي وقع الفراغ من
تحرير هذا الشرح المسمى برفع الخفاء الواقع على ذات الشفا
في شهر رمضان يوم الخميس ومضى من الشهر اربعة عشر يوما
ممن عبد الله البيارني بل الفقيه النجيب [illegible] عبد الرسول
كنتي غفر الله تعالى وله ولآبائنا ولاقاربنا الحب لنا
ببركة صواحب الشفا انه غفور رحيم آمين

الذي صنف ملا محمد بن حاج حسن المرادي

قد وقع الفراغ من تحرير
هذا الكتاب في سنة
الف ومائة وتسعين و
خمس من الهجرة النبوية
المصطفوية عليه
افضل الصلوة
والسلام

[illegible]

بسم الله الرحمن الرحيم وبه العون الحمد لله الذي منّ علينا بالخليفة الأكرم [illegible] الأسود والأحمر [illegible]
الخيرة والتيسير الى اصح الهدى وأكمل السير والصلاة والسلام على حبيبه المبعوث ليتمم مكارم الأخلاق [illegible]
[illegible] والأنقياء [illegible] الذين قد شغفوا [illegible] وأقاموا [illegible] الأعيان [illegible]
الأعراق [illegible] في الدنيا [illegible] فهذا ما [illegible] ولذلك [illegible]
طالما كنت [illegible] المنظومة الموسومة بهداية [illegible] اليوم [illegible]
[illegible] في أسفار [illegible] رأسي وأنا [illegible]
[illegible] الإخوان [illegible] لشرحها المتكفل ببيان [illegible]
[illegible] بادرت الى [illegible] الطالب [illegible]
[illegible] باصولها [illegible] السير [illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible] قال الناظم رحمه الله بسم الله [illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible]
شيخ من أصول الناظم رحمه الله [illegible] الإمام العلامة [illegible] الدمشقي [illegible]
[illegible]
[illegible] عماد الدين ابن كثير [illegible] الصلاحية ببيت المقدس [illegible]

[illegible]

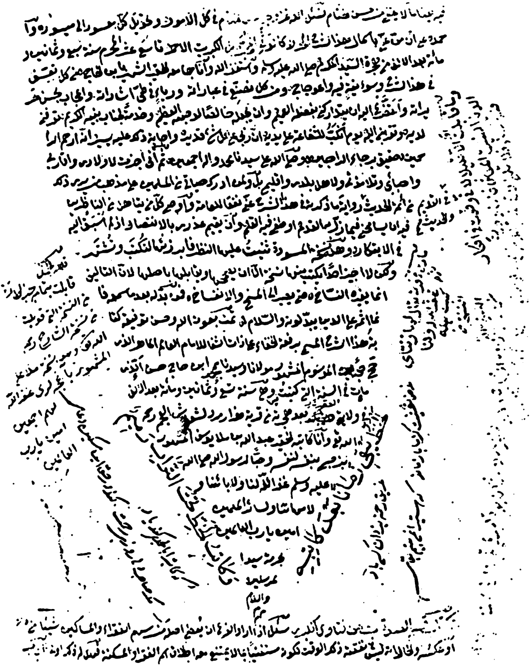

بسم الله الرحمن الرحيم
وبه العون [1]

الحمد لله الذي منَّ علينا بخليفته الأكبر، نبيه المبعوث إلى عامة الأسود والأحمر [2]، ليهديهم في مَهَامِهِ [3] الحَيْرَةِ والغِيرَةِ [4] إلى أحسن الهَدْي [5] وأكمل السير، والصلاة والسلام على نبيه [*] المبعوث ليتمم مكارم الأخلاق [6]،

---

(١) في نسختي وبالله التوفيق والاستعانة.

(٢) قال الشارح: اقتباس من قوله ﷺ: «بعثت إلى الأحمر والأسود» أي إلى العرب والعجم، إذ الغالب على لون العرب السواد.
وقيل: الأحمر الإنس والأسود الجن.
وقيل: البيض والسود من الأمم.
قلت: والحديث رواه مسلم (٥٢١) وغيره من حديث جابر ولفظه عند مسلم «وبعثتُ إلى كل أحمر وأسود» وروي من حديث جماعة من الصحابة، وسيأتي في التعليق (٤١).

(٣) قال الشارح: جمع مَهْمَه وهي المفازة انتهى وزاد الجوهري بعيدة الأطراف.

(٤) قال الشارح: وغير الدهر كعنب أحداثه المغيرة كما في القاموس انتهى انظر تاج العروس (١٣/ ٢٨٧).

(٥) قال الشارح: بفتح الهاء وسكون الدال السمت والسيرة، وفي الحديث: «خير الهدي هدي محمد».
قلت: هو عند مسلم (٨٦٧) بهذا اللفظ.

(*) في نسختي ونسخة القاضي على حبيبه.

(٦) إشارة إلى الحديث الصحيح «إنما بعثت لأتمم مكارم الأخلاق» وهو عند أحمد (٢/ ٣٩٨) والبخاري في الأدب المفرد (٢٧٣) وابن سعد في الطبقات (١/ ١٩٢) والحاكم في المستدرك (٢/٦١٣) وابن عساكر في تاريخ دمشق (١/٢٦٧/٦) وقاسم بن أصبغ والبيهقي في الشعب والخرائطي في مكارم الأخلاق والقضاعي في مسند الشهاب (١١٦٥) بألفاظ مختلفة.

ويميط به قناع الشبه والانغلاق، وعلى آله وأصحابه الذين قد شقوا عصا الشقاق، ومدوا لِربْقَة وفاقهِ ليت[٧] الأعناق، ما تقلب في العيون الأحداق، ولاح في الدجى البرق الخفّاق.

أما بعد فهذا ما تشتهيه أنفس الطالبين، وتلذ به أعين الراغبين من شرح طالما كنت أحدث به نفسي، أن أخدم به المنظومة الموسومة بذات الشفا، ذخراً ليوم عَيْلَتي[٨] وبَخْسي، فتوقفت لتحري شرح سابق يحصل به في بعض المواضع أنسي، فطفقت في أسفار طلبه حتى هجرت مسقط رأسي[٩]، وأُناسي وعرسي، وأنضيت فيها فرسي وعنسي، فلما آيست من الوجدان[١٠]، وتضاعف اقتراح الإخوان، حتى في أقاصي البلدان، لشرحها المتكفل بغاية البيان، بلا إيجاز مُخل، ولا إطناب مملّ، بادرت إلى نجاحهم بما اقترحوا، وإسعافهم بما ألحّوا، فدونك[١١] أيها الطالب شرحاً برز في زي العرائس واستبطن زبدة ما في بطون الكتب الفاخرة باحتوائها على النفائس، مما هذبه مشاهير أهل السير المعتبرين، ثم انتخله[١٢] الأئمة من الحفاظ المتأخرين، ولقد بذلت في تنقيحه كل شؤوني، وأتعبت في تصحيحه فكري وعيوني، وطالعت في هذا الفن كتباً جمة[١٣]

---

(٧) قال الشارح: بكسر اللام صفحة العنق انتهى. قلت: انظر تاج العروس (٥/ ٨٤).

(٨) قال الشارح: العيلة الفقر، أي ليوم يظهر فيه ذلك، وهو يوم القيامة.

(٩) قال الشارح: أراد بمسقط الرأس الوطن. وبأناسه أحباءه، وبعرسه أهله، وذلك كان في سفر الشام والحجاز.

(١٠) قال الشارح: لم أجد له شرحاً مع شدة التفحص.

(١١) قال الشارح: اسم فعل بمعنى خذ وشرحاً منصوب به.

(١٢) يقال: أنخله وانتخله أي صفّاه ونقحه كهذبه، فيكون ما ذكرته منخولاً مصفىّ مرتين فهو في غاية النقاوة. قاله الشارح.

(١٣) قال الشارح: كعيون الأثر ومختصره لابن سيد الناس، ومختصر العز بن جماعة ومختصر الحلبي ومختصر الحافظ نجم الدين الغيطي والمواهب اللدنية للمحدث العارف القسطلاني وكتاب الشفاء للقاضي عياض بشروحه وسيرة الخلفاء للسيوطي وأسنى المطالب للشهاب ابن حجر وسائر مؤلفاته من شرح الهمزية وغيره والتحفة السنية في الأسئلة المرضية وشمائل

وسبرت أخبار الحفاظ من جهابذة[١٤] الأمة، وحدّثت بذلك نصحاً لا فرحاً، وشكراً لا بطراً ومرحاً، فشدّ به يديك ولا يفلتنه[١٥] منك داء الحسد[١٦]. أو طعن من آنس من نفسه القصور فَعَنَد، ثم مع مدحي له بذلك ما أبرّيه[١٧]، ولا أنادي هذا مبيع لا عيب فيه، بل أعترف بالقصور، وأبسط يد الافتقار إلى العفو الغفور، فالكمال محال لغير ذي الجلال، فرحم الله امرءاً قهر هواه، وأنصف من نفسه وعذر أخاه، فيما صدر عنه من الخلل، أو طغى به قلمه من التحريف والخطل، ناوياً أن أسميه بعد أن أختمه: (رفع الخفا على ذات الشفا) والله المستعان وعليه التكلان.

= الترمذي بشروحه وكتاب أخبار الدول الماضية وغير ذلك من كتاب الخميس وعيون التواريخ وتاريخ ابن خلكان وغيرها فلله الحمد.

(١٤) قال الشارح: جمع جهبذ بكسرتين بينهما سكون وهو الماهر الحاذق.

(١٥) قال الشارح: من الإفلات وهو الإرسال، أي لا يفوت ذلك الشرح منك.

(١٦) قال الشارح: وحجاب المعاصرة أيضاً.

(١٧) أصله ما أبرئه بالهمزة فخفف بقلبه ياء أي ما أزكيه وأنزهه من العيوب، قاله الشارح.

بسم الله الرحمن الرحيم

قالَ مُحَمَّدٌ هُوَ ابنُ الجَزَري ‏ ‏ الحَمْدُ لِلْمُهَيْمِنِ المُقْتَدِرِ

قال الناظم رحمة الله تعالى عليه: (بسم الله) أفتتح نظمي في السيرة الآتية، وجعل الباء للمصاحبة أولى، لتفيد مصاحبة الاسم الشريف لجميع النظم (الرحمن) أي المنعم المتفضل بإرادة الإحسان لجميع الخلق فهو مختص به تعالى، ولم يطلق على غيره (الرحيم) بالمؤمنين، أو المنعم بدقائق النعم، وهو أقل مبالغة من الرحمن، ومن ثمة لم يختص به تعالى، وذكر كالتتمة والرديف للرحمن، وافتتح كسائر المؤلفين بالبسملة اتباعاً للقرآن والحديث المشهور، ولم يلتفت إلى ما قيل إن الشعر لا يبدأ فيه بالبسملة، لأن محله فيما اشتمل على هجو أو غلو مدح، لا مثل هذا النظم الحاوي لنفائس العلوم التي هي أحق بالابتداء بالبسملة من غيرها.

(قال) متعد إلى مفعول جلةٍ أو مفردٍ يؤدي معناها، كقلت قصيدةً أو شعراً[١٨]، فإن ضُمّن معنى الظن جاز أن ينصب مفعولين بشروطه المقررة في النحو، مثل أتقول زيداً كريماً أي أتظنه، وعبر عن المستقبل بالماضي، لتنزيل المرجو منزلة الواقع، وهو مجاز مشهور، بل قيل: حقيقة عرفية.

(محمد هو) أبو الخير شمس الدين (ابن) محمد بن محمد بن علي بن يوسف (الجَزَري) بحذف إحدى اليائين للوزن، نسبة إلى جزيرة ابن عمر رضي الله تعالى

(١٨) في نسخة القاضي وشعراً.

عنهمـــا[١٩] ببـلاد ديار بكر بالقرب من الموصل[٢٠] كما قاله تلميذه العقيلي، وإطلاق الأب على الجد شائع، كقوله تعالى: ﴿ولا تنكحوا ما نكح آباؤكم من النساء﴾ ولذا قال: هو ابن الجزريِّ صفة جده لا أبيه.

ذكر شيء من أحوال الناظم تبركاً به رحمه الله تعالى[٢١]

هو الإمام العلامة العامل الحافظ الشافعي الدمشقي، ولد بها سنة إحدى وخمسين وسبعمائة سمع الحديث مـن مشايـخ كثيرة، واشتغـل بعلـوم القـراءة والحديث، حتى برع فيها أهل عصره، وتفقه على الشيخ عماد الدين بن كثير، وأذن له في الفتوى والتدريس، وولّي مشيخة الصلاحية ببيت المقدس مدةً، وقدم القاهرة بمصر مراراً، وسمع من المسندين بها، وبنى بدمشق داراً للقراءة، وعين لقضاء الشافعية بدمشق، فلم يتم له، وقيل: مكث قاضياً يومين، ثم ارتحل إلى بلاد الروم سنة أربع وتسعين وسبعمائة، فانتقل إلى بلاد فارس، وتولّى بها قضاء شيراز وغيرها، وانتفع به أهل تلك الناحية في الحديث والقرآن، ثم حج حجتين، ثم قدم القاهرة، ثم سافر إلى شيراز، وكان رحمه الله تعالى من أوعية العلم والدين والصلاح، أوقاته مستغرقة بالخير، وبورك له فيـه مع كثرة أشغاله وازدحام الناس عليه، وكان لا ينام عن قيام الليل في سفر وحضر إلاّ نادراً،

---

(١٩) قال الشارح: وذكر الترضي له يدل على أنه عبدالله بن عمر الصحابي، وذلك تابع لذكره أيضاً في نسخ شرح المقدمة للقاضي خلكان نقلاً عن بعض الأئمة: لا أدري من المراد بابن عمر صاحب الجزيرة انتهى.

قلت يراجع منهل الأولياء (١/٥٢) لمحمد أمين العمري حول ذلك.

(٢٠) قال الشارح: وبالقرب من الجودي، وهو جبل بالجزيرة استوت عليه السفينة في القاموس. والجزيرة جبال بين دجلة والفرات، وبها مدن كبار ولها تاريخ.

(٢١) له ترجمة حسنة في إنباء الغمر بأبناء العمر للحافظ ابن حجر (٣/ ٤٦٦ - ٤٦٨) والضوء اللامع (٩/ ٢٥٧) وما بعده للحافظ السخاوي.

ولا يترك صوم الإثنين والخميس وثلاثة أيام من كل شهر، وله مصنفات بديعة منها النشر والتقريب والطيبة في القراءات العشر والدرة في القراءات الثلاث والتحبير على التيسير، وزاد عليه في القراءات الثلاث، وميزه بالحمرة فيه بقلت وفي آخره بوالله أعلم، والوقف والابتداء والتمهيد في علم التجويد، وكتاب مخارج الحروف وكتاب في أسماء رجال القراءة وكتاب في علم الرسم وكتاب في طبقات القرّاء وكتاب الحصن الحصين[٢٢] والمقدمة في التجويد، وأسنى المطالب في مناقب علي بن أبي طالب كرم الله وجهه، وكتاب الكاشف في أسماء رجال الكتب الستة والمختار في الفقه وثلاث مواليد ما بين نظم ونثر ألّفها بمكة المشرفة وكتاب في الطب على حروف المعجم، وله في غالب العلوم مؤلفات مثل: التصوف وغيره وله قصائد ومقدمة منظومة في النحو وقصيدة في مدحه ﷺ أولها:

لطيبة بت طول الليل أسري ... لعل بها يكون فكاك أسري
إلهي سوَّدَ الوجهَ الخطايا ... وبيضت السنون سواد شعري

ولما قدم مصر امتدحه شعراؤها، وكذا في كثير من البلاد التي حل بها، وتوفي رحمه الله بشيراز في شهر ربيع الأول سنة ثلاث وثلاثين وثمانمائة كما قال تلميذه أبو القاسم العقيلي في شرح الطيبة.

(الحمد) أي ماهيته وحقيقته وهو الوصف بالجميل على الجميل الصادر بالاختيار حقيقةً أو حكماً على جهة التعظيم، أو كل فرد من أفراده مملوك (للمهيمن) ومختص به فلا فرد منه لغيره تعالى سواء جعلت «أل» هنا للجنس كما عليه الزمخشري، أو للاستغراق كما عليه الجمهور لأن اختصاص جنس الحمد به تعالى كما أفاده اللام، والجملة تستلزم اختصاص كل فرد، إلاّ أن الجنس هو الأصل في لام التعريف وفي المصدر أيضاً لأن المصدر المؤكد لا يكون إلاّ للجنس، والاستغراف هو الأبلغ الأليق بالمقام فحمد غيره تعالى

---

(٢٢) في نسختي الحصن والحصين وهو خطأ.

كالعارية، إذا لكل منه وإليه، لأنه مبدء كل جميل، والمهيمن هو الرقيب الحافظ لكل شيء وقيل: القائم بأمور الخلق، وقيل: الشاهد، وقيل: هو مُفَيْعلٌ من الأمن قلبت همزته هاء، وقيل: هو بمعنى المؤمن من آمن غيره وأصله مؤءمن بهمزتين قلبت الثانية ياءً ثم الأولى هاءً (المقتدر) مفتعل من اقتدر، وهو لكثرة حروفه أبلغ من القادر والقدير، صفة للمهيمن، وجملة الحمد المراد بها الثناء على الله تعالى بأنه مالك لجميع الحمد من الخلق مقول قال محمد، ولا ينافي ذكره إرداف الحمد بالتسمية المأمور به في الحديث والمعمول به في القرآن لأنه تمهيد للحمد، ولا يعد فاصلاً عرفاً، واختار من أسمائه تعالى ما ذكره للإيماء إلى أن حمده على غاية من الحضور والشهود، وإلى أنه لا يستحق الحمد إلاّ من كان حياً قادراً مُريداً عالماً وهو الله تعالى.

وَالشُّكْرُ للهِ عَلَى مَا قَدْ هَدَى ... مِنْ نَظْمِ سيرَةِ النَّبِيِّ أحْمَدا

(والشكر) لغةً فعل ينبىء عن تعظيم المنعم لكونه منعماً على الشاكر أو غيره، واصطلاحاً صرف العبد جميع ما أنعم الله به عليه من نحو السمع والبصر إلى ما خلق له من الطاعة، ولعزة هذه المقام قال الله تعالى: ﴿وقليل من عبادي الشكور﴾ أي العامل بطاعتي شكراً[٢٣] لنعمتي كما قاله المفسرون (لله) أي مختص به على قياس ما مرّ في الحمد (على ما قد هدى) أي هدانا[٢٤] أي دلنا عليه أو أوصلنا إليه، فحذف مفعولاه للعلم بهما. وبين تلك النعمة العظيمة التي هداه الله تعالى إليها بقوله: (من نظم) هو لغة جمع اللؤلؤ في السلك ثم استعير لذكر الألفاظ متناسقةً في الدلالة على المعاني، والمراد به هنا النظم الخاص بطريق الشعر (سيرة النبي) ﷺ أي طريقته وسنته المأمور كل أحد باتباعها (أحمدا) بيان للنبي والألف للإطلاق.

(٢٣) في نسخة القاضي شاكراً.

(٢٤) في نسخة القاضي هداناه.

صَلَّـى عَلَيْـهِ رَبُّنَـا وَسَلَّمَا وآلِـهِ وَصَحْبِـهِ وكَـرَّمَـا

(صلى عليه ربنا) أي رحمه الله تعالى رحمةً مقرونةً بالتعظيم. ومن ثم خص الأنبياء بلفظها استقلالاً تمييزاً لمراتبهم العلية، وألحق بهم الملائكة في ذلك لمشاركتهم لهم في العصمة. والجملة خبرية أريد بها الدعاء أي اللهم صل عليه، وهكذا ما بعده، وكلمة على مجردة عن معنى المفسرة هنا، بخلاف ما إذا استعملت مع الدعاء، والمطلوب بالدعاء له ﷺ أمر زائد على ما حصل له في كل وقت، فإن نعم الله تعالى لا نهاية لها، لا طلب أصل الصلاة لحصولها بصلاة الله تعالى وملائكته عليه وقيل المراد تعظيم المصلّى عليه ومحبة الخير له، واستحسنه الإمام الغزالي، والأصح جواز الصلاة عليه بالضمير كما في النظم، وأنه لا يشترط في الخروج عن عهدة الصلاة عليه ﷺ الكيفية الواردة في التشهد لتواطؤ المؤلفين من المحدثين وغيرهم على الصلاة عليه في كتبهم بلفظ ﷺ. وعليه الصلاة والسلام، وقد بسطت الكلام على ذلك في حاشية النهجة المرضية في شرح الألفية [٢٥] (وسلّما) أي وسلمه من كل آفة منافية لغاية الكمال.

---

(٢٥) قال الشارح في حاشية النهجة المرضية (ص ٤ - ٥ من نسختنا الخطية):

فائدة: أغرب القاضي أبو بكر بن العربي في العارضة فقال: الذي اعتقده أن قوله ﷺ «من صلى علي صلاة صلى الله عليه بها عشراً» ليس لمن قال: كان رسول الله ﷺ، وإنما هو لمن صلى عليه كما علم من النص.

ونحا تقي الدين السبكي نحوه فقال: إن أحسن ما يصلى به عليه ﷺ هي الكيفية الوافية في التشهد، فمن أتى بها فقد صلى عليه بيقين، وكان له الجزاء الوارد في أحاديث الصلاة عليه، ومن أتى بغير لفظها فهو في شك مما ذكر، لأنهم قالوا: كيف نصلي عليك؟ قال: «قولوا» إلى آخره.

وقد استحب النووي وغيره أن يلتزم في الدعوات والأذكار ما ورد عنه ﷺ وكذا الصلاة عليه، ولكن وسع غيرهم في ذلك لاختلاف الروايات في الكيفية المأمور بها وتنويعها واختلاف طرقها بالزيادة والنقص في ذكر النبوة والأمية والرسالة وفي ذكر من يصلى عليه من الآل والذرية والأولاد، ولمخالفته ما ورد عن الصحابة والسلف الصالح من ألفاظ الصلاة للكيفيات الواردة عنه ﷺ، ولتواطؤ المؤلفين من المحدثين والفقهاء على الصلاة =

وفي الإرشاد وغيره يكره السلام على غائب غير نبي وملك في غير المراسلة إلاّ تبعاً وألحق بهم في ذلك مثل الخضر ولقمان وذي القرنين للخلاف في نبوتهم، أما السلام على المخاطب المؤمن فسنة (وآله) أي أقاربه المؤمنين من بني هاشم والمطلب، او أتقياء أمته، والثاني مختار المحققين في مقام الدعاء لحديث ضعيف يعمل به في مثل ذلك «آلي في مقام الدعاء كل تقي»(٢٦).

قال العلامة الدواني في حاشية شرحه لهياكل النور: آل الشخص من يؤول

= عليه في كتبهم بلفظ ﷺ ولفظ عليه الصلاة والسلام.

(٢٦) رواه الطبراني في المعجم الصغير (١/ ١١٥) والأوسط (٤٩٣ مجمع البحرين) من رواية نعيم ابن حماد عن نوح بن أبي مريم عن يحيى بن سعيد الأنصاري عن أنس مرفوعاً قال: سئل النبي من آل محمد؟ فقال: «كل تقي».

وقال لم يروه عن يحيى بن سعيد إلا نوح بن أبي مريم، تفرد به نعيم.

قلت: نوح بن أبي مريم أبو عصمة المروزي كذبوه في الحديث وقال ابن المبارك: كان يضع. وفي نعيم بن حماد كلام..

ورواه العقيلي في الضعفاء ( ) من طريق نافع بن هر عن أنس قال: سئل النبي ﷺ من آل محمد قال: «كل مؤمن تقي».

ومن طريقه أورده ابن الجوزي في العلل المتناهية (٢/ ٢٦٥) ثم قال: هذا الحديث لا يصح عن رسول الله ﷺ، ونافع يغلب على حديثه الوهم. قال يحيى بن معين: لا يكتب حديثه، وضعفه هو وأحمد بن حنبل وقال يحيى مرة: كذاب. وقال الدارقطني: متروك.

ورواه البيهقي في السنن (٢/ ١٥٢) من طريق نافع به وعنده بلفظ «كل تقي».

وقال البيهقي: وهذا لا يحل الاحتجاج بمثله، نافع السلمي أبو هرمز بصري كذبه يحيى بن معين، وضعفه أحمد بن حنبل وغيرهما من الحفاظ.

ونقل المناوي في الفيض (١/ ٥٦) عن ابن حجر قال: رواه الطبراني عن أنس وسنده واه جداً.

وليس عند واحد منهم اللفظ الذي ذكره الشارح.

ومما تقدم علمت أن هذا الحديث لا يصلح أن يعمل به في فضائل الأعمال حتى عند الذين يقولون بذلك، لأن أحد شروطهم أن لا يكون الضعف شديداً. وضعف هذا الحديث شديد جداً.

إليه ، وآل المصطفى ﷺ مَن يؤول إليه بحسب النسب أو بحسب النسبة ، أمّا الأول فهم الذين حرّمت عليهم الصدقة ، وهم مؤمنو بني هاشم والمطلب . وأما الثاني فهم العلماء إن كانت النسبة بحسب الكمال الصوري أعني علم التشريع والأحكام ، والأولياء والحكماء العارفون إذا كانت (٢٧) النسبة بحسب الكمال الحقيقي أعني علم الحقيقة أي التي هي لب الشريعة من الأخذ بعزائم الأحكام ، والاهتمام التام بصفات القلب (٢٨) ، وكما حرّم على الأول الصدقة الصورية حرّم على الثاني الصدقة المعنوية أعني تقليد الغير في العلوم والمعارف الإلهية ، فآله ﷺ من يؤول إليه بحسب نسبته لحياته الجسمانية كأولاده النسبية ومَن يحذو حذوهم من أقاربه الصورية ، أو بحسب نسبته لحياته العقلية كأولاده الروحانية من العلماء [الراسخين والأولياء] الكاملين والحكماء العارفين المقتبسين من مشكاة النبوة سواء سبقوه زماناً أو لحقوه ، ولا شك أن الثانية (٢٩) آكد من الأولى (٣٠) والثانية من الثانية أكد من الأولى منهما ، وإذا اجتمع النسبتان بل النسب الثلاث كان نوراً على نور ، كما في الأئمة المشهورين من العترة الطاهرة انتهى (٣١) .

---

(٢٧) في نسخة القاضي إن كانت .

(٢٨) قال الشارح : فالحقيقة الركن الأعظم في الشريعة ، فمن وجد فيه صفة العدالة واشتغل بحفظ الأحكام وحماية الشرع الشريف عن تطرق أهل البدع ولم يتطرق إلى كثرة الاهتمام بدقائق أحوال القلب وتطهيره من نحو الرياء والكبر والعجب ونحوها يعد من العلماء ، ومن عمل بعزائم أحكام الشريعة وكان له فرط اهتمام بأحوال القلب وتطهيره من الخواطر الرديئة يعد من الأولياء ، ومن وجد فيه كلا الأمرين فهو من العلماء والأولياء الجامعين بين الشريعة والحقيقة كالأئمة المجتهدين فاحفظه .

(٢٩) أي نسبته لحياته آكد من العقلية الجسمانية . قاله الشارح .

(٣٠) يعني أن نسبته لحياته العقلية تنقسم به إلى الأول الروحانية من العلماء بحسب الكمال الصوري وإلى الأولاد الروحانية من الأولياء الكاملين بحسب الكمال الحقيقي ، والثانية منهما آكد ، وقيل كل منهما أفضل من جهة ، وقد أوضحت ذلك في حاشية فتح المبين ، قاله الشارح .

(٣١) لا حاجة إلى هذه السفسطة الصوفية لأصحاب وحدة الوجود . فإن آل النبي ﷺ هم أهل بيته من أزواجه وأقاربه من بني هاشم وبني المطلب .

ولنفاسة ذلك سقت جميعه، ونقله المناوي في شرح للجامع الصغير مع التزامه غاية الاختصار في ذلك الشرح (وصحبه) اسم جمع لصاحب أو جمع له بمعنى الصحابي وهو من اجتمع به ﷺ مؤمناً ومات على الإسلام (وكرماً) أي وعظمة برفعة قدره ونزهه من العيب الحسي والمعنوي. وما أحسن ما يعزى لحسان في مدحه ﷺ:

وَأَحْسَنُ مِنْكَ لَمْ تَرَ قَطُّ عَيْنِي ... وَأَجْمَلُ مِنْكَ لَمْ تَلِدِ النِّسَاءُ
خُلِقْتَ مُبَرَّأً مِنْ كُلِّ عَيْبٍ ... كَأَنَّكَ قَدْ خُلِقْتَ كَمَا تَشَاءُ[٣٢]

ولله در الناظم حيث بدأ في نظمه بالبسملة، ثم ثناه بالحمدلة، ثم ثلّثه بالشكر على نعمه تعالى التي من جملتها الإقدار على هذا النظم الجامع الموجز المحرر، ثم أشار إلى براعة الاستهلال بذكر سيرة النبي ﷺ، ثم بالصلاة عملاً بقوله ﷺ «كل أمر ذي بال لا يبدأ فيه بالحمد لله والصلاة عليّ فهو أبتر ممحوق من كل بركة» وسنده وإن كان ضعيفاً يعمل به في الفضائل[٣٣].

وفي حديث «من صلى على رسول الله ﷺ في كتاب صلّت عليه الملائكة غدوةً ورواحاً ما دام اسم رسول الله ﷺ في ذلك الكتاب»[٣٤] ونازع في رفعه

= ثم إن مؤلف هياكل النور هو يحيى السهروردي الزنديق الذي قتله صلاح الدين الأيوبي بفتوى من علماء المسلمين.

وأما الدواني فهو صاحب كتاب إيمان فرعون وهو من أصحاب وحدة الوجود كما يظهر من كتابه ذلك وكيف يدافع بحرارة عن إيمان فرعون وقد رد عليه ملا علي القاري رداً جيداً وطبع الكتابان سنة ١٣٨٣ هجرية ١٩٦٤ ميلادية.

فلا اعتداد بقولهما.

(٣٢) البيتان في ديوان حسان (ص ١٤).

(٣٣) رواه السبكي في طبقات الشافعية (١/ ١٥) بهذا اللفظ من حديث أبي هريرة وفي إسناده اسماعيل بن أبي زياد الشامي قال الدارقطني في كتاب الضعفاء والمتروكين (ص ٥٩) يضع الحديث كذاب متروك. فهو حديث موضوع بهذا الإسناد.

(٣٤) رواه الخطيب في شرف أصحاب الحديث (ص ٣٦) والطبراني في الأوسط (٢٤ مجمع =

ابن القيم وقال: الأشبه أنه من كلام معفر بن محمد لا مرفوعاً.

وَبَعدُ إنّ خَيرَ شَيءٍ آنتَظَمْ سيرَةُ خَيرِ مُرسَلٍ إلى الأُمَمْ

(وبعد) مع أمّا، كلمة يؤتى بها للفصل بين ذكر الله تعالى وبين الغرض المسوق له الكلام اقتداء به ﷺ، فإنه كان يأتي بها في خطبه ونحوها كما صح عنه ﷺ (٣٥)، وفي أوّل من نطق بها أقوال.

روى الديلمي في مسند الفردوس عن أبي موسى الأشعري قال: قال رسول الله ﷺ (٣٦): «أول من قال أما بعد: داود، وهذا فصل الخطاب» (٣٧) أي الذي آتاه الله تعالى. وقيل: كعب بن لؤي، وقيل: قس بن ساعدة، وقيل: غير ذلك. والذي أجمع عليه المحققون من علماء البيان كما قال ابن الأثير: إن فصل الخطاب هو: أما بعد، وقد اعتاد كثيرمن المؤلفين حذف أمّا وذكر الواو

= البحرين) وأورده ابن الجوزي في الموضوعات (١/ ٢٢٨) وانظر اللآلي المصنوعة (١/ ٣٠٤ - ٣٠٥) للسيوطي والقول البديع (ص ٢٥٠ - ٢٥١) للسخاوي. واللفظ الذي ذكره المصنف بقرب منه ما رواه السيوطي عن جعفر.

(٣٥) أنظر فتح الباري (٢/ ٤٠٢ - ٤٠٦).

(٣٦) في نسخة القاضي على نبينا وعليه الصلاة والسلام.

(٣٧) رواه الطبراني في الأوائل (٤٠) وابن أبي حاتم كما في تفسير ابن كثير (٤/ ٣٠) والديلمي في مسند الفردوس من حديث أبي موسى، وفي إسناده عبدالعزيز بن ثابت وهو متروك.
قال الحافظ في الفتح (٢/ ٤٠٤) وفي إسناده ضعف، وروى عبد بـن حيد والطبراني عن الشعبي موقوفاً أنها فصل الخطاب الذي أعطيها داود، وأخرجه سعيد بن منصور من طريق الشعبي فزاد فيه عن زياد بن سمية. وقيل: أول من قالها يعقوب رواه الدارقطني بسند واه في غرائب مالك، وقيل أول من قالها يعرب بن قحطان، وقيل كعب بن لؤي أخرجه القاضي أبو أحمد الغساني من طريق أبي بكر بن عبدالرحمن بسند ضعيف، وقيل سحبان بن وائل، وقيل قس بن ساعدة.
والأول أشبه، ويجمع بينه وبين غيره بأنه بالنسبة إلى الأولية المحضة، والبقية بالنسبة للعرب خاصة، ثم يجمع بينها بالنسبة إلى القبائل.

مكانها، إما بطريق التعويض عنها أو للعلم بحذفها رعايةً للاختصار، وفي حصول ثواب العمل بالسنة بذلك تردد.

ثم تضمن أما معنى الشروط وذكر الفاء في جوابها غالباً وفي لغات دال (بعد) وانقطاعه عن الإضافة وبنائه. كلام ليس هذا محل بسطه، أي وبعدما تقدم من الثناء على الله تعالى والصلاة والسلام على رسوله ﷺ فأقول (إن) حذف الفاء في جواب أمّا واجب عند الجمهور إذا حذف معه القول كما في قوله تعالى ﴿وأما الذين اسودت وجوههم أكفرتم﴾ أي فيقال لهم: أكفرتم ولذا قدرت أقول في النظم، على أن الحذف جاء في الشعر بكثرة، وأن ابن مالك صرح بجوازه في النثر أيضاً بقلة تمسكاً بما ورد في الأحاديث الصحيحة (٣٨). ومبالغة أبي حيان ومن تبعه في الرد عليه وهم منهم. وقد شددت الإنكار عليه في حاشية النهجة المرضية (٣٩). وأنه يحتمل الفرق بين أما بعد وقولهم: وبعد في التزام

---

(٣٨) قال الشارح: كقوله ﷺ: «أما بعد ما بال رجال يشترطون شروطاً ليست في كتاب الله تعالى» الحديث «أما كأني أنظر إليه» الحديث وقوله «فأما من أهل بالحج والعمرة لم يحلوا» الحديث، وكلها في صحيح البخاري.
قال الكرماني نقلاً عن المالكي: من خص الحذف بما إذا حذف القول معه فهو مقصر في فتواه عاجز عن نصرة دعواه.
قلت: الأحاديث المذكورة في صحيح البخاري الأول (٢١٦٨) والثاني (١٥٥٥) والثالث (١٥٦٢).

(٣٩) قال الشارح في حاشية النهجة المرضية (١٩٥ - ١٩٦ من مخطوطتي) قال ابن القاسم: لم ينبه على ذلك في الكافية ولا في التسهيل، فهو من زيادات الألفية.
قلت: وينبغي التوقف في قبوله إذ لم يذكره أحد من النحاة غيره، وإنما أخذه من حديث «أما بعد ما بال رجال» وقد أكثر من أخذ أحكام نحوية لم يسبق إليها من الأحاديث.
وبالغ أبو حيان وغيره من المتأخرين في الرد عليه بسبب ذلك وقالوا: الأحاديث ليست مقطوعة بأنها رويت بلفظ النبي ﷺ، بل هي مروية بالمعنى رواه الأعاجم والمولدون واللحانون فلحنوا فيها، فلهذا لم يستدل أحد من المتقدمين على إثبات قاعدة نحوية بما ورد في الأحاديث انتهى.

الفاء في جواب الأول دون الثاني ويؤيده قول بعضهم: الفاء في نحو وبعد فهذا للتزيين، وبعض آخر أنه لدفع توهم الإضافة (خير) كلٌّ (شيء انتظم) أي صار منظوماً من العلوم والمدائح (سيرة) أي علم يبحث فيه عن سيرة (خير) كل (مرسل إلى الأمم) هو على التوزيع أي كل منهم مرسل إلى أمته إذ لم يكن لغير نبينا ﷺ عموم بعثة إلى جميع الأمم.

ففي الصحيحين «وكان النبيّ يبعث إلى قومه خاصة وبعثت إلى الناس عامة»[٤٠] وفيها ايضاً «بعثت الى الأحمر والأسود»[٤١] أي العجم والعرب على أحسن الأقوال فيه. وفي صحيح مسلم «وأرسلت الى الخلق كافةً»[٤٢].

= قلت: وفي هذا الكلام من السخافة ما لا يخفى، وإن لم أر من نبه عليه، لأن جواز رواية الحديث بالمعنى مشروط بأن يكون من عالم بالألفاظ والتراكيب العربية إجماعاً كما قال ابن الصلاح وغيره، فلا يغير الحديث إلى ما لا يجيزونه.

على أن الأحاديث دونت في زمن الصحابة والتابعين وهم أهل اللسان، ثم رواها وتداولها من بعدهم من غير تبديل ما دونوه.

والأحاديث المتعددة الطرق تعدداً يفيد التواتر لا يتطرق إليها الاحتمال المذكور.

والعجب يستدل بما يسمعه مثل الكسائي وسيبويه من العرب وهم في زمان اللحن، ولا يستدل بما يسمعه مثل الإمام مالك من أحاديث أهل اللسان ثم دونه في الموطأ مثلاً ولم يتغير بعد.

وإنما لم يكثر المتقدمون من الاستدلال بالأحاديث لعدم اشتغالهم بها انتهى.

ثم علق على قوله وإن لم أر من نبه عليه بقوله: ثم رأيت القاضي زكريا بعد ذلك في حاشية شرح ابن الناظم في مبحث لولا صرح بمضمون ما ذكرته، فشكرت الله تعالى على ذلك فقال: ما قاله هؤلاء مردود بأنه يؤدي إلى رفع الوثوق عن جميع الأحاديث أو غالبها، على أنه إنما يتم لو لم يكن رواة الحديث عرباً، أما إذا كانوا عرباً وهو الظاهر فلا، لقيام الحجة بلسانهم.

(٤٠) عند البخاري (٣٣٥) ومسلم (٥٢١) والنسائي (١/ ٢٠٩ - ٢١٠) وفي نسختي كل نبي.

(٤١) لم يروه البخاري بهذا اللفظ وإنما رواه مسلم فقط في حديث جابر المتقدم.
ورواه أحمد (٥/ ١٤٥ و ١٤٨) والدارمي (٢٤٧٠) بهذا اللفظ من حديث أبي ذر.
وعند أحمد (١/ ٢٥٠) من حديث ابن عباس.

(٤٢) رواه مسلم (٥٢٣) من حديث أبي هريرة.

وأجمعوا على شمول الناس والخلق في الأحاديث كالناس في آية ﴿وما أرسلناك إلا كافةً للناس﴾ والعالمين في ﴿ليكون للعالمين نذيراً﴾ للجن كالإنس، فكفَّروا منكر رسالته ﷺ إليهم، وفي الشمول للملائكة خلاف، ورجح السبكي أنه مرسل اليهم أيضاً، واختار بعضهم أنه مرسل إلى الجمادات أيضاً حتى أقرت بعد تركيب الفهم فيها برسالته ﷺ تعظيماً له.

ولا يرد على حصر عموم البعثة فيه ﷺ رسالة نوح إلى جميع من بقي معه بعد الطوفان من المؤمنين، لأن ذلك العموم لم يكن من أصل بعثته بل وقع اتفاقياً، لانحصار الخلق في الموجودين معه بعد هلاك الناس، وأما قبل الطوفان فلم يعلم ذلك العموم. وإنما دعا على جميع من في الأرض. لأنه لما دعا قومه إلى التوحيد وطال مدته بلغ دعوته بقية الناس فتمادوا على الشرك فاستحقوا العذاب، وإليه مال ابن عطية وله أجوبة أخرى يطول ذكرها.

ثم خيريته ﷺ من جميع المرسلين بل من جميع العالمين معلومة من القرآن بقوله ﴿كنتم خير أمّة أخرجت للناس﴾ [لأن شرف الأمة] [٤٣] بشرف نبيها وبقوله تعالى: ﴿ورفع بعضهم درجات﴾ [٤٤] قال المفسرون يعني محمداً ﷺ. وقال الزمخشري في هذا الإبهام من تفخيم [فضله وإعلاء] قدره ﷺ ما لا يخفى لما فيه من الشهادة على أنه العلم الذي لا يشتبه والمميز [المتميز] الذي لا يلتبس [٤٥]، وغير ذلك من الآيات المشتملة على رفعة قدره على الخلق تصريحاً أو تلويحاً كما يظهر لمن تأمل فيها.

---

(٤٣) ما بين المعكوفين من نسخة القاضي.

(٤٤) قال الشارح: ومن تلك الدرجات أن آياته ومعجزاته أكثر وأبهر، وزاد عليهم بخصائص ومعجزات لم يقع نظيرها لأحد.

(٤٥) كذا في الكشاف (١/ ٢٩٧) وما بين المعكوفين من الكشاف.

ومن الأحاديث بقوله ﷺ: « أنا سيد ولد آدم »[٤٦] وفي رواية « أنا أكرمهم على ربي »[٤٧] وفي حديث البخاري وغيره « أنا سيد الناس يوم القيامة »[٤٨] وفي حديث الحاكم وصححه: « أنا سيد العالمين » وفي حديث الترمذي وحسنه البلقيني « وأنا أكرم الأولين والآخرين »[٥٠] « وصح عن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما وله حكم الحديث المرفوع إذ مثله لا يقال من قبل الرأي والقياس [لولا محمد ما خلقت آدم، ولولا محمد ما خلقت الجنة والنار، ولقد خلقت العرش على الماء فاضطرب فكتبت عليه: لا إله إلا الله محمد رسول الله فسكن][٥١] وفي روايات أخرى « لولاه ما خلقت السماء ولا الأرض ولا الطول ولا العرض ولا وضع ثواب ولا عقاب ولا خلقت جنةً ولا ناراً ولا شمساً ولا قمراً »[٥٢].

وصح عن بحيرا وهو من علماء أهل الكتاب الذين لا يقولون شيئاً إلاّ عنه:

---

(٤٦) رواه أبو يعلي في مسنده (   ) وعنه ابن حبان (٢١٢٧) ورواه ابن أبي عاصم في السنة (٧٩٣) والطبراني في الكبير (ص ٨٣) من قطعة عندي من حديث عبدالله بن سلام وإسناده صحيح. وورد من حديث غيره وانظر سلسلة الصحيحة (٤/ ٩٩ - ١٠١). ورواه مسلم (٢٢٧٨) من حديث أبي هريرة.

(٤٧) رواه الترمذي (٣٦٨٩) والدارمي (٤٩) من حديث أنس بلفظ « أنا أكرم ولد آدم على ربي » وسنده ضعيف لأن فيه ليث بن أبي سليم وكذلك رواه أبو نعيم في الدلائل (١٠١) والبغوي في شرح السنة (٣٦٢٤).

(٤٨) هو عند البخاري (٤١٧٢) ومسلم (١٩٤) وغيرهما.

(٥٠) رواه الترمذي (٣٦٩٥) والدارمي (٤٨) وأبو نعيم في الدلائل (١٠٩) وهو حديث ضعيف لأن في إسناده زمعة بن صالح وهو ضعيف، وهو من حديث ابن عباس عندهم.

(٥١) رواه الحاكم (٢/٦١٤ - ٦١٥) وقال: صحيح الإسناد ولم يخرجاه، فتعقّبه الذهبي بقوله: أظنه موضوعاً على سعيد.

(٥٢) لم يذكر المصنف من روى هذا ولا شك في وضعه لأنه مخالف للقرآن الكريم.

هذا سيد العالمين(٥٣) وصح أيضاً عن عبدالله بن سلام الصحابي الجليل إمام أهل الكتاب بشهادته ﷺ أنه ذكر بالمسجد يوم الجمعة أموراً منها: وأنا أكرم خليقة الله على الله أبو القاسم(٥٤) ﷺ فقيل له: فأين الملائكة؟ فضحك وقال للسائل: يا ابن أخي هل تدري ما الملائكة؟ إنما الملائكة خلق كخلق السموات والأرض والرياح والسحاب والجبال وسائر الخلق التي لا تعصي الله عز وجل شيئاً، وإن أكرم الخلق على الله تعالى أبو القاسم ﷺ.

وبيّن السراج البلقيني أن هذا في حكم المرفوع، وهو كذلك لما مرّ، ثم قال: واعتقاد تفضيله ﷺ وكذا سائر الأنبياء على جميع الملائكة من مسائل أصول الدين الواجبة الاعتقاد على كل مكلّف، ووجب سوق الأدلة على كل من تأهّل لذلك، وأطال في الحط والردّ على من زعم أن هذا ليس مما كُلّفنا بمعرفته.

وجزم البدر الزركشي وغيره بأن مَن وافق المعتزلة منا في تفضيل الملائكة، فكلامه في غير نبينا ﷺ.

وروى البيهقي في الشعب عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: إن الله فضّل محمداً ﷺ على أهل السماء و[على أهل] الأرض.

وصح في الحديث المشهور: «ثلاث من كن فيه وجد حلاوة الإيمان من كان

---

(٥٣) هو حديث صحيح رواه ابن أبي شيبة في المصنف (١١/ ٤٧٩ و ١٤/ ٢٨٦) والترمذي (٣٦٩٩) وأبو نعيم في دلائل النبوة (١/ ٢١٧ - ٢١٨) والحاكم (٢/ ٦١٥ - ٦١٦) والبيهقي في الدلائل (١/ ٣٧٠ - ٣٧١) وابن عساكر في تاريخ دمشق (١/ ١٨٧ - ١٨٨) والخرائطي في الهواتف من حديث أبي موسى الأشعري. وقد رددت على من طعن في الحديث في (ص ٦٧ - ٧١) من العدد الثالث السنة العاشرة من مجلة الجامعة التي تصدرها جامعة الموصل. وأسهبت في الرد وبينت من صحيح الحديث ومن رواه. ولكن ليس في روايات الحديث أن الراهب هو بحيري بل ذكر باسم الراهب فقط.

(٥٤) هو عند الطبراني مختصراً (ص ٨٣) من مخطوطتي. ورواه أبو نعيم في الدلائل (٨٩).

الله ورسوله أحب إليه مما سواهما ، الحديث (٥٥) .

فتأمل في عموم ما سواهما للملائكة وغيرهم، والأحاديث في ذلك كثيرة.

ومن الإجماع فقد حكى الإمام الرازي في تفسيره الإجماع على تفضيله ﷺ على جميع العالمين من الأنبياء والرسل والملائكة وغيرهم بالأولى، واستثنوه ﷺ من الخلاف في التفضيل بين الملك والبشر ، نقله السيوطي في شرح الكوكب.

وأما نهيه ﷺ في بعض الأحاديث عن تفضيله على الأنبياء فمحمول على التواضع، أو على تفضيل يؤدي إلى تنقيص، أو إلى حط من مقام أحدهم، أو هو قبل الوحي إليه بأنه أفضلهم.

وَخُلَفَائِـهِ الذيـنَ بَعْـدَهُ ۔ الرَّاشِديـنَ التـابِعينَ قَصْـدَهُ

(وخلفائه) عطف على خير أي وسيرة خلفائه الخمسة الآتي ذكرهم في آخر الكتاب (الذين بعده) أبي بكر فعمر فعثمان فعلي فالحسن رضي الله تعالى عنهم، ووصفهم بالبعدية، احتراز عن خلفائه على المدينة المنورة حين خروجه منها إلى غزو أو غيره أو هو صفة موضحة بناء على اشتهار هذا اللفظ فيمن بعده ﷺ (الراشدين) المهديين كما جاء وصفهم بذلك في قوله ﷺ في الحديث الحسن أو الصحيح « إنه من يعش منكم فسيرى اختلافاً كثيراً فعليكم بسنتي وسنة الخلفاء الراشدين المهديين عضّوا عليها بالنواجذ »(٥٦) والأدلة على اتصاف أولئك الخلفاء

(٥٥) رواه أحمد (٣/ ١٠٣ و ١٧٢ و ١٧٤ و ٢٠٧ و ٢٣٠ و ٢٤٨ و ٢٧٥ و ٢٨٨) والبخاري (١٦ و ٢١ و ٦٠٤١ و ٦٩٤١) ومسلم (٤٣) والترمذي (٢٧٥٩) والنسائي (٨/ ٩٤ ـ ٩٥ و ٩٦ و ٩٧) والبغوي في شرح السنة (٢١) وعبد بن حميد في المنتخب من المسند (١٣٢٣).

(٥٦) رواه أحمد (٤/ ١٢٦) ومن طريقه أبو داود (٤٥٨٣) وابن عبد البر في الجامع (٢/ ٢٢٤) والترمذي (٢٨١٥) وابن ماجه (٤٤) وابن حبان (٥) والبيهقي في مناقب الشافعي (١/ ١٠ ـ ١١) والاعتقاد (١١٢ ـ ١١٣) وغيرهم وقد فصلت القول في تخريجنا وتعليقنا على أحاديث المعتبر (ص ٧٦ ـ ٧٨) للزركشي وهو من حديث العرباض ابن سارية.

بالرشاد، وهو ضد الضلال كثيرة مشهورة، وسيأتي جمل منها إن شاء الله تعالى (التابعين قصده) [و] القصد استقامة الطريق أي طريقه المستقيم.

نَظَمْتُها في غايةِ اختِصارِ مُرتَجِلاً لَعَلَّ في نهارِ

(نظمتها) أي سيرة من ذكر تسهيلاً لضبطها وحفظها لأن حفظ النظم أسهل كما هو مشاهد، ولذا أكثر المتأخرون من نظم العلوم حتى لم يبق علم إلاّ وقد نظم، لما رأوا من قصور الهمم وميلهم إلى الاختصار والمنظم حال كونها (في) أي مع كما في قوله تعالى (ادخلوا في أمم) أي معهم (غاية اختصار) وإيجاز ترغيباً في حفظها وقد قال الأوائل: يبسط الكلام ليفهم ويوجز ليحفظ، ففيها سبب الحفظ النظم والاختصار حال كوني (مرتجلاً) أي منشئاً نظمها من غير تهيئة وتأمل كثير قبله، كما هو عادة غيري وذلك يدلّ على مهارته وشدة إتقانه له في العلوم لا سيّما الحديث والقراءة، ومن ثمة قال فيه الأئمة: إنه تاج القرّاء والمحدثين (لعلّ) ذلك النظم إذا جمع أوقاته المتفرقة(*) كان (في) مقدار (نهار) فهو كرامة له، لأن مجرد كتابته يعجز عنه غالب الكتّاب في مقدار يوم فكيف مع تأليفه ونظمه وتحريره، وذكر ذلك تحدثاً بنعمة الله تعالى وليعلم الناس مقدار علمه ليأخذوا عنه.

بِرَسْمِ سُلْطانِ الوَرىٰ مُحَمَّدِ صاحِبِ شيرازَ الرضا المُؤَيَّدِ

وذلك النظم أريد (بِرَسم) أي بأمره من رسم له كذا أمره به، أو هو من الرسم بمعنى العلامة أي وسمته بوسمه واشتهرت أن النظم كان لأجله ليكون

(*) قال الشارح: وسألني الفاضل المحدث الشيخ محمد المعروف بالعقاد الساكن في جدة وكنت إذ ذاك مسافراً هناك عن وجه إدراج الناظم كلمة لعل المشعرة بعدم الجزم مع علمه بأنه في كم ألفها، فقلت له إنه لاشتغاله بأمور أخر لم يصرف يوماً على حدة في نظمها بل نظمها في أوقات متفرقة، لكن لقلتها ظن أنها لو جمعت كانت مقدار يوم فاستحسنه، وكذا قررت به النظم.

سبباً لازدياد الناس محبته (سلطان) جميع (الورى) أي الخلق من الممالك الإسلامية وغيرها، وإن لم ينقادوا له لبغيهم وكفرهم[٥٧] (محمد)[٥٨] عطف بيان له، وهو السلطان الجليل المحب للعلماء والصلحاء ابن السلطان المجاهد الذي كان من خيار ملوك الأرض السعد بايزيد بن السلطان العادل المفني عمره في الجهاد مرادخان بن السلطان ذي الكرم الوافر والعدل المتكاثر أورخان ابن الملك المجاهد العادل المحسن إلى الأيتام والأرامل السلطان عثمان أول السلاطين العثمانية في ممالك الروم أدام الله تعالى ملكهم، فإنهم من أعظم سلاطين الدنيا شوكةً

---

(٥٧) في نسختي أو كفرهم.

(٥٨) قال محمد أمين العمري في كتابه «منهل الصفا ومسرح الوفا في كشف الخفا عن ذات الشفا» (١/ ١٣/ ٢) ولم أقف على ترجمة محمد المذكور، ثم لما منَّ الله تعالى بإخراج المسودة إلى البياض وقفت على شرح لبعض علماء الأكراد - يقصد ابن الحاج - ذكر أنه محمد بن السلطان أبي يزيد بن السلطان مراد بن السلطان أورخان بن عثمان أول السلاطين العثمانية أدام الله تعالى ملكهم، وهو فاسد لأن الشيخ كان اتصل بخدمة اللنك وكان قد ولاه قضاء شيراز وهي من بعض ممالك تيمور، فمن أين يكون السلطان محمد صاحبها ولم تصل عساكره إليها، وكان عليه عدة مخالفين من إخوته وهم عيسى وموسى وسليمان وقاسم، واستمر قتالهم ونزاعهم بعد أبي يزيد اثنتي عشرة سنة إلى أن غلب السلطان محمد فاستقل بها سنة ست عشرة وثمان مئة، وسلطنته ثمان أو تسع سنين.

وبعد في هذا المقام تأمل لأنه ذكر في آخر السيرة أنه عملها في تاريخ سنة ثمان وتسعين وسبع مئة في ثالث يوم من وقوع الملحمة في دولة الملك أبي يزيد العثماني، وهو إذ ذاك في خدمته، ولم يكن قد وصل إلى شيراز، ولعله كان قد نظمها في ذلك التاريخ ثم جعلها برسم صاحب شيراز حين دخلها قاضياً أيام تيمور، لكن قوله برسم يفيد أن علة النظم الملك المذكور، ولعل شيراز كانت لأبي يزيد وكان محمد المذكور فيها من قبله والله تعالى أعلم انتهى.

ثم قال محمد أمين العمري في تعليقه على شرحه المذكور: ولعله شيزر بتقديم الزاي وهي من قلاع الشام، لكن لما كان الشيخ قد ولي قضاء شيراز ظن أنه شيراز والله أعلم.

ثم قال في تعليق آخر: وأظن أن شيراز تحريف وإنما هو سيواس لأنه كان السلطان محمد قد وليها في حياة أبيه وحرفت على الكتاب فكتبوا شيراز والله أعلم.

وهيبةً وله نسب متصل بيافث بن نوح عليه الصلاة والسلام، وكان جده سليمان شاه سلطاناً في بلاد هامان وبلخ فلما ظهر جنكيزخان خرّب[٥٩] بلاد بلخ وتفرقت أهلها في سنة إحدى عشر[ة] وستمائة إلى الأماكن، قصد[٦٠] سليمان شاه مع أولاده بلاد الروم، وكان قد سمع بدولة السلاجقة بالروم وعظم شوكتهم وكثرة غزوهم إلى الكفار، وتبعه في ذلك خلق كثير فقاتلوا مع الكفار في الطريق فغنموا كثيراً، ثم قصدوا صوب حلب فوصلوا إلى نهر الفرات أمام قلعة جعبر ولم يعلموا المعبر فعبروا النهر فغلب عليهم الماء فغرق سليمان شاه فأخرجوه ودفنوه هناك، وقبره يزار ويتبرك به، فرحمه الله تعالى وآتاه ثواب المهاجرين، وتفصيل أحوالهم لا يسعه المقام.

وما ذكر كان بسبب هجرتهم إلى بلاد الروم، ثم ما زال أمرهم يزداد علواً وقرباً عند السلطان الأعظم السلجوقي لعدالتهم وكثرة نصرتهم في الغزوات إلى أن ولاّهم الله تعالى الخلافة، فأولهم السلطان عثمان الغازي كما مرّ.

(صاحب) نعت محمد، والإضافة للاستمرار فهو[٦١] معنوية، فصح وقوعه صفةً للمعرفة لا بمعنى الحال والاستقبال (شيراز) غير منصرف للعجمة والعلمية، مدينة صحيحة الهواء عذبة الماء كثيرة الخيرات وافرة الغلات، وهي أحسن بلاد فارس بناها شيراز بن طمهورث[٦٢]، فسميت به كما في القاموس وغيره، ثم أحكم بناءها ابن بويه، زعموا أن من قام بشيراز سنة يطيب عيشه من غير سبب يعرفه، ومن عجائبها شجرة تفاح (التفاح) نصف تفاحتها في غاية الحلو ونصفها الآخر حامض[٦٣]، ولعله إنما وصفه بكونه صاحبها لاستيلاء

---

(٥٩) في نسختي أخرب.

(٦٠) في نسختي وقصد.

(٦١) في نسختي ونسخة القاضي فهي وهو الصحيح.

(٦٢) في النسختين المذكورتين طهمورث.

(٦٣) في معجم البلدان وصف دقيق لهذه المدينة ومنه ما ذكره الشارح.

الأعاجم من الرافضة والكفار عليها قبل، فوسع الله تعالى الإسلام بسببهم، وفي زماننا عاد إلى ما كان وطلع بها قرن الشيطان نعوذ بالله من فتن الزمان (الرضا) بكسر الراء وهو مصدر جعل نعتاً ثابتاً بتأويله باسم المفعول أي المرضي حاله وشيمه عند الخلق والخالق (المؤيد) من جانب الله تعالى.

أَسْأَلُ رَبّـي أن يُعِـزّ الدّينـا بِـهِ وَيُهْلِـكَ العِـدا البـاغينـا
فَلَيْسَ عِنْدي مِنْ هَدايا تَصْلحُ سِوى دُعـاء لَسْتُ عَنـهُ أبـرحُ

(أسأل ربي أن يعزّ الدينا) بألف الإطلاق أي يقوي الدين (به) بعد ذلته، من أعزّه أي قوّاه بعد ذلّه (و) أن (يهلك العدىٰ) بكسر العين وضمها اسم جمع للعدو وهو ضد الصديق للواحد والجمع والذكر والأنثى وقد يؤنث ويثنى ويجمع، فجمعه أعداء وجمع جمعه أعـاد (البـاغينـا) ألفـه للإطلاق أيضاً أي الخارجين عن طاعته (فليس) الفاء للتعليل أي وإنما دعوت له بما مرّ إذ ليس (عندي) ما يليق بحضرته (من) بيان لمحذوف مثل ما قدرته أو زائدة لتأكيد النفي وهو الظاهر (هدايا) بفتح الهاء جمع هدية وهي ما يقصد به تعظيم المهدى إليه بخلاف الصدقة يقصد بها التوسعة على المتصدق عليه، ومن ثمة حلّت الهدية للنبي ﷺ دون الصدقة (تصلح) بضم اللام وفتحها من صلح ككرم ومنع نعت هدايا أي تصلح للعرض عليه من الأموال الدنيوية، فالاستثناء بعده بقوله: (سوىٰ دعاء) منقطع لعدم دخول الدعاء في الأموال، وإن جعل الهدايا أعم من الأموال الدنيوية والدعاء، فالاستثناء متصل، ويكون قوله الآتي: وهذه هدية الخ. من جملة المستثنى من حيث المعنى (لست عنه أبرح) أي لا أبرح ولا أزال ما عشت من الدعاء بدوام دولته وازدياد هدايته وتنكيل الأعداء بنعمته جزاءاً لشكر نعمته، لقوله ﷺ: «أنّ أشكَرَ الناس لله تعالى أشكَرُهُمْ للناس»(٦٤) وفي

(٦٤) رواه أحمد (٥/ ٢١١ و ٢١٢) والطبراني في الكبير (٦٤٨) والبيهقي في الشعب والضياء في المختارة والقضاعي في مسند الشهاب (٩٩٦ و ٩٩٧ و ٩٩٨) من حديث الأشعث بن قيس وله شواهد. منها الحديث بعده.

رواية « لا يشكر الله من لا يشكر الناس » رواه الإمام أحمد رضي الله تعالى عنه [٦٥] . ولقوله ﷺ : « من اصطنع إليكم معروفاً فجازوه ، فإن عجزتم عن مجازاته فادعوا له حتى تعلموا أن قد شكرتم فإن الله تعالى شاكر يحب الشاكرين » رواه الطبراني في الأوسط [٦٦] .

وَهٰذِهِ هَدِيَّةٌ إِلَيْهِ لِكَونِهِ مَحبوبَةٌ لَدَيْهِ
وَلَيْسَ مِثلَهُ مُحِبُ العُلَما لأَنَهُ أَقدارهم قد عَلِما

(وهذه) المنظومة (هدية إليه) أي إلى السلطان (لكونها محبوبة لديه) لأنه من أهل العلم الكمل (وليس مثله) خبر ليس مقدم على اسمه وهو (محب العلما) بالقصر للوزن (لأنه أقدارهم) جمع قدر بالفتح والسكون وهو التعظيم قال الله تعالى: ﴿ وما قدروا الله حقَّ قدره﴾ أي ما عظّموه حق تعظيمه ، ومبلغ الشيء والتدبير ويصح الكل هنا لأنه (قد علما) بألف الإطلاق بتعظيمهم ومبلغ شرفهم وكمالهم ، وتدبير كل حسب ما يليق برتبته ، إذ هو من الأفاضل « فإنما يعرف الفضل لأهل الفضل أهل الفضل » كما رواه الديلمي عن أنس رضي الله عنه [٦٧] ، فينزل كلاً منزلته وفي كلامه وصف السلطان بأنه عادل في رعيته ومحب للعلم وأهله [و] قائم بموجبه فصار من رجال الدنيا والآخرة كما قال ﷺ « ليس الرجل رجل الدنيا وحدها ولا الرجل رجل الآخرة وحدها بل الرجل رجلهما » [٦٨] لأنه أتقن أمور الدنيا والأخرى ، فكان كُلٌّ من دنياه وأخراه سبباً

---

(٦٥) رواه أحمد (٢/ ٢٥٨ و ٢٩٥ و ٣٠٢ و ٣٠٣ و ٣٨٨ و ٤٦١ و ٤٩٢) وأبو داود (٤٧٩٠) والترمذي (٢٠٢٠) والبخاري في الأدب المفرد (٢١٨) وابن حبان (٢٠٧٠) وأبو الشيخ في كتاب الأمثال (١١٠) وأبو نعيم في الحلية (٦/٢٢و ٧/١٦٥و ٨/٣٨٩) والقضاعي في مسند الشهاب (٨٢٩) من حديث أبي هريرة. ورواه أحمد (٥/ ٢١١ و ٢١٢) والقضاعي في مسند الشهاب (٨٣٠) من حديث الأشعث بن قيس.

(٦٦) في إسناده عبدالوهاب بن الضحاك وهو متروك كذاب ، وهو من حديث ابن عمر .

(٦٧) هو حديث موضوع انظر تعليقنا على مسند الشهاب (١١٦٤) .

(٦٨) لم أره بهذا اللفظ فيما لدي من المراجع وإنما رأيت حديث أنس: « ليس بخيركم من ترك =

لكمال رفعته، وهو غاية الوصف له، فحق أن يقال في حقه:

فَلْيَهْنِـــهِ بـــأنَّـــهُ مَنصـــورُ   وَهُـوَ في زُمَـرَتِهِـمْ مَحشـورُ
سَمَّيتُهـا تفـاؤلاً ذاتَ الشِّفـا   في سيرة النَبِـيِّ ثُـمَّ الخُلَفـا

(فَلْيَهْنِهِ بأنه منصور) أيْ فليقل له ما مرّ من الوصف أو كل أحد من العلماء لدلالة ما تقدم عليه ليهنك أنك منصور، من هنأه بالأمر أي قال له ليهنئك ويسرك، أو الباء زائدة وأن مع مدخولها في تأويل المصدر فاعل فليهنه أي فليسرّه نصرته على الأعداء. وبه يعلم أنه مهموز في الأصل ـ حذفت الهمزة تخفيفاً. ثم رأيت بعضهم صرح بذلك (وهو في زمرتهم) أي مع طائفة العلماء العاملين (محشور) يوم القيامة لأن المرء مع من أحب من الأكابر، وإن لم يعمل بعملهم كما صح به الحديث (سميتها) أي المنظومة (تفاؤلاً) أي لأجل التفاؤل أو حال كوني متفائلاً (ذات الشفا) مفعول ثاني لسميتها، وقصر الشفا للوزن وللإيماء إلى التواضع بأنه قاصر عن ذكر جميع سيره ﷺ في نظمه، فهي ذات شفاء قاصر، وتعريفه باللام للتعميم، أي سميتها بذلك لرجائي أو راجياً من الله الكريم أن يجعلها ذات الشفاء من جميع أدواء الجهل بسيره ﷺ، ويحتمل أن يكون التفاؤل باعتبار أن تكون منظومته ذات كتاب الشفا في أخلاق المصطفى مؤلف القاضي عياض الذي هو من أجمع الكتب في هذا الباب أي أرجو أن تكون منظومتي مع غاية اختصارها ذات كتاب مسمى بالشفا ومشتملة على خلاصة ما فيه، وهذا وإن كان بعيداً فيه لطف.

(تنبيه) التفاؤل مأخوذ من الفأل بالهمزة، والعامة تخففها بالألف وهو ضد الطيرة أي التشاؤم، ولا يكون إلاّ في السوء، وقيل الفأل عام فيما يسر ويسوء، في

= دنياه لآخرته ولا آخرته لدنياه حتى يصيب منهما جميعاً، فإن الدنيا بلاغ الآخرة، وهو حديث باطل انظر سلسلة الضعيفة والموضوعة (١/ ٥٠٧ ـ ٥٠٩) لشيخنا محمد ناصر الدين الألباني.

الحديث أنه كان يتفاءل ولا يتطير (٦٩)، وفيه أيضاً أنه يحب الفأل الحسن (٧٠).

قال ابن الأثير في النهاية: معنى التفاؤل مثل أن يسمع مريض من غيره يا سالم، أو طالب ضالة من أحد يا واجد فيتفاءل به ويقع في ظنه أنه يبرأ من مرضه أو يجد ضالته، ومنه الحديث: قيل يا رسول الله ما الفأل؟ فقال: «الكلمة الطيبة يسمعها أحدكم» وإنما أحب رسول الله ﷺ الفأل لأن الناس إذا أمّلوا فائدة الله تعالى ورجوا عائدته عند كل سبب ضعيف أو قوي كانوا على خير، ولو غلطوا في جهة الرجاء فإن نفس الرجاء من الله خير لهم وإذا قطعوا أملهم ورجاءهم من الله تعالى فهم على الشر، وأما الطيرة ففيها سوء الظن بالله تعالى وتوقع البلاء انتهى (٧١).

فمقتضى هذا أن الناظم سماها ذات الشفا ليتفاءل به الناس ويقع في ظنهم أنها شفاء لداء جهلهم، ويؤيده تصريح بعض المحققين بأن التفاؤل يكون من السامع والرجاء من المتكلم فحينئذ يشكل نصب تفاؤلاً في كلامه على المفعول له لعدم اتحاد فاعله وفاعل عامله مع أنه شرط فيه، وعلى الحالية أيضاً وهو ظاهر، ولذا أولت التفاؤل في كلامه على مطلق الرجاء كما مرّ تقديره فتأمله (٧٢).

(في سيرة النبي) ﷺ (ثم الخلفا) بالقصر للوزن.

---

(٦٩) رواه أحمد (١/ ٢٥٧ و ٣٠٣ و ٣٠٤ و ٣١٩) وأبو داود الطيالسي (١٧٧٥) والبغوي في شرح السنة (٣٢٥٤) والضياء في المختارة (٥٠/ ٦٥/ ١) وهو صحيح من طريق الضياء.

(٧٠) رواه ابن ماجه (٣٥٣٦) من حديث أبي هريرة ولفظه كان النبي يعجبه الفأل الحسن، وهو حديث صحيح.

(٧١) انظر النهاية في غريب الحديث (٣/ ٤٠٥ - ٤٠٦).

(٧٢) في نسختي ونسخة القاضي تقريره فتأمله.

قال الشارح: وجهه أنه يمكن أن يقال: إن التفاؤل حقيقة فيما ذكر، ثم اتسع في استعماله في

وَهـا أنـا أشْـرَعُ في المقصـودِ مِـنْ نَظْـمِ دُرٍّ لـؤلـؤٍ منضـودِ
على الصَّحيحِ مـن خلاف حَصَلا وَحَسْبُنَـا الله تعـالى وعَـلا

(وها) حرف تنبيه جيء به للدلالة على الانتقال من كلام إلى آخر (أنا) بإشباع حركة النون حتى يتولد منه ألف كقوله: أنا سيف العشيرة فاعرفوني...

وكما في قراءة نافع (أنا أحيي الموتى) بالألف وهو لغة في أنا بلا ألف، وله لغات أخر بينتها بأدلتها في كتابي: تحف الخلان لإشحاذ الأذهان في الألغاز (٧٣) النحوية (أشرع في المقصود من نظم در لؤلؤ) عطف بيان للدر، إذ الدر هو اللؤلؤ يصح أن يجعل مركباً إضافياً من قبيل سعيد كرز بالتأويل المشهور (منضود) من نضده فهو نضيد ومنضود أي مجعول بعضه فوق بعض ومتراكم بلا ترتيب فبالنظم يصير مرتباً متناسقاً (على) القول (الصحيح) المشعر بفساد مقابله (من خلاف حصلا) بين العلماء، والألف للإطلاق، وهذا حسبما ظنه واطلع عليه رحمه الله تعالى، فلا ينافي استدراكي عليه في مواضع تأتي إن شاء الله تعالى (وحسبنا) أي كافينا في جميع مهماتنا (الله تعالى) وتقدس في ذاته وصفاته وأفعاله، وتعالى غير متصرف لم يستعمل منه المضارع (وعلا) بمعناه فهو إطناب في مقام المدح.

(بيان نسبته ﷺ)

مُحَمَّـدٌ نَبِيُّنـا إن يَنتَسِـبْ فَهُوَ ابن عَبدِ اللهِ عَبدِ المُطَّلِب

(محمد) ﷺ مبتدأ وخبره الجملة الشرطية التي بعده (نبينا) بدل أو عطف بيان له، و «نا» عبارة عن الثقلين (أن ينتسب) بالبناء للفاعل على ما اشتهر

= مطلق الرجاء أو يجعل المتكلم كأن له نفسين يسمع بإحداهما من الأخرى كما يعتبر ذلك في مقام المحبة والعشق وتوبيخ النفس والوعظ وغيرها.

(٧٣) في نسختي ونسخة القاضي الألفاظ النحوية.

إعرابه في النسخ أي أن يذكر نسبه، في القاموس: انتسب فلان أي ذكر نسبه (فهو) محمد (بن عبدالله) الذبيح، وفي ترتيب الجزاء على الشرط نظر، لأن نسبه الشريف ثابت في الواقع لا يتوقف على ذكره ﷺ فلا بد من التقدير أي فهو قائل أو يقول: أنا محمد بن عبدالله إلى آخره، ومثله كثير في النظم، ويدل له ما رواه البيهقي في الدلائل عن أنس رضي الله تعالى عنه أنه قال: سمعت النبي ﷺ يقول: «أنا محمد بن عبدالله بن عبدالمطلب بن هاشم بن عبد مناف بن قصي». إلى «معد بن عدنان»(٧٤) بقي أنه لا وجه لذكر (إن) الدال على التردد، لأنه ﷺ ذكر نسبه الشريف كما مرّ في حديث البيهقي وكما يأتي عن ابن عباس رضي الله عنهما: كان رسول الله ﷺ إذا انتسب لم يجاوز معد بن عدنان(٧٥)، ويمكن أن يجاب بجعل: (إن) بمعنى (إذ) الظرفية على حد ﴿وخافوني إن كنتم مؤمنين﴾ لأن إيمانهم محقق(٧٦).

هذا كله على ما اشتهر من إعراب ينتسب بالبناء للفاعل، ولو قرىء مجهولاً لارتفع الإشكال من أصله(٧٧) فهو الأولى وإن كان فيه عيب السِّناد(٧٨) المقرر

---

(٧٤) رواه البيهقي في الدلائل (١/ ١١٧ - ١١٨) وفي إسناده عبدالله بن محمد بن ربيعة القادمي قال ابن حبان في كتاب المجروحين (٢/ ٣٩) كان تقلب له الأخبار فيجيب فيها، كان أفته ابنه، لا يحل ذكره في الكتب إلا على سبيل الاعتبار، ولعله أقلب له على مالك أكثر من مئة وخمسين حديثاً فحدث بها كلها. فهو حديث ضعيف جداً.

(٧٥) رواه ابن سعد (١/٥٦) من حديث ابن عباس وهو حديث موضوع لأن في إسناده هشام ابن محمد الكلبي وهو متروك ووالده كذاب وأبو صالح لم ير ابن عباس.

(٧٦) قال الشارح ولو قال:

كان يقول المصطفى إذ انتسب أنا ابن عبدالله بن عبدالمطلب

لكان واضحاً سالماً من الإشكال.

(٧٧) وفي صحة جعله مجهولاً نظر لأن الفعل اللازم ليس له مفعول به حق ينوب مناب الفاعل كما علم من كلام القاموس، قاله الشارح.

(٧٨) قال الشارح: السناد بكسر السين من عيوب القوافي، وهو أنواع منها اختلاف حركة ما قبل=

في علم القوافي ، لأنه مع قبحه جاز استعماله ابن (عبدالمطلب) بتشديد الطاء بوزن اسم الفاعل، وعبد مجرور بحذف المضاف كما قدرته وأقمته مقامه ، وقس عليه ما يأتي، واسم عبدالمطلب شيبة الحمد كما قاله ابن إسحاق وجزم به المناوي وغيره، وهو الصحيح، قيل سمي به لأنه ولد وفي رأسه شيبة، وكنيته أبو الحارث وأبو البطحاء ، وقيل اسمه عامر ، وهو قول ابن قتيبة، ولقب بشيبة الحمد لكثرة محامده، ولقب بالفيض[٧٩] أيضاً لجوده، وبمطعم الطير في السماء لإطعامه الطير في السماء والوحش في الأرض، وهو أول من سقى ماءً عذباً بمكة المشرّفة، وأول من حجّ في محمل، وأوّل من خضب بالسواد من العرب، فقالت زوجته نبيلة : ما أحسن هذا لو دام! فقال عبدالمطلب في ذلك :

ولـو دام لي هـذا السـواد حمدتـه ... وكان بديلاً من سـواد قـد انصرَم
تمتعـت منـه فـالحيـاة قصيرة ... ولا بد من موت يواتي[٨٠] ومن هرم

وذكر أنه كان أبيض مديد القامة حسن الوجه شديد العارضة في جبينه نور النبوة وعز الملك، يطيف به عشرة من بنيه كأنهم أسود غابة.

قيل إنما سمي بعبدالمطلب لأن أباه هاشماً لما حضرته الوفاة قال لأخيه المطلب: أدرك عبدك بيثرب، وكان شيبة الحمد إذ ذاك عند أمه بالمدينة المنورة مع أخواله من بني النجار. وقيل : لأن عمه المطلب جاء به إلى مكة رديفه وهو بهيأة بذة فكان يسأل عنه فيقول: هو عبدي حياءاً من أن يقول هو أخي، فلما أدخله مكة وأحسن حاله أظهر أنه ابن أخيه، وحكى القولين في المواهب اللدنية بلا ترجيح، وجزم بالأول في زهر الربيع وعاش مائة وأربعين سنة.

= روي البيت كما هنا، فإن ما قيل الروي الذي هو الباء مفتوح في ينتسب مجهولاً ومكسور في المطلب.

(٧٩) في نسختي ونسخة القاضي الفياض.

(٨٠) قال الشارح: أي يوافق ويلازم كل أحد من الموتاة.

هاشِمٌ مِنْ عَبْدِ منافِ ابنِ قُصَـيْ   كِلاب مُرَّةِ بنِ كَعْبِ بنِ لُـؤَيْ

ابن (هاشم) بحذف التنوين وإبقاء الكسرة على الميم، أو [هو] غير منصرف للضرورة، وجره بالفتحة، والقواعد تدل على الثاني(٨١) واسمه عمرو، ولقب بهاشم لأنه يهشم الثريد لقومه في الجدب، وفيه يقول ابن الزبعري: عمرو الذي هشم الثريد لقومه ورجال مكة مسنتون عجاف وكنيته أبو نضلة(٨٢)، وكان هو وأخوه المطلب يقال لهما البدران لجمالهما، وكان هو وأخوه الآخر عبد شمس توأمين، فولدا وإصبع أحدهما ملتصقة بجنب إصبع الآخر فنحيتا فسال منهما دم، فقال الناس يكون بينهما دم، فلما ولّي هاشم السقاية بعد أبيه حسده ابن أخيه أمية بن عبد شمس على ذلك فتنازعا وتحاكما إلى الكاهن الخزاعي بعسفان، فقضى لهاشم، فغاب أمية عن مكة بالشام عشر سنين، فكانت هذه أول عداوة وقعت بين بني هاشم وبني أمية، ولم تزل العداوة بعد ذلك بين بني هاشم وبني أمية جاهليةً وإسلاماً، وهاشم هو الذي سن الرحلتين إلى الشام وإلى اليمن وتوفي بغزة بالشام، ومن ثمة قالت ابنته في مرثيته:

إن المهـذب مـن لـؤي كلهـا   بـالشام بين صفـائـح وجنـادل

وعاش عشرين سنة، وقيل: خمساً وعشرين سنة. وقوله: (من عبد مناف) صفة هاشم أي المتولد منه أي ابنه، وعدل إلى هذه العبارة لضيق النظم، وعبد مناف اسمه المغيرة، وكنيته أبو عبد الشمس، ولقبه قمر البطحاء لجماله، واشتهر بعبد مناف، ومناف صنم كانت العرب تعظمه (بن قصي) بضم القاف مصغر قَصِيّ كصبي أي بعيد، لأنه بعد عن قومه في بلاد قضاعة حين احتملته أمه فاطمة.

---

(٨١) قال الشارح: لأن حذف التنوين وإبقاء الحركة بحالها إنما صرحوا بجوازه إذا لقي ساكناً بعده كما في قراءة (والليل سابق النهار) بضم القاف ونصب النهار وغير ذلك كما وأضحته بأدلته في تحفة الخلان.

(٨٢) في نسختي أبو نضلة كني بولده نضلة.

قال المناوي: واسمه مُجَمِّع أو زيد، وفي المواهب: ومُجَمِّع اسم فاعل من التفعيل اسم قصى، قال الشاعر:

أبوكم قصي كان يدعا مُجمِّعًا ... به جمع الله القبائل من فهر

وقيل: اسمه زيد، وعبارة زهر الربيع: واسمه زيد وكنيته أبو المغيرة وله ألقاب ثلاثة قصي ومجمع والندى قال الشاعر:

هما له أسماء صدق وسؤدد ... قصي وزيد والندى والمجمع

ولقب بقصي لبعده عن قومه في بلاد قضاعة، وبالمجمع لأنه جمع أهله من البلاد وجعلهم بمكة، وبالندى بفتح النون تشبيهاً له بالندى الذي هو الربيع لمكارم أخلاقه وهو أول من حفر سقاية الحاج بالأبطح أي أبطح مكة ليشربوا منها، وكان قبل ذلك ينصب حياض الأدم وينقل اليها الماء من بئر ميمون الحضرمي وغيرها من الآبار خارج مكة، وأول من أوقد النار بمزدلفة ليراها من دفع من عرفة واستمر الناس على ذلك، ومات بمكة ودفن بالحجون وهو ابن مائة وعشرين سنة، وقيل: لم يبلغ المائة، ولما احتضر أوصى بنيه أن يجتنبوا الخمر فإنها تصلح الأبدان وتفسد الأذهان ابن (كلاب) بكسر الكاف واسمه حكيم، وقيل: حكيمة، وقيل: عروة، وكنيته أبو زهرة، قاله المناوي وغيره، ولقب بكلاب لمكالبته الأعداء في الحرب، فيكون مصدر كالبت العدو إذا ساورته وقيل: جمع كلب، لقب به لكثرة صيده بها، حكاهما في زهر الربيع، وجزم بالثاني المناوي، وعبارة المواهب: كلاب منقول إما من مصدر المفاعلة أو من جمع كلب، لأنهم يريدون الكثرة كما سموا بسباع لذلك، وسئل أعرابي لم تسمون أبناءكم بشر الأسماء نحو كلب وذئب، وعبيدَكم بأحسن الأسماء نحو مرزوق ورباح، فقال: إنما نسمي أبناءنا لأعدائنا وعبيدنا لأنفسنا، يريدون أن الأبناء عدة الأعداء وسهام في نحورهم فاختاروا لهم هذه الأسماء. وكلاب أول من جعل السيوف المحلاة بالذهب والفضة ذخيرة الكعبة، ابن (مرة) بضم الميم

وصف في الأصل، يقال: حنظلة مرة، ثم نقل علماً أو التاء فيه للمبالغة سمي به لمرارته على أعدائه، وكنيته: أبو يقظة بمثناة تحتية فقاف مفتوحتين فظاء معجمة فهاء، وكان له ثلاثة أولاد: كلاب وتيم ومنه رهط أبي بكر الصديق رضي الله تعالى عنه. ويقظة، ومنه بنو مخزوم (بن كعب) وكنيته أبو هصيص بوزن زبير مع صادين مهملين، سمي كعباً لارتفاعه على قومه بشرفه وكان خطيباً بليغاً.

قال المناوي: كالسهيل: وهو أول مَن قال في الخطب: أمّا بعد وأول من سمى الجمعة جمعةً لأن القوم[٨٣] كانوا يجتمعون فيه فيخطبهم ويذكرهم، وكان تسمى قبل ذلك بالعروبة وفي زهر الربيع: وهو أول من شعر من ولد عدنان بمبعث النبي ﷺ في خطبته[٨٤] فيقول: أيها الناس اسمعوا وعوا، وافهموا وتعلموا، ليل زاج[٨٥] ونهار وهّاج، والأرض مهاد، والجبال أوتاد، والسماء بناء، والنجوم أعلام، فصلوا أرحامكم، واحفظوا أصهاركم، وثمّروا أموالكم، فهل رأيتم من هالك رجع أو ميت انتشر؟ والدار أمامكم، والظن غير ما تقولون، زيّنوا حرمكم وعظّموه، فسيكون له بناء عظيم، ويخرج منه نبي كريم ثم يأمرهم باتباعه والإيمان به وينشد في ذلك أبياتاً منها:

يا ليتني شاهد فحواء دعوته ... حين العشيرة تبقي الحق خذلانا

وكان لكعب ثلاثة أولاد: مرة وهصيص وعدي، وإليه ينسب عمر بن الخطاب رضي الله عنه (ابن لؤي) بضم اللام وبالهمزة، وقد يسهل بالواو فهو تصغير اَللّأي كالسعي وهو الإبطاء ضد العجلة كما في زهر الربيع، أو اللأى كالفتى وهو الثور الوحشي كما في المواهب ويوافقه القاموس، وكنيته أبو كعب وأمه عاتكة بنت يَخلُد بفتح المثناة التحتية وسكون الخاء المعجمة ودال مهملة

---

(٨٣) في نسختي لأن قومه.

(٨٤) في نسخة القاضي زاد: وكان يخطب قومه ويذكر لهم النبي في خطبته.

(٨٥) في نسخة القاضي ليل ساج.

والياء المشددة فيه وفي قصي مخفف للوزن ابن (غالب) سمي به تفاؤلاً لأن يكون غالباً على الأعداء، وكنيته أبو تميم ولقب بالأرذم لأن أحد لحييه كان أزيد من الآخر.

غـالـبٍ فِهـرٍ مـالِـكِ بْـنِ نَضر كِنـانَـةَ خُـزَيْمَةَ ذي الفَخـر

ابن (فهر) بكسر الفاء اسمه قريش على الأكثر، وإليه تنسب قريش، فمن كان قبله[٨٦] فكناني لا قريشي، كذا في المواهب، جزم به المناوي، وكنيته أبو غالب، والفهر الحجر الأملس الذي هو ملء الكف لقب به لشدّته وصلابته على الأعداء، وكان فهر قد ساد العرب بالحجاز وتهامة، وفي أيامه أجمع ذو جون حسّان بن كلاب الحميري من ملوك اليمن على أن يخرب الكعبة وينقل حجارتها إلى اليمن ليبني بها بيتاً ويصرف الحجّ إليه[٨٧]، فجاء إلى مكة بجيش عظيم فجمع فهر قبائل العرب من قريش وكنانة وأسد وخزيمة وغيرهم، وخرج اليه فهزم جيش ذي جدن وقتل أكثرهم وأسر ذا جدن، وبقي أسيراً في يد فهر بمكة ثلاث سنين، ثم افتدي بمال كثير وخرج من مكة إلى اليمن، فمات في الطريق، فعظم أمر فهر حينئذ وهابته العرب، ابن (مالك) اسم فاعل من ملك يملك، وكنيته أبو الحارث ولم يكن له ولد إلاّ فهر كما في زهر الربيع ابن (النضر) بفتح فسكون اسمه قيس، لقب بالنضر لنضارة وجهه وإشراقه، قاله المناوي وغيره، والنضر في الأصل الذهب والفضة. قال بعضهم: إن النضر هو جماع قريش فمن فوقه فليس بقريشي. وفي القاموس: النضر بن كنانة أبو قريش. والصحيح كما مرّ أن جماعهم فهر، ولا عقب للنضر إلاّ مالك كما في زهر الربيع وأخرج أبو بكر محمد بن خلف بسنده عن ابن عباس رضي الله عنهما أنه قال: قال

---

(٨٦) في نسختي ونسخة القاضي فوقه فكناني.

(٨٧) في نسخة القاضي حج الناس اليه.

رسول الله ﷺ : « لا تسبوا قيساً فإنه كان مسلماً »[٨٨] ابن (كنانةٍ) بالتنوين للوزن وهو بكسر الكاف وعاء السهم سمي به لكونه ستراً على قومه كالكنانة أي الجعبة الساترة للسهام، وكنيته أبو النضر، وكان يحض على الخير ومكارم الأخلاق، ويعلّم الناس بظهور النبي ﷺ، وكانت العرب تجتمع إليه لعلمه وفضله، ويقول: إنه آن خروج نبي بمكة يدعى أحمد، يدعو إلى الله تعالى وإلى البر والإحسان ومكارم الأخلاق فاتبعوه تزدادوا شرفاً إلى شرفكم وعزاً إلى عزكم، ولا تبعدوا عما جاء به فهو الحق.

(فائدة) إنما أضطر[٨٩] إلى تنوين مجرور بالفتحة كما هنا فهل ينون بالنصب على حاله أو بالجر على الأصل؟ صرح الرّضي بالثاني قال بعض المحققين، ولو قال بالوجهين[٩٠]. كالمناوي لم يبعد، ابن (خزيمة) تصغير خزمة وهي المرة من الخزم وهو شدُّ الشيء وإصلاحه، وكنيته أبو أسد، وفي زهر الربيع: خزيمة هو الذي نصب هبل على الكعبة فكان يقال: هبل خزيمة، ذكره ابن الأثير، وروي عن عطاء عن ابن عباس رضي الله عنهما أن خزيمة مات على ملة إبراهيم عليه الصلاة والسلام انتهى.

قلت ما روي عن عطاء هو الصحيح، فقد أخرج ابن حبيب عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: كان عدنان ومعد وربيعة ومضر وخزيمة وأسد على ملّة ابراهيم عليه الصلاة والسلام، فلا تذكروهم إلاّ بخير[٩١].

وقال الحافظ السيوطي: لا خلاف في إسلام خزيمة، ويومىء إليه وصف

---

(٨٨) نسبه السيوطي في الجامع الكبير (١/ ٨٩١) إلى الديلمي في مسند الفردوس وهو ليس بصحيح، كما ذكر السيوطي في مقدمة الجامع الكبير أن ما ينسبه إلى هؤلاء الكتب ليس صحيحاً.

(٨٩) في نسختين إذا اضطر.

(٩٠) في نسختي ونسخة القاضي ولو قيل بالوجهين.

(٩١) لا أظن أن ذلك صحيح أبداً، وليس عندنا سنده حتى ننظر فيه.

الناظم بقوله: (ذي الفخر) مصدر فخر كمنع، وهو التمدح بالخصال الحميدة والمراد به المكارم.

مُدرِكَة بن إلياسِ نجل مُضَرا نزارِ بن معدّ بن عدنانِ انبَرا

ابن (مدركة) اسم فاعل من أدرك، والتاء للنقل من الصفة إلى الاسمية أو للمبالغة، اسمه عامر وقيل: عمرو، وكنيته أبو هزيل، ولقب بمدركة لأنه كان مع أخويه عمرو وعمير فمرت بهم أرنب فرمى عمرو فصادها وطبخها فسمي طابخة، وخرج عامر فأدرك الإبل وردها فسمي مدركة، وانْقَمَعَ عمير في الخباء فسمي قمعة: ويحكى أنهم قصوا على أبيهم أمرهم فقال لعامر: أدركت يا عامر ما طلبنا، ولعمرو: وأنت أدركت وقد طبخنا، ولعمير: وأنت قد أسأت وانقمعنا، ولقبهم بهذه الألقاب كذا في زهر الربيع.

والذي في القاموس أن مدركة هو عمرو، وطابخة هو عامر، فقال ولد إلياس ابن مضر عمرو وهو مدركة وعامر وهو طابخة وعمير وهو قمعة.

وأمهم: خِندِف كزبرج، وهي ليلى بنت حلوان بن عمران، وكان إلياس قد خرج في نجعة فتفرقت إبله من أرنب فخرج إليها عمرو فأدركها، وخرج عامر فصادها وطبخها فانقمع عمير في الخباء وخرجت أمهم تسرع فقال لها إلياس: أين تخندفين؟ فقالت: ما زلت أخندف في أثركم، فلقبوا مدركة وطابخة وقمعة وخندف انتهى.

وجزم المناوي بما في القاموس ابن (إلياس) اسمه حسين وكنيته أبو عمرو، وإلياس بكسر الهمزة كما في إلياس النبي عليه السلام قاله ابن الأنباري، وقال قاسم بن ثابت: بفتحها فيكون أل فيه للتعريف، فيكون من اليأس الذي هو ضد الرجاء.

قال السهيلي: وهو أصح، وقال المناوي: وعليه الأكثر، وعلى الأول حذفت

الهمزة في النظم للوزن، وكان إلياس معظماً في قومه نظير لقمان في قومه، لكونه أحيي سنة إبراهيم عليه الصلاة والسلام، وأنكر على العرب ما غيّروه من سنته، وذكر أنه كان يسمع في صلبه[٩٢] تلبية النبي ﷺ بالحجّ.

وفي المواهب: هو أول من أهدى البدن إلى البيت الحرام، ولما مات بالسلّ أسفت عليه زوجته خِندِف أسفاً شديداً.

قال في زهر الربيع: ونذرت أن لا يظلّها بيت بعده، ولا تمس طيباً، ولا تقيم في بلد مات فيه، ومات يوم الخميس فنذرت أن تبكي كل خميس من طلوع الشمس إلى الغروب فوفت بما نذرت إلى أن ماتت أسفاً (نجل) بتقديم النون على الجيم الساكنة بمعنى الولد أي ابن (مضر) بضم الميم وألفه للإطلاق، وهو معدول من ماضر واسمه عمرو قاله المناوي، ولقب بمضر لبيان لونه[٩٣]، ولولعه بشرب اللبن الماضر أي الحامض، ويقال له مضر الحمراء لأن أباه أعطاه قبّة حمراء. وفي القاموس لأنه أعطي الذهب من ميراث أبيه، وربيعة أعطي الخيل، وأنمار أعطي الشاء، أو لأن شعارهم كان في الحرب: الرايات الحمر انتهى.

ومضر أول من سنّ الحدا للإبل، وسببه أنه سقط عن بعيره فانكسرت يده، فجعل يقول: يا يداه وكان من أحسن الناس صوتاً فاجتمعت الإبل إليه من المرعى فلما صح وركب حدا لها.

قال السهيلي: وفي الحديث «لا تسبوا ربيعة ولا مضر فإنهما كانا مؤمنين»[٩٤] وروى عبدالملك بن حبيب بسنده إلى سعيد بن المسيب أن رسول الله ﷺ قال: «لا تسبوا مضر فإنه كان على ملة ابراهيم عليه السلام»[٩٥] بن (نزار) بكسر

---

(٩٢) في نسختي من صلبه.

(٩٣) في نسختي لبياض لونه.

(٩٤) أنظر التعليق (٨٨).

(٩٥) أنظر ما قبله.

النون وخفة الزاء من النزر وهو القليل، وكنيته أبو إياد وقيل: أبو ربيعة، وجزم بالأول المناوي، وسمي بنزار لأنه لما ولد رأى والده بين عينيه نور النبوة ففرح بذلك فرحاً شديداً ونحر وأطعم شكراً وقال: هذا كله نزر في حق هذا المولود أي قليل فسمي بنزار ذكره في زهر الربيع.

وكان نزار عظيماً في قومه وافر المال حاكماً على العرب مطاعاً فيهم.

وقوله (من معدّ) صفة نزار المتولد منه أي ابنه، ومعد بفتحتين وتشديد الدال مأخوذ من المعد بسكون العين، وهو القوة، وذكر أنه لما عزم بخت نصر[٩٦] على استيلاء بلاد العرب أوحى الله تعالى إلى إرميا وكان نبياً من الأنبياء من بني إسرائيل أن احمل معد بن عدنان على البراق إلى العراق، فإني مستخرج من صلبه نبياً اسمه أحمد، فحمل إرميا معداً وهو ابن اثني عشر سنة، فكان معد مع بني اسرائيل الى أن كبر وتزوج. وعن ابن عباس رضي الله عنهما: أن الله تعالى بعث ملكين فاحتملا معداً فلما رفع بأسه عن العرب ردّه إلى موضعه، فكان بمكة مع أخواله من جرهم، ويقال إن المحمول هو عدنان أبو معد، والصحيح الأول، وكنيته معد أبو نزار، وقيل: أبو قضاعة ابن (عدنان) كنيته أبو معد، مأخوذ من عدن إذا ثبت وأقام، ومن أولاده تفرقت القبائل من ولد إسماعيل عليه السلام، وفي عدد أولاده خلاف طويل (انبرا) أي كمل وانتهى المعلوم من سلسلة هذا النسب الشامخ والمجد الراسخ شجرة أصلها ثابت وفرعها في السماء، وسلسلة مجد صيغت من ذهب الحلم والوفاء وقد أشبعنا لك فيه الكلام فشدّ به الأيد وثبّت فيه الأقدام.

إلى هنا مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ وَاخْتَلَفُوا مِنْ آدم إِلَيْهِ

(إلى هنا) أي عدنان (متفق عليه) من الأئمة (واختلفوا) أي علماء الأنساب والمؤرخون بالزيادة والنقصان في عمود النسب الشريف (من آدمِ)

(٩٦) في نسخة القاضي والأصل بخت النصر.

بالتنوين للوزن هو آدم أبو البشر عليه السلام.

وقال الآجري من الحفاظ: يكنى بأبي محمد أيضاً تكنية له بنبينا ﷺ (إليه) أي إلى عدنان، فالورع الإعراض عن عدّ ما بينهما لما فيه من الغليط والتغيير لألفاظ تلك الأسماء وعدم الوثوق بضبطها مع قلة الفائدة. وفي المواهب وغيره: قال ابن دحية: أجمع العلماء - والإجماع حجة - على أن رسول الله ﷺ إنما انتسب إلى عدنان ولم يتجاوزه. وفي مسند الفردوس عن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما أنه [ﷺ] كان إذا انتسب لم يجاوز معد بن عدنان. بل يمسك ويقول: « كذب النسابون »[٩٧] مرتين أو ثلاثاً، لكن قال السهيلي: الأصح في هذا الحديث أنه من قول ابن مسعود رضي الله عنه. وقال غيره: كان ابن مسعود إذا قرأ قوله تعالى ﴿ألم يأتكم نبأ الذين من قبلكم قوم نوح وعاد وثمود والذين من بعدهم لا يعلمهم إلا الله﴾ قال: كذب النسابون يعني أنهم يدعون علم الأنساب للأجناد وقد نفى الله تعالى علمها عن العباد.

وعن ابن عباس رضي الله عنهما قال: بين إسماعيل عليه السلام وبين عدنان ثلاثون أباً لا يعرفون. ومن ثم أنكر الإمام مالك كما قاله المناوي وغيره على من رفع نسبه إلى آدم، فقال: من أين علمه ؟ يعني أن ذلك من كلام المؤرخين الذين لا يوثق بهم.

وَأُمُّهُ آمِنَةُ مِنْ وَهْبِ مِنْ   عَبْدِ منافِ زَهْرَةٍ كِلابِهِنْ

(وأمه) ﷺ (آمنة) النجيبة ذات الفضل والكمال والشرف المتولدة (من وهب) بفتح الواو وسكون الهاء. وبحذف التنوين وإبقاء الكسر على حاله، أو جعله غير منصرف جره بالفتحة للضرورة كما مر نظيره. وهو سيد بني زهرة سناً وشرفاً وكمالاً ومجداً المتولد (من عبد مناف بن زهرة) بضم الزاء المعجمة

---

(٩٧) أنظر التعليق (٧٥).

وبالتنوين للوزن، ابن (كلابهن) بن مرة من أجداده ﷺ، فهي تلتقي مع رسول الله ﷺ من جهة آبائها في كلاب، والهاء في كلابهن هاء السكت زيدت [شاذاً] للضرورة، ثم لحقه تنوين الترنم فالتقى الساكنان فحركت الهاء بالكسر، وتنوين الترنم تكتب خطاً (٩٨) ولفظاً كتنوين الغالي بخلاف سائر التنوينات تثبت لفظاً لا خطاً كما تقرر في محله. ويحتمل أن يكون هِنْ ضمير جماعة المؤنث وحذفت إحدى النونين للوزن. أي كلاب القبائل، وأضيفت إليها لأنّها تشعبت منه، أو لأنه مسمى بكلاب عندهم، كما يقال أبو عمر وهم أي سمي به عندهم.

وأم آمنة مرة بنت عبد العزى بن قصي بن عبد الدار بن قصي بن كلاب، فهي تلتقي من جهة أمها في قصي بن كلاب.

تنبيه نفيس مهم في [مسألة] نجاة والديه ﷺ أفردها العلماء بتأليف وأذكر لك زبدتها مع فوائد أخر جليلة جاء بها فكري بعون الله تعالى فأقول: اختلف (٩٩) العلماء فيها، فذهب جمع كثير من الأئمة الأعلام إلى أنهما ناجيان في الآخرة مستدلين بأدلة كالجبال الرواسي مع علمهم بأقوال القائلين بعدم نجاتهما، فلا يظن بهم أنهم لم يطلعوا على الأحاديث التي استدل بها المخالفون معاذ الله، بل وقفوا عليها وأجابوا عنها الأجوبة المرضية التي لا يردها منصف ذو ورع غير متهور، فوجب القطع والاعتقاد بنجاتهما تعظيماً لجنابه ﷺ، ولا يسكن قلب ذي تقًى إلا بذلك، وقد صح في الأحاديث أن البر ما اطمأنت إليه النفس (١٠٠)، وقلب المؤمن يضطرب عند الحرام ولا يسكن به. ومما يسهل عليك أن الكفر أمر هائل عظيم الخطر، ومن كفر إنساناً فقد حكم بأنه مطرود من رحمة الله تعالى

---

(٩٨) في نسختي تثبت خطا.

(٩٩) في نسختي اختلفوا فيها.

(١٠٠) روى الإمام أحمد في سنده (٤/ ١٩٤) من حديث أبي ثعلبة « البر ما سكنت إليه النفس واطمأن إليه القلب » الحديث فراجعه.

الواسعة، وأن عاقبته الخزي الأبدي، ولا يجوز الإقدام على هذا الحكم إلا بعد نص صريح لا يعارضه نص آخر، وأنى لك بهذا في والديه ﷺ؟ إذ ما من دليل يدل على عدم نجاتها إلا وهو ضعيف ساقط، وعارضه دليل مثله أو أقوى منه كما بينها الحفاظ، وسيأتي ذكر جمل منها، وأن أئمة الدين قالوا: الخطأ في الإفتاء بكفر أحد أعظم إثماً من الخطأ في الإفتاء بعدم كفر ألف إنسان، ويدل عليه حديث «لأن يخطىء الإمام في العفو خير له من أن يخطىء في العقوبة»(١٠١) هذا، ثم القائلون بنجاتها اختلفوا في دليلها على ثلاث طرق:

الطريقة الأولى: أنها لم تبلغها الدعوة لكونها في زمان فترة عم الجهل فيه الشرق والغرب(١٠٢)، فلم يكن في ذلك الوقت من بلغ تفاصيل الشرائع إليها، مع أنها ماتا في حداثة السن كما سيأتي ولم يتمكنا من الأسفار والفحص عن الأخبار، وحكم من لم تبلغه الدعوة أنه يموت ناجياً ويدخل الجنة باتفاق الأئمة الشافعية من الفقهاء والأئمة الأشاعرة من أهل الكلام وأصول الفقه، وعلى ذلك الإمام الشافعي، وتبعه سائر الأصحاب، واستدلوا بالنصوص القاطعة من القرآن. منها قوله تعالى ﴿وما كنا معذبين حتى نبعث رسولاً﴾، أخرج ابن جرير وابن أبي حاتم في تفسيريها عن قتادة في هذه الآية أن الله تعالى ليس بمعذب أحداً حتى يسبق إليه من الله خبر أو يأتيه [منه] بينة.

ومنها: قوله تعالى ﴿ذلك إن لم يكن ربك مهلك القرى بظلم وأهلها غافلون﴾ استدلوا به على قاعدة أن شكر المنعم ومنه الإيمان به ليس بواجب

---

(١٠١) رواه الترمذي (١٤٤٤) والدارقطني (٣/ ٨٤) والحاكم (٤/ ٣٨٤) والبيهقي (٨/ ٢٣٨) وغيرهم من حديث عائشة ولفظه «فإن الإمام إن يخطىء في العفو خير من أن يخطىء في العقوبة».

وهو حديث ضعيف في إسناده يزيد بن زياد الدمشقي، وانظر الكلام عليه مفصلاً في إرواء الغليل (٨/ ٢٥ ـ ٢٦) لشيخنا. وتعليقنا على المعتبر (ص ١٣٧).

(١٠٢) في نسخة القاضي شرقاً وغرباً.

عقلاً بل بالشرع، كما أجمع عليه أهل السنة، وغير ذلك من الآيات الدالة على أنه لا تعذيب قبل البعثة، ومن ثمة لما سئل شيخ الإسلام الشرف المناوي عن والده ﷺ قال: إنه مات في فترة ولا تعذيب قبل البعثة ونقل سبط ابن الجوزي عن جماعة أن الدعوة لم تبلغ أباه وأمه ﷺ فما ذنبهما؟

قال المفسرون في قوله تعالى ﴿لتنذر قوماً ما أنذر آباؤهم فهم غافلون﴾ وفي قوله تعالى ﴿لتنذر قوماً ما أتاهم من نذير من قبلك لعلهم يهتدون﴾ أن عدم إنذارهم لكونهم أهل فترة فقد نصت الآية على أنهم أهل فترة لم يأتهم رسول ينذرهم ويدعوهم إلى الإسلام.

وقد مرّ النص بأنه لا تعذيب قبل الإنذار والبعثة، فنتج من هاتين المقدمتين القاطعتين أن والديه ﷺ ناجيان غير معذبين، فلهذا صرّح جماعة من الأئمة بأن هذه الآيات ناسخة لكل ما خالفها من الأحاديث، وأيضاً هي أخبار آحاد لا تعارض القواطع.

وقال الشيخ عز الدين بن عبد السلام في أماليه ما نصه: كل نبي إنما أرسل إلى قومه إلاّ نبينا ﷺ، فعلى هذا ما عدا قوم كل نبي من أهل الفترة إلاّ ذرية النبي السابق فإنهم مخاطبون ببعثة السابق إلاّ إذا اندرس شرع السابق فيصير الكل من أهل الفترة انتهى. فاتضح بذلك أن الوالدين المختارين من أهل الفترة لأنهما ليسا من قوم عيسى عليه السلام ولا من ذريته، بل من ذرية إسماعيل عليه السلام وقومه، إذ لم يرسل إلى العرب غيره كما هو مقرر، ورسالته انتهت بموته، اذ لم يعلم لغير نبينا ﷺ عموم بعثته بعد موته (١٠٣)، وشريعة إسماعيل عليه السلام قد اندرست إذ ذاك لفقد من يعرفها على وجهها، ولذا تعجب أهل مكة من بعثته ﷺ، وظنوا أن ابراهيم عليه السلام كان على ما هم عليه (١٠٤).

---

(١٠٣) في نسختي بعد الموت.

(١٠٤) ننقل هنا رأي عليم من أعلام المذهب الشافعي وهو الإمام النووي رحمه الله قال في شرح =

فإن قلت قد صحت أحاديث بتعذيب أهل الفترة كحديث: «رأيت عمرو ابن لحي يجر قصبه في النار»[(١٠٥)] وحديث: «رأيت صاحب المحجن في النار»[(١٠٦)] قلت أجابوا عن ذلك بأنه يستثني من صح تعذيبه من أهل الفترة[(١٠٧)] لأمر يعلمه الله تعالى فيقصر عليه ولا قياس في ذلك كما حكم بكفر الغلام الذي قتله الخضر مع صباه[(١٠٨)] لأمر يعلمه الله تعالى، وبأن أحاديثهم أخبار آحاد فلا تعارض القواطع كما مرّ، وبأن التعذيب المذكور في الأحاديث فمحمول على من أتى من أهل الفترة بما لا يعذر به من تغيير الشرائع وعبادة الأوثان.

فإن قلت قد ورد الامتحان في القيامة لأهل الفترة ونحوهم في أحاديث سنة من طرق صحيحة كما بينها الحفاظ، وذلك بأن يوقد لهم نار[(١٠٩)] فمن دخلها كانت عليه برداً وسلاماً ومن أبى عذب، ويقول لهم الرب عز وجل: إياي عصيتم فكيف برسلي أي في الدنيا لو جاءتكم، فحينئذ من أين لك الجزم بنجاتهم[(١١٠)]؟

= صحيح مسلم (٣/ ٧٩) في شرح حديث «إن أبي وأباك في النار» فيه أن من مات على الكفر فهو في النار، ولا تنفعه قرابة المقربين، وفيه أن من مات في الفترة على ما كانت عليه العرب من عبادة الأوثان فهو من أهل النار، وليس هذا مؤاخذة قبل بلوغ الدعوة، فإن هؤلاء كانت قد بلغتهم دعوة إبراهيم وغيره من الأنبياء صلوات الله تعالى وسلامه عليهم أجمعين.

(١٠٥) رواه مسلم (٢٨٥٦) من حديث أبي هريرة بهذا اللفظ وبلفظ «رأيت عمرو بن عامر الخزاعي يجر قصبة في النار».

(١٠٦) رواه مسلم (٩٠٤) وغيره وهو أبو ثمامة عمرو بن مالك.

(١٠٧) فيستثنى أيضاً والداه وعمه أبو طالب وجده عبدالمطلب لأنه صح الحديث بحقهم، هذا على مذهب من يقول ذلك وإلا فالحكم ظاهر وسيأتي مزيد من القول حوله.

(١٠٨) في نسخة القاضي مع كونه كان صبياً.

(١٠٩) في نسختي بأن يرفع لهم نار.

(١١٠) في نسختي ونسخة القاضي بنجاتها.

قلت: كما قال شيخ الإسلام ابن حجر العسقلاني في الظن بآله ﷺ كلهم يعني الذين ماتوا في الفترة أنهم يطيعون عند الامتحان لتقرّ به عينه ﷺ ويدل له ما أخرجه ابن جرير في تفسيره عن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما في قوله تعالى: ﴿ولسوف يعطيك ربك فترضىٰ﴾ قال رضي محمد [ﷺ] أن لا يدخل النار أحد من أهل بيته (١١١) . وما أخرجه الحاكم وصححه عن ابن مسعود رضي الله تعالى عنه أنه ﷺ سئل عن أبويه فقال: « ما سألتهما ربي فيعطيني فيهما ، وإني لقائم يومئذ المقام المحمود » (١١٢) ولا شك أنه يعطي في ذلك المقام كل ما أسْئَل (١١٣) . واستشكل الحليمي أحاديث الامتحان بأن الآخرة ليست دار تكليف فلا عمل فيها ولا امتحان.

وأجيب بأن ذلك بعد الاستقرار أما في عرصات القيامة فلا مانع من ذلك، وقد قال الله تعالى ﴿يوم يكشف عن ساق ويدعون إلى السجود فلا يستطيعون﴾ وفي الصحيح « أن الناس يؤمرون بالسجود فيصير ظهر المنافق طبقاً فلا يستطيع أن يسجد. قلت: هذا يقتضي أن يكون بعث الرسول في آية ﴿حتى نبعث

---

(١١١) رواه ابن جرير في تفسيره (٣٠/ ٢٣٢) من حديث ابن عباس وفي إسناده الحكم بن ظهير وهو متروك رمي بالرفض واتهمه ابن معين والسدي صدوق يهم ورمي بالتشيع وعباد بن يعقوب صدوق رافضي، فظهر كذب هذا القول عن ابن عباس، وأن الأيادي التي حاكت ذلك هي أيادي رافضية.

(١١٢) رواه الحاكم (٢/ ٣٦٤ - ٣٦٥) وقال: هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه وعثمان بن عمر هو اليقظان. فتعقبه الذهبي بقوله: لا والله فعثمان ضعفه الدارقطني والباقون ثقات.
وقد أبعد الشارح النجعة تقليداً لمن ذكر ذلك قبله فقد روى هذا الحديث أحمد في مسنده (٣٧٨٧) والبزار (١/ ٢٥١) والطبراني في الكبير (١٠٠١٧ و ١٠٠١٨) من طريق عثمان المذكور.
وعثمان هذا قال الحافظ في التقريب: ضعيف واختلط وكان يدلس ويغلو في التشيع، فالحديث ضعيف. وسيأتي أن الشارح نقل ضعفه.

(١١٣) في نسختي كلما سأل.

رسولاً﴾ أعم من أن يكون في الدنيا أو في القيامة قبل استقرار أهل الجنة والنار، ولم أر تصريحاً بذلك.

الطريقة الثانية: أن الله تعالى أحياهما له فآمنا به، وذلك في حجّة الوداع لحديث في ذلك عن عائشة رضي الله عنها (١١٤)، وعلى ذلك جماعة من الحفاظ

---

(١١٤) هذا يحتاج إلى شيء من التطويل فلنذكر الحديث المزعوم ولنتكلم على إسناده بشيء من التفصيل.

قال ابن شاهين في الناسخ والمنسوخ: أخبرنا محمد بن الحسين بن زياد مولى الأنصار حدثنا أحمد بن يحيى الحضرمي بمكة حدثنا أبو غزية محمد بن يحيى الزهري حدثنا عبدالوهاب بن موسى عن عبدالرحمن بن أبي الزناد عن هشام بن عروة عن أبيه عن عائشة رضي الله عنها أن النبي ﷺ نزل إلى الحجون كئيباً حزيناً، فأقام به ما شاء ربه عز وجل، ثم رجع مسروراً، فقلت: يا رسول الله نزلت إلى الحجون كئيباً حزيناً، فأقمت به ما شاء الله، ثم رجعت مسروراً، قال: «سألت ربي عز وجل فأحيا لي أمي فآمنت بي ثم ردها».

وقال الخطيب في السابق واللاحق:

أنبأنا أبو العلاء الواسطي حدثنا الحسين بن علي بن محمد الحنفي حدثنا أبو طالب عمر بن الربيع الزاهد حدثنا عمر بن أيوب الكعبي حدثنا محمد بن يحيى الزهري أبو غزية حدثنا عبدالوهاب بن موسى ثنا مالك بن أنس عن أبي الزناد عن هشام بن عروة عن أبيه عن عائشة قالت: حج بنا رسول الله ﷺ حجة الوداع، فمر بي على عقبة الحجون وهو باك حزين مغتم، فبكيت لبكاء رسول الله ﷺ، ثم إنه نزل فقال: «يا حميراء استمسكي» فاستندت إلى جنب البعير، فمكث عني طويلاً، ثم إنه عاد إلي وهو فرح مبتسم، فقلت له: بأبي أنت وأمي يا رسول الله نزلت من عندي وأنت باك حزين مغتم، فبكيت لبكائك، ثم إنك عدت إلي وأنت فرح مبتسم فمم ذا يا رسول الله؟ قال: «ذهبت لقبر أمي فسألت الله أن يحييها لي فأحياها فآمنت بي وردها الله عز وجل».

وهذان الحديثان مع أنهما موضوعان كما يأتي فليس فيه ذكر إحياء أبي النبي ﷺ، فلا دليل لمن أدخله فيه وجعله ناسخاً للحديث الصحيح في مسلم.

ثم إن مما يدل على وضعه أن قبر آمنة بالأبواء وهو قريب من المدينة وليس بالحجون وهو قريب جداً من مكة.

ولنرجع إلى سند الحديثين:

١ - عبدالرحمن بن أبي الزناد قال الحافظ: صدوق تغير حفظه لما قدم بغداد. =

٢ ـ عبدالوهاب بن موسى.
قال الذهبي في الميزان (٢/ ٦٨٤) عن عبدالرحمن بن أبي الزناد بحديث «إن الله أحيى لي أمي فآمنت بي...» الحديث.
لا يدرى من ذا الحيوان الكذاب، فإن هذا الحديث كذب مخالف لما صح أنه عليه السلام استأذن ربه في الاستغفار لها فلم يأذن له.
وزاد الحافظ في اللسان (٤/ ٩١ ـ ٩٢) قلت: تكلم الذهبي في هذا الموضع بالظن، فسكت عن المتهم بهذا الحديث وجزم بجرح القوي.
وقد قال الدارقطني في غرائب مالك في روايته عن أبي الزناد بعد فراغ أحاديث مالك عن أبي الزناد عن سعيد بن المسيب في قصة: ويروي عن مالك عن أبي الزناد عن هشام بن عروة عن أبيه عن عائشة رضي الله عنها حديثان منكران باطلان، فذكر ما سيأتي في ترجمة علي بن محمد الكعبي إلى أن قال: وهذا كذب على مالك، والحمل فيه على أبي غُزَيّة، والمتهم به هو أو من حدث عنه، وعبدالوهاب بن موسى ليس به بأس.

٣ ـ محمد بن يحيى الزهري.
قال الحافظ في اللسان (٤٢٩/٥) يكنى أبا عوانة روى عن عبدالوهاب بن موسى وعنه أحمد بن يحيى الحضرمي قال الجوزقاني في كتاب الأباطيل (٢٢٨/١) هو والراوي عنه مجهولان.

قلت: وأنا أخشى أن يكون هو المتقدم وقع التصحيف في كنيته، وإنما هو أبو غزية، ولكن النسخة بالكتاب المذكور بخط أبي الفرج بن الجوزي.
وقال الحافظ الذهبي (٤/ ٦٢) محمد بن يحيى أبو غزية المدني عن موسى بن وردان قال الدارقطني: متروك. وقال الأزدي ضعيف، وذكره ابن الجوزي وقال أبو غزية الزهري.
قال الحافظ في اللسان (٥/ ٤٢٠ ـ ٤٢١) وقد تقدم لي في محمد بن موسى وهو هو وكأن يحيى اسم جده، ثم ظهر لي أنهما إثنان، فالكبير اسم أبيه موسى وهو أنصاري، والصغير اسم أبيه يحيى وهو زهري كان بمصر يروي عنه جماعة ثم قال الحافظ بعد أن نقل ترجمته من تاريخ ابن يونس الغرباء ذكر هذا الحديث بإسناد الدارقطني في غرائب مالك من طريق أبي غزية به. قال: قال الدارقطني: لا يثبت عن الزهري ولا عن مالك، وأبو غزية هذا هو الصغير منكر الحديث، ثم ذكر أقوال بعض العلماء الآخرين في حقه.

٤ ـ عمر بن أيوب الكعبي. كذا هو في اللآلي. والذي في كتب الجرح والتعديل علي بن أيوب العكي. =

= قال الحافظ في اللسان (٤/ ١٩٢ - ١٩٣) علي بن أحمد العكي بصري متهم، روى عن أبي غزية عن عبدالوهاب بن موسى عن مالك عن أبي الزناد هن هشام بن عروة عن أبيه عن عائشة رضي الله عنها حديثين أحدهما أن النبي ﷺ لما حج مر بقبر أمه آمنة، فسأل الله عز وجل فأحياها فآمنت به فردها إلى حفرتها.

والثاني بهذا الإسناد أن النبي ﷺ كان ينقل الحجارة للبيت عرياناً فجاءه جبريل وميكائيل فوزراه وطفقا يحملان الحجارة عن النبي شفقة من الله.

قال الدارقطني: والإسناد والمتنان باطلان، ولا يصح لأبي الزناد عن هشام عن أبيه عن عائشة شيء، وهذا كذب على مالك، والحمل فيه على أبي غزية، والمتهم بوضعه هو أو من حدث به عنه، وعبدالوهاب بن موسى ليس به بأس.

٥ - أحمد بن يحيى الحضرمي. تقدم عن الجوزقاني أنه مجهول.

٦ - عمر بن الربيع الخشاب

قال الذهبي في الميزان (٣/ ١٢٦) ذكره القراب في تاريخه وأنه كذاب.

وقال الحافظ في اللسان (٤/ ٣٠٤ - ٣٠٥) وضعفه الدارقطني في غرائب مالك في مواضع. ثم ذكره له حديثين، ثم قال: وأورده ابن عساكر في غرائب مالك من طريق الحسين بن علي بن محمد بن إسحاق الحلبي حدثنا أبو طالب عمر بن الربيع الخشاب فذكره كما تقدم ثم قال: قال ابن عساكر: هذا حديث منكر من حديث عبدالوهاب بن موسى الزهري المدني عن مالك والكعبي (العكي) مجهول، والحلبي (الحنفي صاحب غرائب ولا يعرف لأبي الزناد رواية عن هشام وهشام لم يدرك عائشة فلعله سقط من كتابي عن ابيه انتهى.

ولم ينبه على عمر بن الربيع ولا علـى محمد بن يحيى وهما أولى أن يلصق بهما هذا الحديث من الكعبي وغيره.

وفيما نقلناه عن الخطيب موجود فيه عن أبيه.

وقد ذكر هذا الحديث ابن الجوزي في الموضوعات (١/ ٢٨٣ - ٢٨٤) وسقط منه أحد الحديثين.

وقال: قال شيخنا أبو الفضل بن ناصر: هذا حديث موضوع، وأم رسول الله ﷺ ماتت بالأبواء بين مكة والمدينة ودفنت هناك وليست بالحجون.

وأورده الجوزقاني في الأباطيل (١/ ٢٢٣ - ٢٢٤) وقال هذا حديث باطل.

وقال ملا علي القاري في الأسرار المرفوعة (ص ٨٣) موضوع كما قال ابن دحية، وقد =

منهم الخطيب البغدادي والدارقطني وابن عساكر وابن شاهين والسهيلي والقرطبي ومحب الدين الطبري وابن المنذر وابن سيد الناس والحافظ شمس الدين بن ناصر الدين الدمشقي، وقال به الصلاح الصفدي في نظم له وغيرهم، وجعلوه ناسخاً لما خالفه من الأحاديث لتأخره، ولم يبالوا بضعفه لوجوب العمل بالحديث الضعيف في الفضائل والمناقب اتفاقاً، وهذه منقبة(١١٥).

على أن بعض متأخري الحفاظ صححه على ما قاله ابن حجر في أشرف الوسائل. قال الطبري والقرطبي: ليس إحياؤهما وإيمانهما ممتنعاً لا عقلاً ولا شرعاً، وكون الإيمان بعد الموت لا ينفع محله في غير الكرامة والخصوصية.

= وضعت في هذه المسألة رسالة مستقلة.

وقال الحافظ ابن كثير في السيرة (١/ ٢٣٩) عن هذا الحديث: إنه حديث منكر جداً.

وقال البيهقي في دلائل النبوة في تعليقه على حديث عبدالله بن عمرو (١/ ١٤١) وكيف لا يكون أبواه وجده بهذه الصفة في الآخرة وكانوا يعبدون الوثن حتى ماتوا، ولم يدينوا دين عيسى بن مريم عليه السلام، وأمرهم لا يقدح في نسب رسول الله ﷺ لأن أنكحة الكفار صحيحة الخ.

أما السيوطي فقد ألف رسائل في الموضوع وقرر أن الحديث ضعيف لا موضوع. وقد علمت أن الحديث موضوع كما قال النقاد ابن دحية وابن ناصر والدارقطني والذهبي وابن حجر والقاريء وغيرهم.

وفرضاً إذا قلنا بأنه ضعيف فكيف ينسخ الحديث الصحيح الذي رواه مسلم والبخاري وغيرهما بهذا الحديث الضعيف هل قال أحد من أهل الأصول بجواز ذلك؟

فالجواب طبعاً كلا، ثم إن الحديث كما قلنا لم يتعرض لوالد الرسول ﷺ فبأي شيء ينسخ حديث مسلم في حقه؟

ويحتاج ما قاله الشارح عن الدارقطني وغيره إلى إثبات.

(١١٥) وهذا أيضاً غير صحيح لأن العمل بالحديث الضعيف مشروط عند من قال به بشروط ثلاثة أحدها أن لا يكون الضعف شديداً وهذا الشرط مفقود هنا. والثاني أن يثبت أصل العمل بدليل صحيح والدليل الصحيح على خلاف ما دل عليه هذا الحديث.

فإن قلت: قد تقرر أنهما من أهل الفترة الناجين فما فائدة الإحياء ؟ قلت: أجيب بأن فائدته إتحافهما بمزيد كمال لم يحصل لأهل الفترة، لأن غاية أمرهم أنهم ألحقوا بالمسلمين في مجرد النجاة لا في إتحافهم بالمراتب العلية، فأتحفا بمرتبة الإيمان زيادة في شرفهما.

الطريقة الثالثة: أنهما كانا على التوحيد ودين إبراهيم عليه الصلاة والسلام (١١٦) كما كان على ذلك طائفة من العرب كزيد بن عمرو بن نفيل وقس بن ساعدة وورقة بن نوفل في جماعة آخرين، وهذه طريقة الإمام الرازي إمام أهل السنة في زمانه والناصر لمذهب الأشاعرة في أوانه، وزاد أن آباء النبي ﷺ كلهم إلى آدم على التوحيد لم يكن فيهم مشرك، ووافقه على ذلك جماعة.

واستدل الإمام بما رواه أبو نعيم عن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما في قوله تعالى ﴿وتقلبك في الساجدين﴾ قال: ما زال النبي ﷺ يتقلب في أصلاب الأنبياء حتى ولدته أمه (١١٧).

وعنه أيضاً في الآية قال: مِن نَبِيٍّ إلى نبيٍّ حتى أخرجتك نبياً، ورواه البزار (١١٨). ربما رواه البيهقي في سننه عن ابن عباس رضي الله عنهما قال قال رسول الله ﷺ: «ما ولدني من سفاح الجاهلية شيء، وما ولدني إلاّ نكاح الإسلام» (١١٩) وروى أبو نعيم عنه أيضاً مرفوعاً: «لم يلتق أبواي قط على سفاح، لم يزل الله ينقلني من الأصلاب الطيبة إلى الأرحام الطاهرة مُصَفًّى مهذَّباً، لا تشعب شعبتان إلا كنت في خيرهما. والأحاديث في هذا المعنى كثيرة جداً.

---

(١١٦) قد مر عن الإمامين البيهقي والنووي ما يخالف هذا وهو الحق كما سيأتي.

(١١٧) رواه أبو نعيم في الدلائل (٦٠) والآجري في الشريعة (ص ٤٢٩).

(١١٨) رواه البزار (٢٣٦٢) والطبراني (١٢٠٢١) وأبو نعيم (٥٩).

(١١٩) رواه الطبراني (١٠٨١٢) والبيهقي في السنن (٧/ ١٩٠).

قال الحافظ شيخ الإسلام العسقلاني: ومن المعلوم أن الاصطفاء والخيرة والأفضلية التي وردت بها الأحاديث لا تكون مع الشرك [والكفر] انتهى. وحينئذ يجب القطع بأن والد ابراهيم عليه السلام ما كان كافراً كما قاله الإمام، إنما كان الكافر عمه آزر، وإنما سمي أباً في القرآن لأن العرب تسمي العمّ أباً، قال الله تعالى ﴿وَإِلَٰهَ آبائك إبراهيم وإسماعيل وإسحاق﴾ مع أن إسماعيل عم ليعقوب. وقال ﷺ: «رُدّوا علي أبي» يعني العباس كما في المعالم. وأجمع أهل الكتابين على أن آزر لم يكن أباه حقيقةً، إنما كان عمه.

قال الشهاب ابن حجر: بل لو لم يجمعوا وجب تأويل الآية جمعاً بين الأحاديث انتهى.

وأخرج ابن أبي شيبة وابن أبي حاتم وابن المنذر من طرق بعضها صحيح عن مجاهد قال: ليس آزر أبا إبراهيم. وأخرج ابن أبي حاتم بسند صحيح عن السدي أنه قيل له: اسم أبي إبراهيم آزر، فقال: بل اسمه شارح [١٢١].

وأخرج ابن المنذر في تفسيره بسند صحيح عن سليمان بن صرد قال: لما أرادوا أن يلقوا إبراهيم في النار جعلوا يجمعون الحطب حتى إن كانت العجوز لتجمع الحطب، فلما أرادوا أن يلقوه قال: حسبي الله ونعم الوكيل، فلما ألقوه قال الله تعالى ﴿يا نار كوني برداً وسلاماً على إبراهيم﴾ فقال عم إبراهيم من أجلي دفع عنه، فأرسل الله تعالى شرارة من النار فوقعت على قدمه فأحرقته، فهذا أثر مصرح بأنه عم ابراهيم.

---

(١٢٠) رواه أبو نعيم (٤٧). وهذه الأحاديث لها طرق وشواهد فهو حديث حسن بها. ولكنها لا تدل على مقصود الشارح مطلقاً، كما تقدم عن البيهقي أن أنكحة الكفار صحيحة.

(١٢١) بل اسم أبيه آزر وهو والده وقال ابن جرير هو الصواب. واختاره الحافظ في الفتح في ترجمة ابراهيم وفي سورة الشعراء. ولا أظن بأن ما ذكره الشارح عن سليمان بن صرد يصح ولم يذكر الإسناد لننظر فيه ولم يتعرض له الحافظ مما يدل على أنه غير صحيح.

قال الحافظ السيوطي: وفيه فائدة أخرى وهي إنه هلك أيام إلقاء ابراهيم عليه السلام في النار، وقد أخبر الله تعالى أن ابراهيم ترك الاستغفار له، وتبرّأ منه لما تبين أنه عدو الله. ووردت الآثار الصحيحة بأنه تبين له لما مات مشركاً (١٢٢) ولم يستغفر له بعد ذلك، ثم هاجر عقب واقعة النار إلى الشام كما في الآية، ثم بعد مدة دخل مصر ثم رجع إلى الشام، ثم أمره الله تعالى أن ينقل هاجر وولدها إسماعيل إلى مكة. فنقلها ودعا فقال [ربنا إني أسكنت من ذريتي بواد غير ذي زرع عند بيتك المحرَّم] إلى قوله [ربنا اغفر لي ولوالديّ وللمؤمنين يوم يقوم الحساب] فاستغفر لوالديه، وذلك بعد هلاك عمه بمدة طويلة، فيستنبط منه أن المذكور في القرآن بالتبرىء والكفر عمه لا أبوه الحقيقي، فلله الحمد على ما ألهم انتهى.

قلت: ويرشحه أن هذا الدعاء بلفظ الوالد وهو الأب الحقيقي، والاستغفار للعم بلفظ الأب حيث قال [واغفر لأبي إنه كان من الضالين] والأب هو العطوف والداً [كان] أم عماً.

(تتمة) قدمنا في بيان نسبه الشريف النص على إيمان أكثر أجداده ﷺ. وقد قال الحافظ السيوطي: أجداده من إبراهيم عليه السلام إلى كعب بن لؤي وولده مرّة ورد النص بإيمانهم، وبقي بين مرّة وبني عبدالمطلب أربعة آباء وهم كلاب وقصي وعبد مناف وهاشم، ولم أظفر بهم بنقل لا بهذا ولا بهذا انتهى (١٢٣).

وظاهر عموم كلام الفخر إيمان جميعهم كما مر، ويؤيده قوله ﷺ يوم حنين:

أنـــا النبي لا كـــذب أنـا ابـن عبـد المطلـب

---

(١٢٢) في نسخة القاضي أنه مات مشركاً.

(١٢٣) لا أصل لما قال السيوطي ولا مستند له مطلقاً. وفي نسختي ولم أظفر فيهم.

لكثرة الأحاديث الناهية عن الانتساب إلى الآباء الكفار.

قال السهيلي: ووجدت[١٢٤] في بعض كتب المسعودي اختلافاً في عبدالمطلب، وأنه قد قيل مات مسلماً لما رأى من دلائل نبوته ﷺ، وعلم أنه لا يبعث إلا بالتوحيد فالله أعلم انتهى[١٢٥].

وقال بعضهم: أحسن الأقوال فيه أي وكذا فيمن فوقه ممن لا نص فيه بالإيمان أنه من أهل الفترة. وقال القطب العارف عبدالواهب الشعراني في الجواهر: قد ألف الشيخ جلال الدين السيوطي خاتمة حفاظ مصر في هذه المسألة ست مؤلفات وطالعتها كلها فرأيتها ترجع إلى أن الأدب مع رسول الله ﷺ واجب وأن من آذاه فقد آذى الله تعالى، وقال الله تعالى ﴿إن الذين يؤذون الله ورسوله لعنهم الله في الدنيا والآخرة ولهم عذاب عظيم﴾ وقال الله تعالى ﴿وما كنا معذبين حتى نبعث رسولاً﴾. ومن تأمل فيما نقله أهل السير من كلام عبدالمطلب لما أراد نحر ابنه عبدالله في قصة حفر بئر زمزم شهد له بالتوحيد، وصاحب التوحيد سعيد بأي وجه كان توحيده[١٢٦] وكان الإمام أبو بكر بن العربي المالكي المغربي الفقيه المحدث يقول: ما عندي أحد أشدّ أذى لرسول الله ﷺ ممن يقول: إن أبويه في النار وفي حديث مسلم: «لا تؤذوا الأحياء بسب الأموات» فيحرم جزماً أن يقال إن أبويه ﷺ في النار انتهى ما في الجواهر.

وسئل الإمام أبو بكر المذكور عن رجل قال: أبو النبي ﷺ في النار. فأجاب: بأنه ملعون لآية ﴿إن الذين يؤذون الله ورسوله لعنهم الله في الدنيا والآخرة﴾. وقال الحافظ نجم الدين الغيطي: الحذر الحذر من ذكر والديه ﷺ بسوء، فإنه يؤذيه ﷺ.

---

(١٢٤) في نسخة القاضي وجدت.

(١٢٥) هو مخالف لما صح كما سيأتي.

(١٢٦) اليواقيت والجواهر (٢/ ٥٧).

وذكر محب الدين الطبري في كتاب ذخائر العقبى عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: جاءت سبيعة بنت أبي لهب إلى النبي ﷺ فقالت: يا رسول الله إن الناس يقولون أنت بنت حطب النار، فقام رسول الله ﷺ وهو مغضب فقال: «ما بال أقوام يؤذونني في قرابتي من آذى قرابتي فقد آذاني، ومن آذاني فقد آذى الله تعالى» (١٢٧).

فتأمّل فيه إذا كان هذا في بنت أبي لهب المعاند الذي نص القرآن بخلوده في النار، فكيف لا يتأذى ﷺ بوالديه اللذين لم يدركا البعثة والدعوة إلى الإسلام مع ورود الحديث بإحيائهما وإيمانهما كما مر.

على أنه ثبت جماعة في الجاهلية على التوحيد كزيد بن عمرو وعثمان بن الحويرث وقس بن ساعدة وأبي بكر الصديق وغيرهم، فما المانع أن يكون أبواه ﷺ مثلهم، فعليك يا أخي بالأدب والاقتداء بالأئمة الذين ذكرتهم ففيه النجاة والسلامة.

(خاتمة) إذا علمت ما تقرر فكل ما خالف ذلك من الأحاديث إن كان ضعيفاً فلا كلام فيه، وإلاّ فهو مؤول إن أمكن تأويله جمعاً بين الأحاديث، أو منسوخ، أو متروك العمل به لمعارضته بالأدلة القاطعة التي مرّ بعضها كما يفعل ذلك في سائر المسائل، إذا تعارضت فيها الأدلة (١٢٨).

ألا ترى أنه ثبت في صحيح مسلم أنه ﷺ لم يقرأ في الصلاة بسم الله الرحمن

---

(١٢٧) رواه ابن منده من طريق يزيد بن عبدالملك النوفلي عن سعيد المقبري عن أبي هريرة قال الحافظ في الإصابة (٦٣٥/٧) يزيد واهٍ.
ورواه الطبراني (ج ٢٤ رقم ٦٦٠) من حديث ابن عمر وأبي هريرة وعمار وسموها درة بنت أبي لهب وفي إسناده عبدالرحمن بن بشر قال الحافظ في الإصابة (٦٣٤/٧) وهو ضعيف ورواه أيضاً ابن أبي عاصم وابن منده. فبطل الاحتجاج به.

(١٢٨) ثبت مما تقدم وما يأتي العكس تماماً فإن هذه الأحاديث ظهر حالها من الوضع والضعف وما خالفها أحاديث صحيحة فلا تعارض، لأن التعارض يكون بين متقابلين.

الرحيم، ومذهب الشافعي رضي الله عنه: عدم صحة الصلاة بدون البسملة، فخالف هذا الحديث الصحيح لما قام عنده من الأدلة المعارضة له، فقدّمها عليه. وكذا ثبت فيه أنه ﷺ: توضأ ولم يمسح كل رأسه، ومذهب مالك رضي الله تعالى عنه: وجوب مسح كل الرأس، فخالف هذا الحديث الصحيح أيضاً لقيام الأدلة المعارضة له فقدّمها.

وكذا خالف أبو حنيفة رضي الله تعالى عنه حديث الصحيحين: «إذا ولغ الكلب في إناء أحدكم فليغسله سبعاً» فهو لا يشترط السبع للأدلة المعارضة عنده وكذا خالف أحمد رضي الله تعالى عنه حديث الصحيحين: «من صام يوم الشك فقد عصى أبا القاسم» فيجيز صوم يوم الشك لما مرّ، ونظائرها كثيرة.

ومقصودي أن تعلم أنه ليس كل حديث صحيح يعمل به عند وجود المعارض(١٢٩). اعلم أنه لم يصح في أمه ﷺ إلاّ حديث مسلم عن أبي هريرة رضي الله عنه: أنه ﷺ استأذن للاستغفار لأمه فلم يؤذن له(١٣٠)، وفي أبيه ﷺ (إلاّ) حديث (مسلم) أيضاً أن رجلاً قال يا رسول الله أين أبي قال «في النار»

---

(١٢٩) هذه المسائل كلها لا احتجاج فيها إذ أن الأئمة لم يكن مطلقاً يتركون العمل بالحديث الصحيح لمعارضته بالحديث الضعيف، بل لهم أعذار أخرى ذكرها شيخ الإسلام ابن تيمية في رسالته القيمة رفع الملام، وتوسع في الموضوع أكثر الدكتور مصطفى إبراهيم الزلمي في كتابه القيم أسباب اختلاف الفقهاء.

(١٣٠) رواه أحمد (٢/ ٤٤١) ومسلم (٩٧٦) والبغوي في شرح السنة (١٥٥٤) والبيهقي في الدلائل (١/ ١٣٨) والسنن (٧٦/٤) والنسائي (٩٠/٤) ومن طريقه الجوزقاني في الأباطيل (٢٣٠/١) ورواه أبو داود (٣٢٣٤) وابن ماجه (١٥٧٢) عن أبي بكر بن أبي شيبة في المصنف (٣/ ٣٤٣). وفي حصره نظر إذ ورد أيضاً من حديث بريدة بن الحصيب رواه البيهقي في الدلائل (١/ ١٣٦) والسنن (٧٦/٤) والجوزقاني في الأباطيل (١/ ٢٢٩ - ٢٣٠) وأصله في صحيح مسلم ورواه ابن حبان (٧٩١)، ومن حديث أبي رزين رواه أحمد (٤/ ١١) والطبراني (ج ١٩ رقم ٤٧١) والجوزقاني في الأباطيل (١/ ٢٣٢).

فلما ولّى دعاه فقال: «إن أبي وأباك في النار»(١٣١) والجواب عن الأول أنه منسوخ بحديث الإحياء لأنه متأخر عنه كما مرّ عن الحفاظ(١٣٢)، وأن بكاءه ﷺ الوارد في حديث أبي هريرة لما فاتها من الإيمان والإتحاف بالكمالات العلية لكمل هذه الأمة، لا لعدم نجاتها أو عذابها معاذ الله تعالى.

ثم رأيت القاضي عياض صرّح بذاك، وأن المصلحة الإلهية اقتضت تأخير الاستغفار عن ذلك الوقت، فلذا لم يؤذن له فيه.

وعن الثاني بأنه منسوخ بالآيات والأحاديث السابقة، كما أن الاحاديث الواردة في أطفال المشركين أنهم في النار منسوخة بالأحاديث المخالفة لها، وبقوله تعالى: ﴿ولا تزر وازرة وزر أخرى﴾ ومن ثمة قال النووي: الصحيح أنهم في الجنة، أو هو مؤول جمعاً بين الأحاديث.

وأظهر تأويل له كما قال الشهاب بن حجر: أن المراد بالأب عمه

---

(١٣١) رواه أحمد (٣/ ١١٩ و ٢٦٨) ومسلم (٢٠٣) وأبو داود (٤٦٩٢) والبيهقي في الدلائل (١/ ١٣٨ - ١٣٩) والجوزقاني في الأباطيل (١/ ٢٣٢ - ٢٣٣) وهو حديث صحيح.
وما قاله الكوثري في تعليقه على كتاب التنبيه والرد (ص ١٦٢) من أن عفان وحماد من رجال الميزان تلبيس عظيم وهل كان من هو مذكور في الميزان حديثه غير صحيح، ثم إن حماداً من أثبت الناس في ثابت كما قاله الحفاظ وعفان لم ينفرد به بل تابعه موسى إسماعيل ووكيع، فبطل تلبيسه.
وأما من قال بأن معمر رواه فخالف حماداً فلم يذكر أين ما رواه معمر، ثم قلنا قال الحفاظ إن حماداً أثبت الناس في ثابت فبطل قوله.
ثم إن كفر أبو طالب وموته عليه جاء في حديث المسيب بن حزن الذي رواه أحمد (٥/ ٤٣٣) والبخاري (١٣٦٠ و٣٨٨٤ و ٤٦٧٥ و ٤٧٧٢ و ٦٦٨١) ومسلم (٢٤) والنسائي (٤/ ٩٠ - ٩١) والطبراني (ج ٢٠ رقم ٨٢٠) حينما عرض رسول الله ﷺ كلمة التوحيد ورفض هو وقال هو على دين (ملة) عبدالمطلب.
فإذا كان عبدالمطلب كافراً ومات قبل البعثة النبوية وهو جد النبي ﷺ فغيره أولى أن يكونوا كفاراً.

(١٣٢) هذا باطل كيف ينسخ الحديث الصحيح بالحديث الموضوع.

أبو طالب، لما تقرر أن العرب تسمي العمّ أباً، ولأن تسمية أبي طالب أباً له ﷺ كانت شائعاً عندهم لأنه ربّاه وكفله من صغره فكان مظنة السؤال عنه، على أن لفظ: «أبي وأباك في النار» لم يتفق الرواة على ذكره، وإنما ذكره حماد ابن سلمة عن ثابت عن أنس، فرواه مسلم من هذا الطريق، وخالفه معمر فلم يذكر هذا اللفظ، بل ذكر: فقال له: «إذا مررت بقبر كافر فبشره بالنار»(١٣٣) وهذا اللفظ لا دلالة فيه على والده ﷺ أصلاً، ومعمر أثبت من حماد، فإنه تكلم في حفظه، ووقع في أحاديثه مناكير كما بينها الأئمة، ومن ثمة لم يخرج له البخاري شيئاً وأما معمر فلم يتكلم في حفظه واتفق على التخريج له الشيخان، فلفظه أثبت، فوجب تقديمه، لاحتمال أن حماداً رواه بالمعنى حسب فهمه فيصير معللاً، نص عليه الحافظ السيوطي. وأما حديث: أنه ﷺ قال: «ليت شعري ما فعل أبواي»(١٣٤) فنزلت: ﴿ولا تسأل عن أصحاب الجحيم﴾ فقد قال الأئمة الحفاظ: لم يخرج في شيء من كتب الحديث المعتمدة وإنما ذكره في بعض التفاسير بسند منقطع لا يعوّل عليه(١٣٥).

وهذا السبب لنزول الآية مردود، بأن ما قبل الآية وما بعدها كلّها في اليهود. وقد ورد التصريح في الأثر المروي بطرق عن مجاهد هو أن المراد بأصحاب الجحيم: كفار أهل الكتاب وأما حديث: أنه ﷺ استغفر لأمه فضرب جبريل في صدره وقال: لا تستغفر لمن مات مشركاً فقد أخرجه البزار بسند فيه من لا يعرف، فهو ضعيف ساقط(١٣٦). وأما حديث: أنه نزل في أمه: ﴿ما كان للنبي والذين آمنوا معه أن يستغفروا للمشركين﴾ الآية فضعيف

---

(١٣٣) راجع التعليق (١٣١).

(١٣٤) في نسخة القاضي بأبواي وهو خلاف ما في تفسير ابن جرير.

(١٣٥) رواه ابن جرير (١٨٧٥ و ١٨٧٦ و ١٨٧٧).

(١٣٦) رواه البزار (٩٦) من حديث بريدة وفي إسناده محمد بن جابر قال الحافظ الهيثمي في مجمع الزوائد (١/ ١١٢) لم أر من ترجمه.

أيضاً. والثابت في الصحيحين أنها نزلت في أبي طالب وقوله ﷺ له: «لأستغفرن لك ما لم أنهَ عنه». وأما حديث: أنه ﷺ قال: «لابْنَيْ مَليكة أمكما في النار» فشق عليهما فدعاهما فقال: «إنّ أمي مع أمّكما» فأخرجه الحاكم في مستدركه وقد بين شيخ الإسلام الإمام العلامة شمس الدين الذهبي في مختصر المستدرك ضعف هذا الحديث وحلف عليه يميناً شرعياً (١٣٧). هذا ولو كنا نحتج بالأحاديث الضعيفة (١٣٨) لعارضناك بأحاديث منها: ما أخرجه ابن الجوزي من حديث علي رضي الله عنه مرفوعاً: «هبط جبريل فقال: إن الله تعالى يقرؤك السلام ويقول: إني حرّمت النار على صلب أنزلك وبطن حملك وحجر كفلك» (١٣٩).

وفي هذه النبذة كفاية فلله الحمد على ذلك.

بيان وقت حمله وتاريخ ولادته ﷺ

اعلم أن الكلام على حمله وولادته وسيرته وأخلاقه ﷺ يستدعي الكلام في ابتداء وجوده ﷺ، فاحتيج إلى ذكره وإن أهمله الناظم.

وملخصه: أنه لما تعلقت الإرادة الأزلية منه تعالى بإيجاد خلقه وتدبير رزقه أبرز الحقيقة المحمدية من الأنوار الصمدية في الحضرة الأحدية، ثم سلخ منه (١٤٠) العوالم كلها كما صرح به حديث عبدالرزاق بسنده عن جابر بن عبدالله الأنصاري رضي الله عنه (١٤١) على وفق سابق علمه وإرادته، ثم أعلمه الله نبوته

---

(١٣٧) تقدم الكلام عليه.

(١٣٨) هذا خلاف الواقع فقد احتج بأحاديث موضوعة وضعيفة وادعى أنها نسخت الأحاديث الصحيحة.

(١٣٩) أنظر الموضوعات (١/ ٢٨٢ - ٢٨٣) لابن الجوزي.

(١٤٠) في نسخة القاضي سلخ منها.

(١٤١) هذا الحديث كذب لا شك فيه وهو مخالف للقرآن قال الله تعالى (خلق الإنسان من صلصال كالفخار) إلى غير ذلك من الآيات الدالة على أن الإنسان خلقه الله من طين. وقد =

ورسالته وبشر بذلك ملائكته ليظهر كرامته، كما صرحت به أحاديث، وآدم إذ ذاك بين الروح والجسد [١٤٢] كما في أحاديث دلت على أن روحه العلية ثبت لها الوصف بالنبوة والرسالة في الخارج في عالم الأرواح دون غيره ﷺ إعلاماً بشرفه وتميزه على بقية الأنبياء عليهم الصلاة والسلام فهو ﷺ: الجنس العالي على جميع الأجناس، والأب الأكبر لجميع الموجودات والناس.

وفي حديث الإسراء «وجعلتك أول النبيين خلقاً وآخرهم بعثاً» رواه البزار [١٤٣]. فأول المخلوقات على الإطلاق النور المحمدي ثم الماء ثم العرش ثم القلم كما في حديث أحمد والترمذي وصححه وأقره الحفاظ [١٤٤]، وقيل: خلق

= قال رسول الله ﷺ: «خلقت الملائكة من نور وخلق إبليس من نار وخلق آدم عليه السلام مما قد وصف لكم».

رواه مسلم (٢٩٩٦) وغيره من حديث عائشة.

قال شيخنا في سلسلة الصحيحة بعد أن أورد فيها هذا الحديث (رقم ٤٥٩).

وفيه إشارة إلى بطلان الحديث المشهور على ألسنة الناس «أول ما خلق الله نور نبيك يا جابر» ونحوه من الأحاديث التي تقول بأنه ﷺ خلق من نور، فإن هذا الحديث دليل واضح على أن الملائكة فقط هم الذين خلقوا من نور دون آدم وبنيه، فتنبه ولا تكن من الغافلين.

وقد ألف الأستاذ أحمد عبدالقادر الشنقيطي رسالة في تفنيد هذا الحديث المزعوم سماها «تنبيه الحذاق على بطلان ما شاع بين الأنام من حديث النور المنسوب لمصنف عبدالرزاق». وطبعت الرسالة سنة ١٣٩٢ وقرظها الشيخ عبدالعزيز بن باز حفظه الله.

والمصنف طبع ولا يوجد فيه هذا الحديث المزعوم.

(١٤٢) صح من حديث ميسرة الفجر «كتبت نبياً وآدم بين الروح والجسد» وله شاهدان من حديث أبي هريرة والعرباض بن سارية راجع سلسلة الصحيحة (٤/ ٤٧١ - ٤٧٢) لشيخنا محمد ناصر الدين الألباني.

(١٤٣) رواه البزار (٥٥) من حديث أنس وفيه مجهول ومن تكلم فيه.

(١٤٤) هذا يوهم أن أحمد والترمذي رويا حديثاً بهذا الترتيب وهو خطأ فاحش.

إذ الحديث الذي رواه أحمد (٥/ ٣١٧) والترمذي (٢٢٤٤ و ٣٣٧٥) عن عبادة وصححه الترمذي هو «إن أول ما خلق الله القلم، فقال: اكتب، فجرى بما هو كائن إلى

القلم قبل الماء والعرش، وفي الخبر لما خلق تعالى آدم عليه السلام جعل ذلك النور في ظهره فكان يلمع في جبينه، ثم رفعه الله تعالى على سرير مملكته وحمله على أكتاف ملائكته فطافوا به في السماوات ليرى عجائب ملكوته (١٤٥). وفي المواهب نقلاً عن جعفر بن محمد: مكثت الروح في رأس آدم مائة عام وكذا في كل من صدره وساقيه وقدميه مائة عام، ثم علّمه الله تعالى الأسماء كلها، ثم أمر الملائكة بالسجود له، فالمسجود له بالحقيقة نوره ﷺ وآدم كالقبلة كما صرّح به المحققون.

وروي عن جعفر الصادق: أول من سجد لآدم جبريل ثم ميكائيل ثم إسرافيل ثم عزرائيل ثم الملائكة المقربون عليهم السلام.

= الأبد، هذا أحد لفظي الترمذي ورواه أبو يعلي (١٢٦/١) والبيهقي في الأسماء والصفات (ص ٢٧١) من حديث ابن عباس.

ومن أوله بقوله أي بعد العرش والماء والريح مستدلاً بحديث «كتب الله مقادير الخلائق قبل أن يخلق السماوات والأرض» الحديث فقد أخطأ إذ كتابة مقادير الخلائق إنما هو بالقلم.

قال شيخنا في سلسلة الصحيحة بعد أن أورد فيه حديث ابن عباس برقم (١٣٣) وفي هذا الحديث إشارة إلى ما يتناقله الناس حتى صار ذلك عقيدة راسخة في قلوب كثيرة منهم، وهو أن النور المحمدي هو أول ما خلق الله تبارك وتعالى، وليس لذلك أساس من الصحة، وحديث عبدالرزاق غير معروف إسناده، ولعلنا نفرده بالكلام في الأحاديث الضعيفة إن شاء الله تعالى.

وفيه رد على من يقول بأن العرش هو أول مخلوق ولا نص في ذلك عن رسول الله ﷺ، وإنما يقول به من قاله كابن تيمية وغيره استنباطاً واجتهاداً، فالأخذ بهذا الحديث - وفي معناه أحاديث أخرى - أولى، لأنه نص في المسألة، ولا اجتهاد في مورد النص كما هو معلوم.

وتأويله بأن القلم مخلوق بعد العرش باطل، لأنه يصح مثل هذا التأويل لو كان هناك نص قاطع على أن العرش أول المخلوقات كلها ومنها القلم، أما ومثل هذا النص مفقود، فلا يجوز هذا التأويل.

(١٤٥) لا أصل لهذا مطلقاً كما تقدم.

وعن النقاش: أول من سجد: إسرافيل ولذا ولي على اللوح المحفوظ. وعن ابن عباس رضي الله عنهما: كان ذلك يوم الجمعة من الزوال إلى العصر، ثم خلق الله تعالى حواء من ضلعه الأيسر وهو نائم، وسمّيت حواء لأنها خلقت من حيّ، فلما رآها سكن إليها ومد يده إليها فنهاه الملائكة حتى يؤدي مهرها، قال: وما مهرها؟ قالوا: تصلي على محمد ثلاث مرات.

وذكر الحافظ ابن الجوزي في كتاب سلوة الأحزان: أنه لما رام القرب منها طلبت مهرها قال يا رب وما مهرها؟ قال الله تعالى: تصلي على حبيبي محمد ﷺ عشرين مرة ففعل.

ثم ولدت له بعد الهبوط أربعين ولداً في عشرين بطناً، ثم ولدت شيئاً وحده كرامةً وحفظاً لنور نبينا ﷺ أن يشاركه أنثى، ولما توفي آدم عليه السلام كان شيث وصيه على أولاده ثم أوصى شيث ولده بوصية أبيه أن لا يقع[١٤٦] هذا النور إلاّ في المطهرات من النساء، ولم تزل هذه الوصية معمولاً بها إلى أن وصل النور إلى عبدالمطلب، فكان يفوح منه رائحة المسك الأزفر، ونور رسول الله ﷺ يضيء في غرّته، ثم تزوّج بعدما رأى في النوم ما يدل على ذلك فاطمة وحملت بعبد الله الذبيح وقصته في الذبح مشهورة، وفي الكتب مسطورة[١٤٧].

وأخرج أبو نعيم والخرائطي وابن عساكر: أن عبدالمطلب لما خرج بعبد الله ليزوجه مرّ على كاهنة مشهورة وقد قرأت الكتب، فرأت نور النبوة في وجهه، ومن ثمة كان أجمل فتىً في قريش فسألته أن يقع عليها وتعطيه مائةً من الإبل رجاء أن تحمل بهذا النبي الكريم فقال: أنا مع أبي ولا أستطيع خلافه، وقيل: قال لها: أما الحرام فالمات دونه يحمي الكريم عرضه ودينه، فخرج به أبوه حتى أتى به وهب بن عبد مناف سيد بني زهرة فزوّجه بنته آمنة وهي يومئذ أفضل امرأة من

(١٤٦) في نسختي أن لا يضيع هذا.

(١٤٧) هذه كلها خرافات لا أصل لها.

قريش نسباً وموضعاً. فوقع عليها يوم الاثنين أيام منى عند الجمرة فحملت برسول الله ﷺ (١٤٨). كذا في المواهب وأقره في شرح الهمزية.

وَحَمْلُهُ أَيَّامَ تَشْرِيقٍ حَصَلْ وَعِنْدَ وُسْطَى جَمَرَاتٍ انْتَقَلْ

وفي عيون الأثر للحافظ ابن سيد الناس نقلاً عن الزبير بن بكّار: حملت به أمه ﷺ في أيام التشريق في شعب أبي طالب عند الجمرة الوسطى، ففيه التصريح بأن المراد بأيام منى في حديث أبي نعيم وغيره أيام التشريق، وبالجمرة الجمرة الوسطى، ولذا قال الناظم: رحمه الله تعالى: (وحمله) من جملة (جمرات) ثلاث في منى (انتقل) ذلك النور إلى بطنها باستقرار النطفة الكريمة فيها (١٤٩).

وقال خاتمة الحفاظ نجم الدين الغيطي: حملت به ﷺ يوم الاثنين في شهر رجب وقيل أيام منى في شعب أبي طالب عند الجمرة الوسطى انتهى (١٥٠).

وقال سهل بن عبدالله التستري من كبار العارفين فيما رواه الخطيب البغدادي (الحافظ) حملت به ﷺ في رجب ليلة الجمعة. وفي حديث كعب الأحبار رضي الله تعالى عنه أنه نودي تلك الليلة في السماء وصفاحها والأرض وبقاعها أن النور المكنون الذي منه رسول الله ﷺ يستقر الليلة في بطن أمه آمنة، فيا طوبى لها ثم يا طوبى لها، وأصبحت يومئذ أصنام الدنيا منكوسةً وكانت قريش في جدب شديد، وضيق عظيم، فاخضرّت الأرض وحملت الأشجار، وآتاهم الوفد من كل جانب، فسميت تلك السنة التي حمل فيها رسول الله ﷺ سنة الفتح والابتهاج

---

(١٤٨) هذا مركب من حديثين رواهما أبو نعيم في الدلائل (٣٠٣ و ٣٠٥) من حديث سعد وابن عباس وفي إسنادهما من هو مدلس وقد عنعن ومن هو متكلم فيه ومن لم نجد له ترجمة فيما لدينا من المراجع.

(١٤٩) هذا باطل لأنه ﷺ ولد في ربيع الآخر فكيف يكون الحمل به في أيام التشريق؟

(١٥٠) ذكر ذلك الغيطي في مولده (٤/٢).

ذكره في المواهب. وعن أبي زكـريا يحي بن عائذ بقي ﷺ في بطن أمه تسعة أشهر كملا لا تشكو [151] وجعاً ولا ثقلاً مما يعرض للنساء ومثله في حديث ابن إسحاق.

وعن شداد بن أوس أن رجلاً سأل رسول الله ﷺ: ما حقيقة أمرك؟ فقال: « بدء شأني أني دعوة إبراهيم، وبشرى أخي عيسى، وإني بِكر أمي، وإنها حملت بي كأثقل ما تحمل النساء وجعلت تشتكي الى صواحباتها ثقل ما تجد، ثم إن أمي رأت في منامها أن الذي في بطنها نور، الحديث » [152] ففيه أنها وجدت ثقل الحمل فينـافي الأحاديث التي فيها نفي ذلك.

وجمع الحافظ أبو نعيم بأن الثقل كان في ابتداء علوقها به والخفة عند استقرار الحمل فيكون على الحالين خارقاً للعادة [153].

(تنبيه) قال الشهاب ابن حجر كالحافظ الغيطي: قد أكثر الناس من الأخبار والآثار الموضوعة والشديدة الضعف فيما يتعلق بحمله ومولده ورضاعه ولم يصح في ذلك إلا أخبار قليلة انتهى [154].

---

(١٥١) في نسخة القاضي لا تشكي.

(١٥٢) روى أحمد (٥/ ٢٦٢) والطبراني (٧٧٢٩) والبيهقي في الدلائل (١/ ٢٠ - ٢١) وابن سعد في الطبقات (١/ ١٠٢) وابن عدي في الكامل (   ) من حديث أبي أمامة قال: قيل: يا رسول الله ما كان أول بدء أمرك؟ قال: « دعوة إبراهيم وبشرى عيسى ورأت أمي أنه يخرج منها نور أضاءت منها قصور الشام » ورواه أبو داود الطيالسي ص ١٥٥) وأبو نعيم في الدلائل (٣١٧) وأما حديث شداد فرواه أبو نعيم في الدلائل (٣١٨) وهو حديث طويل وفي إسناده عمر بن صبح بن عمر التميمي قال الحافظ في التقريب (متروك كذبه ابن راهويه. ومحمد بن يعلي الكوفي ضعيف، فهو حديث موضوع. وسيأتي في التعليق (٢٤٨).

(١٥٣) قاله في الدلائل بعد الحديث (٣٣١).

(١٥٤) ذكره الغيطي في موله (٥/ ١).

فما روي منها بطريق ضعيف يجوز روايته والاعتماد عليه إذا دل على فضيلة ومنقبة له ﷺ، لأن الحديث الضعيف يعمل به في الفضائل والمناقب اتفاقاً كالحسن والصحيح(١٥٥)، وما كان موضوعاً منها بأن خالف الأحاديث [الصحاح] أو نص الحفاظ على وضعه ولم يعرف له أصل في الكتب المعتمدة لا يجوز ذكره إلا مقروناً ببيان وضعه سواء في الفضائل أم في غيرها كما نص عليه الأئمة، فكن في قراءة المواليد على حذر.

وُلِدَ في الإثْنَيْنِ ثانِ عَشَر رَبِيعِ الأَوَّلَ أَسْنَى شهر

(ولد) ﷺ بمكة على الصواب بل قيل إنكاره كفر، ويؤيده قول جمع من أئمتنا من محققي المتأخرين نقلاً عن الإمام أبي المظفر السمعاني: أول واجب على الآباء تعليم أولادهم أن النبي ﷺ ولد بمكة وبعث بها(١٥٦) ودفن بالمدينة وأنه من قريش وليس بأسود ونحو ذلك من كل ما كان إنكاره كفراً انتهى. فزعم أنه بعسفان شاذ لا يعوّل عليه، والأصح أنه المسجد المشهور الآن بالمولد عند أهل مكة، وهو متواتر عندهم يذهبون إليه كل عام ليلة المولد، وقيل بشعب أبي طالب، وقيل بالردم معذوراً أي مختوناً مسروراً أي مقطوع السرة كما في حديث أبي هريرة عند ابن عساكر(١٥٧).

وروى الطبراني وأبو نعيم والخطيب من طرق عن أنس رضي الله عنه أنه ﷺ قال: «من كرامتي على ربي أني ولدت مختوناً ولم ير أحد سوأتي»(١٥٨) وصححه

---

(١٥٥) هذا غير صحيح.

(١٥٦) في نسخة القاضي وبعث فيها.

(١٥٧) لم يصح ذلك.

(١٥٨) رواه الطبراني في الصغير (٢/ ٥٩) وأبو نعيم في الحلية (٣/ ٢٤) والدلائل (١/ ١٩١ - ١٩٢) والخطيب في تاريخه (١/ ٣٢٥) وهو حديث غير صحيح انظر رسالة لطيفة في أحاديث متفرقة ضعيفة لابن عبد الهادي (ص ٦٨ - ٧٤).

الضياء في المختارة. وقال الحاكم: تواترت به الأخبار، وتعقبه الذهبي فقال: ما أعلم صحة ذلك، فكيف يكون متواتراً [١٥٩].

وأجيب: بأنه أراد اشتهاره في كتب السير لا التواتر الاصطلاحي، وضعف الكمال ابن العديم أحاديث كونه ولد مختوناً، وأقره الحافظ الزين العراقي وغيره عليه، ورجّح بعض الحفاظ كونه ولد مختوناً فقال: إن أدلته مع ضعفها أمثل من أدلة غيره، قال الغيطي: ويرجّح أيضاً بأن لدليله طريقاً جيداً صححه الحافظ الضياء كما مر. قال الزركشي: إن تصحيح الضياء أعلى من تصحيح الحاكم [١٦٠].

وروى مسلم [١٦١] بسنده إلى ابن عباس رضي الله عنهما أن جده عبدالمطلب ختنه يوم سابع ولادته وصنع له مأدبةً وسماه محمد ﷺ وحكاه ابن عبد البر في تمهيده.

قال الحافظ أبو الفضل العراقي وسنده غير صحيح [١٦٢].

وفي طريق منكر كما قاله الذهبي أنه ﷺ ختنه جبريل عليه السلام حين شق قلبه عند حليمة.

قيل إن ذلك ليس من خصائصه ﷺ، وإن كثيراً من الناس ولدوا مختونين، ومنهم جماعة من الأنبياء عليهم الصلاة والسلام.

وقال الكلبي بلغنا أن آدم واثني عشر نبياً خلقوا مختونين، آخرهم محمد ﷺ (في الاثنين) أي في يوم الاثنين كما هو المتبادر أو ليلة الإثنين كما يومىء إليه

---

(١٥٩) أنظر المستدرك (٢/ ٦٠٢).

(١٦٠) ذكره الغيطي في مولده (٧/ ٢).

(١٦١) الظاهر من هذا القول أنه رواه في صحيحه وليس كذلك، ولا ندري أين رواه وهل رواه في كتاب من كتبه، وذكره ابن كثير في السيرة وقال: روي بصيغة التمريض مما يدل على عدم صحته.

(١٦٢) هذا دليل قاطع على أن مسلماً لم يروه.

قولي الآتي[١٦٣] : وليلة المولد.. البيت، على الخلاف في أنه ﷺ ولد في يوم الإثنين أو ليلته، والأول هو المشهور الأصح، بل الصحيح كما عبر به الزركشي بصحة حديث مسلم عن [أبي] قتادة الأنصاري أنه ﷺ سئل عن صيام يوم الإثنين قال: « ذلك يوم ولدت [فيه] وأنزلت فيه عليّ النبوة »[١٦٤] .

ومثله عن ابن عمر رضي الله عنهما. وذهب جماعة إلى الثاني، واستدلوا بتصريح حديث عائشة رضي الله عنها وغيره بأنه ولد ليلاً.

نعم خرّج أبو نعيم في الدلائل بسند فيه ضعف أنه ﷺ ولد عند طلوع الفجر، وبه يجمع الأحاديث، لأن الحديث الضعيف حجة في الفضائل اتفاقاً كما مر. فمن أطلق أنه ولد ليلاً أراد ما قبل طلوع الشمس أو أراد مجاوره مجازاً. ثم قيل: إن ذلك اليوم في شهر ربيع الآخر، وقيل في صفر، وقيل في رجب، ولا يصح كما في المواهب، وقيل في رمضان، وروي عن ابن عباس[١٦٥] رضي الله عنهما بسند لا يصح، وقيل في يوم عاشوراء، وهو غريب.

والصحيح المشهور وهو قول الجمهور كما قاله ابن كثير وغيره بل حكي عن ابن الجوزي وغيره الاتفاق عليه، ولكنه نظر فيه أنه في شهر ربيع الآخر[١٦٦]، فقيل ذلك اليوم فيه غير معين، والصحيح أنه معين، فقيل ثانيه وقيل ثامنه، وانتصر له كثيرون، واختاره أكثر أهل الحديث، وحكى القضاعي إجماع أهل التأريخ[*] عليه، وقيل عاشره، والمشهور عند الجمهور كما قاله ابن كثير وعليه العمل وبه جزم ابن إسحاق وتبعه ابن سيد الناس وغيره، ورواه ابن أبي شيبة

---

(١٦٣) في نسخة القاضي قوله الآتي وهو الصواب.

(١٦٤) رواه مسلم (١١٦٢) والبغوي في شرح السنة (١٨٧٩) مطولاً وليس عندها كلمة النبوة. وكذلك رواه البيهقي في دلائل النبوة (١/ ٦ ـ ٧) بدون هذه الكلمة.

(١٦٥) في نسختي ونسخة القاضي عن ابن عمر.

(١٦٦) في نسخة القاضي ربيع الأول.

(*) في نسختي التواريخ.

عن جابر وابن عباس رضي الله عنهم أنه (ثاني عشر) شهر (ربيع) بالتنوين (الأول) وبالغ بعضهم فنقل الإجماع عليه. وقال الغيطي: ولعله أراد الإجماع الفعلي، لأن السلف والخلف مطبقون على عمل المولد في اليوم المذكور وعلى تسمية ذلك اليوم يوم المولد في سائر الأعصار والأمصار، حتى في حرم مكة التي هي محل مولد المختار (١٦٧).

ومن ثمة قال بعض الأئمة المحدثين أنه الصحيح الذي عليه السلف ومن يعتمد عليه من الخلف فعليه يعتمد وعليه المعوّل انتهى (١٦٨).

وقيل سابع عشرة، وقيل لثمان بقين منه، وهذان ساقطان كما قيل. وإنما ولد في شهر ربيع الأول على الصحيح دون أحد الشهور الفاضلة كرمضان وأشهر الحرم لئلا يتوهم أنه ﷺ تشرف بإحدى هذه الأزمنة الفاضلة، فجعل ولادته في الزمان المفضول ليظهر كرامته على الله تعالى، وأن الزمان هو الذي يتشرف به، وقس عليه ولادته في يوم الاثنين دون يوم الجمعة. ونظير ذلك دفنه بالمدينة دون مكة.

(تنبيه) الربيع ربيعان ربيع الشهور وربيع الأزمنة فربيع الشهور شهران بعد صفر ولا يقال إلاّ شهر ربيع الأول وشهر ربيع الآخر كما في القاموس وغيره. وأما ربيع الأزمنة فربيعان الربيع الأول الذي يأتي فيه النَّوْر والكمأة والربيع الثاني الذي تدرك فيه، فعلم أن الناظم حذف لفظ شهر من ربيع الأول للضرورة، ووصفه بقوله (أسنى شهر) أي أرفع كل شهر قدراً للإفصاح عن ذلك المحذوف، ويجوز جعله حالاً أو خبراً لمحذوف، فيا له من شهر ما أشرفه! ويا له من وجه مولود فيه ما أشرفه! فسبحان من جعل حسنه بديعاً وللقلوب ربيعاً وما أحسن قول من قال:

يقول لنا لسان الحال منه ... وقول الحق يعذب للسميع

(١٦٧) قاله الغيطي في مولده (١/٨).

(١٦٨) أنظر مولد الغيطي (١/٨).

فوجهي والزمان وشهر وضعي ربيع في ربيع في ربيع

وعلى كونه أرفع شهر، قيل إن ليلة مولده أفضل من ليلة القدر.

(تنبيه) اختلفوا في مدة الحمل به ﷺ، فقيل تسعة أشهر وهو الأصح المشهور كما صرح به حديث يحي بن عائذ، وقد سبق ذكره، وقيل عشرة وقيل ثمانية، وقيل سبعة، وقيل ستة أشهر أي وهو ظاهر قول آمنة: أتاني آت حين مر بي من حملي ستة أشهر في المنام الحديث بطوله. رواه أبو نعيم، أقوال حكاه(١٦٩) الحافظ أحمد الغيطي، والمحدث شارح البخاري: أحمد القسطلاني في المواهب، والشهاب ابن حجر في أشرف الوسائل، والحلبي في سيرته.

وقد علم مما مرّ أن الحمل إما في رجب وهو المشهور، ورجّحه بعض الحفاظ أو في أيام التشريق كما مرّ في رواية أبي نعيم وغيره واختاره ابن سيد الناس وتبعه الناظم.

قال الحافظ الغيطي: القول الأول وهو كون الحمل في رجب منطبق على ميلاده ﷺ في شهر ربيع الأول. وأما الثاني وهو كونه أيام منى فموافق لما ذهب إليه بعضهم من أن ميلاده في شهر رمضان المعظم انتهى(١٧٠).

وقال القسطلاني في المواهب: وما روي عن ابن عمر رضي الله عنهما بإسناد لا يصح من أن ولادته ﷺ في رمضان فموافق لمن قال: حملت به ﷺ في أيام التشريق انتهى.

وعبارة ابن سيد الناس في عيون الأثر بعدما ذكره على الأصح من أن الولادة في ثاني عشر شهر ربيع الأول.

وعبارة الزبير بن بكار: حملت به أمه ﷺ في أيام التشريق في شعب أبي

---

(١٦٩) في نسختي ونسخة القاضي حكاها.

(١٧٠) قاله الغيطي في مولده (٤/ ٢).

طالب عند الجمرة الوسطى، وولد ﷺ يوم الإثنين لاثنتي عشرة ليلة خلت من شهر رمضان انتهى.

فتبين أن ما ذكره الناظم من أن الحمل في أيام التشريق، والولادة في شهر ربيع الأول لا يوافق واحداً من القولين، بل لا يوافق شيئاً من أقوال مدة الحمل المذكورة عن الحفاظ، وليس وراءها قول آخر، وقد تتبعت لمأخذ كلام الناظم فوجدت صاحب كتاب عيون الأثر صرح في مختصره بعين ما ذكره الناظم، وهو من خلط القولين سهواً، وشاهده صريح كلامه كما مر نقلاً عن الزبير من أن مَن جعل الحمل في أيام التشريق جعل الولادة في شهر رمضان كصريح كلام الغيطي والقسطلاني ثم تبعه الناظم من غير تأمل، فإن نظمه لا يخرج عن مختصره ترتيباً وعبارةً إلاّ قليلاً، هذا ولا بُعد في نسبة السهو إليه، لأن البعد عنه من وظائف كلام الله تعالى، وقد قال الإمام الشافعي رضي الله عنه للبويطي: لقد ألّفت هذه الكتب ولم آل فيها ولا بد أن يوجد فيها الخطأ لأن الله تعالى يقول: ﴿ولو كان من عند غير الله لوجدوا فيه اختلافاً كثيراً﴾ فما وجدتم في كتبي ما يخالف الكتاب والسنة فقد رجعت عنه انتهى.

ولو فرض أن ما ذكر لم يكن سهواً لا يعوّل عليه لتصريح الأحاديث بأن مدة الحمل أزيد من ذلك ولمخالفته لكلام الأئمة الحفاظ الذين ذكرتهم.

تذنيب: بلغني عن بعض الأفاضل أنه وجه كلام الناظم يحمله على النسيء المنهى عنه في القرآن وهو تأخير حرمة شهر إلى شهر آخر، فيحتمل أنهم أخَّروا ذا الحجة إلى جادى الأولى أو الأخرى أو غيرهما مما يوافق واحداً من الأقوال المذكورة في مدة الحمل، وهو توجيه لا وجه إلى تصحيحه، لكن لصدوره ممن يعتمد عليه اشتهر بين الطلبة، فاحتجنا إلى إيضاح فساده.

فنقول: النسيء المذكور في قوله تعالى ﴿إنما النسيء زيادة في الكفر﴾ الآية أما اسم المصدر الذي هو النَّسأة بضم النون وسكون المهملة بمعنى تأخير شهر إلى

شهر آخر، أو فعيل بمعنى مفعول أي الشهر المنسي كما في النهاية [١٧١].

وفي القاموس: النسيء الاسم من النسأة بالضم وشهر كانت العرب تؤخره في الجاهلية فنهى الله تعالى عنه انتهى [١٧٢].

وفي البخاري عن ابن عباس رضي الله عنهما: كانوا أي أهل الجاهلية يجعلون المحرم صفراً أي يجعلون الصفر من أشهر الحرم.. الحديث [١٧٣].

وقال الطبراني [١٧٤]: إن العرب كانوا يؤخرون المحرم إلى صفر، وهو النسيء المذكور في القرآن انتهى.

وفي الكشاف: النسيء تأخير حرمة الشهر إلى شهر آخر، وربما زادوا في عدد الشهور فيجعلونها إلى ثلاثة عشر شهراً ليتسع لهم الوقت [١٧٥].

وقال الكرماني: لما سموا المحرم صفراً وكان من جملة تصرفاتهم جعلوا السنة ثلاثة عشر شهراً صار صفر على هذا التقرير آخر السنة وآخر أشهر الحج انتهى.

وفي البيضاوي قيل: أول من أحدث النسيء جنادة بن عوف، فينادي في الموسم: إن آلهتكم قد أحلّت لكم المحرم فأحلّوه، ثم ينادي في قابل: إن آلهتكم قد حرّمت عليكم المحرم فحرّموه انتهى.

فظهر من هذه النقول الصحيحة أن النسيء إنما هو في شهر واحد وأن ذلك الشهر هو المحرم، ولم ينقل عن أحد أنهم كانوا ينقلون أي شهر أرادوه إلى أي

---

(١٧١) أنظر النهاية (٥/ ٤٥) في نسخة القاضي تأخير حرمة شهر.

(١٧٢) أنظر تاج العروس (١/ ٤٥٥ ـ ٤٥٦).

(١٧٣) رواه البخاري (١٥٦٤ و ٣٨٣٢) وأحمد (٢٢٧٤ و ٢٣٦١) ومسلم (١٢٤٠) وأبو داود (١٩٧١) والنسائي (٥/ ١٨٠ ـ ١٨١) والطبراني (١٠٩٠٦).

(١٧٤) في نسختي ونسخة القاضي الطبري.

(١٧٥) أنظر الكشاف (٢/ ٢٧٠) وفي نسخة القاضي يجعلونها ثلاثة عشر وهو الموافق لما في الكشاف.

وقت أرادوه، حتى يتم التوجيه المذكور، على أن أيام التشريق لم تختلف جاهليةً ولا إسلاماً كما وردت بذلك الآثار، فرحم الله امرءاً إذا بدا له الحق اتبعه بالانتصار، فمرادي بهذا البسط بيان الحق لا تغيير أحد من الحق.

مِنْ عامِ فيلٍ لِهُبوطِ آدَما   سِتَّةُ آلافٍ مَضَتْ مع جادَما

وقوله (من عام فيل) صفة أو حال لربيع الأول، ومن تبعيضية، كما يفصح عنه عبارة أصله أعني المختصر المذكور، وما سوى هذا التوجيه تكلّف.

(تنبيه) اختلفوا في عام ولادته ﷺ، فالذي قال به ابن عباس رضي الله تعالى عنهما والأكثرون، ومنهم من حكى الاتفاق عليه أنه عام الفيل، والمشهور أنه ولد بعد الفيل بخمسين يوماً، وإليه ذهب السهيلي وجماعة، وأيده بعضهم بأن قصة الفيل كانت توطئةً لنبوته وتقدمة لظهوره وبعثته، وإلاّ فأصحاب الفيل كانوا نصارى أهل كتاب وكان دينهم خيراً من دين أهل مكة إذ كانوا عباد أوثان، فنصرهم الله تعالى بما لا صنع للبشر فيه تأسيساً لظهوره ﷺ من مكة وتعظيماً لبلده الحرام، وقيل بخمسة وخمسين حكاه الدمياطي وقيل بأربعين، وقيل بعد الفيل بعشر سنين وقيل قبله بخمسة عشر سنة وقيل غير ذلك. وبسط تلك القصة كما ذكره بعض الحفاظ أن أبرهة ملك اليمن من قبل أصحمة النجاشي بنى بصنعاء كنيسة وأراد صرف الحاج إليها، وكتب إلى النجاشي بذلك، ثم جاء رجل من بني كنانة فأحدث فيها [177] ولطخ قبلتها بالعذرة، فسمع أبرهة بذلك فغضب وحلف لأهدمنّ الكعبة، ثم سار بجيش عظيم من الحبشة وغيرهم ومعه فيل واحد يسمى محموداً، وقيل معه أفيال غيره، فخرج إليه في الطريق ملوك فهزمهم كلهم وأسرهم إلى أن نزل بالقرب من المغمس عند عرفة، فبلغ ذلك عبد المطلب فقال: يا معشر قريش لا يصل لهدم البيت أحد لأن له رباً يحفظه، ثم أرسل

---

(١٧٦) أنظر تفسير البيضاوي (ص ٢٥٤) بهامش القرآن.

(١٧٧) في نسخة القاضي فقضى حاجته فيها.

أبـرهة خيلاً فاستاقت إبل قريش ولعبد المطلب فيها أربعمائة ناقة، فركب في قريش حتى اطلع على جبل ثبير فاستدارت دائرة غرة رسول الله ﷺ على جبينه كالهلال واشتد شعاعها على الكعبة مثل السراج، فلما رأى ذلك قال: ارجعوا فقد كفيتم، فوالله ما استدار هذا النور مني إلاّ أن يكون الظفر لنا فرجعوا متفرقين، ثم أرسل أبرهة رجلاً لسيدهم وهو عبدالمطلب ليخبرهم أنه لا حاجة له إلى دمائهم[١٧٨]، وإنما غرضه تخريب الكعبة فإن مكنتموني نجوتم. فقال له عبدالمطلب: لا طاقة لنا بحربه والبيت بيت الله فإن منعه فهو بيته، ثم أتى مع ذلك الرجل إلى أبرهة وكان عبدالمطلب جسيماً وسيماً ما رآه أحد إلاّ أحبّه، وكان مجاب الدعوة، فقيل لأبرهة: هذا سيد قريش الذي يطعم الناس والطير في السماء، فلما رآه أكرمه ونزل على سريره وأجلسه على بساط ثم قال له: ما حاجتك؟ قال: أن ترد إليّ إبلي[١٧٩]، فقال له: قد كنت أعجبتني ثم زهدت فيك، تكلّمني في إبلك دون بيت هو دينك ودين آبائك، فقال له أما الإبل فأنا ربها، وأما البيت فله رب يحميه، فردّ إليه إبله، فرجع فأخبرهم، فتحرّزوا في الجبال والشعاب، ثم أخذ عبدالمطلب ومعه نفر من قريش بحلقة باب الكعبة ودعوا وطلبوا النصر من الله تعالى. وفي رواية أن رسول أبرهة لما دخل مكة ورأى وجه عبدالمطلب خضع وتلجلج لسانه وخرّ مغشياً عليه وخار كما يخور الثور عند ذبحه، فلما أفاق خرّ ساجداً لعبد المطلب، وقال: أشهد أنك سيد قريش حقاً، وروي أن عبدالمطلب لما ذهب إلى أبرهة أحضر فيله الأبيض الأعظم[١٨٠]، فلما رأى عبدالمطلب خرّ ساجداً وأنطقه الله تعالى فقال: السلام على النور الذي في ظهرك يا عبدالمطلب، ولما أصبح أبرهة بالمغمس وهيّأ فيله وجنوده لدخول مكة برك الفيل في محله بناء على الأصح أنهم لم يدخلوا الحرم،

---

(١٧٨) في نسختي ونسخة القاضي بدمائهم.

(١٧٩) في نسختي أن ترد علي إبلي.

(١٨٠) في نسختي الأبيض الأعظم.

وقيل دخلوه، وإنما برك لما وصلوا وادي محسر، ولذلك سمي بذلك لأن فيلهم حسر فيه أي أعيا فيه، ثم ضربوا رأسه ويديه حتى بالحديد فأبى فوجهوه نحو اليمن فقام وأسرع، ثم نحو الشام فمشى ثم نحو الكعبة فأبى، ثم أرسل الله طيراً أبابيل كأمثال الخطاطيف من البحر مع كل طائر منهم ثلاثة أحجار حجر في منقاره وحجران في رجليه كأمثال العدس لا يصيب أحداً منهم إلاّ خرج من دبره، فولوا (١٨١) هاربين يتساقطون بكل طريق، وأصيب أبرهة بداء في جسده فتساقطت أنامله أنملة أنملة، وسال منه الصديد والقيح والدم، وما مات حتى انصدع قلبه.

كذا ساق القصة في المواهب وأقرّها ابن حجر في شرح الهمزية، زاد في المواهب: فلما فرّج الله تعالى عن عبدالمطلب ورجع أبرهة خائباً تزوج فاطمة فحملت بعبد الله الذبيح، ولا يخفى أن هذا كرواية استدارت دائرة الغرة على جبينه كالهلال، ورواية تسليم الفيل على النور الذي في ظهره ينافي كون ولادته ﷺ في عام الفيل كما صححه هو وغيره. بل هذه أدلة إن صحت لمن قال إنها بعده بزمان، وساقها الدميري في حياة الحيوان أيضاً، لكن لم يذكر هذه الروايات. بل روي عن عائشة رضي الله عنها أنها قالت: رأيت قائد الفيل وسائسه أعميين مقعدين يستطعمان الناس بمكة (١٨٢). وذكر أيضاً أن عبدالملك بن مروان قال لقباثٍ الكناني: يا قباب أنت أكبر أم رسول الله ﷺ؟ فقال القباب: رسول الله ﷺ أكبر مني وأنا أسن منه، ولد رسول الله ﷺ عام الفيل ووقفت بي أمي على روث الفيل أحضره وأنا أعقله (١٨٣). وساق القصة أيضاً في

(١٨١) في نسختي إلا قتله فخرجوا هاربين.

(١٨٢) أنظر سيرة ابن هشام (١/ ٥٨ ـ ٥٩) والدلائل للبيهقي (١/ ٦٦).

(١٨٣) رواه أحمد (٤/ ٢١٥) والترمذي (٣٦٩٨) والطبراني (ج ١٩ رقم ٧٥) وأبو نعيم في دلائل النبوة (٣٤٣) والحاكم (٢/ ٦٠٣) والبيهقي في الدلائل (١/ ١١ ـ ١٢) بألفاظ مختلفة.

منظومته في السير وقال في آخرها:

فكان عام الفيل عام المولد لأحمد خير الورى محمد

واللام في قوله (لهبوط آدما) بمعنى بعد مثل قوله تعالى ﴿أقم الصلاة لدلوك الشمس﴾ أي بعده، أو بمعنى من كقولهم سمعت له صراخاً أي منه. والأول أظهر، ويلائم الثاني قوله الآتي: من الإسكندر ومن رفع عيسى الخ.. والمعنى بعد هبوط آدم عليه السلام أو من هبوطه إلى زمن ولادته ﷺ وهو عام الفيل (ستة آلاف) سنة (مضت) والمراد بهبوطه نزوله من الجنة إلى الأرض بعد أن أباح الله تعالى له ولزوجته نعيم الجنة ونهاهما عن شجرة الحنطة أو العنب أو التين على أقوال فيه، فحسدهما إبليس فاحتال لدخول الجنة، ثم لم يزل يوسوس ويحلف لهما كاذباً حتى ظنّا صدقه فأكلا منها فأهبطا إلى الأرض.

وروي عن كعب أنه هبط بالهند، ثم خرّ ساجداً على صخرة بيت المقدس. وقال وهب بن منبه: لما هبط آدم إلى [الأرض مكث] يبكي على ذلته ثلاثمائة سنة لا يرقأ له دمع. وقال المسعودي: لو أن دموع أهل الأرض جمعت لكانت دموع آدم أكثر حيث أخرجه الله تعالى من الجنة.

وقال مجاهد: بكى آدم مائة عام لا يرفع رأسه إلى السماء، وأنبت الله تعالى من دموعه العود الرطب، والزنجبيل، والصندل، وأنواع الطيب . وبكت حواء حتى أنبت الله تعالى من دموعها القرنفل.

فتأملي يا نفس حال أبيك لزلة صغيرة أو خلاف الأولى: فما بالك مع زلاّت لا تحصى، نسألك اللهم تلقين حجتنا، والحمل إلى صدق توبتنا، ونعوذ بك من نفخة العجب والكبرياء التي صيّرت أعمال إبليس بعد طول خدمته كالهباء.

وعن ابن عباس رضي الله عنهما قال: قال الله تعالى: يا آدم ما حملك على ما صنعت؟ قال: زينت لي حواء، قال: [فـ] إني أعاقبها أن لا تحمل إلاّ كرهاً

ولا تضع إلاّ كرهاً ولأدمينها في الشهر مرتين. روي أن آدم عليه السلام مات وعمره ألف سنة، وقيل إلاّ سبعين وقيل عمره ثمانمائة سنة ودفن بأبي قبيس، فأخرجه نوح زمن الطوفان وحمل تابوته في السفينة ودفنه في منى كذا في « مثير الغرام إلى زيارة سيد الأنام ».

وفي كتاب الأنس أن قبر آدم في بيت المقدس، ثم ذكر بسنده إلى ابن عمر رضي الله عنهما: أن آدم رجلاه عند الصخرة ورأسه عند مسجد ابراهيم.

وعن عبدالله بن أبي فراس قال: قبر آدم في مغارة بيت المقدس ومسجد ابراهيم عليه السلام ورجلاه عند الصخرة، وبينهما عشرون ميلاً.

وروي نحوه عن ابن عمر رضي الله عنهما بزيادة: فإذا كان يوم القيامة أقامه تعالى على رجليه ثم يحشر ذريته إليه، ويقول الله: يا آدم إليك أحشر ذريتك ولا أحشرك فيمن أحشر لكرامتك عليّ.

و(مع) بسكون العين لغة قليلة في فتحها حال من المستتر في مضت أي حال كونها مصحوبة مع ما دل عليه الجيم في (جاد) والميم في (ما) وهو ثلاثة وأربعون بحساب الجمّل بضم الجيم وتشديد الميم وقد تخفف، وهو حساب صروف أبي جاد، وهي الحروف المجموعة في كلمات مشهورة أولها أَبْجَدْ قال أبو شامة في شرح الشاطبي: أصل أبجد أبو جاد فحذف منه الواو والألف لئلا يتكرر الصورة، لأن أول أبجد ألف وفي هوّز هاء انتهى.

وزاد غيره: وأصل هوّز: هواز، وقرشت: قريشات، لكن حذف منها ما حذف استغناء بنظيره.

وذكر بعض النحويين أن قولهم: أبو جاد وهواز وحطي عربية منصرفة، كلمن وسعفص وقريشات أعجمية لا تنصرف، إلاّ أنّ قريشات ينون كعرفات وأذرعات علماً، هذا حكم هذه الأسماء في الأصل، وأما إذا ذكرت لإفادة

الحروف المجتمعة فيها فحكمها البناء على السكون، ويقال: إن هذه الكلم الست أسماء ملوك مدين، وكلمن رئيسهم هلكوا يوم الظلة مع قوم شعيب عليه السلام.

ثم رأيت المجد في القاموس صرّح بذلك فقال: أبجد إلى قرشت ملوك مدين وكَلَمَنْ رئيسهم ومنعوا الكتابة العربية على عدد حروف أسمائهم هلكوا يوم الظلة فقالت ابنة كلمن:

كَلَمُـــنْ هـــدَّم ركني هُلْكُـــهُ وســـط المحلـــة
سيـــد القـــوم أتـــاه الـــحتـــف نـــاراً وســـط ظلـــة
جعلـــت نـــاراً عليهـــم دارهـــم كـــالمضمحلـــة

ثم وجدوا بعدهم ثخذ ضظغ فسموها: الروادف انتهى (١٨٤).

ويروى عن ميمون بن مهران عن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما قال: إن لكل شيء تفسيراً علمه من علمه وجهله من جهله فقال: «أبو جاد» أبي آدم الطاعة وجدّ في أكل الشجرة، و «هوز» هوى من السماء إلى الأرض، و «حُطي» حُطَّ عنه خطاياه، «كلمن» أكل من الشجرة ومُنَّ عليه بالتوبة، «سعفص» عصى فأخرج من النعيم إلى الكدّ «قريشات» أقر بالذنب فأمن من العقوبة انتهى والله أعلم (١٨٥).

ثم كيفية تلك الأعداد (١٨٦) على تلك الحروف أن تمشي بالأعداد على التوالي على حروف أبي جاد، فالتسعة الأحرف الأولى آحاد على التوالي، فالألف لواحد والباء لاثنين وهكذا إلى الطاء المهملة فلها التسعة، والتسعة الثانية عشرات، فالياء لعشرة والكاف لعشرين وهكذا إلى الصاد المهملة للتسعين، والتسعة الثالثة

---

(١٨٤) أنظر تاج العروس (٧/ ٤٠١ - ٤٠٢).
(١٨٥) علامات الوضع عليه ظاهرة إذ هو تفسير باطني لم يكن معهوداً في عهد الصحابة مطلقاً.
(١٨٦) في نسخة القاضي ثم كيفية وضع الأعداد.

مئات، فالقاف للمائة والراء للمائتين وهكذا إلى الظاء المعجمة فلها تسعمائة، وبقي الغين المعجمة لأول عقود الألوف وهو الألف، فمتى وجد حرف من تلك الحروف فالمراد به العدد الموازي له، ذكره العلامة القليوبي.

وقد يرمزون في النظم إلى بعض تلك الحروف في أوائل الكلمات مع مراعاة استقامة معناها مع إفادة الحساب كما فعل الشاطبي، وقد يرادون(١٨٧) مجرد الحساب كما في كلام الناظم إذ ليس لجاد معنى منتظم مع [ما] قبله.

(تنبيه) اعلم أن التاريخ لغةً تعيين الوقت واصطلاحاً وقت اشتهر بوقوع أمر شائع فيه ينسب إليه الزمان المستقبل، وأنواعه كثيرة، والمستعمل منها كما قاله القليوبي بعد الهجرة نوعان التاريخ العربي وأوله عام الهجرة النبوية مع اتفاق الصحابة في سنة سبع عشرة من الهجرة حين استشارهم عمر بن الخطاب رضي الله عنه لما اختلف عليهم الأزمنة، فأشاروا إليه بذلك، لأنه أول وقت استقامة ملّة الإسلام، وتوالي الفتوح وكان أول شهر المحرّم فيه بالحساب يوم الخميس وبداية الهلال يوم الجمعة.

والثاني: التاريخ القبطي وأوله على الصحيح عام ابتداء ملك دقلطيانوس الأنطاكي، وهو قبل التاريخ العربي بثلاث مئة وثمان وثلاثين سنة قبطية إلا خمسة وثلاثين يوماً على الصحيح انتهى.

وفي تهذيب الأسماء واللغات للإمام النووي، ابتداء التاريخ في الإسلام من الهجرة، وأول من أرّخ بالهجرة عمر بن الخطاب رضي الله عنه سنة سبع عشرة من الهجرة انتهى(١٨٨).

قال بعضهم: التواريخ التي يعتمد على صحتها أربعة، وعليه العمل إلى قيام

---

(١٨٧) في نسختي ونسخة القاضي وقد يراعون.

(١٨٨) تهذيب الأسماء واللغات (١/ ٢٠).

الساعة تأريخ الإسكندر وتأريخ دقلطيانوس آخر ملوك القبط وتأريخ يزدجرد آخر ملوك الفرس وتأريخ الهجرة انتهى.

وروى ابن أبي خيثمة عن الزهري أنه لما هبط آدم عليه السلام من الجنة وانتشر بنوه أرّخوا من هبوطه إلى أن بعث نوح عليه السلام، فأرخوا من مبعثه إلى الطوفان ثم من الطوفان إلى نار ابراهيم عليه السلام، فلما كثر ولده تفرقوا، فأرّخ بنو إسحاق عليه السلام من النار وإلى مبعث يوسف عليه السلام فمنه إلى موسى عليه السلام فمنه إلى ملك سليمان عليه السلام فمنه إلى مبعث عيسى عليه السلام إلى أن بعث ﷺ وأرخ بنو اسماعيل من النار إلى أبناء الكعبة الشريفة، فمنه إلى موت كعب بن لؤي، ومنه إلى الفيل، فكان التاريخ من الفيل حتى أرّخ عمر بن الخطاب من الهجرة هذا وقد ذكر الناظم منها تأريخ الهبوط والإسكندر وعيسى عليه السلام، وزاد تأريخ أنو شيروان إلى عام الولادة وهو عام الفيل كما يأتي.

(تنبيه ثان مهم) ورد في عدة أحاديث أنّ عمر الدنيا سبعة آلاف سنة، وقد صرّح به المفسرون في تفاسيرهم، وجزم به الإمام الغزالي في الإحياء، وأن النبي ﷺ بعث في آخر الألف السادسة.

روى الترمذي في نوادر الأصول عن أبي هريرة رضي الله عنه قال قال رسول الله ﷺ: «إن الشفاعة يوم القيامة لمن عمل الكبائر من أمتي ثم ماتوا عليها، فهم في الباب الأول من جهنم لا تسودّ وجوههم ولا تزرق أعينهم» إلى أن قال وأطولهم مكثاً فيها من يمكث فيها مثل عمر الدنيا من يوم خلقت إلى يوم أفنيت وذلك سبعة آلاف سنة الحديث(١٨٩). وروى ابن عساكر بسنده إلى أنس رضي

(١٨٩) رواه الحكيم الترمذي في نوادر الأصول كما في الحاوي (٢/١٦٦) وفي إسناده معلى بن هلال قال الحافظ اتفق النقاد على تكذيبه وليث بن أبي سليم وهو ضعيف فهو حديث موضوع.

الله عنه قال قال رسول الله ﷺ: «من قضى لأخيه المسلم حاجة كتب الله له بقدر عمر الدنيا سبعة آلاف سنة صيام نهارها وقيام ليلها»(١٩٠). وفي الحديث الطويل عند الطبراني «الدنيا سبعة آلاف سنة وأنا في آخرها ألفاً»(١٩١). أخرجه البيهقي في الدلائل، وأورده السهيلي في الروض، وقال: هذا الحديث وإن كان ضعيف الإسناد. فقد روي موقوفاً على ابن عباس رضي الله عنه عن طرق صحاح أنه قال: الدنيا سبعة أيام كل يوم ألف سنة، وبعث النبي ﷺ في آخرها ألفاً(١٩٢). وصحح أبو جعفر حديث الطبراني وعضّده بآثار.

قال السيوطي: ومعنى وأنا في آخرها ألفاً أي معظم الملة في الألف السابعة لا أنه ﷺ بعث في آخر الألف السادسة(١٩٣).

---

(١٩٠) في إسناده كثير بن عبدالله الأبلي أبو هاشم وهو متروك وآخرون غيره متروكون. ورواه ابن عدي من حديث أنس أيضاً بإسناد فيه من هو كذاب.

(١٩١) رواه الطبراني (٨١٤٦) قال الحافظ في نتائج الأفكار في المجلس (٢٤٨) هذا حديث غريب، أخرجه ابن السني (١٤١ و ٧٧٢) مختصراً عن أحمد بن خالد بن عبدالملك الحراني عن عمه الوليد بن عبدالملك.
وأخرجه أبو علي بن السكن من رواية إسماعيل بن رجاء عن سليمان بن عطاء وقال في روايته عن عبدالله بن زِمل، فأفاد تسمية الصحابي، واقتصر على بعض الحديث.
وأخرجه أيضاً من وجه آخر عن سليمان ببعضه، وقال: هو حديث طويل في تعبير الرؤيا، وهو منكر.
قال البخاري: سليمان بن عطاء منكر الحديث.
وقال ابن حبان: روى عن مسلمة الجهني أشياء موضوعة فلا أدري البلاء منه أو من مسلمة.
قلت: وأبو مَشْجَعَة لا يعرف اسمه ولا حاله.
ومسلمة قال الحافظ مقبول. وانظر الإصابة (٤/ ٩٦ - ٩٧).
فحديث في إسناده هؤلاء ضعيف جداً، بل موضوع.

(١٩٢) لا يمكن أن يكون ذلك صحيحاً إذ الواقع يكذبه، ولم يذكر الأسانيد حتى ننظر فيه بل نقله عن الحاوي (٢/ ١٦٩) للسيوطي تقليداً له. أو أنها من الإسرائيليات.

(١٩٣) أنظر الحاوي (١/ ١٦٩) للسيوطي.

وأخرج ابن أبي حاتم في تفسيره عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: الدنيا جمعة من جمع الآخرة. وعن وهب يقول: قد خلا من الدنيا خمسة آلاف سنة وستمائة سنة، والآثار في هذا المعنى كثيرة، ومن ثمة قال الحافظ السيوطي: ثبت بالنصوص القاطعة أن عمر الدنيا سبعة آلاف سنة، وأجمع اليهود على ذلك.

وفي كتاب أخبار الدول، ذكر الشيخ محيي الدين نقلاً عن ابن عباس رضي الله عنهما: أن ما بين آدم عليه السلام إلى نبينا ﷺ خمسة آلاف سنة وخمسمائة وخمسة وسبعون سنة.

وذكر محمد بن جرير الطبري: أن من آدم إلى انقضاء الخلق سبعة آلاف سنة، ويوافقه الحديث النبوي: أن عمر الدنيا سبعة آلاف سنة انتهى.

فإذا أحطت بما مر من الأحاديث والآثار، علمت أنه لا يطابق كلام الناظم تبعاً لما حكاه ابن الجوزي في كتابه التلقيح: من أن بين هبوط آدم وبين عام الولادة ستة آلاف سنة وثلاثة وأربعين، لأنه ﷺ بعث في آخر الألف السادسة كما مرّ، فلم يمض إلى البعثة ستة آلاف سنة فكيف إلى الولادة؟ وكيف بزيادة ثلاثة وأربعين، ولو كان بعثته ﷺ في الألف السابعة مع ما تقرر من: أن عمر الدنيا سبعة آلاف سنة، لانقرضت الدنيا قبل زماننا هذا (١٩٤).

نعم في الفواتح المسكية وفي كتاب أخبار الدول أن الذي أثبته: بطليموس اليوناني في المجسطي وأرخه رصده أن بين هبوط آدم عليه السلام وبين الهجرة ستة آلاف سنة ومئتين وستة عشر(ة) (١٩٥).

روى أبو صالح عن ابن عباس رضي الله عنهما أن بينهما ستة آلاف سنة ومئة وثلاثة وأربعين.

(١٩٤) هذا نقد جيد لتلك الروايات.

(١٩٥) في نسختي وست عشرة.

وفي رواية الكلبي عن أبي صالح: ستة آلاف وتسعة عشر سنة.

وفي نزهة النواظر عن ابن عساكر بسنده إلى أنس(١٩٦) رضي الله عنه عن النبي ﷺ أن جبريل حدثه قال: مضى من الدنيا ستة آلاف سنة وسبع مئة. وكلام الناظم لا يطابق أيضاً واحداً من هذه الأقوال وإن وافقها في أصل زيادة المدة على ستة آلاف سنة ولعله قول آخر من أقوال الزيادة فإن وراء ما ذكرنا أقوالاً لأصحاب الزيجات واليونانيين من النصارى وغيرهم تركناها اقتصاراً أو أنه ذهب إلى ما رواه أبو صالح عن ابن عباس رضي الله عنهما فذكر ستة آلاف مع ثلاثة وأربعين وحذف المائة لضيق النظم.

ثم اعلم أن العلماء فسروا الدنيا بأنها جميع المخلوقات الموجودة قبل الآخرة، وقال بعضهم: هو ما حواه الليل والنهار، وأظلته السماء وأقلته الأرض، وقيل هي الأرض مع الهواء والجو وأن العمر هو الحياة ومدة البقاء، فظاهر الأحاديث المذكورة أن مدة بقاء الدنيا من يوم خلقت إلى يوم أفنيت كما صرحت به رواية الترمذي السابقة: سبعة آلاف سنة، وبعض الآثار المذكورة يقتضي أن السبعة من آدم إلى قيام الساعة لا من أول خلق الدنيا، ويؤيّده قول المفسرين: أن الله تعالى أسكن قبل آدم عليه السلام الجن في الأرض فأفسدوا فيها، فبعث إليهم إبليس في جند من الملائكة فدمّرهم وفرّقهم في الجبال والجزائر، ولم يعلم مدة إقامتهم في الأرض قبل آدم(١٩٧).

ومن ثمة قال بعض العارفين: إن ما قبل آدم عليه السلام لا يعرف تحديده بمدة معلومة، وبعض آخر منها يقتضي أن مدة الدنيا أزيد من سبعة آلاف سنة وهذه أمور لم أر أحداً أشار إلى الجمع بينها بوجه يدفع التعارض فليتأمل فيه.

---

(١٩٦) في نسخة القاضي عن أنس.

(١٩٧) لا أصل له مطلقاً وإنما هو من الإسرائيليات.

وَبَعدُ طِبْ ظِلا مِـن الإسْكَنـدَرِ   ثِقْ حُزعُلاً من رَفعِ عيسى الأطْهَرِ

(وبعد) بالضم على نية المضاف إليه أي وبعد ما أخبرتك بالتأريخ المذكور أخبرك بتأريخ آخر من التواريخ المشهورة، وهو أنه مضى ما دل عليه الطاء المهملة والظاء المعجمة في (طب ظلا) بحساب الجمّل وهو تسع وتسعمائة سنة (من) تأريخ (الإسكندر) إلى عام ولادته ﷺ. والإسكندر بكسر الهمزة وفتحها هو ذو القرنين المذكور في القرآن على الخلاف الآتي فيه.

وقال الدميري في حياة الحيوان: ما بين ذي القرنين إلى عام الفيل ثمانمائة سنة وإثنان وثمانون سنة وهو قريب مما ذكره الناظم.

وروى ابن مردويه عن عليّ رضي الله عنه أنه سئل عن ذي القرنين فقال: لم يكن نبياً ولكن كان عبداً صالحاً أحب الله فأحبه ونصح الله فنصحه فضرب على قرنه الأيمن فمات فبعثه الله تعالى، ثم ضرب على قرنه الأيسر فمات (١٩٨).

وروي عنه أيضاً أنه سئل عنه فقال: سمعت نبيكم يقول: «هو عبد ناصح الله فنصحه».

وأخرج ابن أبي حاتم عن عبدالله بن عمرو قال: كان ذو القرنين نبياً. والجمهور على أنه لم يكن نبياً قال وهب بن منبه: سمي ذا القرنين لأن صفحة (١٩٩) رأسه كان من نحاس، وقال بعضهم: لأنه ملّك فارس والروم، وقيل كان في رأسه شبه القرنين، وقيل: لأنه بلغ مشارق الأرض ومغاربها وبلغ قرني الشمس مشرقها ومغربها، وفي القاموس: سمي إسكندر الرومي بذي القرنين لأنه

---

(١٩٨) أنظر تفسير ابن كثير (٣/ ١٠١) وانظر البداية والنهاية حول الاسكندر (٢/ ١٠٢ - ١١٢). والاسكندر رجل مؤمن وهو غير الاسكندر المقدوني الكافر، وما سيذكره الشارح كلها خرافات وأوهام لا مستند لها غير ما ذكر في القرآن وما صح من السنة حوله.

(١٩٩) في نسخة القاضي صفحتي.

لما دعاهم إلى الله عز وجل ضربوا على قرنه فمات فأحياه الله تعالى، ثم دعاهم فضربوا واختلفوا في اسمه والأكثر على أنه الإسكندر.

وقال السيوطي في شرح الكوكب: ذو القرنين اسمه الإسكندر.

وقال ابن عباس رضي الله عنهما: اسمه عبدالله بن الضحّاك بن معد، أخرجه ابن مردويه، وذكر الأزرقي وغيره: أنه كان في زمن الخليل عليه السلام ولقيه وطاف معه بالبيت انتهى. وهذا لا يتمشى على كلام الناظم لأن بين إبراهيم عليه السلام وبين نبينا ﷺ أزيد من ثلاثة آلاف سنة كما قرروه.

واختلفوا في نسبه أيضاً، فقال أكثر المفسرين: إنه ابن فيلقوس اليوناني، وكان مدة ملك فيلقوس سبع سنين فلما مات ملّك بعده ابنَه الإسكندر.

وفي القاموس: الإسكندر بن فيلقوس ملك قتل دارا بن دارا وملّك البلاد، والإسكندرية اسم لستة عشر موضعاً كلّها تنسب إليه لأنه بانيها.

وقال الدميري: الإسكندر إثنان، أحدهما كان في عهد ابراهيم عليه السلام، وهو أول القياصرة وهو الذي بنى الاسكندرية، وثانيهما قبل مولد المسيح بثلاثمائة وثلاث سنين، والأكثر على أنه كان في الفترة بعد المسيح انتهى.

فظهر أن كلام الناظم إنما يتم إذا كان الإسكندر واحداً مولده قبل المسيح لا بعده، ولم يكن في عهد إبراهيم عليه السلام، أو كان اثنين وكان صاحب التأريخ هو الثاني [لا الأول] والكل محل المناقشة. ثم للإسكندر في أسفاره وقطعه الأقاليم ومشاهدته الأمم المختلفة أخبار كثيرة من حروب ومكائد لا يسعها لمقام.

روى محمد بن الربيع في مسند من دخل مصر من الصحابة عن عقبة بن عامر ضي الله عنه أنه قال: كنت عند رسول الله ﷺ أخدمه فإذا برجال من أهل

الكتاب استأذنوا رسول الله ﷺ الدخول فأذن لهم، فلما وصلوا [٢٠٠] إليه قال: « إن شئتم أخبرتكم عما أردتم أن تسألوني قبل أن تكلّموا وإن شئتم تكلمتم فأخبرتكم » قالوا بل أخبرنا قبل أن نتكلم قال: « جئتم تسألوني عن ذي القرنين وسأخبركم كما تجدونه عندكم، إن أول أمره أنه غلام من الروم أعطيَ ملكاً، فسار حتى جاء ساحل البحر من أرض مصر فابتنى عنده مدينة يقال لها: الإسكندرية، فلما فرغ من بنائها أتاه مَلَك يعرج به فرفعه، ثم أشار إليه فقال له [انظر] ماذا تحتك؟ قال: أرى مدينتي وأرى مدائن أخرى معها، ثم عرج به فقال انظر قال: قد اختلطت مدينتي مع مدائن فلم أعرفها، ثم زاد فقال: انظر، فقال: أرى مدينتي وحدها لا غيرها، فقال له الملك: إنما تلك الأرض كلها والذي تراه محيطاً بها هو البحر، وإنما أراد ربك عز وجل أن يريك الأرض، وقد جعل لك سلطاناً، فسار حتى بلغ مغرب الشمس ثم سار حتى بلغ مشرق الشمس [٢٠١] ثم أتى السدّين وهما الجبلان اللينان ينزلق عنهما كل شيء فبنى السدّ، ثم جاز يأجوج ومأجوج. فوجد قوماً وجوههم وجوه الكلاب يقاتلون يأجوج ومأجوج ثم قطعهم فوجد قوماً قصاراً يقاتلون الذين وجههم وجوه الكلاب، ثم مضى فوجد أمةً من الغرانيق يقاتلون القوم القصار، ثم مضى فوجد أمةً من الحيّات، تلتقم الحية منها الصخرة العظيمة، ثم أفضى إلى البحر المحيط بالأرض » فقالوا: نشهد أن أمره هكذا في كتابنا، نقله الدميري.

وفي كتاب أخبار الدول: ولما توفي الإسكندر عرض الملك على ابنه فأبى واختار النسك، فانقسمت ممالك الاسكندر بين ملوك الطوائف، وبين ملوك اليونان، فاستولى على مصر والشام والمغرب البطالسة وهم ملوك يونان وكان يسمي كل واحد منهم بطليموس، وهي لفظة مشتقة من الحرب، ومعناها أسد

---

(٢٠٠) في نسختي رفعوا.

(٢٠١) في نسختي مطلع الشمس

الحرب، وكان عدة البطالسة بعد الإسكندر ثلاثة عشر، ومات بطريقه بشهرزور، وقيل ببلاد نصيبين وحمل إلى أمه بالإسكندرية المذكورة، قيل عاش ألفاً وستمائة سنة انتهى.

وفي كتاب إتحاف الأخصاء بفضائل الشام والمسجد الأقصى: ولما سار الإسكندر إلى بيت المقدس ورأى ما صنعه الضحّاك بن قيس الأزدي في الزمان الأول من العجائب ببيت المقدس أوحى الله إليه إنك ميت وإن أجلك قد حضر. وكان آخر من كان من الملوك من أهل الخير، وقد كبر سنه ودق عظمه ونحل جسمه بعد أن سار من المشرق إلى المغرب وإلى البلاد التي لم يأتها أحد قبله كما حكى الله تعالى عنه في كتابه ومات ببيت المقدس وزعم بعض من أهل العلم أنه مات بدومة الجندل انتهى.

ونقل كتاب الإتحاف لكون مؤلفه من الحفاظ المتقنين مقدم على نقل كتاب أخبار الدول.

ثم بين الناظم ما بين رفع عيسى عليه السلام إلى عام ولادته ﷺ فقال:

(ثِقٌ حُز عُلا) أي مضى خمسمائة سنة وهي التي تدل عليها الثاء المثلثة. وثمان وسبعون سنة وهو مدلول الحاء والعين بحساب الجمّل المذكور.

قال الحافظ السيوطي والشهاب ابن حجر المشهور: أن بين عيسى ونبينا ﷺ نحو ستمائة. انتهى.

ولفظ النحو يصدق بما قاله الناظم وبأقل وبأكثر.

وقال بعضهم: ورواه البخاري (٢٠٢) عن سلمان أن بينهما ستمائة سنة وقيل ستمائة وعشرون، والعلم عند الله.

---

٢٠٢) رواه البخاري (٣٩٤٨) وانظر فتح الباري عليه.

(من رفع عيسى الأطهر) إلى السماء، روي أن جماعةً من اليهود سبوا عيسى وأمه عليهما السلام فدعى عليهم فمسخهم الله قردةً وخنازير، فاجتمعت إليه اليهود على قتله فأعلمه الله تعالى بأنه يرفعه إلى السماء، فقال لأصحابه: أيكم يرضى أن يلقى عليه شكلي فيقتل ويصلب وله الجنة فقام واحد منهم ورضي بذلك، فألقى الله عليه شبهه فقتل وصلب، وزعموا أنهم قتلوا عيسى عليه السلام ﴿وما قتلوه وما صلبوه ولكن شبه لهم﴾ كما في الآية. وروي في كيفية قتله غير ذلك[٢٠٣] والمقصود من ألفاظ البيت هو التاريخ وأصلها أن «طب» أمر من طاب يطيب و «ظلاً» تمييزاً و «ثق» أمر من وثق يثق و «حز» أمر من حاز يحوز بمعنى جمع و «عُلا» بضم العين جمع علياء تأنيث الأعلى أي حز الشرف ومكارم الأخلاق.

وَبَعدَ أنْ جَلَسَ كسرىٰ العادِلُ   وَهْو أنو شرْوانُ يَومٌ زائِلُ

(وبَعْدُ) بفتح الدال لإضافته إلى ما بعده (أن) بفتح الهمزة (جَلَسَ كسْرىٰ) بفتح الكاف وكسرها معرّب خسرو أي واسع الملك كما في القاموس، والنسبة إليه كسروي وكسرواني كما في النهاية، وكسرى لقب لكل من ملوك الفرس كقيصر لملوك الروم وتبع لملك اليمن والنعمان لملك العرب والنجاشي لملك الحبشة وفرعون لملك القبط والعزيز لملك مصر وجالوت لملك البربر وخاقان لملك الترك. (العادل) نعت كسرىٰ (وَهْوَ) بسكون الهاء أي كسرى العادل اسمه (أنوِشيروان) بن فيروز، ولّي الملك بعد أبيه صغيراً، فلما استقر وجلس على السرير أثبت ملة المجوسية القديمة، وكتب بذلك إلى أصحاب الولايات وقوّى جنده بالأسلحة والكرّاع وعمّر البلاد وقسم أموال الزنادقة على الفقراء وأجرى الأرزاق للضعيفات التي مات زوجها[٢٠٤]، وأمر أن يزوجن من مال كسرى،

(٢٠٣) في نسختي ونسخة القاضي كيفية رفعه.
(٢٠٤) الصواب اللاتي مات أزواجهن.

وكذلك فعل بالبنات التي لا أب لها، وأرسل جيشاً إلى اليمن فطردوا الحبشة عنها، وغزا بَرجان وأذعن له قيصر بالطاعة، وبنى سور باب الأبواب، وجعل مبدأ السور من جوف البحر مقدار ميل، وبناه بلبن الحديد والرصاص، وفي البر على جبل الفتح نحو أربعين فرسخاً حتى وصل إلى بلاد طبرستان، وجعل على كل ثلاثة أميال من هذا السور باباً من حديد وأسكن من داخله أمةً من الناس، وذلك لدفع الأمم المتصلة بذلك الجبل من أنواع الكفار، وهذا الجبل في المسافة علواً وطولاً وعرضاً نحو من شهرين وأكثر، وحوله أمم لا يحصيهم إلاّ خالقهم كما ذكره المؤرخون.

ولما بنى أنوشيروان هذا السور هابه الملوك وهادته بأنواع التحف، وكان ملكاً مهيباً محباً للرعية عادلاً فيهم، وكان يسمى كسرى الخير، وكان له في صباه معلم يؤذبه فأوجعه يوماً بلا ذنب، فحقد عليه أنوشيروان، فلما ولي قال له: ما حملك على ضربي يوم كذا ظلماً؟ قال: لما رأيتك ترغب في العلم رجوت لك الملك بعد أبيك، فأحببت أن أذيقك طعم الظلم لئلا تظلم، فقال أنو شيروان: نعم ما فعلت، وكان مدة ملكه ثمان وأربعون سنة، ثم ولي بعده هرمز وكان عادلاً يأخذ للدنيء من الشريف. وقوله «وهو أنو شروان» جلة معترضة. ومعنى البيت وبعد أن جلس كسرى العادل على سرير المملكة إلى عام ولادته صلى الله عليه وسلم مضى مقدار ما دل عليه الياء والزاء في قوله (يوم زائل) بحساب الجمّل المذكورة، وهو سبع عشرة سنة، وقيل كما في كتاب أخبار الدول: ولأربع وعشرين سنة خلت من ملكه ولد عبدالله أبو النبي ﷺ، وفي السنة الثانية والأربعين من ملكه ولد النبي ﷺ وقيل غير ذلك ومعنى قوله «يوم زائل» في الأصل مقدار ما مضى من الزمان. قال الحافظ الغيطي كالسيوطي: وما اشتهر على بعض الألسنة من أنه ﷺ قال «ولدت في زمن الملك العادل» يعني كسرى أنو شروان، فقال الحافظ من المتقدمين والمتأخرين أنه كذب لا أصل له.

وقد رأى النبي ﷺ بعضُ الصالحين في المنام وسأله عن هذا الحديث فقال ﷺ أنه كذب ما قلته (٢٠٥).

من آيات مولده ﷺ :

وَلَيْلَةُ الْمَوْلِدِ شُقَّ وَانْصَدَعَ إيوانُ كِسْرىٰ وَلَهُ صَوْتٌ سُمِعْ

(وليلة المولد) بكسر اللام اسم زمان الولادة أي وليلة اليوم الذي ولد فيه بناء على الأصح أنه ولد نهاراً كما مر، أو الإضافة بيانية، أو المولد بفتح اللام مصدر ميمي بمعنى الولادة. إمّا لكونه من القائلين بأنه ولد ليلاً أو لمجاز المجاورة كما سبق تحقيقه وقد ظهر في تلك الليلة عجائب وآثاراً تعظيماً لقدره ﷺ وتأسيساً لنبوته مذكورة في كتب أهل السير. وقد مرّ أن الناس أكثروا من الأخبار الموضوعة فيما يتعلق بحمله وولادته ورضاعه ﷺ فليراجع إليه في ذلك إلى كتب المواليد للأئمة الحفاظ ككتاب المولد للحافظ أبي الفضل العراقي، وكتاب التعريف بالمولد الشريف للعلاّمة الشمس ابن الجوزي ومرآة الزمان للعلامة أبي شامة، وكتاب التنوير في مولد البشير للحافظ أبي الخطاب بن دحية، وكتاب الحافظ العسقلاني، والنعمة الكبرى للشهاب ابن حجر ومواهب القسطلاني وكتاب المولد للحافظ الغيطي والمواليد الثلاث لابن الجوزي (٢٠٦) وكتاب الحافظ السيوطي وكتاب العلامة الزركشي وغيرهم جزاهم الله تعالى عن الإسلام خيراً. وقد ذكر الناظم جملةً من عجائب تلك الليلة فمنها أنه (شُقَّ) بالبناء للمجهول (وانصدع) في القاموس: انصدع انشق كتصدّع، أو هو مطاوع صدعه أي شقه نصفين ولم يتفرق انتهى.

ويؤيد المعنى الثاني هنا قول الحافظ الغيطي: أَخْبَرَ من رآه أن الشق كان

---

(٢٠٥) مولد الغيطي (١٠/ ٢ ـ ١١/ ٢) وسلسلة الضعيفة (٢/ ٤٢٥) لشيخنا الألباني.

(٢٠٦) في نسخة القاضي لابن الجزري.

طولاً في سقفه قدر مايدخل الشخص القوي فيه(٢٠٧) (إيوان) بكسر الهمزة ويقال فيه أيضاً إوان ككتاب، وهو البيت الواسع المبني طولاً غير مسدود الوجه.

وفسره الصحاح والقاموس بأنه الصفة العظيمة، وقيل هو بيت عظيم(٢٠٨) مستطيل ذو شرفات، وقيل هو بيت الملك المعد لجلوسه مع أرباب مملكته لتدبير ملكه، وكلها متقاربة [المعنى] (كسرى) أنوشروان (وله) أي منه كقولهم سمعت له صراخاً أي منه (الصوت) العظيم الهائل (سمع) حتى أشرف على الهدم مع أن ذلك للإيوان كان من أعاجيب الدنيا سعةً وبناء واستحكاماً حتى يظن به أنه لا تهدمه إلاّ نفخة الصور، فليس ذلك إلاّ محض آية للناس على ظهور نبوته وأنه لا يبقى لأحد ملك ولا عزّ مع ملكه وعزته.

وَشُرُفَاتُهُ هَوَتْ وَسَقَطَت وَنَارُ فارس انْطَفَتْ وَخَمِدَتْ

(وشُرفاته) بضم الشين مع فتح الراء أو ضمها جمع شُرَفٍ جمع شُرفةٍ كغرفة وغرف وغرفات، وشرفة القصر معروفة، ويقال لها بالفارسية كُنْكَره كما في مهذب(٢٠٩) الأسماء وغيره (هَوَتْ) من علو (وسقطت) على الأرض، وتلك الشرفات كانت أربعة عشر، والسر في سقوطها الإشارة إلى أنه لم يبق من ملوكهم إلا أربعة عشر، فملك عشرة منهم في أربع سنين كما ذكره ابن مظفر وملك الباقون كما رواه ابن سيد الناس إلى زمن عثمان رضي الله عنه، وصح أنه ﷺ أخبر أنه «إذا هلك كسرى فلا كسرى بعده، وإن أمواله وكنوزه تنفق في سبيل الله»(٢١٠) وقد فتح في زمن عمر رضي الله عنه أكثر [إقليم] فارس وحصل

---

(٢٠٧) مولد الغيطي (٧/ ١).

(٢٠٨) في بيت القاضي بيت كبير.

(٢٠٩) في نسخة القاضي مذهب الأسماء.

(٢١٠) رواه أحمد (٥/ ٩٢ و ٩٩ و ١٠٥ - ١٠٦) والبخاري (٣١٢١ و ٣٦١٩ و ٦٦٢٩) ومسلم (٢٩١٩) والترمذي (٢٣١٣) والطبراني (١٨٧٠ و ١٨٧١ و ١٨٧٢ و ١٨٧٣ و ١٨٧٤) بغير هذا اللفظ.

لكسرى غاية الذل والهوان وهرب إلى أقصى مملكته ثم قتل في زمن عثمان رضي الله عنه وزال ملكه بالكلية عن جميع الأرض وتمزّق كل ممزق كما أخبر به ﷺ ودعا عليه بذلك لمّا مزق كتابه كما سيأتي (و) ومنها أنه كانت (نار فارس) غير منصرف للعجمة والعلمية والإضافة للعموم، أي كل نار لهم من النيران التي يوقدونها ويعبدونها، لأنهم كانوا على دين المجوس، وكان في إقليم الفرس من بيوت النيران الموقدة ليلاً ونهاراً على ممر السنين ما يحيل العادة انطفاءها وقد (انطفت وخمدت) تلك النيران كلها في ساعة واحدة ولم يقدروا على إيقادها في تلك الليلة، فعلموا أن ذلك لأمر حدث في العالم يدلّ على زوال ملكهم وفساد ما اعتقدوا آلهتهم، وتلك آية باهرة على نبوته ﷺ (٢١١).

(فائدة) قال بعض المحققين: الفُرسُ بالضم ويقال أيضاً فارس أمة عظيمة كان مسكنهم في شمال العراق من الفراسة بالفتح أي الشجاعة، وكسرى من أجل ملوكهم انتهى.

وفي القاموس: وفارس هم الفرس أو بلادهم انتهى.

وَلَمْ تَكُنْ تُخْمَدُ قَبلَ ذلك بِألْفِ عامٍ وارتقىٰ المَلائِك
مُبَشِّرات وَبُحَيرِ ساوَه غاصَتْ وَفاضَ الماءُ بالسَّماوَةِ

وقال المؤرخون: فارس ناحية مشهورة سميت باسم فارس حافد سام بن نوح عليه السلام، كلها متصلة العمائر، وهي خمس كور: الكورة الأولى البرجان وهي أصغرها، والثانية إصطخر وما يليها وهي كورة عظيمة وبها غالب بلاد

---

(٢١١) رواه أبو نعيم (١/ ١٧٣ - ١٧٧) والبيهقي (١/ ٦٧ - ٧١) وابن أبي الدنيا والخرائطي وابن عساكر من حديث هاني أبو مخزوم.
قال ابن عساكر: حديث غريب لا نعرفه إلا من حديث مخزوم عن أبيه، تفرد به أبو أيوب البجلي.
وقال الذهبي في تاريخ الإسلام (٢/ ١٤) حديث منكر غريب.
ثم إن هاني أبو مخزوم راوي الحديث رجح الحافظ أنه ليس بصحابي ولم أجد ترجمة لابنه مخزوم والراوي عنه.

فارس، والثالثة كورة سابور، والرابعة شيراز وما يليها، والخامسة كورة سوس، وفي بلاد فارس مواضع لا تنبت الفواكه لشدة بردها، ومواضع لا يسكنها الطير لشدة حرّها، وأهلها أصحاب العقول الصحيحة والأبدان السليمة (ولم تكن) تلك النيران لجهدهم في إيقادها ليلاً ونهاراً (تخمد) بفتح الميم وضمها من باب علم ونصر أي لم يسكن لهبها (قبل ذلك) أي قبل انطفائها وخمودها في تلك الليلة (بألف عام) كما رواه البيهقي وأبو نعيم وابن عساكر (و) منها أنه (ارتقى الملائكة) جمع ملك كالملائكة (مبشرات) لأهل الأرض والسماء لولادته ﷺ، وهي حال من الملائكة، وكأنه أشار إلى ما رواه أبو نعيم عن عمرو بن قتيبة قال: سمعت أبي وكان من أوعية العلم قال: لما حضرت ولادة آمنة قال الله تعالى للملائكة: ﴿افتحوا أبواب السماء كلها وأبواب الجنان وألبست الشمس يومئذ نوراً عظيماً﴾. وكان قد آذن الله تعالى تلك السنة نساء الدنيا أن يحملن ذكوراً كرامةً لمحمد ﷺ الحديث. لكنه مطعون فيه (٢١٢).

وإلى ما رواه أبو سعيد النيسابوري في الحديث الطويل عن كعب (٢١٣)، ورواه أبو نعيم عن ابن عباس رضي الله عنهما من قول آمنة، فسمعت منادياً ينادي طوفوا به مشارق الأرض ومغاربها، وأدخلوه البحار ليعرفوه باسمه ونعته وصورته الحديث وهو أيضاً مما تكلم فيه (٢١٤).

وإلى ما رواه الخطيب البغدادي بسنده أن آمنة قالت: لما وضعته رأيت سحابةً بيضاء عظيمةً لها نور أسمع فيها صهيل الخيل وخفقان الأجنحة وكلام الرجال حتى غشيته وغيب عني، فسمعت منادياً ينادي طوفوا بمحمد ﷺ مشارق الأرض ومغاربها وأعرضوه على كل روحاني من الجن والإنس والملائكة

---

(٢١٢) رواه أبو نعيم (٣٢٨) ولا يصح.

(٢١٣) ورواه أبو نعيم (٣٢٩) ولا يصح. وسيأتي أنه قال شديد الضعف.

(٢١٤) هو نفس الحديث (٣٢٩) السابق عند أبي نعيم.

والطيور والوحوش وأعطوه خلق آدم ومعرفة شيث الحديث بطوله، وفيه نكارة[٢١٥]، ولكن لا يضره ذلك لكون الضعيف معمولاً به في الفضائل والمناقب كما تقدم تحقيقه.

ومر البشارة به ﷺ أيضاً ليلة الحمل به في حديث كعب (و) منها أن (بُحَيْر) بالتصغير وحذف التاء للوزن، وهي بحيرة عظيمة في مملكة عراق العجم بين الري وهمذان تركب فيها السفن إلى ما حولها، وكانت أكثر من ستة فراسخ كما قاله الحافظ الغيطي[٢١٦]: فظهر أن تصغيرها للتعظيم ثم رأيت الجلال صرّح به في شرح البردة (ساوه) وتسمى أيضاً عين ساوة، وهي بلدة بين همذان والري كما قاله الجلال. وقال الشهاب ابن حجر، ساوه بلد معروف بينها وبين الري اثنتان وعشرون فرسخاً، وقيل موضع بالشام انتهى.

ولم يرد القاموس على قوله: بلد معروف وتسمى أيضاً بحيرة طبرية، غاضت أي ذهب ماؤها في تلك الليلة مع أنه كان فيها من كثرة المياه وسعتها ما يحيل العادة غيضها ومن ثمة قيل: طولها ستة أميال وعرضها مثل ذلك فأصبحت يابسةً ناشفةً.

وفي أخبار الدول: ساوة مدينة طيبة كثيرة الخيرات والثمرات والمياه، وكان في قديم الزمان بها بحيرة غاضت عند مولده ﷺ، والآن موضع البحيرة يزرعونه غلةً، وأهلها مخصوصون بحسن الصورة واستقامة الطبع، وكلهم شافعي المذهب (و) منها أنه (فاض) أي سال (الماء بالسماوة) أي بواديها بعد أن لم يكن فيها ماء.

في القاموس: وسماوة موضع بين الكوفة والشام، وليست من العواصم، ووهم الجوهري فيها انتهى. والعواصم اسم لبلاد خمسة من الشام قصبتها انطاكية.

(٢١٥) بل هو موضوع لا شك فيه.
(٢١٦) مولد الغيطي (٧/ ١).

وَأمُّـــهُ رأت بُعَيْـــدَ البُشرىٰ نـوراً أضـالَـهُ قصـورَ بُصْـرىٰ

(وأمه) ﷺ (رأت بعيد) أي بعد والتصغير لتقليل المدة (البشرى) مصدر أو اسم مصدر كالبشارة بمعنى التبشير ، والمراد به إما بشرى الهواتف والملائكة للخلق بولادته ﷺ ، كما يومىء إليه قوله السابق « ارتقى الملائكة مبشرات » .

والبشارات به كثيرة يضيق عن حصرها المقام ، وقد سبق نبذة منها ، وإمّا بشرى من ذكر لآمنة لحملها به وبولادته ﷺ كما في رواية أبي نعيم وغيره ، من جلة حديث ابن عباس رضي الله عنهما قال : كانت آمنة تحدث وتقول : أتاني آت حين مر بي من حملي ستة أشهر في المنام فقال : يا آمنة إنك حملت بخير العالمين فإذا ولدته سميه محمداً واكتمي شأنك الحديث (٢١٧) .

وأما البشرى لها ولغيرها ، أخرج أبو نعيم عن ابن عباس رضي الله عنهما [بسند] شديد الضعف كما في المواهب ، قال : كان من دلالة حمل آمنة برسول الله ﷺ : أن كل دابة لقريش نطقت تلك الليلة وقالت : حمل برسول الله ﷺ ورب الكعبة ، وهو إمام الدنيا وسراج أهلها ، ولم يبق سرير لملك من ملوك الدنيا إلاّ أصبح منكوساً ، ومرّت وحوش المشرق إلى وحوش المغرب بالبشارة ، وكذلك أهل البحار يبشر بعضهم بعضاً ، وله في كل شهر من شهور حمله نداء في الأرض ونداء في السماء أن أبشروا فقد آن أن يظهر أبو القاسم ميموناً مباركاً «الحديث (٢١٨) .

(نوراً) عظيماً حين وضعته (أمنا) بالقصر للوزن (له) أي لأجله (قصور بصرى) من أرض الشام وهو بضم الباء وسكون الصاد المهملة مدينة في ناحية حوران وبها سوق وجامع قديم ، فيه مصحف من مصاحف عثمان رضي الله عنه ،

---

(٢١٧) هو نفس الحديث (٣٢٩) السابق عند أبي نعيم.

(٢١٨) هو نفس ذلك الحديث.

ويقال إنه ﷺ دخلها حين سافر مع ميسرة، وبقربها كنيسة بحير الراهب، وهي على أربعة مراحل بن دمشق، وبصرى أيضاً قرية من قرى بغداد قرب عكبر، وليست مرادةً هنا.

وأصل ذلك ما رواه أحمد والبزار والحاكم والطبراني والبيهقي عن العرباض بن سارية أن رسول الله ﷺ قال: «إني عند الله لخاتم النبيين وإن آدم لمنجدل في طينته، وسأخبركم عن ذلك، دعوة أبي ابراهيم وبشارة عيسى ورؤيا أمي التي رأت، وكذلك أمهات الأنبياء يرين، وأن أم رسول الله ﷺ رأت حين وضعته نوراً أضاء له قصور بصرى من أرض الشام»(٢١٩).

قال الحافظ العسقلاني: صححه ابن حبان والحاكم. وفي رواية [ابن] سعد أن أم رسول الله ﷺ قالت: لما ولدته خرج من قلبي نورٌ أضاء له قصور الشام وولدته نظيفاً ما به قذر. وفي رواية أضاء له الأرض. وفي أخرى أضاء له ما بين المشرق والمغرب، وفي رواية أنها رأت حين حملت به أنه خرج منها نـور رأت به قصور بصرى من أرض الشام(٢٢٠).

---

(٢١٩) رواه أحمد (٤/ ١٢٨) والبزار (٢٣٦٥) والطبراني في الكبير (ج ١٨ رقم ٦٣١) ومسند الشاميين (١٤٥٥) وأبو نعيم في الحلية (٦/ ٨٩ - ٩٠) والدلائل (٣١٤) والحاكم (٢/ ٦٠٠) وابن عساكر (١/ ١٥٦ - ١٥٧ و ١٥٨) وفي إسناده أبو بكر بن أبي مريم وهو ضعيف وسويد بن سعيد لم يوثقه إلا ابن حبان.
ورواه أحمد (٤/ ١٢٧) وابن حبان (٢٠٩٣) والطبراني في الكبير (ج ١٨ رقم ٦٢٩ و ٦٣٠) ومسند الشاميين (١٩٣٩) والفسوي في المعرفة (٢/ ٣٤٥) وأبو نعيم في الدلائل (٣٤ و ٣٥ و ٣٦ و ٣١٥ و ٣١٦) وابن جرير في التفسير (٢٨/ ٨٧) والبغوي (٣٦٢٦) وابن عساكر (١/١٥٧ - ١٥٨). وفي إسناده عبدالأعلى بن هلال السلمي ترجمة ابن ابي حاتم (٣/٢٥) فلم يذكر فيه جرحاً ولا تعديلاً وسعيد بن سويد كما قلنا لم يوثقه غير ابن حبان، وقال البخاري: لم يصح حديثه يعني هذا. ومع هذا صححه ابن حبان والحاكم فأخطا. وفي نسختي قصور الشام.

(٢٢٠) أنظر هذه الروايات في طبقات ابن سعد (١/ ١٠١ - ١٠٢).

قال الحافظ الغيطي: ويمكن الجمع بأنه لا مانع من خروج النور مرتين حين الحمل به وحين الوضع، وإن كانت روايات الوضع أصح.

وجمع السيوطي بأن قوله رأت حين حملت به هي رؤيا نوم وقعت في الحمل، وأما الرؤية ليلة الولادة فرؤية عين، كما روى ابن إسحاق: كانت آمنة تحدث أنها حين حملت به قيل لها إنك حملت بسيد هذه الأمة. وآية ذلك أن يخرج معه نورٌ يملأ قصور بصرى من أرض الشام، فإذا وقع فسمّيه محمداً ﷺ انتهى.

ثم الناظم إن أراد برؤيتها قصور بصرى الرؤية وقت الحمل فلا يناسب ذكرها مع ما يتعلق بليلة المولد، وإن أراد وقت الوضع فالعدول عن التعبير بقصور الشام الوارد في أكثر الروايات إلى قصور بصرى للإشارة إلى أن بصرى أول موضع من بلاد الشام دخلها ذلك النور المحمدي، ولذلك كانت أول ما افتتح من بلاد الشام كما قاله ابن الجوزي، ولأنه ﷺ وصل بنفسه إلى أرض بصرى من الشام مرتين ولم يتجاوزها.

قال الحافظ [الحفاظ]: وخصصت الشام بالذكر في أكثر الروايات من بين الأرض للإشارة إلى ما خص الشام من سبق نور نبوته إليها أي قبل نظرائها[٢٢٢]، فإنها دار ملكه كما ذكر كعب أن في الكتب السالفة محمد رسول الله ﷺ مولده مكة ومهاجره يثرب وملكه بالشام، ولذا أسري به إلى بيت المقدس كما هاجر قبله إليها ابراهيم ولوط عليهما السلام، وبها ينزل عيسى بن مريم، وهي أرض المحشر والمنشر، ولأنها خيرة الله تعالى من أرضه يجتبي إليها خيرته من عباده كما في الحديث صحيح.

قال الغيطي وغيره: فهي أفضل الأرض بعد الحرمين[٢٢٣].

---

(٢٢١) مولد الغيطي (٦/ ٢).

(٢٢٢) في نسخة القاضي نظائرها.

(٢٢٣) مولد الغيطي (٦/ ٢).

(فائدة) جرت العادة بأنه إذا ساق الوعاظ والمدّاح ما يتعلق بمولده ﷺ وذكر وضع أمه له قام الناس عند ذلك تعظيماً له ﷺ.

قال الحافظ الغيطي: وهذا القيام لا أصل له، ولكن لا بأس به للتعظيم، بل هو فعل حسن لمن غلب عليه الحب والإجلال لذلك النبي الكريم عليه أفضل الصلاة وأشرف التسليم، وما أحسن قول الإمام البليغ حسان زمانه يحي الصرصري الحنبلي في بعض قصائدة النبوية:

قليل لمدح المصطفى الخط بالذهب ... على فضة من خط أحسن من كتب
وأن تنهض الإشراف عند سماعه ... قياماً صفوفاً أو جثياً على الركب
أما الله تعظيماً له كاتب اسمه ... على عرشه يا رتبة سمت الرتب

وقد اتفق إنشاد هذه القصيدة في ختم درس شيخ الإسلام الإمام المجتهد تقي الدين علي السبكي والأعيان مجتمعون عنده، ولما وصل المنشد إلى قوله «وأن تنهض الأشراف عند سماعه» البيت، قام الشيخ في الحال قائماً على قدميه امتثالاً بقول الصرصري وقام الناس كلهم وحصلت خاتمة طيبة ذكره ولده تاج السبكي في ترجمته (٢٢٤).

من أرضعه ﷺ:

وَأَرضَعَتْهُ أَوَّلاً ثُوَيْبَة ... وَأرضعته بَعدَها حَليمَة

(وأرضعته) ﷺ (أولاً) هو أفعل التفضيل غير منصرف إذا جعلته صفة فتقول فعلته عاماً أول، وإذا لم تجعله صفة نونته، تقول فعلته أولاً. كذا في الصحاح. وينبغي أن يحمل الأولية في كلام الناظم على الإضافية أي بالنسبة لغير أمه حتى لا ينافي ما ذكره الحافظ الغيطي وغيره (٢٢٥): أرضعته أمه ﷺ سبعة

---

(٢٢٤) الطبقات الكبرى للسبكي (١٠/ ٢٠٨) وفي نسختي وفي نسخة القاضي ساعة طيبة.
(٢٢٥) مولد الغيطي (١٢/ ٢).

أيام ثم أرضعته (ثويبة) الأسلمية مولاة أبي لهب وعتيقته حين بشرته بولادته ﷺ أياماً حتى قدمت حليمة، وكانت ثويبة قبل ذلك مرضعة عمّه حمزة رضي الله عنه، وأرضعت أيضاً معه ﷺ أبا سلمة عبدالله بن عبد الأسد المخزومي بلبن ابنها مَسْروحٌ (٢٢٦). قال العز بن جماعة: واختلفوا في إسلامها. زاد الغيطي: وأثبته الحافظ ابن منده (٢٢٧). قلت: وهو الظاهر من أحوالها العلية، ويؤيده قول بعض الحفاظ أنه لم ترضعه مرضعة إلا أسلمت، قال: ومرضعاته أربع أمه ﷺ وثويبة وحليمة وأم أيمن انتهى.

وفي الشفاء وغيره: كان ﷺ يبعث من المدينة إلى ثويبة بصلة وكسوة حتى توفيت، وأنه ﷺ بسط لها رداءه الشريف لما جلست إليه (٢٢٨).

(فائدة) رئي أبو لهب في المنام بعد موته فقيل له ما حالك؟ فقال: في النار إلا أنه يخفف علي العذاب كل ليلة اثنين وأمُصُّ من بين إصبعي ماء بقدر هذا وأشار إلى [رأس] إبهامه، وأن ذلك بإعتاقي لثويبة لما بشّرتني بولادة ابن أخي محمد ﷺ وبجعلي إياها مرضعته (٢٢٩).

قال الشمس ابن الجوزي: فانظر إذا كان هذا حال أبي لهب الكافر الذي نزل بذمه القرآن جوزي بالنار بفرحة ليلة مولد المختار فما حال المسلم من أمته يسر بمولده ويبذل ما تحت قدرته في محبته؟ لعمري إنما يكون جزاؤه من الله الكريم أن يدخله بفضله العميم جنات النعيم. كذا في المواهب وغيره وأقرّوه.

---

(٢٢٦) أنظر الطبقات لابن سعد (١/ ١٠٨ - ١٠٩).

(٢٢٧) الذي قاله الحافظ ابن حجر في الإصابة (٧/ ٥٤٨) أن ابن منده قال: اختلف في إسلامها. وقال أبو نعيم: لا أعلم أحداً أثبت إسلامها، والذي يظهر من الحديث الذي رواه البخاري (٥١٠١) أن أبا لهب أعتقها قبل إرضاعها.

(٢٢٨) أنظر طبقات ابن سعد (١/ ١٠٨ - ١٠٩).

(٢٢٩) أنظر فتح الباري في شرح الحديث (٥١٠١) من صحيح البخاري.

زاد الغيطي : وما أحسن قول الحافظ الشمس محمد بن ناصر الدين الدمشقي في ذلك :

إذا كان هذا كافراً جاء ذمه ... وتبت يداه في الجحيم مخلدا
أتي أنه في يوم الإثنين دائماً ... يخفّف عنه للسرور بأحمد
فما الظن بالعبد الذي كان عمره ... بأحمد مسروراً ومات موحداً

قال فعلم أن الاعتناء بوقت مولده الشريف، وإظهار السرور [فيه] عمل المولد بقراءة القرآن، وإنشاد مدائحه ﷺ، وإطعام الطعام أمر حسن منيف يثاب عليه فاعله الثواب الجزيل بقصده الجميل، وإن كان عمل المولد المذكور حدث بعد السلف في القرون الثلاثة الفاضلة، فذلك بدعة حسنة عند من حقّق العلم وأتقنه (٢٣٠) ، ثم لا زال أهل الإسلام في جميع الأقطار يعتنون في شهر مولده

---

(٢٣٠) كتب الأستاذ صالح سعد السحيمي المدرس بكلية الحديث بالجامعة الإسلامية في المدينة المنورة مقالاً شيقاً في مجلة الجامعة الإسلامية العددان (٥٠ ـ ٥١) من السنة الثالثة عشرة (من ص ١٠٨ ـ ١١٨) ذكر فيها أن الاحتفال بالمولد النبوي لم يكن موجوداً عند المسلمين الأوائل، بل ولا في القرون المفضلة حتى جاءت الدولة الفاطمية والتي انتسبت إلى فاطمة ظلما وعدواناً، بل إن المحققين من المؤرخين يرون أنهم ينحدرون من أصل يهودي يقال لهم العبيديون، وهم أبناء ميمون بن ديصان المشهور بالقداح، قيل إنه يهودي، وقيل مجوسي، وقد استمرت دولتهم في مصر (٣٥٧ ـ ٤٦٧ هـ) وقد احتفل الفاطميون بأربعة موالد مولد النبي ﷺ وعلي بن أبي طالب وولديه الحسن والحسين رضي الله عنهم أجمعين.
فهم أول من أحدث ذلك كما ذكر المقريزي وغيره، وظلت هذه البدعة يعمل بها حتى جاء بدر الجمالي الوزير الأول للخليفة الفاطمي المستعلي بالله، وكان هذا الوزير شديد التمسك بالسنة، فأصدر أمراً بإلغاء هذه الموالد، وما أن مات بدر الجمالي حتى عادت البدعة من جديد.
واستمر الأمر على هذا الحال حتى جاء عهد صلاح الدين الأيوبي، وكان أيضاً من المتمسكين بالسنة، فألغى هذه الاحتفالات، وتم تنفيذ هذا الإلغاء في كل أنحاء الدولة الأيوبية، ولم يخالف في ذلك إلا الملك المظفر الذي كان متزوجاً من أخت صلاح الدين.
وقد ذكر المؤرخون أن احتفالات الملك المظفر بالمولد كان يحضرها المتصوفة حيث يكون

ﷺ خصوصاً في ليلة ميلاده بعمل المولد بما ذكر من أنواع الصدقات، وإظهارالسرور، ويعتنون أيضاً بقراءة ما صنف في المولد الشريف من الأخبار الثابتة، على أن ذلك ليس قيداً في استحباب المولد المذكور، وإنما هو زيادة في الأجور انتهى.

وقال الحافظ العسقلاني في عقب نقله لهذا: فرحم الله امرءاً اتخذ ليالي شهر مولده المبارك أعياداً، وليتجنب ما أحدثه الناس من البدع والتغني بالآلات المحرّمة عند عمل المولد.

= الاحتفال من الظهر إلى الفجر، وكان مما ينفق في هذا الاحتفال يزيد عى ثلاث مئة ألف دينار.

واستمرت بعد ذلك هذه الاحتفالات إلى يومنا هذا، بل توسعوا فيها حتى امتدت إلى الاحتفال بمولد كل عظيم في نظر العامة وإن كان من الملحدين بحجة أنه من الأولياء. إلى أن قال:

إن حقيقة الحفاوة بذكرى مولد الرسول عليه السلام تتركز في اتباع ما جاء به وإحياء سنته، وإن هذه الذكرى الطيبة ليست مؤقتة بزمن وليست محددة بشهر ربيع الأول، بلْ ينبغي أن نحييها ونحتفي بها في كل لحظة من لحظات حياتنا وفي كل بقعة حللنا بها، وذلك باتباع سنته والسير على نهجها وما أظن أن مسلماً يجهل أن الاحتفال بفكرة المولد النبوي أو غير ذلك من الموالد فكرة مبتدعة جاءتنا متأخرة، وفيها تشبه باليهود والنصارى الذين لا يعرفون من الدين إلا الاحتفالات على رأس السنة بعيد ميلاد المسيح عليه السلام أو غيره الذي دس عليهم وليس من دينهم، فنحن قد قلدناهم في هذا العمل كما قلدناهم في أمور كثيرة انتهى.

وأما كونها بدعة حسنة. فلس في الإسلام بدعة وهي حسنة لأن البدعة في الدين ما استحدث ولم تكن موجودة قط.

وحديث من سن سنة حسنة ومن سن سنة سيئة معناه من أحياها كما يظهر ذلك جلياً من سبب ورود الحديث. وتقسيم البدعة إلى أنواع غير صحيح.

وانظر مقدمة الطبعة الرابعة من كتاب فقه السيرة للأستاذ محمد الغزالي.

وانظر أيضاً رسالة « شعورنا في ذكرى مولد أفضل الخلق » التي أصدرها بيت التوحيد في حلب بتاريخ ١٢/ ٣/ ١٩٧٥).

ورسالة العلامة عبدالعزيز بن باز حول ذلك، والحاوي (١/ ٢٩٢ ـ ٣٠٥).

ولقد أطنب ابن الحاج المالكي في المدخل في الإنكار على ذلك فالله يثيبه انتهى (٢٣١) .

ومما جرّب كما قال الإمام الشمس ابن الجوزي من خواص عمل المولد المذكور: أنه أمان تام في ذلك العام وبشرى نبيل ما يبتغى ويرام، ولو لم يكن في ذلك إلاّ إرغام الشيطان، وسرور أهل الإيمان لكفاه فضلاً.

وإذا كان أهل الصليب اتخذوا مولد نبيهم عيداً أكبر فأهل الإسلام أولى بذلك (٢٣٢) .

قال الغيطي: وأكثر الناس عناية بذلك أهل مكة المكرمة المحروسة ثم أهل المدينة المنورة، ثم أهل مصر خصوصاً في السنين الماضية ثم غيرهم تقبّل الله تعالى منهم (٢٣٣) .

وقد كان للملك المظفر نور الله مرقده صاحب إربل، اهتمام عظيم بشأن المولد جاوز الغاية فيه، بحيث أثنى عليه بسببه الإمام العلامة أبو شامة.

وقال في مرآة الزمان: حكى بعض من حضر سماط المظفر في بعض المواليد أنه عد في ذلك السماط خمسة آلاف رأس غنم مشوي وعشرة آلاف دجاجة ومائة ألف زبدية وثلاثين ألف صحن حلوى.

وكان يحضر عنده في المولد أعيان العلماء والصوفية فيخلع عليهم ويطلق العطية، وكان يصرف على المولد في كل سنة ثلاثمائة ألف دينار.

وقال ابن خلكان: لما اجتاز الحافظ أبو الخطاب بن دحية بإربل ووجد ملكها

---

(٢٣١) أنظر المدخل (٢/ ٣ ـ ٣٥) لابن الحاج فإنه أفاد وأجاد.

(٢٣٢) هذا هو بيت القصيد، وظهر جلياً ما قاله الأستاذ السحيمي من أننا قلدنا أهل الصليب في ذلك.

(٢٣٣) مولد الغيطي (١١/ ٢).

المظفر يعتني بالمولد الشريف صنّف له كتاب «التنوير في مولد البشير النذير» وقرأه عليه بنفسه، فأجازه على ذلك بألف دينار فرحمها الله تعالى وأثابهما الجنة (٢٣٤).

وقد خرّج شيخ مشايخنا الحافظ أحمد بن حجر العسقلاني في فعل المولد المذكور على أصل ثابت معتبر، وهو ما في الصحيحين من أنه ﷺ قدم المدينة فوجد اليهود يصومون يوم عاشوراء فسألهم فقالوا: هذا يوم أغرق الله فيه فرعون، ونجى موسى عليه السلام فنحن نصومه شكراً لله تعالى فقال: «أنا أحق بموسى منكم» فصامه وأمر بصيامه (٢٣٥).

فيستفاد منه فعل الشكر على إسداء نعمة ودفع نقمة في يوم معين، ويعاد ذلك في نظير ذلك اليوم من كل سنة، والشكر يحصل بأنواع القربات، وأيّ نعمة أعظم من بروز هذا النبي الكريم نبي الرحمة ﷺ في ذلك اليوم انتهى كلام الغيطي (٢٣٦). قلت وقد ظهر لي تخريج عمل المولد على أصل آخر أوضح في

---

(٢٣٤) أنظر وفيات الأعيان (٣/ ٤٤٩).

(٢٣٥) رواه البخاري (٢٠٠٤ و ٣٣٩٧ و ٣٩٤٣ و ٤٦٨٠ و ٤٧٣٧) ومسلم (١١٣٠) وهذا يطابق ما سيأتي من أمره بصيام يوم الاثنين، وشرع الصوم بأمر رسول الله ﷺ الذي لا يشرع ولا يأمر إلا بوحي.

(٢٣٦) مولد الغيطي (١١/ ٢ - ١٢/ ١) وزاد وعلى هذا فينبغي أن يتحرى اليوم بعينه، فإن ولد ليلاً فليقع الشكر بما يناسب الليل كالإطعام، وإن كان ولد نهاراً وهو الأصح فبما يناسبه كالصيام والصدقة.

ولا بد أن يكون ذلك اليوم بعينه من عدد أيام ذلك الشهر بعينه حتى يطابق قصة موسى عليه السلام في يوم عاشوراء.

ومن لم يلاحظ ذلك لا يبالي بعمل المولد في أي يوم من الشهر، بل توسع قوم فنقلوه إلى يوم من السنة وفيه ما فيه انتهى.

قلت: بل أصبح اسم المولد للنذور والصدقات في أي يوم ومن أي شهر تراهم يقولون: اليوم في بيت فلان مولد. فهذه بدعة أقبح.

الدلالة على ذلك وهو ما رواه مسلم أنه ﷺ سئل عن صوم الإثنين فقال: « فيه ولدت وفيه أنزل عليّ النبوة » (٢٣٧) .

فقد نص الصادق ﷺ على أن الإثنين يعظّم بالصوم لكونه ولد فيه فيقاس به سائر العبادات من الصدقات وغيرها ، وإذا كان مطلق الاثنين تعظّم لمشاركتها في الاسم مع الإثنين الذي ولد فيه ﷺ ، وهو ثاني عشر ربيع الأول على الصحيح فكيف بنفس ذلك اليوم الذي ولد فيه ﷺ (٢٣٨) ؟ وقد خرّجه الحافظ السيوطي على أصل آخر يطول بذكره (٢٣٩) .

(وأرضعته) ﷺ (بعدها) أم كبشة (حليمة) بنت أبي ذؤيب السعدية نسبةً إلى سعد بن بكر ، ونسبت إليه مع أنه الجدُّ التاسع لأنه أشهر ، وبه عرفت القبيلة وزوجها منهم ، وأرضعت معه ﷺ ابن عمه أبا سفيان بن الحارث بن عبدالمطلب بلبن ابنها عبدالله أخ أنيسة وجذامة التي تسمى الشيماء بفتح الشين

---

(٢٣٧) رواه مسلم (١١٦٢) وتقدم في التعليق (١٦٤) وليس فيه كلمة النبوة كما تقدم.

(٢٣٨) وهذا الاستدلال ظاهر البطلان لوجوه كثيرة منها:
إن المطلوب في هذا اليوم هو الصوم اقتداء بالرسول ﷺ ، بينما نرى أصحاب تلك الموالد يخصصون ذلك اليوم الذي عينوه للأكل والشرب والطرب فضلاً عما أحدثوه من أذكار وهتافات لا نجد لها برهاناً ولا هدى ولا حجة صحيحة.
ثانياً: إن الذي أمر به النبي ﷺ هو صوم يوم الاثنين من كل أسبوع دائماً، ولم يقيد ذلك بسنة أو شهر أو أسبوع بعينه ، بينما هؤلاء يخصصون يوماً واحداً في السنة هو التاسع أو الثاني عشر من ربيع الأول على اختلاف بينهم حتى وإن لم يوافق هذا اليوم يوم الإثنين، وبذلك يتضح وجه مخالفتهم أمر النبي ﷺ .
ثالثاً: إن صيام يوم الإثنين له خصوصية أخرى إضافة إلى ما ذكر في هذا الحديث وذكر أنه تعرض فيه الأعمال على الله تعالى، فندب النبي ﷺ إلى صومه كي تعرض أعمال العبد على ربه وهو صائم، وذلك أحرى لقبولها.
قاله الأستاذ السحيمي.

(٢٣٩) هذا الأصل الذي بنى عليه السيوطي في الحاوي (١/ ٣٠٣) حديث أنس أن النبي عق عن نفسه بعد النبوة وهو حديث باطل انظر تلخيص الحبير (٤/ ١٤٧) لابن حجر الحافظ.

والياء بعدها، والثلاثة أولاد الحارث بن عبدالعزى بن رفاعة السعدي، وقد قيل إنه أسلم بمكة وجزم به الطبري، وكان عمه ﷺ حمزة مسترضعاً في بني سعد بن بكر، فأرضعت أمه رسول الله ﷺ يوماً عند حليمة، فصار حمزة رضيع النبي ﷺ من جهة ثويبة ومن جهة حليمة.

قال العز بن جماعة: واختلف في إسلام حليمة أيضاً.

وقال الغيطي: ذكرها جماعة في الصحابيات، وذكر الحافظ ابن سيد الناس في سيرته الكبرى أنها أسلمت، ثم قال: ومن الناس من ينكر إسلامها، قال بعضهم: والظاهر أنه أشار إلى شيخه الحافظ شرف الدين الدمياطي حيث قال: حليمة لا تعرف لها صحبة ولا إسلام.

قلت المثبت مقدم على النافي، وإسلامها هو الظاهر من أحوالها العلية لا سيما وفي إسلامها زيادة منقبة له ﷺ فرضي الله تعالى عنها.

وقد ألف الحافظ أبو سعيد علاء الدين مغلطاي جزءاً في إسلامها، وقال في سيرته: وصحح ابن حبان وغيره حديثاً دلّ على إسلامها (٢٤٠).

وأحاديث قدومها مكة مع نسوة يلتمسن الرضعاء ومعها أتانها وزوجها وما وقع لها في أخذها إياه ﷺ مذكورة في كتب الحفاظ.

وعاشت إلى أن قدمت على النبي ﷺ بمكة وقد تزوّج ﷺ خديجة رضي الله عنها فشكت إليه جدب البلاد فكلّمت خديجة لها فأعطاها أربعين شاةً وبعيراً وانصرفت إلى أهلها (٢٤١).

---

(٢٤٠) إلى هنا في مولد الغيطي (١/١٣) والحديث عند ابن حبان (٢٠٩٤) وانظر ما بعده.

(٢٤١) هو عند الطبراني (ج ٢٤ رقم ٥٤٥) وهو نفس حديث ابن حبان (٢٠٩٤) وانظر تعليقنا على المعجم الكبير.

قال الحافظ الغيطي: وقدمت على النبي ﷺ أيضاً يوم حنين فقام لها وبسط لها رداءه الشريف فجلست عليه وقضى ما طلبت، فلما توفي ﷺ قدمت على أبي بكر رضي الله عنه فصنع بها مثل ذلك.

قال وأما تجويز الذهبي أن القادمة عليه ثويبة مولاة أبي لهب فنظر فيه بأن ثويبة توفيت سنة سبع من الهجرة وحنين كانت في سنة ثمان انتهى (٢٤٢).

وقال الدمياطي: القادمة التي بسط لها رداءه هي الشيماء لا أمّها.

وفي كتاب الترقيص لأبي عبدالله محمد الأزدي أن من شعر حليمة مما كانت ترقص به النبي ﷺ:

يـا رب إذ أعطيتـه فـأبقـه   وأعلِـهِ إلى العُلى وأرقِـهِ

وادحض أباطيل العدى بحقه.

وكانت الشيماء أخته من الرضاعة ترقصه أيضاً بقولها:

هـذا أخ لي لم تلـده أمـي   وليس مـن نسـل أبي وعمـي

فديته من فحول معمّم.   انتهى

والشيماء هذه الأصح أنها بنت حليمة لا أختها، وهي صحابية، وكانت تحضنه ﷺ مع أمها، وهي التي قدمت عليه في وفد هوازن كما سيأتي إن شاء الله تعالى (٢٤٣).

---

(٢٤٢) مولد الغيطي (١٣/ ١ - ٢) في نسختي ونسخة القاضي وقضى حاجتها وهو الموافق لما في مولد الغيطي.

والذي رواه أبو داود (٥١٤٤) والبخاري في الأدب المفرد (١٢٩٥) والحاكم (٣/ ٦١٨ - ٦١٩) أن ذلك كان بالجعرانة، وفي سنده من لا يعرف، وهو من حديث أبي الطفيل عامر بن واثلة.

(٢٤٣) أنظر ترجمتها في الإصابة حيث لا تصح رواية من تلك الروايات.

(تنبيه) صرح العروضيون بأن هاء التأنيث المتحرك ما قبلها كما في نحو طلحة وظلمة لا تكون روياً للبيت، والروي حرف يبنى عليه القصيدة وتنسب إليه، فيقال قصيدة لامية أو رائية أو همزية أو نحوها، فإذا اشتمل البيت عليها وجب اعتبار ما قبلها لكونه روياً.

ففي كلام الناظم إذا لم يعتبر الهاء فما قبلها في الشطر الأول الباء في ثويبة وفي الثاني الميم في حليمة فلم يشتمل البيت على روي، ومثله كثير في ذات الشفاء، لا يقال: إن كل شطر بيت برأسه كما هو الأصح في مشطور الرجز، لأنا نقول: صرحوا أيضاً بأن المختار في الأراجيز المشطورة المزدوجة أن كل شطر[٢٤٤] من ذلك بيت على حدته، على أن الناظم صرّح آخراً في قوله «أبياتها جاءت ثوان كمّلا» بأن كل شطرين من ذات الشفاء بيت واحد، ويمكن أن يقال: إن بحر الرجز لكثرة استعماله في نظم العلوم قد توسعوا فجوزوا فيه جعل هاء التأنيث روياً، وإن لم يستعمله العرب، وقد كثر جعل ذلك روياً في كلام المتأخرين كالحافظ العراقي في ألفيته وكابن رسلان والغزي والسيوطي وغيرهم مع أنهم عارفون بالعروض وبقي كلام طويناه لضيق المقام.

وَثَمَّـةَ شُـقَّ صَـدْره وَبـانـا ... حـظ اللّعينِ وَمُلي إيمانـا

(وثمة) بفتح المثلثة أي عند حليمة (شق) بالبناء للمجهول للعلم بفاعله أي شق الملك (صدره) أولاً ثم شق قلبه كما في الأحاديث وقد ورد في الأحاديث المبينة في محالّها تكرار شق صدره الشريف أربع مرات، وقيل خمساً مبالغة في التطهير والتخليص من الأغبار ولم يحصل لأحد نظير ذلك ولا ما يقاربه، وذكرتها في منظومتي المسماة بنظم المحاسن فقلت[٢٤٥]:

---

(٢٤٤) في نسخة القاضي أن كل شطرين.

(٢٤٥) وعلقت على قوله في المنظومة المذكورة: قد شق قلبه مراراً الخ: شق صدره ﷺ وهو غلام رواه مسلم (١٦٢) والبيهقي (١/ ٣٥٠ - ٣٥١) من حديث أنس. ورواه أحمد =

قد شق قلبه مراراً أربعاً وقت الصبا وحين كان يانعا
وعند بعث وأسرى لربه وقيل خامس ولا تعبأ به

(وبانا) بألف الإطلاق أي خرج وانفصل منه (حظ) أي نصيب الشيطان (اللعين) أي المطرود من رحمة الله تعالى، وحظه قطعة دم مثل العلقة [٢٤٦] يطعن فيها بالصفات المذمومة من نحو الغل والحسد كما دلّت عليه الأحاديث، ولعلّ ذلك كان سبباً لإسلام قرينه كما رواه البزّار [٢٤٧]. (وملي) مجهول ملأ وخفف الهمزة بقلبها ياء وسكنت للوزن أي مليء صدره يعني قلبه الذي فيه (إيمانا) ونور حكمة ونبوة ورحمة للصغير ورأفة للكبير كما ورد ذلك في عدة أحاديث منها ما رواه أبو نعيم وأبو يعلى وابن عساكر عن شداد بن أوس عن رجل من بني عامر أن رسول الله ﷺ قال: «كنت مسترضعاً في بني سعد بن بكر، فبينا أنا ذات يوم مع أتراب من الصبيان إذا أنا برهط ثلاثة معهم طشت من ذهب

= (٤/ ١٨٤ - ١٨٥) والدارمي (١٣) والحاكم (٢/ ٦١٦) والبيهقي (١/ ٣٥٢ - ٣٥٣) من حديث عتبة بن عبد.
وحديث شق صدره وهو يافع ابن عشر حجج رواه عبدالله بن أحمد في زوائد المسند (٥/ ١٣٩) من حديث أبي بن كعب قال في مجمع الزوائد (٨/ ٢٢٣) رجاله ثقات وثقهم ابن حبان، ورواه أيضاً أبو نعيم في الدلائل (ص ١٧٥):
وشق صدره أول ما بدىء بالوحي رواه أبو داود الطيالسي (٢٣١٨) من حديث عائشة.
وشق صدره للإسراء رواه البخاري (٣٤٩ و ١٦٣٦ و ٣٣٤٢) ومسلم (١٦٣) وغيرهما من حديث أبي ذر.
وهو في الصحيح أيضاً من حديث أنس ومالك بن صعصعة.
قال الحافظ في الفتح (١/ ٤٦٠) وروي مرة أخرى خامسة ولا تثبت.
وفي نسختي وشق قلبه وهو مخالف لما في المنظومة التي فيها قد شق.

(٢٤٦) في نسختي ونسخة القاضي شبه العلقة.

(٢٤٧) حديث إسلام قرينه رواه مسلم (٢٨١٤) من حديث ابن مسعود و (٢١١٥) من حديث عائشة. ورواه البزار (٢٤٣٩) من حديث شريك بن طارق وهو عند الطبراني في الكبير (٧٢٢٢ و ٧٢٢٣) وابن حبان (٢١٠١).

مليء ثلجاً، فأخذوني من بين أصحابي وانطلق الصبيان هراباً مسرعين إلى الحي، فعمد أحدهم فأضجعني على الأرض إضجاعاً لطيفاً، ثم شق ما بين مفرق صدري إلى منتهى عانتي وأنا أنظر اليه لم أجد لذلك مسّاً، ثم أخرج أحشاء بطني، ثم غسلها بذلك الثلج فانعمّ غسلها بذلك الثلج، ثم أعادها مكانها، ثم قام الثاني فقال لصاحبه: تنح، ثم أدخل يده في جوفي وأخرج قلبي وأنا أنظر اليه، فصدعه ثم أخرج منه مضغة سوداء فرمى بها، ثم قال: أي أشار بيده يمنة ويسرة كأنَّه يتناول شيئاً، فإذا بخاتم من نور يحار الناظر دونه فختم به قلبي فامتلأ نوراً، وذلك نور النبوة والحكمة، ثم أعاده مكانه، فوجدت برد ذلك الخاتم في قلبي دهراً، ثم قال الثالث لصاحبه: تنح، فأمرَّ يده بين مفرق صدري إلى منتهى عانتي والتأم ذلك الشقّ بإذن الله تعالى، ثم أخذ بيدي فأنهضني من مكاني إنهاضاً لطيفاً .. الحديث (٢٤٨).

(فائدة) جميع ما ورد في الأحاديث من الشق وإخراج القلب وغيرهما من كل ما كان للرسول ﷺ يجب الإيمان به وإن كان خارقاً للعادة، ولا يجوز تأويله لصلاحية قدرته تعالى لذلك كما عليه أهل السنة. ثم في وضع الإيمان والحكمة في القلب دليل لما عليه أكثر أهل السنة أن محل العقل هو القلب كما دلت عليه الآيات لا الدّماغ.

حضانته وموت أبيه ﷺ

وَحَضَنَتْـهُ أمُّ أيمَـنْ بَـرَكَـة وَعَـنْ أبيـه انتَقَلَـتْ بـالمَلَكَـة

(وحضنته) من حضن الصبي حضناً وحضاناً وحضانةً بكسر أولها أي ربّاه أو وضعه في حضنه كاحتضنه، والمعنى وربّته ﷺ مع أمه وبعد موتها (أم أيمن) بسكون النون إجراء للوصل مجرى الوقف للوزن، واسم أم أيمن الفاضلة الجليلة

(٢٤٨) تقدم الكلام عليه في التعليق (١٥٢) وأنه حديث موضوع.

(بركة) الحبشية بنت ثعلبة بن حصن بن مالك، اشتهرت بكنيتها بابنها أيمن الحبشي (وعن أبيه) عبدالله (انتقلت) إليه ﷺ بعد موته (بالْمَلَكَة) بفتح الميم واللاّم بمعنى الرّق، ويقال طال مكلتُهُ أي رقه، يعني أنها كانت رقيقة لأبيه ﷺ، فورثها منه. فكأن الرّق سبب لانتقالها إليه ﷺ، وقيل كانت لأمه فورثها منها.

وَهِيَ الَّتي أعتَقَها لَمّا كَبُر   زَوَّجَها مَولاه زيداً فادَّكِر

(وهي) بسكون الهاء أي أم أيمن المذكورة (التي أعْتَقَها) فهي مولاته ﷺ (لما كبر) ﷺ، وهو بوزن فرِح بمعنى طعن في السن، وأمّا كَبُرْ ككرُم فهو نقيض صغر. (زوّجها مولاه) أي عتيقه (زيداً) بن حارثة فولدت له أسامة بن زيد فهي أم أسامة بن زيد هاجرت هجرتين إلى الحبشة وإلى المدينة، وكان ﷺ يقول: «أم أيمن أمّي بعد أمّي» (٢٤٩) وتوفيت رضي الله عنها بعد عمر رضي الله عنه بعشرين يوماً (فاذكر) أي تذكّر وأصله اذتكر قلبت التاء دالاً مهملةً. ثم قلبت الذال المعجمة إليها وأدغمت، وهو تتميم البيت.

فَإنَّهُ مُذْ ماتَ كان حَملا   وَقيلَ لَما ماتَ كانَ طِفلا

(فإنه) علّة لما فهم عما سبق من تقدم موت أبيه ﷺ، والضمير في أنه عائد إليه ﷺ. ويجوز عوده إلى أبيه.

[مُذ مات] أي حين موت أبيه بطيبة المنوّرة عند أخواله بني النجار لما رجع من الشام مع تجار قريش، وقد مضى من عمره نحو ثمان عشرة سنة كما صحح الحافظ صلاح الدين العلائي وأقره الحافظ السيوطي، ولكن جزم الغيطي نقلاً عن الحاكم بأنه لما مات كان ابن ثلاثين سنة (٢٥١)، وقيل مات بالأبواء بفتح الهمزة

(٢٤٩) أنظر الإصابة (٨/ ١٦٩) حيث أن شيخ ابن أبي خيثمة قال قال رسول الله ﷺ ذلك وبينه وبين الرسول مفاوز تنقطع فيها أعناق الإبل.

(٢٥٠) أنظر مولد الغيطي (٤/ ٢ - ٥/ ١).

محل قريب من رابع. [كان] ﷺ [حملاً] بفتح الحاء هو الولد في بطن أمه. وأمّا بكسرها فهو ما حمل على ظهر أو رأس وقد مضى عليه ﷺ حين موت أبيه شهران على الصحيح وقيل سبعة أشهر [وقيل لمّا مات] أبوه [كان] ﷺ [طفلاً] أي مولوداً في المهد، وهو مردود، وكأنه ذكره لقوة الخلاف عنده، وإلاّ فقد شرط في الديباجة أن ينظم على الصحيح من الخلاف فقط.

وخلف أبوه جاريته أم أيمن وخمسة جمال وقطعة غنم فورث ﷺ جميعها، ونقل الإمام أبو حيان في تفسيره [المسمى بالبحر] أن جعفر الصادق سئل: لم يتم ﷺ من أبويه؟ قال: لئلا يكون للمخلوق عليه منّة وزاد عليه، وليظهر أن العزيز من أعزّه الله تعالى وليس العزة بالآباء والأمهات، وليرحم الايتام والفقراء.

موت أمه ﷺ وكفالة جده ثم عمه أبي طالب:

وَماتَتْ أُمُّهُ وَقَدْ كَمُلَ لَهُ أَرْبَعُ أو سِتٌّ وَبَعدُ كَفلَه

[وماتت أمه] ﷺ بنقل حركة الهمزة إلى تاء التأنيث للوزن، وموتها بالابواء [المذكورة]، وقيل بالحجون. ويدلّ له خبر إحيائها له ﷺ عند عقبة الحجون حتى آمنت به في حجة الوداع كما مرّ تقريره(٢٥١). وفي القاموس دار رابعة بمكة مدفن آمنة أمه ﷺ انتهى. وقد عاشت نحو عشرين سنة كما ذكره السيوطي.

[وقد كمل له] ﷺ [أربع] سنين أو خمس [أو ست] أو سبع أو تسع أو اثنتا عشرة وشهراً، أو عشرة أيام أقوال حكيت في المواهب وغيره. وروى أبو نعيم بسند ضعيف من طريق الزهري عن أسماء بنت أبي رهم عن أمها قالت: شهدت آمنة أم النبي ﷺ في علّتها التي ماتت فيها ومحمد ﷺ غلام يقع له

(٢٥١) هو حديث موضوع والصحيح كما ورد في الصحيح أنها ماتت بالأبواء.

خمس سنين عند رأسها، فنظرت إلى وجهه ثم قالت:

بــارك فيــك الله مـــن غلام	يـا ابـن الذي مـن حـومـة الحمام
نجـا بعـون الملـك المِنعـام	فؤادي[٢٥٢] غداة الضرب بالسهـام
بمائـة مـــن إبـــل سـوام	إن صح مـا أبصرتُ في المنام
فـأنـت مبعـوث إلى الأنـام	مـن عنـد ذي الجلال والإكـرام
تبعـــث في الحـل وفي الحـرام	تبعـث بـالتخفيـف والإسلام
ديـن أبيـك البـر أبـراهـام	فـالله أنهاك عـن الأصنـام

أن لا تواليها مع الأقوام.

ثم قالت: كل حيّ ميت، وكل جديد بال، وأنا ميت وذكري باق، وقد تركت خيراً وولدت طهراً ثم ماتت فكنا نسمع نوح الجن عليها[٢٥٣]. وهذا يعضد ما بسطنا الكلام عليه سابقاً من نجاتها بل وإسلامها لأن هذا الكلام منها صريح في النهي من موالاة الأصنام مع الأقوام والاعتراف بدين ابراهيم عليه السلام، وببعث ولدها إلى الأنام من عند ذي الجلال والإكرام بالإسلام، ومن تأمل ما في الأخبار من إتيان البشارات إليها وقت حملها وولادتها ورؤيتها الأنوار وسماع أصوات الملائكة وغير ذلك من الآيات، جزم بإيمانها وتوحيدها لأن ما يترتب على البشارات إمّا في الدنيا وهي لم تعش، وإما في الآخرة فإذا لم تنج فيها فأي بشارة لها[٢٥٤]؟ (وبعد) بالضم أي بعد موت أمه (كفّله) أي تولّى أمره.

أبــو أبيــهِ ثُــمَّ مـاتَ وَهُــوَ ابْنُ ثمانٍ مع شَهْرَيْنِ سَـوا

(أبو أبيه) ﷺ وهو جده عبدالمطلب (ثم مات) جدّه وكافله عبدالمطلب

(٢٥٢) في نسخة القاضي فؤدّي.

(٢٥٣) لا شك في كذب هذه الرواية لأن رواتها المذكورين مجهولون فكيف بمن لم يذكر.

(٢٥٤) هذا باطل لأنه مبني على باطل.

(وهوا) بألف الإطلاق أي النبي ﷺ (ابن ثمان) سنين (مع شهرين سَوى) بالقصر للوزن أي كاملين وسواء في الأصل مصدر بمعنى مستو، ويستوي فيه التثنية وغيرها، وقيل: هو ابن تسع سنين وقيل عشر وقيل: ست ثم كفّله عمه شقيق أبيه أبو طالب بوصية عبدالمطلب له بذلك.

وصوله إلى بصرى وقول الراهب وغيره:

وَعِنْدَمَا صَارَ لَهُ اثْنَىٰ عَشْرا   مَعْ عَمِهِ راحَ لأرض بُصْرَىٰ
فَحِينَمَا أبْصَرَهُ بَحِيرا   أحْصَاهُ إذ كانَ بِهِ خَبيرا

(وعندما) مصدرية (صار) وتم (له) ﷺ من العمر (اثني عشرا) بسكون الشين وزيادة ألف الإطلاق، وتمييزه محذوف لدلالة السياق عليه وهو عاماً لا سنةً لتذكير اسم العدد ههنا، وعبارة الأكثرين: ولما بلغ ﷺ اثنتى عشرة سنة خرج مع عمه إلى الشام ويوافقه كلام الناظم، لكن عبارة أصله: اثنتى عشرة سنة (٢٥٥) وشهرين وعشرة أيام، ولا دلالة في كلام الناظم على هذه الزيادة، وقيل: سنه إذ ذاك تسع سنين حكاه العز بن جماعة (مع) بسكون العين (عمه) أبي طالب (راح) أي ذهب (لأرض) أي إلى أرض الشام حتى وصل (بُصرىٰ) بضم الباء من أرض الشام كما مرّ تفصيله، وقد مرّ أيضاً أن بقربها كنيسة بحيرا الراهب فرأى النبي ﷺ لما مرّ به (فحين ما) زائدة (أبصره) ورآه (بحيرا) بفتح الموحدة وكسر المهملة وسكون المثناة التحتية آخره راء مقصورة واسمه جرجيس كما في المواهب (أحصاه) أي ضبطه وعرفه بصفته (إذ كان) بحيرا قبل ذلك (به) ﷺ متعلق بقوله (خبيراً) أي عالماً به وبأوصافه المسطورة في الكتب.

---

(٢٥٥) في نسخة القاضي ولما بلغ اثنتا عشرة سنة.

فجـــاءه مُقبِّلاً منـــه اليَـــدا وَقـــال أهلاً بـــالنبي أحْمَـــدا
هٰذا رَسُـولُ اللهِ مُجلي الغُمَّـة يَبْعَثُـهُ للعـالَمينَ رَحْمـة

(فجاءه) أي جاء بحيرا إليه ﷺ فأخذ بيده حال كونه (مُقبِّلاً) اسم فاعل من التقبيل (منه) ﷺ أي مقبلاً بعض بدنه الشريف، وقوله (اليدا) بيان لذلك البعض أو بدل منه، وإنما أولته بالبعض ولم أجعل منه نعتاً مقدماً لليد لتصريحهم بأن النعت لا يتقدم على المنعوت ولو في الضرورة (وقال) بحيرا وهو أخذ بيده ﷺ (أهلاً) مفعول حذف عامله سماعاً والباء في قوله (بالنبي) ﷺ للتعدية متعلق بالعامل المحذوف نحو أوتي أو جيء والمعنى جيء بالنبي ﷺ أهلاً لا أجانب، أو مكاناً مأهولاً أي معموراً، (أحمدا) بألف الإطلاق بيان للنبي ثم قال بحيرا: (هذا) أي هذا الذي أخذت بيده سيد العالمين ، (رسول الله) في علمه تعالى إلى كافة الناس كما وجدناه في كتبنا، (مُجْلي) اسم فاعل أي كاشف (الغمة) بضم الغين المعجمة أي الكرب والشدة في الدنيا والآخرة (يبعثه) الله تعالى بعد ما مضى من عمره أربعون سنة (للعالمين) أي الإنس والجن اتفاقاً، وغيرهم على خلاف مرّ (رحمة) فهو رحمة للمؤمنين في الدنيا بالهداية وفي الآخرة بالنجاة، وللمنافقين بالأمان من القتل والسبي، وللكافرين بتأخير العذاب، ولسائر الحيوانات بأن يرزقهم الله تعالى بسببه، وقال ابن عباس رضي الله عنهما: هو رحمة للبر والفاجر، لأن كل نبي إذا كذّبه قومه أهلكهم الله تعالى و (نبينا) محمد ﷺ أخَرَ من كذّبه إلى الموت أو إلى يوم القيامة، وفي الشفاء: وحكي أنه ﷺ قال لجبرائيل عليه السلام: هل أصابك من هذه الرحمة شيء؟ فقال نعم كنت أخشى العاقبة فأمنت لما بعثت انتهى.

ولما أخبر بحيرا بأوصافه ﷺ المذكورة، قيل له: وما أعلمك بذلك؟ فقال:

يـا مَعْشَرَ العَرَبِ مُذْ أقْبَلْتُمْ رَقَبْتُكُـمْ إلى هنـا نَـزَلْتُـمْ
لم يَبق ما أبْصِرُه مـن حَجَـرْ إلاَّ يَخِـرُّ سـاجِـداً وَشَجَـرِ

وليس يسجدان إلا للنبي — وإننا نجده في الكتب
ثم نهاه عن دُخولِ الشامِ لا — تغتاله يهودها فيقتلا

(يا معشر العرب مذ) أي حين (أقبلتم) في مجيئكم وأشرفتم به ﷺ من العقبة، (رقبتكم) أي انتظرتكم (حتى) أي إلى أن (هنا) ظرف لقوله (نزلتم ولم يبق ما أبصره) بضم الهمزة وكسر الصاد، وقوله (من حجر) بيان ما، وقوله: (إلا يخرّ) أي خرّ أي سقط من علوٍ إلى أسفل حال كونه (ساجداً) مستثنى قبل تمام الكلام، لأن قوله: (وشجر) بالجر عطف على قوله حجر (وليس يسجدن) أي الشجر والحجر (إلاّ لنبي) بحذف إحدى اليائين للوزن، وإني أعرفه بخاتم النبوة عند غطروف كتفه مثل التفاحة، (وإننا نجده) كذلك في (الكتب) أي في كتبنا (ثم نهاه) أي نهى بحيرا النبي ﷺ (عن دخول الشام) أي بقية الشام سوى أرض بصرى، وسأل أبا طالب أن يردّه لأن (لا يغتاله) بالنصب بأن المقدرة مع لام الجر كما قدرته، أي تقتله بخداع، يقال اغتاله أي خدعه، فذهب إلى موضع فقتله، لكن المراد هنا مجرد الخداع والاحتيال لقوله الآتي: فيقتلا والمعنى: لأن لا تحتال عليه (يهودها) أي يهود الشام (فيقتلا) بالنصب مع ألف الإطلاق، أي فأن يقتلا، وما ذكره الناظم: رواية ابن أبي شيبة مع بعض زيادات ألحقتها به، وروى جماعة على شرط الشيخين[٢٥٦] عن أبي موسى الأشعري رضي الله عنه: أن أبا طالب خرج به ﷺ إلى الشام في أشياخ من قريش فمرّوا ببحيرا، فخرج إليهم على خلاف عادته، فجعل يتخللهم حتى أخذ بيد رسول الله ﷺ فقال: هذا سيّد العالمين، زاد البيهقي: ورسول رب العالمين، هذا يبعثه الله تعالى رحمةً للعالمين، فقالوا: وما أعلمك؟ قال: إنكم حين أشرفتم من الثنية لم يبق شجر ولا حجر إلاّ خرّ ساجداً، ولا يسجدان إلاّ لنبي، وإني أعرفه بخاتم النبوة في أسفل غطروف كتفه، ثم رجع فصنع لهم طعاماً، فلما

(٢٥٦) في نسختي وفي نسخة القاضي على شرط الصحيحين.

أتاهم به كان ﷺ في رعية الإبل فقال: أرسلوا إليه، أقبل وعليه غمامة تظلّه، فلما دنا من القوم[٢٥٧] وجدهم قد سبقوا إلى فيء الشجرة فلما جلس ﷺ، مال فيء الشجرة إليه، (فقال: انظروا إلى فيء الشجرة مال إليه) الحديث، قال الأئمة هذا الحديث إما أن يكون تلقّاه أبو موسى عنه ﷺ فيكون أبلغ، أو عن بعض كبار الصحابة، أو [كان] مشهوراً بطريق الاستفاضة وخرّج الترمذي وحسّنه، والحاكم وصحّحه[٢٥٨]، أن في هذه السفرة أقبل سبعة من الروم يقصدون قتله ﷺ، فاستقبلهم بحيرا فقال: ما جاء بكم، قالوا: إنّ هذا النبي خارج في هذا الشهر فلم يبق طريق إلاّ بعث إليها بإناس، فقال: أفرأيتم أمراً أراد الله أن يقضيه هل يستطيع أحد أن يردّه؟ فقالوا: لا، قال: فبايعوه، فأقاموا معه، فردّه أبو طالب وبعث معه أبو بكر بلالاً[٢٥٩]، فقال البيهقي: هذه القصة مشهورة عند أهل المغازي، انتهى[٢٦٠]. وضعف الذهبي الحديث لقوله في آخره: وبعث معه أبو بكر بلالاً، فإن أبا بكر إذ ذاك لم يكن شاهداً ولا اشترى بلالاً.

وقال الحافظ ابن حجر العسقلاني: الحديث رجاله ثقات وليس فيه منكر سوى هذه اللفظة، فيحمل على أنها مدرجة في بعض روايته وهماً.

تنبيهات، أولها ذكر الحافظ ابن منده وأبو نعيم: أن بحيرا كان من الصحابة[٢٦١] وهو مبني على أن الشرط في الصحابي رؤيته ﷺ، والإيمان به، ولو قبل البعثة.

ثانيها: من أنكر تقديم المعجزة على زمان دعوى النبوة كأكثر أهل الأصول

---

(٢٥٧) في نسخة القاضي إلى القوم.

(٢٥٨) تقدم الكلام عليه في التعليق (٥٣) وأنه لا ذكر في الحديث لاسم بحيرا ولا ذكر تقبيل اليد ولا بعض البدن.

(٢٥٩) هذه الزيادة منكرة في الحديث والصواب بعث معه رجلاً كما في رواية البزار.

(٢٦٠) دلائل النبوة (١/ ٣٧٢) للبيهقي.

(٢٦١) أنظر الإصابة (١/ ٢٢) حيث إن الذي ذكره ابن منده غير هذا.

جعل ما وقع قبله من الخوارق كالشقّ وتظليل الغمامة وسجود الحجر والشجر، إرهاصاً وتأسيساً للنبوة لا معجزةً.

ثالثها: ما صح عن بحيرا أن الشجر والحجر لا يسجدان إلاّ لنبي أي لا لوليّ وغيره، يؤيد قول الإمام العارف القشيري ومن تبعه بتخصيص عموم قول الأئمة: ما جاز أن تكون معجزة لنبي جاز أن تكون كرامةً لوليّ، لا فارق بينهما إلاّ التحدي، وقد بسطت الكلام على ذلك في حواشي شرح الهمزية (خروجه ﷺ إلى بصرى ثاني مرة بتجارة خديجة مع غلامها ميسرة).

ثم لبصرىٰ رَاحَ ثَـــانِي مَــرَّةْ بِمَتْجَرٍ وَكَـان مَـعَ مَيْسَـرة

(ثم) لما بلغ [عمره] ﷺ خمساً وعشرين سنةً (لبصرى راح) أي ذهب إلى بصرى المذكورة ذهاباً (ثاني مرة) أي ثانياً من المرّة، والمرة الفعلة الواحدة، فيكون ثاني نعتاً لمصدر محذوف، وإسكان يائه للوزن، وحقه الفتح، ويجوز جعله حالاً من المستتر في راح، أي حال كونه ﷺ ثاني مرة، أي ثانياً في مرّته وفعلته، وهي رواحه إلى بصرى، وأخرج ابن منده بسند ضعيف عن ابن عباس رضي الله عنهما: أن أبا بكر الصديق رضي الله عنه صحب النبي ﷺ وهو ابن ثماني عشرة سنة، والنبي ﷺ ابن عشرين، وهم يريدون الشام في تجارة، حتى نزلا منزلاً فيه سدرة فقعد في ظلّها ومضى أبو بكر إلى راهب يقال له: بحيرا يسأله عن شيء فقال له: مَن الرجل الذي في ظل الشجرة؟ فقال: محمد بن عبدالله ابن عبدالمطلب، قال: والله هذا نبيّ ما استظل تحتها بعد عيسى إلاّ محمد ﷺ، ووقع ذلك في قلب أبي بكر، فلما بعث ﷺ آمن به قبل غيره، قال أبو الفضل الحافظ ابن حجر في الإصابة: إن صحت هذه القصة فهي سفرة أخرى بعد سفرة أبي طالب. انتهى.

قلت فعلى صحتها يكون ما سمّاه الناظم كغيره ثاني مرة، ثالث مرة، (بمتجر) بفتح الميم والجيم بينهما تاء ساكنة، مصدر ميمي بمعنى التجارة، وهي

البيع والشراء للربح، وعبارة أصله كغير: خرج مرة ثانية إلى الشام في تجارة لخديجة، فيمكن جعل الباء في كلام الناظم بمعنى في كما في قوله تعالى: ﴿ونجيناهم بسحر﴾ الجار والمجرور حالاً من ضمير راح أي راغباً في تجارة لها، لكن لا وجه حينئذ للعدول عن في إلى الباء لصحة الوزن معه أيضاً، فهي للسببية أو للمصاحبة أي بقصد تجارة أو معه، (وكان) ﷺ (مع) بسكون العين على ما مرّ (ميسرة) وهي في الأصل مثلثة السين بمعنى السهولة والغنى.

عَبدِ خَدِيجَةَ قُبَيلَ تَنْكِحُهُ بما لها يَربحها تَربحُهُ

ثم جعل علماً (عبد) بالجر بيان لميسرة (خديجة) بالدال المهملة، ووهم بعض العوام في تصحيفها (قبيل) تصغير قبل لتقليل المدة ظرف لراح، أو لمتجر، أو لكان، (تنكحه) ﷺ وهو مضاف إليه بتأويله بالاسم، أي قبيل نكاحها إياه (بمالها) متعلق بمتجر، أو حال، أي ملتبساً بمال خديجة، أو متعلق بربحها المقدر أو المؤخر (بربحها) الظاهر أنه من باب علم على الحذف والإيصال أي بربح لها (و) هي أيضاً (تربحه) أي يريد كل منهما الربح للآخر ولو استعمل: أربحه في باب الإفعال على معنى أعطاه الربح، أو حصل له الربح، أو أفاده له لم يحتج إلى الحذف والإيصال.

وأصل ذلك ما رواه ابن السعد في طبقاته(٢٦٢) قال: لما بلغ ﷺ: خمساً وعشرين سنة قال له أبو طالب: أنا رجل لا مال لي، وقد اشتدّ الزمان علينا، وهذه عير قومك قد حضر خروجها إلى الشام، وخديجة بنت خويلد، تبعث رجالاً من قومك في عيرها، فلو جئتها وعرضت نفسك عليها لأسرعت إليك، وبلغ ذلك خديجة، فأرسلت إليه وقالت: أنا أعطيك ضعف ما أعطي رجلاً من

---

(٢٦٢) رواه ابن سعد (١/ ١٢٩ - ١٣١) ومن طريقه أبو نعيم في الدلائل (١/ ٢١٩ - ٢٢٢) وفيه محمد بن عمر الواقدي وهو متروك كذبه بعضهم. وموسى بن شيبة قال الحافظ لين الحديث. ولم أر ترجمة لعميرة بنت عبدالله أبو عبيدالله.

قومك، وفي رواية: أتاها أبو طالب فقال: هل لك أن تستأجري محمداً، فقد بلغنا أنك استأجرت فلاناً ببكرين، ولسنا نرضى لمحمد دون أربع بكرات، فقالت: لو سألت ذلك لـ [حبيب] قريب فعلنا، فكيف وقد سألت لحبيب، قال أبو طالب هذا رزق ساقه الله إليك، فخرج مع غلامها ميسرة حتى قدما بصرى في أرض الشام فنزلا في ظل شجرة. الحديث. وإليه أشار الناظم بقوله:

لما أتى نزل تحت الشجرة بِالقُرْب مِنْ صَوْمَعَةِ المُنَصَّرَة
فقال راهب بِهـا مَـا يَنـزِلُ أي هٰهُنـا إلا نَبِـيٌّ مُـرْسَـلُ

(لما أتى) ﷺ (نزل تحت) ظل (شجرة) وهي شجرة السدر على ما في رواية (بالقرب) أي بموضع قريب (من صومعة) بفتح فسكون ففتح، بيت للنصارى كما في القاموس: (منصّرة) اسم مفعول من باب التفضيل بمعنى منسوبة إلى النصارى، صفة كاشفة له (فقال راهب) وهو مشهور بين أهل الشام اسمه نسطورا بضم النون وفتحها، والراهب في اللغة بمعنى الخائف غلب على الواحد من رهبان النصارى، ومصدره الرهبة والرهبانية، وفي الحديث: (لا رهبانية في الإسلام) (٢٦٣) وكان النصارى يترهبون بالتخلي من أشغال الدنيا وترك ملاذّها والزهد فيها والعزلة عن أهلها، وتعمد مشاقّها، حتى أن منهم من كان يختص ويضع السلسلة في عنقه، ويلبس المسوح، ولا يأكل اللحم وغير ذلك، فنفاه النبي ﷺ عن الإسلام ونهى المسلمين عنها. (بها) أي في تلك الصومعة (ما ينزل، أي ههنا) تفسير للمكان الذي نزل فيه، وهو إشارة إلى تحت الشجرة (إلاّ نبي مرسلّ) ولفظ الحديث كما في رواية ابن سعد وأبي نعيم وغيرها، قال نسطور الراهب:

ما نزل تحت ظل هذه الشجرة قطُّ إلاّ نبي، وقال السهيلي: يريد ما نزل تحتها هذه الساعة إلا نبيّ، ولم يرد: ما نزل تحتها أحدٌ إلاّ نبيّ، لبعد العهد بالأنبياء،

(٢٦٣) قال الحافظ ابن حجر في الفتح (٩/ ١١١): لم أره بهذا اللفظ.

والشجرة لا تعمّر في العادة هذا العمر الطويل، إلا إن صحّت رواية من قال: لم ينزل تحتها أحد بعد عيسى عليه السلام، والشجرة على هذا مختصة بهذا العمر، انتهى.

ولو قال الناظم (فقال راهب بها ما نزل في ظلها إلاّ نبيّ مرسلا) لكان أوضح وأوقفَ للفظ الحديث، ثم قال الراهب لميسرة: أفي عينيه حمرة؟ قال: نعم، قال لا تفارقه هو نبيّ وهو آخر الأنبياء، وكان ميسرة يرى في الهاجرة ملكين يظلاَّن رسول الله ﷺ، فاشتدّ حبه لرسول الله ﷺ.

ثم باعوا تجارتهم وربحوا ضعف ما كان يربحون، فلما رجعوا وكانوا بمرّ الظهران، تقدم ﷺ وأخبر خديجة بالربح، ثم قدم ميسرة فأخبرها بذلك أيضاً، وبما قال الراهب وبما شاهد منه ﷺ في تظليل الملكين، وإلى الأخير أشار الناظم بقوله:

وكانَ مِنْ قَوْلِ الغُلامِ المَيْسَرَة　　كان لدى الحَرِّ وَعِنْدَ الهاجِرَة
ينزل من يظله شخصان　　صَدَّقَ من مَلائِكِ الرَّحْمٰنِ

(وكان في قول الغلام) أي حكاية لخديجة وغيرها (ميسرة) بيان للغلام (كان) الشأن (لدى الحرّ) أي عنده (وعند الهاجرة) وهي شدة الحر أو نصف النهار عند زوال الشمس لأن الناس يسكنون في بيوتهم فيه، فكأنهم تهاجروا في ذلك الوقت (فسمي الوقت) هاجرة توسعاً (ينزل) من السماء (مِن) يستوي فيه الواحد والمثنى والجمع وغيرها (يظله) ﷺ أي يُلقي ظله (عليه) وهو من باب الإفعال صلة من، وقوله (شخصان) بدل من الموصول والشخص سواد تراه من بعد أعمّ من أن يكون لإنسان أو غيره (صدق) ميسرة، وهي جملة معترضة في كلام الناظم (من ملائك الرحمٰن) بيان لقوله شخصان من تتمة كلام ميسرة كما يشعر به عبارة أصله، وكان ميسرة يقول: إذا كانت الهاجرة واشتدّ الحرّ نزل ملكان يظلان، انتهت.

ويحتمل أن يكون من كلام الناظم أيضاً، وأن ميسرة إنما علم أنهما شخصان لا ملكان فتأمله.

وروى أبو نعيم: أنهم لما رجعوا إلى مكة في ساعة الظهيرة وخديجة في علية لها، رأت رسول الله ﷺ وهو على بعير وملكان يظلان عليه، فأرت خديجة ذلك نساءً عندها، فعجبن من ذلك.

زواجه ﷺ بخديجة، وبنيان الكعبة:

وَعِنـدَمـا رَدَّ تَـزَوَّجَـتْ بِـهِ وَعُمْرُهُ خَمسٌ وَعِشْرُونَ وَهِي

[وعندما] مصدرية [ردّ] ﷺ تجارة خديجة بربحها وأخبرها ميسرة بجميع ما رأى منه ﷺ أدركت بقوة ذكائها وكمال تفرّسها أنه ﷺ كنز سعادة الدنيا والآخرة لها، ومن ثم نالت من الفضل والسبق ما لم تنله امرأة في هذه الأمة، إذ هي على الأصح أفضل أمهات المؤمنين وكانت رضي الله عنها ذات شرف ظاهر ومال وافر وحسب فاخر، وكانت تدعى في الجاهلية بالطاهرة، فعرضت نفسها عليه، فقالت: يا ابن عمي إني رغبت في نكاحك لما رأيته وعلمته[٢٦٤] منك، وكانت تزوجت قبله ﷺ برجلين يأتي ذكرهما في بحث زوجاته ﷺ، فذكر ﷺ ذلك لأعمامه، فخرج منهم حمزة رضي الله عنه معه ﷺ، حتى دخل على أبيها خويلد بن أسد بن عبدالعزى بن قصي بن كلاب فخطبها له، فأجاب. فتزوجها ﷺ. وأصدقها عشرين بكرة بعدما مضى من رجوعه من سفر التجارة ثلاثة أشهر كما قاله الغيطي. أو إلا خمسة أيام كما في المواهب. وحضر هناك أبو بكر ورؤساء مضر، فخطب أبو طالب فقال كما في المواهب وغيره: [الحمد لله الذي جعلنا من ذرية إبراهيم وزرع إسماعيل وضئضىء معدّ وعنصر مضر وجعلنا حضنة بيته وسواس حرمه، وجعل لنا بيتاً محجوجاً وحرماً آمناً، فجعلنا[٢٦٥] الحكام على الناس، ثم إن ابن أخي هذا محمد بن عبدالله لا يوزن

(٢٦٥) في نسختي وجعلنا.

برجل إلا رجّح به، فإذا كان[٢٦٦] في المال قلّ فإن المال ظل زائل، ومحمد من قد عرفتم قرابته وقد خطب خديجة بنت خويلد. وبذل لها من الصداق ما آجله وعاجله من مالي كذا، وهو والله بعد هذا له بناء عظيم وخطر جليل، فزوجها أبوها منه] وذكر الدولابي وغيره: أنه ﷺ أصدقها ثنتي عشرة أوقية ذهباً ونصف أوقية، قالوا: وكانت كل أوقية [إذ ذاك] أربعون درهماً.

وإنما قال الناظم: [تزوجت به] فنسب التزويج إليها، لأنها الداعية والباعثة على ذلك كما عرفت، [وعمره] ﷺ [خمس وعشرون] سنة على الأشهر وقيل: إحدى وعشرون، وقيل: ثلاثون، [وهي] بإسكان الياء، أي خديجة.

أَسَنُّ كانَت بَرةً ومحسنة وعند خمس وثلاثين سنة
بنت قريش البيت عند مشهَدِة ووضع الحجر فيها بيده

[أسنّ] أفعل التفضيل، أي هي أكبر منه ﷺ سناً بالكسر وهو مقدار العمر، [كانت برّةً] بفتح الباء فسره بقوله: [مُحسِنة] متصدِقة ذات شرف وحسب ومال، وتسمى في الجاهلية بالطاهرة كما مر. وعمرها حين التزوج أربعون سنةً على الأشهر.

[وعند] [خمس وعشرين] كما صحّحه النووي في الإيضاح[٢٦٧] وقيل: [خمس وثلاثين سنة] من عمره ﷺ [بنت] من البناء [قريش] بحذف التنوين للوزن أي قبيلة قريش، وقد مرّ أن قريشاً اسم فهر بن مالك وإليه تنسب قريش فمن فوقه. فكنانيٌّ لا قريشي على الأصح، [البيت] أي الكعبة المعظمة، وهو مفعول لقوله بنت. وذلك لأن بابها كان ملصقاً بالأرض، وكانت السيول تدخله فانصدع، وسرق طيب الكعبة فخافوا أن تهدمها السيول، فأمروا بأقوم

---

(٢٦٦) في نسختي فإن كان.

(٢٦٧) الإيضاح (ص ٢٠٩) مع حاشية ابن حجر الهيثمي.

النجار القبطي أن يبني البيت الشريف، وكان ذلك [عند مشهده] بفتح الميم والهاء، مصدر ميمي، أي عند حضوره ﷺ، وكان ينقل معهم الحجارة للبناء، فلما وصلوا في البناء إلى الموضع الذي يوضع فيه الحجر الأسود اختلفوا وقالت كل قبيلة: نحن أحق بوضعه حتى همّوا بالقتال، ثم اتفقوا على أن يجعلوا أول من يدخل المسجد من باب بني شيبة حاكماً يقضي بينهم، وكان ﷺ أول داخل، فلما رأوه قالوا: هذا الأمين قد رضينا بقضائه، وكانوا يَدْعونه قبل النبوة الأمين، فأخبروه بذلك فوضع ﷺ رداءه وبسط على الأرض ثم وضع الحجر فيه وأمر رئيس كل قبيلة أن يأخذوا بطرف الرداء ثم يرفعوه ففعلوا ذلك إلى أن بلغوا به موضعه فأخذه ﷺ ووضعه في موضعه بيده الكريمة وإلى ذلك أشار الناظم بقوله [ووضع الحجر] الأسود الذي نزل من الجنة وهو أشد بياضاً من اللبن فسودته خطايا بني آدم كما صحّ به الحديث [فيها] أي البيت وتأنيث الضمير باعتبار الكعبة [بيده] الكريمة ﷺ.

فائدة ـ ورد أن أول من بنى الكعبة الملائكة ثم آدم عليه السلام ثم بنوه ثم ابراهيم عليه السلام بعد أن وقعت زمن الطوفان فكان جبريل يعلمه معالمها حتى بناها فجعل عرضها في الأرض اثنين وثلاثين ذراعاً من الحجر الاسود إلى الركن الذي يلي الباب، وجعل عرض ما بين الركنين الشاميين اثنين وعشرين، وما بين الغربي واليماني إحدى وثلاثين، وما بين اليمانيين عشرين وجعل طوله في السماء تسعة أذرع، وجعل الحِجر بكسر الحاء إلى جنبها عريشاً من أراك تقتحمه الغنم، فكان موضعاً لغنم إسماعيل عليه السلام، ولم يسقفها ابراهيم عليه السلام، ثم بناها قصيّ بن كلاب وسقفها بجريد النخل وغيره، ثم العمالقة، ثم جرهم، ثم قريش ورسول الله ﷺ إذ ذاك ابن خمس وعشرين سنة على الأصح كما مر تقريره، فزادوا في طولها في السماء تسعة أذرع ونقصوا من عرضها في الأرض ستة أذرع وشبراً تركوها في الحجر ورفعوا بابها حتى لا يدخلها إلا من أرادوه، ثم بناها عبدالله بن الزبير رضي الله عنهما فهدمها وبناها على قواعد ابراهيم عليه السلام

وجعل بابها الشرقي لاصقاً بالأرض، وفتح بابها الغربي، وزاد طولها في السماء تسعة أذرع أخرى فصار سبعة وعشرين، ثم الحجاج ولم يهدم من بناء عبدالله بن الزبير إلا ناصية الحجر وأخرج منها ما كان أدخله ابن الزبير رضي الله عنه وترك بقيتها على بنائه، وهذا البناء هو الموجود اليوم.

قال الحافظ والذي صح من هذه المرات العشر بناء ابراهيم عليه السلام وقريش وابن الزبير رضي الله تعالى عنه والحجاج.

مبعثه ﷺ :

وعندما بلغ أربعينا بعث للأنام أجمعينا

[وعندما] مصدرية [بلغ] ﷺ [أربعينا] بألف الإطلاق أي أربعين سنة كاملة، كما حكاه الغيطي وغيره. وقيل: وأربعين يوماً، وقيل: وعشرة أيام، وقيل: وشهرين، [بعث] ﷺ يوم الإثنين كما نص عليه حديث مسلم لسبع عشرة خلت من شهر رمضان، وقيل: لسبع، وقيل: لأربع وعشرين ليلة.

وقال ابن عبدالبر: بعث يوم الإثنين لثمان من شهر ربيع الأول سنة إحدى وأربعين من الفيل، وقيل: في أول شهر ربيع الأول، وقيل: في السابع والعشرين من رجب.

قال الحافظ الغيطي وغيره: وجمع بين القول بأنه بعث في شهر ربيع الأول، والقول: بأنه في شهر رمضان، بأن ابتداء نزول جبرائيل بالوحي كان على رأس الأربعين في شهر ربيع الأول مناماً [لئلا يفجئه الملك بصريح النبوة بغتة فلا يتحملها القوى البشرية] وكأن ابتداء الوحي الرؤيا الصالحة الصادقة التي جاءت مثل فلق الصبح كما في صحيح البخاري، ثم نزل عليه الوحي يقظةً بعد ستة أشهر مدة الرؤيا الصادقة في شهر رمضان انتهى. وسكت عن حكاية القول في رجب وحكاه غير واحد [للأنام] أي الخلق [أجمعينا] إما إلى كافة الثقلين فبالإجماع.

وإما إلى سائر الخلق فعند بعض المحققين كما سبق، ويؤيده حديث مسلم [وأرسلت إلى الخلق كافة].

تنبيه: اختلفوا في أن الرسالة والنبوة في زمان واحد (وهو) وقت بلوغه أربعين أو في زمانين، وظاهر كلام الناظم والأكثرين هو الأول.

وروى الإمام أحمد في تأريخه بسند صحيح، ويعقوب بن سفيان عن عامر الشعبي، أنزلت عليه النبوة وهو ابن أربعين سنة، فقرن بنبوته إسرافيل ثلاث سنين، فكان يعلمه الكلمة أو الشيء، ولم ينزل عليه القرآن على لسانه، فلما مضت ثلاث سنين قرن بنبوته جبرائيل فنزل عليه القرآن على لسانه عشرين سنة (٢٦٨).

وكذا رواه ابن سعد والبيهقي (٢٦٩)، فظهر من أن نبوته ﷺ كانت متقدمة على رسالته، كما صرح به أبو عمرو وغيره، حكاه أبو أمامة ابن النقاش.

قال الغيطي وغيره: وعليه يحمل قول صاحب جامع الأصول: الصحيح عند أهل العلم بالأثر أنه ﷺ بعث على رأس ثلاث وأربعين سنة انتهى (٢٧٠).

قالوا: فكان في نزول اقرأ أولاً نبوته، وفي نزول سورة المدّثر بعد فترة الوحي ثلاث سنين، فيما جزم به ابن إسحاق رسالته بالإنزال والتَّبْشير والتشريع، وأخذ من مرسل الشعبي الذي رواه الإمام أحمد: أن اجتماع إسرافيل به ﷺ كان في مدة فترة الوحي ليؤنسه ويقويه على تحمل أثقال ما سينزل عليه ﷺ، ولكن أنكر الواقدي ذلك، واعتمده بعضهم، فقال إنه لم يقرن به من الملائكة إلا جبرائيل واستند إلى أحاديث صحيحة وحسنة، تدل على أن إسرافيل لم ينزل عليه في أول النبوة وإنما نزل عليه بعد ذلك في أشياء خاصّة.

---

(٢٦٨) أورده ابن كثير في السيرة (١/ ٣٨٨) عن الإمام أحمد ثم قال: فهذا إسناد صحيح إلى الشعبي، وانظر الفتح (١/ ٢٧) وهو مرسل والمرسل من أقسام الضعيف.

(٢٦٩) رواه ابن سعد (١/ ١٩١) والبيهقي في الدلائل (١/ ٣٩١).

(٢٧٠) مولد الغيطي (١٤/ ٢).

وقال العلامة الحلبي في سيرته، وردّ بعضهم تأخر الرسالة عن النبوة بمدة فترة الوحي، وهي ثلاثة أعوام، بأنه ورد أنه كان في زمن فترة الوحي، يدعو إلى دين الإسلام، وكيف يدعو من لم يرسل إليه، انتهى.

وفي التحفة السنية: وعلى هذا فنبوته ورسالته في آن واحد، وهو الذي سمعنا تصحيحه من مشايخنا انتهى.

فَجـاءَهُ جِبريـلُ في غَـارِ حِـرا   قـالَ لَـهُ اقـرَأْ ثُـمَّ غَـطَّ فَقَـرا

(فجاءه) الفاء لتفصيل البعث المجمل قبله، لا للتعقيب، ومثله: الفاء في قولهم: توضأ فغسل وجهه ويديه ومسح رأسه وغسل قدميه، أي جاء إليه ﷺ بالوحي (جبريل) بكسر الجيم لغة في جبرائيل بوزن عندليب، وهو أمين الوحي وصاحب السر المخصوص بالرسالة إلى الأنبياء والرسل، والقائم بخدمتهم وتربيتهم، ومن ثم قيل: إنه أفضل من جميع الملائكة، وأخرج ابن أبي حاتم عن عطاء بن سائب قال: أول من يحاسب جبرائيل لأنه كان أمين الله على رسله، وقيل: إن اسرافيل أفضل لأنه صاحب سرّ الخلائق أجمعين، إذ اللوح المحفوظ في جهته لا يطلع عليه غيره، وجبرائيل وغيره إنما يتلقون ما فيه عنه، وهو صاحب الصور القائم ملتقماً له ينتظر الساعة والأمر به لينفخ فيه.

قال الشهابُ ابن حجر: والخلاف قوي لتعارض الأدلة، (في غار حرا) والإضافة فيه بمعنى في، أي في غار في جبل حراء، في القاموس: وحراء ككتاب وكَعَلَى عن عياض يونث ويمنع جبل بمكة فيه غار، تحنث أي تعبد فيه النبي ﷺ انتهى.

فعليه ينبغي أن يقرأ في النظم حَرا بالفتح والقصر حتى لا يحتاج إلى ارتكاب قصر الممدود للضرورة، ولكن في النهاية حِراء بالكسر والمد جبل من جبال مكة معروف، ومنهم من يؤنثه ويصرفه، وكثير من المحدثين يغلطون فيه فيفتحونه ويقصرونه، انتهى.

وكان ﷺ قبل ذلك يختلي ويتعبد فيه ليالي متعددة ويتزود لها ثم يرجع إلى خديجة فتزوده لمثلها حتى فجئه الحق وهو فيه كما في صحيح البخاري (٢٧١) (قال) جبرائيل عليه السلام (له) ﷺ (اقرأ) أي أوجد القراءة من نفسك من غير تعلق بمفعول مخصوص. قال ﷺ: ما أنا بقارىء، فغطه جبرائيل عليه السلام أي ضغطه وعصره بشدة حتى بلغ منه الجهد، ثم أرسله وقال له: اقرأ فقال: ما أنا بقارىء، فغطه كذلك ثم أرسله وقال له: اقرأ باسم ربك الذي خلق إلى قوله: ما لم يعلم، كل ذلك في صحيح البخاري وغيره، و(ما) في (ما أنا بقارىء) نافية في الثلاثة وجوّز بعضهم كون الأولى للامتناع من القراءة، لأنه كان أمياً لا يقرأ ولا يكتب، والثانية نافية للأخبار بالواقع، والثالثة استفهامية، أي ما الذي أقرأه؟ وأقره الشهاب ابن حجر كالغيطي وغيره. وغلّطهم الكرماني بأن الباء الزائدة لا تدخل على خبر ما الاستفهامية، واحتج من قال إنها استفهامية بأنه جاء في رواية: ما أقرؤه؟ (٢٧٢)

مِـنْ أوَّلِ الْقَلَـمِ ثُـمَّ جـاءَ   خَـديجَةَ قـالَ لَهـا الإنبـاءَ

قال النووي: ولا دلالة فيها لاحتمال كون ما فيها نافية أيضاً (٢٧٣)، وحكمة غطه ﷺ ثم تكريره: زيادة التأهل إلى لقاء الملك، لما بين البشرية والملكية من التباين، وليستفرغ تمام قوته فيتم توجهه إليه، ويشتد اجتهاده، وإلى ما ذكرنا أشار الناظم رحمه الله بقوله (ثم غُطّ) ﷺ بالبناء للمجهول للعلم بفاعله، أي غطه الملك ثلاث مرات كما مرّ (فقراه)، بتسهيل الهمزة ألفاً في المرة الثالثة، وسكت الناظم رحمه الله عن التفصيل المذكور لاستشهاده في الأحاديث (من أول) سورة العلق التي فيها ذكر (القلم) إلى قوله: ما لم يعلم كما مرّ، ولو قال من

---

(٢٧١) رواه البخاري (٣) وانظر شرح الفتح عليه

(٢٧٢) مولد الغيطي (١٤/ ١).

(٢٧٣) أنظر شرح النووي على صحيح مسلم (٢/ ١٩٩) فإنه ليس نص كلام النووي.

أول العلق لكان أولى إذ السورة مشهورة بسورة العلق، لا سورة القلم، (ثم جاءا) بألف بعد الهمزة للإطلاق، ومثله ما بعده، أي ثم رجع وفؤاده ﷺ يرجف ويضطرب، قيل: بسبب تلك الضغطة، وفي المواهب: لم تكن الرجفة خوفاً من جبرائيل، فإنه ﷺ أجلّ من ذلك، بل غبطةً بحاله وخوفاً من أن يشتغل بغير الله تعالى عن الله حتى أتى (خديجة) بالتنوين للوزن. فقال: زمّلوني زمّلوني فزملوه، حتى ذهب عنه الروع، ثم (قال) يا خديجة ما لي وذكر (لها الأنباء) بفتح الهمزة جمع نبأ، أي الأخبار، والتي رآها وعلمها، ثم قال: لقد خشيت على نفسي:

فقالت أبْشِرْ لَسْتَ تُخزى أبَداً لِما جَمَعْتَ مِن صفات السَّعَدا

(فقالت) له كلاّ (أبشر) أي سُرَّ وافرح من بشر يبشر كعلم يعلم وضرب يضرب بمعنى فرح كما في القاموس والنهاية، فوالله (لست تخزى) مجهول للمخاطب، من الخِزي بمعنى الهلاك (أبداً) ولفظ الحديث: فوالله لا يخزيك الله أبداً، (لما جمعت) وعائد ما الموصولة محذوف أي جمعته (من) بيان لما (صفات السعدا) بالقصر للوزن فعدّت مكارمه ﷺ فقالت: إنك لتصل الرحم، وتصدق الحديث، وتحمل الكَلّ بفتح الكاف، أي ترفع الثقل أو تعين الضعيف المنقطع، والكل من لا يستقل بأمره، وتقري الضيف، وتعين على نوائب الحق أي حوادث الحق، لا الباطل، وقد تكلم العلماء في معنى قوله ﷺ: لقد خشيت على نفسي، فقيل معناه خشيت أن لا أقدر على حمل أعباء الرسالة، أي أثقالها، وقيل: خشيت أن يقتلني قومي ولا بِدعَ في ذلك، فإنه بشر يخشى من الأذية كما يخشى البشر، وقال الاسماعيلي: خشيته كانت قبل أن يحصل له العلم الضروري بأن الجائي إليه ملك من عند الله وكان أشق شيء عليه أن يقال إنه: مجنون، فإن قلت: كيف علم ﷺ أن الجائي إليه جبريل لا جنّي، أجيب بأن الله تعالى أظهر على يدي جبرائيل عليه السلام معجزات عرفه ﷺ بها، كما أظهر الله تعالى على

يديه ﷺ معجزات عرفناه بها، وبأن الله تعالى خلق فيه ﷺ علماً ضرورياً بأنه جبريل من عند الله تعالى، لا جنّي ولا شيطان، كما أنه تعالى خلق علماً ضرورياً في جبريل بأن المتكلم معه والمرسل له ربّه تعالى لا غير، ألا يرى أن النائم كثيراً ما يرى في النوم شخصاً ويقع في قلبه علم ضروري أنه فلان من غير أن يقول له أحد ذلك، وروي أن جبريل بدا له ﷺ في أحسن صورة وأطيب رائحة فقال: يا محمد إن الله يقرئك السلام ويقول لك: أنت رسول الله إلى الإنس والجن فادعهم إلى قول لا إله إلا الله، ثم ضرب برجله الأرض فنبعت عين ماء فتوضأ منها جبرائيل، ثم أمره أن يتوضأ، وقام جبرائيل يصلي وأمره أن يصلي معه، فعلّمه الوضوء والصلاة، ثم عرج إلى السماء ورجع ﷺ، لا يمرّ بحجر ولا شجر ولا مدر إلاّ وهو يقول: السلام عليك يا رسول الله، حتى أتى إلى خديجة فأخبرها بذلك، فغشي عليها من الفرح، ثم أمرها فتوضأت فصلى بها كما صلى به جبرائيل، فكان ذلك أول فرضها ركعتين ثم أنه تعالى أقرها كذلك في السفر وأتمها في الحضر (٢٧٤).

ثُمَّ تَوجّهت بِهِ لَورَقة أخْبَرَهُ بما رأى فَصَدَّقَه

(ثم توجهت) أي انطلقت (به) ﷺ خديجة حتى أتت به (لورقة) ابن نوفل بن أسد بن عبدالعزى بن قصيّ، وهو ابن عم خديجة أخ أبيها، وكان شيخاً كبيراً قد عمي، وهو ممن تنصر في الجاهلية من العرب، وعرف الإنجيل وكتب [منه] بالعربية ما شاء، فقالت له خديجة: يا ابن العم اسمع من ابن أخيك، فقال له ورقة: يا ابن أخي ماذا ترى ثم (أخبره) النبي ﷺ: (بما رأى فصدقه) وآمن به ومن ثمة قيل: إنه أول من أسلم من الرجال، ومن يمنع ذلك يدعي أنه أدرك نبوته ﷺ، لا رسالته، لكن جاء في السير وهو في رواية أبي نعيم أنه قال:

---

(٢٧٤) هذا غير صحيح لأنه يخالف الأحاديث الصحيحة التي فيها ذكر الإسراء والمعراج وذلك بعد الإسراء والمعراج بكثير.

أبشر فأنا أشهد أنك الذي بشر به عيسى بن مريم، وأنك على مثل ناموس موسى وأنك نبي مرسل، وأنك تُسْتَأْمَرُ بالجهاد[٢٧٥]، وإن أدرك ذلك لأجاهدنّ معك، فهذا تصريح منه بتصديقه برسالته ﷺ، وقال شيخ الإسلام السراج عمر البلقيني: إنه أول من آمَنَ به من الرجال لنزول الوحي في حياته وإيمانه به ﷺ، وتصديقه برسالته، صريحاً كما جاء في الأحاديث وجرى على ذلك الحافظ الزين العراقي، وعدّه جماعة من الأئمة في الصحابة كابن منده وغيره[٢٧٦].

فَقالَ ذا الناموسَ جا لموسىٰ وَسائِرِ الرُّسُلِ حَتى عيسىٰ

(فقال) ورقة: (ذا) أي هذا الذي جاءك هو (الناموس) الذي (جاء) بالقصر للوزن (لموسى، و) إلى (سائر الرسل حتى عيسى) صلوات الله وسلامه عليهم أجعين، الناموس صاحب سر الملك الذي يطلعه على باطن أمره ويخصصه بما يستره عن غيره.

وقيل: الناموس صاحب سر الخير، والجاسوس صاحب سرّ الشرّ، والمراد به في الأحاديث جبرائيل عليه السلام، لأن الله تعالى خصّه بالوحي والغيب اللذين لا يطّلع علىها غيرُه كما في النهاية وقد يقال له: الناموس الأكبر، كما في الحديث: إنه ليأتيه الناموس الأكبر، قيل: أهل الكتاب يسمون جبرائيل بالناموس أيضاً.

ثم تمنى ورقة كونه شاباً يبالغ في نصرته، حين يخرجه ﷺ قومه من مكة، فلم يمكث أن توفي وفتر الوحي فترة، حتى حزن ﷺ، وتكرر ذهابه إلى رؤوس شواهق الجبال ليرمي نفسه فيبرز له جبريل فيقول له: يا محمد إنك رسول الله حقاً فيسكن لذلك جأشه أي قلبه، وتقر نفسه فيرجع.

---

(٢٧٥) في نسخة القاضي استؤمر بالجهاد وهو خطأ.

(٢٧٦) أنظر ترجمة ورقة بن نوفل من الإصابة.

قال الأئمة: وحكمة الفترة ذهاب الروع الذي وجده، ومزيد تهيجه إلى الاشتياق للعود، وذكر أصحاب السير: أنه ﷺ لما أخبر خديجة رضي الله عنها قالت: أتستطيع أن تخبرني بهذا الذي يأتيك إذا جاءك، قال: نعم، أي أرادت أن تضم المشاهدة وعين اليقين إلى علم اليقين، كما في قضية: أرني كيف تحيي الموتى، وإلاّ فهي كانت على يقين فيه ﷺ أنه لا يخزيه الله أبداً كما مرّ، فلما جاء جبرائيل أخبرها به فقالت له ﷺ: اجلس على فخذي الأيسر ففعل، فقالت: أتراه؟ قال: نعم فقالت: فاجلس على الأيمن ففعل فقالت: أتراه؟ قال: نعم، فقالت: فاجلس في حجري، ففعل فقالت: أتراه؟ قال: نعم فألقت خمارها ثم قالت: أتراه؟ قال: لا، قالت: أثبت وأبشر فوالله إنه لملك ما هذا شيطان(٢٧٧).

فوائد: الأولى أخرج الشيخان وغيرهما أنه ﷺ قال: جاورت بحراء شهراً فلما قضيت جواري، هبطت فنوديت فنظرت فلم أر شيئاً، فرفعت رأسي فرأيت شيئاً لم أثبت له، فأتيت خديجة فقلت: دثروني دثروني، وصبّوا عليّ ماءاً بارداً فنزلت: ﴿يا أيها المدثر قم فأنذر﴾ الآية(٢٧٨)، وهذا كما قال الأئمة بعد نزول: اقرأ، وبعد فترة الوحي، إذ أول ما نزل: اقرأ، على الصحيح، كما صح ذلك عن عائشة رضي الله عنها، وروي عن أبي موسى الأشعري وعبيد بن عمير، قال النووي وهو الصواب الذي عليه جماهير السلف والخلف وأمّا ما روي عن جابر وغيره أن أول ما نزل ﴿يا أيها المدثر﴾ فقال النووي: هو ضعيف بل باطل، وإنما نزلت بعد فترة الوحي، وأما حديث البيهقي: أنه الفاتحة كقول بعض المفسرين، فقال البيهقي: إنه منقطع، فإن صح فأوليته بعد اقرأ، ويا أيها

---

(٢٧٧) وهذا أيضاً من الخرافات التي لا تصح ولا ذكر الشارح من رواه وأين رواه ومن هم رجال إسناده.

(٢٧٨) رواه البخاري (٤٩٢٢) ومسلم (١٦١) وغيرهما. أنظر الصحيح المسند من أسباب النزول للأخ مقبل بن هادي الوادعي (ص ١٦٦ - ١٦٧).

المدثر [٢٨٠]، وقال النووي بعد نقله لهذا القول: بطلانه أظهر من أن يذكر [٢٧٩].

الثانية ـ أخرج ابن أبي حاتم عن سفيان الثوري قال: لم ينزل وحي إلاّ بالعربية ثم ترجم كل نبي لقومه، ذكره السيوطي في الإتقان، قلت: وهو غريب وعندي فيه توقف.

الثالثة ـ الوحي الذي كان يأتيه ﷺ على أقسام:

أ ـ الرؤيا الصادقة كما سبق.

ب ـ ما يلقيه الملك في روعه بضم الراء أي قلبه من غير أن يراه، لما صحّ أن روح القدس نفث في روعي؛ لن تموت نفس حتى تستكمل رزقها فاتقوا الله وأجلوا في الطلب [٢٨١].

جـ ـ تمثل الملك له رجلاً فيخاطبه، وصح أنه كان يأتيه في صورة دحية، أي لأنه كان جيلاً جداً، إذا قدم من نحو تجارة خرجت النساء ذوات

---

(٢٧٩) أنظر شرح النووي على صحيح مسلم (٢/ ١٩٩ و ٢٠٨).

(٢٨٠) دلائل النبوة (١/ ٤١٣).

(٢٨١) رواه أبو نعيم في الحلية (١٠/ ٢٦ ـ ٢٧) من حديث أبي أمامة وكذلك الطبراني في الكبير (٧٦٩٤) وفي إسناده عفير بن معدان وهو ضعيف.
ورواه البغوي في شرح السنة (٤١١٢) والقضاعي في مسند الشهاب (١١٥١) من حديث عبدالله بن مسعود وفي إسناده من لم يسم.
لكن رواه من حديثه الحاكم (٢/ ٤) والبيهقي (٥/ ٢٦٤ ـ ٢٦٥ و ٢٦٥) وأبو نعيم (٣/ ١٥٦ ـ ١٥٧ و ٧/ ١٥٨) بإسناد صحح أحدهما على شرط الشيخين والإسناد الآخر على شرط مسلم. ورواه البغوي في شرح السنة (٤١١١ و ٤١١٣) والقضاعي في مسند الشهاب (١١٥٢).
ورواه البزار (١٢٥٣) من حديث حذيفة.
قال شيخنا في تخريج أحاديث فقه السيرة (ص ٩٦) فهذه طرق يقوي بعضها بعضاً، ولهذا ـ والله أعلم ـ جزم ابن القيم في زاد المعاد بنسبة الحديث إليه.

الخدور للنظر إليه، فإن قلت: كيف تشكل جبرائيل مع عظم صورته، وأنّ له ستمائة جناح كما ورد في الحديث في صورة رجل كدحية هل يموت الجسد العظيم، أو يبقى خالياً من الروح (حياً) عند الانتقال إلى صورة ذلك الرجل أجيب: بأن صورته الأصلية باقية على حالها، وصورة الرجل صورة أخرى له، وروحه متعلقة بهما، أي كما في الأبدال الذين تتعدد صورهم في الوجود، وروحهم واحدة والتكليف حينئذ يتعلق بأي صورة أرادها الإنسان، وهذا أولى من قول بعضهم: إن انتقال روحه إلى الجسد الثاني كانتقال أرواح الشهداء إلى أجواف طير خضر، وموت الجسد بمفارقة الروح ليس بواجب عقلاً، بل بعادة أجراها الله في بني آدم، فلا يلزم في غيرهم.

قال بعضهم: والأولى في الجواب أن يقال: إن الأجسام النورانية تقبل الانضمام حتى تصغر الصورة جداً كما أن القطن يقبل الانكباس فتصير الصورة الكبيرة منه صغيرة.

د ـ أن يأتيه مثل صلصلة الجرس وهو أشده عليه حتى أن راحلته لتبرك به في الأرض. وحتى أن جبينه ليتفصد عرقاً، في اليوم الشديد البرد كما في الحديث.

هـ ـ أن يأتيه في صورته التي خلق عليها له ستمائة جناح، ووقع له ذلك مرتين كما في سورة النجم.

و ـ كلام الله تعالى له بلا واسطة، كموسى وكما وقع ليلة المعراج، وإنما اختص موسى عليه السلام بالتكليم لأن ذلك وقع له وهو بالأرض، ونبينا إنما وقع له ذلك وهو كقاب قوسين أو أدنى، وزاد شيخ الإسلام الولي العراقي: نزول إسرافيل إليه ﷺ بكلمات من الوحي قبل جبرائيل بثلاث سنين، كما صح بطرق عن عامر الشعبي، انتهى.

وقد تقدم الكلام عليه، وزاد غيره أقساماً أُخر، وكلها في الحقيقة مدرجة فيما ذكرنا من الأقسام.

[أول من آمن به ﷺ وما كان بعد ذلك]

وَأَوَّلُ الخَلْقِ اسْتَجابَ لِلنَّبِيِّ خَدِيجَةُ الصِّدِّيقُ زَيْدٌ وَعَلِي

ولما بعث ﷺ [إلى الناس]، قام يدعو إلى الله عزّ وجلّ، وتوحيده، فدخل في الإسلام رجال ونساء حتى كمل السابقون الأولون (وأول الخلق) الذين دعاهم ﷺ إلى الإسلام (استجاب) لدعوته ﷺ وهو نعت لقوله: أول المرفوع على الابتداء، كما اشتهر إعرابه في النسخ، لكونه في قوة النكرة لإضافته إلى الجنس، فلا يرد أن المعارف لا توصف بالجمل، ويجوز جعله صلةً لموصول محذوف، لأن حذفه جائز في الضرورة كما هو مقرّر، أي وأول الخلق الذي استجاب، والأولى أن يعرب أول بالنصب ظرفاً لاستجاب والتقدير، واستجاب (للنبي) بحذف إحدى اليائين للوزن، وجعل الأخرى رويّ البيت أي أول الخلق على الإطلاق (خديجة) أم المؤمنين ذات المكارم والشيم، وأما كون بحيرا المذكور أول من آمن به كما سبق فهو قبل البعثة، وكلامنا فيما بعدها، وأسلم بعد خديجة من الرجال الأحرار أبو بكر (الصديق) وبعده (زيدٌ) ابن حارثة من الموالي وأسقط الناظم العاطف هنا وفيما قبله للضرورة (و) بعده من الصبيان (علي) بحذف إحدى اليائين للوزن، وعمره إذ ذاك عشر سنين كما حكاه الطبراني[٢٨٢]، وقيل: غير ذلك، وصح إسلامه مع صباه، لأن الأحكام حينئذ كانت منوطةً بالتمييز، وبما قررنا تجتمع الأقوال المتباينة في أول من أسلم، فروي عن ابن عباس رضي الله عنهما: أن أبا بكر أول الناس إسلاماً لقول حسان فيه:

وأول الناس قدماً صدق الرسلا، وروي عن سلمان وأبي ذر والمقداد وغيرهم: أن علياً أول من أسلم، ويشهد له قوله في أبيات:

---

(٢٨٢) الذي عند الطبراني ثلاثة أقوال ليس منها هذا القول.

سبقتكم بالإسلام[٢٨٣] طراً صبياً ما بلغت أوان حلمي

واتفقوا على أن خديجة أول من أسلم مطلقاً، والخلاف إنما هو فيمن بعدها، قال الطبراني: الأولى الجمع بين الروايات كلّها فيقال: أول من أسلم مطلقاً خديجة، ومن الرجال البالغين الأحرار، أبو بكر، ومن الموالي زيد بن حارثة، ومن الصبيان علي، انتهى.

وقال ابن الصلاح: هذا الجمع هو الورع، نعم سبق أن ورقة أول مَن آمن به ﷺ وصدّق برسالته من الرجال كما في حديث [أحاديث] قصة بدء الوحي وغيرها، فلعل الناظم كغيره اعتبر ما بعد استقرار أمره ﷺ ودعائه الناس إلى الإسلام.

وَبَعدَ ذا تَتابَعَ الوَحْيُ وَمَنْ يُسْلِمْ وَالنَّبِيُّ لا يَدْ عَلَنْ
عثمان والزبير وابن عوف طلحة سعد آمنوا من خوف
إذ آمنوا بدعوة الصديق كذا ابن مظعون بذا الطريق

(وبعد ذا) أي بعد إسلام من ذكر (تتابع الوحي) إليه ﷺ (و) تتابع أيضاً (من يسلم) من الناس فأسلم كما في المواهب وغيره، بعد زيد بن حارثة عثمان بن عفان والزبير بن العوام وعبدالرحمن بن عوف وسعد بن أبي وقاص وطلحة بن عبيدالله، بدعاء أبي بكر إياهم إلى الإسلام، رضي الله عنهم، فجاء بهم إليه ﷺ حين استجابوا له، فأسلموا، وصلّوا ثم أسلم أبو عُبيدة عامر بن الجراح، وأبو سلمة عبدالله بن عبد الأسد بعد تسعة أنفس، والأرقم بن أبي الأرقم المخزومي، وعثمان بن مظعون، وأخواه قدامة وعبدالله وعبيدة بن الحارث بن عبدالمطلب وسعيد بن زيد بن عمرو بن نفيل، وامرأته فاطمة بنت الخطاب وغيرهم من الرجال والنساء (والنبي) ﷺ في هذه الحالة (لا يدعو) إلى

(٢٨٣) في نسختي وفي نسخة القاضي إلى الإسلام.

التوحيد والإيمان برسول الله ﷺ [٢٨٤]، وترك ما هم عليه من عبادة الأوثان لأن أول ما وجب الأنذار والدعاء إلى التوحيد فقط، وقوله: (عَلَن) بفتح العين واللام مصدر عَلَنَ الأمر كنصر وضرب، وفرح وكرُم أي ظهر، نائب عن المفعول المطلق بتأويله باسم الفاعل، أو بحذف المضاف، أي لا يدعو دعاءً ظاهراً أو ذا ظهور، ووقف عليه بالسكون على لغة ربيعة فإنهم يحذفون الألف المبدلة من التنوين في النصب فيقولون: رأيت زيداً مثلاً.

وَهُمْ على السِرِّ بدارِ الأرقَمِ حتى استَجاب عُمَرُ وَأسلَمِ

(وهم) أي النبي ﷺ وأصحابه (على السرّ) في إخفاء أمرهم [٢٨٥]، قال أبو عبيدة بن عبدالله بن مسعود: ما زال النبي ﷺ مستخفياً حتى نزلت: ﴿فاصدع بما تؤمر﴾ أي تكلم جهاراً بالدعوة إلى الله تعالى، فجهر هو وأصحابه.

وفي المواهب قالوا: وكان ذلك بعد ثلاث سنين من النبوة، وهي المدة التي أخفى ﷺ فيها أمره، إلى أن أمره الله تعالى بإظهاره، فدعى قومه إلى الإسلام، وصدع به كما أمر الله تعالى ولم يبعد منه قومه، ولا ردّوه عليه، حتى ذكر آلهتهم وعابها، وكان ذلك كله في سنة أربع كما قاله العُتَقي، فأجمعوا على عداوته [٢٨٦]، إلاّ من عصمهم الله تعالى منهم، انتهى.

وجزم بذلك العز بن جماعة، والحافظ الغيطي، والشهاب بن حجر، (بدار الأرقم) بن أبي الأرقم المخزومي وهي بيت في أسفل الصفا، كما في رواية (حتى استجاب) لدعوته ﷺ (عمر) بن الخطاب رضي الله عنه (وأسلم) بسكون الميم فسماه النبي ﷺ بالفاروق، وسببه كما في رواية أبي نعيم في الدلائل وابن عساكر عن ابن عباس رضي الله عنهما: أنه سأله عن سبب تسميته بالفاروق، فذكر: أنه

---

(٢٨٤) في نسخة القاضي إلى توحيد الله تعالى والإيمان برسوله.

(٢٨٥) في نسختي من إخفاء أمرهم.

(٢٨٦) في نسخة القاضي على عداوتهم.

كان بالمسجد يوماً ، فسبّ أبو جهل عدو الله النبي ﷺ ، فأخبروا حمزة بذلك ، فجاء رضي الله عنه آخذاً قوسه فضرب أحد خدَّيْ أبي جهل فقطعه ، فسالت الدماء فأصلحت بينهما قريش مخافة الفتنة ، والنبي ﷺ مختف بدار الأرقم ، فانطلق حمزة فأسلم ، قال عمر رضي الله عنه ثم بعد ثلاثة أيام أنكرت على شخص أسلم فقال لي: إن ختنك أي سعيد بن زيد أحد العشرة المبشرة ، وأختك قد أسلما ، فجئت فضربت رأس أختي فسال الدم فقالت لي: أسلمت على رغم أنفك ، فاستحييت حين رأيت الدم ، فجلست وسألتها : أن تريني الكتاب ، فقالت : [لا يمسّه إلاّ المطهّرون] فاغتسلتُ وأخرجت لي صحيفةً فيها : بسم الله الرحمن الرحيم ﴿ طه ما أنزلنا عليك القرآن لتشقى ﴾ الآيات فعظمت في صدري ، فقال لي خباب: وكان أرسلَه النبي ﷺ ليعلم أختي وزوجها : [إني لأرجو ان يكون الله تعالى خصّك بدعوة نبيّه ﷺ] فإني سمعته يقول : [اللهم أعزّ الإسلام بعمرو بن هشام أو عمر بن الخطاب] ، فقلت : دُلّني عليه ، فتوشحت سيفي وذهبت إلى النبي ﷺ ، فضربت الباب ، فاستجمع القوم فقال لهم حمزة رضي الله عنه ما لكم؟ قالوا : عمر ، قال : وعمر افتحوا الباب فإن أقبل قبلناه وإن أدبر قتلناه فسمع ذلك النبي ﷺ ، فخرج فقلت: أشهد أن لا إله إلا الله وأنك رسول الله ، وكبّر أهل البيت تكبيرة سمعها أهل المسجد فقلت : يا رسول الله ألسنا على الحق ، قال: بلى ، قلت : ففيم الاختفاء فخرجنا صفين أنا في أحدهما ، وحمزة في الآخر حتى دخلنا المسجد ، فنظرت قريش إليّ وإلى حمزة فأصابتهم كآبة شديدة ، فسمّاني رسول الله ﷺ : الفاروق يومئذ ، ففرق الله بي بين الحق والباطل (٢٨٧).

ووردت في كيفية إسلامه روايات أخر متقاربة ، وفي رواية : أنه لما أظهر إسلامه صاروا يضربونه ويضربهم ، حتى أجاره خاله فكشفوا عنه ، ثم ردّ عليه

---

(٢٨٧) رواه أبو نعيم (١/ ٣١٥ ـ ٣١٧) وفي إسناده إسحاق بن أبي فروة وهو متروك.

جواره، فصار يَضرب ويُضرب حتى أعزّ الله تعالى به الإسلام.

وروى الحاكم وابن ماجه عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: لما أسلم عمر نزل جبريل فقال:

يا محمد قد استبشر أهل السماء بإسلام عمر (٢٨٨). والبزار والحاكم وصححه عنه أيضاً قال: لما أسلم عمر قال المشركون: قد انتصف القوم اليوم منا ونزلت: ﴿يا أيها النبي حسبك الله ومن اتبعك من المؤمنين﴾ (٢٨٩).

والبخاري وغيره عن ابن مسعود رضي الله عنه: ما زلنا أعزةً منذ أسلم عمر (٢٩٠). وابن سعد عنه أيضاً: كان إسلامه فتحاً، وهجرته نصراً، وإمامته رحمة، ولقد رأيتنا ما نستطيع أن نصل إلى البيت حتى أسلم عمر، فقاتلهم حتى تركونا وسبيلنا (٢٩١). والطبراني عن ابن عباس رضي الله عنهما بسند حسن: أول من جهر بالإسلام: عمر بن الخطاب رضي الله عنه (٢٩٢). وابن سعد عن صهيب قال: لما أسلم عمر، ظهر الإسلام، ودعي إليه علانية، الحديث (٢٩٣).

وَأصبَحَ الإسلامُ ظاهِراً وَمَا عَلى قُرَيْشٍ مِنْ فَرِيقٍ أسلَما

(وأصبح الإسلام ظاهراً) بعد إسلام عمر كما تقرر آنفاً، قال الذهبي: أسلم في السنة السادسة من النبوة وله سبع وعشرون سنة، وكان إسلامه بعد أربعين

---

(٢٨٨) رواه ابن ماجه (١٠٣) والحاكم (٣/ ٨٤) وفي إسناده عبدالله بن خراس وهو ضعيف ومنهم من كذبه. وكذلك رواه الطبراني (١١١٠٩) وابن حبان (٢١٨٢).

(٢٨٩) رواه البزار (٢٤٩٥) بهذا اللفظ، ورواه الطبراني (١١٦٥٩) والحاكم (٣/ ٨٥) وصححه ووافقه الذهبي مع أنه ذكر النضر أبو عمر في الميزان وذكر أقوال النقاد في حقه، وهو متروك كما قال الحافظ.

(٢٩٠) رواه البخاري (٣٨٦٣) والطبراني (٨٨٢١ و ٨٨٢٢ و ٨٨٢٣).

(٢٩١) طبقات ابن سعد (٣/ ٢٧٠).

(٢٩٢) رواه الطبراني (١٠٨٩٠).

(٢٩٣) الطبقات (٣/ ٢٦٩).

رجلاً، أو تسعة وثلاثين، أو خمسة وأربعين، وإحدى عشرة امرأة،أو ثلاث وعشرين، ففرح به المسلمون، وظهر الإسلام بمكة عقب إسلامه انتهى. وأقره الشهاب ابن حجر في صواعقه وغيره[٢٩٤] . وفي المواهب: وكان إسلام حمزة فيما قاله العتقي سنة ست من النبوة، فعزّ به ﷺ، وكفّ عنه قريش قليلاً، وذكر أيضاً أن إسلام عمر بعده بثلاثة أيام كما في حديث أبي نعيم وغيره.

قلت: فحصل من كلامهم إشكال لم أر من نبه عليه، وهو أنهم أقرّوا كما مرّ: أن إسلام عمر رضي الله عنه في سنة ست، وقد صرحت الأحاديث السابقة بأن الإسلام لم يظهر إلا بعد إسلامه، وفي بعضها أنه أول من جهر بالإسلام وقد صرحوا أيضاً كما سبق بأنه ﷺ أعلن بالدعوة إلى الإسلام وعاب آلهتهم وسفّه أحلامهم لما أنزلت: ﴿ فاصدع بما تؤمر ﴾ وأن ذلك كان في سنة أربع من النبوة، إلاّ أن يحمل ظهور الإسلام بعد إيمان عمر رضي الله عنه على نوع من الظهور فتأمله.

وظاهر كلام الناظم تقدم إسلامه على تلك المدة، لأنه فرّع عليه ظهور الإسلام في القوم والعيب على آلهتهم، وتعذيب صحبه، والإذن للهجرة إلى الحبشة مع أنها كانت سنة خمس كما ياتي: ولما أعلن ﷺ بالدعوة كما أمره الله تعالى كان يطوف على الناس في منازلهم ويقول: اعبدوا الله ولا تشركوا به شيئاً.

وأبو لهب كان وراءه يحذر الناس منه ويأمرهم بالثبات على دينهم[٢٩٦]، ورموه ﷺ بالسحر والشعر والكهانة والجنون[٢٩٧]، ومنهم من يحثو التراب على

---

(٢٩٤) أنظر الصواعق (ص ٩١).

(٢٩٦) رواه أحمد (٣/ ٤٩٢ و ٤/ ٣٤١) وابنه في زيادات المسند (٣/ ٤٩٢ و ٤٩٣ و ٤/ ٣٤١ - ٣٤٢) والطبراني (٤٥٨٢ و٤٥٨٣ و ٤٥٨٤ و ٤٥٨٥ و ٤٥٨٦ و ٤٥٨٧ و ٤٥٨٨ و ٤٥٨٩ و ٤٥٩٠) والبيهقي في الدلائل (١/ ٤٣٤ - ٤٣٥) من حديث ربيعة الدؤلي.

(٢٩٧) رواه ابن أبي شيبة في المصنف (٤/ ٢٩٥ - ٢٩٧) ومن طريقه عبد بن حميد في المنتخب =

رأسه [٢٩٨]، ويجعل الدم على بابه [٢٩٩] واشتد الأمر عليهم، ثم تآمرت قريش على من أسلم منهم، يعذبونهم، وإلى ذلك أشار الناظم بقوله: (وما) نافية (على قريش) متعلق بأسلم بعده أي على خوف من قريش (من) زائدة (فريق) اسم ما مرفوع في المعنى و (أسلما) بألف الإطلاق خبر ما، والتقدير: وما فريق أسلم على خوف من قريش أن يفتنوهم ويعذبوهم لكن بقي أن الفريق كالفرقة والفرق، مدلوله جمع أكثر من مدلول الطائفة فينبغي أن يقول: أسلموا إلاّ أن يحمل على الضرورة، أو يؤوَّل الفريق بكل واحد منهم، والأحسن أن يجعل ما عطفاً على الإسلام، ومن تعليلية أي وأصبح ما على قريش من الغيظ والعداوة ظاهراً من أجل فريق أسلم، ويحتمل أن تجعل استفهامية للتعظيم فافهم.

فعـــاب آلِهَتَهُـــمْ وأنكـــروا وعَذَّبُوا مِنْ صَحْبِهِ مَن قَدَّدوا

(فعاب) ﷺ (آلهتهم) أي آلهة قريش، فقال: هي معبودات باطلة لا تضرّ ولا تنفع، فهي إفك من آبائهم فقلدهم السفهاء (وأنكروا) عليه ﷺ ذلك، وأجمعوا على عداوته وبالغوا في إيذائه، ورموه بأنه ساحر مجنون شاعر كاهن إلى غير ذلك.

وعن ابن عمرو رضي الله عنهما كما في البخاري [بينما النبي ﷺ بفناء الكعبة إذ أقبل عقبة بن أبي معيط فأخذ بمنكب رسول الله ﷺ، فلفّ ثوبه في عنقه فخنقه خنقاً شديداً فجاء أبو بكر فأخذ بمنكبه ودفعه عن رسول الله ﷺ]

= من المسند وأبو يعلي في مسنده (١٨١٨) وفي إسناده من هو متكلم فيه. وهو من حديث جابر. ورواه أبو نعيم (١/ ٢٩٩ - ٣٠١) من طريق محمد بن عثمان بن أبي شيبة فاشتبه الأمر على محقق مسند أبي يعلي فقال من طريق أبي بكر بن أبي شيبة فأخطأ.

(٢٩٨) أنظر سيرة ابن هشام (١/ ٢٥٨) حيث إن ابن أبي معيط قذف سلى جزور على ظهر النبي ﷺ.

(٢٩٩) انظر صحيح البخاري (٣٨٥٤) حيث إن ابن أبي معيط قذف سلى جزور على ظهر النبي ﷺ

وفي رواية: ثم قال أبو بكر: أتقتلون رجلاً أن يقول: ربّي الله[٣٠٠]، وقد ذكر العلماء: أن أبا بكر أفضل من مؤمن آل فرعون، فإنه اقتصر في نصره موسى عليه السلام على القول، أما أبو بكر رضي الله عنه فنصر بالقول والفعل، ثم رقّ عليه ﷺ عمه أبو طالب فقام دونه ومنعه منهم ووافقه على ذلك بنو هاشم إلاّ أبا لهب[٣٠١]، وبنو المطلب، ولعزته ﷺ بمن ذكروا كان يطوف على الناس في منازلهم يدعوهم إلى عبادة الله تعالى وأبو لهب وراءه يقول: يا أيها الناس إن هذا يأمركم أن تتركوا دين آبائكم.

وفي المواهب قال مقاتل: كان رسول الله ﷺ عند أبي طالب يدعوه إلى الإسلام فاجتمعت قريش عند أبي طالب يريدون بالنبي ﷺ سوءاً فقال أبو طالب: حين تروح الإبل، فإن حنت ناقة إلى غير فصيلها دفعته إليكم، وقال:

والله لن يصلوا إليك بجمعهم حتّى أوَسَّدَ بالتُرابِ دَفينا
فاصدع بأمرك ما عليك غضاضة وابشر وَقرّ بذاك منك عيونا
ودعوتني وزعمت أنك ناصحي ولقد صدقت وكنت ثم أمينا
وعرضت ديناً لا محالة أنه من خير أديان البرية دينا
لولا الملامة أو حذاري سُبة لوجدتني سمحاً بذاك مبينا[٣٠٢]

ولما عجزوا عن أمره ﷺ قالوا له يوماً كما ذكره الحافظ مغلطاي: إن كنت تطلب الشرفَ فينا سودناك علينا، أو الملك ملكناك علينا، وإن كان الذي

(٣٠٠) رواه البخاري (٣٦٧٨ و ٣٨٥٦ و ٤٨١٥) وهذا اللفظ هو في رواية البخاري الأخيرة والحديث من رواية عبدالله بن عمرو بن العاص، وفي كل النسخ عن ابن عمر وهو خطأ ورواه البيهقي في الدلائل (٢/ ٥٠ ـ ٥٢).

(٣٠١) في نسختي إلا أبو لهب.

(٣٠٢) أورده البيهقي في الدلائل (١/ ٤٣٧) في غير هذه المناسبة التي ذكرها مقاتل.

يأتيك رِئياً قد غلب عليك بذلنا أموالنا في طِبك حتى نبرئك. فقال ﷺ لهم: ما بي ما تقولون، ولكن الله تعالى بعثني رسولاً وأنزل عليّ كتاباً، وأمرني أن أكون لكم بشيراً ونذيراً، فبلغتكم رسالات ربي ونصحت لكم، فإن تقبلوا مني ما جئتكم به فهو حظكم في الدنيا والآخرة، وإن تردّوه عليّ أصبر لأمر الله تعالى حتى يحكم الله بيني وبينكم(٣٠٣)، (وعذبوا) أي المشركون من قريش (من صحبه) ﷺ، (مَن قد رووا) عليه.

وروى الإمام أحمد في مسنده عن أبي ذر رضي الله عنه(٣٠٤): كان أول من أظهر الإسلام سبعة رسول الله وأبو بكر وعمّار وأمّه سمية وصهيب وبلال والمقداد، فأما رسول الله ﷺ فمنعه الله تعالى أي عن القتل بعمه أبي طالب، وأما أبو بكر فمنعه الله تعالى من القتل بقومه، وأما سائرهم فأخذهم المشركون فألبسوهم أدْراعَ الحديد وصهروهم في الشمس وإن بلالاً هانت عليه نفسه في الله عز وجل وهان على قومه فأخذوه وأعطوه الولدان فجعلوا يطوفون به في شعاب مكة وهو يقول أحد أحد وعن مجاهد مثله، وزاد في قصة بلال وجعلوا في عنقه حبلاً ودفعوه إلى الصبيان يلعبون به حتى أثر الحبل في عنقه، وقد خرج بلال بقوله أحد أحد حين الإكراه على الكفر مرارة العذاب بحلاوة الإيمان وهو نظير ما وقع له عند الموت إذ قالت امرأته: واحزناه، وهو يقول: واطرباه، غداً ألقى الأحبة محمداً ﷺ وحزبه، فخرج مرارة الموت بحلاوة اللّقاء، ولقد شفى الله تعالى قلب بلال من معذبه اللعين أمية بن خلف، فإن عبدالرحمن بن عوف أسَره يوم بدرٍ وأراد استبقاءه لأخوّة كانت بينهم في الجاهلية، فلما رآه بلال رضي الله عنه معه صاح بأعلى صوته يا أنصار الله رأس الكفرة أمية بن خلف، لا نجوت إن

---

(٣٠٣) تقدم حديث جابر في التعليق (٢٩٧).

(٣٠٤) بل رواه عن عبدالله بن مسعود (٣٨٣٢) ورواه أيضاً ابن ماجه (١٥٠) والحاكم (٣/ ٢٥٤) وصححه ووافقه الذهبي. ورواه البيهقي في الدلائل (٢/ ٥٦).

نجا، فضربوه بأسيافهم حتى قتلوه وإلى هذا أشار بعضهم في أبيات حيث قال:

لاقى بلال بلاءً من أمية قد أحله الصبر فيه أكرم النزول

إلى أن قال:

إن قدّ ظهر ولّى الله من دبر قد قدّ قلب عدو الله من قبل

ومرّ أبو جهل اللعين بسمية أم عمار بن ياسر وهي تعذب فطعنها بحربة في فرجها فقتلها، وأخرج البيهقي عن عروة: أن أبا بكر أعتق ممن كان يعذب، في الله سبعةً منهم الزِنِيرة بكسر الزاي وتشديد النون المكسورة، فعميت فقالوا: ما أعماها إلاّ اللات، فقالت: كلا والله ما هو كذلك فردّ الله تعالى عليها بصرها [٣٠٥].

فَأذِنَ النَّبِيُّ حتى هاجَروا لِلْحَبَشِ ثُمَّ بَعدَ هذا حاصَروا

(فأذن النبي) ﷺ لَمّا كثر المسلمون اشتد عليهم الأذى في الهجرة إلى أرض الحبشة، وضاق عليهم أرض مكة (حتى هاجروا) أي من شاء منهم أن يهاجر إذ لم يهاجر كلهم، وذلك كان في رجب سنة خمس من النبوة كما جزم به في المواهب والعز بن جماعة وغيرهما (للحبش) هو بفتحتين في الأصل كالحبشة أي إلى أرض الحبشة، فسكون الباء للوزن. قال المؤرخون: بلاد الحبشة أرض واسعة جداً وبها كان النجاشي، وبها عدة أقاليم كان لكل إقليم ملك تحت يد سلطانهم الأعظم، وعدة ملوكهم مائة، وجميع بلادهم تزرع على المطر في السنة مرتين، والحر بها شديد، وسواد لونهم لشدة الاحتراق، وأكثر أهلها نصارى وهم من أكثر الناس عدداً وأكثرهم أرضاً، انتهى.

وعدة من هاجر إليها أحد عشر أو اثني عشر رجلاً وفيهم أربع نسوة، وقيل

---

(٣٠٥) أنظر الإصابة ترجمة الزنيرة. ورواه البيهقي (٢/ ٥٧).

خمس، وقيل امرأتان ومنهم من هاجر بأهله، ومنهم من هاجر بنفسه، وأميرهم عثمان بن مظعون، وأنكره الزهري وقال: لم يكن لهم أمير، وكان أول من خرج: عثمان بن عفان رضي الله عنه مع امرأته رقية بنت رسول الله ﷺ، وأخرج يعقوب بن سفيان عن أنس رضي الله عنه قال:

أبطأ على رسول الله ﷺ خبرهما، فقدمت امرأة فقالت: قد رأيتهما وقد حمل عثمان امرأته على حمار، فقال ﷺ: إن عثمان لأول من هاجر بأهله بعد لوط (٣٠٦)، ولما استقروا بالحبشة أرسلت قريش عمرو بن العاص وعبدالله بن أبي ربيعة بتحف وهدايا إلى النجاشي واسمه أصحِمَة ليردّهم إلى قومهم فأبى ذلك وردّهما خائبين بهديتهما ثم أقاموا عنده في أحسن جوار (٣٠٧)، وبلغهم أن قريشاً أسلمت وكان ذلك الخبر كذباً، فرجعوا إلى مكة ودخلوها إلاّ ابن مسعود رضي الله عنه، فإنه رجع إلى أرض الحبشة ولم يدخل مكة.

قال العز بن جماعة: وكان خروجهم إلى الحبشة في رجب في السنة الخامسة من النبوة، وقدومهم مكة في شوال في هذه السنة، فلقوا من قريش شدة، وأذىً عظيماً، فأذن الله لهم في الهجرة إلى الحبشة مرة ثانية، فهاجر من الرجال ثلاثة وثمانون [رجلاً] إن كان فيهم عمار بن ياسر، وثمان عشرة امرأة، وأقاموا عند النجاشي على أحسن حال، وبلغ ذلك قريشاً بمكة فكبر عليهم وغضبوا على رسول الله ﷺ فَحَصروه، انتهى.

وظاهر قول الناظم (ثم بعد هذا) أي بعد الإذن للهجرة إلى الحبشة سواء كانت الأولى أم الثانية إن المحاصرة كانت بعد الهجرتين إليها كما جزم به العز

---

(٣٠٦) أنظر المعرفة والتاريخ للفسوي (٣/ ٢٥٥) ورواه الطبراني (١٤٣) والبيهقي (٢/ ٦٦).

(٣٠٧) رواه أحمد (٤٤٠٠) عن عبدالله بن مسعود بإسناد حسن كما قال الحافظ في الفتح (٧/ ١٨٩) ورواه أبو داود الطيالسي (٢٣٢٥) وسقط سنده من المطبوعة ومن طريقه رواه البيهقي في الدلائل (٢/ ٦٦ - ٦٧) وقال ابن كثير في السيرة (٢/ ١١) هذا إسناد جيد قوي وسياق حسن.

ابن جماعة آنفاً خلاف ما في المواهب، وتبعه الشهاب بن حجر من أن الهجرة الثانية الى الحبشة كقدومهم من الحبشة الى مكة لسماعهم خبر إسلام قريش لما قرأ عليهم سورة النجم، وسجد المشركون معه كانت في مدة المحاصرة (حاصروا) أي المشركون من قريش، أي ضيّقوا وحبسوا.

هـاشِمُهُـم مَـعَ بَني المُطّلِـبِ في الشِعْبِ إذ سِتٌ مَضَيْنَ لِلنَّبي

(هاشمهم) يعني بني هاشم الذين هم قبيلة من قريش ومن ثمة أضافهم إليهم (مع بني المطلب) وقد تقدم أن هاشماً والمطلب أخوان يلقبان بالبدرين لجمالهما، ولهما أخوان آخران وهما نوفل وعبد شمس، والأربعة أولاد عبد مناف، وآله ﷺ: الذين حرّمت عليهم الزكاة، بنو الهاشم وبنو المطلب لا بنو نوفل وعبد شمس (في الشعب) بكسر الشين أي شعب أبي طالب وهو المُحَصَّب ويسمى بخيف بني كنانة أيضاً وهو الشعب الذي مخرجه إلى الأبطح بين مكة ومنى كما في النهاية، وفي القاموس: الشعب بالكسر الطريق في الجبل ومسيل الماء في بطن الأرض (إذ) ظرف لحاصروا (ست) أي ست سنين كاملة، وفي المواهب وغيره: كان ابتداء الحصار هلال المحرم سنة سبع من النبوة (مضين للنبي ﷺ من نبوته)، وخلاصة قصة المحاصرة:

أن قريشاً لما رأوا عزة النبي ﷺ بأصحابه وفشا الإسلام في القبائل، ورأوا عزّة أصحابه أيضاً بالحبشة، أجمعوا على أن يقتلوه ﷺ، فبلغ ذلك أبا طالب، فأتوا إليه بعمادة بن الوليد، كان أعزّ فتىً فيهم وقالوا له: أعطنا ابنك نقتله، يعنون النبي ﷺ، وخذ هذا الولد مكانه، فأبى، وقال: لا أعطيكم ابني تقتلونه وآخذ ابنكم أكفله لكم، ثم جمع بني هاشم وبني المطلب وأمرهم أن يدخلوا رسول الله ﷺ شعبهم ويمنعوه ممن أراد قتله، فأجابوه لذلك حتى كفارهم حمية على عادة الجاهلية وانتصاراً للرحم فلما رأت قريش ذلك اجتمعوا واتفق رأيهم على أن يكتبوا كتاباً يتعاقدون فيه على بني هاشم وبني المطلب أن لا ينكحوا

إليهم ولا ينكحهم، ولا يبيعوا منهم شيئاً ولا يبتاعوا منهم ولا يقبلوا منهم صلحاً أبداً حتى يسلموا إليهم رسول الله ﷺ للقتل، وكتبوه في صحيفة بخط منصور بن عكرمة فشلت يده لمبالغته في قطيعة الرّحم، وعلقوا الصحيفة في جوف الكعبة هلال المحرم سنة سبع، فانحاز بنو هاشم وبنو المطلب إلى أبي طالب، فدخلوا معه في شعبه إلاّ أبا لهب فكان مع قريش.

فَمَكَثُوا ثَلاثَةً وَفُرِجُوا بَعدَ النُّبُوَّةِ بِتِسْعٍ خَرَجُوا

(فمكثوا) في الحصار (ثلاثة) من الأعوام وقيل سنتين حتى جهدوا، وكان لا يصل إليهم شيء إلاّ سرّاً حتى كانت قريش يسمعون صياح صغارهم من شدة الجوع فلا يرفعون لهم بشيء من الطعام كل ذلك مبالغةً في قطيعة رحمهم وقرابتهم بل قصدوا أنهم: لو ماتوا عن آخرهم بذلك الشعب ما أغاثوهم بكسرة خبز ولا بشربة ماء فلما مضت تلك المدة سعى جماعة في نقض تلك الصحيفة، رأسهم هشام بن الحارث لعزَّتِهِ بعمه لأمه الذي هو أخو عبدالمطلب، فوافقه في ذلك زهير بن أبي أمية، والمطعم بن عدي وأبو البحتري وزمعة بن الأسود، فاجتمعوا بالحجون، وأجمعوا على نقضها فقال لهم زهير: وأنا أول من يتكلم، فلما أصبحوا غدا زهير بحلة، فطاف سبعاً ثم أقبل على الناس فقال: يا أهل مكة إنّا نأكل الطعام ونلبس الثياب، وبنو هاشم فيما ترون، والله لا أقعد حتى تشقّ هذه الصحيفة الظالمة القاطعة للرحم فقال له أبو جهل: كذبت والله لا تشقّ فقال زمعة أنت والله أكذبُ ما رضينا كتابتها حيث كتبت، فقال أبو البحتري: صدق زمعة وما نرضى ما كتبت فيها، ولا نقرّ به، وقال المطعم صدقتما وكذب من قال: غير ذلك نبرأ إلى الله تعالى منها، فقال أبو جهل هذا أمر مكرتموه بليل، وأبو طالب جالس في ذلك المجلس، فأخبرهم رسول الله ﷺ بعد أن أطلعه الله عليها بأن الأرضة أكلت جميع ما فيها إلاّ باسمك اللهم، فقام المطعم إلى الصحيفة ليشقّها فوجدوها كما أخبر به ﷺ (وفرجوا) بالبناء للمفعول مع

تخفيف الراء أو تشديدها من فرج الله الغمّ أي كشفه (بعد النبوة) ظرف لخرجوا الآتي (بتسع) متعلق بقوله (خرجوا) والباء للمصاحبة كقوله تعالى: إهبط بسلام أي معه أو للمجاوزة كما في قوله تعالى: يوم تشقق السماء بالغمام، والمعنى خرجوا من الحصر [٣٠٨] متجاوزين من تسع سنين بعد النبوة، وإنما لم يجعل الباء للظرفية لما في المواهب وغيره: أن الخروج من الحصار في أول السنة العاشرة انتهى.

ومن قال يكون المكث فيه سنتين قال بالخروج في أول سنة تسع، وجلة خرجوا تفسير لقوله فرجوا أو بدل منه.

موت عمّه أبي طالب وخديجة رضي الله عنها:

وَبَعْدَ سِتِّ اشْهُرٍ مَاتَ أَبُو طَالِبٍ العَمُّ الشَّفُوقُ الأَقْرَبُ

(وبعد ست أشهر) وفي المواهب: بعد ثمانية أشهر وعشرة أيام (مات أبو طالب) وله سبع وثمانون سنة، وقيل مات في النصف من شوال في السنة العاشرة، ومات على الشرك بعد أن قرب من الإسلام، وإنما تركه خوف العار، كما اعترف هو بذلك في الأبيات السابقة وغيرها وفيه قول إنه مات مسلماً ويوافقه رواية ضعيفة عن العباس رضي الله عنه أنه أسرّ إليه بالإسلام عند موته [٣٠٩]، وقوله ﷺ في حديث البيهقي في قصة الاستسقاء: لله درّ أبي طالب لو كان حياً لقرّت عيناه [٣١٠]، يؤيد ذلك، لكن صرائح الأحاديث الصحيحة ترد ذلك. منها: ما صح عن العباس أنه قال لرسول الله ﷺ: إن أبا طالب كان يحوطك

---

(٣٠٨) في نسخة القاضي من الحصار.

(٣٠٩) هي رواية غير صحيحة وفي صحيح البخاري سؤال العباس رسول الله عن حاله وفي قصة إسلام أبي قحافة ما يكذب ذلك، فانظر ترجمة أبي طالب في الإصابة والفتح (٧/ ١٩٤).

(٣٠١) في إسناده مسلم بن كيسان الملائي ضعيف كما قال الحافظ وسعيد بن خيثم الهلالي قال الحافظ صدوق رمي بالتشيع له أغاليط، فهو حديث ضعيف.

وينصرك ويغضب لك فهل ينفعه ذلك. قال: وجدته في غمرات من النار فأخرجته إلى ضحضاح منها وقوله: (العم الشفوق) بيان لقوله: أبو طالب ووفود شفقته معه ﷺ معلوم من الأحاديث السابقة وغيرها (الأقرب) لأنه كان شقيق أبيه.

وَبَعْدَ أَيَّامٍ ثَلاثَةٍ مَضَتْ زَوجَتُهُ خَدِيجَةٌ تُوُفِّيَتْ

(وبعد أيام ثلاثة مضت) بعد موت أبي طالب، وقيل: بعد خمسة أيام (زوجته خديجة) بالتنوين للوزن (توفيت) رضي الله عنها وقيل: ولأجل تلك المصيبة كان ﷺ يسمي ذلك العام [عام الحزن][٣١١] وكان مدة إقامتها معه ﷺ: خمساً وعشرين سنة على الأصح، ثم بعد أيام تزوّج سودة بنت زمعة رضي الله عنها.

[خروجه ﷺ للطائف مستأمناً وإسلام الجن]

وظهر الضعف فراح الطائفا فلم يجدهم يؤمنون خائفا

(وظهر الضعف) بفتح الضاد المعجمة وضمها ضد القوة، فنالت قريش منه ﷺ بعد موت أبي طالب وخديجة ما لم تكن تناله في حياة أبي طالب من الأذى (فراح) أي ذهب ماشياً أواخر شوال بعد ثلاثة أشهر من موت خديجة رضي الله عنها على ما في المواهب ومعه ﷺ مولاه زيد (الطائفا) بألف الإطلاق أي أهلها وهو مفعول به لراح، يقال: رحت القوم ورحت إليهم أي ذهبت إليهم رواحاً، والطائف بلدة معروفة في الحجاز كثيرة الفواكه وهي على جبل غزوان، وهو أبرد مكان في الحجاز، وربما جمد الماء فيها، وهي بلدة طيبة الهواء (فلم يجدهم) أي أهل الطائف (يؤمنون) في محل النصب على أنه مفعول ثان

---

(٣١١) ذكره القسطلاني في المواهب اللدنية وقال: فيما ذكره صاعد وقال الزرقاني في شرحه (١/ ٢٤٤) هو صاعد بن عبيد العجلي، وهو لين الحديث كما قاله الحافظ إذا لم يتابع.
وهذا يشعر بأنه ذكره معلقاً فيكون معضلاً فيكون ضعيفاً لا يصح. وانظر «دفاع عن الحديث النبوي والسيرة (ص ١٨ ـ ١٩) لشيخنا الألباني.

ليجدهم، أي فلم يجدهم يجيرون ويجعلون ذا أمن (خائفاً) دخل في جوارهم وأمانهم إشارة إلى سوء أدبهم مع رسول الله ﷺ، فإنه خرج من مكة لما ناله من قريش، فلما وصل إلى الطائف آذوه أشدّ الإيذاء.

أقامَ شهراً ثُمَّ عادَ مأمنه وَعُمْرُهُ إحدى وخَمسونَ سَنَة

(أقام) ﷺ بالطائف (شهراً) يدعو أشراف ثقيف إلى الله عز وجل فلم يجيبوه بل أغرَوْا به سفهاءهم وعبيدهم يسبونه [٣١٢]، قال موسى بن عقبة: رجموا عراقيبه بالحجارة حتى اختضبت نَعْلاهُ بالدماء، زاد غيره وكان ﷺ إذا أذلقته الحجارة، قعد إلى الأرض فيأخذونه بعضده، فإذا مشى رجموه، وهم يضحكون، وزيد بن حارثة يقيه بنفسه حتى لقد شج في رأسه شجاج، وفي البخاري ومسلم عن عائشة رضي الله عنها أنها قالت للنبي ﷺ هل أتى عليك يوم أشدّ من يوم أحد قال: لقد لقيت من قومك، وكان أشدّ ما لقيت منهم يوم العقبة إذ عرضت نفسي على ابن عبد ياليل أي بتحتيين بينهما لام مكسورة، كان من أكابر أهل الطائف من ثقيف بن عبد كُلال أي بضم الكاف وتخفيف اللام، فلم يجبني إلى ما أردت، فانطلقت وأنا مهموم على وجهي فلم أستفق إلاّ وأنا بقرن الثعالب، وهو ميقات أهل نجد المشهور، ويقال أيضاً: قرن المنازل، فرفعت رأسي فإذا أنا بسحابة قد أظلتني، فنظرت فإذا فيها جبريل فناداني فقال إن الله قد سمع قول قومك، وما ردّوا عليك، وقد بعث إليك ملك الجبال لتأمره بما شئت. فناداني ملك الجبال فسلّم عليّ ثم قال: يا محمد إن الله قد سمع قول قومك لك، وأنا ملك الجبال وقد بعثني ربك إليك لتأمرني بأمرك، إن شئت أطبق عليهم الأخشبين قال النبي ﷺ بل أرجو أن يخرج الله من أصلابهم مَن يعبد الله وحده لا يشرك به شيئاً [٣١٣]، وما ذكره الناظم كغيره من أنه ﷺ

---

(٣١٢) في نسخة القاضي يسبونهم.

(٣١٣) رواه البخاري (٣٢٣١ و ٣٧٨٩) ومسلم (١٧٩٥) والبيهقي في الدلائل (٢/ ١٦٠ - ١٦١).

أقام فيهم شهراً ينافي ما قاله ابن سعد: وكانت مدة إقامته ﷺ بالطائف عشرة أيام[٣١٤] وأجيب بإمكان الجمع بينهما بأن العشرة في نفس الطائف والعشرين فيما حواليها وطريقها (ثم عاد) ورجع من الطائف حزيناً ودخل (مأمنه) أي مكة في جوار المطعم بن عدي بعد أن أرسل ﷺ إلى الأخنس فقال له: هل أنت مجيري فأبى وإلى سهيل بن عمر فأبى، وإلى المطعم فقال نعم (وعمره) ﷺ حين العود (إحدى وخمسون سنة) والأصح كما في المواهب وغيره وجزم به العز بن جماعة، لأن رجوعه من الطائف في آخر شوال سنة عشر من النبوة فلم يبلغ إحدى وخمسين (وفي طريقه) ﷺ وقت انصرافه من الطائف مرّ بعتبة وشيبة ابني ربيعة وهما في حائط لهما، فلما رأيا ما لقي ﷺ تحركت له رحمهما فبعثا له ﷺ مع غلام نصراني لهما قطف عنب فلما وضع يده ﷺ في القطف قال: بسم الله الرحمن الرحيم ثم أكل فنظر النصراني إلى وجهه ثم قال: والله إن هذا الكلام ما يقوله أهل هذه البلدة، فقال له ﷺ: من أي البلاد أنت؟ وما دينك؟ فقال: نصراني من نينون، فقال ﷺ من قرية الرجل الصالح يونس بن متى، فقال وما يدريك؟ قال: ذاك أخي وهو نبي مثلي، فأكبّ النصراني على يديه ورأسه ورجليه يقبّلها، وأسلم[٣١٥].

وفي طَـريقِـهِ أتـى في نَخْلَـة جِـنِ نصيبين وَأسْلَمـوا لَـه

(وفي طريقه) أيضاً (أتى) إليه ﷺ (في) وادي (نخلة) المشهور اليوم بالمضيق (جن) فاعل أتى، وعددهم سبعة، من جنّ (نصيبين مدينة بالشام كما في المواهب وغيره. ذكر المؤرخون أن نصيبين أربع مواضع **الأول** مدينة عامرة بقرب سنجار وهي قاعدة ديار ربيعة، وفي شمالها جبل الجودي، مستقر السفينة وهي كثيرة المياه والبساتين مسورة، ذكر أن لها ولقراها أربعين ألف بستان لكنها

---

(٣١٤) رواه ابن سعد في الطبقات (١/ ٢١٢) عن الواقدي وهو متروك.

(٣١٥) أنظر الإصابة (٤/ ٤٦٦ ـ ٤٦٨) ترجمة عداس، وهو اسم هذا النصراني.

وخمة لكثرة مياهها ومن خواصها: أنها لا تقبل العدل البتة، بل سوق الظلم بها قائمة، ولو كان واليها كسرى أنو شيروان ويضرب بِعَقارِبها المثل وكذا بلصوصها.

والثاني مدينة على شاطىء الفرات كبيرة تعرف بنصيبين الروم بينها وبين آمد أربعة أيام.

والثالث والرابع قريتان من قرى حلب الشام انتهى.

فقام ﷺ يصلي في جوف الليل فاستمعوا له وهو يقرأ سورة الجن (وأسلموا له) وفي الصحيح أن الذي أعلمه ﷺ بالجن ليلة الجن شجرة(٣١٦) وأنهم سألوه الزاد فقال ﷺ: كلّ عظم ذكر اسم الله عليه يقع في يد أحدكم أوفر ما يكون لحماً، وكلّ بعر علف لدوابكم وفي هذا ردّ على من زعم: أن الجن لا يأكل ولا يشرب، وما ذكره الناظم كغيره من أن استماع الجن لقراءته حين انصرف من الطائف وبات بنخلة هو رواية ابن إسحاق، واعترض عليه الحافظ ابن كثير: بأن الأحاديث تقتضي أن ذلك كان قبل ذلك، وأجيب بأنه لا مانع من تكرار استماعهم ولو في سورة واحدة.

المعراج وفرض الصلاة

إعلم أن قصة الإسراء والمعراج من أشهر المعجزات وأظهر البراهين والبينات وأقوى الحجج وأعظم الآيات ومن ثمة قال بعض المفسرين: إنها أفضل من ليلة القدر بالنسبة له ﷺ لأنه أعطي في ليلة الإسراء ما لا يحيط به الحدود ولذا كان الإسراء بالجسم في اليقظة من خصائص نبيّنا ﷺ قال ابن حجر: وخالف في كونه بالجسم وكونه في اليقظة من لا يعتد بخلافه وزعم تعدد الإسراء لتباين

(٣١٦) رواه البخاري (٣٨٥٩) ومسلم (٤٥٠) وفي مسند إسحاق بن راهوية سمرة.

الروايات فيه تبايناً منتشراً وعدم إمكان الجمع بينهما إلاّ بدعوى التعدد بالجسم تارةً والروح أخرى مردودٌ والأصح أنه إسراء واحد بالجسم والروح في اليقظة وأنّ ما خالف الجادة من الروايات (٣١٧) إن أمكن تأويله تعيّن وإلا حكم عليه بأنه وهم في الراوي كرواية إن الإسراء قبل البعثة فإن الإجماع على أنه بعدها على أنها أوّلت انتهى.

وفي الشفاء ذهبت طائفة إلى أنه إسراء بالروح وأنه رؤيا منام مع اتفاقهم على أنَّ رؤيا الأنبياء حق ووحي وإلى هذا ذهب معاوية وذهب معظم السلف والمسلمين إلى أنه إسراء بالجسد وفي اليقظة وهو الحق وعليه تدلُّ الآية وصحيح الأخبار ولا يعدل عن الظاهر والحقيقة إلى التأويل (٣١٨) إلاّ عند الاستحالة ولا استحالة في الإسراء بجسده وحال يقظته كيف ولو كان مناماً لما كانت فيه معجزة ولما استبعده الكفّار ولا كذّبوه ولا ارتدّ به ضعفاء مَن أسلم لأن مثله من المنامات لا ينكر فلم يكن ذلك منهم إلا لعلمهم بأن خبره إنما كان عن جسمه وفي حال يقظته انتهى.

وقال التفتازاني في كتبه الكلامية: دلّ الكتاب على معراجه ﷺ إلى المسجد الأقصى وإجماع القرن الثاني على أنه في اليقظة وبالجسد والخبر المستفيض على كونه إلى السماء وخبر الواحد إلى الجنة أو العرش أو طرف العالم انتهى.

وَبَعْدَ تِسْعِ أَشْهُرٍ أُسْرِي بِهِ   لِلْمَسْجِدِ الأقصى وكانَ مُنْتَبِهْ

(وبعد تسع أشهر) مع إحدى وخمسين سنة المذكورة كما في مختصر ابن سيّد الناس أو بعد اثنتين وخمسين سنة كما جزم به العز بن جماعة ورجّحه الغيطي وغيره فعليه يكون الإسراء قبل الهجرة بسنة، وبالغ ابن حزم فادّعى فيه الإجماع

---

(٣١٧) في نسختي ونسخة القاضي من الراوي.

(٣١٨) في نسخة القاضي إلى تأويل.

وقيل كان قبلها بسنة وخمسة أشهر حكاه غير واحد عن السّديّ وقيل بسنة وثلاثة أشهر وقيل قبلها بثلاث سنين ذكره ابن الأثير كما في المواهب وأمّا ما حكاه القاضي عياض عن الزهري من أن الإسراء كان بعد المبعث بخمس سنين ورجّحه النووي كالقرطبي محتجاً بأنه لا خلاف أن خديجة صلت معه الخمس ولا خلاف أنها توفيت قبل الهجرة إما بثلاث وإما بخمس سنين وإن فرض الصلاة كانت ليلة الإسراء فردّوه بأن الصحيح أن موتها بعد المبعث بعشر سنين في رمضان وذلك قبل أن تفرض الصلوات كما في حديث عائشة ويلزم منه أن يكون موتها قبل الإسراء وهو المعتمد وأما تردّده في سنة وفاتها فيردّه جزم عائشة رضي الله تعالى عنها بأنها ماتت قبل الهجرة بثلاث سنين قاله الحافظ ابن حجر العسقلاني[٣١٩] (أسري) بالبناء للمجهول للعلم بفاعله (به) نائب الفاعل يقال: سرى وأسرى بمعنىً، والسرى السير بالليل أي أسرى به الله سبحانه وتعالى ليلاً وهي ليلة الإثنين أو الجمعة أو السبت من شهر رمضان أو شوال أو رجب وبه جزم النووي في الروضة، أو ذي الحجة أو ثالث عشر ربيع الآخر وجرى عليه النووي في فتاواه، أو ومن شهر ربيع الأول وجرى عليه في شرح مسلم، والحكمة في كونه ليلاً هي: أنه محل خلوة الحبيبين عادة وليحصل فضيلة الإيمان بالغيب للمؤمن والافتتان للكافر، من المسجد الحرام بعد أن جاءه جبريل عليه السلام بالحطيم، أو شعب أبي طالب أو بيته أو بيت أم هانيء، روايات جمع بينها بأنه بات في بيت أم هانى، وبيتها عند شعب أبي طالب وأضيف إليه لأنه كان يسكنه[٣٢٠] ولم يأته جبريل من باب البيت بل انفرج له سقف البيت حين انصبّ من السماء انصبابةً واحدةً بإزاء محله الذي هو فيه مبالغة في المفاجأة وتنبيها على شدة الطلب فأخرجه ﷺ جبريل من البيت إلى المسجد فاضطجع لأثر نعاس كان به ثم أخذه فأخرجه ﷺ من المسجد فأركبه البراق

(٣١٩) أنظر الفتح (٧/ ٢٠٣).

(٣٢٠) أنظر فتح الباري (٧/ ٢٠٤).

معه حتى وصلا (للمسجد الأقصى) أي البيت المقدس سمّي أقصى لبعد المسافة بينه وبين المسجد الحرام أو لأنه لم يكن وراءه مسجد يُعْبَدُ فيه، وقيل: لبعده من الأقذار والخبائث.

وروي أن عبدالله بن سلام قال للنبيّ ﷺ لما تلى قوله تعالى ﴿إلى المسجد الأقصى﴾ لم سمّاه الأقصى؟ قال: لأنه وسط الدنيا لا أزيد ولا أنقص. قال: صدقت [٣٢١]. وقد جمع له صاحب كتاب إعلام الساجد بأحكام المساجد، سبعة عشر اسماً وكثرة الأسماء تدلّ على شرف المسمّى، منها: المسجد الأقصى، ومسجد ايلياء ككبرياء وقد يقصر، والبيت المقدس على وزن اسم المفعول، من الإفعال أو التفعيل، وبفتح الميم وسكون القاف، وبيت القُدُس بضمتين، أو ضم فسكون، والقدس الطهارة والتطهير سمّي به لأنه مكان يُتَطَهَّر فيه من الذنوب [٣٢٢].

وفضائله لا تحصر، وأكثر من أن تسطر ويكفي فيها آية: ﴿سبحان الذي أسرى بعبده ليلاً من المسجد الحرام إلى المسجد الأقصى الذي باركنا حوله﴾ لأنه إذا بورك حوله فالبركة فيه مضاعفة، ولحيازته ﷺ فضل البيتين وشرفهما جعل تعالى وتقدس طريقه ﷺ في العروج إلى السماء عليه وتبييناً لفضائله، وإلاّ فالطريق من البيت الحرام إلى السماء كالطريق من البيت المقدس إليها (وكان) ﷺ حين أسري به (مُنتَبِه) بالوقف بالسكون على لغة ربيعة كما تقدم، أي مستيقظاً، ردّ على من زعم أن الإسراء بالروح كما مرّ تقريره.

على البُراقِ ثُمَّ لِلسَّبْعِ العُلى ثُمَّ إلى سِدْرَةِ أعْلى المنتهى

(على البراق) خبر بعد خبر لكان أو حال أي مستوياً ومستقراً على البراق،

---

(٣٢١) لا أظنه يصح.

(٣٢٢) أنظر كتاب إعلام الساجد (ص ٢٧٧ ـ ٢٧٩).

وهو كما في حديث مسلم: دابة دون البغل وفوق الحمار أبيض طويل يضع حظوه عند أقصى طرفه (٣٢٣)، وسمّي بذلك من البرق لسرعة سيره، أو من البريق أو من قولهم شاة برقاء إذا كان في خلال بياضها سواد (٣٢٤). ومعنى يضع حظوه الخ أنه يضع رجله عند منتهى ما يرى بصره أي يقطع ما انتهى إليه بصره في خطوة واحدة.

وفي رواية صحيحة أنه أتي به مُسرَّجاً ملجماً فاستصعب عليه فقال له جبريل: أبمحمد تفعل هذا؟ فما ركبك أحد أكرم على الله منه قال: فارفضّ عرقاً (٣٢٥). وظاهرها كصريح رواية النسائي وابن مردويه أن الأنبياء كانوا يركبونها قبله فلعل من نفى ركوب غيره ﷺ عليها لم يطلع عليه وإنما استصعب عليه لبعد عهده بالأنبياء لطول الفترة أو ليظهر له جبريل منزلته ﷺ (٣٢٦). وقيل: للفرح والفخر بركوبه ﷺ وصح أن جبريل حمله على البراق رديفاً له ورواه الإمام أحمد بلفظ على ظهره هو وجبريل حتى انتهيا إلى بيت المقدس (٣٢٧). وصح أنهما لما مرّا بيثرب أمره بالنزول وبالصلاة فيها وكذلك لما مرّا بمدين عند شجرة موسى عليه السلام وببيت اللّحم الذي ولد فيه عيسى عليه السلام (٣٢٨)، وأراه

---

(٣٢٣) رواه مسلم (١٦٢).

(٣٢٤) أنظر فتح الباري (٧/ ٢٠٦).

(٣٢٥) رواه أحمد (٣/ ١٦٤) والترمذي (٥١٣٨) والطبري في تفسيره (١٥/ ١٥) وابن حبان في صحيحه (٤٦) وهو حديث صحيح، وفي نسخة القاضي أكرم عند الله وهو خطأ.

(٣٢٦) أنظر فتح الباري (٧/ ٢٠٧).

(٣٢٧) رواه أحمد (٥/ ٣٩٢ و ٣٩٤) من حديث حذيفة وفيه من هو متكلم فيه وانظر الفتح (٧/ ٢٠٧) ورواه ابن أبي شيبة في المصنف (١١/ ٤٦٠ - ٤٦١ و ١٤/ ٣٠٦ - ٣٠٧).

(٣٢٨) رواه الطبراني في الكبير (٧١٤٢) ومسند الشاميين (١٨٩٤) والبيهقي في دلائل النبوة (٢/ ١٠٧ - ١٠٩) وقال: هذا إسناد صحيح، وروى ذلك مفرقاً في أحاديث غيره، ونحن نذكر من ذلك إن شاء الله تعالى ما حضرنا، ثم ساق أحاديث كثيرة في الإسراء كالشاهد لهذا. =

عجائب أخرى مذكورة في أحاديث الإسراء فلما وصلا بيت المقدس نزلا وربطه ﷺ كما في رواية (٣٢٩)، أو جبريل كما في أخرى (٣٣٠)، وجمع بأنهما ربطاه معاً بالحلقة التي كانت الأنبياء تربطه بها ثم دخل المسجد وبعث الله تعالى له آدم عليه السلام فمن دونه من الأنبياء كما في حديث البيهقي عن أنس (٣٣١) وحديث البزار والطبراني ثم أذن مؤذن فأقيمت الصلاة فقاموا صفوفاً فأخذ جبريل بيده ﷺ فقدّمه فصلى بهم (٣٣٢). وفي حديث ما يدلّ على أنه ﷺ صلى بهم في بيت المقدس من بعد العروج أيضاً، وتلك الصلاة قيل: هي صلاة الصبح، أي بناء على أنه صلى فيه بعد العروج، وقيل: العشاء بناء على أنه صلى فيه قبله. وقال صاحب السيرة الشامية: وهذان القولان ساقطان سواء قلنا: صلى بهم قبل العروج

= قال الحافظ ابن كثير في تفسيره (٣/ ١٤) وقد روي هذا الحديث عن شداد بن أوس بطوله الإمام أبو محمد عبدالرحمن بن أبي حاتم في تفسيره عن أبيه عن إسحاق بن إبراهيم بن العلاء الزبيدي، ولا شك أن هذا الحديث أعني الحديث المروي عن شداد بن أوس مشتمل على أشياء منها ما هو صحيح كما ذكره البيهقي، ومنها ما هو منكر كالصلاة في بيت لحم وسؤال الصديق عن نعت بيت المقدس وغير ذلك والله أعلم.
ورواه البزار (٥٣) وفي إسناده إسحاق بن إبراهيم وهو متكلم فيه ومنهم من أطلق عليه الكذب.

(٣٢٩) رواه أحمد (٣/ ١٤٨) ومسلم (١٦٢).

(٣٣٠) رواه الترمذي (٥١٣٩) وابن حبان (٤٧) والحاكم (٢/ ٣٦٠) وصححه ووافقه الذهبي من حديث بريدة. وفيه فخرق جبريل الصخرة بإصبعيه وشد بها البراق. وورد في أحاديث أخرى.

(٣٣١) رواه ابن جرير الطبري في تفسيره (١٥/ ٦) والبيهقي في الدلائل (٢/ ١١٣ - ١١٤) من حديث أنس. قال ابن كثير في تفسيره (٣/ ٥) في بعض ألفاظه نكارة وغرابة. ورواه النسائي (١/ ٢٢١ - ٢٢٣) من طريق آخر عن أنس وبلفظ آخر.
قال ابن كثير (٣/ ٥) وفيها غرابة ونكارة جداً.

(٣٣٢) رواه ابن أبي حاتم في تفسيره كما في تفسير ابن كثير (٣/ ٦ - ٧) من حديث أنس أيضاً.
قال ابن كثير (٣/ ٧) هذا سياق فيه غرائب عجيبة.
وانظر فتح الباري (٧/ ٢٠٨ - ٢٠٩).

أم بعده، لأن أول صلاة صلاها رسول الله ﷺ من الخمس مطلقاً: الظهر بمكة بالاتفاق، فالظاهر أنها كانت من النفل المطلق، أو من المفروضة عليه بالعشي قبل الإسراء، وفي فتاوى النووي ما يؤيد الثاني، انتهى.

(ثم) لما فرغ من إمامته لهم عرج به (للسبع) من السماوات (العلى) إما على البراق أيضاً كما هو ظاهر رواية البخاري، وإما بأن نصب له المعراج كما اشتهر وصحت به روايات من أنه استمر على البراق إلى بيت المقدس، ثم نصب له المعراج فارتقى فيه (٣٣٣)، وكلام الناظم يحتمل الأمرين وحمله على الثاني أولى، والمعراج مرقاة من فضة ومرقاة من ذهب فوضع له ﷺ، وعن يمينه ملائكة وعن يساره ملائكة إعلاماً برفعة قدره ﷺ (٣٣٤)، ثم صعد فيه هو وجبريل حتى انتهيا إلى باب السماء الدنيا فاستفتحه جبريل، فقيل له من أنت؟ قال جبريل: قيل ومن معك؟ قال محمد ﷺ قيل: أوَقَدْ بُعث إليه قال: وقد بعث إليه (٣٣٥)، ففتح له وهكذا إلى السماء السابعة، ورأى في السماء الدنيا (٣٣٦) آدم عليه السلام، وعن يمينه أرواح المؤمنين فإذا نظر إليهم ضحك أي لأنه يكشف له عنهم وهم في الجنة التي هي مستقر أرواحهم، وعن يساره أرواح بنيه الكفار فإذا نظر إليهم بكى أي لكونه يكشف له أنهم في النار (٣٣٧). وفي الثانية يحيى وعيسى عليهما السلام وفي الثالثة يوسف، وفي حديث البيهقي وغيره، فإذا أنا برجل أي يوسف أحسن ما خلق الله قد فُضِّل الناس بالحسن كالقمر ليلة البدر على سائر الكواكب (٣٣٨)، والمراد غير نبيّنا ﷺ لحديث الترمذي [ما بعث الله نبياً إلاّ

---

(٣٣٣) أنظر فتح الباري (٧/ ٢٠٨).

(٣٣٤) أنظر الفتح حيث ذكر ذلك عن كتاب شرف المصطفى لأبي سعيد (٧/ ٢٠٨).

(٣٣٥) في نسخة القاضي قد بعث إليه؟ قال: قد بعث إليه.

(٣٣٦) في نسخة القاضي في السماء الأولى.

(٣٣٧) رواه البخاري (٣٤٩ و ١٦٣٦ و ٣٣٤٢) من حديث أبي ذر.

(٣٣٨) رواه البيهقي (٢/ ١٣٦ - ١٤٢) ورواه ابن جرير في تفسيره (١٥/ ١١ - ١٤) بلفظ

حَسَن الوجه حسن الصوت، وكان نبيكم أحسنهم وجهاً وأحسنهم صوتاً][٣٣٩]. وفي الرابعة إدريس، وفي الخامسة هارون، وفي السادسة موسى وفي السابعة ابراهيم صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين، وهذه أرجح الرّوايات الصحيحة في بيان منازلهم، على أنه جُمِعَ بين الروايات المختلفة في ذلك: بأنه رآهم في الصعود على كيفيات، وفي الهبوط على كيفيات، وحكمة تخصيص هؤلاء باللقاء كما في المواهب وغيره الإشارة إلى ما سيقع له ﷺ مع قومه من نظير ما وقع لكل منهم.

فهجرته من مكة إلى المدينة والعود إليها، نظير إخراج آدم عليه السلام من الجنة مع العود إليها، بجامع ما لكل منهما من المشقة وكراهة فراق الوطن ومعادات اليهود له أوائل الهجرة وإرادتهم قتله كمعاداتهم لعيسى ويحيى عليهما السلام، ومعادات أهله له من قريش بنصب الحرب وإرادة الإهلاك كمعادات إخوة يوسف له، ورفيع منزلته عند الله تعالى كرفيع منزلة ادريس بل أعلى،

آخر. من حديث أبي سعيد الخدري، وفيه أبو هارون العبدي وأسماه عمارة بن جوين وهو متروك ومنهم من كذبه.

ورواه البزار (٥٥) من حديث أبي هريرة وفيه مجهول. ونسبه الحافظ في الفتح (٧/ ٢١٠) إلى الطبراني ولم أره عنده في معاجمه الثلاثة، ثم ظهر لي أن الكلمة محرفة من الطبري. حيث رواه (١٥/ ٦ - ١١).

(٣٣٩) رواه الترمذي في الشمائل (٣١٩) عن قتيبة بن سعيد عن نوح بن قيس الحراني عن حسام ابن مصك عن قتادة من قوله.

قال الحافظ المزي في تحفة الأطراف: ورواه العباس بن يزيد البحراني عن نوح عن حسام عن قتادة عن أنس فذكره.

وفي إسناده حسام بن مصك وهو ضعيف يكاد أن يترك كما قال الحافظ. وعده الحافظ الذهبي من منكراته في الميزان.

ويظهر أن الشارح تبع الحافظ في الفتح (٢١٠/٧) في نسبة أثر أنس إلى الترمذي وهو وهم، حيث عنده من قول قتادة لا أنس.

ورجوع قومه ﷺ إلى صحبته ومحبته بعد النفرة عنه كرجوع قوم هارون إلى صحبته بعد النفرة عنه وقت ميقات الكليم، ومعالجته لقومه كمعالجة موسى لقومه، وتمكنه ﷺ من مكة والكعبة وتمتعه بهما كما وقع لابراهيم عليه السلام، ومن ثم رآه ﷺ مسنداً ظهره إلى البيت المعمور كما في حديث مالك بن صعصعة(٣٤٠). وهو بحذاء الكعبة. وروى الطبري عن قتادة قال ذكر لنا: أن النبي ﷺ قال: البيت المعمور مسجد في السماء بحذاء الكعبة لو خرّ لخرّ على الكعبة يدخله سبعون ألف ملك كل يوم، إذا خرجوا منه لم يعودوا(٣٤١). وهذا الوجه لتخصيصهم باللّقاء أولى مما قيل فيه: إن الأنبياء أمروا بملاقاته ﷺ، فمنهم من أدركه في أول وهلة، ومنهم من تأخر فلحقه، ومنهم من فاته. وذكر العارف ابن أبي حمزة في وجه اختصاص كل منهم بسماء ما يطول ذكره (ثم) أسري به على ظهر السماء السابعة حتى وصل (إلى سدرة المنتهى) كما في حديث مسلم عن أنس: ثم ذهب بي إلى سدرة المنتهى فإذا ورقها كآذان الفيلة جمع فيل، وإذا ثمرها كالقلال، قال: فلما غشّاها من أمر الله ما غشّى تغيّرت، فما أحد من خلق الله يستطيع أن ينعتها من حسنها(٣٤٢).

وفي رواية عند البخاري: فغشيها ألوان لا أدري ما هي(٣٤٣). قال تعالى: ﴿إذ يغشى السدرة ما يغشىٰ﴾ قال: فراش من ذهب كما في رواية مسلم(٣٤٤)، وفي رواية جراد من ذهب، قال البيضاوي: وذكر الفراش وقع على سبيل التمثيل

(٣٤٠) أنظر فتح الباري (٧/ ٢١٠ - ٢١١) ولم يروه مالك بن صعصعة وإنما هو عن أنس عند مسلم (١٦٢) ومن طريقه البغوي في شرح السنة (٣٧٥٣) ورواه أحمد (٣/ ١٤٨ - ١٤٩).

(٣٤١) تفسير ابن جرير الطبري (٢٧/ ١٧) وفي النسخ الثلاث الطبراني وهو خطأ.

(٣٤٢) رواه مسلم (١٦٢).

(٣٤٣) هو في حديث أبي ذر وتقدم في التعليق (٣٣٧).

(٣٤٤) رواه مسلم (١٧٣) من حديث ابن مسعود.

لأن من شأن الشجر أن يسقط عليها الجراد أو شبيهه أو جعلها من الذهب حقيقة[٣٤٥]. والقدرة صالحة لذلك، وفي رواية: فغشيها نور وغشي الملائكة عليها، قال ابن دَحِية: واختيرت السدرة لأن فيها ثلاثة أوصاف، ظل ممدود وطعم لذيذ، ورائحة ذكية، فكانت بمنزلة الإيمان يجمع القول والعمل والنية، فالظل بمنزلة العمل والطعم بمنزلة النية والرائحة بمنزلة القول[٣٤٦]. وقال العارف ابن أبي حمزة وهل الشجر مغروسة في محل من أرض الجنة أو غيرها، أو مستقرة في الهواء، كل محتمل والقدرة الباهرة صالحة لكليهما انتهى.

وكلام الأئمة يؤيد الأول، ففي النهاية: السدرة شجرة النبق، وسدرة المنتهى شجرة في أقصى الجنة ينتهي إليها علم الأولين والآخرين ولا يتعداها، انتهى[٣٤٧].

وفي حديث البخاري قال: هذه سدرة المنتهى، وإذا أربعة أنهار، نهران باطنان ونهران ظاهران قال: أمّا الباطنان، فنهران في الجنة، وأما الظاهران فالنيل والفرات، وفي رواية عند البخاري أيضاً: فإذا في أصلها أي سدرة المنتهى، وعند مسلم يخرج من أصلها أربعة أنهار، وجمعوا بينها وبين حديث مسلم عن أبي هريرة أربعة أنهار من الجنة: النيل والفرات وسيحان وجيحان فاحتمال أن تكون سدرة المنتهى مغروسة في الجنة، والأنهار تخرج من أصلها، فيصح أنها في الجنة، وقد جاء في حديث مسلم سبب تسميتها بسدرة المنتهى، ولفظه:

لما أسري برسول الله ﷺ قال: انتهى بي إلى سدرة المنتهى وهي في السماء السادسة وإليها ينتهي ما يعرج من الأرض فيقبض منها، وإليها ينتهي ما يهبط من فوقها فيقبض منها، ولا تنافي بينه وبين ما دل عليه بقية الأحاديث من أنها

---

(٣٤٥) أنظر فتح الباري (٧/ ٢١٣).
(٣٤٦) أنظر الفتح (٢١٣/٧)
(٣٤٧) النهاية (٢/ ٣٥٣).

في السماء السابعة لأنه يحمل على أن أصل ساقها في السماء السادسة وأغصانها وفروعها في السابعة، إذ قد علم أنها في نهاية العظم قد أظلت الجنة والسموات، قاله النووي وذكره العسقلاني في فتح الباري[٣٤٨]. ثم أدخل الجنة وأحاط ﷺ بما فيها من الأنهار والأشجار والثمار والحور ثم عرض عليه النار بما فيها من التهويلات كما في أحاديث مشهورة، ثم أسري به إلى مكان (أعلى) من سدرة (المنتهى) كما في حديث البخاري، ثم عرج بي حتى ظهرت لمستوى أسمع فيه صريف الأقلام، الحديث[٣٤٩]. وفي المواهب: المستوى المصعد، وصريف الأقلام بفتح الصاد المهملة تصويتها حال الكتابة، والمراد ما تكتبه الملائكة من أقضية الله تعالى، والقدر المكتوب قديم وإنما الكتابة حادثة، وظاهر الأخبار: أن اللوح المحفوظ فرعٌ من كتابته، وجف القلم فيه بما قبل خلق السماوات والأرض، وإنما هذه الكتابة في صحف الملائكة، كالفروع المستنسخة من الأصل، وفيها المحو والإثبات كما في الآية، انتهى.

قال الشهاب ابن حجر: وفي رواية: لم تثبت كسائر الروايات الحجب، ثم زج بي أي رمي بي في النور زجاً فخرق بي سبعين ألف حجاب، كل حجاب مسيرة خمسمائة عام ثم دُلّي لي رفرف أي بساط أخضر ثم احتملني حتى وصلت إلى العرش، وهذه الحجب بفرض صحتها إنما هي بالنسبة للمخلوقين، وأما هو عز وجل فلا يحجبه شيء انتهى.

(تنبيه) علم بما قدرته في النظم أن سدرة مضاف إلى المنتهى المحذوف المنوي لفظه لدلالة ما بعده عليه على طريقة قوله ومن قبل نادى كل مولى قرابة أي ومن قبل ذلك وأن أعلى بإسقاط العاطف من ثم أو الواو بناءاً على قول ابن مالك في العمدة أن الحذف مختص بالواو من بين حروف العطف وإنما قدرته هكذا

---

(٣٤٨) انظر فتح الباري (٧/ ٢١٣).

(٣٤٩) هو في حديث أبي ذر المتقدم في التعليق (٣٣٧).

ليفيد كلامه أنواع المعاريج وأنه ﷺ جاوز سدرة المنتهى.

فقد قال بعض الأئمة المعاريج ليلة الإسراء عشرة، سبعة في السموات والثامن إلى سدرة المنتهى، والتاسع إلى المستوى الذي سمع فيه صريف الأقلام والعاشر إلى الرفرف والعرش والرؤية وسماع الخطاب انتهى.

ويجوز جعل سدرة مضافاً إلى المنتهى الملفوظ وأعلى نعتاً متوسطاً كما في قوله (في ابن أبي شيخ الأباطح طالب) أي من ابن أبي طالب شيخ الأباطح، ففصل بينهما بالنعت والتقدير هنا: إلى سدرة المنتهى أعلى المقامات بالنسبة لما تحتها لكنه خالٍ عن الفائدة المذكورة وأما جعل أعلى المنتهى نعتاً لسدرة فلا يظهر له وجه كما لا يخفى على العارف بالقواعد ولو قال: ثم إلى السدرة أعني المنتهى لخلا عن التكلّف وأفاد أن إضافة سدرة المنتهى في الآية والأحاديث بيانية كما هو ظاهر كلامهم فافهم.

وكَانَ بَيْنَهُ وَبَيْنَ رَبِّهِ ما كانَ مِنْ كلامِهِ وَقُرْبِهِ

[وكان بيته] ﷺ [وبين ربّه] عز وجل في ذلك المقام الأرفع [ما كان] أي الذي كان وإبهامه للتفخيم كما في قوله تعالى: ﴿فغشيهم من اليم ما غشيهم﴾ ثم بين بعض ما أبهم بقوله [من كلامه] تعالى معه وإنما اختص موسى عليه السلام باسم الكليم لأنه سمعه وهو في الأرض قاله الغيطي (٣٥٠) وغيره ورأى ﷺ في هذا المقام الذي لم يصل إليه مخلوق غيره، ربّه عز وجل بعين رأسه على الوجه الذي وعده الله تعالى به لعباده في الجنة ولا يعلم كيفيته كما صح عن ابن عباس رضي الله عنهما: أنه رآه عز وجل بعين بصره (٣٥١)، وجاء عن أنس بإسناد

(٣٥٠) مولد الغيطي (١٥/ ١).

(٣٥١) هذا غير صحيح عن ابن عباس بل الذي جاء عن ابن عباس رضي الله عنهما نوعان منه ما هو مطلق ليس فيه أنه رآه بعينه، ومنه ما هو مقيد بأنه رآه بفؤاده وبقلبه، قال الحافظ في الفتح (٨/ ٦٠٨) فيجب حل مطلقها على مقيدها.

قوي: رأى محمد ﷺ ربّه عز وجل (٢٥٢).

وكان الحسن البصري يحلف أنه رأى ربّه وبذلك قال عروة وسائر أصحاب ابن عباس، وجزم به كعب الأحبار والزهري ومعمر وآخرون، وهو قول الأشعري وغالب أتباعه (٣٥٣).

قال الجلال المحلي وغيره وهو الصحيح وأنكرت عائشة رضي الله عنها وابن مسعود الرؤية، قال النووي: لكن خالفها غيرها من الصحابة. والصحابي إذا خولف لا يكون قوله حجةً اتفاقاً (٣٥٤).

وسئل الإمام أحمد عن قول عائشة: (من زعم أن محمداً رأى ربّه فقد أعظم على الله الفرية) بِمَ يُدفع قولها؟ قال: بقول النبي ﷺ: (رأيت ربي) وقول النبي ﷺ أكبر (٣٥٥) [وقربه] ودنوه تعالى المعنوي ببسط الإكرام وإعلاء المنزلة وإجابة الدعوة وتشريف الرتبة، لا الحسي المكاني للبراهين القطعية السمعية والعقلية على تنزهه تعالى عن المكان والجهة.

وفي الصحيح عن أنس رضي الله عنه: عرج بي جبريل إلى سدرة المنتهى ودنى

= بل روى ابن مردويه عنه أنه قال: لم يره رسول الله ﷺ بعينه. كما يجمعوا بين إنكار عائشة وإثبات ابن عباس بأن عائشة أنكرت الرؤية بالبصر وأن ابن عباس أثبتها بالقلب والفؤاد.

(٣٥٢) إن كان يقصد حديث أنس عند ابن خزيمة في التوحيد (ص ٢٠٩ - ٢١٠) والبزار (٥٨) وفيه ورأيت النور الأعظم وإذا دونه الحجاب، فليس فيه التصريح بأنه رأى ربه، وإن كان غير هذا الحديث فلم أره ولا أظنه يصح، ثم رأيته عند ابن خزيمة في التوحيد (ص ١٩٩) وابن أبي عاصم في السنة (٤٣٢) وهو حديث ضعيف لأن في إسناده أبو يجز البكراوي وهو ضعيف.

(٣٥٣) هكذا هو في فتح الباري (٨/ ٦٠٨) وروى قول الحسن البصري ابن خزيمة في التوحيد (ص ١٩٩ - ٢٠٠).

(٣٥٤) انظر شرح النووي على صحيح مسلم (٣/ ٥).

(٣٥٥) انظر الفتح (٨/ ٦٠٨ - ٦٠٩).

الجبار رب العزة فتدلى[٣٥٦]. أي بالمعنى الذي ذكرناه آنفاً حتى كان منه قاب قوسين أي مسافة قربه المعنوي مثل قاب قوسين أي قدر قوسين كما قاله الجوهري. فأوحى اليه بما شاء وأوحى إليه خمسين صلاةً، الحديث.

وفي المواهب وغيره اعلم أن التدلي والدنو المذكور في حديث أنس وغيره من أحاديث المعراج غير التدلي والدنو في أول سورة نجم فإن هذا في حق جبريل كما صح تفسيره بذلك عنه ﷺ وصح عن عائشة رضي الله عنها سألْتُ رسول الله ﷺ عن قوله تعالى: ﴿ثم دنى فتدلى﴾ الآية، فقال: ذلك جبريل لم أره في صورته التي خلق عليها إلا مرتين.

(فائدة جليلة) اعلم أنه ورد النهي عن التفكر في ذاته تعالى وما أمرنا الله تعالى قط أن نعلم كيف ذاته؟ وإنما أمرنا أن نعلم أنه لا إله إلا الله وحده لا شريك له فلم يقف عن ذلك التفكر غالباً العقول بل يفكره إلى ما لا حاجة له إليه، فاعتقد كمال التنزيه ونفي التشبيه ليس كمثله شيء، فالحق وراء ما أدركه الخلق بأفهامهم وما أحسن قول الأئمة العارفين: كلّما خطر ببالك فالله بخلاف ذلك لأن كلما خطر ببالك فهو شيء والله تعالى ليس كمثله شيء. فإن قلت فما الحكمة في خلق العرش وإضافته إليه تعالى، وإعلامه تعالى بأنه استوى عليه مع القطع بأنه ليس المراد بالاستواء الاستقرار[٣٥٧]؟ قلت: قال بعض العارفين: الحكمة في ذلك تقريب الطريق على عباده، وذلك أنه تعالى لما كان هو الملك العظيم ولا بد للملك من مكان يقصده فيه عباده لحوائجهم وإن كان ذاته تعالى لا تقبل المكان قطعاً، اقتضت المرتبة له تعالى أن يخلق عرشاً وأن يذكر لعباده أنه استوى عليه ليقصدوه بالدعاء وطلب الحوائج فكان ذلك من جملة رحمته بعباده والتنزل بعقولهم ولولا ذلك لبقي العبد حائراً لا يدري أين يتوجه بقلبه،

(٣٥٦) هو في صحيح البخاري (٧٥١٧) وانظر الفتح (١٣/ ٤٨٤ - ٤٨٥).

(٣٥٧) نقول كما قال كثير من السلف الاستواء معلوم والكيفية مجهولة والسؤال عنه بدعة.

فإن الله تعالى خلق العبد ذا جهة فلا يعقل إلا ما في جهة، ما دام عقله حاكماً عليه، فإذا منّ الله تعالى عليه بالكمال واندرج نور عقله في نور إيمانه تساوت عنده الجهات في جانب الحق تعالى وعلم أن الحق لا يقبل الجهة ولا التميز، وأن العلويات كالسفليات في القرب منه تعالى، فعلم أن الشرع ورد تنزلاً لضعفاء العقول رحمة بهم انتهى.

قال بعضهم: ينبغي أن يكتب هذا النفاسة بأحداق العيون، قال بعض أهل الإشارات في أحاديث الإسراء، ولمّا انتهى ﷺ إلى العرش تمسك العرش بأذياله وناداه بلسان حاله: يا محمد ﷺ جعلني أعظم خلقه فكنت أشدهم منه خوفاً وهيبة، وأكثرهم فيه حيرةً فكنت على قائمتي لا إله إلا الله فزادت ارتعادي فكتب محمد (٣٥٨) ﷺ رسول الله فسكن روعي ببركة اسمك عليّ فكيف بجميل نظرك إليّ يا محمد ﷺ، أنت المرسل رحمةً للعالمين ولا بد لي من نصيب من هذه الرحمة، ونصيبي يا حبيبي: أن تشهد لي بالبراءة عما نسبه أهل الزور إليّ وتَقَوَّلَه أهل الغرور عَلَيَّ، زعموا أني أسمع من لا مثل له، وأحيط بمن لا كيفية له، من لا حد لذاته ولا عدّ لصفاته، كيف يكون مفتقراً إليّ أو محمولاً عليّ، فالرحمن اسمه، والغناء عن العالمين صفته أوجدني فضلاً ولو محقني كان عدلاً، فأنا محمول قدرته ومعمول حكمته كذا في المواهب ملخصاً.

وأنشد بعض العارفين:

العرش والله بالرحمن محمول ... وحامله وهذا القول معقول
وأي حول لمخلوق ومقدرة ... بذاك ما جاءنا عقل وتنزيل

ويشهد لذلك ما رواه الطبراني عن ابن عباس رضي الله عنهما: إن لله مَلَكاً لو قيل له: التقم السموات السبع والأرضين بلقمة واحدة لفعل، تسبيحه:

(٣٥٨) في نسختي ونسخة القاضي فازددت ارتعاداً فكتب رسول الله.

سبحانك حيث كنت[٣٥٩] أي بفتح التاء. قال العلامة المناوي: والمقصود بيان عظم أجرام الملائكة وأنه سبحانه وتعالى ليس بمتصل بهذا العالم كما أنه ليس بمنفصل عنه، فالحيثية والكينونية عليه محال لتعاليه عن الحلول في مكان انتهى[٣٦٠].

وهذا الاستطراد نافع جداً في هذا المقام الذي ذكر فيه الدنو والتدلي ومن ثمّ أطنبنا به.

وَفَرَضَ اللهُ الصَّلاةَ ثَمَّة ... وجاء جبريل غداً فأمَّهُ

[و] من جلة ما أوحى الله تعالى إليه أن [فرض الله] عليه وعلى أمته [الصلاة] أي خمسين صلاةً في كل يوم وليلة [ثم] أي في ذلك المقام الأعلى فرجع فمرّ على موسى عليه السلام فسأله عما فرض عليه وعلى أمته فأخبره به فأمره لإطلاعه على أحوال هذه الأمة في التوراة بالرجوع إلى ربه وسؤاله التخفيف لأمته فإنهم لا يطيقون ذلك فرجع وسأله فحط عنه خمساً وهكذا إلى أن بقيت خمس فأمره بالرجوع وقال إن بني إسرائيل فرض عليهم صلاتان فما قاموا بها[٣٦١] فقال ﷺ: استحييت من ربي. فقال تعالى هي خمس أي في الفريضة وخمسون أي في الثواب، لا يبدل القول لديّ.

قال الأئمة: وحكمة فرضها في هذه الليلة أنه ﷺ لما شاهد تعبد الملائكة ورأى بعضهم في القيام دائماً وبعضهم في الركوع وبعضهم في السجود وأعطاه الله تعالى ذلك كله لأمته في ركعة يصليها الواحد منهم بشروطها وآدابها. ثم عاد ﷺ من سفر الإسراء في الليلة فلما أصبح وحدث بذلك قريشاً كذّبوه وارتدّ

---

(٣٥٩) رواه الطبراني (١١٤٧٦) وفي الأوسط (١٠ مجمع البحرين) وفيه وهب بن رزق ولم أر من ترجه فهو مجهول فالحديث ضعيف.

(٣٦٠) هذا مخالف لعقيدة السلف الصالح ومنهم الإمام ابو الحسن الأشعري رحمه الله.

(٣٦١) في نسختي فما قاموا بها.

ناس ممن كانوا أسلموا وذهب بعض المشركين إلى أبي بكر رضي الله عنه فقالوا لهُ: إن صاحبك يخبر أنه ذهب إلى بيت المقدس وعاد في ليلة فقال: صدق فأنكروا عليه، فقال: إني لأصدّقه فيما هو أبعد من ذلك في خبر السماء في غدوة وروحة، فلذلك سمي الصديق رضي الله عنه رواه الحاكم في مستدركه وابن إسحاق[٣٦٢].

وسألوه ﷺ عن أوصاف البيت المقدس فرفعه الله إليه حتى ينظره كما في رواية البخاري[٣٦٣] فوصفه لهم كما سألوه فانقطع عنهم الحجة وهذا من جملة الحكم في الإسراء به إلى المسجد الأقصى وقد مرّ بعض منها [وجاء جبريل غداً] أي في يوم تلك الليلة [فأمّه] في صلاة الظهر لأنها أول صلاة صلاّها ﷺ من الخمس بالاتفاق وفي التحفة وإنما لم يجب صبح ليلة الإسراء لعدم العلم بكيفيتها حتى جاءه جبريل فأمّه في صلاة الظهر، وتمام تفصيل أحاديث الإسراء يطلب في الكتب المبسوطة.

بدء إسلام الأنصار أوّلاً يوم العقبة

وَكُلَّ مَوسِمٍ يَجيءُ كُلَّ حَيْ   يَعرِضُ نَفسَهُ ليؤوه لِكَي

[وكل] بالنصب مفعول مقدم [موسم] أي وقت يجتمع فيه الحاج في كل سنة، وهو مفعل اسم زمان من الوسم كأنه وسِمَ بذلك الوسم [يجيء] ﷺ كما كان عادته وقت إقامته بمكة [كل حي] بحذف إحدى اليائين للوزن أي كل قبيلة من قبائل العرب حال كونه ﷺ [يعرض] من العرض [نفسه] عليهم ويدعوهم إلى الله تعالى [ليؤوه] أي ليضموه ويجمعوه إلى منازلهم من الإيواء وهو الردّ والضم إلى المأوى أي المنزلة يُقال أوى بالقصر آوى بالمد بمعنى واحد

---

(٣٦٢) رواه الحاكم (٣/ ٦٢ ـ ٦٣) وصححه ووافقه الذهبي من حديث عائشة.

(٣٦٣) رواه البخاري (٣٨٨٦ و ٤٧١٠) من حديث جابر بن عبدالله.

ويستعمل المقصور لازما ايضا بخلاف المحدود تقول أويت إلى المنزل وأويته إليه وآويته [لكي] علة الإيواء .

يُبْلِـغَ عـن الـهِ الكتـابـا وَلَهُـمُ الْجَنَّـةُ فَـاسْتَجـابَـا

[يبلغ] من الإبلاغ [عن إلهه الكتابا] بألف الإطلاق أي المنزل إليه [ولهم] أي للذين عرض ﷺ نفسه عليهم [الجنّة] دار البقاء إن استجابوا . وصح عند الحاكم وغيره: أقام ﷺ عشر سنين يتبع الناس في منازلهم في المواسم بمنى وغيره يقول: من يؤويني من ينصرني حتى أبلغ رسالة ربي وله الجنة حتى بعث الله تعالى له من يثرب، الحديث [٣٦٤] .

ولما لم يستجب له قبيلة وأراد الله تعالى إظهار دينه وإنجاز وعده ساقه إلى الأنصار لِما أراد الله تعالى بهم من الكرامة فانتهى إلى نفر منهم ستة وقيل ثمانية وهم يَحلِقون رؤوسهم عند العقبة في الموسم فجلس إليهم [٣٦٥] ودعاهم إلى الله تعالى وقرأ عليهم القرآن فاستجابوا لله ولرسوله ذكره العز بن جاعة .

وعبارة المواهب وغيره لقي ﷺ رهطاً من الخزرج أراد الله بهم خيراً فقال

---

(٣٦٤) رواه أحمد (٣/ ٣٢٢ - ٣٢٣ و ٣٢٣ و ٣٣٩ - ٣٤٠) والبزار (١٧٥٦) وابن حبان (١٦٨٦) والحاكم في المستدرك (٢/ ٦٢٤ - ٦٢٥) والبيهقي في السنن الكبرى (٩/ ٩) ودلائل النبوة (٢/ ١٨١ - ١٨٣) وحسن الحافظ إسناده في الفتح (٢٢٢/٧) وصححه الحاكم وابن حبان ووافق الحاكم الذهبي في تلخيصه .

قال شيخنا في تخريج أحاديث فقه السيرة (ص ١٥٧) قلت: وفيه علة، وهي عنعنة أبي الزبير وكان مدلساً، وليس هو من رواية الليث بن سعد عنه، فلعل تصحيحه أو تحسينه بالنظر لشواهده والله أعلم.

قلت: صرح بالتحديث في رواية البيهقي في الدلائل حيث قال ابن خيثم عن أبي الزبير محمد ابن مسلم أنه حدثه جابر بن عبدالله . هذا إن لم يكن فيه تحريف أو نقص.

وفي نسخة القاضي بمنى وغيرها.

(٣٦٥) في نسخة القاضي فجلس عندهم.

لهم: ممن أنتم [٣٦٦]؟ قالوا: من الخزرج، قال ﷺ: أفلا تجلسون أكلمكم؟ قالوا بلى، فجلسوا معه فدعاهم إلى الله تعالى وتلا عليهم القرآن فأجابوه وآمنوا به لأنهم عرفوا نعته ﷺ من اليهود فبادروا إلى الإيمان به خوفاً من أن يسبقهم اليهود إلى ذلك، وإلى هذا أشار الناظم بقوله: [فاستجابا] بألف الإطلاق.

لَهُ مِنَ الأنصارِ يَوْمَ العَقَبَة سِتَّةٌ أوَّلاً بَنَفسٍ طَيِّبَة

[له] ﷺ [من الأنصار يوم العقبة] أي عقبة منى أو العقبة الثنية في الجبل وقيل: هي الطريق الصاعد فيه. [ستة أولاً] أي قبل أهل العقبة الثانية والثالثة وهؤلاء يسمون أهل العقبة الأولى، وهو فاعل فاستجاب وبه يتعلق قوله [بنفس طيبة] أي باختيارهم المحمود بلا إكراه. فقال لهم ﷺ: تمنعون ظهري حتى أبلغ رسالة ربي. فقالوا يا رسول الله: إنما كانت بعاث في العام الأول يوم من أيامنا اقتتلنا به فدعنا حتى نرجع إلى قومنا لعلّ الله تعالى يصلح ذات بيننا وندعوهم إلى ما دعوتنا فإن أجابوا فلا أحد أعزّ منك، وموعدك الموسم العام القابل فانصرفوا إلى المدينة ودعوهم إلى الإسلام حتى فشى فيهم ولم يبق دار من دور الأنصار إلا وفيها ذكر رسول الله ﷺ فأول مسجد قُرِأ فيه القرآن مسجد بني زريق.

ثم أتَوْا ببعض مَن قَدْ أسْلَمَا فبايعوا وطلبوا مُعَلِّمَا

[ثم أتوا] أي الستة المذكورة أي خمسة منهم كما جزم به العز بن جماعة وغيره، ونسبة الإتيان إلى الجميع تغليبٌ، في العام القابل مكة [ببعض من قد أسلما] من الأنصار وهم سبعة فصار المجموع إثنا عشر رجلاً خمسة من الستة المذكورة والبقية من الخزرج إلا رجلين فمن الأوس أيضاً [٣٦٧] [فبايعوا] رسول

---

(٣٦٦) في نسخة القاضي من أنتم.

(٣٦٧) في نسختي ونسخة القاضي من الخزرج أيضاً.

الله ﷺ على بيعة النساء عند العقبة ولم يفرض يومئذ القتال وقبلوا ما اشترطه عليهم، وهؤلاء يسمون أهل العقبة الثانية ثم رجعوا إلى المدينة فأظهر الله الإسلام بها، وكان أسعد بن زرارة يُجمِّع بالمدينة بمن أسلم وهم أربعون ثم أرسلوا إليه ﷺ [وطلبوا] منه ﷺ [معلّماً] يعلمهم القرآن فبعث إليهم مصعب بن عمير.

فـــراح مصعـــب والإسلام اعتلى في الأوس والخزرج ثم أقبـــلا
سبعـون في الموسم بـايعـوا النبي فكـــان إذن هجـــرة ليثـرب

[فراح مصعب] المذكور فأسلم على يديه خلق كثير من الأنصار، منهم سيّد الأوس: سعد بن معاذ وابن عمه أسيد بن حضير وتبعهما في يوم واحد جميع بني عبد الأشهل قبيلتها، الرجال والنساء إلا واحداً اسمه عمرو تأخر إسلامه إلى يوم أحد فأسلم واستشهد، ولم يسجد لله سجدةً وأخبر ﷺ: أنه من أهل الجنة وإلى ذلك أشار بقوله: (والإسلام اعتلى) أي ظهر وغلب (في الأوس والخزرج) أي قبيلتها، والأوس والخزرج كانا أخوين وقع بينهما عداوة، ثم بين ذريتهما إلى أن أذهبها الله تعالى بالإسلام، (ثم أقبلا) بألف الإطلاق، أي قدم مكة في العام القابل (سبعون) رجلاً وقيل وخمسة وقيل وثلاثة، وامرأتان (في الموسم) أي موسم الحجّ وهو أيام التشريق فأسلموا (ثم بايعوا النبي) بالتخفيف والإسكان للوزن على أنهم يمنعونه ﷺ مما يمنعون منه نساءهم [وأنفسهم] وأبناءهم، وعلى حرب الأسود، والأبيض (٣٦٨)، واختار ﷺ عليهم اثني عشر نقيباً، فبايعهم ثانياً تأكيداً، وكان ذلك ليلاً سرّاً عن كفار قريش، وهؤلاء يسمون أهل العقبة الثانية (٣٦٩) وحضر العباس رضي الله عنه هذه المبايعة مستوثقاً لرسول الله ﷺ ومؤكداً على أهل يثرب وكان يومئذ على دين قومه، وانصرفوا إلى المدينة.

---

(٣٦٨) في نسختي ونسخة القاضي وعلى حرب الأحمر والأسود.
(٣٦٩) في نسختي ونسخة القاضي العقبة الثالثة وهو خطأ.

ولما اشتد البلاء على المؤمنين بمكة من المشركين: استأذنوا رسول الله ﷺ في الهجرة إلى المدينة (فكان إذن هجرة) من النبي ﷺ لهم (ليثرب) بالجر للضرورة أي إلى يثرب وهو اسم قديم لمدينة النبي ﷺ ، فغيره وسمّاه: المدينة وطيبة وطابة، كراهة للتثريبية [٣٧٠] . وهو اللّوم والتعيير، وقيل: هو اسم أرضها، وقيل: سميت باسم رجل من العمالقة، فخرجوا إليها أرسالاً [لا] متسلسلين، وأقام ﷺ بمكة ينتظر الإذن له بالخروج كما ذكره ابن إسحاق وغيره، ويجوز أن يراد من قوله: فكان إذن هجرة، الإذن له ﷺ في الهجرة من الله تعالى، أو أعم له ولهم إعراضاً عن التفصيل، والأول أولى، وأنسب بفاء التعقيب، قيل: أول من هاجر إلى المدينة أبو سلمة بن عبد الأسد المخزومي قبل بيعة العقبة بسنة، قدم من الحبشة، إلى مكة فآذاه أهلها، وبلغه إسلام من أسلم من الأنصار، فخرج إليهم، وقيل: مصعب بن عمير، حكاهما ابن جماعة، وجزم بالأول في المواهب، ثم عامر بن ربيعة وامرأته ليلى ثم المسلمون أرسالاً، ثم عمر بن الخطاب وأخوه زيد، وعيّاش بن ربيعة في عشرين راكباً، رضي الله عنهم، فقدموا المدينة ونزلوا في العوالي أي قرى المدينة وكان الصديق رضي الله عنه، كثيراً ما يستأذن رسول الله ﷺ في الهجرة فيقول له:

لا تعجل لعل الله أن يجعل لك صاحباً [٣٧١] ، فطمع أبو بكر أن يكون هو (هجرته إلى المدينة وما كان بعد ذلك). ولما بلغ قريشاً: أنه ﷺ بويع، وأمر أصحابه أن يلحقوا بالمدينة، وحصل لهم العزة بها اجتمعوا بدار الندوة، يتشاورون في ما يصنعون في أمره ﷺ ، فاعترضهم إبليس عليه اللعنة عليهم في صورة شيخ نجدي، أي لا تهامي لأنهم كما قال أهل السير: منعوا دخول أهل تهامة معهم فيها لميلهم إليه ﷺ ، وأظهر لهم أنه يريد نصحهم، وأمرهم أن

---

(٣٧٠) في نسختي ونسخة القاضي كراهة للتثريب.

(٣٧١) هو عند ابن إسحاق (٢/ ٢) بدون إسناد لكن معناه في صحيح البخاري (٣٩٠٥).

يعرضوا عليه آراءهم، ليختار أنفعها لهم فقيل: نحبسه، فقال إبليس: قد ينتزع منكم، فقيل: نخرجه، فقال: يأتيكم بما لا طاقة لكم به، فقال أبو جهل: أرى أن تأخذ من كل قبيلة غلاماً قوياً. ثم تعطيهم شفاراً فيضربه كل ضربةً فيتفرق دمه في القبائل، فلم يقدر أهله على حرب قومهم، فيأخذون ديته، فقال إبليس: لله درّك هذا هو الرأي فأجمعوا عليه، فأتاه جبريل عليه السلام فقال: لا تَبِتْ الليلة على فراشك، فلما جاء الليل اجتمعوا على بابه يرصدونه، حتى ينام، فيثبوا عليه، فأمر ﷺ علياً أن ينام مكانه، ففعل وغطّى ببرد أخضر، فكان أول من باع نفسه لله تعالى، وفي ذلك يقول كما في المواهب:

وقيت بنفسي خير من وطىء الثرى ... ومن طاف بالبيت العتيق وبالحجر

رسول إلٰهٍ خاف أن يمكروا به ... فنجاه ذو الطول الإلٰه من المكر (٣٧٢)

ثم خرج ﷺ، وهم جلوس على بابه، فأخذ الله تعالى على أبصارهم، فلم يره أحد بل أخذ كفاً من التراب فنثر على رؤوسهم، فأصاب كلاً منهم شيء من ذلك التراب، إشارة الى غاية ذلتهم وخيبتهم، وهو يتلو قوله تعالى: ﴿يٓس﴾ إلى قوله ﴿فأغشيناهم فهم لا يبصرون﴾، ثم انصرف ﷺ فأتاهم آت ممن لم يكن معهم فقال: ما تنتظرون ههنا؟ قالوا: محمداً، قال: قد خيّبكم الله تعالى والله خرج محمد عليكم، ثم ما ترك منكم رجلاً إلاّ وضع على رأسه تراباً، وانطلق إلى صاحبه [حاجته] أفلا ترون ما بكم، فوضع كلّ رجل يده على رأسه فإذا عليه تراب.

وفي رواية أبي حاتم مما صححه الحاكم كما في المواهب من حديث ابن عباس

---

(٣٧٢) رواه ابن سعد في الطبقات (١/ ٢٢٧ - ٢٢٨) عن الواقدي بإسناده عن عدة من الصحابة والواقدي متروك اتهم بالكذب. وذكره ابن إسحاق في السيرة بإسناد فيه مجهول (٢/ ٩٣ - ٩٥) ولكن عند الشارح بعض الزيادات.
والبيتان من أبيات رواها الحاكم في المستدرك (٣/ ٤) عن علي بن الحسين لكن إسناده مسلسل بالضعفاء.

رضي الله عنها، ما أصاب رجلاً منهم حصاة إلاّ قتل يوم بدر كافراً، وفي هذا نزل قوله تعالى: ﴿وإذ يمكر بك الذين كفروا ليثبتوك أو يقتلوك أو يخرجوك ويمكرون ويمكر الله والله خير الماكرين﴾(٣٧٣) ثم أذن الله تعالى لنبيه ﷺ في الهجرة، فخرج بعد العقبة الثالثة بنحو ثلاثة أشهر، يوم الإثنين كما قال الحاكم، تواترت الأخبار أن خروجه ﷺ يوم الاثنين، ودخوله المدينة كان يوم الإثنين، وقيل: خرج يوم الخميس وجمع بينهما بأن خروجه من مكة كان يوم الخميس، وخروجه من الغار كان ليلة الاثنين لأنه أقام فيه ثلاث ليال: ليلة الجمعة وليلة السبت وليلة الأحد، وخرج [منه] أثناء ليلة الإثنين هلال شهر ربيع الأول كما جزم به ابن إسحاق وغيره، وقيل: صفر، وما ذكرنا تفصيل ما أجمله الناظم بقوله:

وهاجر النبي للمدينة ... وعمره ثلاث مع خمسينه
ومعه الصديق ثاني اثنين ... ونزلا قباء في الاثنين

(وهاجر النبي) ﷺ من مكة التي هي مولده، ووطنه ووطن آبائه، وأحب أرض الله إلى الله وإلى رسوله كما صح عنه ﷺ: أنه حين خرج وقف على الحزورة، فنظر إلى الكعبة فقال لمكة: (إنك لأحب أرض الله إليّ، وإنّك لأحب أرض الله إلى الله، ولولا أهلك أخرجوني منكِ ما خرجت(٣٧٤)).

قال الشهاب ابن حجر: ولعل هذه [هذا] قبل مجيئه ﷺ إلى بيت أبي بكر، لأنها على ما روي: خرجا من خوخة لأبي بكر في ظهر بيته ليلاً إلى

---

(٣٧٣) رواه أبو حاتم بن حبان (١٦٩١) والحاكم (٣/ ١٥٧) وصححه.

(٣٧٤) رواه أحمد (٤/ ٣٠٥) والترمذي (٤٠١٨) والنسائي في الكبرى وابن ماجه (٣١٠٨) وابن حبان (١٠٢٥) من حديث عبدالله بن عدي، ورواه الترمذي (٤٠١٩) وابن حبان (١٠٢٦) والحاكم (١/ ٤٨٦) من حديث ابن عباس ورواه أحمد (٤/ ٣٠٥) والنسائي في الكبرى من حديث أبي هريرة، ورواه أحمد (٤/ ٣٠٥) من حديث بعضهم ولفظ المصنف مركب من الروايات المتعددة.

الغار، ولم يعلم بخروجه إلاّ علي وآل أبي بكر (للمدينة) المفضلة بهجرته إليها على جميع البقاع عند بعض المحققين، وإليه ذهب مالك رحمه الله تعالى لكن الجمهور على تفضيل مكة عليها، للحديث المتقدم، والخلاف في غير الموضع الذي ضم أعضاءه الكريمة ﷺ به من القبر المكرّم، فقد حكي الإجماع على أنه أفضل حتى من العرش(٣٧٥) (وعمره) ﷺ، إذ ذاك (ثلاث) بترك التنوين للضرورة (مع) بسكون العين لغة في تحريكها (خمسينه) سنة على الأصح كما قاله ابن جماعة وغيره، والهاء في خمسين زيدت للوقف اضطراراً (ومعه) ﷺ أبو بكر (الصديقُ) رضي الله عنه.

وصح أن جبريل عليه السلام أمره عند ارادة الخروج: أن يستصحب أبا بكر(٣٧٦) فأمر علياً رضي الله عنه أن يتخلف ليؤديَ للناس ما عنده من ودائعهم(٣٧٧)، ثم قدم ﷺ إلى بيت أبي بكر في حرّ الظهيرة متقنعاً فقال قائل لأبي بكر: هذا رسول الله مُتقَنِعاً في ساعة لم يكن يأتينا فيها فقال أبو بكر

---

(٣٧٥) قال ابن عقيل في الفنون: الكعبة أفضل من مجرد الحجرة، فأما والنبي ﷺ فيها فلا والله ولا العرش وحملته والجنة لأن بالحجرة جسداً لو وزن به لرجح انتهى.
قال الشيخ عبدالله بن عبدالرحمن بن جاسر في كتابه القيم مفيد الأنام (١/ ٢٣٩) تعليقاً على هذا القول: قلت: لا حاجة إلى هذا التكلف الذي ذكره ابن عقيل صاحب الفنون في حق نبينا محمد ﷺ، فإنه من الإطراء، وقد قال ﷺ: «لا تطروني كما أطرت النصارى ابن مريم».
قال شيخ الإسلام: لا يعرف أحد من العلماء فضل تراب القبر على الكعبة إلا القاضي عياض ولم يسبقه أحد إليه ولا وافقه أحد قط عليه.
وانظر مجموع الفتاوى (٢٧/ ٣٦ ـ ٣٨).
فظهر أن لا إجماع على أن موضع القبر أفضل من مكة ولا من العرش وأن من قال ذلك انفرد بأقوال لا دليل عليها.

(٣٧٦) لم أره بهذا اللفظ في الصحيح، اللهم إلا إذا كان غاية الشارح أن الرسول ﷺ حينما استبطأه كان عن وحي وأن جبريل أوحى إليه ذلك. ثم رأيته عند الحاكم (٣/ ٥).

(٣٧٧) أنظر سيرة ابن هشام (٢/ ٩٨).

فدى له أبي وأمّي والله ما جاء به في هذه الساعة إلا أمر، فلما جاء استأذن فأذن له فدخل فقال ﷺ لأبي بكر: أخرج مَن عندك لأخبرك بسرّ، هو: الإذن في الهجرة، فقال أبو بكر: بأبي وأمي يا رسول الله إنما هم أهلك أي عائشة، لأن أبا بكر أنكحها منه قبل ذلك ولم يدخل بها، قاله السهيلي.

فقال ﷺ: قد أذن لي في الخروج، فقال أبو بكر: الصحبة بأبي أنت وأمي يا رسول الله قال: نعم، فقال: فخذ إحدى راحلتي، قال ﷺ: بالثمن لتكون هجرته إلى الله تعالى بنفسه، وماله، فتكون على أكمل الأحوال، وإلاّ أنفق ﷺ من مال أبي بكر ما هو أكثر [من هذا].

قالت عائشة رضي الله عنها: فجهزناهما أحث الجهاز، أي أسرعه، وصنعنا لهما سفرةً أي طعاماً في جراب فقطعت أسماء بنت أبي بكر قطعةً من نطاقها فربطت بها على فم الجراب، فسميت ذات النطاقين، قالت: ثم لحق رسول الله ﷺ وأبو بكر بغار ثور، وهو جبل بأسفل مكة على مسيرة ساعة. ولما فقدته قريش: شق عليهم خروجه وجزعوا منه، وجعلوا لمن ردّه مائة ناقة، وطلبوه بمكة أعلاها وأسفلها وبعثوا أثره في كل جهة، فوجد مَن ذهب قِبَل ثور أثره، فتبعه حتى انقطع لما انتهى إلى ثور.

وروي أنه ﷺ: لما دخل الغار أنبت الله تعالى على بابه شجرة أم غيلان، فحجبته عن أعينهم وأمر الله تعالى العنكبوت فنسجت على وجه الغار، وأرسل حمامتين وحشيتين فوقفتا على وجه الغار أيضاً وباضتا عليه، وأن حمام الحرم من نسل تلك الحمامتين(٣٧٩)، وأن ذلك مما صدَّ المشركين، لأنهم لما نظروا قالوا: لو

---

(٣٧٨) رواه البخاري (٣٩٠٥).

(٣٧٩) رواه البزار (١٧٤١) والطبراني (ج ٢٠ رقم ١٠٨٢) والبيهقي في الدلائل (٢/ ٢١٣ - ٢١٤) من حديث زيد بن أرقم والمغيرة بن شعبة وأنس بن مالك وفيه من هو مجهول. وانظر حديث أسماء بنت أبي بكر في المعجم الكبير (ج ٢٤ رقم ٢٨٤) وانظر الدلائل (٢/ ٢٠٩ - ٢١٢).

دخله أحد لتكسر البيض، وتفسّخ نسج العنكبوت، وهذا أبلغ في الإعجاز من مقاومة القوم بالجنود، وصح أن أبا بكر قال: يا رسول الله لو أنّ أحدهم نظر إلى قدميه لرآنا فقال له ﷺ: ما ظنك باثنين الله ثالثهما، وإنما قال [أشار] الناظم بقوله: (ثاني اثنين) وهو حال بسكون الياء للوزن، كما قرىء به في الآية شاذاً على لغة من يجري المنقوص مجرى المقصور في الإعراب، إلى ما اختص به أبو بكر من الكرامة دون سائر الناس، فهو الثاني في الإسلام، وفي سفر الهجرة وفي بذل نفسه وماله وابنته لرسول الله ﷺ، ومن ثمة جوزي بكونه ثانياً وموازياً له ﷺ في قبره المكرّم، وما أحسن قول حسان رضي الله عنه:

وثاني اثنين في الغار المنيف وقد طاف العدو به إذ صاعد الجبلا
وكان حب رسول الله قد علموا من الخلائق لم يعدل به بدلا

ومعنى ثاني اثنين: واحد منهما أي لم يكن معه ﷺ في الغار غير أبي بكر، ولما اشتد خوفه على رسول الله ﷺ قال: إن قُتِلتُ فإنما أنا رجل واحد، وإن قُتِلتَ هلكت الأمة، قال ﷺ: لا تحزن إن الله معنا أي بالمعونة والنصر كما حكاه الله تعالى في الآية. وروي أن أبا بكر قال نظرت إلى قدمي رسول الله ﷺ في الغار وقد تقطّرتا دماً فاستبكيت وعلمت أنه لم يتعود الحفى والجفوة.

وروي أيضاً أنه دخل الغار قبله ﷺ ليقيه بنفسه، وأنه رأى فيه حُجراً فألقمه عقبه وقاية لرسول الله ﷺ، فجعلت الحيات والأفاعي يضربنه ويلسعنه، ودموعه تنحدر، وكان ﷺ نائماً على ركبته، فأصاب بعض دموعه الوجه الكريم، فقال ﷺ: ما لك يا أبا بكر؟ فقال: لُسِعْتُ فداك أبي وأمي فتفل عليه رسول الله ﷺ فبرىء، ومدة مكثه ﷺ في الغار: ثلاث ليال، كما مرّ وهو المشهور، وقيل بضعة عشر يوماً.

وفي المواهب وغيره: واستأجر رسول الله ﷺ وأبو بكر عبدالله بن الأريقط الليثي ليدلهما على الطريق وحلف لهما فأتمناه وهو على الكفر، ولم يعرف له

إسلام، فدفعا إليه راحلتيهما ووعداه غار ثور بعد ثلاث ليال، فأتاهما براحلتيهما صبح الثالثة، وانطلق معهم: عامر بن فهيرة مولى أبي بكر، فأخذ بهم الدليل على طريق سواحل البحر، ووقع له ﷺ في طريقه خوارق ليس هذا محل بسطها.

منها: أنه لما وصل إلى قديد، وهو محل قريب رابغ تعرض له سراقة بن مالك بن جعشم المدلجي لأن قريشاً جعلت لمن يقتلهما أو أسرهما ديتين من الإبل، قال سراقة: فركبت مستخفياً فلما دنوت منهما عثرت بي فرسي فحرزت ثم قمت وركبت حتى إذا سمعت قراءة رسول الله ﷺ وهو لا يلتفت، وأبو بكر يلتفت، ثم بكى أبو بكر وقال: يا رسول الله: أُتينا فقال ﷺ: كلاّ ودعى بدعوات فغاضت قوائم فرسي [فرسه] الأرض حتى بلغت الركبتين فخرّعتها ثم زجرها فنهضت ولم تكد تخرج يداها، فطلب الأمان وقال: أعلم أنكما دعوتما عَلَيَّ، فادعوا لي ولكما، أن أردّ الناس عنكما ولا أضركما، قال: فوفيا لي فركبت فرسه حتى جئتهما. قال: ووقع في نفسي حين لقيت ما لقيت: أن سيظهر أمر رسول الله ﷺ فأخبرتهما بأخبار ما يريد بهما الناس وعرضت عليهما الزاد والمتاع فلم يأخذا مني شيئاً، وقالا: إخف عنا، فسألته كتاباً آمن به، فأمر عامر بن فهيرة، فكتب لي في رق من أدم، أخرجته له ﷺ يوم حنين، فنفذه ﷺ، وأمنني ومن يلوذ بي (٣٨٠).

ومنها: شاة أم معبد: عاتكة بنت خالد الخزاعية، ومسح ضرعها مع كونها في غاية الجهد، فدرت لبنها فسقوا حتى رَوَوا، كما سيأتي تفصيله، وذلك كما مرّ بقديد (٣٨١)، ولما سمع المسلمون بهجرته صاروا يخرجون كل يوم إلى الحرة ينتظرونه، فما يردهم إلاّ حر الظهيرة، فانتظروه يوماً وعادوا إلى بيوتهم، وصعد

---

(٣٨٠) انظر صحيح البخاري (٣٩٠٦).

(٣٨١) سيأتي الكلام عليه هناك إن شاء الله تعالى.

يهودي على موضع عال فرآه فنادى بأعلى صوته: هذا جدّكم أي حظكم يا بني قَبلَة أي الأوس والخزرج قد ظهر فخرجوا إليه مسرعين[سراعاً] بسلاحهم فتلقّوه، الحديث كما في البخاري(٣٨٢). (فنزلا) أي هو ﷺ وأبو بكر (في قباء) بالضم والمد مَوضِعٌ من قرى المدينة قريب منها. قال العز بن جماعة: لما انتهى ﷺ إلى بني عمرو بن عوف بقُباء نزل على كلثوم بن الهِدَم. وقيل: على سعد بن خيثمة والأول أثبت وذلك كان (في) يوم (الإثنين) ثاني عشر ربيع الأول على خلاف طويل فيه، وجزم بذلك النووي في الروضة وصحّحه ابن جماعة وغيره وأدركه علي كرّم الله وجهه بقباء، ولم يقم بعده ﷺ إلاّ ثلاثة أيام(٣٨٣). ثم أمر ﷺ بالتاريخ فكتب من حين الهجرة(٣٨٤)، وقيل: إن عمر رضي الله عنه أول من أرّخ وجعله من المحرّم ذكره في المواهب، وتبعه ابن حجر(٣٨٥)، وقد مرّ أن بعضهم صحح الثاني، وأقام ﷺ بقباء في بني عمرو بن عوف أربع عشرة ليلة كما في صحيح مسلم(٣٨٦) وأسس مسجدها وهو أول مسجد بني في الإسلام وصلّى فيه المسلمون عامة، ومن ثم كان الأصح أنه المسجد الذي أسس على التقوى من أول يوم، وما ذكرنا في صحيح مسلم من مدة الإقامة يقدم على ما ذكره ابن إسحاق وهو المشهور عند أصحاب المغازي.

وخــرج الجمعــة جــاء يثرب عنـد أبي أيـوب قبـل المغــرب

ويومىء إليه سياق كلام الناظم من أنه ﷺ، قام في قباء يوم الاثنين

---

(٣٨٢) رواه البخاري (٣٩٠٦).

(٣٨٣) انظر سيرة ابن هشام (٢/ ١١١).

(٣٨٤) رواه الحاكم في الإكليل من طريق ابن جريج عن أبي سلمة عن ابن شهاب أن النبي ﷺ أمر بالتاريخ فكتب في ربيع الأول، وهذا معضل والمشهور خلافه، كذا في الفتح (٧/ ٢٦٨).

(٣٨٥) انظر الفتح (٧/ ٢٦٨) وهو الصواب.

(٣٨٦) رواه البخاري (٣٩٣٢) ومسلم (٥٢٤).

والثلاثاء والأربعاء والخميس (وخرج) منها يوم (الجمعة) فأدركته صلاتها في الطريق فصلاّها في بني سالم بن عوف بمن كان معه من المسلمين وهم مائة في المسجد الذي في بطن الوادي وهو المشهور بمسجد الجمعة، فكانت أول جمعة صلاّها بالمدينة، فلما صلى ركب ناقته (وجاء يثرب) أي إلى المدينة فكلما مرّ على دار من دور الأنصار يسألونه النزول عندهم ويأخذون بخطام الناقة [ناقته] ويقولون: يا رسول الله هلمّ إلينا، هلمّ إلى القوة والمنعة، فيقول ﷺ: خلّوا سبيلها يعني ناقتَهُ فإنها مأمورة، وقد أرخى زمامها، وما يحرّكها وهي تنظر يميناً وشمالاً حتى بركت على محل باب المسجد، وهو ﷺ عليها وما ينزل، ووثبت ثم سارت إلى أن بركت (عند) باب (أبي أيوب): خالد بن زيد الأنصار رئيس بني النجار أخوال جده: عبدالمطلب، ودور بني النجار كانت أوسط الانصار وأفضلها ثم سارت ومشت والتفتت خلفها ورجعت إلى مبركها الأول وألقت باطن عنقها بالأرض وصوتت من غير أن تفتح فاها فنزل عنها ﷺ وقال: هذا المنزل إن شاء الله تعالى فاحتمل أبو أيوب رحله وأدخله بيته [قبل المغرب] ومعه زيد بن حارثة ثم أراده قوم في النزول عليهم فقال: المرء مع رحله (٣٨٧).

روى الحاكم وغيره أن أبا أيوب قال: نزل عليّ رسول الله ﷺ وكنت في العلو فلما خلوت إلى أم أيّوب قلت لها: رسول الله ﷺ أحق بالعلو منّا، تنزل عليه الملائكة وينزل عليه الوحي فما بِتنا تلك الليلة، فلما أصبحنا قلت: يا رسول الله: ما بت الليلة أنا ولا أم أيوب. قال ﷺ: لِمَ يا أبا أيوب؟ قلت: كنتَ أحق بالعلو مِنّا تنزل عليك الملائكة وينزل عليك الوحي، لا والذي بعثك بالحق لنا علو سقيفة أنت تحتها أبداً الحديث (٣٨٨).

(٣٨٧) انظر الدلائل (٢/ ٢٢٥ - ٢٣٧).

(٣٨٨) رواه الطبراني (٣٨٥٥) والحاكم (٣/ ٤٦٠ - ٤٦١) وصححه على شرط مسلم ووافقه الذهبي.

وفي المواهب قد ذكر أن هذا البيت الذي لأبي أيوب بناه تبع الأول له ﷺ لما مرّ بالمدينة وترك فيها أربع مئة عالم وكتب كتاباً للنبي ﷺ ودفعه إلى كبيرهم، وأمره أن يدفع للنبي ﷺ، فتداول الملاك الدار إلى أن صارت لأبي أيوب وهو من ولد ذلك العالم، والأنصار من أولاد أولئك العلماء فعلى هذا إنما نزل ﷺ إلا في منزل نفسه لا منزل غيره انتهى (٣٨٩).

وأخرج البيهقي عن أنس قال: لما بركت الناقة على باب أبي أيوب خرجت جوار من بني النجار بالدفوف يقلن:

نحن جوار من بني النجار | يا حبذا محمداً من جار

فقال ﷺ: أتحببنني، قلن: نعم. وفي رواية الطبري، فقال ﷺ: الله يعلم أن قلبي يحبكم (٣٩٠)، وتفرق الغلمان والخدم في الطرق ينادون جاء رسول الله ﷺ فأشرقت المدينة بحلول المحبوب وسرى السرور إلى القلوب.

ولم يزل في بيته حتى بنا | مسجده الأعظم ثم المسكنا

[ولم يزل] ﷺ مقيماً [في بيته] أي أبي أيوب سبعة أشهر على الأصح [الصحيح] [حتى بنى مسجده الأعظم] الجامع الوارد في فضله أحاديث.

وكان ﷺ قبل بناء المسجد يصلي حيث أدركته الصلاة ولما أراد بناءه وكان موضعه مربداً لسهل وسهيل غلامين من بني مالك بن النجار طلب ﷺ اشتراءه

---

(٣٨٩) انظر الفتح (٧/ ٢٥٢).

(٣٩٠) رواه البيهقي في الدلائل (٢/ ٢٣٤ - ٢٣٥) بإسنادين. أحدهما غير صحيح كما سيأتي، والثاني رواه أيضاً ابن ماجه (١٨٩٩) وقال في الزوائد: إسناده صحيح ورجاله ثقات. ورواه الطبراني في الصغير (١/ ٣٣) وهذه الزيادة التي نسبها إلى الطبراني عند الجميع. وأما مارواه المصنف فرواها البيهقي وفي إسنادها إبراهيم بن صرمة قال ابن معين في حقه: كذاب خبيث وضعفه غيره. وأما الرواية الصحيحة التي عند ابن ماجه والطبراني والبيهقي فليس فيها أن ذلك كان عند قدومه المدينة.

فامتنع بنو النجار من بيعه، وبذلوه لله عز وجل كما في الصحيح[٣٩١]، فأبى ﷺ واشتراها بعشرة دنانير أدّاها من مال أبي بكر رضي الله عنه وكان قد خرج من مكة بماله كله. قال أنس رضي الله عنه وكان في موضع المسجد نخل وخرب ومقابر المشركين فنبشت القبور وسويت الخرب وقطعت النخل بأمره ﷺ ثم أمر باتخاذ اللبن في بنائه فبناه بها وسقفه بالجريد وجعلت عمده من خشب النخل، وكان ﷺ ينقل معهم اللبن في بنائه[٣٩٢]. ثم جعل فيه موضعاً مظلّلاً سمي بالصفّة ليأوي إليها فقراء الصحابة فسموا أهل الصفّة وكان ﷺ يفرقهم بالليل على أصحابه ويتعشى معه ﷺ طائفة منهم وجعل قبلة المسجد للقدس إلى أن تحولت [حولت] في السنة الثانية كما يأتي، وجعل له ثلاث أبواب، باب في مؤخره يسمى باب الرحمة وباب آخر يدخل منه وطوله مما يلي القبلة إلى مؤخره مئة ذراع وفي الجانبين نحو ذلك، وجعل أساسه قريباً من ثلاثة أذرع [ثم] بنى [المسكنا] أي مساكن لأهله باللبن إلى جنب المسجد، وسقفها بجذوع النخل والجريد، ثم تحول ﷺ من دار أبي أيوب إلى مساكنه التي بناها وكان قد أرسل مولاه زيداً ومولاه أبا رافع إلى مكة فقدما بفاطمة وأم كلثوم وسودة بنت زمعة وأم أيمن، وخرج عبدالله بن أبي بكر معهم بعيال أبيه كما في المواهب وغيره.

وثمة زيد في صلاة الحضر — ونجل زيد الأذان قدري

(وثمة) أي في المدينة في السنة الأولى من الهجرة (زيد) بعد مقدمه ﷺ بشهر على الأصح، وجزم به الغيطي[٣٩٣]. وقيل: بعد الهجرة بعام أو نحوه [في صلاة الحضر] ركعتان وأقرت صلاة السفر ولم يزد في صلاة الفجر لطول

---

(٣٩١) انظر الفتح (٧/ ٢٤٦).

(٣٩٢) رواه البخاري (٤٢٨) ومسلم (٥٢٤).

((٣٩٣) مولد الغيطي (١٦/ ٢).

القراءة فيها، وفي صلاة المغرب لأنها وتر، وفي صحيح البخاري عن عائ
الله عنها: فرضت الصلاة ركعتين ثم هاجر ﷺ إلى المدينة ففرض
وتركت صلاة السفر على الفريضة الأولى[٣٩٤]، وقيل: إنما فرضت
خففت عن المسافر، ويدلّ له حديث: إن الله وضع عن المسافر شطر
وقيل: إنما فرضت في الحضر أربعاً وفي السفر ركعتين وهو قول ابن عبا
الله عنهما: فرض الله تعالى الصلاة على لسان نبيكم في الحضر أربعاً و
ركعتين رواه مسلم[٣٩٥].

[ونجل] بتقديم النون على الجيم بمعنى الولد وهو عبدالله بن [زيد]
ابن عبد ربه.

[الأذان] مفعول ثان لقوله [قد أري] بالبناء للمجهول ونائب الفاع
فيه عائد إلى نجل، أي وفي السنة الأولى أيضاً وقيل في الثانية نجل زيد
الأذان في منامه، فقال كما في رواية ابن إسحاق وغيره[٣٩٦]: طاف بي
رجل يحمل ناقوساً فقلت له: أتبيعه؟ قال: وما تصنع به؟ فقلت: ندع
الصلاة، قال: أفلا أدلك على ما هو خير لك؟ فقلت: بلى: قال: تقول
الله أكبر وذكر كلمات الأذان. قال: ثم استأخر عني غير بعيد ثم قال: إ
إلى الصلاة فقل الله أكبر الله أكبر الى آخر كلمات الإقامة، ورواه أ
بإسناد صحيح[٣٩٧]. وكان الناس قبل ذلك كما في البخاري وكتب أه
إنما يجتمعون إلى الصلاة لمواقيتها من غير دعوة إليها، فشاور ﷺ فيما
به؟ فقال بعضهم: ناقوس مثل ناقوس الذي يضربه النصارى لأوقات

---

(٣٩٤) رواه البخاري (٣٥٠ و ١٠٩٠ و ٢٩٣٥) ومسلم (٦٨٥).
(٣٩٥) رواه مسلم (٦٨٧).
(٣٩٦) سيرة ابن هشام (٢/ ١٢٨).
(٣٩٧) رواه أبو داود (٤٩٥) والترمذي (١٨٩).

وقال آخرون: بوق مثل قرن اليهود [٣٩٨]، وقال بعضهم: بل نوقد ناراً يراها الناس لئلا تلتبس بشعارهما [٣٩٩]، فذكر عبدالله بن زيد بعد ذلك رؤياه في الأذان فقال ﷺ: إنها لرؤيا حق إن شاء الله تعالى، قم مع بلال فألقِ عليه ما رأيت فليأذن به فإنه أرفع صوتاً منك، قال: فقمت مع بلال فجعلت ألقيه عليه ويؤذن قال: فسمع بذلك عمر رضي الله عنه وهو في بيته فخرج يجر رداءه ويقول: والذي بعثك بالحق يا رسول الله لقد رأيت مثل ما رأى [٤٠٠]. وفي الأوسط للطبراني أن أبا بكر رضي الله عنه أيضاً رأى الأذان، وفي الوسيط للإمام الغزالي: أنه رأى بضعة عشر رجلاً [٤٠١]، وأنكره ابن الصلاح، ثم النووي وفي سيرة مغلطاي أنه رأى سبعة من الأنصار، قال الحافظ ابن حجر العسقلاني: ولا يثبت شيء من ذلك إلا لعبدالله بن زيد ولعمر في بعض الطرق انتهى [٤٠٢].

واستشكل إثبات حكم الأذان بما ذكر، لأن رؤيا غير الأنبياء لا يثبت بها حكم شرعي، أجيب باحتمال مقارنة الوحي لذلك كما يشعر به بعض الروايات، أوامره ﷺ بذلك باجتهاده لجواز الإجتهاد على مذهب الجمهور، ذكره الكرماني [٤٠٣].

قال الحافظ ابن حجر في فتح الباري في شرح البخاري: ولا يصح شيء من الأحاديث التي تدل على أن الأذان شرع بمكة، وكذا لم يثبت أن الرسول ﷺ أذن بنفسه وفي السنة الأولى أيضاً [٤٠٤].

---

(٣٩٨) رواه البخاري (٦٠٤) و (٣٧٧) من حديث ابن عمر.

(٣٩٠) رواه البخاري (٦٠٦) ومسلم (٣٧٨) وغيرهما من حديث أنس.

(٤٠٠) تقدم في التعليق (٣٩٧).

(٤٠١) الوسيط (٢/ ٥٦٤) للإمام الغزالي. وحديث أبي بكر في مجمع البحرين (ص ٦٠).

(٤٠٢) انظر الفتح (٢/ ٧٨).

(٤٠٣) انظر الفتح (٢/ ٨٢).

(٤٠٤) انظر الفتح (٢/ ٧٨ - ٧٩).

(اتخذ المنبر) أي أمر باتخاذه ليجلس عليه للخطبة، وجزم الغيطي: بأن الأمر باتخاذه، كان في السنة الثامنة من الهجرة(٤٠٥)، وقيل: في التاسعة قاله ابن الجوزي في مولده، فصنع له غلام نجّار لامرأة من الأنصار منبراً من أعواد له ثلاث درجات، فوضع موضعه الآن بمسجده الشريف، وكان قبل ذلك يخطب مستنداً إلى جذع نخلة من جذوع سقف المسجد، فلما جاوزه يوم الجمعة ليخطب على المنبر، حنّ الجذع وصاح حتى سمع جميع مَن في المسجد، كما جاء من طرق كثيرة صحيحة فنزل ﷺ، وضمّه إليه رحمةً به حتى سكن، وفي رواية: إن هذا بكى لما فُقِدَ عنده من الذكر وفي أخرى: والذي نفسي بيده لو لم ألتزمه لم يزل يصوت هكذا إلى يوم القيامة تحزناً على رسول الله ﷺ، وسيأتي له زيادة تفصيل في المعجزات(٤٠٦) (و) فيها أيضاً (الأخا) بالقصر للوزن مصدر آخى يواخي مؤاخاةً وإخاءً (حصل) بعد قومه ﷺ بثمانية أشهر كما جزم به الغيطي(٤٠٧)، أو خمسة أشهر كما جزم به في المواهب، بين المهاجرين والأنصار، وكانوا تسعين رجلاً من كل طائفة خمسة وأربعون، فآخا ﷺ بينهم على الحق والمواساة والتوارث، وكانوا كذلك إلى أن نزل بعد بدر: ﴿وأولو الأرحام بعضهم أولى ببعض﴾ الآية. وكان قبل الهجرة كما قاله ابن جماعة آخا بين المهاجرين على الحق والمواساة، ولما بلغ أصحابه ﷺ في الحبشة هجرته إلى المدينة رجع منهم ثلاثة وثلاثون رجلاً وثمان نسوة، فمات منهم رجلان بمكة وحبس سبعة منهم بمكة وانتهى البقية إلى النبي ﷺ بالمدينة وكتب ﷺ إلى النجاشي سنة سبع من الهجرة: أن يبعث إليه من بقي عنده من أصحابه ففعل، وقدموا

---

(٤٠٥) مولد الغيطي (١٧/ ٢).

(٤٠٦) سيأتي الكلام عليه هناك إن شاء الله تعالى.

(٤٠٧) مولد الغيطي (١٤/ ٢).

المدينة، فوجدوا رسول الله ﷺ بخيبر فرفعوا إليه، فوجدوه قد فتح خيبر، وكلّم المسلمين: أن يدخلوهم في سهمانهم ففعلوا.

قال الحافظ الغيطي: وفي السنة الأولى أيضاً صلى رسول الله ﷺ صلاة الجنازة على البراء بن معرور بعد وفاته بشهر، وعلى تبع اليماني، وكان قد آمن بالنبي ﷺ قبل مبعثه بسبعمائة سنة، وهو أول من كسى البيت نقله ابن عبد البر. وكانت صلاته عليهما يوم قدومه ﷺ المدينة قاله ابن عماد، وفيها صلى صلاة الجمعة كما تقدم، وهي أول جمعة صلاّها، وأول خطبة خطبها في الإسلام انتهى[٤٠٨]. وفرضت الجمعة بمكة ولم تقم بها لفقدان العدد، أو لأن إشعارها الإظهار، وكان ﷺ مستخفياً بها، وأول من أقامها بالمدينة قبل الهجرة: أسعد ابن زرارة. (و) فيها أيضاً (فُرِضَ الزكاة) كما قاله ابن الجوزي في مولده، وقيل: فرضت في السنة الثانية قبل فرض رمضان، وأشار إلى اختياره النووي في الروضة، وجزم به المحقق ابن حجر، وجزم ابن الأثير في التاريخ بأن زكاة الفطر فرضت في السنة التاسعة، نظّر فيه بحديث ضمام بن ثعلبة وغيره[٤٠٩].

(و) فيها أيضاً (الوبا) بالقصر والمدّ والهمز، وهو الطاعون والمرض العام، يقال: أوبأت الأرض فهي مُوْبِئة، ووبأت فهي وبية. (انتقل) [من] أرض المدينة بدعائه ﷺ إلى غيرها، وفي صحيح البخاري عن أبي هريرة: أن رسول الله ﷺ قال:

لا يدخل المدينة المسيح الدجال، ولا الطاعون[٤١٠] وجزم النووي في الأذكار

---

(٤٠٨) مولد الغيطي (١٦/ ٢ - ١٧/ ١).

(٤٠٩) أنظر الفتح (٣/ ٢٦٦).

(٤١٠) رواه مالك (٢/ ٢٠٤) والبخاري (١٨٨٠ و ٥٧٣١ و ٧١٢٣) ومسلم (١٣٧٩) وغيرهم.

كجماعة: لم يدخل المدينة أصلاً ولا مكة أيضاً (٤١١)، لكن نقل جمع أنه دخل مكة عام تسع وأربعين وسبعمائة بخلاف المدينة، فلم يؤكد أحد وقوعها بها (٤١٢) فصار من المعجزات لعجز الأطباء عن آخرهم أن يدفعوا الطاعون عن بلد بل عن قرية.

وفي حديث الإمام أحمد مرفوعاً: [أتاني جبريل بالحمّى والطاعون، فأمسكت الحمّى بالمدينة وأرسلت الطعون إلى الشام] (٤١٣) قال الحافظ ابن حجر: لما قدم ﷺ المدينة كان في قلة من أصحابه عدداً ومدداً، وكانت المدينة وبيئة كما في حديث عائشة، فخير بين الحمّى والطاعون الموجب كل منهما للأجر الجزيل، فاختارت الحمّى لقلة الموت [بها غالباً] بخلاف الطاعون. ثم لما أذن في القتال واحتاج إلى الجهاد، وكانت الحمّى تضعف أبدانهم: دعى بنقل الحمّى إلى الجحفة فعادت المدينة أصح بلاد الله تعالى بعد أن كانت بخلاف ذلك انتهى (٤١٤).

وورد أنها وغبارها شفاء من الجزام والبرص وغيرهما، وكذلك تمرها، وفي حديث البخاري عن عائشة رضي الله عنها قالت: لما قدم رسول الله ﷺ المدينة وُعك أبو بكر وبلال، وكان بلال يقول: اللّهم العن شيبة بن ربيعة وعتبة بن ربيعة وأمية بن خلف كما أخرجونا من أرضنا إلى أرض الوباء، ثم قال رسول الله ﷺ: اللهم حبّب إلينا المدينة كحبنا مكة أو أشدّ، اللهم بارك لنا في صاعنا وفي مدنا، وصحّحها لنا، وانقل حماها إلى الجحفة، قالت: وقدمنا المدينة وهي أوبأ

---

(٤١١) أنظر الأذكار (ص ١٣٠) والنووي ناقل للقول وسكت عليه. وانظر الفتح (١٠/ ١٩٠).

(٤١٢) في نسختي ونسخة القاضي فلم يذكر أحد وقوعه.

(٤١٣) رواه أحمد (٥/ ٨١) وابن حبان في الثقات (٥/ ٣٩٩) وابن عساكر (١/ ٣٤١ - ٣٤٢) من حديث أبي عبيد وتتمته «والطاعون شهادةٌ لأمتي ورحمة لهم ورجساً على الكافرين» وهو حديث صحيح.

(٤١٤) أنظر الفتح (١٠/ ١٩١) وقد تصرف الشارح في عبارته.

أرض الله تعالى [قالت] : وكانت بطحان يجري نخلاً تعني ماءً آجناً(٤١٥) . ثم نصب له ﷺ أحبار اليهود العداوة والبغضاء حسداً وبغياً ، بعد أن كانوا قبل مبعثه ومقدمه يظهرون الإيمان به ، ويقرّون بنبوته وانضم إلى اليهود جماعة من الأوس والخزرج منافقون ، فأظهروا الإسلام تقيةً ، ورأسهم : عبدالله بن أُبَي بن سلول ، فبالغوا في إيذائه ﷺ ، وهو متحمل كل ما صدر عنهم ، بل يعاملهم في الظاهر معاملة المسلمين وقد قيل له ﷺ : ألا تقتلهم ، فقال : لا يتحدث الناس أن محمداً يقتل أصحابه(٤١٦) . ثم أذن الله تعالى لرسوله بالقتال بقوله تعالى : ﴿أذن للذين يقاتلون﴾ أي بالقتال ﴿بأنهم ظلموا وأن الله على نصرهم لقدير﴾ .

وكانت الصحابة يأتونه ﷺ من بين مضروب ومشجوج ، فيقول لهم : اصبروا فإني لم أؤمر بالقتال ، حتى هاجر فأذن له فيه بعدما نُهيَ عنه في نيف وسبعين آية .

قال الأئمة : وحكمة ذلك أنهم كانوا بمكة قليلين لا يطيقون جهاد أهلها ، فلما كثروا بالمدينة وقويت شوكة الإسلام وصارت المدينة وأهلها لهم ملجأ ، شرع الله تعالى جهاد أعدائهم ، فبعث البعوث والسرايا وغزا وقاتل هو وأصحابه حتى دخل الناس في دين الله أفواجاً .

وسيأتي بيان عدد مغازيه ﷺ ، وما قاتل فيه بنفسه ، فكان أول بعوثه ﷺ على رأس سبعة أشهر من مقدمه ، في رمضان على الأصح ، فبعث عمه حمزة رضي الله عنه في ثلاثين رجلاً من المهاجرين يعترض عيراً لقريش فيها أبو جهل اللعين ، فلقيه في ثلاثمائة راكب بسيف البحر ، فلما تصافوا حجز بينهم مُجدي ابن عمرو الجهني ، فلم يقع بينهم حرب(٤١٧) .

---

(٤١٥) رواه البخاري (١٨٨٩ و ٣٩٧٦ و ٥٦٥٤ و ٥٦٧٧ و ٦٣٧٢) .

(٤١٦) رواه أحمد (٣/ ٣٩٢ - ٣٩٣) والبخاري (٣٥١٨ و ٤٩٠٥ و ٤٩٠٧) ومسلم (٢٥٨٤) والترمذي (٣٣٧٠) .

(٤١٧) أنظر سيرة ابن هشام (٢/ ٢٣٠) .

ثم بعث عبيدة بن الحارث إلى بطن رابغ في شوال على رأس ثمانية أشهر في ستين رجلاً، وعقد له لواءً أبيض حمله مسطح بن أثالة يلقى أبا سفيان بن حرب، وكان على المشركين، وقيل: عكرمة بن أبي جهل في مائة مئتين، ولم يقع بينهما قتال، إلاّ أن سعد بن أبي وقاص رمى بسهم فكان أول سهم رمي في الإسلام قال ابن إسحاق: فكانت راية عبيدة فيما بلغنا أول راية عقدت في الإسلام، وبعض الناس يقول بل راية حمزة قال وإنما أشكل أمرهما لأنه ﷺ بعثهما معاً فاشتبه الأمر انتهى(٤١٨).

واستشكل بما مرّ أن بعث حمزة رضي الله عنه على رأس سبعة أشهر، ودفع باحتمال أنه ﷺ: عقد رايتهما معاً، ثم تأخر خروج عبيدة إلى رأس الثمانية لأمر، ثم بعث سعد بن أبي وقاص في ذي القعدة على رأس تسعة أشهر إلى الخرار بخاء معجمة ورائين مهملتين واد بالحجاز، وعقد له لواءً أبيض حمله المقداد بن عمرو في عشرين رجلاً يعترض عيراً لقريش، فخرجوا على أقدامهم، فصبحوها صبح خامسة، فوجدوا العير فدمّرت بالأمس.

ثم غزوة ودان: خرج ﷺ في صفر على رأس اثني عشر شهراً من هجرته يريد قريشاً في ستين رجلاً وحمل اللواء حمزة رضي الله عنه، وكانت الموادعة أي المصالحة على أن بني ضمرة لا يغزونه ولا يكثرون عليه جمعاً ولا يعينون عدواً، واستعمل على المدينة سعد بن عبادة رضي الله عنه. قال ابن إسحاق وغيره: هي أول مغازيه ﷺ.

في سنة اثنتين كان في رجب نخلة والصوم لشعبان وجب

ولا ينافي ما في البخاري من أنّ أولها: الأبواء لأن الأبواء وودّان موضعان

(٤١٨) انظر سيرة ابن هشام (٢/ ٢٥٦ - ٢٥٩) والفتح (٧/ ٢٧٩ - ٢٨٠).
وانظر سيرة ابن هشام (٢/ ٣٢٣ - ٣٢٤) أيضاً.

متقاربان بينهما نحو ستة أميال[419]. وهذه البعوث والغزوات وقعت في السنة الأولى كما عرفت، ولم يتعرض لها الناظم للاختصار ولعدم المقاتلة فيها، ما كان في سنة اثنتين من الهجرة (في سنة اثنتين) من الهجرة (كان) ووقع (في) شهر (رجب) غزوة (نخلة) المشهور بالمضيق على مسافة ليلة من مكة كما مرّ، بعث ﷺ إليها عبدالله بن جحش على رأس سبعة عشر شهراً من الهجرة ومعه ثمانية، وقيل: اثنى عشر من المهاجرين، يترصدون قريشاً، فمرت بهم عيرهم تحمل زبيباً وأدماً من الطائف، وفيها عمرو بن عبدالله الحضرمي، فتشاور المسلمون فقالوا: نحن في آخر يوم من رجب، فإن قاتلناهم هتكنا حرمة الشهر، وإن تركناهم الليلة دخلوا الحرم ثم أجمعوا على قتالهم، فقتلوا عمرواً واستأسروا اثنين، وهرب البقية، واستاقوا العير، فكانت أول غنيمة في الإسلام، فقسمها ابن جحش رضي الله عنه، وعزل الخمس، ذلك قبل أن يفرض، وقيل: بل قدموا بها إليه ﷺ، فأخرها إلى غنيمة بدر فقسمها معها، وتكلمت قريش أن محمداً سفك الدماء وأخذ المال في الشهر الحرام، فأنزل الله تعالى ردّاً عليهم ﴿يسألونك عن الشهر الحرام قتال فيه﴾ الآية. وفي ذلك يقول عبدالله بن جحش:

تعـدون قتلى بـالحرم عظيمـة	وأعظم منه لو يرا ذاك راشدُ
صـدودكم عمـا يقـول محمـد	وكفـر بـه والله راءٍ وشاهـدُ
سقينا من ابـن الحضرمي رمـاحنـا	بنخلـة لما أوقـد الحرب واقـد

وبعثت قريش إليه ﷺ في فداء الأسيرين وهما: عثمان بن عبدالله والحكم بن كيسان فقبل فداءهما، فأسلم الحكم، وأقام عند رسول الله ﷺ حتى قتل شهيداً ببئر معونة، وذهب عثمان إلى مكة ومات بها كافراً[420].

---

(٤٢٠) انظر سيرة ابن هشام (٢/ ٢٣٨ ـ ٢٤٣). وفيه

تعـدون قتـلاً في الحـرام عظيمـة	وأعظم منه لو يرى الرشـد راشـد

وكان في هذه السنة أيضاً قبل نخلة غزوة بواط بفتح الموحدة وقد تضم وتخفيف الواو آخرها طاء مهملة، غزاها ﷺ في شهر ربيع الأول على رأس ثلاثة عشر شهراً من الهجرة حتى بلغها من ناحية رضوى بوزن سكرى في مئتين من أصحابه يعترض عيراً لقريش فيهم أمية بن خلف، واستعمل على المدينة السائب بن عثمان بن مَظْعُون، فرجع ولم يلق كيداً أي حرباً(٤٢١).

ثم غزوة العشيرة بالشين المعجمة والتصغير آخره هاء، لم يختلف أهل المغازي في ذلك وفي البخاري: العُشَيْرة أو العُسَيْرَة بالتصغير أولها بالتصغير بلا هاء وثانيهما بالمهملة وبالهاء ونسبة هذه الغزوة إلى المكان الذي وصلوا إليه، وهو موضع لبني مدلج بينبع، وخرج إليها ﷺ في جمادى الأولى وقيل الآخرة على رأس ستة عشر شهراً من الهجرة في خمسين ومئة رجل، وقيل: مئتين، ومعهم ثلاثون بعيراً يعتقبونها، وحمل اللواء الأبيض حمزة رضي الله عنه يريد عير قريش التي صدرت من مكة إلى الشام بالتجارة، فخرج إليها ليغنمها فوجدها قد مضت(٤٢٢).

ثم غزوة بدر الأولى قال ابن إسحاق: ولما رجع ﷺ من غزوة العشيرة لم يقم إلا نحو عشرة ليال حتى أغار كرز بن جابر الفهري على سرح المدنية فخرج ﷺ في طلبه حتى بلغ صفوان بفتح المهملة والفاء موضع بناحية بدر، ففاته كرز ابن جابر، وتسمى بدر الأولى واستعمل على المدينة زيد بن حارثة كما قاله ابن هشام وحمل اللواء عليّ بن أبي طالب كرم الله وجهه(٤٢٣).

[و] فيها أيضاً [الصوم] أي صوم رمضان [لشعبان] أي في آخره كما جزم به الغيطي(٤٢٤) [وجب] وفي المواهب: وفرض بعد تحويل القبلة بشهر في شعبان على رأس ثمانية عشر شهراً من الهجرة وهو لا يوافق قوله.

(٤٢١) أنظر سيرة ابن هشام (٢/ ٢٣٣ - ٢٣٤).
(٤٢٢) أنظر الفتح (٧/ ٢٨٠).
(٤٢٣) أنظر سيرة ابن هشام (٢/ ٢٣٨) والفتح (٧/ ٢٨٠).
(٤٢٤) مولد الغيطي (١٧/ ١) وانظر أيضاً زاد المعاد (٢/٣٠٦).

مع قبلة ثم غزاة بدر في رمضان مع زكاة الفطر

[مع] بسكون العين [قبلة] أي حال كون فرض الصوم مصاحباً لتحويل قبلة [القبلة] من بيت المقدس إلى الكعبة في كونه في شعبان أيضاً، وجزم الغيطي بأن تحويلها في نصف شعبان[٤٢٥] وقيل في نصف رجب[٤٢٦]، وعليه اقتصر البيضاوي، وقيل في جمادى الأولى، وقيل غير ذلك. وروى ابن سعد في طبقاته [الطبقات] أنه ﷺ صلى ركعتين من الظهر في مسجده بالمسلمين ثم أمر أن يتوجه إلى المسجد الحرام فاستدار إليه ودار معه المسلمون، ويقال إنه ﷺ زار أم البشر بن البراء في بني سلمة فصنعت له طعاماً وكانت الظهر فصلى ﷺ بأصحابه في مسجد بني سلمة ركعتين ثم أمر فاستدار إلى الكعبة واستقبل الميزاب فسمي مسجد القبلتين.

قال ابن سعد: قال الواقدي: هذا عندنا أثبت انتهى[٤٢٧]، وهو صريح في أن الاستدارة كانت في صلاة الظهر ويوافقه ما عند النسائي من رواية أبي سعيد ابن العُلَي من أنها الظهر[٤٢٨]. وظاهر حديث البراء في صحيح البخاري أنها كانت صلاة العصر[٤٢٩]، وأما أهل قباء فلم يبلغهم الخبر إلى الفجر من اليوم الثاني كما في الصحيحين عن ابن عمر رضي الله عنهما: أنه قال بينا الناس بقباء في صلاة الصبح إذ جاءهم آت فقال: إن رسول الله ﷺ قد أمر أن يستقبل الكعبة فاستقبلوها، وكانت وجوههم إلى الشام، فاستداروا إلى الكعبة[٤٣٠]، وروى

---

(٤٢٥) مولد الغيطي (١٧/ ١) وهو الذي ذكره النووي في الروضة وأقره.

(٤٢٦) هذا هو الصحيح كما قال الحافظ في الفتح (١/ ٩٧) وبه جزم الجمهور.

(٤٢٧) رواه ابن سعد في الطبقات (١/ ٢٤١ - ٢٤٢) وفي إسناده الواقدي وهو متروك اتهم بالكذب.

(٤٢٨) رواه النسائي في الكبرى والبزار (٤١٩) والطبراني (ج ٢٢ رقم ٧٧٠).

(٤٢٩) رواه البخاري (٤٠ و ٣٩٩ و ٤٤٨٦ و ٧٢٥٢) وانظر الفتح (٩٧/١).

(٤٣٠) رواه البخاري (٤٠٣ و ٤٤٨٨ و ٤٤٩٠ و ٤٤٩١ و ٤٤٩٣ و ٤٤٩٤ و ٧٢٥١) ومسلم (٥٢٦) وغيرهما.

الطبراني عن ابن عباس رضي الله عنهما: لما قدم ﷺ المدينة أمره الله أن يستقبل بيت المقدس تألفاً لليهود فاستقبلها سبعة عشر شهراً، وكان يحب أن يستقبل قبلة ابراهيم عليه السلام لأنه أدعى للعرب، فكان يدعو وينظر إلى السماء، فنزلت الآية (٤٣١).

ولما حولت قال سفهاء الناس من المنافقين واليهود: ما ولّيَنهم عن قبلتهم التي كانوا عليها، فنزل في جوابهم: ﴿قل لله المشرق والمغرب﴾ أي الحكم والتصرف والأمر كله له تعالى فحيثما وجهنا فالطاعة في امتثال أمره، فنحن عبيده وخدّامه.

وقال بعض المؤمنين: فكيف صلاتنا التي صلّيناها نحو بيت المقدس، وكيف من مات مِن إخواننا هُم يصلون إلى بيت المقدس؟ فنزلَ ﴿وما كان الله ليضيع أيمانكم﴾ أي صلاتكم إلى بيت المقدس (٤٣٢).

(ثم) فيها أيضاً (غَزاتُ) هو بالفتح باسم الغزوة وهي المرة من الغزو، وأمّا بالضم فجمع غاز (بدرٍ) قرية مشهورة بين الحرمين نسبت إلى بدر بن مخلد بن النضر بن كنانة، كان نزلها، وقيل: إلى بدر بن الحارث حافر بئرها، وقيل: بدر اسم البئر التي بها سميت بـه لإستدارتها، أو صفائها ورؤية البدر فيها، وهذه الغزوة أعظم غزوات الإسلام، إذ بها كان ظهوره وبلوغه الغاية في القوة والإحكام، ويومها كما قال ابن كثير يوم الفرقان الذي أعز الله تعالى فيه الإسلام وأهله ودفع فيه الشرك وأدحض محله هذا مع قلة [عدد] المسلمين(٤٣٣) وعُدتهم وكثرة المشركين وعدتهم، ومن ثم امتن عليهم سبحانه وتعالى بقوله:

---

(٤٣١) رواه أحمد (٢٩٩٣) والطبراني (١١٠٦٦) والبيهقي (٢/ ٣) وفي إسناده الأعمش وهو مدلس وقد عنعنه.

(٤٣٢) تقدم حديث البراء وفيه ذكر ذلك.

(٤٣٣) أنظر تفسير ابن كثير (١/ ٤٠٠).

﴿ولقد نصركم الله ببدر وأنتم أذلة﴾ وكان خروجه ﷺ بأصحابه يوم السبت لثنتي عشرة خلت من شهر رمضان على رأس تسعة عشر شهراً كما في المواهب، ويقال لثمان خلون منه قاله ابن هشام، واستخلف على المدينة أبا لبابة الأنصاري وخرج معه الأنصار، ولم يخرجوا معه قبل ذلك، لاشتراطهم في بيعة العقبة أن ينصروه ﷺ بالمدينة فقط، وكان عدة من خرج معه ﷺ ثلاثمائة وخمسة كما في المواهب وأقرّه ابن حجر، وثمانية آخر منهم: عثمان رضي الله عنه لم يشهدوها وألحقهم ﷺ بهم في الأجر وضرب لهم بسهمهم فكانوا كمن حضرها، ومعهم ثلاثة أفراس (*) ليس لهم غيرها، وسبعون بعيراً، وعدة المشركين ألفاً، معهم مائة فرس وسبعمائة بعير، وكان قتالهم يوم الجمعة (في رمضان) لسبع عشرة خلت منه كما في المواهب وتبعه ابن حجر، وجزم الغيطي بأنه في السابع والعشرين منه، ولم يقصد ﷺ وأصحابه بخروجهم قتالاً، بل أخذ عير قريش التي قدم بها أبو سفيان من الشام في ثلاثين راكباً منهم: عمرو بن العاص بأموال عظيمة لقريش حتى وصلوا إلى قريب بدر فبلغ النبي ﷺ ذلك وندب أصحابه إليهم وأخبرهم بكثرة المال وقلة العدد، فلما سمع أبو سفيان ذلك أرسل إلى قريش بمكة يستنفرهم فنهضوا في قريب من ألف مقنّع ولم يتخلف من أشرافهم غير أبي لهب، فلما بلغ ﷺ الدوحاء أتاه الخبر بمسير قريش في ذلك العدد والعدة، فاستشار ﷺ أصحابه في طلب العير وحرب النفير بعد أن نزل عليه جبريل عليه السلام وقال: إن الله تعالى وعدكم إحدى الطائفتين، إما العير وإما قريش، وكانت العير أحب إليهم فقال بعضهم: هلاّ ذكرت لنا القتال حتى نتأهب له، إنا خرجنا للعير، فقال ﷺ: إن العير مضت على ساحل البحر [٤٣٤]، وهذا أبو جهل قد أقبل، فقالوا: يا رسول الله عليك بالعير ودع العدو فغضب ﷺ، فقام أبو بكر فقال وأحسن ثم عمر كذلك ثم قام المقداد

(*) بل فرسان هما للمقداد والزبير.

(٤٣٤) لم أر هذا فيما لدي من المراجع.

ابن عمرو فقال يا رسول الله امض لما أمرك الله فنحن معك والله ما نقول لك ما قالت بنو إسرائيل: اذهب أنت وربك فقاتلا إنا ههنا قاعدون، ولكن اذهب أنت وربك فقاتلا إنا معكما مقاتلون، فتبسم ﷺ ودعى بخير ثم قال ﷺ: أشيروا إليّ أيها الناس وأراد بهم الأنصار، حيث خاف منهم: أن لا ينصروه إلاّ من عدو دهمه بالمدينة لما مرّ من اشتراطهم في بيعة العقبة، فقام سعد بن معاذ، ووقع في مسلم سعد بن عبادة(٤٣٥) واعترض عليه فقال يا رسول الله: كأنك تريدنا، قال: أجل. قال: قد آمنا بك، وصدّقناك وشهدنا أن ما جئت به هو الحق وأعطيناك على ذلك عهودنا ومواثيقنا على السمع والطاعة، فامض يا رسول الله لما أردت، فوالذي بعثك بالحق لو استعرضت بنا هذا البحر فخضته لخضناه ما تخلف منا رجل واحد، وما نكره أن نلقى عدونا، إنا لصبر عند الحرب صُدُق عند اللقاء، ولعل الله تعالى يريك منا ما تقرّ به عينك، فسر بنا على بركة الله تعالى، ففرح ﷺ بقوله، ثم قال: سيروا على بركة الله وأبشروا فإن الله قد وعدني إحدى الطائفتين والله لكأني الآن أنظر إلى مصارع القوم، وقال ثابت عن أنس رضي الله عنه قال ﷺ: هذا مصرع فلان ويضع يده على الأرض ههنا وههنا فما تنحى أحد عن موضع يده ﷺ(٤٣٦)، ثم رحل رسول الله ﷺ فنزلوا على كثيب أعفر تسوخ فيه الأقدام وحوافر الدواب، وسبقهم المشركون إلى الماء [ماء بدر] فعطش المسلمون وأصبح بعضهم محدث وبعضهم جنب فجاء الشيطان يوسوس كثيراً منهم [منكم] تزعمون أنكم على الحق وفيكم نبي الله، وقد سبقكم المشركون إلى الماء وأنتم عطاش محدثون مجنبون، فأرسل الله تعالى عليهم مطراً حتى سال الوادي، فطابت نفوسهم وثبتت أقدامهم على الرمل، وأذهب الله

---

(٤٣٥) رواه ابن أبي شيبة في المصنف (١٤/ ٣٧٧ - ٣٧٨) وعنه مسلم (١٧٧٩) قال الحافظ الفتح (٧/ ٢٨٨) وفيه نظر لأن سعد بن عبادة لم يشهد بدراً، وإن كان يعد فيهم لكونه ممن ضرب له سهمه.

(٤٣٦) أنظر الفتح (٧/ ٢٨٨).

عنهم رجز الشيطان[٤٣٧]، وبُنِيَ لرسول الله ﷺ عريش فكان فيه ثم خرج عتبة ابن ربيعة فنهى عن القتال وقال يا قوم: إني أرى قوماً أي ملائكة متمسكين لا تصلون إليهم، يا قوم اعصبوا برأسي وقولوا جبن عتبة وقد علمتم أني لست بأجبنكم فسمعه أبو جهل فقال له: لقد ملئت رعباً، فقال له عتبة: إياي تعني يا مصفر أسته، رماه بأنه كان يزعفر أسته أي دبره، قيل كان بأسته برص فكان يصبغه بالزعفران، وقيل غير ذلك سيعلم اليوم أينا الأجبن[٤٣٨] ثم برز عتبة بين أخيه شيبة بن ربيعة وابنه الوليد ودعا إلى المبارزة، فخرج إليه فتية من الأنصار فلم يرضوا بهم، وقالوا نحن قريش وأكفاؤنا قريش فأمر ﷺ ابن عمه عبيدة بن الحارث وعمه حمزة وابن عمه علياً رضي الله عنهم، فلما دنوا منهم وعرفوهم قالوا: أكفاء كرام ووقع في تمييز هؤلاء لأولئك خلاف.

وأصح الروايات كما قال الحافظ ابن حجر العسقلاني: ما في رواية أبي داود عن عليّ كرم الله وجهه[٤٣٩] من أن حمزة بارز عتبة، وعلياً بارز شيبة، وعبيدة بارز الوليد، فأقبل حمزة إلى عتبة فقتله، وعلي إلى شيبة فقتله، واختلفوا بين عبيدة والوليد ضربتان فأثخن كل منهما صاحبه، ثم مال حمزة وعليّ على الوليد فقتلاه واحتملا عبيدة.

قال الحافظ المذكور: لكن المشهور في السير: أنَّ الذي بارز الوليد هو عليّ، ويرجحه: أنه شاب مثله بخلاف الآخرين فكانا شيخين كالأولين والله أعلم، انتهى[٤٤٠].

---

(٤٣٧) هذه خرافة موضوعة إلا أن قصة نزول المطر وسيل الوادي ذكرها ابن إسحاق كما في سيرة ابن هشام (٢/ ٢٥٩) وانظر السيرة (٢/ ٤٣٢) لابن كثير.

(٤٣٨) لم أر هذا أيضاً فيما لدي من المراجع.

(٤٣٩) رواه أبو داود (٢٦٤٨).

(٤٤٠) أنظر فتح الباري (٧/ ٢٩٨).

ثم تزاحف الناس ورسول الله ﷺ في العريش وأبو بكر معه لا غير، وهو ﷺ يناشد ربه: ما وعده من النصر ويقول كما رواه ابن إسحاق: اللّهم إن تهلك هذه العصابة من أهل الإيمان [اليوم] فلا تعبد في الأرض، وأبو بكر يقول: يا رسول الله ﷺ: خلّ بعض مناشدتك ربك فإن الله منجز لك ما وعدك (٤٤١)، وفي رواية سعيد بن منصور: لما كان يوم بدر نظر رسول الله ﷺ إلى المشركين وهم كثيرون وإلى المسلمين وهم قليلون، فركع ركعتين وقام أبو بكر عن يمينه، فقال ﷺ وهو في صلاته: اللهم لا تخذلني اللهم أنشدك ما وعدتني (٤٤٢).

وفي صحيح مسلم عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه: لما كان يوم بدر نظر رسول الله ﷺ إلى المشركين وهم ألف، وأصحابه ثلاثمائة وبضعة عشر، دخل العريش واستقبل القبلة ومد يده وجعل يهتف بربه: اللهم أنجز لي ما وعدتني، فما زال يهتف ربه ماداً يديه حتى سقط رداءه عن منكبيه فأخذه أبو بكر فألقاه على منكبيه، ثم التزمه من ورائه وقال: يا نبي الله كفاك مناشدتك ربك فإنه سينجز لك ما وعدك (٤٤٣)، فإن قيل كيف أمر أبو بكر النبي ﷺ بالكف عن الاجتهاد في الدعاء وقوة رجاءه [وقوي رجاؤه] وثبته، مع أن مقامه ويقينه أكمل بمراتب، أُجيب: بأن الصديق إذ ذاك كان في مقام الرجاء وهو ﷺ في مقام الخوف، لأن له عز وجل أن يفعل ما شاء فخاف أن لا يعبد الله في الأرض فخوفه من هذه الجهة عبادة، وهو أكمل من مقام الرجاء بكثير كما قاله السهيلي، وبأن الحامل على ذلك الاجتهاد شفقته على أصحابه وتسكين نفوسهم لعلمهم بأن دعاءه مستجاب، وبأن الجهاد ضربان بالسيف وبالدعاء، فلما رأى أنصار الله يقاتلون والملائكة يمدّون، ومن صفة الإمام: أن يكون وراء الجند لا

---

(٤٤١) أنظر سيرة ابن هشام (٢/ ٢٦٧).

(٤٤٢) رواه سعيد بن منصور في السنن (٢٨٧٢) من قول عبيد الله بن عبدالله.

(٤٤٣) رواه مسلم (١٧٦٣).

يقاتل بالغ ﷺ في الدعاء ليكون الكل في جد واجتهاد كما قاله الخطابي ثم أخذته ﷺ سنة من النوم، ثم استيقظ مبتسماً فقال: أبشر يا أبا بكر، هذا جبريل على ثناياه النقع أي الغبار (٤٤٤). ثم خرج من باب العريش وهو يتلو: ﴿سيهزم الجمع ويولون الدبر﴾ كما في الصحيح(٤٤٥)، ثم لما التقى الجمعان أخذ ﷺ كفاً من الحصى فرمى به في وجوههم فقال: شاهت الوجوه أي قبحت وخسرت فلم يبق مشرك إلا دخل في عينيه ومنخريه منها شيء فانهزموا (٤٤٦).

قال جماعة منهم عبدالرحمن بن زيد بن أسلم أن هذا الرمي هو المراد من قوله تعالى: ﴿وما رميت إذ رميت ولكن الله رمى﴾ (٤٤٧) وإن كان قد فعل ذلك يوم حنين أيضاً أراد أن رميك لا يبلغ هذا المبلغ عادةً، فالذي منك مبدأ الرمي ومنا إيصاله، وأيّد [أمد] الله المؤمنين من الملائكة بألف في صور الرجال يقاتلون معهم ثم صاروا ثلاثة آلاف ثم صاروا خمسة آلاف كما قاله الربيع بن أنس وغيره(٤٤٨)، وعن ابن عباس رضي الله عنهما جاء إبليس يوم بدر في جند من الشياطين ومعه راية في صورة سراقة بن مالك فقال للمشركين: [لا غالب لكم اليوم من الناس وإني جار لكم] فلما أقبل جبريل مع الملائكة كانت يده في يد رجل من المشركين فانتزعها ثم نكص على عقبيه فقال الرجل يا سراقة أتزعم أنك جار لنا؟ فقال إني أرى ما لا ترون(٤٤٩).

---

(٤٤٤) سيرة ابن هشام (٢/ ٢٦٧) والسيرة لابن كثير (٢/ ٤٣٤).

(٤٤٥) رواه البخاري (٣٩٥٣).

(٤٤٦) أنظر السيرة لابن كثير (٢/ ٤٣٥).

(٤٤٧) أنظر تفسير ابن كثير (٢/ ٢٩٥) والسيرة (٢/ ٤٣٥) له.

(٤٤٨) أنظر تفسير ابن كثير (٢/ ٤٠١).

(٤٤٩) رواه ابن جرير في تفسيره (١٦١٨٣) وعلي بن أبي طلحة لم يسمع من ابن عباس فهو منقطع ومعاوية بن صالح صدق له أوهام، وعبدالله بن صالح كاتب الليث ضعيف. ورواه بنفس الإسناد البيهقي في الدلائل (٢/ ٣٥٣ ـ ٣٥٤) بأطول من هذا وكذلك أبو نعيم في الدلائل (ص ٤٠٣ ـ ٤٠٤).

وروي أن بعض الملائكة كان على خيل بلق وثيابهم وعمائمهم بيض قد أرخوا أطرافها بين أكتافهم، وعن ابن عباس أنّ عمائمهم سود وعن الزبير أنها صفر وجمع بأنه لا مانع من أنها كانت مختلفة الألوان، ولم تقاتل الملائكة إلا يوم بدر كما روي عن ابن عباس رضي الله عنهما، قال ابن مرزوق: وبقية المواطن يحضرون ولا يقاتلون، ونسب هذا القول إلى المجهول، ولكن صح في مسلم عن سعد بن أبي وقاص: رأيت يوم أحد عن يمين رسول الله وعن شماله رجلين عليهما ثياب بيض ما رأيتهما قبل ولا بعد يعني جبريل وميكائيل يقاتلان كأشدّ القتال(٤٥٠).

قال النووي: وفيه ردّ على من زعم اختصاص قتالهم بيوم بدر(٤٥١). وصعد مشركان كما رواه أبو نعيم والبيهقي عن ابن عباس رضي الله عنهما في جَبَل يشرق على بدر ينظران الواقعة لينتهيا على ما يكون له الهزيمة فدنت منهما سحابة سمعا فيها حمحمة الخيل وقائلاً يقول أقدم حيزوم فانكشف قناع قلب أحدهم فمات مكانه وكاد الآخر أن يموت ثم أسلم(٤٥٢). وحيزوم اسم فرس جبرائيل كما في القاموس وغيره، وصح عن بعض الأنصار قال: لقد رأيتنا يوم بدر وإن أحدنا ليشير بسيفه إلى المشرك فيقع رأسه عن جسده قبل أن يصل إليه السيف(٤٥٣). ووقعت له ﷺ يوم بدر معجزات:

منها سيف عكاشة. وسيأتي ذكره في المعجزات وأمر ﷺ بالقتلى من

---

(٤٥٠) رواه البخاري (٤٠٥٤ و ٥٨٢٦) ومسلم (٢٣٠٦)

(٤٥١) أنظر شرح صحيح مسلم (١٥/ ٦٦) للنووي.

(٤٥٢) رواه محمد بن إسحاق كما في سيرة ابن هشام (٢/ ٢٧٣ - ٢٧٤) ومن طريقه أبو نعيم (ص ٤٠٦) والبيهقي (٢/ ٣٣٤ - ٣٣٥) كلاهما في دلائل النبوة وفي إسناده مجهول.

(٤٥٣) رواه البيهقي في الدلائل (٢/ ٣٣٨) ورواه أيضاً الطبراني في الكبير (٥٥٥٦) من حديث سهل بن حنيف وفي إسناده محمد بن يحيى بن زكريا الاسكندراني الحميري وهو متكلم فيه، راجع ترجمته في اللسان.

المشركين فطرحوا في القليب إلاّ أمية بن خلف فإنه انتفخ في درعه فستروه بالتراب والحجارة قريباً من القليب (٤٥٤). ثم وقف ﷺ وناداهم توبيخاً وتحقيراً وحسرةً بأسمائهم: هل وجدتم ما وعدكم الله ورسوله حقاً (٤٥٥)، فإني وجدت ما وعدني الله حقاً، وزاد ابن إسحاق: بئس العشيرة كنتم كذّبتموني وصدّقني الناس (٤٥٦).

وقال ﷺ لأصحابه حين قال عمر رضي الله عنه كيف تكلِّم أجساداً لا أرواح فيها: (ما أنتم بأسمع لما أقول منهم غير أنهم لا يستطيعون [أن يردوا] الجواب) [جواباً].

ومعنى قوله تعالى: ﴿إنك لا تسمع الموتى﴾ كما قال الأئمة: لا تسمعهم سماعاً نافعاً لهم (٤٥٧).

ورأى عبدالله بن مسعود أبا جهل اللعين قد صرع وهو يذب الناس بسيفه فقال الحمد لله الذي أخزاك يا عدو الله وقال: ما هو إلاّ رجل قَتَلَهُ قومه فجعل يضربه بسيفه وهو لا يصنع شيئاً حتى أصاب يده فسقط بسيفه فأخذه فضربه حتى قتله ثم جاء مبشراً للنبي ﷺ فقال انطلق فأرنيه فانطلق فرآه فقال ﷺ: الحمد لله الذي أخزاك يا عدو الله قتلت فرعون هذه الأمة (٤٥٨)، وجملة من

(٤٥٤) رواه ابن إسحاق كما في سيرة ابن هشام (٢/ ٢٧٩) من حديث عائشة.

(٤٥٥) في كل الروايات فهل وجدتم ما وعدكم ربكم حقاً.

(٤٥٦) رواه ابن إسحاق كما في سيرة ابن هشام (٢/ ٢٨٠) عن بعض أهل العلم.

(٤٥٧) قال شيخنا في مقدمة الآيات البينات (ص ٢٨) وهذا في نقدي قلب للتشبيه المذكور في الآيتين حيث جعل المشبه به مشبها، فإن القيد المذكور يصدق على موتى الأحياء من الكفار فإنهم يسمعون حقيقة ولكن لا ينتفعون من سماعهم كما هو مشاهد إلى آخر ما قاله. فالصواب أن الموتى لا يسمعون، وأما أهل القليب فإنهم سمعوا معجزة للرسول ﷺ في ذلك الوقت.

(٤٥٨) أنظر مسند أحمد (٣٨٢٤ و ٣٨٥٦ و ٤٢٤٦ و ٤٢٤٧) وسنن أبي داود (٢٧٠٥) والطبراني (٧٤٦٨ و ٧٤٦٩ و ٧٤٧٠ و ٧٤٧١ و ٧٤٧٢ و ٧٤٧٣ و ٧٤٧٤ و ٧٤٧٥ و ٧٤٧٦). وانظر صحيح البخاري (٣٩٦٢ و ٣٩٦٣ و ٤٠٢٠) وانظر الفتح (٧/ ٢٩٥ - ٢٩٦).

استشهد يومئذ كما في المواهب وغيره: أربعة عشر ستة من المهاجرين وثمانية من الأنصار ستة من الخزرج واثنان من الأوس(٤٥٩)، وقتل من المشركين سبعون وأسر سبعون(٤٦٠). من أفضلهم العباس وابنا أخويه عقيل بن أبي طالب ونوفل ابن الحارث، وكل أسلم، وقيل للعباس وكان جسيماً كيف أسرك أبو البسر وهو ذميم ولو شئت لجعلته في كفك فقال: ما هو إلا أن لقيته فظهر في عيني كالخندمة(٤٦١). وهي بالخاء المعجمة الجبل المشهور بمكة، وفي رواية رجالها ثقاة جاء رجل من الأنصار قصيرٌ بالعباس أسيراً، فقال العباس يا رسول الله: إن هذا والله ما أسرني لقد أسرني رجل أجنح من أحسن الناس وجهاً على فرس أبلق ما أراه في القوم، فقال الأنصاري: أنا أسرته يا رسول الله فقال له رسول الله ﷺ: أسكت لقد أمدك الله بملك كريم(٤٦٢). وولّى عمر رضي الله عنه وثاق الأسرى فشد وثاق العباس فسمعه النبي ﷺ وهو يئنّ فلم يأخذه النوم، فبلغ ذلك الأنصار ففكّوا وثاقه رضاً لرسول الله ﷺ(٤٦٣)، وسألوه أن يتركوه له الفدى طلباً لتمام رضاه ﷺ فلم يجبهم(٤٦٤)، ثم استشار الناس في الأسارى فقام عمر رضي الله عنه وأجاب بضرب أعناقهم ثلاث مرات كما في حديث الإمام أحمد رضي الله عنه عن أنس رضي الله عنه فأعرض عنه ﷺ في كل مرة.

---

(٤٥٩) أنظر زاد المعاد (٣/ ١٨٨).

(٤٦٠) رواه البخاري (٣٩٨٦) من حديث البراء بن عازب.

(٤٦١) رواه البزار (١٧٨٠) ونسبه في مجمع الزوائد (٦/ ٨٥) إلى الطبراني أيضاً ولم أره في المعجم الكبير ولا الصغير. وفي إسناده علي بن زيد بن جدعان وهو ضعيف، وهو من حديث ابن عباس.

(٤٦٢) رواه أحمد (٩٤٨) من حديث علي بن أبي طالب وهو حديث حسن.

(٤٦٣) رواه ابن عساكر في تاريخ دمشق في ترجمة العباس (ص ١٢٠) وابن سعد (٤/ ١٢ - ١٣).

(٤٦٤) رواه ابن عساكر (ص ١٢١).

فقام أبو بكر وأجاب بقبول الفدا منهم، فرضي ﷺ وقبله منهم، فأنزل الله تعالى:

﴿لولا كتاب من الله سبق لمسكم فيما أخذتم عذاب عظيم﴾ والكلام عليه في التفاسير مشهور.

روي أنه ﷺ قال: لو ينزل [نزل] العذاب نجى منه [منهم] إلاّ عمر وسعد بن معاذ، لأنه أشار بالقتل كعمر رضي الله عنه، ثم قال ﷺ: يا عباس إفدِ نفسك وابني أخيك: عقيل بن أبي طالب ونوفل بن الحارث وحليفك عتبة ابن عمرو، فقال: إني كنت مسلماً ولكن استكرهوني، قال الله أعلم، ولكن ظاهر أمرك أنك كنت علينا رواه ابن إسحاق. وذكر موسى بن عقبة: أن فداءهم كان أربعين أوقية ذهباً، ولكن روى أبو نعيم في الدلائل بسند حسن عن ابن عباس رضي الله عنهما: أنه ﷺ جعل على العباس مائة أوقية وعلى عقيل ثمانين(٤٦٤)، وما ذكر أنه كان مسلماً سراً قبل ذلك هو ما عليه علماء التأريخ(٤٦٥) ولذا جاء أنه ﷺ قال: من لقي العباس فلا يقتله(٤٦٦)، وبعد أن رجع إلى مكة أراد الهجرة فكتب إليه ﷺ: أن مقامك بمكة خير، أي لأجل أنه كان يكتب أخبار المشركين إليه ﷺ، وقيل: إنما أسلم ببدر، لأنه خرج بعشرين أوقية ذهباً ليطعم بها المشركين، فذهبت منه في الحرب، فسأل النبي ﷺ أن يحسبها من فدائه فأبى، وقال: أما شيء خرجت تستعين به علينا فلا نتركه لك، فقال: تركتني أتكفف قريشاً، قال: فأين الذهب الذي دفعته لأم

---

(٤٦٤) رواه أبو نعيم (ص ٤١١) وفي إسناده محمد بن حميد الرازي وهو ضعيف فكيف يكون إسناده حسناً.

(٤٦٥) أنظر تاريخ ابن عساكر (ص ١١٦) وابن سعد (٤/ ٣١) وإسناده واه، والصحيح أنه أسلم يوم بدر كما قاله الحافظ.

(٤٦٦) لم أره مسنداً.

الفضل وقت خروجك من مكة، فقال: وما يدريك، قال: أخبرني ربي، فقال: أشهد أنك صادق فإن هذا لم يطلع عليه إلا الله، فأسلم حينئذ (٤٦٧).

وقيل: أسلم [قبل] فتح خيبر، وعلى كل من الأقوال لم يظهر إسلامه إلاّ في وقعة الفتح، فإنه خرج لملاقاة النبي ﷺ بالأبواء واستمر معه، وبه ختمت الهجرة، وكان فراغه ﷺ من بدر أول يوم من شوال، فبعث زيداً مولاه إلى المدينة بشيرً فوصلها ضحىً وقد نفضوا أيديهم من تراب قبر رقية بنت النبي ﷺ زوجة عثمان رضي الله عنه، وهذا هو الصحيح في وفاتها، ولأجلها تخلّف عثمان عن بدر (٤٦٨).

ثم أمر ﷺ عند انصرافه من بدر: عاصم بن ثابت وهو جد عاصم بن عمر ابن الخطّاب بقتل عقبة بن أبي معيط اللعين الذي وطأ على عنقه ﷺ وهو ساجد كما في البخاري، فقتله صبراً (٤٦٩) ثم أقبل ﷺ قافلاً إلى المدينة ومعه الأسارى، فلما خرج عن مضيق الصفراء قسم الغنيمة بين المسلمين على السواء وأمر علياً بالصفراء بقتل النضر بن الحارث فقتله صبراً (٤٧٠)، ثم مضى ﷺ، حتى قدم المدينة قبل الأسارى بيوم فلما قدموا فرقهم بين الصحابة وقال: استوصوا بهم خيراً ولما قدم أبو سفيان بن الحارث عم النبي ﷺ من بدر مكة، سأله عمه أبو لهب عن خبر قريش فقال: ما هو إلاّ أن لقينا القوم فمنحناهم أكتافنا يقتلوننا كيف شاؤوا ويأسروننا كيف شاؤوا وأيم الله مع ذلك ما لمت الناس، لقينا رجالاً بيضاً على خيل بلق بين السماء والأرض والله لا يقوم لها شيء، فقال أبو رافع مولى رسول الله ﷺ وكان غلاماً للعباس والله تلك الملائكة، فرفع أبو لهب

---

(٤٦٧) رواه أحمد (٣٣١٠) ومن طريقه ابن عساكر في تاريخ دمشق (ص ١١٧ - ١١٨) وفيه رجل مجهول، وهو من حديث ابن عباس.

(٤٦٨) أنظر دلائل النبوة (٢/ ٤٠١ - ٤٠٤) وسيرة ابن هشام (٢/ ٢٨٥).

(٤٦٩) أنظر السيرة (٢/ ٤٧٣) لابن كثير. وسيرة ابن هشام (٢/ ٢٨٧).

(٤٧٠) المصدر السابق وسيرة ابن هشام (٢/ ٢٨٦).

يده فضرب وجهه، فقامت زوجة العباس أم الفضل إلى عمود فضربت به رأس أبي لهب وقالت: استضعفته أن غاب سيد، فما عاش اللّعين إلا سبع ليال حتى رماه الله تعالى بالعدسة وهي قرحة كانت العرب تتشاءم بها لزعمهم أنها تعدّى أشد العدوى فتباعدت عنه بنوه حتى قتله الله تعالى، وبقي بعد موته ثلاثة أيام لا يقرب أحد جيفته ولا يحاول دفنه، فلما خافوا اللّوم في تركه حفروا له حفرةً في موضع موته بداره ثم دفعوه بعود في الحفرة [حفرته] وقذفوه بالحجارة من بعيد حتى واروه (٤٧١). ذكره في المواهب وأقره ابن حجر، وزاد: ما يظن أن المحل الذي قرب الزهراء المشهور عند العامة بقبر أبي لهب هو قبره، لاأصل له، إنما هو قبر اللعين القِرمِطي الذي فعل بمكة الأفاعيل. وقوله (مع زكاة الفطر) حال كون غزاة بدر مصاحبة لزكاة الفطر في كونها في رمضان أيضاً، وفرضت قبل العيد بيومين كما قاله الغيطي وغيره، وفي هذه السنة أيضاً صلى ﷺ عيد الفطر وصلاة عيد الأضحى، وضحى بكبشين أملحين أقرنين ذبح أحدهما عن نفسه والآخر عن أمته (٤٧٢).

ثم بشـوال البنـا بفـاطمـة وعـائش وقينقـاع الظـالمة

(ثم) كان في هذه السنة أيضاً (بشوال) بترك التنوين للوزن أي فيه كما جزم به الغيطي وغيره (البِنا) بالقصر للوزن أي الدخول، والأصل فيه: أن الرجل كان إذا تزوج امرأة بنى عليها قبةً ليدخل بها فيها، ثم جعل كناية عن الدخول بها، وقوله (بفاطمة) متعلق بالبناء، قال الجوهري: يقال بنى الرجل على أهله ولا يقال بأهله. وردّه ابن الأثير باستعماله بالباء أيضاً في الحديث

---

(٤٧١) رواه ابن إسحاق ومن طريقه أحمد (٦/ ٩) والبزار (١٧٧٨) والطبراني (٩١٢) قال في المجمع (٦/ ٨٩) وفي إسناده حسين بن عبدالله بن عبيدالله وثقه أبو حاتم وغيره وضعفه جماعة وبقية رجاله ثقات. وهو من حديث أبي رافع.

(٤٧٢) مولد الغيطي (١٧/ ١).

وغيره، زوّجها ﷺ علياً كرم الله وجهه بوحي من الله عز وجل كما في الحديث على أربعمائة مثقال فضة، وكانت وليمته آصعاً من شعير وتمر وحيس كما أخرجه الدولابي، وجهازها خميلة وقربة ووسادة من أدم حشوها ليف كما أخرجه الإمام أحمد [٤٧٣] وزيد في رواية سرير [٤٧٤]، وسنها حين التزويج خمس عشرة سنة وخمسة أشهر أو ستة ونصف وسنّ علي كان إحدى وعشرين سنة وخمسة أشهر، ولم يتزوج عليها حتى ماتت، وبين التزويج والبناء بها سبعة أشهر ونصف كما قاله بعضهم وجزم به ابن حجر في شرح الهمزية. وقال الطبري في كتابه ذخائر العقبى: تزوجها في صفر في السنة الثانية وبنى بها في ذي الحجة. وقيل: غير ذلك.

(و) في شوال أيضاً كان بناؤه ﷺ بابنة الصديق (عائشٍ) بالتنوين وبالترخيم بحذف التاء للضرورة وهي بنت تسع سنين. (و) كان في شوال أيضاً على الأصح غزوة بني (قينقاع) بفتح القاف وتثليث النون، وضمها أشهر وهم بطن من يهود المدينة لهم شجاعة وصبر، وعلم مما قدرنا حذف مضافين على قينقاع ونيابته منابهما، ووصفهم بقوله: (الظالمة) لأنه أظلم طوائف اليهود الثلاثة بالمدينة أعني بني قريظة وبني النضير وبني قينقاع، وأول من نقض العهد من اليهود وذلك أن الكفار كانوا بعد الهجرة على ثلاثة أقسام: قسم صالحهم ﷺ على أن لا يحاربوه ولا يحرضوا عليه عدواً وهو طوائف اليهود الثلاثة، وقسم حاربوه ونصبوا له العداوة كقريش وقسم تاركوه، وانتظروا ما يؤول إليه أمره، ومنهم من كان معه ظاهراً ومع عدوه باطناً كالمنافقين فنقض بنو قينقاع عهدهم بقتلهم مسلماً.

---

(٤٧٣) رواه أحمد (٦٤٣ و ٧١٥ و ٨١٩ و ٨٣٨ و ٨٥٣) والنسائي (٦/ ١٣٥) وابن ماجه (٤١٥٢) والبيهقي في الدلائل (٢/ ٤٣٠).

(٤٧٤) لم أر هذه الرواية.

وكان من أمرهم أن امرأةً من العرب جلست إلى صائغ يهودي فراودها على كشف وجهها فأبت فعمد إلى طرف ثوبها فربطه إلى ظهرها، فلما قامت انكشفت سوءتها فضحكوا منها فصاحت، فوثب رجل من المسلمين إلى الصائغ فقتله فشدّت اليهود على المسلم فقتلوه ووقع الشرّ بين المسلمين وبني قبنقاع (٤٧٥)، فسار إليهم النبي ﷺ، فحاصرهم أشد الحصار خمس عشرة ليلة إلى هلال ذي القعدة وكان اللواء الأبيض بيد حمزة رضي الله عنه، فقذف الله في قلوبهم الرعب ونزلوا على حكم رسول الله ﷺ: على أن له أموالهم وأن لهم الذرية والنساء، ثم أمر الرسول ﷺ بتكتيفهم فكلّم وألح عليه ﷺ حليفهم اللعين المنافق عبد الله ابن أبي بن سلول حتى ترك ﷺ قتلهم، وأمر بإخراجهم من المدينة فلحقوا بأزرعات الشام، وأخذوا من حصنهم سلاحاً وآلةً كثيرةً.

وفي هذه السنة في شوال أيضاً سرية سالم بن عمير إلى أبي عفك اليهودي كان شيخاً كبيراً قد بلغ مائةً وعشرين سنة، وكان يحرص على النبي ﷺ ويقول فيه الشعر، فأقبل إليه سالم ووضع سيفه على كبده ثم اعتمد عليه حتى خش في الفراش، فصاح عدو الله أبو عفك فثار إليه ناس ممن هو على قوله فأدخلوه منزله فقُتِلَ (٤٧٦).

وفيه أيضاً، وقيل: في المحرم سنة ثلاث خرج ﷺ يريد بني سليم، فبلغ موضعاً يُقال له الكُدْر، ويعرف بغزوة قرقرة وهي أرض ملساء، والكدر طير في ألوانها كدرة عرف بها ذلك الموضع، فأقام ﷺ ثلاثاً، وقيل عشراً فلم يلق أحداً، وحامل اللواء علي كرم الله وجهه (٤٧٧).

وفيها أيضاً في آخر رمضان سرية عمير بن عدي الخطمي إلى عصماء بنت

---

(٤٧٥) أنظر سيرة ابن هشام (٢/ ٢٢٦ - ٢٢٩) والطبقات (٢/ ٢٩).
(٤٧٦) أنظر طبقات ابن سعد (٢/ ٢٢٨).
(٤٧٧) أنظر سيرة ابن هشام (٢/ ٤٢١ - ٤٢٢) والطبقات (٢/ ٣١).

مروان زوجة يزيد بن زيد الخطمي وكانت تعيب الإسلام وتؤذي رسول الله ﷺ، فجاءها ليلاً فقتلها، ثم صلى الصبح معه ﷺ بالمدينة، وأخبره بذلك فقال: لا ينتطح فيها عنزان أي لا يعارض فيها معارض ولا يسأل عنها فإنها هَدَرَ دَمَهَا، (٤٧٨)، قال الأئمة: وهذا من الكلام الوجيز الذي لم يسبق إليه ﷺ وله نظائر.

وفيها أيضاً غزوة السويق في أول ذي الحجة على الأصح، وسميت غزوة السويق لأنه كان أكثر زاد المشركين، وغنمه المسلمون، واستخلف أبا لبابة، وسببها: أن أبا سفيان حين رجع بالبعير من بدر إلى مكة، نذر أن لا يمس النساء والدهن حتى يقاتل [يغزو] محمداً ﷺ، فخرج في مائتي راكب من قريش ليبرّ يمينه حتى أتوا العريض ناحية من المدينة على ثلاثة أميال، فحرقوا نخلاً وقتلوا رجلاً من الأنصار، فرأى أبو سفيان أن قد أغلت يمينه، وانصرف بقومه راجعين، وخرج ﷺ في طلبهم في مائتين من المهاجرين والأنصار، وجعل أبو سفيان وأصحابه يلقون حرب السويق حتى يتخففوا للهرب فيأخذها المسلمون، ولم يلحقهم ﷺ فرجع وكانت غيبته خمسة أيام(٤٧٩).

سنة ثلاث غطفان وأحد وحرّم الخمر وحسن ولد

(وما كان في سنة ثلاث سنة) بسكون الهاء إجراء للوصل مجرى الوقف (ثلاث) من الهجرة لاثنتي عشرة ليلة مضت من شهر ربيع الأول كانت (غطفان) [أي غزوة غطفان] وتسمى غزوة ذي أمر بفتح الهمزة والميم موضع بديار غطفان، وسماها الحاكم غزوة أنمار، وهي بناحية نجد وسببها أن جمعاً من بني ثعلبة ومحارب تجمعوا يريدون الإغارة، جمعهم دعثور بن الحارث المحاربي

---

(٤٧٨) أنظر الطبقات (٢/ ٢٧ - ٢٨)

(٤٧٩) أنظر سيرة ابن هشام (٢/ ٤٢٢ - ٤٢٣) والسير والمغازي (ص ٣٢٢ - ٣٣٦) لابن إسحاق والطبقات (٢/ ٣٠) والدلائل للبيهقي (٢/ ٤٣٢ - ٤٣٤).

وسماه الخطيب: غورث، وغيره غورك، وكان شجاعاً، فندب ﷺ المسلمين، وخرج في أربعمائة وخمسين فارساً، واستخلف عثمان بن عفان رضي الله عنه، فلما سمعوا بمهبطه ﷺ هربوا في رؤوس الجبال، فأصابوا رجلاً منهم من بني ثعلبة فأدخل ﷺ، فدعاه إلى الإسلام فأسلم، وضمه إلى بلال، وأصاب النبي ﷺ مطر فنزع ثوبيه ونشرهما على شجرة ليجفا واضطجع تحتها وهم ينظرون، فقالوا لدعثور: قد انفرد محمد فعليك به، فأقبل ومعه سيف حتى قام على رأسه ﷺ، فقال: من يمنعك عني اليوم؟ فقال: الله عز وجل فدفع جبريل في صدره، فوقع السيف من يده، فأخذه ﷺ، فقال من يمنعك مني؟ فقال لا أحد، وأنا أشهد أن لا آله إلا الله وأنك رسول الله فتركه، ثم جاء إلى قومه وقال: جئتكم من عند خير الناس، ودعاهم إلى الإسلام وأنزل الله تعالى: ﴿يا أيها الذين آمنوا اذكروا نعمة الله عليكم إذ همّ قوم أن يبسطوا إليكم أيديهم فكف أيديهم عنكم﴾ الآية. ويقال: كان ذلك في ذات الرقاع، ثم رجع ﷺ ولم يلق كيداً، وكانت غيبته إحدى عشرة ليلةً(٤٨٠).

(و) فيها أيضاً اتفاقاً يوم السبت لإحدى عشرة ليلة خلت من شوال، وقيل: في نصفه كانت غزوة (أحد) بضمتين جبل مشهور بالمدينة على أقل من فرسخ منها يُسمى به لتوحيده وانقطاعه عن جبال أخر هناك، وفيه قبر هارون أخ موسى عليهما السلام.

وسببها كما ذكره ابن اسحاق وموسى بن عقبة وابن سعد عن شيوخهم(٤٨١): أنّ قريشاً أرادوا أخذ ثأرهم مما وقع لهم ببدر، فطلب جماعة ممن قتل آباؤهم وإخوانهم وأبناؤهم من أصحاب العير التي سلمت مع أبي سفيان أن يعينوهم بذلك المال على حربه ﷺ فأجابوا لذلك، فباعوا المال وكانت ألف بعير وخمسين ألف

---

(٤٨٠) أنظر الطبقات (٢/ ٣٤ - ٣٥) ودلائل النبوة (٢/ ٤٣٥ - ٤٣٧).

(٤٨١) أنظر سيرة ابن هشام (٣/ ٣ - ٨) والطبقات (٢/ ٣٦ - ٤٠).

دينار، فكتب إليه عمه العباس يخبره بذلك فاجتمعوا للمسير إليه ﷺ، فجاؤوا حتى نزلوا ببطن الوادي من قبل أحد مقابل المدينة، فرأى رسول الله ﷺ ليلة الجمعة بقراً تذبح وثَلْماً في ذباب سيفه وأنه أدخل يده في درع حصينة، فلما أصبح ذكر الرؤيا لأصحابه، فأول البقر بموت جماعة من أصحابه، والثلم بموت رجل من أهل بيته وهو همزة رضي الله عنه، والدرع بالمدينة وأنهم يعودون إليها، ثم قال ﷺ لأصحابه: امكثوا فإن دخل قوم الأزقة قاتلناهم، ورُموا من فوق البيوت، فقال رجال من المسلمين لم يشهدوا بدراً وأسفوا على ما فاتهم منها: يا رسول الله كنا نتمنى هذا اليوم، اخرج بنا إلى أعدائنا لا يرون أنا جبنا منهم، فصلى ﷺ بالناس الجمعة ثم وعظهم وحرضهم على الجد والاجتهاد وأخبرهم بأن لهم النصر ما صبروا، ففرحوا، ثم صلى بهم العصر وحضر أهل العوالي ثم دخل ﷺ بيته ومعه أبو بكر وعمر رضي الله عنهما فعمّاه وألبساه والناس ينتظرون خروجه، فقال لهم سعد بن معاذ وأسيد بن حضير: استكرهتم رسول الله ﷺ على الخروج، فردوا الأمر إليه، فلما خرج لابساً لأمته وهي بالهمزة وقد تخفف الدرع متقلداً سيفه، ندموا جميعاً على ما صنعوا، فقالوا: ما كان لنا أن نخالفك فاصنع ما شئت فقال: ما ينبغي لنبي إذا لبس لأمته أن يضعها حتى يحكم الله بينه وبين عدوه.

وفي حديث ابن عباس رضي الله عنهما عند الإمام أحمد والنسائي والطبراني وصححه الحاكم: نحو ما ذكر عن ابن اسحاق(٤٨٢)، ثم عقد ﷺ ثلاثة ألوية، لواءً للأوس بيد أسيد بن حضير، ولواءً للخزرج بيد الحباب بن المنذر، ولواءً للمهاجرين بيد علي كرم الله وجهه، وكانوا ألفاً ومائة درّاع. وكان المشركون ثلاثة آلاف وسبعمائة درّاع ومائتا فارس وثلاثة آلاف بعير، وخمس عشرة امرأة.

---

(٤٨٢) أنظر الحديث عند أحمد (٢٦٠٩) والطبراني (١٧٣١) والحاكم (٢/٢٩٦ - ٢٩٧) ولم يروه النسائي، ورواه الحاكم (٢/ ١٢٨ - ١٢٩).

وخرج السعدان سعد بن معاذ سيد الأوس، وسعد بن عبادة سيد الخزرج درّاعين يعدوان أمامه ﷺ، فنزل النبي ﷺ عند أحد ورجع عنه عبد الله بن أبي المنافق بثلاثمائة من أتباعه المنافقين، ثم صف المسلمون بأصل أُحُد والمشركون بالسبخة وعلى ميمنتهم خالد بن الوليد وعلى ميسرتهم عكرمة بن أبي جهل، وجعل ﷺ: عبد الله بن جبير على الرماة الذين يحمون ظهورهم وهم خمسون رجلاً وأمرهم أن لا يبرحوا من مكانهم مطلقاً، غَلَبَ المسلمون أو غُلبوا حتى يرسل إليهم ﷺ، كما في البخاري وغيره(٤٨٣) ثم قاتل حمزة رضي الله عنه حتى قتل بعض ساداتهم، وقاتل علي كرم الله وجهه فقتل صاحب لوائهم والتقى حنظلة الفسيل وأبو سفيان فضربه شداد بن أوس فقتله فرأى النبي ﷺ الملائكة تغسله لكونه خرج جنباً ولم يتمكنه الغسل كما أخبرت بذلك امرأته جميلة، ثم كرّ حمزة على من حمل اللواء منهم ثانياً فقطع يده وكتفه وممن أثخن القتل في المشركين: أبو دجانة سمّاك بالسيف الذي قال فيه رسول الله ﷺ: من يأخذه بحقه فقام إليه رجال فأمسكه عنهم، ثم قام إليه أبو دجانة فقال: وما حقه يا رسول الله؟ قال: أن تضرب به في وجه العدو حتى يثخن، قال: أنا آخذه، فأعطاه إياه فأخذه وعصب رأسه بعصابة حمراء إشارةً الى الموت، وكان رجلاً شجاعاً يختال عند الحرب، فلما رآه ﷺ يتبختر قال: إنها لمشية يبغضها الله إلا في مثل هذا الموطن، ثم أنزل الله نصره على المسلمين، فانهزم الكفار هزيمة فاحشة حتى صارت نساؤهم صائحين بالويل [حتى صاحت نساؤهم بالويل] وتبعهم المسلمون ينهبونهم، فأراد الرماة [الانصراف] أن ينصرفوا عن موقعهم للغنيمة، فقال أميرهم عبدالله بن جبير: أنسيتم ما قال لكم رسول الله ﷺ فأبوا وانصرفوا للغنيمة، فلما أتوا الناس حرفت وجوههم فأقبلوا منهزمين لشؤم

---

(٤٨٣) رواه البخاري (٣٠٣٩ و ٣٩٨٦ و ٤٠٤٣ و ٤٠٦٧ و ٤٥٦١) وأبو داود (٢٦٦٢) من حديث البراء.

مخالفتهم قوله ﷺ، وصاح ابليس حينئذ كما في البخاري[٣٨٤] أي عباد الله أخراكم فرجع المسلمون، واختلط العسكران فلم يتميزوا فوقع القتل في المسلمين بعضهم من بعض وكرّ خالد بن الوليد وتبعه عكرمة على من بقي من الرماة، فقتلوهم مع أميرهم عبدالله بن جبير وخرج مشرك فقال: هل من مبارز فخرج إليه حمزة فشد عليه فقتله، وكان وحشي عبد عقبة كامناً تحت صخرة فلما دنى منه تبعه ورماه بحربته فخرجت من بين وركيه كما في البخاري[٣٨٥]. فاستشهد بعد أن قتل أحداً وثلاثين كافراً. وقاتل مصعد بن عمير رضي الله عنه دون رسول الله ﷺ حتى قُتِل قَتَلَه ابن أبي قمئة يظنه رسول الله عليه الصلاة والسلام، فصاح أن محمداً قُتل، فانهزم طائفة من المسلمين إلى جهة المدينة وتفرق سائرهم، وفشا القتل فيهم حتى قُتِل منهم سبعون، وثبت رسول الله ﷺ حتى انكشفوا عنهم وثبت معه أربعة عشر سبعة من المهاجرين فيهم أبو بكر وعمر وسبعة من الأنصار، وفي البخاري لم يبق معه ﷺ إلا اثنى عشر، وصاح أبو سفيان ثلاثاً: أفي القوم محمد؟ فنهاهم ﷺ: أن يجيبوه ثم قال ثلاثاً: أفي القوم ابن أبي قحافة ثم قال: أفيهم عمر؟ ثم رجع إلى أصحابه فنادى: أما هؤلاء فقد قتلوا، فما ملك عمر رضي الله عنه نفسه فقال: كذبت يا عدو الله إن الذين ذكرت لأحياء كلهم وقد بقي لك ما يسوؤك[٤٨٦]. ثم توجه ﷺ يلتمس أصحابه فاستقبله المشركون فرموا وجهه الشريف فأدموه وكسروا رباعيته، فالذي رماه وجرح وجهه عبدالله بن أبي قميئة فدخلت حلقتان من المغفر في وجنته الشريفة فانتزعهما أبو عبيدة بن الجراح بأسنانه فسقطت ثنيتاه من شدة غوصهما في وجهه، والذي كسر رباعيته اليمنى وجرح شفته السفلى عتبة أخو سعد بن أبي وقاص ومن ثم لم يولد له ولد فيبلغ إلاّ وهو أبخر أي مكسور الثنايا

---

(٤٨٤) رواه البخاري (٤٠٦٥) من حديث عائشة.

(٤٨٥) رواه البخاري (٤٠٧٢) من حديث وحشي.

(٤٨٦) وتقدم آنفاً من حديث البراء.

من أصلها وفي رواية الطبراني أن الذي كسر رباعيته هو ابن أبي قمية، ولما رماه قال: خذها وأنا ابن أبي قمية فقال ﷺ وهو يمسح الدم عن وجهه: أقماك الله فسلّط الله عليه تيس جبل فلم يزل ينطحه حتى قطعه قطعةً قطعةً(٤٨٧). وشجّه عبدالله بن هشام الزهري في جبهته، وفي رواية وهشموا البيضة أي كسروا الخوذة على رأسه ورموه بالحجارة حتى سقط في حفرة، فأخذ عليّ كرم الله وجهه بيده واحتضنه طلحة حتى استوى قائماً، وكانت لطلحة يومئذ اليد البيضاء لأنه وقى النبي ﷺ بيده فشلت لما ضرب ﷺ بالسيف فشج وجهه وكان الصديق رضي الله عنه إذا حدث عن يوم أحد يبكي [بكى]، وقال ذلك [كله] لطلحة وقد قال له ﷺ يومئذ: أوجب طلحةُ أي عمل عملاً أوجب له الجنة وذلك أنه ﷺ كان قد ظاهر بين درعين، فأراد أن يصعد صخرةً هنالك فصُعب عليه فبرك له طلحة فصعد على ظهره فاستوى عليها فقال له ﷺ أوجب طلحة، وثبت مع النبي ﷺ يومئذ ولازمه وبايعه على الموت ووقاه بنفسه فوقع به نحو بضع وسبعين من طعنة وضربة ورمية كما في الحديث. ولما سال الدم على وجهه الكريم جعل يمسحه ويقول: كيف يفلح قوم خضبوا وجه نبيهم وهو يدعوهم إلى ربهم فأنزل الله تعالى: ﴿ليس لك من الأمر شيء أو يتوب عليهم أو يعذبهم فإنهم ظالمون﴾ رواه الإمام أحمد والنسائي والترمذي(٤٨٨).

وعن الأوزاعي بلاغاً أنه ﷺ لما نشف الدم قال: لو وقع منه شيء على الأرض لنزل عليهم العذاب من السماء، ثم قال: اللهم اغفر لقومي فإنهم لا يعلمون(٤٨٩). أي اغفر لهم هذه الزلّة لا مطلقاً، وإلا لأسلموا [أسلم] كلهم

---

(٤٨٧) رواه الطبراني في المعجم الكبير (٧٥٩٦) وفي مسند الشاميين (٤٥٣ و ٣٤٢٤) وفيه حفص بن عمر بن ميمون الايلي وهو ضعيف وكذبه أبو حاتم. وهو من حديث أبي أمامة.

(٤٨٨) رواه أحمد (٣/ ٩٩ و ١٧٩ و ٢٠١ و ٢٠٦ و ٢٥٣ و ٢٨٨) ومسلم (١٧٩١) والترمذي (٤٠٨٨) من حديث أنس.

(٤٨٩) هو عند ابن عائذ كما في الفتح (٧/ ٣٧٢ - ٣٧٣).

لاستجابه دعائه ﷺ، وفي مرسل قَوِيٍّ ضربَ وجهه ﷺ [يومئذ] بالسيف سبعين ضربةً وقاه الله تعالى شرها (٤٩٠). وقاتلت أم عمارة بنت كعب المازنية يوم أحد، فخرجت أول النهار تذب بسيفها وترمي من قوسها فلما انهزم المسلمون انحازت إلى النبي ﷺ تذب عنه، فجرحها ابن قميئة في عاتقها حين اعترضت له لما أراد النبي ﷺ قائلاً دلوني على محمد لا نجوت إن نجا فضربته ضربات، لكن عدو الله عليه درعان ذكره ابن هشام (٤٩١). وتَتَرَّسَ دونه ﷺ يومئذٍ كما ذكره ابن إسحاق (٤٩٢) أبو دجانة بنفسه فيقع النبل في ظهره وهو ينحني عليه ﷺ لئلا تصيبه، فكثر وقوع النبل فيه، وهو لا يتحرك وكان سعد بن أبي وقاص يرمي دونه ﷺ فصار يناوله النبل حتى ما لا نصل له ويقول له إرم فداك أبي وأمي قال سعد: فلم يجمع ﷺ أبويه لغيري، فكان يفتخر، فشتان بين الأخوين سعد وعتبة المذكور والله الهادي، ووقعت له ﷺ [يومئذ] منها ردّ عين قتادة كما سيأتي في المعجزات واشتغل المشركون يومئذ بقتلى المسلمين يمثلونهم بقطع الآذان والأنوف والفروج، وشق البطون، وبقرت هند عن كبد حمزة رضي الله عنه فلاكتها فلم تستطع بلعها فألقتها، وهم يظنون أنهم أصابوا رسول الله وأشراف أصحابه، وأول من عرف رسول الله ﷺ بعينيه الكريمتين تحت المغفر كعب بن مالك فنادى بأعلى صوته: هذا رسول الله ﷺ، فنهضوا إليه ونهض معهم نحو الشعب، فأدركه اللعين أبيّ بن خلف، وهو يقول: أين محمد لا نجوت إن نجا فقالوا: يا رسول الله يعطف عليه رجل منا، فقال ﷺ: دعوه، فلما دنى تناول ﷺ الحربة من الحارث بن الصمت، فانقض بها انقضاضة عظيمةً ثم طعنه طعنةً وقع بها عن فرسه وقد كسر ضلعه، فلما رجع إلى قريش

---

(٤٩٠) أنظر الفتح (٧/ ٣٧٢).

(٤٩١) رواه ابن سعد في الطبقات (٨/ ٤١٢ - ٤١٣) عن الواقدي بإسناده والواقدي متروك كذبه بعضهم وأورده ابن هشام بدون إسناد (٢/ ٢٩ - ٣٠).

(٤٩٢) أنظر كتاب السير والمغازي لابن إسحاق (ص ٣٢٨).

قال: قتلني والله محمد، أليس قد كان يقول لي بمكة: أنا أقتلك؟ فوالله لو بصق عليّ لقتلني، فمات عدو الله بسرف وهم راجعون إلى مكة (٤٩٣).

وفي رواية للبيهقي وغيره عن ابن عمر رضي الله عنهما أنه مات ببطن رابغ، ولما انتهى ﷺ إلى فم الشعب ملأ عليّ كرم الله وجهه درقته من المهراس وهو صخرة كبيرة منقورة تسع كثيراً من الماء، فغسل بها وجه رسول الله ﷺ من الدم وصبّ على رأسه وهو يقول: اشتد غضب الله على من أدمى وجه نبيه ﷺ (٤٩٤)، وصلى رسول الله ﷺ يومئذ الظهر قاعداً من الجراح التي أصابته، وصلى المسلمون خلفه (٤٩٥). ولما انصرف المشركون أشرف أبو سفيان على الجبل، ونادى بكلام منه: أعلُ هُبَل بضم الهاء صنم معروف لهم، فقال ﷺ لعُمر: أجبه وقل: الله أعلى وأجلّ، ثم قال عمر: قتلانا في الجنَّة وقتلاكم في النار، فقال أبو سفيان: [إن] لنا العزى ولا عزى لكم أي صنم آخر لهم، فقال ﷺ: قولوا: الله مولانا ولا مولى لكم، ثم نادى أيضاً إن موعدكم بدر العام القابل، فقال ﷺ لبعض أصحابه: قل نعم وهو بيننا وبينكم موعد (٤٩٦).

ذكر الطبراني أنه بعد انصراف المشركين، خرجت النساء إلى الصحابة، فكان فيهم فاطمة رضي الله عنها فلما لقته ﷺ اعتنقته، وجعلت تغسل جراحاته بالماء فيزداد الدم، فأخذت شيئاً من الحصير وأحرقته وكمدته به حتى لصق بالجرح فاستمسك الدم، ثم أرسل ﷺ كما ذكره الواقدي: محمد بن مسلمة فنادى في القتلى يا سعد بن الربيع مراراً فلم يجبه، قال أرسلني إليك رسول الله ﷺ انظر ما صنعت؟ فأجابه بصوت ضعيف فوجده في [بين] القتلى وبه رمق،

---

(٤٩٣) أنظر سيرة ابن هشام (٢/ ٣٢ - ٣٣).
(٤٩٤) أنظر سيرة ابن هشام (٢/ ٣٤).
(٤٩٥) أنظر سيرة ابن هشام (٢/ ٣٦).
(٤٩٦) أنظر سيرة ابن هشام (٢/ ٤٥).

فقال: أبلغ عنّي رسول الله السلام وقل له: جزاك الله عنا خير ما جزى [به] نبياً عن أمته، وأبلغ قومك يعني الأنصار عني السلام وقل لهم لا عذر لكم عند الله أن تخلفوا [يتخلّفوا] عن نبيكم وفيكم عين تطرف، ثم مات(٤٩٧)، ثم خرج ﷺ يلتمس حمزة رضي الله عنه، فوجده ببطن الوادي قتيلاً مُثِّلَ به، فاشتد وجعه ﷺ وقال: لن أُصاب بمثلك أبداً وبكى حتى كاد يغشى عليه يقول: يا حمزة يا عمّ رسول الله يا أسد الله وأسد رسوله يا حمزة يا فاعل الخيرات يا حمزة يا كاشف الكروبات يا حمزة يا ذابّ عن وجه رسول الله، وهذا منه ﷺ إخبار بفضائله، لا نوح ولا تعديد.

وفي رواية قال ﷺ لما رآه: رحمة الله عليك لقد كنت فعولاً للخيرات، وصولاً للرحم أما والله لأمثلن بِسَبْعين من مكانك فنزلت: ﴿واصبر وما صبرك إلاّ بالله﴾ الآية. فصبر وكفّر عن يمينه(٤٩٨) ومُثِّلَ أيضاً بابن أخت حمزة عبدالله ابن جحش(٤٩٩)، ولذا يسمى بالمجدَّع في الله تعالى ودفن معه في قبر واحد وورد في فضائل قتلى أحد من المسلمين أحاديث:

منها: ما رواه أبو بكر بن مَردَوَيْهِ أنه ﷺ قال لجابر: (إن الله عز وجل كلّم أباك كفاحاً فقال: سلني أُعْطِ، قال: أسألك أن تردني إلى الدنيا فَأُمَثّل فيك ثانيةً فقال له الرب عز وجل: أنه سبق مني أن لا يرجعون إلى الدنيا، قال أي رب فأبلغ مَن ورائي، فأنزل الله: ﴿ولا تحسبن الذين قتلوا في سبيل الله أمواتاً بل أحياء﴾ الآية(٥٠٠). وعن ابن عباس رضي الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ لما أصيب أخوانكم بأُحُد: جعل الله تعالى أرواحهم في أجواف طير

---

(٤٩٧) انظر سيرة ابن هشام (٢/ ٤٧).

(٤٩٨) روى هذه الرواية البزار (١٧٩٥) والطبراني في الكبير (٢٩٣٧) والحاكم (٣/ ١٩٧) وغيرهم وهي ضعيفة، انظر تعليقنا على معجم الطبراني.

(٤٩٩) انظر ترجمة عبدالله بن جحش في الإصابة ومجمع الزوائد.

(٥٠٠) لقد أبعد الشارح النجعة فقد رواه الترمذي (٤٠٩٧) وابن ماجه (١٩٠ و ٢٨٠٠).

خضر ترد أنهار الجنة وتأكل من ثمارها وتأوي إلى قناديل من ذهب في ظل العرش، فلما وجدوا طيب مأكلهم ومشربهم وحسن مَقيلهم، قالوا: يا ليت إخواننا يعلمون ما صنع الله بنا لئلا يزهدوا في الجهاد وقال الله عز وجل: أنا أبلّغهم عنكم فأنزل الله تعالى: ﴿ولا تحسبن الذين﴾ الآيات رواه الإمام أحمد رحمه الله تعالى (٥٠١). وما ذكرنا ملخص ما وقع في أحد وتفاصيله في المطولات.

(تنبيه) في هذه الغزوة وما أصيب به المسلمون فيها فوائد جليلة وحكم ربانية:

منها: تعريف المسلمين سوء عاقبة معصية نبيهم، وشؤم مخالفته، أولاً باستكراههم إياه ﷺ على الخروج، وقد اقتضى نظره السديد عدم ذلك، بمخالفة الرماة بترك مواقفهم التي أمرهم النبي ﷺ بملازمتها، وأن لا يبرحوا منها مطلقاً.

ومنها: أن يستن ﷺ بسنة من قبله من الرسل، فإن عادتهم أن يبتلوا ثم تكون لهم العاقبة، وحكمته تمحيص المؤمنين [الصادقين] وتمييزهم عن المنافقين، إذ لو انتصروا دائماً لم يحصل تمييز إذ يدخل فيهم من ليس منهم ليحفظ بينهم، ولو هزموا دائماً لم يحصل المقصود من البعثة وقد كان نفاق المنافقين مخفياً، فأظهرته هذه الغزوة [القصة] برجوع ثلاثمائة منافق قبل القتال كما مرّ، فعرف المسلمون أنهم [أن لهم] أعداء بين أظهرهم فتحرّزوا منهم.

ومنها: عظيم الابتلاء بكسر النفس وتجرع مرارة الصبر (٥٠٢).

ومنها: الوصول بذلك الابتلاء وتلك المحن والشهادة إلى مراتب عالية لا تنال بالأعمال.

---

(٥٠١) رواه الإمام أحمد (٢٣٥٨ و ٢٣٥٩) والحاكم (٢/ ٢٩٧ - ٢٩٨) وابن جرير في تفسيره (٨٢٠٥) وابن المبارك في الجهاد (٦٢) وأبو داود (٢٥٢٠) والبيهقي (٩/ ١٦٣).

(٥٠٢) في نسختي مرارة القبر وهو خطأ.

[تنبيه] آخر من قال: إنه ﷺ هزم كفر، فإن تاب وإلاّ ضربت عنقه، وهذا مذهب الشافعية كما في المواهب وغيره، ومذهب المالكية والحنفية: أن السابّ يُقتَل حداً وإن تاب، وهذا سبٌّ بلا نزاع، إذ لا يجوز عليه ﷺ ذلك، لكونه على يقين من عصمته تعالى له فليقتل عندهم مطلقاً، خلافاً لما وقع في الشفاء عن بعض أئمتهم، ذكره الشهاب ابن حجر في أسنى المطالب فتأمله. (و) فيها أيضاً على الأصح، وقيل: في السنة الرابعة (حُرِّمَ الخمر) أي حرم الله تعالى شربها في شوال، قال أبو هريرة رضي الله عنه فيما رواه الإمام أحمد عنه: [حرمت الخمر ثلاث مرات] قدم رسول الله ﷺ المدينة وهم يشربون الخمر ويفعلون [ويأكلون] الميسر، فسألوه ﷺ عنهما، فأنزل الله تعالى: ﴿يسألونك عن الخمر والميسر قل فيهما إثم كبير ومنافع للناس﴾ الآية. فقالوا: ما حرّم علينا، إنما قال فيهما إثم كبير، وكانوا يشربون حتى أمّ يوماً رجل من المهاجرين أصحابه في المغرب، فخلط في قراءته فنزلت آية أغلظ منها وهي آية: ﴿لا تقربوا الصلاة وأنتم سكارى﴾ وكان الناس أي الأقلّون منهم يشربون، ثم نزلت أغلظ منها ﴿يا أيها الذين آمنوا إنما الخمر والميسر﴾ إلى قوله ﴿فهل أنتم منتهون﴾ قال عمر: انتهينا ربنا (٥٠٣)، والميسر القمار وقيل غيره (و) فيها أيضاً (حَسَنٌ) بن عليّ كرم الله وجهه سبط رسول الله ﷺ وريحانته (وُلِدَ). في سنة ثلاث أيضاً غزوة حمراء الأسد، وهي على ثمانية أميال من المدينة على يسار الذاهب لذي الحليفة.

سببها: أنه ﷺ خرج يوم الأحَد ثاني يوم أُحُد لطلب عدوهم بالأمس موهناً لهم سيغلبهم [ليبلغهم] أنه خرج في طلبهم فيعلموا إبقاء قوته، وأن ما حصل لأصحابه لا يوهنهم عن الجهاد، ونادى مؤذن رسول الله: أن لا يخرج

---

(٥٠٣) رواه الإمام أحمد (٢/ ٣٥١ - ٣٥٢) وفي إسناده من هو مجهول، وعند أحمد فقالوا: انتهينا، وليس فيه أن القائل عمر.

معنا إلا من حضر يومنا بالأمس، فبلغ حمراء الأسد، فظفر بمعاوية بن المغيرة بن أبي العاص، فأمر بضرب عنقه صبراً، ورجع إلى المدينة يوم الجمعة وغاب خمسة أيام(٥٠٤)، وسرية عبدالله بن أنيس وحده في المحرم على رأس خمسة وثلاثين شهراً من الهجرة إلى سفيان بن خالد الهزلي، لكونه جمع جموعاً بقرب عرفة لحربه ﷺ فذهب إليه، فلما وصل إليه قال له سفيان: من الرجل قال: من بني خزاعة سمعت بجمعك لمحمد فجئت لأكون معك، أجل، ثم مشى معه ساعةً ثم اغتره وقتله وأخذ رأسه، فكان يسير الليل ويتوارى بالنهار، فلما قدم المدينة قال له ﷺ: أفلح الوجه، قال: افلح وجهك يا رسول الله فوضع رأسه بين يديه ﷺ(٥٠٥).

وفي هذا الشهر أيضاً سرية أبي سلمة عبدالله بن عبد الأسد إلى قطن جبل بناحية فيد في مائة وخمسين رجلاً لطلب ابني خُوَيلد طلحة وسلمة فلم يجدهما فأغار على إبل وشاء ولم يلق كيداً(٥٠٦)، وفي هذه السنة أيضاً سرية محمد بن مسلمة وأربعة معه من قومه من الأوس في شهر ربيع الأول على رأس خمسة وعشرين شهراً من الهجرة، إلى كعب بن الأشرف اليهودي الشاعر المؤذي لرسول الله ﷺ، فلما لم يمتنع من أذاه، أمر ﷺ سعد بن معاذ سيد الأوس أن يبعث رهطاً ليقتلوه كما في رواية أبي داود والترمذي(٥٠٧)، وفي رواية أنه ﷺ قال: من لنا بابن الأشرف، وفي أخرى: مَن لكعب بن الأشرف أي من ينتدب لقتله فقد استعلن بعداوتنا وهجائنا، وقد خرج إلى قريش أي بمكة

---

(٥٠٤) أنظر السيرة (٢/ ٩٧ - ١٠٣) لابن كثير.

(٥٠٥) أنظر الطبقات (٢/ ٥٠ - ٥١) لابن سعد.

(٥٠٦) أنظر الطبقات (٢/ ٥٠).

(٥٠٧) رواه أبو داود (٢٩٨٤) ولم يروه الترمذي وتبع الشارح في نسبته إلى الترمذي الحافظ في الفتح (٧/ ٣٣٧) وأما الروايات بعد هذه فليست عند أبي داود كما يظهر من كلام الشارح بل عند ابن عائذ وغيره ولم أر بعضها انظر الفتح (٧/ ٣٣٧ - ٣٣٨).

فجمعهم وحرضهم إلى قتالنا، وقد أخبرني الله تعالى بذلك، ثم قرأ على المسلمين ﴿ألم تر إلى الذين أوتوا نصيباً من الكتاب يؤمنون بالجبت والطاغوت ويقولون للذين كفروا هؤلاء أهدى من الذين آمنوا سبيلاً أولئك الذين لعنهم الله﴾ الآية. فقال محمد بن مَسلَمة كما في رواية ابن إسحاق(٥٠٨): أنا لك به يا رسول الله أن أقتله، قال: فافعل إن قدرت على ذلك، قال: يا رسول الله إنه لا بد لنا أن نقول أي قولاً مخالفاً للواقع، قال ﷺ: قولوا ما بدا لكم فأنتم في حلّ من ذلك، فذهب مع تلك الأربعة إليه، ثم احتالوا عليه وتكلموا بكلام موهم أنهم يحبونه ويكرهون رسول الله ﷺ حتى خرج إليهم من حصنه مع كونه عروساً مع تحذير شديد، ومع نهي عرسه عن الخروج، فقالت أرى صوتهم صوت عدو فلم يغنه ذلك عن قدر الله تعالى فخرج إليه، فسألوه السمر، فذهب معهم إلى مكان، وكان قد تطيب بأنواع الطيب لعرسه، فأدخل بعضهم يده في رأسه ليشم طيبه، ثم أراه أنه في غاية الطيب وتعجب منه، وأظهر أن به حاجة إلى شمه، فأدخل يده ثانياً فهش إليه واطمأنّ، فأدخل يده ثالثاً وتمكن منه فأخذه، ثم صاح اقتلوا عدو الله فقتله محمد بن مسلمة، ثم أحزّوا رأسه وحملوها في مخلاة وكان رسول الله ﷺ قام تلك الليلة يصلي، فلما وصلوا إلى البقيع كبروا فلما سمع ﷺ تكبيرهم كبّر وعرف أنهم قتلوه، ثم انتهوا إليه فقال قد أفلحت الوجوه، قالوا وجهك يا رسول الله ورموا برأسه بين يديه ﷺ، فحمد الله تعالى على قتله، وأصاب ذبابة السيف أحدهم فجرح، فتفل عليه ﷺ فبرىء، وفيها أيضاً غزوة نجران موضع من ناحية الفَرع بفتح الفاء والراء كما قيده السهيلي، سببها أنه بلغه ﷺ أن بها جمعاً كثيراً من بني سليم، فخرج ﷺ في ثلاثمائة رجل فوجدهم قد تفرقوا في مياههم، فرجع ولم يلق كيداً وغاب عشر ليال(٥٠٩).

---

(٥٠٨) أنظر سيرة ابن هشام (٢/ ٤٣٦ - ٤٣٨) وزاد المعاد (٣/ ١٩١ - ١٩٢).

(٥٠٩) أنظر طبقات ابن سعد (٢/ ٣٥ - ٣٦) وسيرة ابن هشام (٢/ ٤٢٨ - ٤٢٩) وسيرة ابن كثير (٢/ ٥٣٩) والذي في طبقات ابن سعد بحران لا نجران.

وفيه أيضاً سرية زيد بن حارثة إلى القردة بفتح القاف وسكون الراء ، وقيل بالفاء والراء المكسورة اسم ماء من مياه نجد ، في جمادى الآخرة على رأس ثمانية وعشرين شهراً من الهجرة كما قاله ابن سعد في مائة راكب يعترض (يعترض) عيراً لقريش ، فيها أبو سفيان وصفوان بن أمية وحويطب بن عبد العزى ومعهم مال كثير وآنية فضة ، وكانت قريش كما قال ابن إسحاق يسلكون إلى الشام في طريق بدر ، فلما وقع لهم فيها ما وقع عدلوا إلى طريق العراق من نجد فأغار عليهم زيد ومن معه ، فأصابوا ذلك المال الكثير ، فجاؤوا به إلى النبي ﷺ فخمّسه فبلغ الخمس قيمة خمسة وعشرين ألف درهم كما قاله الحافظ مغلطاي (٥١٠) .

وفيها أيضاً سرية عاصم بن ثابت يكنى أبا سفيان الأنصاري في صفر على رأس ستة وثلاثين شهراً من الهجرة إلى الرجيع بفتح الراء وكسر الجيم ماء لهزيل بين مكة عسفان بناحية الحجاز كانت الوقعة بالقرب منه ، فسميت به وتسمى أيضاً حديث عَضَل والقارة ، وقعة [وقصته] العضل والقارة كانت في بعث الرجيع ، لا في سرية بئر مَعُونة كما في المواهب ، وسياق ترجمة البخاري يوهم أن بعث الرجيع وبئر معونة شيء واحد وليس كذلك لأن بعث الرجيع سرية عاصم وخبيب وأصحابها ، وهي مع عضل والقارة ، وبئر معونة كانت سرية القراء وهي مع رعل وذكوان ، ولعل البخاري أدمجها معها لقربها منها (٥١١) .

قال ابن إسحاق حدثني عاصم بن عمر بن قتادة قال: قدم على رسول الله ﷺ بعد أُحُد رهط من عضل والقارة ، فقالوا : يا رسول إن فينا إسلاماً فابعث فينا من يفقهنا فبعث معهم ستة من أصحابه وأمّر عليهم مرثد بن أبي مرثد

---

(٥١٠) أنظر الطبقات (٢/ ٣٦).

(٥١١) أنظر فتح الباري (٧/ ٣٧٩ - ٣٨٠).

الغنوي كذا في سيرته (٥١٢)، وفي صحيح البخاري: وأمّر عليهم عاصم بن ثابت وهو أصح (٥١٣)، فخرجوا مع القوم حتى أتوا على الرجيع ماء لهذيل، غدروا بهم فاستصرخوا عليهم هذيلاً فلم يرعهم، وهم في رحالهم إلاّ الرجال بأيديهم السيوف وقد غشوهم فأخذوا أسيافهم ليقتلوا [ليقاتلوا] القوم، فقالوا لهم: إنا لا نريد قتلكم ولكن نريد أن نصيب بكم شيئاً من أهل مكة ولكم عهد الله أن لا نقتلكم فأبوا، فأما مرثد وخالد وعاصم فقالوا: والله: لا نقبل من مشرك عهداً، وقاتلوا حتى قتلوا (٥١٤).

وفي البخاري: حتى إذا كانوا بالهَدْأة بين عسفان ومكة ذكروا لحيٍّ من هذيل يقال له: بنو لحيان فنفروا لهم بقريب من مائتي رجل (٥١٥)، وفي رواية أبي معشر في مغازيه، فنزلوا بالرجيع سحراً فأكلوا تمر عجوة فسقط نواة بالأرض، وكانوا يسيرون بالليل ويكتمون بالنهار، فجاءت امرأة من هذيل ترعى غنماً فرأت النواة فعرفت بصغرهن أنها من تمر يثرب، فصاحت في قومها: أُتيتم فجاؤوا في طلبهم، فوجدوهم قد كتموا في الجبل (٥١٦) فاتبعوا آثارهم حتى لحقوهم وفي رواية ابن سعد (٥١٧): فلما أحس بهم عاصم وأصحابه، فجاؤوا إلى فدفد بفاءين مفتوحتين ودالين مهملتين وهي الرابية المشرفة، فأحاطوا بهم فقالوا: لكم العهد إن نزلتم فأبى عاصم أن يدخل في ذمة كافر، فرموهم بالنبل فقتلوا عاصماً ونزل على العهد خبيب بن عدي الأنصاري وزيد بن الدثنة وعبدالله بن

---

(٥١٢) أنظر سيرة ابن هشام (٣/ ١٦٠) وفي نسختي ونسخة القاضي وأمر عليهم عاصم مرثد بن أبي مرثد وهو مخالف لما في السيرة.

(٥١٣) أنظر الفتح (٧/ ٣٨٠).

(٥١٤) أنظر سيرة ابن هشام (٣/ ١٦٠ - ١٦٤).

(٥١٥) رواه البخاري (٣٠٤٥).

(٥١٦) إلى هنا رواية أبي معشر في مغازيه انظر الفتح (٧/ ٣٨١).

(٥١٧) ليس عند ابن سعد هذا وإنما هو عند البخاري (٣٩٨٩) وأحمد.

طارق، فانطلقوا بخبيب وزيد إلى مكة فباعوهما فابتاع بنو الحارث بن عامر خبيباً، لكونه قتل الحارث يوم بدر فأرادوا قتله، فأقام عندهم أسيراً حتى أجمعوا على قتله، وفي الصحيح [صحيح البخاري]: أن خبيباً استعار من بنت الحارث موسى يستحدّ بها أي يحلق عانته فغفلت عن ابن لها صغير، فأقبل إليه الصبي فأجلسه على فخذه والموسى بيده ففزعت أمّه أن يقتله، فقال لها: أتخشين أن أقتله ما كنت له لأغدر، قال فقالت: والله ما رأيت أسيراً خيراً من خبيب والله لقد وجدته يأكل قطفاً من عنب في يده وإنه لموثق بالحديد وما بمكة من ثمرة، وكانت تقول: إنه لرزق رزقه الله خبيباً، [وهذه من جلة كرامات الأولياء](٥١٨)، ولما خرجوا به من الحرم ليقتلوه قال: دعوني أصلي ركعتين، وعند موسى بن عقبة أنه صلاهما في موضع مسجد التنعيم، وقال اللهم أحصهم عدداً، ولا تبق منهم أحداً، واقتلهم بدداً، أي متفرقين، فلم يحل الحول ومنهم أحد حيّ، وفي رواية بريرة قال: الله إني لا أجد من يبلّغ رسولك مني السلام فبلّغه وفي رواية: جاء جبريل عليه السلام إلى النبي ﷺ فأخبره بذلك، ثم أنشأ خبيب:

فَلستُ أبالي حينَ أُقتَلُ مسلماً   على أي شق كان في الله مصرعي
وذلك في ذات الإلّه وإن يشأ   يبارك على الأوصال شِلوِ مُمَزَّعِ

وفي قوله زيادة قوله(٥١٩):

لقد أجمع الأحزاب حولي وألّبوا   قبائلهم واستجمعوا كل مجمع
إلى الله أشكو غربتي بعد كربتي   وما أرصد الأحزاب لي عند مصرعي

وكان خبيب أول من سن ركعتين عند القتل صبراً لكل مسلم. قاله ابن

(٥١٨) هذه الجملة من الشارح وليست في القصة.

(٥١٩) هي عند أبي الأسود عن عروة كما في الفتح (٧/ ٢٨٤).

إسحاق[٥٢٠]: وفي رواية أبي الأسود: فلما وضعوا فيه السلاح وهو مصلوب، نادوه وناشدوه: أتحب أن يكونَ محمد مكانك، قال: لا، والله ما أحب أن يفديني شوكة في قدمه[٥٢١]، ويقال: إن الذي قال ذلك زيد بن الدثنة، وإن أبا سفيان قال له: يا زيد أنشدك بالله أتحب أن محمداً الآن عندنا مكانك فنضرب عنقه وأنك في أهلك فقال: والله ما أحب أن محمداً الآن في مكانه الذي هو فيه تصيبه شوكة وإني لجالس في أهلي[٥٢٢].

وفيها أيضاً سرية المنذر بن عمرو إلى بئر معونة موضع ببلاد هزيل بين مكة وعسفان، في صفر على رأس ستة وثلاثين شهراً من الهجرة، وبعث معه المطلب السلمي ليدلهم على الطريق وكانت الغزوة مع رعل وزكوان فنسبت إليها وتعرف بسرية القرّاء، وكان من أمرها كما قال ابن إسحاق أنه قدم أبو براء عامر بن مالك بن جعفر المعروف بملاعب الأسنة على رسول الله ﷺ فعرض عليه الإسلام فلم يسلم ولم يبعد عن الإسلام وقال: يا محمد لو بعثت إلى أهل نجد نفراً من أصحابك يدعونهم إلى الإسلام رجوت استجابتهم، فقال ﷺ أخشى أهل نجد عليهم قال أبو براء أنا لهم جار فبعث ﷺ المنذر بن عمرو ومعه القرّاء سبعون أو أربعون أو ثلاثون فيه أقوال أصحها الأول وقد بين أبو قتادة في روايته: أنهم كانوا يحتطبون بالنهار ويصلون بالليل وفي رواية ثابت:

يشترون به الطعام لأهل الصفة ويتدارسون القرآن بالليل فساروا حتى نزلوا

---

(٥٢٠) أنظر سيرة ابن هشام (٣/ ١٦٦) وهذا بعد للجمعة فهو عند البخاري.

(٥٢١) هو من رواية أبي الأسود عن عروة كما في الفتح (٧/ ٣٨٤).
وانظر قصة الرجيع صحيح البخاري (٣٠٤٥ و ٣٩٨٩ و ٤٠٨٦ و ٧٤٠٢) ومسند أحمد (٢/ ٢٩٤ - ٢٩٥ و ٣١٠ - ٣١١) وسنن أبي داود (٢٦٦٠ و ٢٦٦١ و ٣١١٣) ومصنف عبدالرزاق (٩٧٣٠) والمعجم الكبير للطبراني (٤١٩١) ومصنف ابن أبي شيبة (١٤/ ٤٥٥).

(٥٢٢) هذه الرواية ذكرها ابن إسحاق كما في سيرة ابن هشام (٣/ ١٦٤).

بئر معونة فبعثوا حزام بن ملحان بكتابه ﷺ إلى عدو الله عامر بن الطفيل العامري وليس هو عامر بن الطفيل الأسلمي الصحابي، فلم ينظر إلى كتابه حتى عدى على الرجل فقتله، ثم استصرخ عليهم بني عامر فلم يجيبوه، وقالوا لن نخفر أبا براء وقد عقد لهم عقداً وجواراً، فاستصرخ عليهم قبائل من بني سليم عصية ورعلاً فأجابوه إلى ذلك، ثم خرجوا حتى غشوا القوم في رحالهم فلما رأوهم أخذوا سيوفهم وقاتلوا حتى قتلوا إلى آخرهم إلا كعب بن زيد فإنهم تركوه وبه رمق، فعاش حتى قتل يوم الخندق شهيداً وأسر عمرو بن أمية الضمري، فلما أخبرهم أنه من مضر أخذهم عامر بن الطفيل وأعتقه عن رقبة، زعم أنها كانت عن أمه فلما بلغه ﷺ خبرهم قال هذا عمل أبي براء قد كنت لها [لهذا] كارهاً متخوفاً، فبلغ ذلك أبا براء فمات أسفاً على ما صنع عدو الله عامر بن الطفيل وقتل عامر بن فهيرة يومئذ فلم يوجد جسده ودفنته الملائكة.

قال ابن سعد عن أنس بن مالك: ما رأيت رسول الله ﷺ وجد على أحد ما وجد على أصحابه ببئر معونة وفي صحيح مسلم عن أنس رضي الله عنه أيضاً: دعا ﷺ على الذين قتلوا أصحاب بئر معونة ثلاثين صباحاً يدعو على رعل ولحيان وعصية عصت الله ورسوله، قال أنس: أنزل الله تعالى في الذين قتلوا يوم بئر معونة قراءنا قرأناه ثم نسخ بعد أي نسخت تلاوته: (بلّغوا قومنا إنا قد لقينا ربنا فرضيَ عنّا ورضينا عنه)(٥٢٥) كذا وقع في هذه الرواية وهو يوهم أن بني لحيان ممن أصاب القراء وليس كذلك، وإنما أصابهم رعل وذكوان وعصية ومن صحبهم من سليم، وأما بنو لحيان فأصابوا بعث الرجيع(٥٢٦). وإنما أتى

---

(٥٢٣) أنظر سيرة ابن هشام (٣/ ١٨٤ - ١٩١) وفتح الباري (٧/ ٣٨٥ - ٤٩٢).

(٥٢٤) رواه ابن سعد (٢/ ٥٤) وعند البخاري (١٣٠٠) من حديثه فما رأيت رسول الله ﷺ حزن حزناً قط أشد منه.

(٥٢٥) رواه مسلم (٦٧٧) والبخاري أيضاً في مواضع منها (٤٠٩٠).

(٥٢٦) أنظر الفتح (٦/ ١٨١ و ٧/ ٣٨٥).

الخبر إليه ﷺ عن جميعهم في وقت واحد، فدعا على الذين أصابوا أصحابه في الموضعين دعاءاً واحداً كذا في المواهب.

سنة أربع بنو النضير ثم ذات والتيمم وثم

وما كان في سنة أربع (سنة أربع) من الهجرة في شهر ربيع الأول كما ذكره ابن إسحاق ورجّحه الداودي واعترضه الحافظ العسقلاني(٥٢٧)، وقيل بعد بدر بنحو ستة أشهر ورجّحه السهيلي (بنو النضير) أي غزوة بني النضير بفتح النون وكسر الضاد المعجمة قبيلة كبيرة من اليهود، وقد سبق أن عدو الله عامر بن الطفيل أعتق عمرو بن أمية لما قتل أهل بئر معونة عن رقبة كانت على أمّه بزعمه، فخرج عمرو إلى المدينة فصادف رجلين من بني عامر معهما عَقْدٌ وعهدٌ من رسول الله ﷺ، ولم يشعر به عمرو فقال: من أنتما، فقالا: من بني عامر، فتركهما حتى ناما، فقتلهما وظن أنه ظفر ببعض ثأر أصحابه، فأخبر النبي ﷺ بذلك، فقال ﷺ: لقد قتلت قتلتين لأودينهما(٥٢٨).

قال ابن إسحاق وغيره: ثم خرج ﷺ إلى بني النضير يستعين بهم في دية القتيلين لجواره ﷺ لهما، وكان بين بني النضير وبني العامر عقد وحلف، فقالوا يا أبا القاسم نعينك على ما أحببت ثم خلا بعضهم ببعض، فتواعدوا وهو ﷺ جالس في نفر من أصحابه فيهم أبو بكر وعمر وعليّ إلى جنب جدار من بيوتهم على أن يصعد واحد منهم ويلقي عليه صخرةً ليستريحوا منه، فقال عمر بن جحاش أنا لذلك فنهاه بعضهم، وقال: إنه ينقض [لنقض] العهد الذي بيننا وبينه، فلما صعد الرجل لذلك أخبره الله تعالى بذلك، فقام ﷺ مُظهراً أنه يقضي حاجته، وترك أصحابه في مجلسهم ورجع مسرعاً إلى المدينة، فطلبه

---

(٥٢٧) أنظر الفتح (٧/ ٣٣٠).

(٥٢٨) أنظر سيرة ابن هشام (٣/ ١٨٦) والفتح (٧/ ٣٣١).

أصحابه حتى انتهوا إليه، فأخبرهم بما أرادوا به، ونزل في ذلك: ﴿يا أيها الذين آمنوا اذكروا نعمة الله عليكم إذ همّ قوم أن يبسطوا إليكم أيديهم﴾ الآية، فأمر النبي ﷺ بالتهيؤِ لحربهم والمسير إليهم، فساروا إليهم فحاصروهم ست ليال فتحصنوا بالحصون، فقطع النخل وحرقها كما قاله ابن إسحاق(٥٢٩).

ولما وقع في نفوس بعض المسلمين من ذلك شيء حين صاح اليهود: يا محمد كنت تنهانا عن الفساد فلِمَ تقطع النخل فنزل: ﴿ما قطعتم من لينة أو تركتموها قائمةً على أصولها﴾ الآية، تسلية لهم وإعلاماً بأن قطعهم وتركهم بإذن الله تعالى ولا بأس عليهم، وكان رهط من بني عوف من الخزرج، منهم عبدالله بن أبي بن سلول رئيس المنافقين بعثوا إليهم أن اثبتوا وتمنّعوا فإنا لن نسلمكم، إن قوتلتم قاتلنا معكم، وإن أخرجتم خرجنا معكم فتربصوا، فقذف الله في قلوبهم الرعب فسألوا رسول الله ﷺ أن يجليهم عن أرضهم، ويكفّ عن دمائهم، وفي رواية(٥٣٠) أنهم لما همّوا بالغدر أرسل إليهم محمد بن مسلمة أن اخرجوا من بلدي وقد أجلتكم عشراً فمن رُؤِيَ منكم بعدها ضربت عنقه فشرعوا في التجهيز فأرسل إليهم عبدالله بن أبي فأمرهم بالتحصن وعدم الخروج ووعدهم النصر بألفين وأزيد فطمعوا في ذلك، فأرسلوا إليه ﷺ أن لا نخرج من ديارنا فاصنع ما بدى لك، فأظهر ﷺ التكبير وكبر المسلمون بتكبيره، فسار إليهم وعليّ يحمل رايته، فلما رأوه قاموا على حصونهم ومعهم النبل والحجارة ولم ينصرهم ابن أبي وغيره، فحاصرهم خمسة عشر يوماً، ثم قال لهم اخرجوا ولكم دماؤكم وما حملت الإبل إلاّ الدرع، فنزلوا على ذلك، فكانوا يخربون بيوتهم بأيديهم وأجلاهم من المدينة فلحقوا بخيبر ثم إلى الشام والحيرة، وحملوا النساء والصبيان وغير ذلك على ستمائة بعير، وقبض ﷺ ما بقي من أموالهم، ووجد

---

(٥٢٩) أنظر سيرة ابن إسحاق (٣/ ١٩٠ - ١٩١) والفتح (٧/ ٣٣١ - ٣٣٢).

(٥٣٠) هي عند ابن سعد (٣/ ٥٧ - ٥٩).

فيها خمسين درعاً وخمسين بيصةً وثلاثمائة وأربعين سيفاً، فقسمها بين المهاجرين ليرفع بذلك مؤنتهم على الأنصار، ولأن القاهر لهم مجرد الرعب بغير قتال من المسلمين[٥٣١] (ثم) أي بعد بني النضير في شهر ربيع الآخر من تلك السنة كما ذكره ابن إسحاق[٥٣٢].

وفي رواية ابن سعد وابن حبان في المحرم سنة خمس غزوة[٥٣٣] (ذات الرقاع) وجزم أبو معشر بأنها بعد بني قريظة في ذي القعدة سنة خمس، قال الحافظ ابن حجر في فتح الباري: قد جنح البخاري إلى أنها كانت بعد خيبر مستدلاً بأمور، ومع ذلك ذكرها قبل خيبر، ولا أدري هل تعمد ذلك تسليماً لأصحاب المغازي أنها كانت قبلها أو أن ذلك من الرواة عنه؟ أو إشارة إلى احتمال أن تكون ذات الرقاع اسماً لغزوتين كما أشار إليه البيهقي: على أن أصحاب المغازي مع جزمهم بكونها قبل خيبر مختلفون في زمانها، ثم قال: في قول البخاري وهم أي ذات الرقاع بعد خيبر لأن أبا موسى جاء بعد خيبر، وإذا كان كذلك وثبت أن أبا موسى شهد غزوة ذات الرقاع، لزم أنها كانت بعد خيبر، وأما الدمياطي فادعى غلط الحديث الصحيح، وأن جميع أهل السير على خلافه، وقد تقدم أنهم مختلفون في زمانها فالأولى الاعتماد على الحديث الصحيح[٥٣٤]، وأما قول الغزالي: أنها آخر الغزوات فهو غلط واضح، وقد بالغ ابن الصلاح في إنكاره، انتهى[٥٣٥]، ثم في تسميتها بذات الرقاع أقوال، أصحها كما قال السهيلي:

ما ذكره أبو موسى الأشعري فيما رواه البخاري عنه: كنا نلفّ على أرجلنا

---

(٥٣١) أنظر زاد المعاد (٣/ ١٢٧ - ١٢٩).

(٥٣٢) أنظر سيرة ابن هشام (٣/ ٢١٤).

(٥٣٣) أنظر طبقات ابن سعد (٢/ ٦١) وثقات ابن حبان (١/ ٢٥٧) والفتح (٧/ ٤١٧).

(٥٣٤) أنظر الفتح (٤١٧/٧ - ٤١٨).

(٥٣٥) أنظر الفتح (٧/ ٤٢٤) والوسيط (٢/ ٧٧٣) للغزالي.

الخرق أي لدفع الأذى فسميت بها لذلك [٥٣٦]، وسببها كما قال ابن إسحاق: أنه ﷺ غزا نجداً يريد بني محارب وبني غطفان وبني ثعلبة، لأنه ﷺ بلغه أنهم جمعوا الجموع، فخرج في أربعمائة وقيل: سبعمائة، واستخلف [واستعمل] على المدينة عثمان بن عفان وأبا ذر حتى نزل نخلاً بالخاء المعجمة موضع من نجد من أراضي غطفان [٥٣٧]، قال ابن سعد: فلم يجد في محالهم إلاّ نسوة فأخذها [٥٣٨]. وقال ابن إسحاق: فلقي جمعاً منهم، فتقارب الناس ولم يكن بينهم حرب، وقد خاف بعضهم بعضاً حتى صلّى ﷺ صلاةَ الخوف بالناس، ثم انصرفوا [٥٣٩]، قال ابن سعد:

وكان ذلك أول ما صلاّها [٥٤٠]، وغاب ﷺ خمس عشرة ليلةً (و) في تلك السنة أيضاً كما قاله النووي في الروضة وغيره جعل (التيمم) رخصة، وقيل: في سنة ست، وجزم جمع بأن نزول آية التيمم في غزوة بني المصطلق، وفيها كانت قصة الإفك لعائشة رضي الله عنها، وسببها: سقوط عقدها أيضاً كما يأتي، فإن كان ما جزموا به ثابتاً حمل على أنه سقط منها في تلك السفرة مرتين، وقال قوم: بتعدد ضياع العقد مرتين في ذات الرقاع وفي غزوة بني المصطلق، وقد اختلف أهل المغازي في أن أيتهما كانت أولاً، ومما يدل على تقدم قصة الإفك ما رواه الطبراني عن عائشة رضي الله عنها قالت: لما كان من أمر عقدي ما كان وقال أهل الإفك ما قالوا: خرجت مع رسول الله ﷺ في غزوة أخرى فسقط أيضاً عقدي حتى حبس الناس على التماسه فقال لي أبو بكر: يا بنية في كل سفرة تكونين عناءً وبلاءً على الناس فأنزل الله الرخصة في التيمم، فقال أبو بكر

---

(٥٣٦) رواه البخاري (٤١٢٨) وانظر الفتح (٧/ ٤١٩).
(٥٣٧) سيرة ابن هشام (٣/ ٢١٤).
(٥٣٨) أنظر طبقات ابن سعد (٢/ ٦١).
(٥٣٩) سيرة ابن هشام (٣/ ٢١٤).
(٥٤٠) الطبقات (٢/ ٦١).

رضي الله عنه: إنكِ لمباركة، وفي إسناده مَن فيه مقال[٥٤١]، وقال الداودي: قصة التيمم في غزاة الفتح، ويؤيده ما رواه ابن أبي شيبة: أن أبا هريرة رضي الله عنه قال: لما نزلت آية التيمم لم أدر كيف أصنع، وأبو هريرة إنما أسلم في السنة السابعة فتكون آية التيمم بعد خيبر، وهي بعد غزوة بني المصطلق بكثير اتفاقاً، وقد تقدم أن البخاري: راوي تأخّر ذات الرقاع عن خيبر[٥٤٢]. فتلخص من مجموع ما مر أن الأصح تأخر نزول التيمم عن سنة أربع (وثَمَّ) بفتح المثلثة أي في سنة أربع أيضاً شرع:

قصر الصلاة ثم بـدر الموعـد ولـد الحسين خير مـولـد

(قصر الصلاة) في السفر ركعتين في غير الصبح والمغرب، وهذا يدل على أن الصلاة فرض أولاً أربعاً خلاف ما دل عليه قوله السابق، ثم زيد في صلاة الحضر والخلاف فيه مشهور وسبق تفصيله. (ثم) في شعبان في تلك السنة بعد ذات الرقاع على ما قاله ابن إسحاق كانت غزوة بدر الصغرى، ويقال لها أيضاً (بَدْرُ الْمَوْعِدِ) هو كالوعد مصدر وأضيف إليه لما مرّ في غزوة أحد: أن أبا سفيان قال: الموعد بيننا وبينكم بدر من العام القابل، فقال ﷺ لواحد من أصحابه: قل: نعم هو بيننا وبينكم موعد، وهذا يقتضي أن الموعد اسم مكان، والإضافة للبيان فاعرف، فخرج ﷺ في ألف وخمسمائة ومعهم عشرة أفراس، واستخلف على المدينة عبدالله بن رواحة، فأقاموا ببدر ينتظرونهم ثمانية أيام فباعوا ما معهم من التجارة وربحوا الدرهم درهمين، وكان أبو سفيان خرج حتى أنزل مجنة من ناحية مرّ الظهران ويقال: عسفان ثم خاف وبدى له الرجوع فرجعوا فسماهم أهل

---

(٥٤١) رواه الطبراني في الكبير (ج ٢٣ رقم ١٥٩) وانظر الفتح (١/ ٤٣٥) ويقصد محمد بن حميد الرازي كما قال الحافظ في الفتح.

(٥٤٢) رواه ابن أبي شيبة في المصنف (١/ ١٥٩ ـ ١٦٠) وانظر الفتح (١/ ٤٣٤ ـ ٤٣٥).

مكة جيش السويق، يقولون: إنما خرجتم لشرب السويق[٥٤٣] (و) في سنة أربع أيضاً[٥٤٤] (ولد الحسين) بن علي كرم الله وجهه (خير) بالنصب نيابة عن المصدر (مولد) بفتح اللام مصدر ميمي بمعنى الولادة والتقدير، ولد ولادةً خير ولادة، وذكره تتميماً للبيت.

سنة خمس غزوة المصطلق ودومة الجندل ثم الخندق

وما كان في سنة خمس (سنة خمس) من الهجرة في شعبان كما قاله موسى بن عقبة على ما في عدة طرق عنه أو ست كما قال ابن إسحاق (غزوة) بني (المصطلق) بضم فسكون مهملة ففتح فكسر فقاف لقب خزيمة بن سعد بن عمرو بطن من خزاعة وتسمى غزوة المريسيع بضم ففتح فتحتانيتين بينهما مهملة مكسورة وآخره عين مهملة اسم ماء لبني خزاعة بين قديد والساحل فصف أصحابه فتراموا بالنبل ساعة ثم أمر ﷺ بالحملة فحملوا حملة رجل واحد وقتلوا عشرة وأسروا سائرهم، وسبوا الذراري والنعم كذا ذكره ابن إسحاق[٥٤٥]، والذي في صحيح البخاري: يدل على أنه قد أغار عليهم غفلةً منهم، وهم يستمعون أنعامهم على مائهم المسمى بالمريسيع، فقتل مقاتلتهم وسبى ذراريهم، ويمكن الجمع بينهما كما لا يخفى[٥٤٦] (و) في سنة خمس أيضاً لكن في أولها كما جزم به في المواهب، فالأولى تأخير [ذكر] غزوة بني المصطلق من هذه والأمر فيه مسهل لذكر الواو دون ثم غزوة (دومة الجندل) بضم الدال من دومة وفتحها كما في النهاية، وجزم القاموس بالضم، وفي الصحاح: أهل اللغة يضمونها وأهل الحديث يفتحونها، وهي مدينة مسافتها من دمشق خمس ليال، قال أبو

---

(٥٤٣) أنظر سيرة ابن هشام (٣/ ٢٢١ - ٢٢٢) وطبقات ابن سعد (٢/ ٥٩ - ٦٠) والسيرة لابن كثير (٣/ ١٦٩ - ١٧٢).

(٥٤٤) أنظر الإصابة (٢/ ٧٦).

(٥٤٥) أنظر سيرة ابن هشام (٣/ ٣٣٤).

(٥٤٦) رواه البخاري (٢٥٤١) وانظر الفتح (٧/ ٤٣٠ - ٤٣١).

عبيد سميت بدومة ابن إسماعيل كان ينزلها [نزلها]، والجندل في الأصل بوزن جعفر الحجارة، وسببها: أنه ﷺ بلغه أن بها جمعاً كثيراً يظلمون من مر بهم، فخرج ﷺ في ألف من أصحابه يسيرون بالليل ويكمنون بالنهار فلما دنا منهم لم يجد إلا النعم والشاء فهجم على ماشيتهم ورعائهم فأصاب من أصاب وهرب من هرب وبلغ الخبر أهل دومة فتفرقوا، ونزل ﷺ بساحتهم أياماً ولم يلق بها أحداً (٥٤٧). (ثم) في شوال سنة خمس أيضاً كما قاله ابن إسحاق، أو أربع كما قاله ابن عقبة ومال إليه البخاري وقوّاه، قال وليّ الدين العراقي، وهو المشهور (٥٤٨)، غزوة (الخندق) وتسمى الأحزاب أيضاً، أما تسميتها بالخندق فللخندق الذي حفروه حول المدينة بإشارة سلمان حيث قال رضي الله عنه: يا رسول الله إنا كنا بفارس إذا حوصرنا خندقنا علينا، وأما تسميتها بالأحزاب جمع حزب بمعنى طائفة، فلإجتماع الطوائف من المشركين على حب المسلمين، وهم قريش وغطفان واليهود ومن معهم (٥٤٩).

وسبب ذلك: أن جماعةً من اليهود منهم اللعين حُيي بن أخطب ازدادت عداوتهم له ﷺ حتى قدموا على قريش بمكة، فدعوهم إلى حربه ﷺ وقالوا: نكون معكم حتى نستأصله فأجابوهم لذلك، ثم ذهبوا إلى غطفان وذكروا لهم ذلك فوافقوهم فخرجت قريش وقائدها أبو سفيان قبل إسلامه، وخرجت غطفان ومن معهم من أهل نجد وقائدها عيينة بن حصن، فاجتمعوا في عشرة آلاف رجل، فلما بلغه ﷺ [ذلك] أمر بحفر الخندق فعمل فيه بنفسه ترغيباً للأجر، وعمل معه المسلمون مجتهدين فيه، وأبطأ عن العمل ناس من المنافقين،

---

(٥٤٧) أنظر سيرة ابن هشام (٣/ ٢٢٨ - ٢٢٩) وطبقات ابن سعد (٢/ ٦٢ - ٦٣) وسيرة ابن كثير (٣/ ١٧٧ - ١٧٨) وزاد المعاد (٣/ ٢٥٥ - ٢٥٦) والسيرة لابن كثير (٣/ ١٨٠).

(٥٤٨) أنظر فتح الباري (٧/ ٣٩٣) وزاد المعاد (٣/ ٢٦٩ - ٢٧٠).

(٥٤٩) أنظر الفتح (٧/ ٣٩٢ - ٣٩٣).

وأقاموا في حفرهِ ثلاثين أو عشرين أو خمسة عشر يوماً فيه أقوال، جزم النووي في الروضة بالأخير، ووقع في حفره معجزات يأتي بعضها في بحث المعجزات، ثم أقبلت الأحزاب فنزلت قريش ومن معهم بمجمع السيول، ونزلت غطفان وأهل نجد عند أُحُد، فخرج ﷺ هو وأصحابه وهم ثلاثة آلاف فجعلوا أظهرهم [ظهورهم] إلى سَلعٍ : جبل بالمدينة، والخندق بينهم وبين القوم، وكان ﷺ يبعث الحرس إلى المدينة خوفاً على الذراري من بني قريظة وحينئذ خرج عدو الله حيي بن أخطب حتى أتى كعب بن أسد القرظي صاحب عقد بني قريظة وعهودهم [وعهدهم] معه ﷺ فأغلق كعب دونه باب حصنه وقال: إنك امرؤ مشؤوم، وإني عاهدت محمداً فلست بناقض ما بيني وبينه، فإني لم أر منه إلاّ وفاءً وصدقاً، فقال له: ويحك [ويلك] افتح ولم يزل به حتى فتح، فقال: يا كعب جئتك بعز الدهر جئتك بقريش وأنزلتهم بمجمع الأسيال ومن دونه غطفان وقد عاهدوني أن لا يبرحوا حتى يستأصلوا محمداً ومن معه وعزموا على حربه مع قريش ولم يزل به حتى نقض عهده وبرىء مما كان بينه وبين رسول الله ﷺ فبلغه ﷺ ذلك من الزبير رضي الله عنه حيث قال ﷺ : من يأتي بني قريظة فيأتيني بخبرهم، فانطلق الزبير ولم يجسر [يحسّ] على الذهاب إليهم غيره، فلما رجع بالخبر، قال ﷺ : فداك أبي وأمي كما رواه الترمذي وغيره وحسّنه (٥٥٠)، وفي رواية أصحاب المغازي، فلما بلغه ﷺ الخبر بعث سعد بن معاذ وسعد بن عبادة ومن معهما ليعرفوا الخبر فوجدوهم أخبث مما بلغهم عنهم من التبرء ونقض العهد، ثم أقبل السعدان على الرسول ﷺ وقالا عضل والقارة أي كغدرهما بأصحاب الرجيع، فعند ذلك عظم البلاء واشتد الخوف وأتاهم عدوهم من فوقهم وهم قريش ومن أسفلهم وهم بنو قريظة، وخافوا على ذراريهم حتى ظن

(٥٥٠) بل هو في الصحيح عند البخاري (٣٧١٩ و ٣٧٢٠) ومسلم (٢٤١٥) والترمذي (٣٨٢٨) وابن ماجه (١٢٢) وعبد بن حميد في المنتخب من المسند (١٠٨٦) والطبراني (٢٢٧).

المؤمنون كل ظن، وظهر نفاق كثير من المنافقين كما ذكره الله تعالى ذلك أوائل سورة الأحزاب، وأراد نوفل بن عبدالله المخزومي أن يثب الخندق بفرسه فوقع فيه فقتله الله تعالى، وكبر ذلك على المشركين فأرسلوا إليه ﷺ ليأخذوه ويدفنوه ويبذلوا ديته، فقال ﷺ: إنه خبيث هو وديته ولا نمنعكم أخذه كما في رواية ابن عائذ.

وقال ابن إسحاق لم يكن بين الفئتين إلاّ مرماة بالنبل، لكن عمرو بن ود العامري اقتحم مع نفر خيولهم من ناحية ضيقة من الخندق حتى صاروا بالسبخة، فبارزه عليّ كرم الله وجهه فقتله وبرز نوفل بن عبدالله فقتله الزبير، وقيل: عليّ وأصاب سهم أكحل سعد بن معاذ فقطعه، وهو عِرق في وسط الذراع ودام الحصار بضع عشرة ليلة، ثم جاء نعيم بن مسعود الأشجعي إليه ﷺ، فقال له: إني أسلمت ولم يعلم بي قومي فمرني بما شئت فأمره أن [يخدعهم] يخادعهم ويحول عنهم ما استطاع، فإن الحرب خدعة، فذهب إلى بني قريظة، وكان نديمهم في الجاهلية فحسّن لهم التخلف عن معاونة قريش، ثم ذهب إلى العرب وحسّن لهم التخلف عن بني قريظة، فأوقع بينهم الشر واختلفت كلمتهم وحذرت كل طائفة من الأخرى فرجع إليه ﷺ فأخبره بتخالفهم وما هم فيه، فأرسل الله تعالى في آخر ليلة وهي ليلة الأربعاء ريح الصبا بشدة وبرد وظلمة لم يروا مثلها، فدعا ﷺ: حذيفة بن اليمان ودعا له حتى ذهب عنه الفزع، وقال: ايتني بخبر القوم ولا تحدثن شيئاً حتى تأتينا فدخل عسكرهم، فرأى كلمتهم اختلفت، وسمع أبا سفيان يقول: لينظر الرجل منكم مَن جليسه، قال حذيفة: فأخذت بيدي من يجبيني فقلت: من أنت؟ فقال: فلان بن فلان، ثم قال أبو سفيان: والله يا معشر قريش فما أصبحتم بدار مقام لقد هلك الكراع، اسم لجمع الخيل، والخف، واختلفنا نحن وبنو قريظة ولقينا من هذه الريح ما ترون، فارتحلوا فإني مرتحل ووثب على جمله، فما حل عقاله إلاّ وهو قائم، فرجع حذيفة فرأى فوارس في طريقه فقالوا: أخبر صاحبك [صاحبكم] أن الله قد كفاه القوم كما

رواه الحاكم[٥٥١]، وروى الإمام أحمد أنهم قالوا: يا رسول الله هل من شيء تقوله، فقد بلغت القلوب الحناجر، فقال نعم: اللهم استر عوراتنا وآمن روعاتنا. فضرب الله تعالى وجوه أعدائهم بالريح[٥٥٢]، فلما أصبح ﷺ رجع إلى المدينة هو وأصحابه يوم الأربعاء وقال: لن تغزوكم قريش بعد عامهم هذا، وفي رواية البزار بسند حسن لا يغزونكم قريش بعدها أبداً، ولكن أنتم تغزونهم فكان كذلك[٥٥٣].

ولما وضع السلاح جاءه ﷺ جبريل معتجراً بعمامة من استبرق على بغلة عليها قطيفة ديباج[٥٥٤]، وفي رواية البخاري أنه لما وضع السلاح واغتسل أتاه جبريل فقال قد وضعت السلاح والله ما وضعناه، اخرج إليهم وأشار إلى بني قريظة[٥٥٥] وزاد ابن إسحاق فإني واصل إليهم ومزلزل بهم، فأمر ﷺ مؤذناً فأذن في الناس من كان سامعاً مطيعاً فلا يصلين العصر إلاّ ببني قريظة[٥٥٦]، وفي رواية قم فشد سلاحك فوالله لأدقنهن دق البيض على الصفا، وهو الحجر الأملس،

---

(٥٥١) رواه الحاكم (٣/ ٣١) وصححه ووافقه الذهبي، ورواه البزار (١٨٠٩).

(٥٥٢) رواه أحمد (٣/ ٣) من حديث أبي سعيد وفيه من هو مقبول كما قال الحافظ، وهما ربيح والزبير بن عبدالله فهو ليس بصحيح.

(٥٥٣) رواه البزار (١٨١٠) كذا قال بسند حسن تبعاً للحافظ في الفتح (٧/ ٤٠٥) وفي إسناده مجالد وهو ضعيف ولكن له شاهد من حديث سليمان بن صرد عند البخاري (٤١٠٩ و ٤١١٠).
وانظر حول غزوة الخندق سيرة ابن هشام (٣/ ٢٢٩ - ٢٥٢) وطبقات ابن سعد (٢/ ٦٥ - ٧٤). وزاد المعاد (٣/٢٦٩ - ٢٧٤) والسيرة (٣/١٧٨ - ٢٢٢).

(٥٥٤) أنظر مجمع الزوائد (٦/ ١٤١) وسيرة ابن هشام (٣/ ٢٥٢).

(٥٥٥) رواه البخاري (٤١١٧).

(٥٥٦) سيرة ابن هشام (٣/ ٢٥٢) وعنده عامد إليهم.

وبعث يومئذ منادياً ينادي يا خيل الله اركبي(٥٥٧)، وإلى ذلك أشار الناظم بقوله:

عقيبَها كانَتْ بَنُو قُرَيظَتَا كَذا صلاةُ الخوفِ فيها أُثبِتَا

(عقيبها) أي الخندق بتأويل الغزوة وعقيب لغة قليلة جرت على الألسنة والكثير ترك الياء كما ذكره النووي في تحريره، ولو قرىء هنا مصغراً لتخلص من ذلك وأفاد المبالغة في تقليل المدة (كانت بنو قريظتا) بألف الإشباع أي غزوتهم، فسار ﷺ في ثلاثة آلاف، ومعهم ستة وثلاثون فرساً كما في المواهب(٥٥٨). ونزل ﷺ على بئر من آبارهم وتلاحق الناس، وبعضهم تركوا العصر إلى العشاء أخذاً بظاهر قوله ﷺ:

(فلا يصلين العصر إلا في بني قريظة كما مرّ، فلم ينكر ﷺ عليهم لأنهم مجتهدون، كما أن من صلاها في وقتها منهم لم ينكر عليهم لتأويلهم بأنه ﷺ لم يُردْ إلا مجرد المبادرة، فحاصرهم خمساً وعشرين ليلةً [أو خمس عشرة] حتى أجهدهم الحصار، وقذف الله في قلوبهم الرعب، فقال لهم رئيسهم: كعب بن مالك [وقيل كعب] بن أسد: أعرض عليكم إحدى ثلاث فخذوا ما شئتم، قالوا: وما هي؟ قال: نؤمن بهذا الرجل فوالله لقد تبين أنه لنبي مرسل، وأنه الذي تجدونه في كتابكم [كتبكم]، فأبوا، قال: نقتل أبناءنا ونساءنا حتى لا يبقى ما نخشى عليه، ثم نخرج إليهم محاربين حتى يحكم الله بيننا وبين محمد، قالوا: وأيّ عيش لنا بعد أبنائنا ونسائنا، قال: الليلة ليلة السبت، فلعلّهم آمنونا، فانزلوا لعلّكم تصيبون منهم. قالوا: لا تفسد سبتنا، ثم أرسلوا إليه ﷺ، أن ابعث لنا [إلينا] أبا لبابة نستشيره في أمرنا، فأرسله إليهم، فمال إليه الرجال وجهش إليه النساء والصبيان يبكون في وجهه فرقّ عليهم [لهم]، فقالوا له: أترى

---

(٥٥٧) هذه الرواية عند ابن عائذ كما في الفتح (٧/ ٤١٣) وهو من مرسل قتادة.

(٥٥٨) أنظر الطبقات (٢/ ٧٤) والفتح (٧/ ٤٠٨).

أن تنزل على حكم محمد، قال نعم، وأشار بيده إلى حلقه أنه الذبح، ثم تنبّه في الحال لخيانته مع الله ورسوله، فذهب على وجهه، ولم يأت رسول الله ﷺ، فربط نفسه في عمود في المسجد وقال: لا أبرح من مكاني هذا حتى يتوب الله تعالى عليّ، فلما بلغه ﷺ خبره وكان قد استبطأه، قال: لو جاءني لاستغفرت له، وأما إذا فعل ما فعل فما أنا بالذي أطلقه من مكانه حتى يتوب الله عليه، فأقام مرتبطاً بالجذع ست ليال تطلقه امرأته للصلاة، وقضاء الحاجة، ثم تربطه بالجذع.

وفي رواية: أنه ارتبط بسلسلة ثقيلة بضع عشرة ليلة حتى ذهب سمعه وكاد يذهب بصره، ثم نزلت توبته على رسول الله ﷺ وهو في بيت أم سلمة من السمر فضحك فقالت أم سلمة: بم [مم] تضحك؟ أضحك الله سِنَّك فقال: تيب على أبي لبابة فسألته، أن تبشره فأذن لها، فقالت على باب حجرتها، وكان قبل أن يضرب عليهن الحجاب فقالت يا أبا لبابة: أبشر فقد تاب الله عليك، فبادر إليه الناس ليطلقوه فأبى إلاّ أن يطلقه رسول الله ﷺ بيده، فلما مرّ عليه خارجاً لصلاة الصبح أطلقه بيده الكريمة، ولما اشتد الحصار ببني قريظة، رضوا أن ينزلوا على حكم رسول الله ﷺ، فحكم فيهم سعد بن معاذ سيد الأوس فأتى قومه في المسجد وكان في خيمة امرأة تداوي الجرحى، فحملوه على حمار، فلما انتهى إلى رسول الله ﷺ والمسلمين قال ﷺ: قوموا إلى سيدكم، قال المهاجرون: أراد الأنصار، وقال الأنصار أراد الجميع، فقالوا له: إن رسول الله ﷺ قد ولاّك أمر أولئك لتحكم فيهم، فقال سعد: فإني أحكم فيهم بأن تقتل الرجال وتقسم الأموال وتسبي الذراري والنساء، فقال ﷺ: لقد حكمت فيهم بحكم الله من فوق سبع سماوات.

وفي رواية فقال له: احكم فيهم يا سعد، فقال: الله ورسوله أحق بالحكم، قال: قد أمرك الله أن تحكم فيهم، ثم أمر ﷺ برجالهم فأدخلوا المدينة وحفر

لهم أخدوداً في السوق، وجلس ﷺ ومعه أصحابه، فضُرِبَت أعناقهم، وكانوا ما بين ستمائة أو سبعمائة أوثمانمائة، ولا ينافيه ما صح في حديث الترمذي وغيره أنهم كانوا أربعمائة مقاتل، لاحتمال أن البقية كانوا أتباعاً لا قتال فيهم، واصطفى ﷺ لنفسه الكريمة ريحانة فتزوجها، وقيل: كان يطأها بملك اليمن، وأمر بالغنائم فجمعت وقسمت.

وانفجر جرح سعد بن معاذ في لبته فمات شهيداً، وحضر جنازته سبعون ألف ملك واهتز عرش الرحمن لموته كما رواه الشيخان واهتزاز العرش على حفتيه وهو تحركه فرحاً بقدوم روحه السعيدة وفيه يقول حسان: وما [أن] اهتز عرش الله من أجل هالك سمعنا به إلاّ لسعد بن أبي عمرو، وخلق الإدراك في الجمادات جائز وله نظائر، وزعم أن المراد بالعرش نعشه باطل يرده رواية عرش الرحمن وقُبِضَت قبضة من تراب قبره فإذا هي مسك ومع ذلك، وسائر الأحاديث في فضله، قال ﷺ لو كان أحَدٌ ناجياً من ضمة القبر لنجا منها سعد، ضُمَّ ضمةً ثم فرج الله عنه (٥٥٩).

(كذا) أي المذكور [كالمذكور] من الأشياء وقعت سنة خمس (صلوة الخوف) بالكيفية المفصلة في الأحاديث (فيها) أي في سنة خمس، بناء على كون ذات الرقاع فيها، لا في سنة أربع كما ذهب إليه جمع وهو الأصح كما مرّ، قال الحافظ ابن حجر: وينبغي الجزم بأن ذات الرقاع بعد بني قريظة، لأن صلاة الخوف لم تشرع في الخندق التي عقيبها بنو قريظة، وقد شرعت في ذات الرقاع كما في الأحاديث الصحيحة (٥٦٠)، فدل على تأخرها عنها، وصرح النووي أيضاً بأن صلاة الخوف لم تشرع في الخندق، ومن ثم فاته ﷺ صلاة العصر، والحاصل

---

(٥٥٩) أنظر غزوة بني قريظة في سيرة ابن هشام (٣/ ٢٥٢ - ٢٧٥) وطبقات ابن سعد (٢/ ٧٤ - ٧٨) والسيرة (٣/ ٢٢٣ - ٢٥١) والفتح (٧/ ٤٠٧ - ٤١٦) وزاد المعاد (٣/ ١٢٩ - ١٣٣).

(٥٦٠) أنظر الفتح (٧/ ٤١٧).

أن من قال بكون ذات الرقاع في سنة خمس قال بمشروعية صلاة الخوف فيها أيضاً وهو الصحيح، ومن قال بكونها في سنة أربع قال بمشروعيتها فيها أيضاً، لأن أول ما صلاها فيها كما جزم به ابن سعد (أثبتا) بألف الإشباع للوزن أي أثبتها جمع من العلماء، والصواب أثبتت لكن عدل عنه إلى ما قاله للضرورة كما في قوله: ولا أرض أبقل أبقالها حيث لم يقل أبقلت، ولا يصح عود الضمير في فيها إلى بني قريظة ولا إلى الخندق لعدم مشروعيتها فيهما كما علمت.

سَنَةَ سِتٍ الافْكُ أو قَبْلُ وَرَدْ ثُم بَنُو لِحْيانَ ثُم ذو قَرَدْ

(وما كان في سنة ست) كما قاله ابن إسحاق وجزم به الطبراني وغيره (٥٦١). وقع (الإفك) أي الكذب والبهتان العظيم بعائشة أم المؤمنين رضي الله عنها من جماعة رأسهم [رئيسهم] عبدالله بن أبي المنافق المشهور، وست في النظم بحذف التنوين للوزن، والإفك أسوأ الكذب وأقبحه سمي به لكونه مصروفاً عن الحق من قولهم: أفك الشيء إذا قلب عن وجهه، وذلك أن عائشة رضي الله عنها كانت مستحقة ثناء الجميل لما عليها من المكارم والشرف فمن رماها بسوء قلب الأمر عن وجهه (أو قبل) أي قبل سنة ست فرجح الحاكم وغيره وهو الأصح كما مشى عليها الغيطي أنه في سنة خمس وقيل سنة أربع (٥٦٢) (ورد) ذلك الإفك. وقد برّأها الله تعالى عنه بآيات كما في سورة النور وقصته مشهورة في الأخبار.

خلاصة قصة الإفك:

وخلاصتها، أنها قالت كنت مع النبي ﷺ في غزوة بعد ما أنزل الحجاب ففرغ منها ورجع ودنى من المدينة وأذن بالرحيل ليلة، فمشيت وقضيت شأني كناية عما يتعلق بقضاء الحاجة وأقبلت إلى الرحل فإذا عقدي بكسر المهملة القلادة

(٥٦١) أنظر الفتح (٧/ ٤٣٠) وفي كل النسخ الطبراني وهو خطأ.
(٥٦٢) أنظر الفتح (٧/ ٤٣٠) أيضاً.

انقطع فرجعت ألتمسه وحملوا هودجي على بعيري يحسبونني فيه، وكانت النساء إذ ذاك خفافاً إنما يأكلن العلقة [هو] بضم المهملة وسكون اللام من الطعام القليل ووجدت عقدي وجئت بعدما ساروا فجلست في المنزل الذي كنت فيه وظننت أن القوم يستفقدونني [سيفقدونني] فيرجعون إليّ فغلبتني عيناي فنمت وكان صفوان بن المعطل قد عرّس من وراء الجيش فأدلج هما بتشديد الراء والدال ونزل من آخر الليل للاستراحة فسار منه فأصبح في منزلي فرأى سواد إنسان نائم فعرفني حين رآني وكان يراني قبل الحجاب فاستيقظت باسترجاعه أي قوله: إنا لله وإنا إليه راجعون فخمرت وجهي بجلبابي أي غطيته بالملاءة. والله ما كلّمني بكلمة ولا سمعت منه كلمة غير استرجاعه حين أناخ راحلته ووطأ على يديها فركبتها فانطلق يقود بي الراحلة حتى أتيت الجيش بعدما نزلوا موعرين في نحر الظهيرة أي من أوعر واقعين في مكان وعرة في شدة الحر فهلك من هلك فيّ وكان الذي تولّى كبره منهم عبدالله بن أبي بن سلول المنافق. انتهى قولها ورواه البخاري ومسلم(٥٦٣).

(ثم) في شهر ربيع الأول أو جمادى الأولى لسنة ست أو خمس وصحّحه ابن حزم (بنو لحيان) بفتح اللام وكسرها أي غزوتهم.

وسببها أنه ﷺ وجد على عاصم بن ثابت وأصحابه وجداً شديداً فأظهر أنه يريد الشام وعسكر في مئتي رجل فيهم عشرون فارساً، ثم أسرع في السير حتى انتهى إلى بطن غُرَان وادٍ بين أَمَجٍ وعسفان كان مصاب أصحابه أهل الرجيع الذين قتلوا ببئر معونة فترحم عليهم ودعا لهم، فسمعت به بنو لحيان فهربوا ولم يصب أحداً منهم فأقام يوماً أو يومين يبعث السرايا في كل ناحية، ثم خرج [حتى] إلى عسفان فبعث أبا بكر في عشرة فوارس حتى أتوا أكراع الغميم لتسمع بهم

(٥٦٣) رواه البخاري (٢٦٦١ و ٤١٤١) ومسلم (٢٧٧٠) وغيرهما بطوله.

قريش فيدعوهم فرجعوا ولم يلقوا كيداً (٥٦٤). وانصرف ﷺ إلى المدينة وهو يقول [آيبون تائبون عابدون لربنا حامدون] وغاب أربع عشرة ليلة (ثم ذو قَرَد) أي غزوة ذي قرد بفتح القاف والراء وبالدال المهملة وهو ماء على بريد من المدينة، وتعرف أيضاً بغزوة الغابة، وذلك في شهر ربيع الأول سنة ست قبل الحديبية بإجماع أهل السير كما قاله القرطبي وغيره، واعترضوا به على قول البخاري: أنها كانت قبل خيبر بثلاثة أيام، وفي مسلم نحوه. لكن قال الحافظ ابن حجر ما في الصحيح أصحّ من قول [أقوال] أهل السير انتهى (٥٦٥).

وسببها أنه كان له ﷺ عشرون لقمة ترعى بالغابة وكان أبو ذر فيها فأغار عليهم عيينة بن حصن الفزاري في أربعين فارساً فاستاقوها وقتلوا ابن أبي ذر، قال ابن إسحاق (٥٦٦): ونودي يا خيل الله اركبي وكان أول ما نودي بها وركب ﷺ في خمس مائة وقيل سبع مائة، وخلف سعد بن عبادة في ثلاث مئة يحرسون المدينة وكان قد عقد للمقداد بن عمرو لواءً في رمحه، وقال له إمضِ حتى تلحقك الخيول وإنّا على أثرك فأدرك أخريات العدو وقتل أبو قتادة مسعدة فأعطاه النبي ﷺ فرسه وسلاحه ولحق ﷺ الناس والخيول عشاءاً، قال أبو سلمة: قلت: يا رسول الله إن القوم عطاش فلو بعثتني في مئة رجل استنفذت ما في أيديهم من السرح وأخذت بأعناق القوم فقال ﷺ: ملكت فاسجح من الإسجاح بالسين المهملة والجيم وهو الإرفاق والإحسان أي أرفق بهم ولا تأخذهم بالشدة فقد حصلت النكاية في العدو ولله الحمد.

ثم قال إنهم الآن ليفرون في غطفان وذهب الصريخ إلى بني عمرو بن عوف

---

(٥٦٤) أنظر سيرة ابن هشام (٣/ ٣٢٠ - ٣٢٢) والطبقات (٢/ ٧٨ - ٨٠) والسيرة (٣/ ١٥٦ - ١٦٠) لابن كثير وزاد المعاد (٣/ ٢٧٦).

(٥٦٥) أنظر الفتح (٧/ ٤٦٠ - ٤٦١).

(٥٦٦) بل هو عند ابن سعد في الطبقات (٢/ ٨٠ - ٨١) وليس عند ابن إسحاق.

فجاء الإمداد فلم تزل الخيل تأتي والرجال على أقدامهم وعلى الإبل حتى انتهوا إلى رسول الله ﷺ بذي قَرَد ، فاستنقذوا عشرة لقاح وأفلت القوم بما بقي وهي عشرة ، وصلى بهم ﷺ صلاة الخوف وأقام يوماً وليلة ثم رجع ، وقد غاب خمس ليال (٥٦٧) ووقع بين ذي قرد وبين الحديبية سرايا كثيرة مذكورة في كتب السير منها :

سرية محمد بن مسلمة في شهر ربيع الأول إلى ذي القصة بفتح القاف وتشديد المهملة موضع مسافته من المدينة أربعة وعشرون ميلاً في عشرة إلى بني ثعلبة فورد عليهم ليلاً فأحدق القوم به وهم مئة رجل فقتلوهم إلا محمد بن مسلمة فوقع جريحاً ومر رجل من المسلمين بمحمد بن مسلمة فحمله إلى المدينة فبعث ﷺ أبا عبيدة بن الجراح في أربعين رجلاً إلى مصارعهم فأغاروا عليهم فهربوا وأصاب رجلاً فأسلم وتركه وأخذ نعماً فاستاقه ورثّة من متاعهم (٥٦٨) .

ومنها سرية زيد بن حارثة إلى بني سليم بالجموم ناحية ببطن النخل على أربعة أميال من المدينة في شهر ربيع الآخر فأصاب نعماً وشاءاً وأسرى (٥٦٩) .

ومنها سرية زيد أيضاً إلى العيص موضع على [نحو] أربعة أميال من المدينة في جمادى الأولى في سبعين راكباً لما بلغه ﷺ أن عيراً لقريش أقبلت من الشام فأخذوها وما فيها وأخذ يومئذ فضةً كثيرةً لصفوان بن أمية وأسر ناس منهم أبو العاص بن الربيع فأجارته زوجته زينب ابنة النبي ﷺ ونادت في الناس حين صلى رسول الله ﷺ : الفجر إني قد أجرت أبا العاص فقال ﷺ وما علمت بشيء من هذا وقد أجرنا من أجرتِ ورد عليه [عليها] ما أخذ منه (٥٧٠) ، وقيل

---

(٥٦٧) أنظر الطبقات (٢/ ٨٠ - ٨١).

(٥٦٨) أنظر الطبقات (٢/ ٧٨) وزاد المعاد (٣/ ٢٨١) وشرح المواهب (٢/ ١٥٤).

(٥٦٩) أنظر الطبقات (٢/ ٨٦) وزاد المعاد (٣/ ٢٨١) وشرح المواهب (٢/ ١٥٥).

(٥٧٠) أنظر الطبقات (٢/ ٨٧) وزاد المعاد (٣/ ٢٨١) وشرح المواهب (٢/ ١٥٥ - ١٥٨).

إن أسره كان بعد الحديبية وكانت هاجرت قبله وتركته على شركه وردّها ﷺ [قيل] بالنكاح الأول وقيل بنكاح جديد.

ومنها سرية زيد أيضاً في جمادى الأخرى إلى [حِمْسَ] بكسر المهملة وهي وراء ذات القرى.

سببها: أنه أقبل دحية من عند قيصر، وقد أجازه وكساه، فلقيه الْهُنَيدُ في ناس من جذام بحِمْسَ فقطعوا عليه الطريق فسمع بذلك نفر من بني الطيّب فاستنقذوا لدحية متاعه فأخبره ﷺ دحية بذلك، فبعث زيداً في خمسمائة رجل وردّ معه دحية، فصبحّوهم فقتلوا الهنيد وابنه وأخذوا ألف شاة ومائة من النساء والصبيان (٥٧١).

ومنها سرية عبدالرحمن بن عوف في شعبان إلى دومة الجندل، في مائة رجل، قالوا: دعا ﷺ عبدالرحمن فأقعده بين يديه، وعمّمه بيده الكريمة وقال: أغز باسم الله وفي سبيل الله فقاتل من كفر بالله، ولا تغدروا [تغدر] ولا تقتلوا [تقتل] وليداً، وبعثه إلى كلب بدومة الجندل، وقال: إن استجابوا لك فتزوج ابنة ملكهم، فلما قدم إليهم مكث ثلاثة أيام يدعوهم إلى الإسلام، فأسلم الأصبغ ابن عمرو الكلبي رئيسهم، وكان نصرانياً وأسلم معه كثير من قومه، وأقام من شاء على إعطاء الجزية، وتزوج عبدالرحمن تُماضِر بضم المثناة الفوقية وكسر الضاد المعجمة بنت الأصبغ فولدت له أبا سلمة رضي الله عنه (٥٧٢).

ومنها سرية زيد بن حارثة في رمضان إلى أم قِرْفَةَ فاطمة بنت ربيعة الفزارية بناحية وادي القرى.

---

(٥٧١) أنظر الطبقات (٢/ ٨٨) والمغازي للواقدي (٢/ ٥٥٥) وتاريخ الإسلام للذهبي (١/ ٢٧٥).

(٥٧٢) أنظر الطبقات (٢/ ٨٩) وتاريخ الإسلام للذهبي (١/ ٢٧٦).

سببها: أن زيداً خرج في تجارة إلى االشام ومعه بضائع لأصحاب النبي ﷺ، فلقيه بوادي القرى ناس من فزارة من بني بدر فضربوه وضربوا أصحابه وأخذوا ما كان معهم، فأخبر زيد النبيّ ﷺ بذلك، فبعثه إليهم في جماعة يكمنون بالنهار ويسيرون بالليل حتى صبحوهم، وأخذوا أمَّ قِرفة وكانت ملكة رئيسةً وهي عجوزة فقتلها قيس بن المحبر أشدَّ قتل فلما قدم زيد قرع باب النبي ﷺ فقام إليه عرياناً يجر ثوبه حتى اعتنقه وقبله وسأله: فأخبره بما أظفره الله عليه (٥٧٣).

ومنها سريةُ عبدالله بن عتيك في رمضان سنة ست على الأصح ومعه أربعة إلى اللعين عبدالله بن أبي الحقيق اليهودي المؤذي لرسول الله ﷺ وهو الذي حزَّب الأحزاب يوم الخندق، وأمرهم ﷺ أن يقتلوه، فذهبوا إلى حصنه بخيبر عند غروب الشمس فأجلسهم عبدالله في مكانهم وقال لعليّ أتلطف للبواب فأدخل وجاء إلى: باب الحصن فتقنع بثوبه، فصاح عليه البوّاب يا عبدالله إن كنت تريد الدخول فادخل فإني أريد أن أغلق الباب، فدخل واستخفى حتى رأى البواب أغلق وعَلّق المفاتيح، فقام إليها وأخذها، ثم صبر إلى انقضاء سمر االعين [وكان يسمر عند] أبي رافع ففتح وصعد إليه بعد ذهاب أهل سمره عنه وصار كلما فتح باباً أغلق [أغلقه] عليه من داخل حتى انتهى إليه في بيت مظلم وسط عياله ولم يدر أين هو، فقال يا أبا رافع قال: من هذا، فأهوى نحو الصوت فضربه بسيفه، وهو هش فما أغنى فخرج ومكث قليلاً ثم دخل إليه كالمغيث له فقال وغيَّر صوته: ما هذا الصوت؟ فقال ضربني رجل قبلُ بالسيف فضربه ثانياً، فلم يغن شيئاً فصاح وقام أهله فتنحّى عنه ثم جاء وغيَّر صوته كالمغيث له فإذا هو مستلق على ظهره فوضع السيف في بطنه واتّكأ عليه فسمع صوت العظم فخرج، وجعل يفتح الأبواب حتى انتهى إلى درجة له فوضع رجله، وهو يرى أنه انتهى إلى الأرض فوقع فانكسر ساقه فعصبها بعمامته فلما

(٥٧٣) أنظر الطبقات (٢/ ٩٠ ـ ٩١).

صاح الديك قام الناعي على السور فذهب إلى أصحابه فأخبرهم بقتله، ثم انتهى إلى النبي ﷺ فحدَّثه، فقال ابسط رجلك فمسحها فكأنه لم يشتكها قط هذا ما في رواية البخاري، ووقع في رواية غيره ما يخالفه ولا يعول عليه (٥٧٤).

ومنها سريّة عبدالله بن رواحة في ثلاثين رجلاً في شوال إلى أسير بن رزام اليهودي لما جمع الناس لحربه ﷺ بعد قتل أبي رافع فلما قدموا عليه قالوا بعثنا ﷺ إليك لتخرج إليه ليستعملك على خيبر فطمع في ذلك فخرج في ثلاثين من اليهود ومع كل رجل رديف من المسلّحين، حتى إذا كانوا بقرقرة قتلوا كلّهم إلاّ واحداً ولم يصب من المسلمين أحد، فلما قدموا عليه ﷺ قال لهم: قد نجّاكم الله من القوم الظالمين (٥٧٥).

ومنها سريّة كرز بضم الكاف وسكون الراء ابن جابر الفهري إلى العرنيّن بضم ففتح حيٌّ من قضاعة وحيٌّ من بجيلة، والمراد هنا الثاني، وهذا على قول ابن إسحاق: إن قدومهم بعد غزوة ذي قرد في جمادى الآخر سنة ست، وقد ذكرها البخاري بعد الحديبية، وفي البخاري في كتاب المغازي عن أنس أن ناساً من عكل بضم العين وسكون الكاف، وعرينة قدموا على رسول الله ﷺ وتكلّموا بالإسلام، فقالوا يا رسول الله إنا كنا أهل ضرع ولم نكن أهل ريف واستوخموا المدينة فأمر لهم ﷺ بذودٍ وراعٍ وأمرهم أن يخرجوا فيشربوا من ألبانها وأبوالها فانطلقوا حتى إذا كانوا بناحية الحرَّة، كفروا بعد إسلامهم وقتلوا راعي النبي ﷺ واستفاقوا الذود، فبلغه ﷺ ذلك، فبعث في آثارهم فأمر بهم فسمّروا أعينهم وقطعوا أيديهم وتركوهم في ناصية الحرَّة حتى ماتوا على حالهم (٥٧٦).

---

(٥٧٤) رواه البخاري (٣٠٢٢ و ٣٠٢٣ و ٤٠٣٩ و ٤٠٤٠) وانظر الفتح (٧/ ٣٤٣ - ٣٤٥).

(٥٧٤) أنظر مغازي الواقدي (٢/ ٥٦٦) والطبقات (٢/ ٩٢ - ٩٣) وتاريخ الإسلام للذهبي (١/ ٢٨٠ - ٢٨١).

٥٧٦) رواه البخاري (٤١٩٢) ومسلم (١٦٧١).

وفي رواية لفظ وسمل أعينهم ثم نبذوا في الشمس حتى ماتوا (٥٧٧)، وفي رواية لفظ ولم يَحْسُمْهُمْ (٥٧٨) أي لم يكوِ مواضع القطع لينحسم الدم وقال أنس إنه ما سمل رسول الله ﷺ أعينهم لأنهم سمّلوا أعين الرعاة رواه مسلم (٥٧٩)، فيكون ما فعل بهم قصاصاً، وفي صحيح مسلم أن السريّة كانت عشرين فارساً من الأنصار (٥٨٠)، وفي رواية ابن مردويه عن سلمة بن الأكوع قال كان لنبي الله ﷺ مولىً يقال له يسار فنظر إليه يحسن الصلاة فأعقته، وبعثه في لقاح له بالحرة، فكان بها قال فأظهر قوم الإسلام من عرينة وجاءوا وهم مرضى موعوكون قد عظمت بطونهم، وعدَوا على يسار فذبحوه وجعلوا الشوكة في عينيه ثم طردوا الإبل، فبعث ﷺ في آثارهم خيلاً من المسلمين أميرهم كرز بن جابر الفهري فلحقهم فجاء بهم إليه فقطع أيديهم وأرجلهم وسمّل أعينهم (٥٨١)، قال ابن كثير غريب جداً وقيل إنّ أميرهم جرير بن عبدالله البجلي، وردَّ وقيل: سعيد بن زيد وقيل سعد بن معاذ [زيد] الأشهلي.

ومنها سريّة عمرو بن أمية الضمري.

وسببها أن أبا سفيان بن حرب أرسل إلى النبي ﷺ من يقتله غدراً، فجذبه أَسَيد بن الحضير بداخلة إزاره فإذا هو بالخنجر فسقط في يده فقال له النبي ﷺ: أصدقني ما انت قال وأنا آمن؟ قال نعم فأخبره بخبره فخلّى عنه ﷺ وبعث عمرو بن أمية الضمري ومعه آخر إلى أبي سفيان ليقتله فذهب إليه، وصار يطوف بالبيت ليلاً ففطن به معاوية بن أبي سفيان، فأخبر قريشاً بمكانه

(٥٧٧) رواه البخاري (٦٨٩٩) ومسلم (١٦٧١).

(٥٧٨) رواه البخاري (٦٨٠٢ و ٦٨٠٣ و ٦٨٠٤ و ٦٨٠٥) ومسلم (١٦٧١).

(٥٧٩) رواه مسلم (١٦٧١).

(٥٨٠) رواه مسلم (١٦٧١).

(٥٨١) رواه الطبراني (٦٢٢٣) وفي إسناده موسى بن محمد بن إبراهيم التيمي وهو ضعيف كما في مجمع الزوائد (٢/ ٢٤٢ و ٦/ ٢٤٩).

فخافوه وطلبوه، وكان فاتكاً في الجاهلية فهرب ولقي اثنين فقتلها ورسولين بعثهما قريش يتجسسان الخبر فقتل أحدهما وأسر الآخر فقدم به المدينة فجعل يخبر رسول الله ﷺ ورسول الله ﷺ يضحك(٥٨٢).

ثُمَّ الْحُدَيْبِيَةُ قُرْبَ مكةِ وَبيعَةُ الرِضْوانِ وَسْطَ القَعْدَةِ

(ثم) في هلال ذي القعدة سنة ست وقعت (الحديبية) بتشديد الياء وتخفيفها اسمٌ لبئر يسمى [سمي] بها ما حولها قربَ بالنصب نيابة عن المكان (مكة) بالجر للوزن أي في مكان قربها إذ أكثره في الحرم على سبعة أميال من مكة ثم سمّي بها الواقعة التي خرج فيها ﷺ معتمراً بأصحابه وهم ألف ومئات فيها خلاف طويل(٥٨٣)، فلما كان بذي الحليفة قلد الهديّ وأشعره وأحرم منها بالعمرة ولم يستصحب إلاّ سلاحَ المسافرين [المسافر] وهو السيوف لا غير، وبعث عيناً له من خزاعة فسار ﷺ حتى أتاه عينه في الطريق فقال له: إن قريشاً جمعوا لك الجموع، وهم مقاتلوك وصادّوك عن البيت فاستشار ﷺ أصحابه وكان أكثر الناس مشاورة لأصحابه، أن يذهب إلى ذراريهم بمكة فيأخذها، فأشار الصديق رضي الله عنه إلى أن يمضيَ لعمرته فقال له خرجت عامداً للبيت لا للحرب، فمن صدّنا عنه قاتلناه، فقال ﷺ إمضوا على اسم الله، ثم لما قربوا من الغميم قريبَ عسمان قال ﷺ: إن خالد بن الوليد بالغميم في خيلٍ لقريشٍ [من قريش] طليعةً فخذوا ذات اليمين، فما شعر خالد إلا بغبار الجيش، فانطلق يركض نذيراً لقريش كما في البخاري، وسار ﷺ حتى إذا كان بالثنية التي يهبط عليهم منها فبركت راحلته، فقالوا خلٍ خلٍ فلم تقم فقالوا خلأت القصواء فقال ﷺ: ما خلأت القصواء وما ذاك لها بخلق ولكن حبسها حابس

---

(٥٨٢) أنظر الطبقات (٢/ ٩٣ - ٩٤).

(٥٨٣) أنظر الأحاديث (٤١٥٠ - ٤١٥٥) من صحيح البخاري، وانظر الفتح (٧/ ٤٤٠) وزاد المعاد (٣/ ٢٨٧ - ٢٨٨).

الفيل أي منعها الله تعالى عن دخول مكة على هذا الوجه المفضي إلى سفك دماء أهلها لما في علم الله تعالى أن أكثرهم سيسلمون، ثم قال ﷺ: والذي نفسي بيده لا يسألوني خطةً يعظمون فيها حرمات الله تعالى إلا أعطيتهم إياها، ثم زجرها فوثبت فعدل عنهم، حتى نزل بأقصى الحديبية على حفرة بها ماء قليل فشكوا إليه العطش، فانتزع سهماً من كنانته فجعلوه فيه ففاض ماؤه حتى فضل عنهم، فجاء جماعة من خزاعة، وكانوا عيبة نصح رسول الله ﷺ فأخبروه: أن أهل مكة بأجمعهم جاءوا مريدين أن يقاتلوه ويصدّوه عن البيت، فقال ﷺ: إنا لم نجيء لقتال أحد ولكن جئنا معتمرين، وإن قريشاً قد نهكتهم الحرب وأضرت بهم فإن شاءوا ماددتهم مدةً ويخلّوا بيني وبين الناس فإن أظهر، فإن شاءوا أن يدخلوا في ما دخل فيه الناس فعلوا، وإن هُم أبَوا فوالذي نفسي بيده لأقاتلنهم على أمري هذا حتى تنفرد سالفتي أي صفحة عنقي كَنَّى بذلك عن القتل، ولينفذنَّ الله أمره فقال بُدَيل بن ورقاء الخزاعي: سأبلّغهم ما تقول فأتى قريشاً وأخبرهم بما قاله ﷺ فقام عروة بن مسعود وقال يا قوم إن هذا قد عرض عليكم خطة رشدٍ أي خصلة خيرٍ وصلاحٍ، فاقبلوها ودعوني آتِهِ فأتاه فجعل يكلم النبي ﷺ بنحو ما مرَّ، فقال عروة: أي محمد أرأيت إن استأصلت أمر قومك هل سمعت بأحد من العرب اجتاح أهله [أصله] قبلك، وإن تكن الأخرى فإني والله لأرى أخلاطاً خليقاً أن يفرّوا ويدعوك، فسبَّه الصديق رضي الله عنه أبلغ سب بقوله: أُمصص ببظر اللات أنحن نفر منه [عنه] أو ندعه، فقال عروة: من هذا؟ قالوا: أبو بكر، فقال: أما والذي نفسي بيده لولا يدٌ كانت لك عندي لم أُجزِكَ بها لأجبتك ثم أخذ بلحية النبي ﷺ وهو يكلمه على عادتهم عند تكليم النظير لنظيره ملاطفةً، والمغيرة بن شعبة قائم على رأس النبي ﷺ ومعه السيف وعليه المخفر [المغفر]، فجعل كلما أهوى عروة بيده إلى لحية النبي ﷺ ضربه المغيرة بنصل السيف، فقال أخّر يدك عن لحية النبي ﷺ أي إجلالاً له ﷺ فرفع عروة رأسه، فقال من هذا؟ قالوا المغيرة بن شعبة

فقال: أي غُدَر ألست سعى في غدرتك أي لأنه اغتال أصحاباً له في الجاهلية فقتلهم، وأخذ أموالهم، ثم جاء وأسلم فقال النبي ﷺ: أمَّا الإسلام فاقبله، وأما المال فلست منه في شيء، ثم جعل عروة يرمق الصحابة وما هم عليه من التعظيم البالغ له ﷺ وهو: أنه لا يتنخم نخامةً إلا وقعت في كف أحد يدلك بها وجهه وجلده، ولا يتوضأ إلاّ كادوا أن يقتتلوا على وضوئه ولا أمر بأمرٍ ألا تبادروا إليه، ولا تكلم إلا خفضوا أصواتهم عنده وما يحدّون إليه النظر تعظيماً له.

ثم رجع لقومه فقال: وفدت على الملوك قيصر وكسرى والنجاشي، فما رأيت ملكاً قط يعظمه أصحابه كما يعظّم أصحاب محمدٍ محمداً وذكر لهم ما مرَّ، ثم قال: إنه عرض عليكم خطة رُشدٍ فاقبلوها، فقال رجل كنانيٌّ دعوني آتِهِ فأذنوا له، فلما أقبل قال ﷺ: هذا ممن يعظمون البُدنَ فابعثوها له فبعثت له واستقبله الناس يلبّونَ، فلما رأى ذلك قال: سبحان الله ما ينبغي لهؤلاء أن يُصدّوا عن البيت فعاد إليهم، وقال أرى أن لا يُصدوه عن البيت، فقال آخر دعوني آته فلما أقبل، قال ﷺ هذا مِكرَز وهو رجل فاخر، فجعل يكلم النبيَّ ﷺ فبينما هو كذلك إذ جاء سهيل بن عمرو فقال ﷺ قد سُهِّلَ لكم من أمركم قد أرادت قريش الصلح حين أرسلت هذا فتكلّم معه، حتى وقع بينهما الصلح على: أن توضع الحرب بينهم عشرة سنين ويأمن بعضهم بعضاً، وأن يرجع عنهم عامهم هذا وطلب كتاباً بذلك، فأمر ﷺ علياً فقال له: اكتب بسم الله الرحمن الرحيم، فقال سهيل: أما الرحمن الرحيم فوالله ما أدري ما هو ولكن اكتب بسمك اللهم كما كنت تكتب، فأبى الصحابة ورضي النبي ﷺ بكتابة ذلك، ثم قال ﷺ: اكتب هذا ما قاضى وصالح عليه محمد رسول الله أهل مكة، فقال سهيل: لو علمنا أنك رسول الله ماصددناك عن البيت ولا قاتلناك فقال: والله إني لرسول الله وإن كذّبتموني، ثم قال لعليٍّ أمْحُهُ فقال عليٌّ ما أنا بالذي أمحاهُ كما في البخاري، وهو لغةٌ في أمحوه، وهذا من باب أن سلوك الأدب أولى من امتثال الأمر ومحله في ما علم بالقرائن أن الأمر ليس للأيجاب وإلاّ لم يجز مخالفته

كما نصوا عليه، ثم قال ﷺ: أرني مكانها فأراه مكانها فمحاه، فكتب ابن عبدالله[٥٨٤]، أي مكان محمد رسول الله كما في رواية غيره، ووقع التصريح في حديث المسور بن مخرمة أن علياً هو الذي كتب ذلك فيتعين كما قال الحفاظ أن كتب في رواية البخاري وغيره بمعنى أمر بالكتابة مجازاً مشهوراً، حتى لا ينافي حرمة الكتابة عليه ﷺ، وقيل إن يده جرت بالكتابة حينئذ وهو لا يحسنها، فخرج المكتوب على وفق المراد فتكون معجزةً أخرى في ذلك الوقت خاصة، ولا يخرج بذلك عن كونه أمّياً وقول جمع منهم أبو الوليد الباجي: إنه ﷺ استمر يكتب حقيقةً من غير تعليم معجزةً مستمرةً بعد أن لم يكن يحسن أن يكتب، وأن مفهوم قوله تعالى: ﴿ما كنت تتلوا من قبله من كتاب ولا تخطه بيمينك﴾ أي مدة، وإن سبب التحريم أن لا يلتبس بالوحي غيره وقد أُمِن ذلك ردّه الجمهور، وما أخرجه ابن أبي شيبة أنه ﷺ لم يمت حتى كتب ضعيف، وما زعموا من أن الالتباس ممنوع إذ لو جازَ أن يصير يكتب بعد ذلك لعادت الشبهة كما قاله السهيلي وغيره، وقال المعاند كان يحسن أن يكتب، لكنه كان يكتم ذلك، والمعجزات يستحيل أن يدفع بعضها بعضاً، وجوَّز القاضي عياض وغيره معرفته ﷺ لحروف الخط وحسن تصويرها وإن لم يثبت أنه كتب لأنه أُوتي علم كل شيء، واستدلَّ بآثار:

منها قوله ﷺ لمعاوية رضي الله عنه إلق الدواة وحرّف القلم وفرّق السين ولا تعوِّر الميم، وأجيب بضعفها[٥٨٥]، وإنما وافقهم ﷺ على ترك كتابه ما ذكر لمصلحة الصلح الذي كان سبباً لفتح مكة ودخول الناس في دين الله أفواجاً، على أن ترك كتابة ما ذكر من لفظ الرحمن الرحيم، ولفظ رسول الله لا محظور فيه، وإنما المحظور لو طلبوا كتابة ما لا يحل، ومما (ولما) كتب هذا ما قاضى عليه محمد بن عبدالله، قال ﷺ: على أن تخلوا بيننا وبين البيت فنطوف به، فأبى

(٥٨٤) رواه مسلم (١٧٨٣) وابن أبي شيبة (١٤/ ٤٣٤ - ٤٣٥).
(٥٨٥) أنظر الفتح (٧/ ٥٠٤).

سهيل، وقال: والله لا تتحدث العرب أنّا أُخذنا ضغطة أي إكراهاً ولكن ذلك من العام المقبل، فوافقه ﷺ، ثم اشترط سهيل: ردّ مَن جاء إليه ﷺ ولو مسلماً، فعظم ذلك عند المسلمين، فوافقه ﷺ لمصلحة الصلح المرجو فيه ما مرّ آنفاً لأنهم بعد الصلح اختلطوا بالمسلمين، فجاؤوا للمدينة، وذهب المسلمون لمكة فسمعوا منهم أحواله ﷺ، ومعجزاته الظاهرة ومحاسن سيرته الباهرة وعاينوا كثيراً من ذلك، فمالوا إلى الإيمان وبادر إليه جماعة قبل الفتح، وأسلم البقية يومئذ، وأسلم بإسلامهم بقية العرب من البوادي لأنهم كانوا ينتظرون إسلامهم، وفي الحديث [وفي هذا المجلس]: دخل ذلك المجلس أبو جندل بن سهيل بن عمرو وهو في قيوده، وقد خرج من أسفل مكة فرمى نفسه بين المسلمين، فقال سهيل أبوه: هذا أول ما أقاضيك عليه أن ترده إليّ فأبى ﷺ، فأبى سهيل من الصلح، فقال ﷺ: فأجره لي، فقال سهيل ما أنا بمجيره لك، وقال مكرز: بلى قد أجرناه لك، قال أبو جندل: أي معشر المسلمين أُردّ إلى المشركين وقد جئت مسلماً، ألا ترون ما أنا فيه من العذاب الشديد فقال ﷺ: اصبر يا أبا جندل واحتسب فإنا لا نغدر وإن الله جاعل لك فرجاً ومخرجاً، وإنما ردّه إليهم عملاً بقضية الصلح ما مرّ من المصلحة العظيمة فيه على أنّ رده إنما هو إلى أبيه، والغالب أن لا يهلكه ويمكنه التقية بالتلفظ بالكفر قال الله تعالى: ﴿إلاّ مَن أكره وقلبه مطمئن بالإيمان﴾، وعندنا هذا الحكم خاص بالمكلف دون نحو المجنون، وعند الحنفية منسوخ في الكل، ولما تم الصلح قام عمر إلى النبي ﷺ، فقال له: ألست نبي الله حقاً قال بلى، قال: ألسنا على الحق وعدونا على الباطل، قال: بلى، قال: فلِمَ نُعطِ الدنية في ديننا إذاً؟ قال: إني رسول الله ولست أعصيه وهو ناصري، قال: أوليس كنت تحدثنا: أنا نأتي البيت فنطوف به قال: بلى، أفأخبرتك أنا نأتيه العام؟ قال: لا، قال: فإنك آتيه وتطوف به، ثم أتى أبا بكر وقال له: مثل ذلك[586]، فأجابه أبو بكر رضي الله

(٥٨٦) أنظر حول صلح الحديبية ما رواه البخاري (٢٧٣١ و ٢٧٣٢ و ٢٧٣٣ و ٤١٨٢ و ٤٨٩١

عنه بمثل ما أجاب به النبي ﷺ سواء بسواء، لأنه الخليفة الأعظم في كل فضل، وسؤال عمر رضي الله عنه لإظهار الحق للضعفاء خشيةً من أن يبقى في نفوسهم شيء، لا للشك في أمره معاذ الله كما ذكره الأئمة، وما مرّ من أن الصلح كان عشر سنين هو أشهر من رواية أربع، وكان من جملة الصلح كما أشير إليه فيما مر، أن لا يدخلوا البيت إلا في العام المقبل ثلاثة أيام وسيوفهم مغمورة في غمدها ليكون إمارة على الصلح، ولما كتب كتاب الصلح أرسل به إليهم مع عثمان رضي الله عنه وأمسك عنده سهيلاً كما قاله مكي وغيره، فأمسك المشركون عثمان رضي الله عنه، فغضب المسلمون وبلغهم أن عثمان رضي الله عنه قتل، فدعا ﷺ الناس إلى بيعة الرضوان تحت الشجرة على الموت، وقيل: على أن لا يفرّوا وضرب رسول الله ﷺ بيده اليمنى على يده اليسرى، وقال: هذه بيعة عثمان رضي الله عنه كما في البخاري وإلى هذا أشار الناظم بقوله:

(وبيعة الرضوان) سميت بذلك لنزول الآية برضوان الله تعالى عنهم بسببها وكانت (وسط) بسكون السين على لغة (القعدة) بفتح القاف ويجوز كسرها وبسكون العين أي ذي القعدة، وهو اسم شهر كانوا يقعدون عن الأسفار فيه، ولما سمعوا بهذه البيعة خافوا فأرسلوا عثمان وجماعةً من المسلمين، ثم حَلَقَ رسول الله ﷺ ونحر هديه ففعلوا كذلك ثم رجعوا الى المدينة، فأنزل الله تعالى عليه سورة الفتح بكراع الغميم تسلية لهم عما وقع في نفوس بعضهم.

قال ابن عباس وأنس والبراء رضي الله عنهم[٥٨٧]: الفتح المبين صلح

= و ٥٢٨٨ و ٧٢١٤) وعبدالرزاق (٩٧٢٠) وأحمد (٣٢٦/٤ - ٣٣١ و ٣٣١ - ٣٣٢) وسيرة ابن هشام (٣٥٦/٣ - ٣٦٢) ابن أبي شيبة في المصنف (٤٢٩/١٤ - ٤٥٤) والطبراني (ج ٢٠ رقم ١٣ و ١٤ و ١٥) وزاد المعاد (٢٨٦/٣ - ٣٠٠) والطبقات (٢/ ٩٥ - ١٠٥) وتاريخ الإسلام (١/ ٢٨١ - ٣١١) للذهبي والسيرة (٣/ ٣١٢ - ٣٣٧) لابن كثير

(٥٨٧) عن أنس والبراء في الصحيح انظر صحيح البخاري (٤١٧٢ و ٤٨٣٤) و (٤١٥٠) ولم أر عن ابن عباس.

الحديبية، بعد أن حسب المنافقون أن رسول الله ﷺ والمؤمنون لا ينقلبون إلى أهليهم أبداً والمراد بالفتح القريب فيها فتح خيبر لأنّه وقع قريباً وفيه المغانم الكثيرة، والفتح في سورة النصر ﴿إذا جاء نصر الله﴾. وفي الحديث: لا هجرة بعد الفتح، المراد به فتح مكة اتفاقاً ذكره الحافظ ابن حجر[٥٨٨]، وكانت إقامته ﷺ بالحديبية بضعة عشر يوماً، وفي تلك [هذه] السنة كسفت الشمس، وظاهر أوس بن الصامت امرأته خولة بنت ثعلبة وقُحِطَ الناس فاستسقى ﷺ فسقوا، وفيها سابق بين الخيل، وقيل في التي قبلها:

سَنَةَ سَبْعٍ خَيْبَرٍ وادي القُرى   وَبَعَثَ النَجاشي أيضاً جَعْفَرا

(وما كان في سنة سبع) سنة سبع من الهجرة (خيبر) بالتنوين أي غزوة خيبر بلدة كبيرة ذات حصون ومزارع على ثمانية بُرُد من المدينة، وهي بعد الحديبية بنحو شهرين، خرج إليها ﷺ أواخر المحرم سنة سبع فحاصرها بضع عشرة ليلة إلى أن فتحها قاله ابن اسحاق[٥٨٩]، وما نقل عن مالك وجزم به ابن حزم من أنها كانت آخر سنة ست فمرجوح، على أنه جُمِع بأن قائله بناه على أن أول السنة من شهر الهجرة الحقيقي هو شهر ربيع الأول، ورواية ابن أبي شيبة وغيره بإسناد حسن أنها كانت في رمضان خطأ لعلّه تَصَحّفَت فيها حنين بخيبر، وقول الشيخ أبي حامد من أئمتنا أنها كانت سنة خمس وهمٌ لا يعوّل عليه كما قال الحافظ ابن حجر[٥٩٠]، وكان معه ﷺ ألف وأربعمائة راجل ومائتا فارس، وغار ﷺ بعد الصبح، فرأوا اليهود خارجين لنخلهم وأرضهم وبمساحيهم ومكاتلهم، فلما رأوه قالوا: محمد والخميس هذا محمد، والخميس الحبشي سمي به لانقسامه إلى خمسة، المقدمة والساقة والميمنة والميسرة والقلب فرفع ﷺ يديه،

---

(٥٨٨) أنظر الفتح (٧/ ٤٤٢).

(٥٨٩) أنظر سيرة ابن هشام (٣/ ٣٧٨).

(٥٩٠) أنظر الفتح (٧/ ٤٦٤ - ٤٦٥).

وقال: الله أكبر خربت خيبر، إنّا نزلنا بساحة قوم فساء صباح المنذرين، عرف ﷺ ذلك بالوحي وتفاءل برؤية آلة الهدم معهم أنّ مدينتهم ستخرب وفرق ﷺ الرايات، ولم تكن إلاّ بخيبر، وكانت قبلها الألوية فقط، وكانت رايته ﷺ سوداء من برد لعائشة رضي الله عنها كما ذكره أهل السير، والحافظ الدمياطي وغيره، وتأخر عليّ كرم الله وجهه لرمد به ثم لحق، ففي ليلة الفتح كما في البخاري قال ﷺ: لأعطين الراية غداً رجلاً يحبه الله ورسوله يفتح الله عليه، فلما أصبح الناس رجوا كلهم: أن يعطاها فقال ﷺ: أين ابن أبي طالب فأخبروه برمده، فأرسل إليه وبصق في عينيه ودعا له فبرىء لوقته، فأعطاه الراية وأمره أن يدعوهم إلى الإسلام ويخبرهم بما يجب عليه من حق الله تعالى وقال: والله لأن يهدي الله بك رجلاً واحداً خير لك من أن تكون لك حمر النعم، الحديث (٥٩١)، ولما تصافوا قاتلوا أشد القتال، حتى قتل من اليهود ثلاثة وتسعون، ومن المسلمين خمسة عشر، ولما أراد عامر بن الأكوع أن يضرب ساق يهودي عاد سيفه لقصره إلى ركبته فقتل تصديقاً لِمَا أشار إليه ﷺ يقول له لما حدا للقوم في الطريق يرحمك الله [يرحمه الله] وسمع أخوه سلمة بن الأكوع زعم من قال أنه أحبط عمله أي لوهمه أنه قتل نفسه، فسئل النبي ﷺ، فقال: كذب من قاله وإن له أجرين وجمع بين إصبعيه أنه لجاهِد مجاهَد، وأصاب يومئذ ساقَ سلمة ضربة، فأتى النبي ﷺ فنفث فيها ثلاث نفثات فما شكاها [اشتكاها] بعد أخرجه البخاري (٥٩٢).

وفتح الله على رسوله حصون خيبر العشرة، ودله الله على كنز آل أبي الْحُقيق الذي كان في مسك حمار غيبوه في خِربة فاستخرجه وقلع علي كرّم الله وجهه باب خيبر، ولم يحركه بعد قلعه إلاّ أربعون أو إلاّ سبعون، كما في أخبار كلها واهية، ولذا أنكرها بعض العلماء كما قاله السخاوي، وسبى رسول الله ﷺ

(٥٩١) رواه البخاري في مواضع كثيرة منها (٣٧٠١ و ٤٢١٠).
(٥٩٢) رواه البخاري (٤٢٠٦).

ذريتهم، فكانت فيهم صفية بنت حيي، وكانت قد قتل زوجها فصارت في سهم دحية الكلبي، فافتداها منه بسبعة أرؤس خشية من تغير خاطر بعضهم، لأنها كانت بنت ملك من ملوكهم ذات جمال، وفي الصحابة من هو أكبر من دحية فلم تَلِق إلاّ به ﷺ ثم أعتقها وتزوجها، وفي رواية جعل عتقها صداقها فبنى بها في الطريق لما طهرت من الحيض، وكان ﷺ يحوي لها وراءه بعباءة، ثم يجلس عند بعيره فيضع ركبتيه وتضع صفية رجلها على ركبتيه حتى تركب، وكانت قبل ذلك رأت أن القمر سقط في حجرها فأولت بذلك، وحرم ﷺ يوم خيبر أكل لحوم الحمر الأهلية، وأذن كما في مسلم في لحوم الخيل[٥٩٣]، وبه أخذ الشافعي رضي الله عنه، وقال الجمهور من السلف والخلف لا كراهة في أكله، وبه قال ابن الزبير وأنس رضي الله عنهما، وفي صحيح مسلم عن أسماء: نحرنا فرساً على عهد رسول الله ﷺ والله فأكلناه ونحن بالمدينة[٥٩٤]، وفي فتح الباري: ويستفاد منه أن ذلك بعد فرض الجهاد، ففيه ردّ على من زعم أن تحريمها كان لأجله[٥٩٥]، وفي رواية للدارقطني: فأكلناه نحن وأهل بيت النبي ﷺ[٥٩٦]، وبفرض عدم ثبوت هذه فالراجح في الأصول أن الصحابة إذا قال: كنا نفعل كذا على عهد النبي ﷺ كان له حكم المرفوع[٥٩٧].

قال الأئمة: ومن حرّمه أجاب بما فيه تعسف وتكلف، وحديث أبي داود والنسائي: نهى ﷺ عن لحوم الخيل ضعيف، وقال الطحاوي: ذهب أبو حنيفة رحمه الله إلى كراهة لحوم الخيل وخالفاه صاحباه وغيرهما، واحتجّوا بالأخبار المتواترة في حلّها انتهى. وحمل بعضهم الكراهة على التنزيه وأكثرهم على التحريم،

---

(٥٩٣) رواه مسلم (١٩٤١).

(٥٩٤) رواه مسلم (١٩٤٢) ورواه أيضاً البخاري (٥٥١٩).

(٥٩٥) أنظر الفتح (٧/ ٦٤٩).

(٥٩٦) رواه الدارقطني (٤/ ٢٩٠).

(٥٩٧) وانظر الفتح (٧/ ٦٤٩).

وكذا نقل الكراهة [الكراهية] عن مالك تنزيهاً وتحريماً[٥٩٨]، وفي هذه الغزوة أيضاً نهى ﷺ عن أكل كل ذي ناب من السباع، وعن بيع المغانم حتى تقسم، وعن وطىء الأمة حتى تستبرىء، وفيها سمّت اليهودية للنبيّ ﷺ كما سيأتي في المعجزات، وفيها إسلام أبي هريرة، وبعثه ﷺ الرسل إلى الملوك، واتخاذ الخاتم لختم الكتب، ومجيء مارية القبطية، وبغلته دلدل، وفيها حرّم متعة النساء ثم أحلها يوم حنين، ثم حرّمها أبداً كما في ألفية العراقي. ولما رجع ﷺ نزل أواخر الليل، فأمر بلالاً أن يراقب لهم الفجر، فاستند إلى رحله فغلبه النوم، فلم يوقظهم إلا حرّ الشمس، فاقتادوا رواحلهم شيئاً يسيراً، ثم توضأ ﷺ وأمر بلالاً فأقام الصلاة فصلى بهم الصبح قضاءً، وإنما وقع ذلك تشريعاً لأمته، وكان فتح خيبر عنوة، والقول بأنه كان صلحاً ردّه ابن عبد البر وغيره بأن قائله توهمه من الحصنين اللذين أسلمها أهلها لتحقن دمائهم وهو ضرب من الصلح، لكن لم يقع إلا بحصار وقتال[٥٩٩]، وفي سنة سبع أيضاً في جمادى الآخرة فتح (وادي القرى) هو كما قال ابن جماعة من أعمال خيبر بعدما حاصرها ﷺ أربعاً وقيل أكثر، وفي هذه الغزوة أصاب سهم مِدعماً مولى رسول الله ﷺ، فقال ﷺ: إن الشملة التي غلّها في خيبر لتشعل [لتشتعل][٦٠٠] عليه ناراً (و) في غزوة خيبر (بعث) أصحمة (النجاشي) بكسر النون وتخفيف الجيم وسكون الياء هو الأفصح لكن حذف الياء هنا للوزن، وأصحمة هذا ملك الحبشة الذي هاجر إليه المسلمون سنة خمس، وكتب ﷺ له كتاباً يدعوه إلى الإسلام سنة ست فأسلم على يد جعفر بن أبي طالب هناك، ثم كتب إليه سنة سبع أن يبعث من بقي [عنده] من أصحابه (أيضاً) أي في سنة سبع (جعفر) بن أبي طالب

---

(٥٩٨) أنظر الفتح (٧/٦٥٠ - ٦٥١).

(٥٩٩) وانظر حول غزوة خيبر الطبقات (٢/ ١٠٦ - ١١٧) وسيرة ابن هشام (٣/ ٣٧٨ - ٣٩٧) والفتح (٧/ ٤٦٣ - ٤٩٨) والسيرة (٣/ ٣٤٤ - ٣٩٤) لابن كثير وزاد المعاد (٣/ ٣١٦ - ٣٥٩).

(٦٠٠) رواه البخاري (٤٢٣٤ و ٦٧٠٧) وغيره.

مفعول بعث أي بعثه بمن معه، وقدموا المدينة فوجدوا رسول الله بخيبر فرفعوا إليه وقد فتح خيبر، وكلم أصحابه أن يدخلوهم في سُهمانهم ففعلوا كما تقدم (٦٠١) ومنه يعلم أن الأولى تقديم البعث على وادي القرى، لكنّ العطف بالواو سهّل الأمر في ذلك ووقعت بين وادي القرى وعمرة القضا سرايا:

منها سرية عمر رضي الله عنه إلى تربة وادٍ، في شعبان في ثلاثين رجلاً، فخرج يكمن بالنهار ويسير بالليل، فأتى الخبر إلى هوازن فهربوا وجاء عمر إلى محالهم فلم يلق أحداً فرجعوا (٦٠٢).

ثم سرية أبي بكر رضي الله عنه إلى بني كلاب بناحية ضرية موضع بين مكة والبصرة في شعبان، ويقال إلى فزارة فسبى منهم جماعة وقتل آخرين، وفي صحيح مسلم فزارة وهو الصحيح (٦٠٣).

ثم سرية بشير بن سعد الأنصاري إلى بني مرّة في شعبان في ثلاثين رجلاً فقتلوا، وقاتل بشر حتى ارتث من المعركة وأخبر بموته ثم قدم عليه ﷺ بمدّة (٦٠٤).

ثم سرية غالب بن عبدالله الليثي إلى الميفعة بناحية نجد على ثمانية برد من المدينة في رمضان في مائتين وثلاثين رجلاً فهجموا عليهم فقتلوا من أشرف لهم واستاقوا نعماً وشاءً إلى المدينة (٦٠٥).

---

(٦٠١) رواه البخاري (٣١٣٦ و ٣٨٧٦ و ٤٢٣٠ و ٤٢٣٣).

(٦٠٢) أنظر زاد المعاد (٣/ ٣٥٩ - ٣٦٠) وشرح المواهب ٢/ ٢٤٩) والطبقات (٢/ ١١٧) والسيرة (٣/ ٤١٨) لابن كثير.

(٦٠٣) أنظر صحيح مسلم (١٧٥٥) ومسند أحمد (٤/ ٤٦) وسنن أبي داود (٢٦٩٧) والطبقات (٢/ ١١٧) وزاد المعاد (٣/ ٣٥٩) والسيرة (٣/ ٤١٧) لابن كثير.

(٦٠٤) في كل النسخ سرية بشر بن سعد والتصحيح من المراجع، أنظر الطبقات (٢/ ١١٨ - ١١٩) وزاد المعاد (٣/ ٣٦٠ - ٣٦١) والسيرة (٣/ ٤١٩ - ٤٢٠) لابن كثير.

(٦٠٥) أنظر الطبقات (٢/ ١١٩) وسيرة ابن هشام (٤/ ٢٨٢ - ٢٨٦) ومسند أحمد (٣/ =

ثم سرية بشير أيضاً إلى يمن وجبار بفتح الجيم وهي أرض لغطفان ويقال لفزارة في شوال في ثلاثمائة رجل لجمع تجمعوا للإغارة على المدينة، فلما ساروا إليهم هربوا وأصابوا نعماً كثيرة(٦٠٦).

وكان في القَعْدَةِ عُمْرَةُ القَضا   قَضَوا بها عُمْرَتَهُم عَمّا مَضى

(كان)[في]سنة سبع أيضاً في شهر ذي (القعدة عمرة) بضم العين لغة الزيادة وشرعاً نسك مخصوص (القضا) بالقصر وتسمى أيضاً عمرة القضية لأنه ﷺ قاضا أي صالح كفار قريش عليها كما مرّ في الحديبية، لا لأنها قضاء عن العمرة التي صُدَّ عنها لأنها لم تفسد حتى يجب قضاؤها، بل كانت تامةً لأنها انتهت بالتحلل منها ومن ثم عدّوها في عمره ﷺ الأربع كما يأتي، وقال جميع: سميت بذلك لأنه يجب قضاؤها وإليه أشار الناظم بقوله: (قضوا) أي أرادوا (بها) أي في ذي القعدة (عمرتهم) قضاءً (عما مضى) أي من عمرتهم التي ماتت عنهم في الحديبية، قالوا: وإنما عدوا عمرة الحديبية في العمر الأربع لثبوت الأجر فيها، لا لأنها كملت ومبنى الخلاف [الخلاف الاختلاف] في وجوب القضاء على من أحرم بالعمرة فصدّ عن البيت، فالجمهور يجب عليه الهدي ولا قضاء عليه وعن أبي حنيفة رضي الله عنه عكسه، وعن أحمد رحمه الله تعالى رواية: أنه لا يلزم هدي ولا قضاء، وأخرى يلزمه القضاء والهدي.

[فائدة] مذهب الشافعي وأحمد رضي الله عنهما: أن العمرة واجبة كالحج، والمشهور عند المالكية أنها تطوع، وهو قول الحنفية ذكره القسطلاني(٦٠٧)، خرج ﷺ إلى تلك العمرة [في] هلال ذي القعدة وأمر: أن لا يتخلف أحد ممن شهد الحديبية فخرجوا هم وغيرهم فكانوا ألفين، وساق ستين بدنةً وحمل السلاح

= ٤٦٧ - ٤٦٨) وسنن أبي داود (٢٦٧٨) ومعجم الطبراني الكبير (١٧٢٦).

(٦٠٦) أنظر الطبقات (٢/ ١٢٠).

(٦٠٧) أنظر الفتح (٧/ ٥٠٠).

والبيض والدروع والرماح، وقاد مائة فرس، فلما انتهى إلى ذي الخليفة، قدم الخيل أمامه، وعليها محمد بن مسلمة، والسلاح وعليه بشير بن سعد، وأحرم ﷺ ولبّى ولبّى معه المسلمون، ولما وصل محمد بن مسلمة مرّ الظهران وجد بها نفراً من قريش فأخبرهم أن هذا رسول الله ﷺ يصبح غداً في هذا المنزل إن شاءالله تعالى فأتوا قريشاً فأخبروهم ففزعوا، ونزل ﷺ بمرّ الظهران، وقدم السلاح الى بطن يأجج كيسمع ويضرب [فوضع] بمكة وخرجت قريش من مكة إلى رؤوس الجبال خوفاً، ولما قرب ﷺ من مكة قدّم الهدي أمامه وهو على راحلته القصواء، والمسلمون متوشحون بالسيوف محدقون برسول الله ﷺ يلبون، فدخل من الثنية العليا المشرفة على الحجون، وعبدالله بن رواحة آخذ بزمام راحلته، وهو يقول:

خلّو بني الكفار عن سبيله   اليوم نضربكم على تنزيله
ضرباً يزيل الهام عن مقيله   ويذهل الخليل عن خليله
يا ربّ إني مؤمن بقيله   إني رأيت الحق في قبوله

فقال له عمر رضي الله عنه: يا ابن رواحة تقول الشعر بين يدي رسول الله ﷺ ؟ فقال ﷺ : خلّ عنه يا عمر، فلهي أسرع فيهم من نضح النبل، ولم يزل ﷺ يلبي حتى استلم الركن بمحجن مضطجعاً بثوبه وطاف على راحلته وطاف المسلمون معه مضطبعين، ولما قال المشركون للمسلمين: وهنتهم حمّى يثرب فلم يبق فيهم قوة قتال، أمرهم ﷺ : أن يرحلوا الأشواط الثلاث الأول وأن يمشوا ما بين الصفا والمروة لِيُرِي المشركين قوتهم، فإنهم كانوا على قعيقيعان، ولم يأمرهم بالرمل في جميع الطوفات رفقاً بهم، ثم سعى ﷺ بين الصفا والمروة على راحلته، ثم عند فراغه، وقد وقف الهدي عند المروة، قال: هذا المنحر وكل فجاج مكة منحر، فنحر وحلق عند المروة، وكذلك المسلمون، وأقام ﷺ بمكة ثلاثاً، فلما أن مضى الثلاثة الأيام التي شرطوها في صلح الحديبية أنهم لا

يقيمون أكثر منها، قالوا لعلي كرم الله وجهه: قل لصاحبك أخرج عنا فقد مضى الأجل، فخرج ﷺ(٦٠٨)، وتزوج بميمونة في رجوعه بسرف، وهما حلالان كما قال أبو رافع السفير بينها وبين النبي ﷺ(٦٠٩)، وقول ابن أختها عبدالله بن عباس رضي الله عنهما: تزوجها محرماً قال ابن المسيب ذهول منه(٦١٠) وروى مسلم عنها: تزوجني رسول الله ﷺ ونحن حلالان بسرف(٦١١)، على أن من خصائصه النكاح محرماً في الأصح(٦١٢)، ثم بعد ذلك في صفر سنة ثمان قدم خالد بن الوليد وعثمان بن أبي طلحة وعمرو بن العاص وهؤلاء من أكابر قريش إلى المدينة فأسلموا(٦١٣)، وقال الحاكم: سنة سبع(٦١٤). وقيل: خمس، وفي ذي الحجة سنة سبع:

سرية ابن أبي عوجاء السلمي إلى بني سليم في خمسين رجلاً، فأحدق بهم الكفار من كل وجهٍ حتى قتل عامتهم بعد قتال شديد، وأصيب ابن أبي العوجاء جريحاً مع القتلى ثم تحامل حتى بلغ رسول الله ﷺ في أول صفر سنة ثمان(٦١٥) (وما كان في سنة ثمان) سنهْ بإسكان الهاء ثمان من الهجرة وقع في أولها سرايا كسرية غالب بن عبدالله الليثي إلى بني الملوح بالحاء المهملة بالكديد بفتح الكاف

---

(٦٠٨) أنظر الطبقات (٢/ ١٢١ - ١٢٣) وسيرة ابن هشام (٣/ ٤٢٤ - ٤٢٧) وزاد المعاد (٣/ ٣٧٠ - ٣٧٢) والفتح (٧/ ٥٠١ - ٥٠٢).

(٦٠٩) رواه احمد (٦/ ٣٩٢ و ٣٩٣) والترمذي (٨٤٣) والطبراني (٩١٥) وله شواهد ولذا حسنه الترمذي.

(٦١٠) رواه أبو داود (١٨٢٨).

(٦١١) رواه مسلم (١٤١١) وأبو داود (١٨٢٦) والترمذي (٨٤٧) وابن ماجه (١٩٦٤).

(٦١٢) أنظر الفتح (٩/ ١٦٥) لتعلم أن الصواب عدم الثبوت حتى يكون هناك اختصاص.

(٦١٣) أنظر السيرة (٣/ ٤٤٦ - ٤٥٣) لابن كثير.

(٦١٤) أنظر المستدرك (٣/ ٤٥٤).

(٦١٥) أنظر الطبقات (٢/ ١٢٣).

ماء بين الحرمين في صفر فرجع غانماً [٦١٦] وكسريته فيه أيضاً إلى مُصاب أصحاب بشر بن سعد بفدك في مائتي رجل فصبّحوهم وأصابوا نعماً كثيرة [٦١٧].

وكسرية شجاع بن وهب الأسدي في شهر ربيع الأول إلى بني عامر، فأصابوا نعماً وشاءً واستاقوها إلى المدينة [٦١٨].

وكسرية كعب بن عمير الغفاري إلى ذات أطلاح، وراء ذات القِرى في شهر ربيع الأول في خمسة عشر رجلاً، فلما ساروا إليهم وجدوهم جمعاً كثيراً، فقاتلوا أشد القتال حتى قُتِلوا إلاّ أميرهم وقع جريحاً، فلما برد عليه الليل تحامل حتى أتى رسول الله ﷺ فأخبره، فشق عليه وهمّ أن يبعث إليهم فبلغه أنهم تفرقوا فتركهم [٦١٩].

سَنَةْ ثَمانٍ كانَ غزو مُؤْتَةَ ثُمَّ حُنَيْنٍ بَعدَ فَتْحِ مَكَّةَ

(ثم كان) في جمادى الأولى (غزوة مؤتة) بضم الميم وسكون الواو في الأكثر، وجزم ثعلب والجوهري بالهمز، وأشبع التاء للوزن، وهي من أعمال البلقاء بالشام دون دمشق وذلك أن رسول الله ﷺ كان أرسل الحارث بن عمير الأزدي بكتاب إلى ملك بصرى، فلما نزل مؤتة عرض له شرحبيل بن عمرو الغساني فقتله، ولم يُقتَل رسول له ﷺ غيره، فأمّر على السرية زيد بن حارثة وهم ثلاثة آلاف وقال: إن قتل زيد فأميركم جعفر بن أبي طالب فإن قتل فعبدالله بن رواحة فإن قتل فليرض المسلمون برجل من بينهم، وفي رواية أحمد والنسائي

---

(٦١٦) رواه ابن سعد في الطبقات (٢/ ١٢٤ ـ ١٢٥) وأحمد (٣/ ٤٦٧ ـ ٤٦٨) وأبو داود (٢٦٧٨) وانظر سيرة ابن هشام (٤/ ٢٨٢ ـ ٢٨٦).

(٦١٧) أنظر الطبقات (٢/ ١٢٦).

(٦١٨) أنظر الطبقات (٢/ ١٢٧) والسيرة (٣/ ٤٥٣ ـ ٤٥٤) لابن كثير.

(٦١٩) أنظر الطبقات (٢/ ١٢٧ ـ ١٢٨).

بإسناد صحيح: إن قتل زيد فأميركم جعفر، صح الحديث، قالوا: وعقد لهم لواء أبيض ودفعه إلى زيد، وأوصاهم أن يأتوا مقتل الحارث بن عمير وأن يدعوا من هناك إلى الإسلام، فإن أجابوا وإلا استعينوا عليهم بالله وقاتلوهم، وخرج مشيعاً لهم حتى بلغ ثنية الوداع فوقف وودعهم، فلما ساروا نادى المسلمون دفع الله عنكم وردكم صالحين غانمين فقال ابن رواحة: لكنني أسأل الرحمن مغفرةً. وضربةً ذات فرغ تقذف الزَّبدا، فلما فصلوا من المدينة سمع العدو بمسيرهم، وقام فيهم شرحبيل بن عمرو فجمع أكثر من مائة ألف وقدم الطلائع أمامه، وقد نزل المسلمون معان بفتح الميم موضع من أرض الشام وبلغهم كثرة العدو وأن هرقل قد نزل بالبلقاء في مائة ألف من المشركين، فأقاموا لَيْلَتَيْنِ لينظروا في أمرهم، وقالوا: نكتب إلى رسول الله ﷺ بخَبَرهم، فشجعهم عبدالله بن رواحة على القتال فمضوا إلى مؤتة، فوافاهم المشركون بما لا قبل لأحد به من العدد والعُدد، والتقى الجمعان: المسلمون والمشركون فقاتل الأمراء يومئذ على أرجلهم، فأخذ اللواء زيد بن حارثة حتى قُتل طعناً بالرماح، ثم أخذه جعفر فنزل عن فرسه الشقراء، وفي رواية فعقرها وقاتل حتى قُتِلَ ضربه رجل من الروم فقدَّهُ نصفين، فوجد في أحد نصفيه بضعةٌ وثمانون جرحاً، وفيما أقبل من بدنه إثنان وسبعون ضربة سيف وطعنةً برمح، وفي رواية البخاري: ووجدنا ما في جسده بضعاً وتسعين من طعنة ورمية[٦٢٠]، قالوا: ثم أخذ اللواء ابن رواحة فقاتل حتى قُتِل فأخذ اللواء ابن أقرم العجلاني إلى أن اصطلح الناس على خالد ابن الوليد، فأخذ اللواء وانكشف الناس، فكانت الهزيمة فتبعهم المشركون فقتل من قتل من المسلمين[٦٢١].

(٦٢٠) رواه البخاري (٤٢٦١) هذا لفظ البخاري وفي رواية (٤٢٦٠) خمسين بين طعنة وضربة. وما في نسخة.

(٦٢١) أنظر الطبقات (٢/ ١٢٨ - ١٢٩) والسيرة لابن هشام ٣/ ٤٢٧ - ٤٤٧) والسيرة لابن كثير (٣/ ٤٥٥ - ٤٨٠) وزاد المعاد (٣/ ٣٨١ - ٣٨٦) والفتح (٧/ ٥١٠ - ٥١٧).

وقال الحاكم: قاتلهم خالد بن الوليد فقتل منهم مقتلة عظيمة وأصاب غنيمة (٦٢٢).

وقال ابن إسحاق: انحازت كل طائفة من غير هزيمة، ورفعت الأرض يومئذ لرسول الله ﷺ حتى نظر إلى معركة القوم، وقطعت في تلك المعركة [يد] يدا جعفر جميعاً ثم قتل فقال ﷺ: إن الله أبدله بيديه جناحين يطير بهما في الجنة حيث شاء أخرجه أبو عمرو (٦٢٣) وفي البخاري عن عائشة رضي الله عنها: لما جاء قتل ابن رواحة وابن حارثة وجعفر بن أبي طالب جلس ﷺ يُعرَف منه الحزن، الحديث، (٦٢٤)، وأخرج الطبراني بإسناد حسن عن عبدالله بن جعفر قال: قال لي رسول الله ﷺ: هنيئاً لك أبوك يطير مع الملائكة في السماء (٦٢٥)، وعن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: مرّ بي جعفر الليلة في ملأ من الملائكة، وهو مخضب الجناحين بالدم أخرجه الترمذي والحاكم بإسناد على شرط مسلم (٦٢٦)، وفي رواية الطبراني عن ابن عباس رضي الله عنهما مرفوعاً: إن جعفراً يطير مع جبرائيل وميكائيل له جناحان عوّضه الله تعالى عن يديه، وإسناده جيد (٦٢٧)، فقد عوضه الله تعالى عن قطع يديه في تلك الوقعة، حيث أخذ اللواء بيمينه فقطعت ثم بشماله فقطعت ثم احتضنه فقتل قال السهيلي لم يرد بالجناحين ما يتبادر كجناح الطائر وريشه لأن الصورة الآدمية أشرف الصور بل صفةٌ ملكية وقوة روحانية أعطيها جعفر، وقد عبر القرآن عن العضو بالجناح مجازاً في

---

(٦٢٢) لم أره عند الحاكم.

(٦٢٣) ذكره أبو عمرو بن عبد البر في الاستيعاب عن الزبير (١/ ٢٤٢).

(٦٢٤) رواه البخاري (٤٢٦٣).

(٦٢٥) رواه الطبراني في الكبير (ص ٢٨ من قطعة عندي بخط يدي) وحسنه الحافظ في الفتح (٧/ ٧٦).

(٦٢٦) لم يروه الترمذي بهذا اللفظ وإنما هو عند الحاكم (٣/ ٢١٢) وصححه على شرط مسلم ووافقه الذهبي والحافظ في الفتح (٧/ ٧٦).

(٦٢٧) رواه الحاكم (٣/ ٢٠٩ - ٢١٠) وانظر الفتح (٧/ ٧٦).

﴿واضمم يدك إلى جناحك﴾ وقال العلماء: في أجنحة الملائكة أنها صفات ملكية لا تفهم إلا بالمعاينة، فقد ثبت أن لجبريل ستمائة جناح ولا يعهد للطير ثلاثة فضلاً عن أكثر، وإذا لم يثبت خبر في بيان كيفيتها فنؤمن بها من غير بحث عن حقيقتها انتهى.

قال الحافظ ابن حجر: وما جزم به ممنوع، وما حكاه عن العلماء لا يدل صريحاً لما ادّعاه ولا مانع من الحمل على الظاهر إلا من جهة ما ذكره من المعهود، وهو قياس الغائب على الشاهد وهو ضعيف، وكون صورته أشرف لا يمنع الحمل على الظاهر لأن الصورة باقية، وقد روى البيهقي في الدلائل من مرسل عاصم بن عمر بن قتادة أن جناحي جعفر من ياقوت، وجاء في جناحي جبرائيل أنهما من لؤلؤ أخرجه ابن منده في ترجمة ورقة،(٦٢٨). وذكر موسى بن عقبة أن يعلى بن أمية قدم يخبر أهل مؤتة فقال له، ﷺ: إن شئتَ فأخبرني، وإن شئتَ أخبرتك، قال: أخبرني فأخبره خبرهم، فقال والذي نفسي بيده والذي بعثك بالحق ما تركت من حديثهم حرفاً،(٦٢٩) وفي رواية عند الطبراني: أن أبا عامر الأشعري هو الذي أخبره ﷺ بمصابهم،(٦٣٠) ثم في جمادى الآخرة سرية عمرو بن العاص إلى ذات السلاسل على عشرة أيام من المدينة، سميت به لارتباط المشركين بعضهم ببعض لئلا يفرّوا، وقيل لأن بها ماء يقال له السلسل(٦٣١).

سببها: أنه بلغهم أن جمعاً من قضاعة تجمعوا للإغارة، فلما بلغهم المسلمون هربوا وتفرقوا.

---

(٦٢٨) أنظر الفتح (٧/ ٥١٥ ـ ٥١٦).

(٦٢٩) أنظر الفتح (٧/ ٥١٣).

(٦٣٠) رواه الطبراني (ج ٢٠ رقم ٣٧٨) وفي إسناده ثابت بن دينار أبو حمزة وهو ضعيف.

(٦٣١) أنظر الطبقات (٢/ ١٣١) والسيرة (٣/ ٥١٦ ـ ٥٢١) لابن كثير.

ثم سرية أبي [عبيدة] العبيدة بن الجراح، وسماها البخاري: غزوة سيف البحر[٦٣٢] وتعرف بسرية الخبط بعثه في ثلاثمائة كما في الصحيحين إلى عير لقريش كما في مسلم، وعنده أيضاً إلى أرض جهينة[٦٣٤]، وفي كتب السير إلى حيّ من جهينة بالقبلية[٦٣٥] بفتح القاف والموحدة مما يلي ساحل البحر على خمس ليال من المدينة، ولعل البعث لمقصدين وصدُ عير قريش ومحاربة حيّ من جهينة كما في المواهب، قالوا: وكانت في رجب بعد نقض قريش العهد وقبل الفتح، ولم يعرف لهم قتال، وزودهم ﷺ جراباً من التمر، فلما فني أكلوا الخبط بفتح المعجمة والموحدة بعدها مهملة ورق السَلَم[٦٣٦].

ثم سرية أبي قتادة بن ربعي الأنصاري ،في شعبان إلى خضرة، وهي أرض محارب بنجد في خمسة عشر رجلاً إلى غطفان فأصابوا منهم قتلى وسبياً ونعماً، فكانت الإبل مائتي بعير والغنم ألفي شاة[٦٣٧].

ثم سرية أبي قتادة أيضاً إلى بطن إضم على ثلاث برد من المدينة في أول رمضان في ثمانية نفر، وذلك حين همّ ﷺ أن يغزو أهل مكة ليظن أنه توجه إلى تلك الناحية، فلقوا عامر بن الأضبط، فسلم عليهم بتحية الإسلام فقتله مِحلَمُ بن حثامة فنزلت: ﴿ولا تقولوا لمن ألقى إليكم السلام لست مؤمناً﴾ الآية. رواه الإمام أحمد[٦٣٨] وعند ابن جرير من حديث ابن عمر نحوه وزاد فجاء مِحلَم بن جثامة في بردين فجلس بين يديه ﷺ ليستغفر له فقال ﷺ:

(٦٣٢) أنظر الفتح (٨/٧٧).

(٦٣٣) رواه البخاري (٢٤٨٣ و ٢٩٨٣ و ٤٣٦٠ و ٤٣٦١ و ٤٣٦٢ و ٥٤٩٣ و ٥٤٩٤) ومسلم (١٩٣٥) وغيرهما.

(٦٣٤) رواه مسلم (١٩٣٥).

(٦٣٥) أنظر الطبقات (٢/ ١٣٢).

(٦٣٦) أنظر السيرة (٣/ ٥٢١ - ٥٢٣).

(٦٣٧) أنظر الطبقات (٢/ ١٣٢ - ١٣٣).

(٦٣٨) رواه أحمد (٦/ ١١) وابن جرير في تفسيره (١٠٢١٢).

لا غفر الله لك فقام وهو يتلقى دموعه ببرديه فما مضت له سابعة حتى مات فلفظته الأرض، وعند غيره ثم عادوا به فلفظته الأرض فلما غلب قومه عمدوا إلى صدّين فسطحوه ثم رضموا عليه الحجارة حتى واروه.

وفي رواية ابن جرير فذكر ذلك لرسول الله ﷺ فقال: إن الأرض تقبل من هو شر من صاحبكم ولكن الله يريد أن يعظكم(٦٣٩) كما [كذا] في المواهب.

وقيل: إن الآية نزلت في أسامة بن زيد قتل في سرية من قال: لا إله إلا الله على ظن أنه متعوِّذ فبان خطأ اجتهاده(٦٤٠) (ثم) كان في سادس شوال خروجه ﷺ في اثني عشر ألفاً، عشرة آلاف من أهل المدينة وألفان ممن أسلم بمكة إلى غزوة هوازن وثقيف (في حنين) بالتصغير وادٍ وماء قريب من ذي المجاز على ثلاث ليال من مكة قريب من الطائف وذلك (بعد فتح مكة) زادها الله شرفاً وهو الفتح الأعظم الذي أعزّ الله به المسلمين ودينه ورسوله وحبذه وحرمه الأمين واستنقذ به بلده وبيته الذي جعله هدىً للعالمين من أيدي الكفار والمشركين، وهو الفتح الذي استبشر به أهل السماء وضربت أطناب عزّه على مناكب الجوزاء ودخل الناس به في دين الله أفواجاً وأشرق به وجه الدهر ضياءً وابتهاجاً(٦٤١)، خرج رسول الله ﷺ إليها في رمضان بكتائب الإسلام وجنود الرحمن لنقض قريش عهدهم الواقع في صلح الحديبية، وهو لا يمنع أحداً من الدخول في عقد إحدى الفئتين، فدخلت بنو بكر في عقد قريش وعهدهم، ودخلت خزاعة في عقد رسول الله ﷺ، وكان بين بني بكر وخزاعة عداوة وحروب في الجاهلية فبيت بعض بني بكر خزاعة وهم على ماء لهم فقتلوا رجلاً من خزاعة فاستيقظت

---

(٦٣٩) رواه ابن جرير في تفسيره (١٠٢١١).

(٦٤٠) رواه ابن جرير (١٠٢٢١) من قول السدي.

(٦٤١) أنظر زاد المعاد (٣/ ٣٩٤ ـ ٤١٥) وسيرة ابن هشام (٤/ ٣ ـ ٦٥) والطبقات (٢/ ١٣٤ ـ ١٤٩) والسيرة (٣/ ٥٢٦ ـ ٥٩٠) لابن كثير والفتح (٨ / ٣ ـ ٤١).

لهم خزاعة فاقتتلوا إلى أن دخلوا الحرم فأمدت قريش بني بكر بالسلاح وقاتل بعضهم معهم ليلاً في خفية فجاء ركب من خزاعة إلى المدينة فأخبروا رسول الله ﷺ بما أصابهم، واستنصروه فقام ﷺ وهو يجر رداءه، وهو يقول لا نُصِرت إن لم أنصركم بما أنصرُ به نفسي، وجاء في رواية الطبراني: أنه ﷺ أعلم بما وقع لخزاعة قبل أن يأتوا، فأمر ﷺ عائشة رضي الله عنها: أن تجهزه سِراً، فدخل عليها أبو بكر وقال ما هذا الجهاز؟ قالت والله ما أدري قالت فأقمنا ثلاثاً، ثم صلى الصبح بالناس فسمعت الرجز ينشده:

يا رب إني ناشدٌ محمداً حلف أبينا وأبيه الأتلدا
إن قريشاً أخلفوك الموعدا ونقضوا ميثاقك المؤكدا
وزعموا أن لست تدعو أحداً فانصر هداك الله نصراً أبداً

وادع عباد الله يأتوا مددا الأبيات.

فقال ﷺ نصرت يا عمرو بن سالم(٦٤٢). وهو الراجز، فكان ذلك سبباً لفتح [فتح] مكة، وكان قدم أبو سفيان بن حرب على رسول الله ﷺ يسأله أن يجدد العهد ويزيد في المدة فأبى عليه، فانصرف إلى مكة، وعند تجهيزه ﷺ سِراً أرسل حاطب بن أبي بلتعة كتاباً إلى أهل مكة يخبرهم بذلك، فأطلع الله تعالى نبيه ﷺ، فأمر علياً والزبير والمقداد رضي الله عنهم أن يأتوا ظعينة هو معها بمحل كذا فأتوه فوجدوها وسألوها الكتاب، فأنكرت فشدّدوا عليها حتى أخرجته من عقاصها، فجاءوا به فإذا فيه: من حاطب بن أبي بلتعة إلى ناس من المشركين بمكة يخبرهم ببعض أمر رسول الله ﷺ.

وفي رواية أما بعد: يا معشر قريش فإن رسول الله ﷺ جاءكم بجيش يسير

---

(٦٤٢) رواه الطبراني في المعجم الكبير (ج٢٣ رقم ١٠٥٢) والصغير (٧٣/٢ - ٧٥) من حديث ميمونة وفي إسناده يحيى بن سليمان بن نضلة وهو ضعيف. وفي الأصل ميثاقك المقلدا وهو خطأ.

كالسيل فوالله لو جاءكم وحده لنصره الله وأنجز له ما وعده فانظروا لأنفسكم، وفي رواية أن رسول الله ﷺ أذن في الناس بالغزو ولا أراه يريد غيركم، وقد أحببت أن يكون لي عندكم يد والسلام (٦٤٣).

فقال له رسول الله ﷺ: يا حاطب ما هذا؟ فاعتذر بأنه حليف لقريش قبل الإسلام، وليس منهم وأراد أن يتخذ عندهم يداً يحمي بها أهله بخلاف بقية المهاجرين فإن لهم قرابات تحمي أهلهم ومالهم، وقال: إني لم أفعل ذلك ردةً ولا رضاً بالكفر فقال ﷺ: أما إنه قد صدقكم فقال عمر رضي الله عنه لشدة ما عنده من الدين وبغض المنافقين وظناً أنه استحق بذلك القتل وإن كان صادقاً فيما قاله: يا رسول الله دعني أضرب عنق هذا المنافق فقال ﷺ: إنه قد شهد بدراً وما يدريك لعل الله اطلع على أهل بدر فقال اعملوا ما شئتم فقد غفرت لكم رواه البخاري (٦٤٤).

وفي رواية عند الطبراني فإني غافر لكم (٦٤٥)، ثم بعث ﷺ إلى مَن حوله من قبائل العرب فجلبهم فمنهم من وافاه بالمدينة فكملوا فيها عشرة آلاف، ومنهم من وافاه في الطريق فصاروا اثني عشر ألفاً واستخلف ابن أم مكتوم وقيل أبارهم الغفاري، واختلف في تعيين يوم خروجه ويوم دخوله مكة، والأصح أنه خرج ثاني رمضان ودخل سادس عشره، ولما بلغ ﷺ قديداً عقد الألوية والرايات ودفعها إلى القبائل، ولما بلغ الكديد وهو بفتح الكاف الماء الذي بين قديد وعسفان ولعله المسمى الآن بخليص أفطر، فلم يزل مفطراً حتى انسلخ

---

(٦٤٣) أنظر السيرة (٣/٥٣٧) لابن كثير.

(٦٤٤) رواه البخاري (٣٠٠٧ و ٣٠٨١ و ٣٩٨٣ و ٤٢٧٤ و ٤٨٩٠ و ٦٢٥٩ و ٦٩٣٩) ومسلم (٢٤٩٤) وغيرهما.

(٦٤٥) رواه الطبراني في الكبير (٣٠٦٦) والأوسط والحاكم (٣/ ٣٠١ - ٣٠٢) ورجال الطبراني في المعجمين ثقات كما قال الحافظ الهيثمي في المجمع (٩/ ٣٠٤).

الشهر رواه البخاري (٦٤٦)، وفي أخرى له أفطر وأفطروا، وكان العباس مقيماً بمكة على سقايته برضى رسول الله ﷺ، فهاجر إليه بأهله وعياله فلقيه بالجحفة ولقيه أيضاً في الطريق بالأبواء أبو سفيان بن الحارث ابن عمه ﷺ وأخوه من الرضاعة ومعه ابنه جعفر، وكان أبو سفيان أليف رسول الله ﷺ، فلما بعث ﷺ عاداه وهجاه، وأسلم مع ابنه قبل دخول مكة، وقيل بل لقيه هو وعبدالله ابن أمية بن عمته عاتكة بين السقيا والعرج، فأعرض ﷺ عنهما لما لقي منهما من كثرة الأذى والهجو فقالت له أم سلمة: لا يكن ابن عمك وابن عمتك أشقى الناس بك وحكي أن علياً قال لأبي سفيان حين أعرض ﷺ عنه: إيت رسول ﷺ من قِبَل وجهه فقل له: ما قال إخوة يوسف ليوسف: تالله لقد آثرك الله علينا وإن كنا لخاطئين ففعل، فقال له ﷺ: لا تثريب عليكم اليوم يغفر الله لكم وهو أرحم الراحمين (٦٤٧)، ويقال إِنَّهُ مُنْذُ أسلم ما رفع رأسه إليه ﷺ حياءً منه، ثم سار فنزل مرّ الظهران عشاءً فأمرهم فأوقدوا عشرة آلاف نار، وكانت قريش أرسلوا أبا سفيان بن حرب ليأخذ لهم أماناً من النبي ﷺ، فخرج هو وحكيم بن حزام وبديل بن ورقاء فلما أتوا مرّ الظهران ورأوا العسكر فزعوا، فقال أبو سفيان: ما هذه النيران؟ كأنها نيران عرفة، فقال بديل: نيران بني عمرو، فقال أبو سفيان: نيران بني عمرو أقل من ذلك، فأدركهم ناس من حَرَّسَه ﷺ فأخذوهم، فأتوا بهم إليه ﷺ، فأسلم أبو سفيان، فلما ساروا قال ﷺ للعباس: أوقِفْ أبا سفيان حتى ينظر إلى قبائل المسلمين، فمرّ به قبيلة فقال: يا عباس من هذه؟ قال: غفار، فقال: ما لي ولغفار، ثم مرت به جهينة فقال مثل ذلك وهكذا حتى أقبلت كتيبة لم يُرَ مثلها، قال: من هذه؟ قال: هؤلاء الأنصار عليهم سعد بن عبادة معه الراية، فقال سعد: يا أبا سفيان: اليوم يوم الملحمة

---

(٦٤٦) رواه البخاري (١٩٤٤ و ١٩٤٨ و ٢٩٥٣ و ٤٢٧٥ و ٤٢٧٦ و ٤٢٧٧ و ٤٢٧٨ و ٤٢٧٩).

(٦٤٧) أنظر زاد المعاد (٣/ ٤٠٠).

أي القتل، اليوم تستحل الكعبة وفي رواية الحرمة، فقال أبو سفيان: يا عباس حبذا اليوم الزمار بكسر المعجمة أي الهلاك والحرب، تمنّى أن يكون له قوة يحمي بها قومه أو ترفّق إلى سعد أن يحميه، وبلغ رسول الله ﷺ كلمة سعد فأم علياً أن يأخذ الراية منه خوفاً من أن يكون له في قريش صولة، وروي أن أبا سفيان لما حاذى رسول الله ﷺ قال له: أُمِرتَ بقتل قومك؟ قال: لا، فذكر له كلام سعد، ثم ناشده الله والرحم فقال: يا أبا سفيان اليوم يوم المرحمة يعز الله فيه قريشاً، ثم دفعت الراية لقيس بن سعد، وفي رواية قال: كذب سعد، ولكن هذا يوم سيعظم الله فيه الكعبة ويوم تكسو فيه الكعبة، وروى ابن عساكر أن سبب أخذ الراية منه أن امرأةً من قريش لما سمعت مقالة سعد عارضت النبي ﷺ، فقالت: يا نبي الله [الهدى]: إليك لجائي في قريش ولات حين لجائي، حين ضاقت عليهم الأرض وعاداهم إله السماء، إنّ سعداً يريد قاصمة الظهر بأهل الحجون والبطحاء، فلما سمع ﷺ شعرها هذا، دخلته رأفة لهم ورحمة فأمر بالراية، وأخذت من سعد ودفعت لولده قيس كما تقرر.

وقيل للزبير فدخل مكة بلوائين أي لأنه كان حامل راية الكتيبة الذين فيهم رسول الله ﷺ وهم المهاجرون كما في البخاري[٦٤٨]، ثم أمر ﷺ الزبير أن ينصب رايته بالحجون، ولا يبرح حتى يأتيه ليدخل ﷺ من أعلى مكة، فدخل من أعلاها مردفاً أسامة، ودخل خالد بن الوليد ومن معه من القبائل من أسفلها هذا هو المحفوظ، وعكسه مردود مخالف للأحاديث الصحيحة كما قال الحافظ ابن حجر[٦٤٩]، وأمرهم ﷺ أن يكفّوا أيديهم، ولا يقاتلوا إلا من قاتلهم وقاتلت قبائل استنصرت بهم قريش خالداً، فأكثر هو وأصحابه القتل فيهم، فانهزموا حين انتهى بهم القتل إلى باب المسجد، ودخلوا الدور، ورأى ﷺ بارقة السيوف، فقال: ما هذا؟ لقد نهيت عن القتال، فقالوا: نظن أنّ خالداً

(٦٤٨) رواه البخاري (٤٢٨٠).

(٦٤٩) أنظر الفتح (٤٣٧/٣).

أبدىء بالقتال فقاتلهم، ولما اطمأنّ خالد قال له ﷺ لم قاتلت؟ وقد نهيتك عن القتال، فقال: هم بدأونا بالقتال، وقد كففت عنهم ما استطعت فقال: قضاء الله خير، وعند ابن إسحاق أنه ﷺ: لما نزل مرّ الظهران رقّت نفس العباس لأهل مكة، فخرج ليلاً راكباً بغلة رسول الله ﷺ لكي يجد أحداً فيُعلِمَ أهل مكة بمجيئه ﷺ ليأتوا إليه ويستأمنوه، فلقي أبا سفيان وحكيم بن حزام وبديل بن ورقاء، فأردف أبا سفيان خلفه، وأتى به النبي ﷺ، وانصرف الآخر ليعلما أهل مكة، وفي المواهب: يمكن الجمع بين هذا وما مرّ بأن الحرّس لما أخذوه استنقذه العباس رضي الله عنه، وروي أنّ عمر رضي الله عنه: لما رأى أبا سفيان رديف العباس دخل على النبي ﷺ فقال: يا رسول الله دعني أضرب عنقه، فقال له العباس: إني قد أجرته، فقال ﷺ: يا عباس اذهب به إلى رحلك، فإذا أصبحت فأتني به ففعل، فقال [له] ﷺ يا أبا سفيان ويحك ألم يأن لك أن تعلم أن لا إله إلا الله، فقال بأبي أنت وأمي ما أحلمك وأكرمك وأوصلك قال: ويحك يا أبا سفيان ألم يأن لك أن تعلم أني رسول الله، قال بأبي أنت وأمي ما أحلمك وأكرمك وأوصلك أما هذه؟ أي كلمة الشهادة، ففي النفس منها شيء، فقال له العباس: ويحك أسلم قبل أن يضرب عنقك فأسلم، فقال العباس يا رسول الله إن أبا سفيان رجل يحب الفخر فاجعل له شيئاً، قال: نعم وأمر ﷺ مناديه: من دخل المسجد فهو آمن، ومن دخل دار أبي سفيان فهو آمن، ومن أغلق بابه فهو آمن، إلاّ المستَثْنَيْنَ.

وذكر الواقدي عن شيوخه أن من استثني عشرة أنفس ستة رجال وأربعة نساء فأمر بقتلهم، وإن كانوا معلقين بأستار الكعبة لعظم جنايتهم وهجوهم، فقتلوا إلاّ من أسلم منهم كعكرمة بن أبي جهل، وعبدالله بن [سعد] أسعد بن أبي سرح، وكعب بن زهير وصح في مسلم وغيره (٦٥٠): أنه ﷺ قال لأبي هريرة: اهتف لي بالأنصار فهتف بهم، فجاؤوا، فأطافوا به، فقال لهم: ألا

---

(٦٥٠) رواه مسلم (١٧٦٠) وأبو داود (٣٠٢٤).

ترون إلى أوباش قريش وأتباعهم ثم قال بإحدى يديه على الأرض [الأخرف] احصدوهم حصداً حتى توافوني بالصفا، قال أبو هريرة: فانطلقنا، فما نشاء أن نقتل واحداً منهم إلا قتلناه، فجاء أبو سفيان فقال: يا رسول الله: أبيحت خضراء قريش لا قريش بعد اليوم، فقال ﷺ: من أغلق بابه فهو آمن، وقد تمسك الأكثرون بهذا في قولهم: إن مكة فتحت عَنوةً، وقال الشافعي رضي الله عنه: إنها فتحت صلحاً، والأدلة مبسوطة في محلها، ولما دخل ﷺ مكة في كتيبته الخضراء وهو على ناقته القصواء بين أبي بكر وأسيد بن حضير. رأى أبو سفيان ما لا قبل له به، فقال للعباس: يا أبا الفضل لقد أصبح ملك ابن أخيك ملكاً عظيماً، فقال له: ويحك إنه ليس بملك، إنها نبوة، فقال: نعم وروى أنه ﷺ طأطأ رأسه حين دخولها حتى كاد يمس رحله (٦٥١) تواضعاً وشكراً لله لما أكرمه به من أن أحَلّ له بلده وبوأه منه ومن أهله ولم يحلّه لأحدقبله ولا لأحد بعده، وكان على رأسه الشريف حينئذ المغفر بكسر فسكون المعجمة ففتح الفاء أي فضلة من الدرع يعمل على قدر الرأس كالقلنسوة وعلى المغفر أو تحته وقاية لرأسه عمامة سوداء ولم يكن يومئذ مِحرماً كما في مسلم وغيره (٦٥٢). وقيل: كان على رأسه أولاً المغفر ثم نحاه وتعمم لخطبة الناس على باب الكعبة، واستمر ﷺ على راحلته حتى أناخها بفناء الكعبة، فطلب المفتاح من عثمان بن طلحة، فذهب ليأتي به فأبت أمه سلافة بضم المهملة وتخفيف الفاء فخوفها بقتله ﷺ له إن لم يأت به فأعطته إياه فجاء به فدفعه إليه ﷺ ففتح الباب رواه مسلم (٦٥٣).

وعثمان هذا لا ولد له ولا صحبة ورواية، والشيبيون الحجبة الآن بمكة إنما هم من نسل شيبة ابن عم عثمان المذكور كما جزم به القسطلاني وغيره.

---

(٦٥١) قال الحافظ في الفتح (٨/ ١٨) وقد روى الحاكم في الاكليل من طريق جعفر بن سليمان عن ثابت عن أنس قال: دخل رسول الله ﷺ مكة يوم الفتح وذقنه على رحله متخشعاً.

(٦٥٢) رواه مسلم (١٢٥٧).

(٦٥٣) رواه مسلم (١٣٢٩) والبخاري أيضاً.

روى ابن سعد أن عثمان بن طلحة قال كنا نفتح الكعبة في الجاهلية يوم الإثنين والخميس فأقبل ﷺ يريد الدخول مع الناس فأغلظت له ونلت منه فحلم عني، ثم قال يا عثمان لعلك سترى هذا المفتاح يوماً بيدي أضعه حيث شئت، قلت لقد هلكت قريش وذلت، فقال بل عمرت وعزت يومئذ ودخل فظننت أن الأمر سيصير إلى ما قال. فلما كان يوم الفتح أخذه مني ثم دفعه إليّ وقال: خذوها خالدةً تالدةً لا ينزعها منكم إلاّ ظالم، وكلوا مما يصل إليكم من هذا البيت، فلمّا ولّى ناداني وذكر لي قوله لي بمكة قبل الهجرة فأسلمت(٦٥٤)، وفي ثاني يوم الفتح قام ﷺ خطيباً في الناس فحمد الله وأثنى عليه بما هو أهله ثم قال: أيها الناس إنّ الله حرم مكةَ يوم خلق السموات والأرض، الحديث الصحيح المشهور ثم قال: يا معشر قريش ما ترون أني فاعل فيكم؟ قالوا أخ كريم وابن أخ كريم، قال: اذهبوا فأنتم الطلقاء أي الذين أطلقهم الله عن قيد الأسر والاسترقاق، ولما طاف ﷺ يوم الفتح وكان يوم جمعة [الجمعة] لعشر بقين من رمضان على خلاف فيه خطر لفضالة بن عمير بن الملوح أنه يقتله ﷺ طائفاً، فلما دنى منه قال: يا فضالة ما كنت تحدث به نفسك؟ قال: لا شيء كنتُ أذكر الله، فضحك ﷺ، ثم قال: أستغفر الله، ثم وضع يده على صدره فسكن قلبه، فكان يقول: والله ما رفع يده عن صدري حتى ما خلق الله تعالى شيئاً أحب إليَّ منه، وأشار ﷺ وهو طائف إلى الأصنام المعلقة [المتعلقة] بالكعبة، وكانت ثلاثة مائة وستين صنماً بعدد أيام السنة لقبائل من العرب يحجون إليها وينحرون لها، فكلما مرّ ﷺ بصنمٍ أشار إليه بقضيبه وهو يقول: جاء الحق وزهق الباطل إن الباطل كان زهوقاً، فيقع الصنم لوجهه كما رواه البيهقي وغيره وفي روايات أنها كانت مثبتةً بالحديد والرصاص(٦٥٥).

ولما صعد ﷺ الصفا يدعو رافعاً يديه خطر للأنصار أنه يقيم بعد الفتح

---

(٦٥٤) أنظر زاد المعاد (٣/ ٤٠٩).

(٦٥٥) أنظر السيرة (٣/ ٥٧٢) لابن كثير.

ببلده، فلما فرغ من الدعاء قال لهم: ماذا قلتم؟ قالوا لا شيء فلم يزل بهم حتى أخبروه فقال ﷺ: معاذ الله المحيا محياكم والممات مماتكم، وأقام ﷺ بمكة بضعة عشر يوماً يقصر الصلاة كما في روايات، وبعد خمسة أيام من الفتح أرسل ﷺ خالداً في ثلاثين رجلاً إلى العزى.. صنم بنخلة أعظم أصنام قريشٍ وبني كنانة فهدموها ثم جاءوا إليه ﷺ فقال لخالد: هل رأيت شيئاً؟ قال لا، قال فإنك لم تهدمها فارجع فرجع مجرداً سيفه، فخرجت إليه امرأة عجوز عريانة سوداء ثائرة الرأس فجعل السادن يصيح فيها فضربها خالد فجزلها باثنين [باثنتين] فرجع، فقال ﷺ نعم تلك العزى وقد أيست أن تعبد ببلادكم أبداً (٦٥٦)، ثم أرسل ﷺ عمرو بن العاص إلى سواع صنم [هذيل] لهذيل على ثلاثة أميال من مكة، فلما وصل إليه قال له سادنه: ما تريد؟ فقال أمرني رسول الله ﷺ أن أهدمه قال: لا تقدر على ذلك قال: لِمَ؟ قال: تمنع قال: ويحك هل يسمع أو يبصر؟ فدنى منه فكسره، ثم قال لسادن: كيف رأيت؟ قال: أسلمت لله تعالى (٦٥٧).

وفي سادس يوم الفتح أرسل ﷺ سعيد بن زيد إلى منات صنم للأوس والخزرج بالمشلل جبل يهبط منه إلى قُدَيد، فلما أقبل عليه في عشرين فارساً خرجت امرأة عريانة سوداء ثائرة الرأس تدعوه بالويل والثبور فقتلها، ثم هدم الصنم (٦٥٨)، ولما رجع خالدٌ رضي الله عنه من هدم العزى أرسله ﷺ في ثلاث مئة وخمسين رجلاً إلى بني جذيمةَ قبيلة من عبد القيس أسفل مكة على ليلةٍ بناحية يلملم في شوال ليدعوهم إلى الإسلام لا مُقاتلاً، فلما وصل إليهم قال: ما أنتم؟ قالوا صبأنا يريدون أسلمنا وفي البخاري (٦٥٩) لم يحسنوا أن يقولوا أسلمنا وصدّقنا بمحمدٍ ﷺ، فقالوا صبَأنا فاستأسرهم خالد وفرقهم في أصحابه، فلما

---

(٦٥٦) أنظر السيرة (٣/ ٥٩٧ - ٥٩٨) لابن كثير والطبقات (٢/ ١٤٥ - ١٤٦).

(٦٥٧) أنظر الطبقات (٢/١٤٦).

(٦٥٨) أنظر الطبقات (٢/ ١٤٦ - ١٤٧).

(٦٥٩) رواه البخاري (٤٣٣٩ و ٧١٨٩).

كان السحر نادى بقتلهم فقتل بنو سليم من في أيديهم وكف الأنصار والمهاجرون فأرسلوهم، فبلغ ذلك النبي ﷺ فقال: اللهم إني أبرء إليك مما فعل خالد (٦٦٠) أي لكونه لم يتثبت في قتلهم ولم يسألهم عن مرادهم بقولهم صَبَأنا، فلا ينافي ذلك أن خالداً رضي الله عنه كان مجتهداً، والمجتهد إذا أخطأ كان له أجر لأن الخطأ وإن كان منه صح أن يقول ﷺ فيه: اللهم إني أبرء إليك مما فعل إعلاماً بأن ما فعله لم يكن من أمره ﷺ ولا من إشارته، وإنما هو اجتهد فيه خالد ولم يصب، ثم بعث ﷺ علياً فودى لهم قتلاهم، ثم لما مهد ﷺ مكة وأسلم عامة أهلها اتفقت أشراف ثقيف وهوازن قبيلة حليمة السعدية على حربه ﷺ، فخرج إليهم ﷺ في اثني عشر ألفاً كما مرّ.

واستعمل على مكة أُسيد بن عتاب، وخرج معه ثمانون من المشركين منهم صفوان بن أمية وكان ﷺ قد استعار منهم مئة درعٍ فوصل ﷺ إلى حنين لعشر ليال خلونَ من شوال، فبعث رئيسهم مالك بن عوف قريباً من مئتي رجل يخبر عسكره ﷺ، فلما عرفوا الخبر تفرقت أوصالهم من الرعب، وجاء إليه ﷺ رجل بالطريق فقال: إني انطلقت إلى هوازن فإذا هم عن بكرة أبيهم بظعنهم ونعمهم اجتمعوا إلى حنين فتبسم ﷺ، وقال: تلك غنيمة المسلمين غداً إن شاء الله تعالى ولما رأى رجل كثرة المسلمين قال: لن نُغلَبَ اليوم من قلة، فشقّ ذلك على النبي ﷺ، لعلمه أنهم سيؤاخذون [يؤاخذون] بهذه الكلمة، ولما وصل إليهم لبس ﷺ درعين والمغفر والبيضة، وركب بغلته البيضاء دلدل، فاستقبلهم من هوازن ما لم يروا مثله قط من السواد والكثرة، وخرجت الكتائب من مضيق الوادي وذلك في غبش الصبح، فحملوا حملة واحدةً، فانهزم المسلمون، ولم يثبت معه ﷺ إلاّ عمه العباس والفضل ابنه وعليّ وأبو سفيان بن الحارث وأبو بكر وعمر وأسامة في أناس من أهل بيته وأصحابه، والعباس بن

(٦٦٠) أنظر الطبقات (٢/ ١٤٧ - ١٤٩) وسيرة ابن هشام (٤/ ٥٣ - ٥٦) والسيرة (٣/ ٥٩١ - ٥٩٣) وزاد المعاد (٣/ ٤١٥).

عبدالمطلب أخذ بلجام بغلته مخافة أن تصل إلى العدو به، وأبو سفيان بن الحارث أخذ بركابه وهو يقول:

أنا النبي لا كذب أنا ابن عبدالمطلب

ولم ينهزم ﷺ قط كما أجمعوا عليه بل اعتقاده يؤدي إلى الكفر كما سبق وجعل ﷺ يقول للعباس وكان جهوريّ الصوت يُسمَعُ صوته من ثمانية أميال: نادِ يا معشر الأنصار يا أصحاب السمرة، أي شجرة بيعة الرضوان التي بايعوه ﷺ تحتها: أن لا يفروا عنه، فلما سمعوا النداء رجعوا كأنهم الإبل أو البقر إذا حنت إلى أولادها، قائلين يا لبيك يا لبيك، ومن لم يطاوعه بعيره انحدر عنه ماشياً أو تركه، فأمرهم أن يصدقوا الحملة ففعلوا، فلما أشرف عليهم ونظر إلى قتلاهم، قال ﷺ: الآن حمي الوطيس وهو التنور، وتناول ﷺ حصيات من الأرض، ثم قال: شاهت الوجوه أي قبحت وتغيرت، فلم يبق أحد إلاّ امتلأت عيناه من تلك القبضة، وفي رواية لمسلم: قبضة من التراب (٦٦١)، ويمكن الجمع بأنه رمى بكل، وبأنها قبضة واحدة لكنها مخلوطة من حصًى وتراب، وفي رواية (٦٦٢): وسمعوا صلصلة من السماء شديدة مزعجةً، فولّوا منهزمين، وروى ابن جرير بسنده عن رجل كان مع المشركين أنه قال: لما لقيناهم لم يقوموا لنا حلب شاة فجعلنا نسوقهم حتى أتينا [انتهينا] إلى صاحب البغلة البيضاء فتلقّانا عنده ناس بيض الوجوه حسان، فقالوا لنا: شاهت الوجوه ارجعوا فانهزمنا وركبوا أكتافنا، وفي سيرة الدمياطي كان سيما الملائكة يومئذ عمائم حمراء أرخوها بين أكتافهم، وفي هذه وبدر قاتلت الملائكة بأنفسها، ورمى ﷺ وجوه

---

(٦٦١) في رواية لمسلم (١٧٧٥) ثم أخذ رسول الله حصيات فرمى بهن وجوه الكفار، وفي رواية (١٧٧٧) ثم قبض قبضة من تراب الخ.

(٦٦٢) أنظر الطبقات (٢/ ١٥٦).

(٦٦٣) رواه الترمذي (١٦٨٩) وقال: حسن صحيح غريب من حديث عبيدالله لا نعرفه إلا من هذا الوجه. وأما الحافظ فحسنه في الفتح (٨/ ٢٩).

المشركين بالحصباء فيها، وإنما ركب ﷺ في مثل هذا المحل البغلة مع أنها من مراكب الأمن إذ لا تصلح للكرّ ولا للفرّ، ليعلم أن الأمن والحرب عنده متساويان لباهر شجاعته التي لا منتهى لها، وقال ﷺ يومئذ: مَن قتل قتيلاً له عليه بينة فله سَلَبه، فاستلب أبو طلحة عشرين رجلاً واختلفوا في عدد من ثبت معه ﷺ يومئذ، نحو مائة عند الترمذي بإسناد حسن، اثني عشر في رواية ابن إسحاق، أربعة في رواية ابن أبي شيبة(٦٦٤)، عشرة في شعر العباس رضي الله عنه، واستشهد من المسلمين أربعة وفي رواية ابن أبي شيبة منهم أيمن بن أم أيمن وقتل من المشركين كثير وفرّ سائرهم فانتهى بعضهم إلى الطائف وبعضهم إلى نخلة وقوم منهم إلى أوطاس، وهو واد في ديار هوازن(٦٦٥)، ولما فرغ ﷺ من حنين، أرسل أبا عمر عمّ أبي موسى الأشعري في طلب مَن فرّ إلى أوطاس فوصل إليهم فإذا هم ممتنعون فقتل منهم تسعة إخوة مبارزة بعد أن يدعو كل واحد إلى الإسلام، ثم برز له العاشر فدعاه إلى الإسلام وقال: اللهم اشهد عليه، فقال: اللهم لا تشهد عليّ، فكفّ عنه أبو عامر فأفلَتَ ثم أسلم بعد فحسن إسلامه فكان ﷺ إذا رآه قال: هذا شريد أبي عامر، ثم رمى أبو عامر ابنا الحارث وهما العلا وأوفى فقتلاه، فخلفه أبو موسى الأشعري فقاتلهم حتى فتح الله عليه، وقتل قاتل أبي عامر، ولما رُمِيَ أبو عامر قال لأبي موسى كما في البخاري يا ابن أخي أقرىء رسول الله ﷺ السلام، وقل له يستغفر لي(٦٦٦)، فلما رجع أبو موسى ذكر له ذلك فتوضأ ثم رفع يديه حتى رُأي بياض إبطيه فقال: اللهم اجعله يوم القيامة فوق كثير من خلقك، فقال أبو موسى ولي يا رسول الله فقال: اللهم اغفر له ذنبه وأدخله يوم القيامة مدخلاً كريماً(٦٦٧)، ولما [رجع] خرج ﷺ من

(٦٦٤) رواه ابن أبي شيبة في المصنف (١٤/ ٥٢٦).

(٦٦٥) أنظر الطبقات (٢/ ١٤٩ - ١٥٧) وسيرة ابن هشام (٤/ ٦٥ - ٩٢) وزاد المعاد (٣/ ٤٦٥ - ٤٧٦) والسيرة (٣/ ٦١٠ - ٦٣٩) لابن كثير والفتح (٨/ ٢٧ - ٤١).

(٦٦٦) رواه البخاري (٤٣٢٣).

(٦٦٧) أنظر الفتح (٨/ ٤١ - ٤٣).

حنين، وكان قد أمر أن يجمع السبي والغنائم كلها إلى الجعرانة فكانت بها إلى أن انصرف من الطائف بلغه ﷺ : أنّ ثقيفاً لما انهزموا من أوطاس دخلوا حصونهم بالطائف بلدة كبيرة على مرحلتين أو ثلاث من مكة، وأغلقوه عليهم بعد أن أدخلوا[دخلوا] فيه ما يصلحهم لسنة، فسار ﷺ إليهم وعسكر قريباً من حصنهم، فرموا المسلمين بالنبل رمياً شديداً كأنه رِجل جراد، فجُرِحَ كثير من المسلمين وقل منهم اثني عشر رجلاً، فارتفع ﷺ إلى موضع مسجد الطائف اليوم، فضرب لأم سلمة قبة ولزينب أخرى، وكان يصلي بين القبتين مدة حصار الطائف وهي ثمانية عشر يوماً، ونصب عليهم المنجنيق، وهو أول منجنيق رُمي به في الإسلام، ثم أمر ﷺ بقطع أعنابهم وتحريقها فقطعها المسلمون قطعاً ذريعاً، فسألوه أن يدعها لله وللرحم، فقال: إني أدعها لله وللرحم، ثم نادى مناديه ﷺ : أن من نزل إليه من الحصن فهو حرّ، فخرج إليه ثلاثة وعشرون رجلاً كما قاله مغلطاي وغيره، منهم أبو بكرة فأعتق ﷺ من نزل منهم فدفع كلاً إلى من يمونه من المسلمين فشق ذلك على أهل الطائف، ولم يؤذن له ﷺ في فتحه، فأمر عمر رضي الله عنه، فآذن بالرحيل، فضجّ الناس من ذلك، وقالوا: نرحل ولم يفتح علينا الطائف، فقال ﷺ : فاغدوا على القتال، فغدوا، فأصاب المسلمين جراحات، فقال ﷺ : إنا قافلون إن شاء الله تعالى، أي راجعون فسُرّوا بذلك وأذعنوا وجعلوا يرحلون ورسول الله ﷺ يضحك(٦٦٨).

قال النووي رحمه الله: قصد ﷺ الشفقة عليهم بالرحيل لقوة عدوهم، مع رجائه أو علمه أنه يستفتحه [سيفتحه] بلا مشقة، فلما حرصوا على المقام والقتال، أقام وجربهم، فلما جرحوا رجع بهم إلى ما كان قَصَدَه أولاً من الرفق بهم ففرحوا فضحك تعجباً من [سرعة] تغير رأيهم(٦٦٩)، وفقئت عين أبي

---

(٦٦٨) أنظر سيرة ابن هشام (٤/ ١٢٢ - ١٣٣) والطبقات (٢/ ١٥٨-١٦٠) وزاد المعاد (٣/ ٤٩٥ - ٤٩٨) والسيرة (٣/ ٦٥٢ - ٦٦٧) لابن كثير والفتح (٨/ ٤٣ - ٤٦).

(٦٦٩) أنظر شرح النووي على صحيح مسلم (١٢/ ١٢٤).

سفيان صخر بن حرب يومئذ فَذَكَرَ ابن سعد أنه ﷺ قال له: وهي في يده أيما أحب إليك، عين في الجنة أو أدعو الله أن يردّها إليك، قال: بل عين في الجنة، ورمى بها.

قال الحافظ زين الدين العراقي: وشهد وقعة اليرموك بعد ذلك بمدة فقتل. كذا في المواهب ومشى عليه ابن حجر في أسنى المطالب، لكن جزم به صاحب كتاب الخميس بأن موته في خلافة عثمان، ووقعة اليرموك في خلافة عمر رضي الله عنه كما سيأتي، وفقئت عينه الأخرى يومئذ (٦٧٠)، ولما قيل: يا رسول الله أدع على ثقيف فقال: اللهم اهدِ ثقيفاً وايت بهم، ولما وصل ﷺ في الرجوع إلى الجعرانة وبها سبي هوازن وغنائمهم، أقام بها بضعة عشر يوماً ينتظر هوازن ليقدموا عليه مسلمين، ثم بدأ بقسمة الأموال وكانت السبي ستة آلاف رأس، والإبل أربعة وعشرون ألفاً، والشاء أكثر من أربعين ألفاً، والفضة أربعة آلاف أوقية (٦٧١).

وفي البخاري، فطفق ﷺ: يعطي رجالاً المائة من الإبل يتألفهم بذلك، فوقع من صغار الأنصار: أنهم قالوا: يغفر الله لرسول الله يعطي قريشاً ويتركنا، وسيوفنا تقطر من دمائهم، فبلغه ﷺ ذلك فجمعهم وأخبرهم بما بلغه عنهم فأنكر ذلك أكابرهم وطلبوا منه العفو عن صغارهم فقال ﷺ: أما ترضون أن يذهب الناس بالشاء والإبل وتذهبون برسول الله ﷺ إلى دياركم، فوالله: لما تتقلبون به خير مما يتقلبون به، قالوا يا رسـول الله: قد رضينا (٦٧٢)، ثم جاء هوازن مسلمين، فقالوا: يا رسول الله: إن لنا أهلاً وعشيرةً، وقد أصابنا [من]

---

(٦٧٠) أنظر طرح التثريب (١/ ١٣٣ ـ ١٣٤) والعبر (١/ ٣١) ولم أر ذلك عند ابن سعد في الطبقات.

(٦٧١) أنظر سيرة ابن هشام (٤/ ١٣٤).

(٦٧٢) رواه البخاري (٣١٤٦ و ٣١٤٧ و ٣٥٢٨ و ٣٧٧٨ و ٣٧٩٣ و ٤٣٣١ و ٤٣٣٢ و ٤٣٣٣ و ٤٣٣٧ و ٥٨٦٠ و ٦٧٦٢ و ٧٤٤١).

البلاء ما لم يخف عليك، فامنن علينا منّ الله عليك فقال: أحسن الحديث أصدقه، نساؤكم وأبناؤكم أحب إليكم، أم أموالكم؟ فقالوا: نساءنا وأبناءنا فقال ﷺ: أمّا ما كان لي ولبني المطلب فهو لكم، وقال المهاجرون والأنصار: وما كان لنا فهو لرسول الله ﷺ وامتنع قوم كبني تميم، فوعدهم ﷺ: أن يعطيهم ما طابت به نفوسهم من أول سبي يصيبه، فردّوا مَن بقي عندهم(٦٧٣)، قيل: وكان قدومه إلى الجعرانة لليلتين بقيتا من شوال، قال ابن سيد الناس: وهذا ضعيف، والمعروف: أنه كان ليلة الخميس خامس ذي القعدة(٦٧٤)، فأقام بها ثلاث عشرة ليلة، فلما أراد الانصراف إلى المدينة خرج أثناء ليلة الأربعاء ثامنة عشر ذي القعدة محرماً بعمرة فأتمها ورجع ليلاً، ثم أصبح كبائت، ومن ثمة لم يعلم بعمرته هذه إلاّ أفراد وأنكرها من لم يعلمها(٦٧٥). ثم قدم المدينة، ومدة غيبته عنها شهران وستة عشر يوماً.

سَنَةَ تِسْعٍ أخْبَرَ الصادِقُ أنْ	أصْحِمةُ النَجاشي قَدْ ماتَ إذَنْ
صَلى عليهِ غائِباً وَفي رَجَبْ	تَبوك والحجُ بِها أيضاً وَجَبْ

(وما كان في سنة تسع) سنة تسع من الهجرة في رجب (أخبر الصادق) ﷺ في كل ما أخبر به من المغيبات (أن) مخففة عاملة في ضمير الشأن أو في الظاهر بعده (أصحمة) بالرفع والنصب ومعناه بالعربية عطية وهو أصحمة بن أبجر، أسلم وكان من أعلم الناس بالإنجيل كما قاله الواقدي (النجاشي) ملك الحبشة (قد مات) وقوله (إذَنْ) جواب وجزاء كأنه قيل: إذا أخبر ﷺ بموته ما فعل، فأجاب بأنه (صلى) النبي ﷺ بأصحابه صلاة الجنازة (عليه) أي النجاشي حال كونه (غائباً) في الحبشة وهو ﷺ بالمدينة ويجوز الصلاة على

(٦٧٣) أنظر سيرة ابن هشام (٤/ ١٣٤ - ١٣٥).
(٦٧٤) أنظر الفتح (٨/ ٤٨).
(٦٧٥) أنظر الفتح (٣/ ٦٠٠).

الغائب عن [من] البلد سواء كان الميت في جهة القبلة أم لا ؟ على مسافة القصر أم لا ؟ كما تقرر في الفقه، وفي الصحيحين: أنه ﷺ أخبرهم بموت النجاشي في اليوم الذي مات فيه ثم خرج بهم إلى المصلّى، فصلّى عليه وكبّر أربعاً (٦٧٦) (وفي) عاشر (رجب) سنة تسع اتفاقاً، وذكر البخاري لها بعد حجة الوداع، قالوا: لعله من النساخ (٦٧٧)، بلغه ﷺ: أن الروم تجمعت إلى هرقل بالشام لقتاله ﷺ.

وسبب جمعهم ما روى الطبري (٦٧٨) أن نصارى العرب كتبوا إلى هرقل أن الرجل الذي يدعي النبوة هلك وأصابتهم سنون فهلكت أموالهم وضعفوا، فجهز هرقل أربعين ألفاً فأعلم ﷺ بذلك الناس، ولم يُوَرِّ كعادته ليتأهبوا، لبعد المكان وكثرة العدو، وتسمّى هذه الغزوة غزوة (تبوك) محل معروف على نصف طريق المدينة إلى دمشق، وتعرف أيضاً بالفاضحة لافتضاح المنافقين فيها، وبغزوة العسرة لعظم الجدب وقلة النفقة والأهبة، ومن ثم جاء عثمان رضي الله عنه كما في رواية بعشرة آلاف دينار، وفي رواية أخرى: أنه حمل في هذه الغزوة على ألف بعير وسبعين فرساً النفقة والأهبة، ولشدة الحرّ [حتى] كانوا ينحرون الإبل ليشربوا ما في كروشها (٦٧٩)، وأرسل ﷺ إلى مكة وقبائل العرب يطلب منهم الخروج معه، وطلب أصحاب أبي موسى الأشعري من رسول الله ﷺ: أن يحملهم، فقال: لا أجد ما أحملكم عليه فبكوا فاشترى لهم ﷺ من سعد ستة أبعرة وأرسلها إليهم (٦٨٠)، وقام علبة بن زيد من جلتهم فصلّى من الليل وبكى وقال: اللّهم إنّك أمرت بالجهاد ورغبت فيه ثم لم تجعل عندي ما أتقوى به على

---

(٦٧٦) رواه البخاري في مواضع منها (١٢٤٥ و ١٣١٨ و ١٣٣٣) ومسلم (٩٥١).

(٦٧٧) أنظر الفتح (٨/ ١١١).

(٦٧٨) في نسختي الطبراني وهو خطأ.

(٦٧٩) أنظر الفتح (٨/ ١١١) وابن جرير في تفسيره (١٧٤٢٣ و ١٧٤٢٤).

(٦٨٠) رواه البخاري (٤٤١٥) ومسلم (١٦٤٩).

رسولك، ولم تجعل في يد رسولك ما يحملني عليه وإني أتصدق على كل مسلم بكل مظلمة أصابني فيها مال أو جد أو عرض فلما أصبح مع الناس قال ﷺ: من المتصدق بهذه الليلة فلم يقم أحد ثم قال في الثالثة: مَنِ المتصدق بهذه الليلة فليقم، فقام علبة فأخبره ﷺ، فقال ﷺ: أبشر فوالذي نفس محمد بيده لقد كتبت في الزكاة المتقبلة رواه يونس كما ذكره السهيلي في الروض، والبيهقي في الدلائل (٦٨١) [وجاء المعذرون من الأعراب ليؤذن لهم] في التخلف فأذن لهم وهم إثنان وثلاثون رجلاً وقعد آخرون منافقون بلا إذن جرأة على الله ورسوله وتخلف من أكابر المسلمين الثلاثة الذين ذكرهم الله تعالى وثاب عليهم في آخر سورة براءة، وهم كعب بن مالك وهلال بن أمية ومرارة بن ربيعة (٦٨٢)، واستخلف على المدينة محمد بن مسلمة في قول رجحة الدمياطي وعلياً في قول آخر رجحه ابن عبد البر والحافظ العراقي، وثبت في الصحيحين وقال له يومئذ: أنت مني بمنزلة هارون من موسى إلاّ أنه لا نبي بعدي (٦٨٣). وكان معه ﷺ في هذه الغزوة ثلاثون ألفاً، أو أربعون، أو سبعون، فيه أقوال، والخيل عشرة آلاف فرس، ولما مرّ ﷺ بالحجر بكسر الحاء وسكون الجيم بديار ثمود سجّى ثوبه على وجهه، واستحثّ راحلته، ثم قال: [لا تدخلوا بيوت الذين ظلموا أنفسهم إلاّ وأنتم باكون، خوفاً أن يصيبكم ما أصابهم] رواه الشيخان (٦٨٤)، وأمرهم أن لا يشربوا من مائها وأن لا يطعموا ما عجّنوه به دوابهم (٦٨٥)، وأن لا يخرج أحد وجده، فخالف رجلان أحدهما خرج لحاجة [لحاجته] فاختنق من الجن وآخر

---

(٦٨١) أنظر ترجمة علبة بن زيد من الإصابة (٤/ ٥٤٦ - ٥٤٨).

(٦٨٢) رواه البخاري (٤٤١٨) وغيره.

(٦٨٣) رواه البخاري (٤٤١٦) ، مسلم (٢٤٠٤) وغيرهما.

(٦٨٤) رواه البخاري (٤٣٣ و ٣٣٨٠ و ٣٣٨١ و ٤٤١٩ و ٤٤٢٠ و ٤٧٠٢) ومسلم (٢٩٨٠) وغيرهما.

(٦٨٥) رواه البخاري (٣٣٧٨ و ٣٣٧٩) ومسلم (٢٩٨١).

لطلب بعيره فاحتملته الريح حتى ألقتهُ بجبل طيّ، فقال ﷺ: ألم أنهكم، ثم دعا للذي اختنق فشفي وأمّا الآخر فأهدته طيّ لرسول الله ﷺ حين قدم المدينة ولما وصل تبوك أخبرهم أن ريحاً شديدة تهب الليلة فاحتفظوا، فهبت فقام رجل فحملته الريح حتى ألقته بجبل طيّ(٦٨٦).

ولما ورد عين تبوك رأوا ماءها قليلاً جداً فأخذ ﷺ منه قليلاً وغسل به وجهه ويديه ثم أعاده فيها فجرت بماء كثير فاستسقى الناس كما في مسلم(٦٨٧)، وقدم عليه ﷺ في تبوك: صاحب أيْلَة بفتح الهمزة وسكون الياء بلد معروف بين مصر والشام فصالحه وأعطاه الجزية، وأتاه أيضاً أهل جرباء بكسر الجيم بلدة بالشام، وأذرح بفتح الهمزة وسكون الذال المعجمة وضم الراء وبالحاء المهملة بلدة أخرى بها بينهما ثلاثة أيام كما في المواهب وغيره، فأعطوه الجزية، وكتب لهم كتاباً وكان هرقل بحمص(٦٨٨). فأرسل ﷺ خالد بن الوليد سرية في أربعمائة وعشرين فارساً إلى أُكَيدَر بن عبدالملك النصراني، وكان ملكاً عظيماً بدَومة الجندل، وقال له ﷺ إنك ستجده ليلاً وهو يصيد البقر، فانتهى إليه خالد وهو كذلك فشدّ عليه خيل خالد فاستأسر أُكَيْدَر وقتل أخاه وهرب البقية، ثم أجار أكيدر من القتل حتى يأتي به رسول الله ﷺ، على أن يفتح له دومة الجندل ففعل، وصالحه على ألفي بعير وثمانمائة فرس وأربعمائة درع وأربعمائة رمح(٦٨٩)، وفي هذه الغزوة كتب ﷺ إلى هرقل يدعوه إلى الإسلام، فقارب الإجابة ولم يجب كما في صحيح ابن حبان ثم انصرف ﷺ من تبوك بعد أن

---

(٦٨٦) أنظر سيرة ابن هشام (٤/ ١٧٦) والسيرة (٤/ ٢٠ - ٢١) لابن كثير.

(٦٨٧) لم يرو مسلم قصة الماء وزيادته، وإنما رواه مالك في الموطأ (١/ ١٢٢ - ١٢٣) وعبدالرزاق في المصنف (٤٣٩٩) وأحمد (٥/ ٢٣٧ - ٢٣٨) وأبو نعيم في الدلائل (ص ٤٥٥ - ٤٥٦).

(٦٨٨) أنظر سيرة ابن هشام (٤/ ١٨٠ - ١٨١).

(٦٨٩) أنظر سيرة ابن هشام (٤/ ١٨١ - ١٨٢) والسيرة (٤/ ٣٠ - ٣١) لابن كثير.

أقام بها نحو عشرين ليلة ولم يلق كيداً، وبنى في طريقه مساجد، ولما قرب ﷺ من المدينة نزلت عليه آية مسجد الضرار (٦٩٠)، فأرسل إليه مَن هدمه وحرقه، وكان اتخاذه قريب سفره، ليضارّ به المنافقون أهلَ مسجد قباء، وليتعللوا به عن ترك الصلاة خلفه ﷺ وأظهروا أنه للمعذورين، ولما دنى من المدينة خرج الناس لتلقيه ﷺ والصبيان والولائد يقلن:

طلع البدر علينا من ثنيات الوداع وجب الشكر علينا ما دعا لله داع (٦٩١)

وقال ﷺ: إن بالمدينة أقواماً ما سرتم مسيراً ولا قطعتم وادياً إلا كانوا معكم حبسهم العذر (٦٩٢) أي فلهم مثل ثوابكم.

قال الأئمة: وهذا يؤيد الحديث الضعيف: [نية المؤمن خير من عمله] (٦٩٣) لأنهم بنيتهم وهم على فرشهم [فراشهم] لحقوا الكُمَّلَ المجاهدين بأموالهم وأنفسهم، وكمال السبق إنما ينشأ عن خلوص النية وصدق الهمة دون مجرّد العمل، وجاءه ﷺ المتخلفون فاستغفر لهم، إلاّ أولئك الثلاثة، فأخرهم حتى نزلت توبتهم في آية ﴿وعلى الثلاثة الذين خلّفوا حتى إذا ضاقت عليهم الأرض بما رحبت﴾ إلى قوله: ﴿إن الله هو التواب الرحيم﴾. تاب الله علينا توبة عن عصيانه مانعة، ورحمنا بفضله رحمةً واسعة، إنه أكرم الأكرمين وأرحم الراحمين.
ووقعت قبل تبوك سرايا:

منها: سرية قيس بن سعد بن عبادة إلى ناحية اليمن في أربعمائة فارس لقتال

---

(٦٩٠) أنظر سيرة ابن هشام (٤/ ١٨٥) والسيرة (٤/ ٣٨ - ٤٠) لابن كثير.
(٦٩١) أنظر السيرة (٤/ ٤١ - ٤٢) لابن كثير.
(٦٩٢) رواه البخاري ٢٨٣٩ و ٤٤٢٣ وأحمد (٣/ ١٠٣ و ١٨٢) وأبو داود (٢٤٩١) وابن ماجه (٢٧٦٤) من حديث أنس ورواه أحمد (٣/ ٣٤١) ومسلم (١٩١١) وابن ماجه (٢٧٦٥) وعبد بن حميد (١٠٢٦ و ١٠٥٥) من حديث جابر.
(٦٩٣) أنظر تعليقنا على مسند الشهاب (١٤٧ و ١٤٨).

قبيلة صداء بالمدّ، فوفدوا عليه ﷺ مسلمين (٦٩٤).

ومنها سرية عيينة بن حصن الفزّاري إلى بني تميم بالسُّقيا وهي أرض بني تميم، في المحرّم في خمسين فارساً من العرب ليس فيهم مهاجريّ وأنصاري، فأصابوهم وأخذوا من رؤسائهم أسارى فيهم الأقرع بن حابس (٦٩٥).

ومنها سرية الوليد بنّ عقبة بن أبي مُعَيط إلى بني المصطلق من خزاعة ليصدقهم أي ليأخذ منهم الصدقات، فلما سمعوا بقدومه استقبله جماعة فرحاً وتعظيماً لله ولرسوله، لأنهم كانوا أسلموا، وبنوا المساجد، فوسوس إليه الشيطان: أنهم يريدون قتله لما بينهما من العداوة في الجاهلية، فرجع وأخبر النبي ﷺ، أنهم حالوا بينه وبين الصدقة، فهمّ ﷺ أن يغزوهم، فسمع القوم ذلك وأتوا [فأتوا] إليه ﷺ فأخبروه فنزلت ﴿يا أيها الذين آمنوا إن جاءكم فاسق بنبأ فتبينوا﴾ الآية، فبعث معهم عباد بن بشر ليأخذ صدقاتهم (٦٩٦).

ومنها سرية قطبة بن عامر بن جديدة إلى خثعم قريباً من تربة بوزن همزة من أعمال مكة في عشرين رجلاً، فقاتلوا [فاقتتلوا] قتالاً شديداً حتى كثر الجرحى في الفريقين، ثم هزموهم وساقوا النعم والشاء والنساء إلى المدينة (٦٩٧).

ومنها سرية الضحاك بن سفيان الكلابي إلى بني كلاب في ربيع الأول فدعاهم إلى الإسلام فأبوا فقاتلوهم فهزموهم وغنموا (٦٩٨).

ومنها سرية علقمة بن مجزّز اسم فاعل المدلجي إلى الحبشة وبوّب عليه البخاري (٦٩٩).

---

(٦٩٤) أنظر زاد المعاد (٣/ ٦٦٤ - ٦٦٦).

(٦٩٥) أنظر الطبقات (٢/ ١٦٠ - ١٦١) وزاد المعاد (٣/ ٥١٠ - ٥١٢) والفتح (٨/ ٨٤).

(٦٩٦) رواه أحمد (٤/ ٢٧٩) والطبراني في الكبير (٣٣٩٥).

(٦٩٧) أنظر الطبقات (٢/ ١٦٢) وزاد المعاد (٣/ ٥١٤).

(٦٩٨) أنظر الطبقات (٢/ ١٦٢ - ١٦٣) وزاد المعاد (٣/ ٥١٤ - ٥١٥).

(٦٩٩) أنظر الطبقات (٢/ ١٦٣) وزاد المعاد (٣/ ٥١٥ - ٥١٦) والفتح (٨/ ٥٨ - ٦٠).

ومنها سرية علي بن أبي طالب إلى الفُلس بضم الفاء وسكون اللام وهو صنم لطي في شهر ربيع الآخر فهدمه وغنم، ووقعت قصة كعب بن زهير المشهورة قبل تبوك أيضاً وبعد الطائف(٧٠٠). (والحج بها) أي في سنة تسع (أيضاً وجب) أي فرض فيها كما قالت طائفة تمسكاً بأن صدر سورة آل عمران نزل عام الوفود، وفيه قدم وفد نجران وصالحهم ﷺ على الجزية، والجزية نزلت عام تبوك سنة تسع.

والجمهور على أنه فرض سنة ست لنزول ﴿وأتموا الحج والعمرة لله﴾ فيها، وقيل: [سنة] سبع، وقيل: ثمان، وقيل: خمس، وشذ من قال: فرض قبل الهجرة(٧٠١)، وفي سنة تسع أيضاً قد آلى ﷺ من نسائه شهراً(٧٠٢)، وفيها أيضاً قصة اللعان(٧٠٣)، وفيها حج أبو بكر الصديق بالناس ومعه ثلاثمائة رجل وعشرون بدنة بسورة براءة لينبذ إلى كل ذي عهد عهده، وأن لا يحج بعد العام مشرك ولا يطوف بالبيت عريان، فلما نزل العرج أدركه عليّ بن أبي طالب مبلغاً ومؤذناً إلى الناس ببراءة، لا أميراً(٧٠٤).

[تذنيب] في ذكر الوفود عليه ﷺ، الوفد: الجماعة المختارة للقدوم على العظماء، واحدهم وافد قاله النووي(٧٠٥)، وكان ابتداء الوفود بعد رجوعه ﷺ من الجعرانة في آخر سنة ثمان وما بعدها.

---

(٧٠٠) أنظر الطبقات (٢/ ١٦٤) وزاد المعاد (٣/ ٥١٧).
(٧٠١) أنظر زاد المعاد (٢/ ١٠١) والفتح (٣/ ٣٧٨).
(٧٠٢) أنظر الفتح (٩/ ٢٨٦).
(٧٠٣) أنظر الفتح (٩/ ٤٤٧).
(٧٠٤) أنظر الطبقات (٢/ ١٦٨ - ١٦٩) وسيرة ابن هشام (٤/ ٢٠١ - ٢٠٤) والسيرة لابن كثير (٤/ ٦٨ - ٧٥).
(٧٠٥) أنظر شرح النووي على صحيح مسلم (١/ ١٨١) حيث نقل ذلك عن صاحب التحرير وأقره.

وقال ابن إسحاق: بعد غزوة تبوك، وقال ابن هشام: كانت سنة تسع[٧٠٦] تسمى سنة الوفود، وقد سردها محمد بن سعد[٧٠٧] وتبعه الدمياطي وابن سيد الناس ومغلطاي والحافظ العراقي، فزاد ما ذكروه على الستين، فمنهم وفد هوازن وفدوا عليه ﷺ لما انصرف من الطائف إلى الجعرانة، وفيهم تسعة نفر من أشرافهم فبايعوا وأسلموا وكلموه ﷺ في السبي كما مرّ تفصيله ومنهم وفد ثقيف بعد تبوك وكان من أمرهم أنه ﷺ لما انصرف من الطائف، قيل له: يا رسول الله ادع على ثقيف فقال: اللهم اهد ثقيفاً وايت بهم، فتبعه عروة بن مسعود حتى أدركه قبل وصوله إلى المدينة فأسلم، وسأله الرجوع إلى قومه بالإسلام، فلما أشرف لهم على علية له وقد دعاهم إلى الإسلام، وأظهر دينه رَموه بالنبل من كل جهة حتى قتلوه، ثم بعد أشهر ائتمروا بينهم ورأوا أنهم لا طاقة لهم بحرب من حولهم من العرب، فوفدوا عليه ﷺ فبايعوا وأسلموا[٧٠٨] ومنهم وفد بني عامر بعد تبوك ولما رأوا إسلام ثقيف ووفودَ العرب عليه ﷺ من كل وجه ودخول الناس في دين الله أفواجاً وفد عليه بنو عامر [فيهم عامر] ابن الطفيل وأربد بن قيس وخالد بن جعفر وحيان بن أسلم بن مالك، وكان هؤلاء رؤساء القوم وشياطينهم فقدم عدو الله عامر بن الطفيل على رسول الله ﷺ يريد أن يغدر به، فقال: لأربد: إذا قدمناه على الرجل فإني شاغل عنك وجهه، فاعله عليه بالسيف، فكلّم عامر رسول الله ﷺ وقال: والله لأملأنها عليك خيلاً ورَجِلاً فلمّا ولّى قال ﷺ: اللهم اكفني عامر بن الطفيل، فلما خرجوا قال لأربد: ويحك أين ما كنت أمرتك به فقال: والله: ما هممت بضربه إلاَّ حُلتَ بيني وبينه أفأضربك؟ ولما كانوا ببعض الطريق بعث الله تعالى

---

(٧٠٦) أنظر سيرة ابن هشام (٤/ ٢٢١).

(٧٠٧) أنظر الطبقات (١/ ٢٩١ - ٣٦٠).

(٧٠٨) أنظر الطبقات (١/ ٣١٢ - ٣١٤) وسيرة ابن هشام (٤/ ١٩٤) والسيرة (٤/ ٥٣ - ٦٤) لابن كثير.

الطاعون في عنق عامر فقتله. وفي البخاري: أن عامراً قال له ﷺ: أخيرك بين ثلاث يكون لك أهل السهل ولي أهل المدر، أو أكون خليفتك من بعدك، أو أغزوك بغطفان بألف أشقر وألف شقراء، ثم ركب فرسه مغضباً، فمات عدو الله على ظهر فرسه (٧٠٩)، ومنهم وفد عبد القيس قبيلة كبيرة يسكنون البحرين ينسبون إلى عبد القيس بن أفصى بسكون الفاء بوزن أعمى وحديثهم مذكور في الصحيحين (٧١٠)، ومنهم وفد بني حنيفة فيهم مسيلمة الكذّاب، فنزلوا في دار امرأة من الأنصار، فأتوا بمسيلمة إليه ﷺ يستتر بالثياب، ورسول الله ﷺ جالس مع أصحابه في يده عسيب من سعف النخل، فكلم رسول الله ﷺ وسأله بعض الأمر، فقال ﷺ: لو سألتني هذا العسيب ما أعطيتك (٧١١)، وقال ابن إسحاق: حدثني شيخ من أهل اليمامة من بني حنيفة أن وفد بني حنيفة أتوا رسول الله ﷺ، وخلفوا مسيلمة في رحالهم، فلما أسلموا ذكروا له مكانه، فقالوا: يا رسول الله إنا قد خلّفنا صاحبنا في رحالنا وركابنا يحفظها، فأمر ﷺ له بما أمر ربّه للقوم، فلما قدموا اليمامة ارتَدَّ عدو الله وتنبأ، وقال [إني] أشركتُ في الأمر معه، ثم إن اللعين وضع عن قومه الصلاة، وأحل لهم الخمر، والزنا، وهو مع ذلك يشهد لرسول الله ﷺ أنه نبي انتهى (٧١٢).

وهذل يدل على أنه ﷺ لم ير اللعين، وقد ثبت في الصحيح: أنه ﷺ اجتمع به وخاطبه بحضرة قومه أنه لو سأله [القطعة] قطعة [من] الجريدة ما

---

(٧٠٩) أنظر سيرة ابن هشام (٤/ ٢٢١ و ٢٣٣ - ٢٣٤) والطبقات (١/ ٣١٠ - ٣١١) وصحيح البخاري مع الفتح (٧/ ٢٨٧ - ٢٨٨) وزاد المعاد (٣/ ٦٠٣ - ٦٠٥) ومسند أحمد (٣/ ٢١٠).

(٧١٠) رواه البخاري (٥٣ و ١٨٧ و ٥٢٣ و ١٣٩٨ و ٣٠٩٥ و ٣٥١٠ و ٤٣٦٨ و ٤٣٦٩ و ٦١٧٦ و ٧٢٦٦ و ٧٥٥٦) ومسلم (١٧).

(٧١١) أنظر سيرة ابن هشام (٤/ ٢٤٣ - ٢٤٥) والطبقات (١/ ٣١٦ - ٣١٧) وزاد المعاد (٣/ ٦١٠ - ٦١٣).

(٧١٢) أنظر سيرة ابن هشام (٤/ ٢٤٢ - ٢٤٣).

أعطاها (٧١٣)، وما في الصحيح هو المقدم، على أنه جمع بأنه قدم مرتين مرةً كان تابعاً، ولذا أقام في حفظة [حفظ] رحالهم ومرةً متبوعاً وفيها خاطبه ﷺ (٧١٤).

ومنهم وفد طي وفيهم زيد الخيل الذي سماه النبي ﷺ زيد الخير وهو سيدهم، فعرض عليهم الإسلام فأسلموا وأحسن [حسن] إسلامهم (٧١٥)، ومنهم وفد كندة في ثمانين أو ستين راكباً فلما دخلوا المسجد، قال ﷺ: أولم تسلموا؟ قالوا: بلى، قال: فما هذا الحرير في أعناقكم؟ فشقوه فنزعوه وألقوه (٧١٦)، ومنهم وفد الأشعريّين مع أبي موسى الأشعري سنة سبع عند فتح خيبر، ثم وفد حمير سنة تسع بالتاء الفوقية، وكلاهما من أهل اليمن أسلموا، ومن ثمة جمعوهما في ترجمة، لا لاجتماعهما في الوفادة.

وروي أنه ﷺ قال: يقدم عليكم قوم هم أرق أفئدة منكم فقدم الأشعريون، فجعلوا يرتجزون في الطريق: غداً نلق الأحبة محمداً وحزبه ومن ثمة ورد في الصحيح: الإيمان يمان والحكمة يمانية (٧١٧)، ومنهم وفد الأزديين ومعهم صرد بن عبدالله الأزدي أسلم وحسن إسلامه فأمّره ﷺ على من أسلم من قومه، وأمره بالجهاد مع قبائل اليمن (٧١٨)، ومنهم وفد بني الحارث بن كعب بنجران أتوا مسلمين، بعد أن بعث إليهم خالد بن الوليد داعياً إلى الإسلام، وذلك سنة

(٧١٣) رواه البخاري (٤٣٧٣).

(٧١٤) أنظر الفتح (٨/ ٨٩ - ٩٠).

(٧١٥) أنظر سيرة ابن هشام (٤/ ٢٤٥ - ٢٤٦) والطبقات (١/ ٣٢١ - ٣٢٣) وزاد المعاد (٣/ ٦١٦ - ٦١٧).

(٧١٦) أنظر سيرة ابن هشام (٤/ ٢٥٤ - ٢٥٦) والطبقات (١/ ٣٢٨) وزاد المعاد (٣/ ٦١٧ - ٦١٨).

(٧١٧) أنظر زاد المعاد (٣/ ٦١٨ - ٦٢٠) والفتح (٨/ ٩٦ - ١٠١).

(٧١٨) أنظر سيرة ابن هشام (٤/ ٢٥٦ - ٢٥٨) والطبقات (١/ ٣٣٧ - ٣٣٨) وزاد المعاد (٣/ ٦٢٠ - ٦٢١).

عشر [719]، ومنهم وفد همدان أسلموا، وكتب ﷺ لهم كتاباً أقطعهم فيه ما سألوه [720]، ومنهم وفد دوس في غزوة خيبر، رئيسهم الطفيل بن عمرو الدوسي، كان رجلاً شريفاً شاعراً لبيباً، قال ابن إسحاق: قدم الطفيل مكة فنهاه قريش أن يسمع من النبي ﷺ شيئاً، وخوّفوه بأنه ساحر يفرق بين المرء وزوجه، والابن وأبيه، فقال: إني فصيح لبيب أعرف الحسن من القبيح، فلما عرض ﷺ عليه القرآن قال: ما سمعت قولاً قطّ أحسن منه، ولا أعدل فأسلم، فلما رجع أسلم أبوه وزوجته، ثم بمدة أسلم كثير من قومه، فوفدوا عليه ﷺ [721]، ومنهم وفد نصارى نجران ستون راكباً فيهم السيد والعاقب صاحبا نجران، فتلى ﷺ عليهم القرآن فامتنعوا من الإسلام لمحبة الجاه فطلب ﷺ منهم المباهلة أي الملاعنة كما في الآية فأبوا لعلمهم بأنّهم لو فعلوا لم يفلحوا أبداً ثم صالحهم على الجزية هو مذكور في المطولات.

سَنَةَ عَشْرٍ حَجَّةُ الوَداعِ وَبعدَها الوَفاةُ بالإجْماع

(وما كان في سنة عشر حتى الوفاة) سنة عشر من الهجرة بعث ﷺ خالد ابن الوليد قبل حجة الوداع في شهر ربيع الأول أو الآخر إلى بني عبد المدان قبيلة بنجران فأسلموا [722]، ثم أرسل عليّ بن أبي طالب إلى اليمن في رمضان في

(٧١٩) أنظر سيرة ابن هشام (٤/ ٢٦٢ - ٢٦٦) والطبقات (١/ ٣٣٩ - ٣٤٠) وزاد المعاد (٣/ ٦٢١ - ٦٢٢).

(٧٢٠) أنظر سيرة ابن هشام (٤/ ٢٦٧ - ٢٧١) والطبقات (١/ ٣٤٠ - ٣٤١) وزاد المعاد (٣/ ٦٢٢ - ٦٢٣).

(٧٢١) أنظر سيرة ابن هشام (١/ ٤٠٧ - ٤١٠) والطبقات (١/ ٣٥٣) وزاد المعاد (٣/ ٦٢٤ - ٦٢٦) وصحيح البخاري مع الفتح (٨/ ١٠١ - ١٠٢).

(٧٢٢) أنظر سيرة ابن هشام (٢/ ٢٠٤) وما بعده والطبقات (١/ ٣٥٤ - ٣٥٨) وزاد المعاد (٣/ ٦٢٩ - ٦٣٨) والسيرة (٤/ ١٠٠ - ١٠٨) لابن كثير.

(٧٢٣) أنظر الطبقات (٢/ ١٦٩) وسيرة ابن هشام (٤/ ٢٦٢ - ٢٦٦) والسيرة (٤/ ١٨٨ - ١٩٠).

ثلاثمائة فارس وعقد له لواء، وعمّمه ﷺ بيده الكريمة، ودعى له: اللهم ثبت لسانه واهدِ قلبه، فلما انتهى إليهم نهب وغنم، ثم لقي جميعهم فدعاهم إلى الإسلام فأبوا ورَموا بالنبل ثم حمل عليهم فقتل منهم عشرين فارساً فانهزموا، ثم دعاهم إلى الإسلام فأجابوا، وبايعه نفر من رؤسائهم، فوافا النبي ﷺ بمكة وقد قدمها للحج[٧٢٤] (وهو حجّة) بكسر الحاء وتائه [والتاء] للمرة، وهو من الشواذ، لأن القياس فتح الحاء كما في القاموس. وقوله (الوداع) بفتح الواو في الأصل اسم بمعنى التوديع كالسلام بمعنى التسليم مأخوذ من توديع المسافر، ولما نزلت سورة إذا جاء نصر الله يوم النحر بمنى علم ﷺ اقتراب أجله، فأعلم الناس بذلك، فقال في خطبة حجة الوداع:

خذوا عني مناسككم فلعلي لا ألقاكم بعد عامي هذا، وطفق يودع الناس فقالوا: هذه حجة الوداع، وتسمى أيضاً حجة الإسلام وحجة البلاغ، وكره ابن عباس رضي الله عنهما تسميتها حجة الوداع، ولم يحجّ ﷺ بعد الهجرة غيرها، بل قال ابن سعد بعد النبوة، وسيأتي بيان ذلك، خرج ﷺ في حجة الوداع من المدينة يوم السبت لخمس ليال بقين من ذي القعدة، ومعه تسعون ألفاً، ويقال: مائة ألف وأربعة عشر، وقيل: أكثر من ذلك كما حكاه البيهقي بعد أن ترجل وادّهن وتطيب، فبات بذي الحليفة فقال: أتاني الليلة آت من ربي فقال: صلّ في هذا الوادي المبارك وقل: عمرة في حجة فأحرم بهم قارناً على خلاف طويل بين الصحابة ومن بعدهم في حجة الوداع، هل كان ﷺ أحرم فيها قارناً أي بحجّ وعمرة، أو مفرداً أي بحج فقط، أو متمتعاً أي بعمرة ثم حل وأحرم بحج، والأحاديث تدل لكل منها مذكورة في الصحيحين وغيرهما(*).

---

(٧٢٤) أنظر صحيح البخاري مع الفتح (٨/ ٦٥ - ٧٠) والطبقات (٢/ ١٦٩ - ١٧٠) والسيرة (٤/ ٢٠١ - ٢١٠).

(*) أنظر السيرة (٤/ ٢٣٦ - ٢٧٦) حيث استقصى الروايات المختلفة ثم قال: إن قيل قد رويتم عن جماعة من الصحابة أنه عليه السلام أفرد الحج ثم رويتم عن هؤلاء باعيانهم أنه جمع =

ومذهب الشافعي رضي الله عنه أنه ﷺ: أحرم مفرداً لم يعتمر معه، ودخل ﷺ مكة صبيحة الأحد رابعة ذي الحجة من كَداء بفتح الكاف والمدّ وهي الثنية العليا التي ينزل منها إلى المعلاة مقبرة مكة، ويقال لها: الحجون بفتح الحاء وضم الجيم، وطاف للقدوم فرمل ثلاثاً ومشى أربعاً، ثم خرج إلى الصفا فسعى راكباً ونزل بأعلى الحجون، فلما كان يوم التروية أي ثامن ذي الحجة، توجه إلى منى فصلى بها الظهر والعصر والمغرب والعشاء، وبات بها حتى زالت الشمس، فخطب الناس، وصلّى الصبح، فلما طلعت الشمس سار إلى عرفة وضربت قبة من الشعر بنمرة بوزن فرحة موضع بعرفات، فأقام بها حتى زالت الشمس، فخطب الناس وصلى بهم الظهر والعصر بأذان وإقامتين، ثم راح إلى الموقف فلم يزل يدعو ويهلل ويكبّر حتى زاغت الشمس ثم دفع إلى المزدلفة بعد الغروب وبات بها وصلّى الصبح، ثم وقف بالمشعر الحرام حتى أسفر ثم رفع قبل طلوع الشمس إلى منى فرمى جمرة العقبة بسبع حصيات، وكان يرمي في كل يوم من أيام التشريق الجمرات الثلاثة ماشياً بسبعٍ سبعٍ يبدأ بالتي تلي الخيف ثم بالوسطى، ثم بجمرة العقبة ويطيل الدعاء عند الأولى والثانية، ونحر يوم نزوله منى، وأفاض إلى البيت فطاف به سبعاً ثم أتى سقاية العباس فاستسقى، ثم رجع إلى منى ثم نفر في اليوم الثالث من أيام التشريق فنزل المُحَصَّب، وأعمر عائشة

= بين الحج والعمرة فما الجمع من ذلك؟

فالجواب أن رواية من روى أنه أفرد الحج محمولة على أنه أفرد أفعال الحج ودخلت العمرة فيه نية وفعلاً ووقتاً.

وهذا يدل على أنه اكتفى بطواف الحج وسعيه عنه وعنها كما هو مذهب الجمهور في القارن. ثم قال:

وأما من روى التمتع ثم روى القرآن فقد قدمنا الجواب عن ذلك بأن التمتع في كلام السلف أعم من التمتع الخاص والقران، بل ويطلقونه على الاعتمار في أشهر الحج وإن لم يكن معه حج الخ فراجعه.

وانظر الفتح (٣/ ٤٢٤ ـ ٤٣٢).

رضي الله عنها من التنعيم، ثم أمر بالرحيل، ثم طاف للوداع، وتوجّه إلى المدينة فأقام بها بقية ذي الحجة تمام سنة عشر (وبعدها) أي بعد سنة عشر (الوفاة) أي موته ﷺ من وفى بالتخفيف بمعنى تم أي تم أجله (بالإجماع) في سنة إحدى عشرة كما يأتي بيانه، ولما بدأ به ﷺ مرضه وحُمّ وصُدع آخر صفر سنة إحدى عشرة، بعث ﷺ أسامة بن زيد في سرية إلى أهل أُبنا ناحية بالبلقاء من أرض الشام لغزو الروم مكان قتل أبيه زيد، فعقد ﷺ لواء بيده، ثم دفعه أسامة إلى بريدة الأسلمي وعسكر بالجرف بالضم موضع قريب المدينة، فانتدب وجوه المهاجرين والأنصار فيهم أبو بكر (٧٢٥) وعمر رضي الله عنهما، فتكلم قوم في تأمير أسامة على المهاجرين والأنصار فخرج ﷺ وقد عصب رأسه فصعد المنبر، فقال بعدما أثنى على الله:

أما بعد ما مقالة بلغتني عن بعضكم في تأميري أسامة، ولئن طعنتم في إمارته لقد طعنتم في إمارتي أباه قبله، وأيم الله إن كان للإمارة لخليقاً، وإن ابنه من بعده لخليق، وإنه لمن أحب الناس إليّ فاستوصوا به خيراً، وكان ذلك يوم السبت لعشر خلون من شهر ربيع الأول، فخرج الناس مع أسامة مودّعين رسول الله ﷺ إلى العسكر بالجرف، لما أرادوا الركوب من الجرف أتاهم خبر وفاته ﷺ، فرجعوا إلى المدينة فغرز بريدة اللواء عند بابه ﷺ، فلما بويع أبو بكر أمر أسامة أن يمضي لما وجّهه اليه ﷺ، فخرج هلال شهر ربيع الآخر إلى أهل أُبْنا فشنّ عليهم الغارة فقتل من أشرف له وسبى من قدر عليه وحرق منازلهم ونخلهم وقتل قاتل أبيه في الغارة، ثم رجعوا ولم يصب أحدٌ منهم فتلقوهم أهل

---

(٧٢٥) قال الحافظ ابن كثير في السيرة (٤/ ٤٤١) ومن قال إن أبا بكر كان فيهم فقد غلط، فإن رسول الله ﷺ اشتد به المرض وجيش أسامة مخيم بالجرف، وقد أمَّرَ النبي ﷺ أبا بكر أن يصلي بالناس كما سيأتي، فكيف يكون في الجيش وهو إمام المسلمين يإذن الرسول من رب العالمين الخ.
وانظر منهاج السنة (٣/ ٦٣١) والفتح (٨/ ١٥٢).

المدينة سروراً (٧٢٦).

أخرج البيهقي وابن عساكر عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: والله الذي لا إله إلاّ هو لولا أن أبا بكر استخلف ما عُبِدَ اللهُ ثلاثاً فقالوا لِمَ، فقال: إنّ رسول الله ﷺ وجّه أسامة بن زيد في سبعمائة إلى الشام، فلما نزل بذي خَشَب قُبض النبي ﷺ، وارتدت العرب حول المدينة واجتمع إليه أصحاب النبي ﷺ فقالوا له: رُدَّ هؤلاء، أنت توجههم إلى الروم وقد ارتدت العرب حول المدينة، فقال: والله الذي لا إله إلا هو لو جرّت الكلاب بأرجل أزواج النبي ﷺ ما رددت جيشاً وجّهه رسول الله ﷺ ولا حللتُ لواء عقده، فوّجه أسامة فجعل لا يمرّ بقبيل يريدون الارتداد إلاّ قالوا: لولا أن لهؤلاء قوة ما خرج مثل هؤلاء من عندهم ولكن ندعهم حتى يلقوا الروم، فلقوهم فهزموهم وقتلوهم ورجعوا سالمين فثبتوا على الإسلام (٧٢٧).

تعيين وفاته ﷺ

اعلم أن الموت لما كان مكروهاً بالطبع لم يمت نبي حتى خيّر، كما في البخاري عن عائشة رضي الله عنها: كان ﷺ وهو صحيح يقول: إنه لم يقبض نبي قط حتى يرى مقعده من الجنة ثم يُحْيي أو يخيّر (٧٢٨)، وفي رواية لأحمد رضي الله عنه: ما من نبي يقبض إلاّ يرى الثواب، ثم يخيّر (٧٢٩)، وفي أخرى له أيضاً: أوتيت مفاتيح خزائن الأرض والخلدَ ثم الجنة، فخيّرتُ بين ذلك وبين لقاء ربي

(٧٢٦) أنظر الطبقات (٢/ ١٨٩ - ١٩٢ و٢٤٨ - ٢٤٩) وسيرة ابن إسحاق (٤/ ٣٢٨) وتاريخ دمشق (١/ ٤٢٣ - ٤٤٠) لابن عساكر.

(٧٢٧) رواه ابن عساكر في تاريخ دمشق (١/ ٤٤٠).

(٧٢٨) رواه البخاري (٤٤٣٥ و ٤٤٣٧ و ٤٤٦٣ و ٤٥٨٦ و ٦٣٤٨ و ٦٥٠٩) في النسخ الثلاث ويخير وهو خطأ ورواه مسلم (٢٤٤٤) وأحمد (٦/ ٨٩).

(٧٢٩) رواه أحمد (٦/ ٧٤) ولفظه «ما من نبي إلا تقبض نفسه ثم يرى الثواب ثم ترد إليه فيخير بين أن يرد إليه إلى أن يلحق».

والجنة، فاخترت لقاء ربي والجنة[٧٣٠]. وورد في المسند: ما يدل على أنه ﷺ قبض ثم رآه مقعده في الجنة، ثم زدت إليه نفسه ثم خيّر[٧٣١]، وفي يوم الأربعاء لليلة بقيت من صفر كما عليه الأكثرون وقيل: لإحدى عشرة بقيت منه، وقيل: غير ذلك بدأ بالنبي ﷺ وجعه فحُمّ وصُدِع في بيت ميمونة كما صحّ، وقيل: في بيت زينب بنت جحش[٧٣٢]، وأشار ﷺ في مرضه إشارةً ظاهرة إلى خلافة أبي بكر رضي الله عنه بثنائه ﷺ عليه على المنبر كما في البخاري[٧٣٣]، ثم أكّد أمر الخلافة بأمره صريحاً أن يصلّيَ بالناس[٧٣٤]. ومن ثمة قال الصحابة عند بيعته: رضيه ﷺ لديننا أفلا نرضاه لدنيانا[٧٣٥]؟ ثم لما اشتد وجعه ﷺ استأذن نساءه كما في البخاري أن يمرّض في بيت عائشة رضي الله عنها فأذِنَّ له[٧٣٦] لما رأينَ من حرصه على ذلك فدخل ﷺ بيتها، وتوفّاه الله تعالى حين اشتد الضحى كما عليه الأكثر، وقيل: حين زاغت الشمس وصحّحه الحاكم يوم الإثنين اتفاقاً.

ثـــاني عشرِ رَبيـــعُ الأولِ فَيا لَهـا مُصيبَـةً لِمَـنْ بُلي

---

(٧٣٠) رواه أحمد (٣/ ٤٨٨ - ٤٨٩) والبزار (٨٦٣) والدارمي (٧٩) والدولابي في الكنى (١/ ٥٧ - ٥٨) والطبراني في الكبير (ج ٢٢ رقم ٨٧١ و ٨٧٢) والحاكم (٢/ ٥٥ - ٥٦) وصححه على شرط مسلم.

(٧٣١) هو حديث عائشة عند أحمد (٦/ ٧٤) السابق.

(٧٣٢) أنظر الفتح (٨/ ١٢٩).

(٧٣٣) أنظر صحيح البخاري (٣٦٥٤) وشرح الفتح (٧/ ١٢ - ١٦).

(٧٣٤) رواه أحمد (٦/ ٩٦ و ١٥٩ و ٢٣١ و ٢٧٠) والبخاري (٧١٢ و ٧١٣) ومسلم (٤١٨) وأبو عوانة (٢/ ١١٧ - ١١٨) وغيرهم.

(٧٣٥) رواه الحافظ في آخر المجلس السابع والثلاثين من تخريج أحاديث مختصر المنتهى وقد استوعبنا الكلام عليه هناك.

(٧٣٦) رواه البخاري (١٩٨ و ٦٦٤ و ٦٦٥ و ٦٧٩ و ٦٨٣ و ٦٨٧ و ٧١٢ و ٧١٣ و ٧١٦ و ٢٥٨٨ و ٣٠٩٩ و ٣٣٨٤ و ٤٤٤٢ و ٤٤٤٥ و ٥٧١٤ و ٧٣٠٣).

وكان ذلك اليوم (ثاني عشر من) شهر (ربيع الأول) عند الجمهور، وقيل ثانيه، وقيل: ثامنه، وقيل: غير ذلك، ومدة مرضه ﷺ كان ثلاثة عشر يوماً، وقيل: أربعة عشر، وقيل: اثنى عشر، وقيل: غير ذلك، واستكمل من العمر ثلاثاً وستين سنة على الصحيح المشهور، وهمنا إشكال للسهيلي ومن تبعه بأنهم أجمعوا على أن أول ذي الحجة الخميس، والوقوف بعرفة يوم الجمعة تاسع ذي الحجة فمهما فرضت الشهور الثلاثة توامّ أو نواقص أو بعضها، لم يمكن أن يكون يوم الاثنين ثاني عشر ربيع الأول، فلم يصح ما ذهب إليه الجمهور، وأجاب البارزي وتبعه ابن كثير باحتمال كون الأشهر الثلاثة كوامل واختلاف أهل مكة والمدينة في هلال ذي الحجة لاختلاف المطالع فرآه أهل مكة ليلة الخميس، وأهل المدينة ليلة الجمعة فحصلت الوقفة برؤية [لرؤية] أهل مكة، ثم رجعوا إلى المدينة، فأرّخوا برؤية أهلها، فكان أول ذي الحجة الجمعة وآخره السبت، وأول المحرم الأحد وآخره الاثنين، وأول الصفر الثلاثاء وآخره الأربعاء وأول شهر ربيع الأول الخميس، فيكون ثاني عشرة الاثنين (٧٣٧).

إذا عرفت موته ﷺ (فيا لها) أي يا للفعلة العجيبة، فالنداء للتعجب والعرب إذا استعظمت شيئاً نادته على سبيل التعجب، ففيه مجاز التشبيه لتشبيه ما تعجب منه لعظمته، بمنادى يسمع ويعقل كقولهم: يا للماء ويا للدواهي، وقوله (مصيبةً) تمييز لتلك الفعلة الراجع إليها الضمير بقرينة السياق، ويحتمل أن يجعل المنادى محذوفاً، والتقدير: يا متعجباً تأمّل ما وقع لها أي لهذه الفعلة والمصيبة من الكرب والحيرة والدهشة (لمن بُلي) بالبناء للمجهول أي ابتلي بها من المسلمين.

وفي سنن ابن ماجه أنه ﷺ قال في مرضه: أيها الناس إن أحدٌ من المؤمنين أصيب بمصيبة فليتعز بمصيبته فيّ عن المصيبة التي تصيبه بغيري فإن أحداً من

---

(٧٣٧) أنظر السيرة (٤/ ٥٠٤ - ٥١٠).

أمتي لن يصاب بمصيبة بعدي أشد عليه من مصيبتي (٧٣٨)، وفي حديث الترمذي: فأنا فَرَطٌ لأمتي لن يصابوا بمثلي (٧٣٩).

وَعِنْدَما أُحْتُضِرَ كانَ يُدْخِلُ في قَدَحِ الماء يَدَهُ ويَجْعَلُ
يَمْسَحُ وَجْهَهُ وَيقولُ يا ربِّ إن للموتِ سَكَراتٌ عليها فأعِنْ

(وعندما) مصدرية (احتضر) بالبناء للمجهول أي حضره الموت (كان) ﷺ (يدخل في قَدَح الماء) بالقصر للوزن أي في قدح عنده ماء (يده) مفعول يدخل (ويجعل) من أفعال المقاربة للشروع وخبره قوله: (يمسح وجهه) و (يقول: يا رب إن) بالتخفيف (للموت سكرات) بسكون الكاف للوزن اسم أن المتأخر عن الخبر، وسكرات الموت شدائده ومكروهاته وما يحصل للعقل من التغطية المشابهة للسكر، وقد يحصل من الغضب والعشق نظير ذلك (عليها) متعلق بقوله: (فأعِنْ) أي فأعنّي وعن عائشة رضي الله عنها قالت: رأيت رسول الله ﷺ وهو بالموت وعنده قدح فيه ماء وهو يدخل يده في القدح، ثم يمسح وجهه بالماء، ثم يقول: اللهم أعنّي سكرات الموت رواه الترمذي (٧٤٠) وفي

(٧٣٨) رواه ابن ماجه (١٥٩٩) ولفظه «يا أيها الناس أيما أحد من الناس أو من المؤمنين أصيب...» الحديث.
وفي إسناده موسى بن عبيدة الرَّبذي وهو ضعيف.

(٧٣٩) رواه الترمذي (١٠٦٨) وقال: حديث حسن صحيح غريب لا نعرفه إلا من حديث عبد ربه بن بارق وقد روى عنه غير واحد من الأئمة.
ورواه أيضاً أحمد (٣٠٩٨) والطبراني في الكبير (١٢٨٨٠).
وهو حديث ضعيف لأن في إسناده عبد ربه بن بارق قال الحافظ: صدوق يخطىء وسماك أبو زميل الحنفي قال الحافظ: ليس به بأس.

(٧٤٠) رواه الترمذي (٩٨٥) ورواه أيضاً أحمد (٦/ ٦٤ و ٧٠ و ٧٧ و ١٥١) والنسائي في عمل اليوم والليلة (١٠٩٣) وابن ماجه (١٦٢٣) والحاكم (٢/ ٤٦٥ و ٣/ ٥٦ - ٥٧) وفي إسناده موسى بن سرجس وهو مجهول. وضعفه الترمذي بقوله غريب، وانظر النكت الظراف (١٢/٢٨٦ - ٢٨٧) ولا عبرة بتصحيح الحاكم له ومن وافقه بعد أن علم حال موسى بن سرجس.

البخاري: أنه ﷺ لما حضره القبض، ورأسه على فخذ عائشة غشي عليه، فلما أفاق شخص بصره نحو سقف البيت، ثم قال: اللهم في الرفيق الأعلى [٧٤١] وصح: اسأل الله الرفيق الأعلى مع الأسعد: جبرائيل وميكائيل وإسرافيل[٧٤٢]:

وَأَصْبَحَتْ بِمَوتِهِ المدينَة مُرْتَجَّةً وزالَتِ السَّكينَه
وَكَذَّبَتْ بِمَوتِهِ الفريقُ وَثَبَتَ العَبَّاسُ وَالصِّدِّيقُ

(وأصبحت بموته) ﷺ (المدينة) المنورة (مرتجةً) من الارتجاج وهو التحرك والاضطراب لاضطراب أهلها بارتفاع الرنة والأصوات بالبكاء والدهشة (وزالت السكينة) والوقار عن أهلها، ولما مات ﷺ سُجي ببرد حبرة، فاختلف الناس لعظم المحنة وشدة المصيبة، فأقعد فريق لم يطيقوا الكلام [القيام] كعليّ لم يبرح البيت، وكعبد الله بن أنس مات كمداً بلا مرض، وأخرس فريق لم يطيقوا الكلام كعثمان يؤخذ بيده فيجاء به ويذهب، وفريق خلط كلامهم بلا بيان (وكذبت) والتاء لتأنيث الفاعل لأن الفريق كالفرقة مدلولة جمع (بموته فريق) فقالوا: لم يمت إما للدهشة والحيرة أو لئلا يشمت به المنافقون، ومن أشد المنكرين عمر رضي الله عنه فقال: وقد سلّ سيفه لا أسمع أحداً يذكر أنّ رسول الله ﷺ قد مات إلاّ علوته بسيفي هذا كما في حديث الترمذي[٧٤٣] وقال: ليرجعنّه الله وليقطعن أيدي رجال من المنافقين يتمنون لرسول الله ﷺ الموت، إنما واعده ربه عز وجل كما واعد موسى وهو آيتكم[٧٤٤]، وكأنه ظن أن ما عرض له ﷺ إنما هو الغشي والذهول عن حِسِّهِ فأحال الموت عليه، أو

(٧٤١) رواه البخاري (٤٤٣٧).

(٧٤٢) رواه النسائي في الوفاة من الكبرى وفي عمل اليوم والليلة (١٠٩٧).

(٧٤٣) رواه الترمذي في الشمائل (٣٩٦) والنسائي في الوفاة من الكبرى والطبراني في المعجم الكبير (٦٣٦٧) قال الحافظ في الفتح (١/ ٥٢٩) إسناده صحيح لكنه موقوف.
قلت: يقصد دفن النبي في المكان الذي قبض فيه.

(٧٤٤) أنظر كشف الأستار (١/ ٤٠١ - ٤٠٢) وسيرة ابن هشام (٤/ ٣٣٤).

خاف وقوع فتنة الناس أي العرب بقرينة المقام (وثبت) فريق على عقولهم منهم (العباس) رضي الله عنه لما جاء قال كما في الإحياء: والله الذي لا إله إلا هو لقد ذاق رسول الله ﷺ الموت(٧٤٥) لكن الناس لم ينزجروا بقول العباس.

وأحكمهم رأياً وأثبتهم خليفته أبو بكر (الصديق) رضي الله عنه فإنه لما قدم من مسكنه بالعوالي دخل على النبي ﷺ وكشف عن وجهه الشريف فعرف أنه قد مات فأكب عليه يُقَبِّلَهُ ويبكي ثم خرج إلى الناس فأمر عمر بالسكوت عن مقالته فأبى لما هو فيه من الدهش والحيرة فتركه، وكلّم الناس فاجتمعوا إليه لعلمهم بعلو شأنه وتقدمه في معرفة حاله ﷺ، فخطبهم فقال بعد الثناء على الله تعالى:

أما بعدُ: فمن كان يعبد الله فإن الله حيّ لا يموت ومن كان يعبد محمداً فإن محمداً قد مات ثم قرأ ﴿وما محمد إلا رسول الله قد خلت من قبله الرسل أفإن مات أو قتل انقلبتم على أعقابكم﴾ الآية. رواه البخاري(٧٤٦)، وحينئذ صدقوا بوفاته ﷺ وذكروا الآية كأنهم لم يسمعوها من قبل لعظم ما استولى عليهم من الدهش، وبهذا أظهر علم أبي بكر الصديق وعظم شجاعته إذ هي ثبوت القلب عند حلول المصائب، ولا مصيبة أعظم من هذه، ورجع عمر رضي الله عنه عن مقالته وخطب الناس بذلك كما ذكره الوائلي، وفي مختصر ابن سيد الناس أن الناس سمعوا من باب الحجرة: لا تغسلوه فإنه طاهر، ثم سمعوا بعد ذلك اغسلوه فإن ذلك إبليس وأنا الخضر وعزّاهم، فقال: إن في الله عزاء من كل مصيبة، وخلفاً من كل هالك، ودركاً من كل فائت، فبالله ثقوا، وإياه فارجعوا، فإن المصاب من حُرِم الثواب(٧٤٧).

(٧٤٥) الاحياء (٤/ ٥٨٨).

(٧٤٦) رواه البخاري (١٢٤١ و ١٢٤٢ و ٣٦٦٧ و ٣٦٦٨ و ٣٦٦٩ و ٣٦٧٠ و ٤٤٥٢ و ٤٤٥٣ و ٤٤٥٤ و ٤٤٥٥ و ٤٤٥٧ و ٥٧١٠ و ٥٧١١).

(٧٤٧) لا يصح انظر السيرة (٤/ ٥٥٠) لابن كثير.

وفي دلائل النبوة للبيهقي حديث طويل فيه تعزية طويلة، وأنكر النووي وغيره وجودها في كتب الحديث[٧٤٨]، واختلفوا هل يغسل ﷺ في ثيابه أم يجرد عنها فألقى الله تعالى عليهم النوم فقال قائل لا يدرون من هو؟: اغسلوه في ثيابه فانتبهوا وغسلوه في قميصه يصبون الماء فوق القميص ويدلكونه بالقميص كما رواه البيهقي عن عائشة[٧٤٩]، والحق في غسله ﷺ أنه بالعصابة، فغسله عَلِيٌّ لحديث رواه جماعة منهم ابن سعد والبزار والبيهقي عن عليّ كرم الله وجهه: أوصاني النبي ﷺ: أن لا يغسله أحد غيري، فإنه لا يرى أحد عورتي إلاّ طمست عيناه[٧٥٠]، وزاد ابن سعد: قال عليّ: فكان الفضل وأسامة يناولان الماء من وراء الستر وهما معصوبا العين، قال عليّ: فما تناولت عضواً إلاّ كأنما يقلبه معي ثلاثون رجلاً حتى فرغت من غسله، وفي رواية: يا علي لا يغسلني إلاّ أنت فإنه لا يرى أحد عورتي إلاّ طمست عيناه، والعباس وابنه الفضل يعينانه، وقثم ابنه الآخر وأسامة وشُقران مولياه ﷺ يصبون الماء وأعينهم معصوبة من وراء الستر، وفي كتب السير: وحضرهم أوس بن خولى الأنصاري ولم يلِ شيئاً، وقيل: كان يحمل الماء:

كُفِّنَ في ثَلاثَةِ الأثْوابِ بيضٌ لَفائِفَ بِلا ارتِيابِ
ثُمّتَ أفذاذاً عليهِ صلّيا وكانَ في مَوْضِعِهِ قَدْ سُجِّيا

ثم بعد غسله (كفن في ثلاثة الأثواب بيض) سحولية من كرسف أي بضمتين بينهما سكون، وهو القطن ليس فيها قميص ولا عمامة[٧٥١] بل كانت كلها (لفائف) كما صحّ به الحديث عن عائشة، بل قال الحاكم: تواترت بذلك

(٧٤٨) أنظر ما علقناه على الحديث (٢٦٧٦) من المعجم الكبير للحافظ الطبراني.
(٧٤٩) رواه محمد بن إسحاق كما في سيرة ابن هشام (٤/ ٣٤٢).
(٧٥٠) رواه ابن سعد (٢/ ٢٧٨) والبزار (٨٤٨) وفي إسناده يزيد بن بلال قال البخاري فيه نظر فهو ضعيف. قال الحافظ ابن كثير في السيرة (٤/ ٥٢٠) وهذا غريب جداً.
(٧٥١) رواه البخاري (١٢٦٤ و ١٢٧١ و ١٢٧٢ و ١٢٧٣ و ١٢٨٧) من حديث عائشة.

الأخبار عن الصحابة وإليه أشار الناظم بقوله: (بلا ارتياب) أي شك وظاهر الحديث: أن القميص الذي غسل فيه نزع عنه عند تكفينه، وصوّبه النووي فإنه لو بقي مع رطوبته أفسد الأكفان (ثمت) هو ثم العاطفة لحقت به تاء التأنيث المتحركة اللاحقة للحروف كما في ربّت ولات فتختص حينئذ بعطف الجملة على الجملة (أفذاذاً) بذالين معجمتين جمع فذ بمعنى الفرد أي منفردين لم يؤمهم أحد لعدم اتفاقهم على خليفة تكون الإمامة له فهو حال مقدم من الفاعل المفهوم من الفعل بعده، ويجوز جعله نائباً عن المصدر بحذف المضاف أي صلوةً أفذاذ وقوله: (عليه) متعلق بفعل محذوف يفسّره قوله (صلّيا) بألف الإطلاق ولا يجوز تعلقه بالمذكور لأن نائب الفاعل كالمجرور هنا لا يقدم على الفعل كالفاعل إلاّ أن يقدر في صُلّيَا ضمير يعود إلى أصل الفعل أي صلّى الصلاة عليه، كما في: وقد حيل بين العير والنزوان أي وقع الحيلولة فتأمله (وكان) ﷺ حين صلّوا صلاة الجنازة عليه (في موضعه) أي في بيته على سريره (قد سُجّيَا) بألف الإطلاق أي ستر ببرد حبرة وسَجّته عائشة رضي الله عنها كما في حديث أحمد عنها، وقيل: الملائكة، وروى ابن ماجه أنهم لما فرغوا من جهازه يوم الثلاثاء وضع على سريره في بيته، ثم دخل الناس أرسالاً متتابعين يصلون عليه، حتى إذا فرغوا دخل النساء، حتى إذا فرغن دخل الصبيان، ولم يؤم الناس عليه ﷺ أحد [752]، وفي رواية أول من صلّى عليه الملائكة أفواجاً، ثم أهل بيته، ثم الناس أفواجاً أفواجاً، ثم نساؤه [753].

وقَبْرهُ قدْ حفروهُ لحَدا ... وأطبِقَ اللَّبِنُ تِسعاً عُدّا

(وقبره) الشريف بالرفع على الابتداء أو النصب على الأشتغال (قد حفروه) حال كونه (لحداً) بفتح اللام وضمها هو الشق في عرض القبر

(٧٥٢) رواه ابن ماجه (١٦٢٨) وفي إسناده الحسين بن عبدالله الهاشمي وهو ضعيف، وانظر الفتح (١/ ٥٢٩).

(٧٥٣) رواه البزار (٨٤٧) وانظر مجمع الزوائد (٩/ ٢٤).

بأن يحفر في جانبه ما يسع الميت، سمي به لميله عن الوسط إلى جانبه لأن أصل اللحد الميل، بخلاف الضريح فإنه ما يشقه طولاً في الوسط، واختلفوا في قبره الشريف أيُلْحَدُ [هل يلحد] أو يُضرَحُ، وكان بالمدينة حفّاران، أحدهما يلحد وهو أبو طلحة الأنصاري، والآخر يضرح، فاتفقوا على أن من جاء منهما أولاً عمل عمله، فجاء الذي يلحد، فلحد له في موضع فراشه حيث قبض، لأنهم لما اختلفوا في محل دفنه، فقال قوم في البقيع، وقوم في المسجد، وقوم في غير ذلك، قال لهم أبو بكر الصديق رضي الله عنه: سمعته ﷺ يقول: ما دُفِنَ نبي إلاّ حيث يموت رواه ابن ماجه، وفي رواية الترمذي ما قبض الله نبياً إلاّ في الموضع الذي يجب أن يُدْفَنَ فيه، ثم قال عليّ: وأنا سمعته منه ﷺ (٧٥٤)، واختلف فيمن أدخله قبره.

وأصح ما روي في ذلك: أنه نزل في قبره عمه العباس وعليّ والفضل وقثم ابنا العباس رضي الله عنهم، وفرش تحته في القبر قطيفة حمراء كان يتغطى بها، فرشها شقران مولاه ﷺ من غير علم الصحابة بذلك، وقال: والله لا يلبسها أحد بعدك، وذكر ابن عبدالبر: إنها أُخرجت لما فرغوا من وضع اللبنات (٧٥٥)، ومن ثمة نص الشافعي رضي الله عنه وأصحابه على كراهة فرش نحو ذلك، وبعدما وضع ﷺ في لحده (أُطبق) عليه (اللبن) بوزن كتف جمع لبنة حال كونها (تسعاً) عدد السماوات السبع والعرش والكرسي، وحال كونها (عدّا) أي معدودة وهو كالتأكيد لما قبله، ثم هيل عليه التراب، وفرغوا من دفنه ﷺ ليلة الأربعاء كما رجّحه كثيرون وجمعوا بينه وبين رواية دفنه ﷺ يوم الثلاثاء بأنهم شرعوا في تجهيزه آخر يوم الثلاثاء فلم يفرغوا إلاّ آخر ليلة الأربعاء، وقيل: دُفِنَ يوم الأربعاء (٧٥٦) وعلى كلّ إنما أخروا دفنه إلى ذلك مع أمره ﷺ بتعجيل

(٧٥٤) أنظر السيرة (٤/ ٥٢٩ - ٥٣١ و ٥٣٤) وسنن ابن ماجه (١٥٥٧ و ١٥٥٨).
(٧٥٥) أنظر السيرة (٤/ ٥٣٥ - ٥٣٦) لابن كثير.
(٧٥٦) أنظر السيرة (٤/ ٥٣٩ - ٥٤٠) لابن كثير.

دفن الميت، إما لعدم اتفاقهم على موته، أو محل دفنه كما مرّ، أو لاشتغالهم بما هو أهم وهو أمر البيعة، دفعاً للتنازع وتسكيناً للفتنة حتى استقر الأمر، فبايعوا أبا بكر ثم بايعوه بالغد بيعةً أخرى من ملأ منهم، فكشف الله الكربة، ثم نظروا في أمره ﷺ من الغسل وما بعده، وصحح الحاكم في الاكليل أنه ﷺ توفي حين زاغت الشمس يوم الاثنين، ودفن تلك الساعة، وقال: إنه أثبت الأقاويل، نقله ابن جماعة، وقيل دفن ليلة الثلاثاء:

وَذاكَ كُلُّـهُ بِبَيْـتِ عـائِشَـة ... فَلْيَهْنِها مَيْتَـةً وَعـائِشَـةْ

(وذاك)[٧٥٧] المذكور من الموت والتكفين والصلاة والدفن وغيرها (كله) تأكيد [كان] (ببيت عائشة) الصِديقة بنت الصديق رضي الله عنهما (فليهنها) وقد مرّ في شرح الخطبة أن الأصل فليهنأ بالهمزة فخففت أي فليسرّها ما ذكر الكائن ببيتها الدال على مزيد فضلها وشرفها، كيف وقد أحبّ ﷺ أن يمرّض في بيتها، وجمع الله بين ريقه وريقها قبل الموت حيث مضغت له السواك فأعطته إياه بإشارته ﷺ بذلك، وتوفي ﷺ في نوبتها، ورأسه الشريف بين صدرها وحنكها، وقد ظهر لها ولأبيها في وفاته ﷺ فضائل لا تخفى على من تأمل الأحاديث، وذلك السرور لها حال كونها (ميّتةً) وحال كونها (عائشةً) أي [فضائل] ذات عيش وحياة وفيه لطف الجناس.

[خاتمة] اشتداد المرض عليه ﷺ وشدة سكرات موته إنما هو لرفع درجاته والتحقق بمقام العبودية لله تعالى رحمةً بأمته، واختار التعجيل مع أنه خيّر بين التأخير إلى أن يرى ما يفتح الله على أمته وبين لقاء ربه ليكون فرطاً لهم ودفعاً لنزول العذاب عليهم بعصيانهم كما يدل عليه حديث مسلم أنه ﷺ قال: (إن الله إذا أراد بأمة خيراً قبض نبيها قبلها فجعله لها فرطاً وسلفاً بين يديها وإذا أراد إهلاك [هلكة] أمة عذبها ونبيها حيّ وأهلكها وهو ينظر فأقرّ عينه بهلكتها

(٧٥٧) في نسخة القاضي وذلك وهو خطأ.

حين كذبوه وعصوا أمره)[٧٥٨] ، روى الدارمي عن أنس رضي الله عنه قال: ما رأيت يوماً أحسن ولا أضوء من يوم دخل علينا رسول الله ﷺ ، وما رأيت يوماً أقبح ولا أظلم من يوم مات فيه رسول الله ﷺ ، وروى الترمذي نحوه وزاد: ما نفضنا أيدينا عن التراب وإنا لفي دفنه حتى أنكرنا قلوبنا[٧٦٠] ، فكادت الجمادات تتصدم من ألم مفارقته ﷺ ، فكيف بقلوب المؤمنين، وكان الحسن إذا تحدث بحديث حنين الجذع حين خطب ﷺ على المنبر بكى، ويقول: هذه خَشَبَةٌ تحنّ إلى رسول الله ﷺ فأنتم أحقّ أن تشتاقوا إليه[٧٦١] ، وذكر كما في المواهب أن ناقته ﷺ بعد وفاته: لم تأكل ولم تشرب حتى ماتت، وسمع عليّ كرم الله وجهه كما روى أبو نعيم عنه صوتاً من السماء ينادي: وامحمداه الحديث[٧٦٢] . وروى عنه أيضاً: أنّ مَلَك الموت صعد إلى السماء باكياً[٧٦٣] ، وقد عاشت فاطمة رضي الله عنها بعده ﷺ ستة أشهر ما ضحكت حتى ماتت أسفاً وحق لها ذلك فإن كل المصائب تهون عند هذه المصيبة، وما أحسن قول القائل:

اصبر لكل مصيبة وتجلّد　　　واعلم بأن المرء غير مخلد

---

(٧٥٨) رواه مسلم (٢٢٨٨) ولفظه «إن الله عز وجل إذا أراد رحمة بأمة من عباده».

(٧٥٩) أنظر سنن الدارمي (٨٩) وسنن ابن ماجه (١٦٣١).

(٧٦٠) أنظر الشمائل (٣٩٢) للترمذي.

(٧٦١) رواه أبو يعلي (١٣٩/ ٢) وابن حبان (٥٧٤) والبيهقي في الدلائل (٢/ ٢٧٦ - ٢٧٧) وأبو القاسم البغوي وفي إسناده مبارك بن فضاله وهو مدلس تدليس تسوية وقد صرح بالتحديث قال شيخنا لا يفيده ذلك والحسن أيضاً موسى وقد عنعن فهو ضعيف.

(٧٦٢) لم أر إسناده ولا أظنه يصح.

(٧٦٣) نقله السيوطي في الخصائص الكبرى (٣/ ٣٨٨) وعلق عليه الدكتور محمد خليل هراس: هذا غير معقول، فإن الملائكة كانت فرحة بقدوم روحه الشريفة عليهم. وإنما بكاه المؤمنون في الأرض.

واصبر كما صبر الكرام فإنها   نَوَب تنوب اليوم تكشف في غد
وإذا أتتك مصيبة تشجى بها   فاذكر مصاباً [مصابك] بالنبي محمد

وقول الآخر:

تذكرت لما فرّق الدهر بيننا   فعزيت نفسي بالنبي محمد
وقلت لها إن المنايا سبيلنا   فمن لم يمت في يومه مات في غد

وقال حسان رضي الله عنه في مرثيته ﷺ:

كنتَ السواد لناظري   فعمي فبكى عليك الناظر
من شاء بعدك فليمت   فعليك كنت أحاذر

ورثاه ابن عمه ﷺ أبو سفيان بن الحارث(٧٦٤):

أرقتُ فبات ليلي لا يزول   وليل أخي المصيبة فيه طول
وأسعدني البكاء وذاك فيما   أصيب المسلمون به قليل
لقد عظمت مصيبتنا وجلّت   عشيته قيل قد قبض الرسول

إلى أن قال:

أفاطمُ إن جزعتِ فذاك عذر   وإن لم تجزعي ذاكِ السبيل
فقبر أبيك سيد كل قبر   وفيه سيد الناس الرسول(٧٦٦)

وكذا رثاه الصديق وغيره، ورثته صفية عمته بمراثي كثيرة مذكورة في كتب السير:

سَبْعٌ وَعِشْرُونَ غَزاةً عُدَّ لَهُ   وَفَوقَ خَمسينَ السَّرايا مُجْمَلَه

---

(٧٦٤) في نسخة القاضي ورثاه فبكى ابن عمه وهو خطأ.

(٧٦٥) في الأصل ونسخة القاضي فيه قيل وهو مخالف لما في السيرة لابن كثير (٤/ ٥٥٨).

(٧٦٦) أنظر السيرة (٤/ ٥٥٨ ـ ٥٥٩) لابن كثير.

(عدد غزواته وسراياه ﷺ سبع وعشرون) وقيل: خمس وعشرون وقيل: تسع عشرة، وقيل: غير ذلك (غزاةً) بفتح الغين اسم للغزو (عدّ) وتذكير الضمير بتأويله بالعدد أي عدّ ذلك العدد (له) ﷺ قاتل في تسع منها بنفسه: بدر، وأحد، والخندق، وبني قريظة، والمصطلق وخيبر والفتح وحنين، والطائف، وهذا على القول بأن مكة فتحت عنوة، وقيل: قاتل أيضاً في بني النضير، والغابة، ووادي القرى من أعمال خيبر (وفوق خمسين) إلى نحو ستين كما في عبارة العز بن جماعة وغيره (السرايا) جمع سرية بوزن صبية هي التي تخرج بالليل، والسارية ما تخرج بالنهار وهي قطعة من الجيش تخرج منه وتعود إليه من مائة إلى خمسمائة وما زاد يسمى منسراً بالنون فإن زاد على ثمانمائة يسمى جيشاً أو على أربعة آلاف يسمى جحفلاً بتقديم الجيم كجعفر، وما افترق من السرية يسمى بعثاً والكتيبة ما اجتمع ولم ينتشر ذكره القسطلاني (بمجمله) غير معينة في عدد، وعبارة ابن سيد الناس، وكانت بعوثه ﷺ نحواً من خمسين، وقيل: سبعاً وأربعين، وقد سبق ذكر جميع غزواته وغالب السرايا مع الإيجاز والإيضاح ولله الحمد.

عمره وحجاته ﷺ

أَرْبَعاً اعتمر وَالْحَجُّ أَحَدْ   مِن بَعدِ هِجْرَةٍ وَقَبلُ لا تُعَدْ

(أربعاً اعتمر) ﷺ كما في الصحيحين وسنن الترمذي وأبي داود (٧٦٧) عمرة الحديبية وعمرة من العام المقبل وعمرة من الجعرانة حيث قسم غنائم حنين، وعمرة مع حجته، وكلها في ذي القعدة إلاّ التي في حجّته (والحج أحد من بعد هجرة، وقبل) أي قبل الهجرة (لا تُعَدّ) حججه ﷺ،

---

(٧٦٧) رواه البخاري (١٧٧٦) ومسلم (١٢٥٥) وأبو داود (١٩٩١ و ١٩٩٢) والترمذي (٩٣٦ و ٩٣٧) من حديث ابن عمر والبخاري (١٩٧٨) ومسلم (١٢٥٣) وأبو داود (١٩٩٤) والترمذي (٩١٥) من حديث أنس.

أخرج الحاكم بسند صحيح أنه ﷺ حجّ قبل أن يهاجر حججاً (٧٦٨)، وقال ابن الجوزي: حجّ حججاً لا يعلم عددها، وقال ابن الأثير: يحجّ كل سنة قبل الهجرة، لكن روى الترمذي عن جابر رضي الله عنه أنه ﷺ: حجّ ثلاث حجج حجتين قبل الهجرة وحجة بعدها (٧٦٩)، وأخرج ابن ماجه (٧٧٠) والحاكم عن ابن عباس رضي الله عنهما حج قبل الهجرة ثلاث حجج وهو مبني على عدد وفود الأنصار إلى العقبة.

انتهى الجزء الأول

ويليه الجزء الثاني

وأوله أسماؤه ﷺ

---

(٧٦٨) أنظر ما بعده.

(٧٦٩) رواه الترمذي (٨١٢) وابن ماجه (٣٠٧٦) من حديث جابر قال الترمذي: هذا حديث غريب من حديث سفيان لا نعرفه إلا من حديث زيد بن جباب ورأيت عبدالله بن عبد الرحمن روى هذا الحديث في كتبه عن عبدالله بن أبي زياد، وسألت محمداً عن هذا فلم يعرفه من حديث الثوري عن جعفر عن أبيه عن جابر عن النبي ﷺ، ورأيته لا يعد هذا الحديث محفوظاً وقال إنما يروى عن الثوري عن أبي إسحاق عن مجاهد مرسلاً. ورواه الحاكم (١/ ٤٧٠) وصححه على شرط مسلم ووافقه الذهبي.

(٧٧٠) رواه ابن ماجه (٣٠٧٦).
وانظر الفتح (٨/ ١٠٧).

فهرس المحتويات

الصفحة

المقدمة ٥
ذكر شيء من أحوال الناظم رحمه الله تعالى ٢٢
وفاة محمد بن الجزي بشيراز ٢٣
مبحث آل النبي ﷺ ٢٧
مبحث أما بعد ٢٩
مبحث عموم بعثته ﷺ ٣٠
مبحث خيريته ﷺ ٣٣
مبحث أول سلطان ٣٦
مبحث تفاح شيراز ٣٨
مبحث التفاؤل ٤١
بيان نسبته ﷺ ٤٣
مبحث الياس أول من أهدى البدن إلى الحرم ٥١
مبحث مضر أول من سن الحد للإبل ٥٢
مبحث تلقي أمه ﷺ معه في كلاب ٥٤
مبحث نجاة والديه ﷺ ٥٥
مبحث إحياء والديه ﷺ ٦٠
مبحث آزر ٦٥
بيان وقت حمله وتاريخ ولادته ﷺ ٧٢
مبحث خلق حواء ٧٥
مبحث حمله ﷺ ٧٦

الصفحة

مبحث ولادته ﷺ ٧٨
مبحث مدة الحمل ٨٢
مبحث النسيء ٨٣
مبحث أول من حدث النسيء ٨٤
مبحث قصة أصحاب الفيل ٨٥
مبحث عمر آدم ٨٩
مبحث أبجد هوز ٨٩
مبحث التأريخ ٩١
مبحث أول من أرخ بالهجرة ٩١
مبحث عمر الدنيا ٩٢
مبحث ما بين آدم ومحمد ﷺ ٩٤
مبحث ما بين ذي القرنين إلى عام الفيل ٩٦
مبحث ما بين عيسى ومحمد ﷺ ٩٩
مبحث أنوشيروان ١٠٠
من آيات مولده ﷺ ١٠٢
مبحث شق إيوان كسرى ١٠٢
مبحث نار فارس ١٠٤
مبحث بحيرة ساوة ١٠٦
مبحث قصور بُصرى ١٠٧
مبحث أرض المحشر ١٠٩
من أرضعه ﷺ ١١٠
مبحث رؤيا أبي لهب ١١١
مبحث الملك المظفر وعمل المولد ١١٤
مبحث شق الصدر ١١٩
حضانته وموت أبيه ﷺ ١٢١

الصفحة

موت أمه ﷺ وكفالة جده ثم عمه أبي طالب ١٢٣
وصوله إلى بصرى وقول الراهب وغيره ١٢٥
مبحث كونه ﷺ رحمة للعالمين ١٢٦
مبحث شرط الصحابي رؤيته ﷺ ١٢٨
مبحث خديجة بنت خويلد ١٣٠
زواجه ﷺ بخديجة وبنيان الكعبة ١٣٣
مبحث بناء قريش البيت ١٣٤
مبحث بعثته ﷺ ١٣٦
مبحث ما نزل عليه ﷺ ١٣٩
مبحث أول من آمن به ﷺ ١٤٦
مبحث تتابع الوحي ١٤٧
مبحث تسمية عمر بالفاروق ١٤٨
مبحث تعييبه ﷺ آلهتهم ١٥٢
مبحث أول من أظهر الإسلام ١٥٤
مبحث الهجرة إلى الحبشة ١٥٥
مبحث المحاصرة ١٥٧
موت عمه أبي طالب وخديجة رضي الله عنهما ١٥٩
خروجه ﷺ للطائف مستأمناً وإسلام الجن ١٦٠
المعراج وفرض الصلاة ١٦٣
مبحث تعريف البراق ١٦٦
مبحث أول صلاة صلاها ﷺ ١٦٨
مبحث الكلام والرؤية ١٧٤
مبحث النهي عن التفكر في ذات الله ١٧٦
مبحث فرض الصلوات ١٧٨
بدء إسلام الأنصار أولاً يوم العقبة ١٧٩

الصفحة

مبحث إسلام الأنصار ١٨٠
مبحث أول مسجد قرىء فيه القرآن ١٨١
مبحث بيعة العقبة الثانية ١٨٢
مبحث اجتماع قريش في الندوة ١٨٣
مبحث هجرته ﷺ ١٨٤
مبحث سراقة بن مالك ١٨٩
مبحث أول مسجد بني في الإسلام ١٩٠
مبحث بناء مسجده ﷺ ١٩٢
مبحث الزيادة في صلاة الحضر ١٩٣
مبحث رؤية الأذان ١٩٤
مبحث اتخاذ المنبر ١٩٦
مبحث انتقال الوباء ١٩٧
مبحث شروع الجهاد ١٩٩
مبحث غزوة نخلة ٢٠٠
مبحث فرض الصوم ٢٠٢
مع قبلة ثم غزاة بدر في رمضان مع زكاة الفطر ٢٠٣
مبحث غزوة بدر ٢٠٤
مبحث رمي الحصى ٢٠٩
مبحث الاستشارة في الأسرى ٢١٢
مبحث الأمر بقتل بعض المشركين صبراً ٢١٤
مبحث زكاة الفطر ٢١٥
مبحث غزوة بني قينقاع ٢١٦
مبحث غزوة السويق ٢١٨
مبحث غزوة أُحُد ٢١٩
مبحث التمثيل بحمزة ٢٢٠

الصفحة

مبحث قتل كعب بن الأشرف اليهودي ٢٣٠
مبحث غزوة عضل والقارة ٢٣١
مبحث استشهاد خبيب وزيد بن الدثنة ٢٣٢
مبحث غزوة رعل وزكوان ٢٣٤
مبحث استشهاد القراء ببئر معونة ٢٣٤
مبحث غزوة بني النضير ٢٣٦
مبحث غزوة ذات الرقاع ٢٣٨
مبحث التيمم ٢٣٩
مبحث قصر الصلاة ٢٤٠
مبحث بدر الموعد ٢٤٠
مبحث ولادة الحسين ٢٤١
مبحث غزوة بني المصطفى ٢٤١
مبحث غزوة دومة الجندل ٢٤١
مبحث غزوة الخندق ٢٤٢
مبحث غزوة بني قريظة ٢٤٦
بحث أبا لبابة ٢٤٦
حكم سعد بن معاذ ٢٤٧
انفجار جرح سعد ٢٤٨
اهتزاز عرش الرحمن لموته ٢٤٨
مبحث الإنك ٢٤٩
خلاصة قصة الإنك ٢٤٩
مبحث غزوة بني لحيان ٢٥٠
مبحث غزوة ذو قرد ٢٥١
مبحث الحديبية ٢٥٧
مبحث صلح الحديبية ٢٥٩

الصفحة

مبحث أبو جندل ٢٦١
مبحث بيعة الرضوان ٢٦٢
غزوة خيبر ٢٦٣
مبحث زواجه ﷺ بصفية ٢٦٥
مبحث تحريم لحم الحمر الأهلية ٢٦٥
مبحث غزوة وادي القرى ٢٦٦
مبحث إسلام النجاشي ٢٦٦
مبحث عمرة القضاء ٢٦٨
غزوة مؤتة ٢٧١
غزوة حنين ٢٧٦
مبحث فتح مكة ٢٧٧
مبحث هدم مناة ٢٨٤
مبحث موت النجاشي ٢٩٠
مبحث غزوة تبوك ٢٩١
مبحث قدوم الوفود عليه ﷺ ٢٩٦
مبحث حجة الوداع ٣٠١
مبحث الوفاة ٣٠٣
تعيين وفاته ﷺ ٣٠٤
مبحث ضجّت المدينة بموته ﷺ ٣٠٨
مبحث تكفينه ﷺ ٣١٠
مبحث قبره ﷺ ٣١١
عدد غزواته ﷺ ٣١٥
عمره وحجاته ﷺ ٣١٦

كتاب

رفع الخفا شرح ذات الشفا

تأليف

الشيخ العلامة محمد ابن الحاج حسن الآلاني الكردي

المتوفى سنة ١١٨٩ هـ

تحقيق

حمدي عبد المجيد السلفي

صابر محمد سعد الله الزيباري

الجزء الثاني

بسم الله الرحمن الرحيم

(أسماؤه صلى الله عليه وسلم) [١]

أسماؤه ﷺ كثيرة تعرض جماعة لتعدادها، فمنهم من بلّغها تسعةً وتسعين موافقةً لعدد أسماء الله الحسنىٰ الواردة في الحديث [٢]، قال القاضي عياض: خصه تعالى بأن سماه من أسمائه الحسنىٰ بنحو من ثلاثين اسماً وقال ابن دحية في كتابه المستوفىٰ: إذا فحص عنها من الكتب المتقدمة والقرآن والسنة بلغت ثلاثمائة، ونقل أبو بكر بن العربي عن بعض الصوفية أنه بلّغها ألفاً كأسمائه تعالىٰ [٣]. قال القسطلاني وغيره: ومرادهم ما يشمل الأوصاف، فإذا اشتق له من كل وصف من أوصافه المختصة به أو الغالبة عليه، أو المشتركة بينه وبين الأنبياء بلغت ذلك العدد بزيادة، وقد وصلها جماعة كالقاضي عياض وأبي بكر بن العربي وابن سيد الناس وغيرهم إلى أربعمائة، وسرد جميعها القسطلاني مشروحة في كتاب المواهب، وقد ذكر الناظم ما هو المشهور منها فقال:

أسْماؤُهُ قالَ أنا مُحَمَّدُ ... وَالحاشِرُ الماحي المُقَفّي أحْمَدُ

([أسماؤه] قال) ﷺ:

« إنَّ لِي أَسْمَاءَ » وفي رواية: « خَمْسَةُ أَسْمَاءَ » التي اختص بها لم يسم بها أحد

---

(١) وقد شرحها السيوطي في كتابه « الرياض الأنيقة في شرح أسماء خير الخليقة » وطبعته دار الكتب العلمية في بيروت بتحقيق أبي هاجر محمد السعيد بن بسيوني زغلول.

(٢) انظر الرياض الأنيقة (ص١٤).

(٣) انظر عارضة الأحوذي (١٠/٢٨١).

قبلي، أو المشهورة في الأمم الماضية[٤]، فالحصر المستفاد من تقديم الجار والمجرور، إضافي لا حقيقي لورود الروايات بزيادة على ذلك (أنا) بالإشباع (محمد) في الأصل اسم مفعول سمي به نبينا ﷺ لكثرة خصاله المحمودة ولأنه يحمده أهل السماء والأرض، وتمام لفظ الترمذي عن جبير: «وَأَنَا أَحْمَدُ، وَأَنَا الْمَاحِي الَّذِي يَمْحُو اللهُ بِي الْكُفْرَ، وَأَنَا الْحَاشِرُ الَّذِي يُحْشَرُ النَّاسُ عَلَى قَدَمَيَّ وَأَنَا الْعَاقِبُ»[٥] وروى الترمذي [أيضاً] عن حذيفة قال: قال رسول الله ﷺ: «أَنَا مُحَمَّدٌ وَأَنَا أَحْمَدُ وَأَنَا نَبِيُّ الرَّحْمَةِ وَنَبِيُّ التَّوْبَةِ وَأَنَا الْمُقَفَّى وَأَنَا الْحَاشِرُ وَنَبِيُّ الْمَلَاحِمِ»[٦] فجمع الناظم [ما] في الروايتين الألفاظ الداعي ولم يرتبها لمراعاة النظم فقال: (وأنا الحاشر) مرّ تفسيره في الحديث بأنه [الذي] يحشر الناس على قدمه أي على أثره، وزمان نبوته ورسالته إذ لا نبي بعده، أو يتقدمهم وهم خلفه في المحشر إذ هو أول من تنشق الأرض عنه، وأنا (الماحي) الذي يمحو الله بي الكفر أي من مكة والمدينة وسائر بلاد الإسلام، ولم يمح الكفر بأحد مثل ما مُحِيَ به ﷺ إذ بعث وقد عم الكفر الأرض وأكثرهم لا يعرفون ربّاً ولا معاداً وأنا (المقفيّ) اسم فاعل من قَفَّى إذا ولّى وذهب يعني أنه آخر الأنبياء المتبع لهم فإذا قفّى فلا نبي بعده كما في النهاية[٧] وفسّره غيره بأنه التابع للأنبياء فكان آخرهم من قفوته إذا أتبعته وأنا (أحمد) يعني هو أحمد الحامدين لربّه لأنه يفتح عليه يوم القيامة بمحامد لم يفتح بها على أحد قبله فيحمد بها

---

(٤) انظر فتح الباري (٦/٥٥٦).

(٥) رواه مالك (٢/٢٦٢) وأحمد (٤/٨٠ و٨١ و٨٣ - ٨٤ و٨٤) والبخاري (٣٥٣٢ و٤٨٩٦) ومسلم (٢٣٥٤) والترمذي (٢٩٩٦) وعبدالرزاق (١٩٦٥٧) والحميدي (٥٥٥) والطبراني في الكبير (١٥٢٠ - ١٥٣٠) وفي مسند الشاميين (٣١٩٤) وأبو نعيم في دلائل النبوة (٦٤) وفي الأصل عن جابر، وهو خطأ والصواب ما في نسختي ونسخة القاضي كما أثبتنا.

(٦) رواه الترمذي في الشمائل (٣٦٦) وأحمد (٥/٤٠٥) والبزار (٢٣٧٨ كشف الأستار).

(٧) النهاية (٤/٩٤).

ربّه، ولذلك يُعقَد له لواء الحمد كما صح به الحديث وقيل هو بمعنىٰ مفعول أي أنه أول [أولى] الناس بأن يحمد، فهو قريب من معنى محمد، واشتهر ﷺ في الكتب السالفة بأحمد، وفي القرآن بمحمد، وهما من أشرف أسمائه ﷺ، واختلفوا في الأشرف منهما.

وَالعاقِبُ الدّاعي نَبِيُّ المَرْحَمَة نَبِيُّ تَوْبَةٍ نَبِيُّ المَلْحَمَة

(وأنا العاقب) هو الذي يخلف من كان قبله، ومنه عقب الرجل لولده، وفسر [٥] في الحديث بأنه الذي ليس بعده نبي لأن العاقب هو الآخر فهو عقب الأنبياء أي آخرهم وأنا (الداعي) إلى الله وأنا (نبي المرحمة) ونبي الرحمة وكلاهما بمعنى سمي بهما لوقوع التراحم والإلفة بين الأمة ببعثته ﷺ، والمراد أنه تعالىٰ جعل ذاته رحمةً، قال ﷺ: « إنما أنا رحمة مهداة » رواه البيهقي [٨] فرحم الله تعالىٰ به الخلق مؤمنهم وكافرهم بتأخير العذاب، وأنا نبيّ (التوبة) أي أن قبول التوبة بشروطها المذكورة في محلها من جملة ما حقَّقَهُ تعالىٰ ببركته ﷺ على هذه الأمة وأنا نبيّ (الملحمة) ونبي الملاحم جمع ملحمة وهي الحرب لاشتباك الناس فيها كاشتباك السَّدىَ باللحمة، ولكثرة لحوم القتلىٰ فيها، ولم يجاهد نبيّ وأمته قط [مثل] ما جاهد ﷺ مع أمته، كيف وهم يقاتلون الأعور الدجّال وأتباعه من اليهود وغيرهم؟ وفي القاموس: نبي الملاحم لأنه سبب لالتيامهم واجتماعهم انتهىٰ، والأول أصح واقتصر عليه في النهاية [٩]، (فائدة) قال القسطلاني وغيره: ينبغي طلب التسمية باسم من أسمائه ﷺ لخبر أبي نعيم « قال الله عزّ وجل وعزتي وجلالي: لا عذّبتُ أحداً تسمّىٰ باسمك في النار » [١٠]

---

(٨) رواه البيهقي في دلائل النبوة (١/١٥٨) وانظر تعليقنا على مسند الشهاب (١١٦٠).

(٩) النهاية (٤/٢٣٩ ـ ٢٤٠).

(١٠) لم أره ولا أشك في وضعه.

وروي عن أنس رضي الله عنه: أنّ رسول الله ﷺ قال: « يوقف عبدان بين يدي الله عزّ وجلّ فيؤمر بهما إلى الجنة فيقولان: ربنا بِمَ استأهلنا الجنة ولم نعمل عملاً تجازينا به الجنّة، فيقول تعالىٰ: ادخلا الجنّة فإني آليتُ علىٰ نفسي أن لا يدخل النار من اسمه أحمد ولا محمد »[11] ورویٰ الديلمي عن عليّ كرم الله وجهه: ما من مائدة وضعت فحضر عليها من اسمه أحمد أو محمد إلاّ قدس الله [عليه] ذلك المنزل كل يوم مرتين[12]، وروي عن [عند] أبي نعيم أنه ﷺ سمي بمحمد قبل الخلق بألفي عام، وعن كعب أن اسم محمد مكتوب علىٰ ساق العرش. وفي السماوات السبع وفي قصور الجنّة وغرفها وعلى نحور الحور وعلى قضب آجام الجنّة وورق طوبىٰ وسدرة المنتهىٰ وعلىٰ أطراف الحجب وبين أعين الملائكة، وورد في ذلك آثار كثيرة مذكورة في الشفاء وغيره، فالحمدلله على تسميتي محمداً.

(زوجاته صلى الله عليه وسلم)

زَوْجَاتُهُ بَعْدَ خَديجٍ سَودَةُ عَائِشَةٌ بِكْراً فَقَطْ وَحَفصَةُ

(زوجاته) الطاهرات أمهات المؤمنين في وجوب الاحترام وتحريم النكاح لا في سائر الأحكام من نحو النظر والخلوة بهن وتحريم بناتهن، وسواء في ذلك من مات ﷺ عنها أو ماتت عنه وهي تحته، وأفضلهن خديجة وعائشة، وفي أفضلهما خلاف، والأكثر على تفضيل خديجة عليها وهو الأصح، وورد في فضائل كل منهما أحاديث مشهورة قال [أبو] أمامة بن النقاش: إن سبق خديجة وتأثيرها في أول الإسلام ومؤازرتها ونصرها وقيامها في الدين لله تعالىٰ بمالها ونفسها لم

(١١) أورده ابن الجوزي في الموضوعات: (١٥٧/١) وقال: هذا حديث لا أصل له، وأقره السيوطي في اللآلي (١٠٥/١) وجعله من وضع أحمد الذراع تبعاً للخطيب والذهبي، فراجعه. والحديث رواه ابن بكير في فضائل من اسمه أحمد أو محمد (ص٩ - ١٢).

(١٢) رواه ابن بكير في المرجع المذكور (ص٢٩) ولا شك في وضعه.

يشركها فيه أحد لا عائشة ولا غيرها. وتأثير عائشة في آخر الإسلام وحمل الدين وتبليغه إلى الأمة وإدراكها للأدلة لم تشركها فيه خديجة ولا غيرها انتهى. واختلفوا في عدتهن وعدة من دخل بها ومن خطبها ولم ينكحها، ومن عرضت نفسها عليه.

والمتفق عليهن: إحدى عشرة، أولاهن على الإطلاق خديجة (وبعد خديجِ) بحذف التاء للوزن، ويقال للولد: خديج بالدال المهملة إذا ولد قبل تمام أيامه، وهي أم هند بنت خويلد بن أسد بن عبدالعزىٰ بن قصيّ بن كلاب، وأمّها فاطمة بنت زائدة بن الأصم وكانت تحت أبي هالة النباش، فولدت له هنداً وهالة، وهما ذكران، ثم تزوجها عتيق بن عائذ المخزومي فولدت له جارية اسمها هند، ثم تزوجها ﷺ كما سبق تفصيله، وعن عبدالرحمٰن بن زيد قال: قال آدم عليه الصلاة والسلام إني لسيد البشر يوم القيامة إلاّ نبياً من ذريتي يقال له، أحمد فضّل عليّ باثنتين زوجته عاونته، فكانت له عوناً وكانت زوجتي عليّ عوناً، وأعانه الله علىٰ شيطانه فأسلم وكفر شيطاني، خرّجه [أخرجه] الدولابي، وفي الصحيحين أن جبريل عليه السلام قال: «يا محمد هذه خديجة قد أتتك بإناء فيه طعام، أو إدام، أو شراب، فإذا أتتك فاقرأ عليها السلام من ربّها ومنّي وبشّرها ببيت في الجنة من قصب أي لؤلؤ مجوف لا صخب فيه ولا نصب»(١٣) توفيت قبل الهجرة بنحو ثلاث سنين كما سبق ودفنت بالحجون عن خمس وستين سنة، (سودة) بنت زمعة بن قيس بن عبدالشمس بن عبد ودّ بن نضر بن مالك ابن حسل بن عامر بن لؤي، فهي قريشية عامرية وكانت تحت ابن عمها سكران ابن عمرو أسلم معها قديماً، وهاجر إلى الحبشة، فلما رجعا إلى مكة مات زوجها، وتزوجها ﷺ بعد عقده على عائشة، ودخل بها قبل عائشة علىٰ ما جمعوا الخلاف في ذلك، ولما كبرت عنده ﷺ أراد طلاقها فوهبت يومها لعائشة

---

(١٣) رواه البخاري (٣٨٢٠ و٧٤٩٧) ومسلم (٢٤٣٢).

وقالت: لا حاجة لي في الرجال، وإنما أريد أن أحشر في زوجاتك فأمسكها، توفيت في خلافة عمر رضي الله عنه كما صححه البخاري في تأريخه، وقال الذهبي: في آخر خلافة عمر (١٤)، وقال ابن سيد الناس: إنه المشهور، وقيل: غير ذلك وبعد سودةً (عائشة) بالتنوين بنت أبي بكر الصديق اسمه: عبدالله كما سيأتي، وأمّها أم رومان ابنة عامر بن عويمر، تزوجها بمكة في شوال قبل الهجرة بسنتين، وقيل بثلاث وفي الصحيحين عن عائشة رضي الله عنها أنها قالت: تزوجني رسول الله ﷺ وأنا ابنة ست سنين فقدمنا المدينة فأسلمتني أمي إليه ﷺ وأنا بنت تسع سنين (١٥) ومات عنها وهي بنت ثمان عشرة سنة، وتوفيت سنة ثمان وخمسين وقيل غير ذلك، ودفنت بالبقيع وصلى عليها أبو هريرة، وكان يومئذ خليفة مروان على المدينة في أيام معاوية، وكنيتها أم عبدالله كناها ﷺ بعبدالله بن الزبير ابن أختها أسماء، فإنه ﷺ تفل في فيه لما ولد وقال لعائشة: هو عبدالله وأنت أم عبدالله قالت: فما زلتُ أكنىٰ بها وما ولدت قط، خرّجه أبو حاتم، وكانت فقيهةً عالمةً فصيحةً كثيرة الحديث عارفة بأيام العرب وأشعارها، وكان ﷺ يحبها أكثر من بقية نسائه، ولما فقدها في بعض أسفاره قال: واعروساه. خرّجه الإمام أحمد (١٦)، وقوله (بكراً) حال (فقط) بسكون الطاء أي فحسب، قال ابن هشام في المغني: قط بمعنى حسب، وقال في حواشي التسهيل: لم يسمع منهم إلا مقروناً بالفاء، وهي زائدة لازمة كما في فحسب انتهىٰ.

لم يتزوج بكراً غيرها (و) بعدها (حفصة) بنت عمر رضي الله عنه وأمها

---

(١٤) التاريخ الصغير (١/٥٠) للبخاري.

(١٥) رواه البخاري (٣٨٩٤ و٣٨٩٦ و٥١٣٣ و٥١٣٤ و٥١٥٦ و٥١٥٨ و٥١٦٠) ومسلم (١٤٢٢).

(١٦) رواه أحمد (٦/٢٤٨ - ٢٤٩).

زينب بنت مظعون، هاجرت مع زوجها خُنَيْس بضم المعجمة وفتح النون ابن حذافة السهمي فمات عنها بعد بدر، فتزوجها ﷺ سنة ثلاث، روي أنه طلقها تطليقةً فنزل جبريل فقال: إن الله يأمرك أن تراجع حفصة، فإنّها صوّامة قوّامة وإنها زوجتك في الجنّة، وفي رواية قال: رحمةً لعمر [١٧]، توفيت سنة خمس وأربعين، وقيل: إحدىٰ وأربعين عن ستين سنة في خلافة معاوية وقيل: في خلافة عثمان رضي الله عنهما.

أمُّ حَبيبَـةَ وهِنـدٌ زَينَـبُ صَفِيَّـةٌ بِنْـتُ أخطَـبُ

(وأمّ حبيبة) رملة وقيل: هند بنت أبي سفيان صخر بن حرب بن أمية ابن عبدالشمس بن عبد مناف، تزوجها ﷺ زمن هجرتها إلى الحبشة بعد أن مات زوجها عبيدالله بن جحش هناك مرتداً وثبتت هي على إسلامها، روي أنه ﷺ: بعث عمرو بن أمية الضمري إلى النجاشي ليخطبها عليه فتزوجها لعمرو وكيلاً من قبل النبي ﷺ، وأصدقها عنه أربعمائة دينار [١٨]، وبعث بها إليه ﷺ، واختلفوا فيمن ولّى نكاحها، فذكر البيهقي أنه خالد بن سعيد بن العاص وهو ابن عم أبيها [١٩]، وقيل: سعيد بن العاص، وقيل عثمان بن عفان، وأبوها إذ ذاك كان بمكة مشركاً، وقيل تزوجها بالمدينة بعد رجوعها من الحبشة، والأول أشهر، توفيت بالمدينة سنة أربع وأربعين (وهند) أم سلمة بنت أبي أمية بن المغيرة بن عبدالله بن عمير بن مخزوم، كانت هي وزوجها أول من هاجر إلى الحبشة، ومات زوجها أبو سلمة بن عبد الأسد سنة أربع من الهجرة،

---

(١٧) رواه البزار (٢٦٦٨ كشف الأستار) والطبراني في الكبير (ج٢٣ رقم٣٠٦ و٣٠٧) وإسناده ضعيف.

(١٨) رواه البيهقي في الدلائل (٣/٤٦١).

(١٩) رواه البيهقي في الدلائل (٣/٢٦١ - ٢٦٢).

فتزوجها ﷺ في تلك السنة قالت أم سلمة: [وكنت سمعت رسول الله ﷺ يقول: « ما من مسلم تصيبه مصيبة فيقول: اللهم آجرني في مصيبتي واخلق لي خيراً منها إلاّ أخلق الله له خيراً منها »] فلما مات أبو سلمة قلت: أيّ المسلمين خير من أبي سلمة، ثم إني قلتها فأخلف الله لي رسول الله ﷺ (٢٠) توفيت سنة تسع وخمسين، ودفنت بالبقيع كما في المواهب وفي مختصر ابن سيد الناس: توفيت سنة اثنتين وستين وهي آخرهنّ موتاً، في زمن يزيد بن معاوية كذا جزم العز بن جماعة. (زينب) أم الحكم بنت جحش بن رباب بن يعمر الأسدية، وأمُّها أميمة بنت عبدالمطلب فهي ابنة عمته ﷺ زوّجها ﷺ مولاه زيداً، ثم طلقها فزوجها الله تعالى نبيّه، فدخل عليها بغير عقد كما دلت عليه الآية، وكانت تفتخر بذلك على أمهات المؤمنين، وذلك سنة خمس وقيل ثلاث، توفيت بالمدينة سنة عشرين عن ثلاث وخمسين سنة وهي أول من مات منهنّ بعده، وصح عن عائشة في شأنها أنها قالت: لم تكن [أرَ] امرأة خيراً منها في الدين وأتقىٰ لله وأصدق حديثاً وأوصل للرحم وأوسع [أعظم] صدقة وأشد ابتذالاً لنفسها في العمل الذي تتصدق به وتتقرب به إلى الله تعالىٰ، أي وهو الدبغ رواه مسلم (٢١).

(وصفية) بالتنوين للوزن (بنت حيي) بن (أخطب) بالخاء المعجمة النضرية من نسل هارون عليه الصلاة والسلام، فهي إسرائيلية قتل زوجها كنانة بن أبي الحُقَيق بضم الحاء وفتح القاف يوم خيبر فسباها دحية، ثم اشتراها ﷺ منه كما سبق فأعتقها وتزوجها، فجهزتها له أم سليم في الطريق فأهدتها له من الليل، فأصبح ﷺ عروساً، توفيت سنة خمسين في أيام معاوية رضي الله عنه، وقيل: غير ذلك ودفنت بالبقيع.

---

(٢٠) رواه مسلم (٩١٨) وفي الأصل أي مسلم وهو خطأ.

(٢١) رواه مسلم (٢٤٤٢) وما بين المعكوفين هو كذلك عند مسلم، وكذلك هو عند النسائي (٦٥/٧ - ٦٦).

كَذا جُوَرِيَّةُ مَعَ مَيْمونَةْ   عَنْ تِسْعِهِنّ ماتَ بِالمَدينَةْ

(كذا) من زوجاته ﷺ (جويرية) تصغير جارية بنت الحارث بن أبي ضرار بكسر الضاد المعجمة ابن الحارث بن عائذ بن مالك بن المصطلق سبيت في غزوة بني المصطلق، فوقعت في سهم ثابت بن قيس بن شماس، فكاتبها فأتت رسول الله ﷺ تستعينه في كتابتها، وكانت امرأة ملاّحةً، فقال لها ﷺ: «هل لك إلى ما هو خير من ذلك؟ أُؤَدي عنك كتابتك وأتزوجك» فقبلت فقضى عنها وتزوجها، فسمع الناس بذلك فأعتقوا ما في أيديهم من قومها وهم مائة، وقالوا: أصهار رسول الله ﷺ، وقيل: اشتراها من ثابت بن قيس وأعتقها وتزوجها، وأصدقها أربعمائة درهم[٢٢]، وقيل: غير ذلك، وتوفيت سنة خمسين وقيل ست وخمسين (مع ميمونة) بنت الحارث بن حَزْن بن جبير الهلالية خالة خالد بن الوليد وعبدالله بن العباس، وأمّها هند بنت عوف بن زهير، تزوجها ﷺ بسرف موضع في الحرم في رجوعه من عمرة القضاء كما مرّ تفصيله، وقيل: إن خطبته ﷺ لها، لما بلَغَتها وهي على بعيرها قالت: البعير وما عليها لله ولرسوله أي فهي الواهبة نفسها وقيل غيرها، توفيت بسرف في الموضع الذي بنى بها فيه وقبرها مشهور يتبرك به، وذلك سنة إحدى وخمسين، وقيل: ست وستين، فإن ثبت ذلك فهي آخر من مات منهن، وهو ﷺ (عن تسعهن) المذكورة بعد خديجة (مات بالمدينة) ومن أزواجه ﷺ.

وَغَيْرُهُنَّ مِنْ نِساءِ عِدَّةُ   كَزَيْنَبُ الأخرىٰ وَماتَتْ عِنْدَهُ

(غيرهن) أي غير العشرة المذكورة (من نساء عدة) بالجر نعت نساء أي

(٢٢) رواه أبو داود (٣٩١٢) وابن هشام في السيرة (٣/٣٣٩) وصرح محمد بن إسحاق عنده بالتحديث.

عديدة كثيرة فارق بعضهن في حياته قبل الدخول وبعضهن بعده، وبعضهن اختلف في تزويجها له، (كزينب) بنت خزيمة بن الحارث القيسية الهلالية، وكانت تدعى أم المساكين لإطعامها أياهم قتل زوجها عبدالله بن جحش يوم أحد كما قاله ابن شهاب فتزوجها ﷺ سنة ثلاث (الأخرىٰ) أي غير زينب بنت جحش المذكورة، (وماتت عنده) أي في حياته ﷺ، ولم تلبث عنده إلاّ شهرين أو ثلاثة، ودفنت بالبقيع وهي من الأحدىٰ عشرة المتفق عليهن كما في المواهب وغيره.

وَبِنْتُ ضَحّاكٍ تُسمّىٰ فاطِمَة فَاختَارَتْ الدُنْيا وَراحَتْ داغِمَة
خَوْلَةُ أسماءُ إساف غالِيَة عَمرَةَ مَعْ مُلَيْكَةٍ ثَمانِيَة

(وبِنْتِ) أي وكبنت (ضحاك) بفتح الضاد ابن سفيان الكلابي وكانت (تسمىٰ فاطمة) تزوجها ﷺ بعد وفاة ابنته زينب وخيّرها حين نزلت آية التخيير (فاختارت الدنيا) الفانية وزينتها (فراحت) بعدما فارقها (راغمة) أي ذليلة، وكانت بعد ذلك تلتقط البعر وتقول: أنا الشقية اخترت الدنيا، كذا رواه ابن إسحاق وتبعه الناظم كغيره، ورده أبو عمرو برواية ابن شهاب عن عروة عن عائشة أنه ﷺ: [حين خير أزواجه بدأ بها فاختارت الله ورسوله وتابع أزواجه ﷺ على ذلك] وقال قتادة وعكرمة: كان عنده ﷺ عند التخيير تسع نسوة وهي المتوفى عنهن، وقيل: إن أباها قال: إنها لم تصدع قط فقال ﷺ: «لا حاجة لي فيها [بها]» وسيأتي أن ريحانة بنت زيد النضرية أيضاً من أزواجه ﷺ على الأصح، وذكرها الناظم في السراري كما يأتي، والراجح أنها ماتت مرجعه ﷺ من حجة الوداع (خولة) أي وكخولة بفتح الخاء المعجمة بنت الهذيل بن هبيرة تزوجها ﷺ فهلكت قبل أن تصل إليه ذكره في المواهب وفي مختصر ابن سيد الناس بنت الهزيل وقيل بنت حكيم السلمي، وهي التي وهبت

نفسها له وقيل تلك غزية أم شريك انتهىٰ (وأسماء بنت النعمان بن الجون بفتح الجيم ابن الحارث الكندية كما جزم به في المواهب وجزم ابن سيد الناس في مختصره بأنها بنت كعب الجوينية، وأجمعوا أنه ﷺ تزوجها، واختلفوا في سبب فراقها، فقال قتادة وأبو عبيدة: إنه ﷺ لما دعاها، قالت: تعال أنت وأبت المجيء إليه، وقيل: استعاذت منه فطلقها (وإساف) بكسر الهمزة أخت دحية الكلبي كما جزم به ابن سيد الناس، وفي المواهب: شَراف بفتح المعجمة آخره فاء بزنة قَطام بنت خليفة أخت دحية الكلبي، تزوجها فماتت قبل الدخول انتهىٰ. ولم يذكر إساف أصلاً.

و(غالية) بنت ظَبيان بن عمرو بن عوف تزوجها وكانت عنده مدةً ثم طلقها، وقال أبو سعيد: طلقها حين أدخلت عليه ﷺ (عمرةَ) بنت يزيد بن الجون الكلابية، وقيل: بنت يزيد بن عبيد الكلابية، وهذا أصح عند أبي عمرو، وتزوجها ﷺ، فلما أُدخلت عليه قالت: أعوذ بالله منك فقال: «لقد عذتِ بمعاذ» فطلقها، وفي رواية قال: «منع الله عائذةً الحقي بأهلك» وقال قتادة: المتعوذة امرأة من سليم، وقال أبو عبيدة: هي أسماء بنت النعمان وقيل غيرها، ويمكن أن يقال: بتعدد المتعوذات (مع) بسكون العين (مليكة) بالتصغير والتنوين بنت كعب الليثية، قال بعضهم هي المتعوذة، وقيل دخل بها وماتت عنده، والأول أصح، وأنكر بعضهم تزويجها، قال ابن سيد الناس: لما دخل عليها قال: هَبي لي نفسك، قالت: وهل تهب ملكة للسوقة فَسرّحها وهذه (ثمانية) أزواج غير التسع المذكورة وأشار الناظم بإدخال الكاف في قوله: كزينب إلى آخره، إلى أنهم ذكروا له أزواجاً أُخر، وهي غزية بمعجمتين مصغراً بنت جابر بن عوف، وقيل: داود بن عوف، وهي أم شريك العامرية تزوجها وطلقها، واختلفوا في الدخول بها، قال بعضهم: والأكثرون على أنها الواهبة نفسها فلم يقبلها، ولم يتزوجها حتى ماتت [فلم تتزوج حتى ماتت].

وذكر ابن قتيبة أن الواهبة: خولة بنت حكيم، وقال عروة بن الزبير: خولة

بنت حكيم من اللائي وهبن أنفسهن له ﷺ، وهذا يدل على تعدد الواهبات فلا تعارض، (وقتيلة) بضم القاف وفتح الفوقية بنت قيس الكندي، زوجها إياه أخوه سنة عشر ثم انصرف إلى حضرموت فحملها معه، فقبض ﷺ قبل قدومها، وقال بعضهم: أوصى ﷺ قبيل وفاته بتخييرها، فإن شاءت ضرب عليها الحجاب، وكانت من أمهات المؤمنين، وإن شاءت الفراق فلتنكح من شاءت فاختارت النكاح، وتزوجها عكرمة بن أبي جهل بحضرموت، فهمّ أبو بكر رضي الله عنه أن يحرق عليها بيتها، فقال له عمر رضي الله عنه: ما هي من أمهات المؤمنين ما دخل بها ولا ضرب عليها الحجاب، وقيل: لم يوص فيها بشيء ولكنها ارتدت حين ارتد أخوها، وبارتدادها احتجّ عمر على أنها ليست من أمهات المؤمنين (وسبا) بنت أسماء ابن الصلت السليمية، تزوجها ومات عنها قبل الدخول، وقيل: طلّقها (وليلى) بنت الخَطِيم بفتح المعجمة وكسر المهملة، تزوجها وكانت غيوراً فاستقالته فأقالها فأكلها الذئب وامرأة من غفار تزوجها، ورأى بكشحها بياضاً فقال: «الحقي بأهلك» ولم يأخذ مما آتاها شيئاً خرّجه أحمد [٢٣]، وروى أنه ﷺ خطب عدة نسوة ولم يتفق تزويجها، منها امرأة من بني مرّة بن عوف خطبها من أبيها فقال كاذباً: إنَّ بها برصاً، فرجع فوجدها برصاء، ومنها أم هانىء فاختة بنت أبي طالب أخت عليّ خطبها، فقالت: إني امرأة مصبية واعتذرت إليه فعذرها، وغيرها وقد بينها أهل السير.

(أولاده صلى الله عليه وسلم)

أولادُهُ القَاسِمُ وَهُـوَ يُكَنَّى ... بِـهِ وَعَبْدُاللهِ هَـدْيُ الأَبْنَـا

(أولاده) المتفق عليهم ستة (القاسم) وإبراهيم وأربع بنات وهي الآتية وكل من البنات أدركن الإسلام وهاجرن معه واختلف فيما سوىٰ هٰؤلاء، فالقاسم أول

---

(٢٣) رواه أحمد (٤٩٣/٣) ولفظه قال: «خذي عليك ثيابك».

ولد له ﷺ قبل النبوة، وعاش قريب سنتين أو أقل على خلاف فيه (وهو) ﷺ (يكنىٰ به) أي بالقاسم فكني أبا القاسم وهذه كنية خاصة به ﷺ، فلا يجوز لأحد التكني بها مطلقاً على الأصح في مذهب الشافعي رضي الله عنه سواء في حياته أم لا لمن اسمه محمد أم لا للحديث الصحيح: «سمّوا باسمي ولا تكنوا بكنيتي»(٢٤) ومال النووي كجماعة إلى مذهب مالك من أن ذلك مختص بحياته ﷺ. وقال الزُّبَيْرُ بن بكار كان له ﷺ سوى القاسم وإبراهيم (عبدالله) وقوله: (هدي الأبنا) بالقصر جمع ابن كلام تمم به البيت، إذ لم ينقل أحد أنه ملقب بذلك والهديُ السيرة والطريقة وما يهدىٰ إلى الحرم من النعم، فالمعنى على الأول: أنه سيرة تسمية الأبناء والأولاد لكون عبدالله من أفضل الأسماء كما في الحديث، وعلى الثاني: أن أباه ﷺ عبدالله كان [يسمى] ذبيحاً لإرادة عبدالمطلب ذبحه عند الكعبة فداءً لأبنائه في قصته المشهورة، فلما سمّى ﷺ ابنه باسم أبيه استحق أن يقال له هدي الأبناء أيضاً، وفي كليهما بعد، والأولىٰ ما في بعض النسخ هذا الأبنا بجعله مفعولاً لفعل مقدر أي عدّ هذا الأبنا من جملة أبنائه الذكور كما هو الأصح أن الذكور ثلاثة لا اثنين كما ذهب إليه بعضهم.

وَالطاهِرُ الطَّيِب قَاسمُ الثّاني وَقيلَ بَلْ سِواهُ أَخَوانِ
مُاتوا صِغاراً لَمْ يَرَوْا نُبُوَّة وَزَيْنَبُ فَاطِمَةُ رَقِيَّة

(و) أمّا (الطاهر) و(الطيب) (قاسمُ) الابن (الثاني) فكان له ثلاثة أسماء، قال أبو عمرو وهو قول الأكثر، وقال الدارقطني: وهو الأثبت وسمي بهما أيضاً تعظيماً له لكونه ولد بعد النبوة (وقيل) كما حكاه الدارقطني وغيره (بل) كان الطاهر والطيب (سواه) أي غير عبدالله، فهما على هذا القول ابنان (آخران)

(٢٤) رواه البخاري (٦١٨٧) ومسلم (٢١٣٣).

فيكون الذكور خمسة، وقيل: له ابنان آخران المطيب والمطهر، وقيل: غير ذلك، (ماتوا) أي البنون (صغاراً) يرتضعون (لم يروا نبوةً) أي لم يدركوا الإسلام كما قال ابن إسحٰق، وسيأتي ذكر إبراهيم، وقال غيره: كلهم ولدوا بعد النبوة، وقد تقدم أن القاسم مات قبلها وعبدالله بعدها، قال ابن جماعة وغيره: وهو الصحيح، وقد تقدم أن له ﷺ أربع بنات (وزينب) بالتنوين أكبرهن على الأكثر [الأصح]، وقيل: أكبرهن رقية كما روي عن ابن عباس، وماتت زينب سنة ثمان من الهجرة عند زوجها وابن خالتها أبي العاص لقيط بن الربيع، وهاجرت قبل زوجها، فلما أسلم ردّها النبي ﷺ إليه بالنكاح الأول، وقيل: بنكاح جديد كا مرّ، فولدت منه علياً، وكان رديفه ﷺ يوم الفتح، ومات قبل الاحتلام، وأمامة التي حملها ﷺ في صلاته، تزوجها عليّ كرّم الله وجهه بعد فاطمة، ثم خلف عليها المغيرة بن نوفل بن الحارث بن عبدالمطلب، فولدت له يحيى (ثم فاطمة) الزهراء، قال ابن عبدالبر: ولدت سنة إحدىٰ وأربعين من مولده ﷺ، وروىٰ ابن إسحٰق أنها ولدت قبل النبوة زاد ابن الجوزي بخمس سنين، سميت بفاطمة لأن الله تعالىٰ فطمها ومن أحبّها عن [من] النار وبالزهراء لأنها لم تحض قط كما رواه الغساني[٢٥]، وبالبتول لانقطاعها عن نساء زمانها فضلاً ،حسباً، أو لانقطاعها إلى الله تعالىٰ، وفضائلها مشهورة وكانت تحت عليّ كرم الله وجهه فولدت منه حسناً وحسيناً ومحسناً، ومات محسن صغيراً، وولدت أيضاً رقية وزينب وأم كلثوم، ماتت رقية قبل البلوغ، وتزوج زينب عبدالله بن جعفر فولدت له علياً ومات، وتزوج أم كلثوم عمر بن الخطاب فولدت له زيداً، وخلف عليها بعده عون بن جعفر، ثم أخوه محمد، ثم أخوه عبدالله، (ثم رقية) بضم الراء وفتح القاف ولدت سنة ثلاث وثلاثين من

(٢٥) هذه خرافة لا أصل لها ومخالفة للواقع، وأحصى جعفر بن محمد بين ولادة الحسن وحمل الحسين بطهر واحد، فكيف يقول ذلك وهي لا تحيض إن صح ذلك، فلا شك بأنه كذب، وأن فاطمة رضي الله عنها، كانت في حياتها كباقي النساء.

مولده ﷺ، فكانت تحت عتبة بن أبي لهب، وأختها أم كلثوم تحت أخيه عتيبة، فلما نزلت [تبت يدىٰ أبي لهب] قال لهما أبوهما أبو لهب: رأسي من رأسكما حرام إن لم تفارقا ابنتي محمد ﷺ ففارقاهما، ولم يدخلا بهما، فتزوج عثمان رضي الله عنه رقية بمكة، وكانت ذات جمال رائع، فهاجر بها الهجرتين إلى الحبشة، وتوفيت يوم جاء زيد بن حارثة بَشيراً بالفتح يوم بدر.

وَأُمُّ كُلْثومَ وَكُلُّهُمْ وَلَدْ خَديجَةٍ وَبَعدَهُمْ لَهُ وَلَدْ

(و) أمّا (أم كلثوم) بضم الكاف، ولا يعرف لها اسم، وإنما تعرف بكنيتها، فتزوجها عثمان رضي الله عنه، وكانت قبله تحت عتيبة ففارقها كما مرَّ، ويروىٰ أنه لما فارقها جاء إليه ﷺ فقال: كفرتُ بدينك وفارقت ابنتك ولا تحبني ولا أحبك، ثم سطا عليه وشق قميصه وهو يريد الخروج [إلى الشام] تاجراً، فقال ﷺ: «اسأل الله أن يسلّط عليك كلبه» فأكله الأسد بالزرقاء في طريق الشام (وكلهم) أي كل أولاده ﷺ ذكوراً وإناثاً ممن مرّ (وَلَدُ خديجةٍ) مركب إضافي (وبعدهم) المذكورين (له) ﷺ (وُلد) مبني للمفعول.

آخِراً إبراهيمُ مِنْ سُرّيّـه وَتِلْكُمُ مـارِيّـةُ القِبْطِيّـه
وَكُلُّهُمْ قَدْ ماتَ في حَياتِـهِ إلاّ البَتولَ فـإلىٰ وَفـاتِـهِ

(آخراً) بالمدينة سنة ثمان من الهجرة (إبراهيم) نائب الفاعل، ولما بشّر به مولاه أبو رافع وهب له عبداً، سمّاه ﷺ إبراهيم باسم أبيه في اليوم السابع أو قبله روايتان، وعقّ عنه يوم سابعه بكبشين وحلق رأسه، ثم دفعه إلى أم سيف امرأة حدّاد في المدينة، وبقي عندها إلىٰ أن مات، ودفن بالبقيع وهو ابن سبعين ليلة، وقيل: سبعة أشهر، وقيل ثمانية عشر شهراً، وقيل: قريب سنتين وروىٰ

أبو حاتم عن أنس رضي الله عنه قال: ما رأيت أحداً أرحم بالعيال من رسول الله ﷺ، كان إبراهيم مسترضعاً في عوالي المدينة فينطلق إليه ونحن معه فيأخذه ويقبله ثم يرجع [٢٦].

وفي حديث ابن ماجه: «أن له مرضعاً في الجنة» [٢٧]. وأخرج أبو عمرو عن أنس بن مالك قال: لو بقي إبراهيم لكان نبياً ولكن لم يبق لأن نبيكم آخر الأنبياء [٢٨]. وبالغ النووي في إبطاله وقال: إنه من كلام المتقدمين، وهو جسارة وهجوم على عظيم، وردّه الحافظ ابن حجر بوروده عن ثلاثة من الصحابة، ولا يظن بالصحابة الهجوم على مثل هذا بالظن [٢٩]، وبأن القضية الشرطية لا تستلزم وقوع طرفيه، ولا إمكانها، وولادة إبراهيم (من سرّية) بضم فمشددتين، وهي الأمة التي أنزلتها بيتاً منسوبة إلى السر بالكسر وهو الجماع، فغير إلى الضم بالنسبة أو منسوب إلى السّر بمعنى الخفاء لإخفائها عن الحرة وقت المباشرة غالباً (وتلكم) مركب من تي للإشارة ولام البعد وكم لخطاب الجمع، أي وهذه السرية أيها المخاطبون اسمها (مارية) بوزن صاحبة وهي في الأصل المرأة البيضاء (القبطية) منسوبة إلى القبط بكسر القاف وهو أهل مصر، وسيأتي أنها من هدايا المقوقس ملك مصر (كلهم) أي الأولاد (قد مات) إعلم أن كُلَّ حَيْثُ أضيف لمنكر وجب في ضميره مراعاة معناه أي بحسب ما يضاف إليه، فإن كان مذكراً فضميره كذلك أو مؤنثاً فكذلك وهكذا نحو [وَعَلَى كُلِّ ضَامِرٍ يَأْتِينَ] [وكل إنسان أَلْزَمْنَاهُ].

أو لمعرّف جاز مراعاة لفظه نحو [وَكُلُّهُمْ آتِيه] وكما هنا، ومراعاة معناه

---

(٢٦) رواه مسلم (٢٣١٦).

(٢٧) بل رواه البخاري (١٣٨٢ و ٣٢٥٥ و ٦١٩٥) ورواية ابن ماجه (١٥١١) ضعيفة فكيف ترك ما في الصحيح وذكر ما هو ضعيف.

(٢٨) رواه ابن عبدالبر في الاستيعاب (٥٩/١ - ٦٠).

(٢٩) انظر فتح الباري (٥٧٩/١٠).

نحو كلهم جاؤوا، وله مباحث أُخر ليس هنا محلّها (في حياته) ﷺ (إلاّ) فاطمة (البتول) فإنها عاشت (إلى وفاته) ﷺ، وعاشت بعده ستة أشهر كما سبق على الصحيح.

(أعمامه صلى الله عليه وسلم)

أعمامُهُ الحَارِثُ غَيداقُ أَبو ... لَهبٍ زُبَيرٌ وَضرارُ قُثَمُ
طالِبٍ حَجْلُ عَبدِ كَعْبَةٍ أبو ... وَحَمزَةُ أَسْلَمَ كَعَبَّاسِهِمُ

(أعمامه) ﷺ أحد عشر على ما ذكره الناظم تبعاً لجماعة وهم بنو عبد المطلب، وأبوه ﷺ ثاني عشرهم (الحارث-وغَيْداق) بفتح الغين المعجمة ومعناه الكريم واسمه مصعب وقيل نوفل (وأبو طالب) غير منصرف للضرورة (وجحل) بتقديم الجيم وسكون الحاء وهو السقاء الضخم، وقال الدارقطني: بتقديم الحاء بمعنى القيد والخلخال أيضاً، وهو لقب واسمه المغيرة (وعبد كعبة) و(أبو لهب) بسكون الهاء لغة في تحريكها وهو كنية عبدالعزى لجماله أو ماله (وزبير وضِرَار) بكسر الضاد (وقثم) بضم القاف وفتح المثلثة، قال ابن الجوزي: مشتق من القثم وهو الإعطاء، ويقال قثم له كذا إذا أعطاه (وحمزة) وأمه هالة بنت وهب بن عبد مناف بن زهرة، وله كنيتان: أبو عمارة وأبو يعلىٰ (أسلم) في السنة الثانية من المبعث، وقيل: في السادسة كما سبق في مبحث إسلام عمر رضي الله عنه، وقتل في أُحُدٍ وسِنُّهُ تسع وخمسون (كعبّاسهم) بضم الميم أي كما أنه أسلم عمّه المسمّىٰ بالعباس فيما بينهم وكنيته أبو الفضل، وأمّه نثلة بنت جناب، وكان جيلاً وسيماً أبيض، ولد قبل النبي ﷺ بسنتين أو ثلاث، وكان رئيساً في قريش، وقد سبق تفصيل إسلامه في غزوة بدر، وفضائله مشهورة في الأحاديث، توفي بالمدينة قبل مقتل عثمان رضي الله عنه بسنتين، سنة اثنتين وثلاثين من الهجرة، وهو ابن ثمان وثمانين سنة، ودفن بالبقيع، ولم يسلم من أعمامه ﷺ غير حمزة والعباس، وأصغرهم العباس وأسنهم الحارث، ومنهم من زاد

كالمحب الطبري في أعمامه المقدّم فصاروا اثنيْ عشر، وأسقط بعضهم الغيداق وجحلاً فهم عشرة، وبعض قثم أيضاً فهم تسعة والأصح أحد عشر، والعقب منهم العباس وأبو طالب والحارث وأبو لهب لا غير.

(عمّاته صلى الله عليه وسلم)

عَمّاتُـهُ البَيضْاء أَروىٰ بَـرَّةُ ‏ ‏ ‏ ‏ وَأَمَيْمَـةَ وَأَسْلَمَـتْ صَفِيَّـةُ

(عماته) ﷺ بنات عبدالمطلب ست (عاتكة) صاحبة الرؤيا في قصة بدر [٣٠]. وأُمّها فاطمة بنت عمر بن عابد فهي شقيقة عبدالله أبيه ﷺ (والبيضاء) أم حكيم (وأروىٰ) بنت صفية بنت جندب شقيقة الحارث (وَبرَّة) بفتح الباء (وأميمة) بضم ففتح فمثناة ساكنة وأمها وأم برّة فاطمة بنت عمر أيضاً (وأسلمت) بالاتفاق (صفية) أم الزبير بن العوام وأمها هالة بنت وهب فهي شقيقة حمزة، وشهدت الخندق وقتلت يهودياً، وضرب ﷺ لها بسهم، توفيت في خلافة عمر سنة عشرين عن ثلاث وسبعين سنة، ودفنت بالبقيع، قال ابن اسحٰق: لم يسلم منهن غيرها، وذهب أبو جعفر العقيلي إلى إسلام أروىٰ وعاتكة وعدهما في الصحابة.

قال العز بن جماعة: واختلف في إسلام أروى وعاتكة، والصحيح أن أروىٰ أسلمت انتهىٰ.

(جداته صلى الله عليه وسلم)

(تتمة) جداته من أبيه: فاطمة بنت عمر بن عابد بن مخزوم أم أبيه عبدالله، وسلمى بنت عمرو من بني النجار أم عبدالمطلب، وعاتكة بنت مرّة أم هاشم، وعاتكة بنت فالج أم عبد مناف، وفاطمة بنت سعد أم قصي ذكره ابن قتيبة مع سائر الجدات.

---

(٣٠) رواه الطبراني في الكبير (ج٢٤ رقم٨٦٠) وهو مرسل وسنده ضعيف.

وجداته من أمّه ﷺ: برة بنت عبدالعزى بن قصي أم آمنة، وأمها أم حبيب، وأمّها برة بنت عوف، وأمها قلابة بنت الحارث، وأمها هند بنت يربوع من ثقيف قاله ابن قتيبة، وفي بعضها خلاف،

(وإخوانه [إخوته] صلى الله عليه وسلم في الرضاعة)

حمزة، وأبو سلمة، ابن عبد الأسود من رضاع ثويبة، وأبو سفيان بن الحارث من رضاع حليمة مع أولادها الثلاثة عبيدالله وأنيسة وجذامة وتعرف بالشيماء] (٣١).

(مواليه وإماؤه صلى الله عليه وسلم)

أمّا مَـواليـهِ فَـزَيـدٌ كَـابنِـهِ   أُسـامَـةُ ثُـمَّ سُلَيْمٌ وأكْنِـهِ

أمّا مواليه: جمع مولى يطلق على معان منها: الرّق والمعتق والمالك وهو السيد والمنعم والناصر والمحب [والنافع] والجار وابن العم والحليف والصهر، والمراد هنا ما يعم الرق والمعتق، (فزيد) بن حارثة حب رسول الله ﷺ أعتقه وزوّجه مولاته أم أيمن كما سبق، وكان قد أُسِرَ في الجاهلية فاشتراه حكيم بن حزام لعمته خديجة، فاستوهبه ﷺ منها، قال ابن اسحٰق بعد سوق قصته: إنّ أباه وعمّه أتيا مكّة فوجداه، فطلبا أن يفدياه فخيّره ﷺ بين الدفع إليهما والبقاء عنده ﷺ فاختار البقاء عنده ﷺ (٣٢)، وفي رواية الترمذي قال: يا رسول الله لا

---

(٣١) من قوله تتمة إلى هنا بين المعكوفين في الأصل فقط، وفي نسختي كتب في الهامش من تعليقات المؤلف ـ أي منهواته.

(٣٢) انظر سيرة ابن هشام (١/٢٦٥ ـ ٢٦٧).

أختاً عليك أحداً أبداً[٣٣] واستشهد في غزوة مؤتة كما تقدم (كابنه) أي ابن زيد وهو (أسامة) وأمه أم أيمن المذكورة، توفي بالمدينة أو بوادي القرى سنة أربع وخمسين كما في المواهب (ثم سليم) وقيل: أوس وكنيته أبو كبشة شهد بدراً، وأعتقه، وتوفي يوم استخلف عمر رضي الله عنه (واكنِهِ) أي سلماً ومرّ آنفاً أن كنيته أبو كبشة.

أنيسَةُ رُباحُ مَعْ ثَوْبانا   يَسارُ مَعْ رافِعَ مَعْ شَقْرانا
صَالِحُ اسمُهُ وأَسْلَمُ أبو   رافِعِهِم كابنِ عُبَيدٍ كُتِبوا

(وأُنيسة) بالتصغير وضبطه بعضهم أَنَسَة محركةً ويكنىٰ أبا مسرّح، وأعتقهُ ﷺ (ورباح) بترك التنوين وبفتح الراء وبالموحدة، وهو الأسود النوبي وأعتقه (مع ثوبانا) بفتح المثلثة هو ثوبان بن بجدد، ولازم النبي ﷺ، وسكن بعده بالشام ومات بحمص سنة أربع وخمسين (ويسار) الراعي نوبيّ وهو الذي قتله العرنيون (مع رافع) غير منصرف للضرورة وهو رافع بن خديج بن رافع وأعتقه (مع شقرانا) بضم الشين المعجمة (صالح اسمه) أي اسم شقران صالح حبشيّ، وقيل فارسي شهد بدراً قيل: ورثه من أبيه، وقيل: اشتراه من عبدالرحمن بن عوف وأعتقه، قال الحافظ ابن حجر: أظنه مات في خلافة عثمان رضي الله عنه (وأسلَمُ) القبطي وكنيته (أبو رافعهم) والإضافة لأدنىٰ ملابسة أي المكنىٰ رافع بينهم، وهبه له العباس فأعتقه لمّا بشره بإسلام العباس، وزوجه سلمىٰ مولاةً له فولدت عبيدالله الكاتب لعلي، وحكىٰ بعضهم أن رافعاً وأبا رافع واحد لا اثنان (كابن عبيد) لم أطلع على مراده بابن عبيد ولم أر مَن ذكر مولىً في [من] مواليه ﷺ بهذا الاسم مع شدة الفحص عنه من الكتب

---

(٣٣) رواه الترمذي (٣٩٠٣) والطبراني في الكبير (٢١٩٢ و٢١٩٣) من حديث جبلة بن حارثة.

المستوعبة، ثم رأيت بعد زمان في كتاب عيون التواريخ أنه ذكر من مواليه أسلم ابن عبيد غير أسلم القبطي فزال الإشكال ولله الحمد وقوله (كُتِبوا) تتميم للبيت أي كتب أهل السير هؤلاء من الموالي.

فُضالةُ كذا أبو مُوَيْهِبَة كَرْكَرَةٌ وَمِدْعَمٌ قَدْ وَهَبَهْ

(وفضالة) اليامي بفتح الفاء مات بالشام (كذا) من مواليه (أبو مويهبة) مصغر موهبة وهو من مولدي مزينة اشتراه وأعتقه (وكرِكرة) بفتح أوله وكسره والكاف الثانية مكسورة لا غير كما في شرح المشكاة للطيبي، وكان نوبياً أهداه له هوذة بن علي وأعتقه، وكان يمسك راحلته ﷺ عند القتال يوم خيبر (ومِدعَمٌ) بوزن درهم (قد وُهِبَه) بالبناء للمجهول أي وهبه له رفاعة الجزامي، كما قال ابن سيد الناس، وفي المواهب: أهداه له رفاعة بن زيد الضبيبي بضم الضاد المعجمة وفتح الموحدة الأولى وكسر الثانية، أصابه سهم بوادي القرى من أعمال خيبر فقال الناس: هنيئاً له بالجنة، فقال ﷺ: «لا، إن الشملة التي غلّها بخيبر لتشتعل عليه ناراً»[٣٤]، وفي صحيح البخاري في كتاب الجهاد. إن كركرة غلّ عباءة[٣٥]، وفي الموطأ وكتاب المغازي من صحيح البخاري أن مدعماً غلها في يوم خيبر[٣٦]، وكلاهما قتل بخيبر انتهى.

طهمانُ مَابورُ هِشَامُ زيدُ جَدُّ هِلالٍ وَكذا عُبَيدُ
أبو عَسِيبٍ أحمَرُ ثمَّ أبُو وافدٍ مَعْ سَفِينَةٍ كذا أبو
ضُمَيرةٍ أبو عبيدٍ سَنْدَرُ حُنينٍ مَعْ أبي لُبابَة اذكروا

(٣٤) رواه البخاري (٤٢٣٤).
(٣٥) رواه البخاري (٣٠٧٤).
(٣٦) رواه البخاري (٤٢٣٤).

(وطهمان) بفتح الطاء وقيل: اسمه كيسان أو زكوان أو مهران (ومأبور) القبطي من هدايا المقوقس (وهشام) بكسر الهاء وتخفيف الشين (وزَيدٌ) هو أبو يسار وليس زيد بن حارثة ذكره ابن الأثير، وقال غيره: هو جد هلال بن يسار ابن زيد (وكذا) من مواليه (عبيد) بالتصغير وقيل: ليس في مواليه ﷺ عبيد، وإنما هو أبو عبيد، وغلط من ذكره، وقال ابن أبي خيثمة: إنهما اثنان عبيد وأبو عبيد، (وأبو عَسِيب) بفتح فكسر، وقيل عُسَيب، وجزم بالأول مغلطاي في سيرته، وعلى كليهما اسمه (أحمر) ثم من مواليه (أبو واقد) غير منصرف للضرورة، ومنهم أيضاً واقدُ (مع سفينةٍ) بالتنوين، واختلف في اسمه فقيل: هو مهران بن فرّوخ، وقيل: كيسان، وقيل: طهمان، وقيل: غير ذلك، ولقب به لأنهم حمّلوه أشياء في السفر، فلما رآه ﷺ قال له: «أنت سفينة»[٣٧] وفي مختصر ابن سيد الناس: كان سفينة لأم سلمة فأعتقته وشرطت عليه أن يخدم النبي ﷺ طول حياته، فقال: لو لم تشترطي عليّ ما فارقته[٣٨] كذا من مواليه (أبو ضُمَيرَةَ) بالتصغير اسمه سعد، وقيل، روح بن سَنْدر ومنهم ضمرة بن أبي ضمرة (وأبو عبيد) بالتصغير اسمه سعيد وأعتقه (وسَنْدَرُ) بفنح السين وسكون النون (وحُنَيْنُ) بالتصغير (مع أبي لبابة) كان لبعض عمّاته فرهبته له فأعتقه (اذكروا) تتميم للبيت.

ثُمَّ أبو هِنـدٍ كَـذا أَنجَشَةُ   وَمِنْ إمائِـهِ فَقُـلْ مَيْمـونَـةُ
رَيحانَــةٌ بَــرَكَــةٌ وَسَلمــىٰ   مٰـارِيـةُ وَخَضْـرَةٌ وَرَضْـوىٰ

---

(٣٧) رواه الطبراني في الكبير (٦٤٤٠).

(٣٨) رواه أحمد (٥/٢٢١) وأبو داود (٣٩١٣) وابن ماجه (٢٦٢٦) والطبراني في الكبير (٦٤٤٧).

(ثم) من مواليه (أبو هند) وهو الذي قال فيه: «زوجوا أبا هند وتزوّجوا إليه»[39] وكان اشتراه فأعتقه (كذا) من مواليه (أَنْجَشَة) الحادي العبد الأسود بفتح الهمزة وسكون النون وفتح الجيم وبالشين المعجمة، كان يحدو وينشر القريض والرجز، قال أنس رضي الله عنه: كان البراء بن مالك يحدو بالرجال، وأنجشة يحدو بالنساء، وكان حسن الصوت فقال له ﷺ: «رويدك رفقاً بالقوارير»[40] أي النساء، وقد عدّوا مواليه بأكثر مما ذكره الناظم، وممن لم يذكره: بدر وحاتم وزيد بن بولا وسعيد وسعد وغيلان وكُريب ومحمد بن عبدالرحمٰن ونافع أبو السائب ونهيك وأبو البشر وأبو قيله في سيرة مغلطاي. وزاد غيره: أبو لقيط، وأبو اليسر رُوَيْفع من سبي هوازن وقصير وميمون وأبو بكرة نُفيع بن الحارث وهرمز وأبو كيسان وأبو صفية وأبو سلمىٰ وأسود وشمعون بن زيد وأبو ريحانة وسلمان الفارسي أبو عبدالله ويقال له: سلمان الخير، أصله من أصفهان مات سنة أربع وثلاثين، ويقال بلغ ثلاثمائة سنة كما في المواهب وعدّوا غير ذلك، وأما من (عدت من إمائه) ﷺ بكسر الهمزة جمع أمة (فقل) منها (ميمونة) بنت سعد و(ريحانة) بالتنوين وهكذا ما بعده وهي بنت زيد النضرية، وقيل: القريظية، سبيت يوم بني قريظة فأعتقها ﷺ وتزوجها، وقيل: بل يطأها بملك اليمين ومشىٰ عليه الناظم، قال الحافظ شرف الدين الدمياطي: والأول أثبت، وهو الأصح عند أهل العلم (وبركة) أم أيمن الحبشية ورثها من أبيه كما تقدم (وسلمى) أم رافع زوج أبي رافع (ومارية) القبطية تقدمت (وخَضْرَة) ضبطه بعضهم بفتح الخاء وكسر الضاد المعجمتين فسكون الضاد في

---

(٣٩) رواه أبو داود (٢٠٨٨) وأبو يعلي (٢/٢٧٢) وابن حبان (١٣٩٩) والحاكم (١٦٤/٢) والطبراني في الكبير (ج٢٢ رقم٨٠٨) وقال الحافظ في التلخيص (١٦٤/٣) إسناده حسن.

(٤٠) رواه البخاري (٦١٤٩ و ٦١٦١ و ٦٢٠٢ و ٦٢٠٩ و ٦٢١٠ و ٦٢١١) ومسلم (٢٣٢٣). وأحمد (١٠٧/٣ و ١١٧ و ١٧٦ و ١٨٧ و ٢٠٢ و ٢٢٧ و ٢٥٤ و ٢٨٥) والدارمي (٢٧٠٤) وليس عندهم كلمة «رفقاً» وإنما «أرفق».

النظم للوزن (ورضوىٰ) بفتح الراء، وزاد ابن جماعة في مختصره: أم ضميرة وميمونة بنت أبي عسيب وربيحة، وبلغهن ابن الجوزي إلى إحدىٰ عشرة.

(خدّامه [خدمه] صلى الله عليه وسلم)

خُـدّامـه أنَسٌ أسما هِنـدُ   رَبيعَـةٌ وَعُقْبَـةٌ وَسَعْـدُ

(خدّامه ﷺ) [كثيرون] منهم (أنس) بن مالك بن النضر بن ضمضم بن زيد الأنصاري، الخزرجي يكنىٰ أبا حمزة، وهو ألزمهم للخدمة، خدمة تسع سنين أو عشراً، توفي سنة ثلاث وتسعين وقد جاوز المائة و(أسما) بدرج الهمزة وبالقصر للوزن و(هند) وهما ابنا حارثة الأسلميان و(ربيعة) بالتنوين كما بعده وهو ابن كعب الأسلمي صاحب وضوئه ﷺ ، توفي سنة ثلاث وستين (وعقبة) ابن عامر بن عبس بن عمرو الجهني صاحب بغلته ﷺ يقودها في الأسفار، كان عالماً فصيحاً شاعراً ولّى مصر لمعاوية، [ثم] توفي بها سنة ثمان وخمسين (وسعد) مولى أبي بكر الصديق، وقيل: اسمه سعيد ولم يثبت، وروى عنه ابن ماجه.

مُهاجِرٌ كَـذا بِلالٌ أربَـدُ   هِلالُ مَـعْ أيمنَ ثُـمَّ الأسْـوَدُ

(ومهاجر) مولىٰ أم سلمة (كذا) من خدّامه (بلال) بن رباح المؤذن، وعدّ منهم مغلطاي في سيرته (أربد) بوزن أحمر وثعلبة بن عبدالرحمٰن الأنصاري (وجزء) بن الحل وسالماً انتهىٰ. (وهلال) بن الحارث مولاه ﷺ وكنيته أبو الحمراء (مع أيمن) بن أم أيمن صاحب مطهرته ﷺ ، استشهد في حنين (ثم الأسود) من خدامه كما ذكره مغلطاي واسمه رباح مولاه ﷺ ، وكان يؤذن عليه أحياناً إذا انفرد، ومن خدامه عبدالله بن مسعود، وكان صاحب الوسادة والسواك والنعلين، وكان إذا قام ﷺ ألبسه نعليه، وإذا جلس جعلهما في ذراعيه حتى يقوم، توفي بالمدينة، وقيل بالكوفة سنة اثنتين وثلاثين، وأبو ذر

جندب بن جنادة الغفاري أسلم قديماً، وتوفي بالربذة، موضع بقرب [المدينة] مدينته سنة إحدى أو اثنتين وثلاثين، وحُنَين والد عبدالله مولىٰ ابن عباس رضي الله عنه كان يخدمه ﷺ، [ثم] وهبه لعمه العباس، ونعيم بن ربيعة الأسلمي، وأبو السمح خادمه ﷺ اسمه أياد، والأسلع بن شريك بن عوف صاحب راحلته يرحل له، وبكير بن الشداخ [شدخ] الليثي وذو مخمرة أو مخبرة ابن أخي النجاشي، وقيل ابن أخته، ومن النساء أم أيمن وخولة جدة حفصة، وسلمىٰ أم رافع، وميمونة بنت سعد، وأم عباس مولاة رقية بنته ﷺ.

(حُرَّسه صلى الله عليه وسلم)

حُرَّسُهُ قبل نُـزولِ العِصمَـةِ فَابن معاذ يـومَ بـدرٍ أثبـتِ
بـأحُـدٍ زكوانُ ابـنُ مَسلمَـة بالخندَقِ الزبُيرُ كـلَّ علِمَـه
سَعـدٌ وَعبَّـاسٌ بِيَـومِ خيْبرا كـذا بِلال وفي وادي القـرىٰ

(حُرَّسُهُ ﷺ) بضم فمشددة جمع حارس كانت (قبل نزول آية العصمة) فلما نزلت: ﴿والله يعصمك من الناس﴾ ترك ذلك [وسعد] فسعد (ابن) مفعول مقدم (مُعاذ) بضم الميم ابن النعمان بن امرىء القيس سيد الأوس، أسلم بين العقبتين وشهد بدراً [41] وأُحداً والخندق، فرُمِيَ [فيه] بسهم عاش شهراً، ثم مات منه كما سبق، حرسه ﷺ (يوم بدر) حين نام في العريش (أثْبِتِ) أمر من الإثبات وكسر التاء للضرورة أي أثبته منهم، وكان أبو بكر الصديق يوم بدر أيضاً في العريش شاهراً سيفه على رأسه ﷺ لئلا يؤذيه مشرك كما

---

(٤١) قال الحافظ في الفتح (٢٨٨/٧) وفيه نظر، لأن سعد بن عبادة لم يشهد بدراً، وإن كان يعد فيهم، لكونه ممن ضرب له بسهمه.

رواه ابن السمان (وبأحد) حرسه (ذكوان) بن عبد قيس (و) محمد (ابن مسلمة) بفتح أوله الأنصاري (وبالخندق) حرسه (الزبير) بن العوام (كلّ) من المذكورين (علمه) بالبناء للمجهول أي علم كونه حارساً من كتب السيرة، وكذا علم فيها أسماؤهم وأنسابهم، والهاء [فيه] للسكت، وفي جواز لحوقها بالماضي لغير الضرورة أقوال: أحدها لسيبويه والجمهور المنع، وثانيها الجواز مطلقاً واختاره ابن مالك، وثالثها التفصيل بين ما إذا خيف لبس فالمنع، كَضَرَبَهْ، و[بين] ما إذا لم يخف [فالجواز] كَقَعَدَهْ.

(وسعد) ابن أبي وقاص الزهري القرشي أحد العشرة، أسلم وهو ابن سبع عشرة سنة شهد المشاهد كلها، وكان مجاب الدعوة معروفاً بذلك لقوله ﷺ فيه: « اللهم سدّد سهمه وأجب دعوته »[٤٢] وكان قصيراً غليظاً آدم أشعر الجسد مات في قصره بالعقيق قُرَيْبَ المدينة، فحمل إليها برقاب الرجال ودفن بالبقيع سنة خمس وخمسين، وله بضع وستون سنة وهو آخر العشرة موتاً.

(وعبّاد) بن بشر وهو بفتح العين، وكلاهما حرساه (بيوم خيبر) بألف الإطلاق وحرسه فيه أيضاً أبو أيوب الأنصاري (كذا بلال) بن رباح المؤذن أسلم قديماً وعذّب في الله تعالى، سكن الشام آخراً، ولا عقب له، ومات بدمشق على الصحيح سنة عشرين، ودفن بباب الصغير، (كان) حارساً له ﷺ (في وادي القرى) من أعمال خيبر، ووقف المغيرة بن شعبة على رأسه بالسيف حارساً يوم الحديبية كما سبق.

(رسله صلى الله عليه وسلم)

رُسُلُـه فــابــن أُمَيَّــةٍ إلىٰ   أصحَمةٍ وَدِحيَةٍ لِهِرْقِـلا

(رسله) ﷺ إلى الملوك كثيرة، روي أنه لما رجع من الحديبية كتب إلى

(٤٢) رواه الحاكم (٣/٥٠٠) بلفظ « اللهم سدد رميته وأجب دعوته ».

الروم، فقيل له: إنهم لا يقرؤون كتابك إلاّ أن يكون مختوماً فاتخذ خاتماً من فضة ونقش عليه ثلاثة أسطر: محمد سطر، ورسول سطر، والله سطر، وختم به وبعث ستة نفر في يوم واحد في المحرم سنة سبع على الصحيح كما قاله العز بن جماعة (فأولهم) عمرو (بن أمية) الضمري، وفي المواهب: بعثه سنة ست (إلى أصحمة) بن أبجر النجاشي ملك الحبشة الذي هاجر إليه المسلمون، فوضع كتابه ﷺ على عينيه ونزل عن سريره فجلس على الأرض وأسلم على يد جعفر بن أبي طالب، ومات في حياته ﷺ سنة تسع، وصلّى عليه غائباً كما سبق، وأمّا النجاشي الذي وُلّيَ بعده، وكتب ﷺ إليه يدعوه إلى الإسلام، فكان كافراً لم يعرف إسلامه ولا اسمه، وقد وَهِمَ فيه بعض، ولم يعلم أنهما اثنان، [و] قد جاء ذلك مبيناً في صحيح مسلم من حديث أنس قال: كتب ﷺ إلى النجاشي، وليس بالذي صلّى عليه النبيُّ ﷺ الحديث[43]، ولفظ كتابه ﷺ:

« إلى أصحمة: بسم الله الرحمن الرحيم من محمد رسول الله إلى النجاشي ملك الحبشة، أمّا بعد فإني أحمد إليك الله الذي لا إلّه إلاّ هو الملك القدوس السلام المؤمن المهيمن، وأشهد أن عيسى بن مريم روح الله وكلمته ألقاها إلى مريم البتول الطيبة الحصينة، فحملت بعيسى، فحملته من روحه ونفخه، كما خلق آدم بيده، وإني أدعوك إلى الله وحده لا شريك له، والموالاة على طاعته، وأن تتبعني، وتؤمن بالذي جاءني، فإني رسول الله وإني أدعوك وجنودك إلى الله تعالىٰ، وقد بلّغت ونصحت، فاقبلوا نصيحتي، والسلام على من اتبع الهدىٰ»[44] فلما قرأ الكتاب قال: أشهد أنه النبي الأمي الذي ينتظره أهل الكتاب، ثم كتب في جوابه:

بسم الله الرحمٰن الرحيم إلى محمد رسول الله من النجاشي أصحمة، سلام عليك

---

(٤٣) رواه مسلم (١٧٧٤).

(٤٤) انظر زاد المعاد (٣/٦٨٩).

يا رسول الله ورحمة الله وبركاته، الله الذي لا إله إلاّ هو الذي هداني للإسلام، أما بعد فقد بلغني كتابك وعرفنا ما فيه، فأشهدُ أنك رسول الله صادقاً مصدقاً، وقد بايعتك وبايعت ابن عمك أي جعفر وأسلمت على يديه لله ربّ العالمين[٤٥].

(ودحية) بكسر الدال وبالتنوين للوزن ابن خليفة الكلبي الذي يأتي جبرائيل إليه ﷺ بصورته لفرط جماله، بعثه ﷺ بكتابه بعد أن قال: «من ينطلق بكتابي هذا وله الجنّة» فقالوا: وإن لم يصل، قال نعم، فأخذه دحية (لهرقلا) أي إليه وهو بكسرتين بينهما سكون، ويجوز فيه لا هنا: هِرَقلٌ كسبطر وكان يدعىٰ أيضاً قيصر فعلم أنه ﷺ نبي الله، وهم بالإسلام فلم توافقه الروم، فخاف على زوال ملكه فأمسك ولفظ كتابه [إليه]:

بسم الله الرحمٰن الرحيم من محمد رسول الله إلى هرقل عظيم الروم سلام على من اتبع الهدىٰ أما بعد: فإنّي أدعوك بدعاية الإسلام، أسلِمْ تسلم، يؤتك الله أجرك مرتين، فإن تولّيت فإنما عليك إثم الأريسيين» إلى آخر ما في البخاري[٤٦]، وفي المواهب: كان بعث دحية آخر سنة ست كما قاله الواقدي، وما قيل: إنه سنة خمس غلط لتصريح أبي سفيان بأن ذلك كان في مدة صلح الحديبية، والصلح كان سنة ست اتفاقاً، فلما قرأ هرقل الكتاب غضب ابن أخيه وقال: ارم الكتاب لأنه بدأ بنفسه، وسماك صاحب الروم، فقال له: يا ضعيف الرأي كيف أرمي كتاب من يأتيه الناموس الأكبر، ولقد صدق أنا صاحب الروم والله مالكي ومالكه، فأمر بإكرام دحية فكان من أمره: ما ذكره البخاري.

وَابنُ حُذافَةٍ لِكِسرىٰ خَرَجا   شُجاعُهُمْ لِلحارِثِ الغَسّانِ جا

(٤٥) انظر زاد المعاد (٣/٦٩٠).

(٤٦) رواه البخاري (٧) وفي مواضع أخرى.

(و) عبدالله (ابن حذافة) السهمي بضم الحاء وبالذال المعجمة وبالفاء بعثه ﷺ (لكسرىٰ) اسمه أبْرَوَيْز بن هرمُز بن أنوشيروان بكتاب فيه الدعاء إلى الإسلام والإقرار برسالته ﷺ، نظيركتاب هرقل، وفي آخره:

« فإن توليت فإنما عليك إثم المجوس » وفي البخاري بعث بكتابه إلى كسرىٰ مع عبدالله بن حذافة، فأمره أن يدفعه إلىٰ عظيم البحرين فدفعه عظيم البحرين إلى كسرىٰ، فلما قرأه مزّقه فدعىٰ ﷺ [عليهم] أن يُمزَّقوا كلّ ممزّق[٤٧] فمزّق الله ملكه وملك قومه وقوله:

(خرجا) بألف الإطلاق أي خرج مبعوثاً إلى كسرىٰ كما قررنا (وشجاعهم) أي المسمىٰ عندهم بشجاع بن وهب الأسدي (للحارث) بن أبي شمر بكسر الشين وسكون الميم (الغسّانِ) أي الغساني فحذف الياء للضرورة، وغسّان كشدّاد ماء نزل عليه قوم من الأزد فنسبوا إليه، منهم بنو جفنة رهط الملوك، وكان الحارث ملك البلقاء من الشام، فلما (جابا) بالقصر للوزن شجاع إليه، رمىٰ بالكتاب وقال: أنا ساير إليه، فمنعه قيصر، قاله ابن سيد الناس، وفي المواهب: وكتب ﷺ إلى الحارث الغساني وكان بغوطة دمشق:

« بسم الله الرحمٰن الرحيم من محمد رسول الله إلى الحارث بن أبي شمر سلام على من اتبع الهدىٰ، فآمِنْ بالله وصَدّق وإني أدعوك إلىٰ أن تؤمن بالله وحده لا شريك له يبقىٰ لك ملكك » وبعثه مع شجاع.

وَحَاطِبٌ راحَ إلىٰ المُقَوقَسِ ... سَليطُهُم لِهَوذَةٍ فَلَمْ يُسِ

(وحاطب) بكسر الطاء ابن أبي بلتعة (راح) وتوجه (إلى المقوقس) بوزن

---

(٤٧) رواه البخاري (٤٤٢٤).

مدحرج، اسمه جُرَيج بن ميناء القبطي ملك مصر والإسكندرية، وهو لقب لكل من ملكها، فوصل إليه بكتابه ﷺ بمثل كتاب هرقل، وهو بالإسكندرية فلما قرأه، قال لحاطب: ما منعه إن كان نبياً أن يدعوَ عليّ فيسلّط علي فقال له: حاطب: وما منع عيسىٰ أن يدعو على من خالفه أن يسلّط عليه، ثم سكت فقال حاطب: إنه كان قبلك رجل يزعم أنه الرب الأعلىٰ، فأخذه الله نكال الآخرة والأولىٰ، فانتقم به، ثم انتقم منه، فاعتبر بغيرك، ولا يعتبر بك غيرك ثم قال: إن لنا ديناً لن ندعه إلاّ لما هو خير منه فقال حاطب: إن هذا النبي دعا الناس إلى دين الإسلام الذي لا يجوز سواه، ولعمري ما بشارة موسىٰ بعيسىٰ عليه السلام إلاّ كبشارة عيسى بمحمد ﷺ، وما دعاؤنا إياك إلى القرآن إلا كدعاء أهل التوراة إلى الإنجيل، فالحق على كل من أدرك نبياً أن يطيعه، فقال المقوقس: قد نظرت في أمر هذا النبي فلم أجده بالضال الساحر ولا الكاذب وأدركت منه علامات النبوة، وسأنظر أي في أمري، ثم جعل كتابه ﷺ في حُقّ من عاج، ثم دعا مَن يكتب بالعربية فكتب في الجواب:

بسم الله الرحمٰن الرحيم لمحمد بن عبدالله من المقوقس عظيم القبط أمّا بعد: فقد قرأت كتابك وفهمت ما تدعو إليه، وقد علمت أنّ نبياً بقي، وكنت أظن أن يخرج بالشام، وقد أكرمت رسولك وبعثت لك كذا وكذا والسلام، ولم يزد على هذا ولم يسلم كذا في المواهب.

وقال العز بن جاعة لما قرأ الكتاب قال خيراً وقارب الأمر ولم يسلم وأهدىٰ له ﷺ مارية القبطية، وأختيها سيرين وقيسر، وجاريةً أخرىٰ وألف مثقال ذهباً، وعشرين ثوباً من قباطي مصر، وبغلة شهباء، وهي دلدل، وحماراً أشهب، وهو عفير، وخصياً يقال له مأبور، وفرساً وهو اللزاز، وقدحاً من زجاج، وعسلاً من عسل بِنْها، وأعجب النبي ﷺ ودعا فيه بالبركة، وقال ﷺ: «ضَنَّ الخبيث» أي بخل بملكه ولا بقاء لملكه انتهىٰ، وفي القاموس [مقوقس] جُرَيج بن ميناء القبطي ملك مصر، وقد عدّ من الصحابة انتهىٰ،

وهذا يدل على أنه أسلم والله أعلم (وسليطهم) على قياس شجاعهم وهو سليط كشديد ابن عمرو العامري (لِهَوْذَةَ) بفتح الهاء وبالذال المعجمة ابن علي الحنفي ملك اليمامة، بعثه ﷺ بكتاب فيه:

بسم الله الرحمٰن الرحيم من محمد رسول الله ﷺ إلى هوذة بن علي سلام على من اتبع الهدىٰ، واعلم أنّ ديني سيظهر إلى منتهى الخف والحافر فأسلم تسلم وأجعل لك ما تحت يديك، فأكرم سليطاً وأنزله وحياه وقرأ الكتاب، وكتب في الجواب:

ما أحسن ما تدعو إليه وأجمله! والعرب تهاب مكاني وأنا خطيبهم وشاعرهم فاجعل لي بعض الأمر أتبعك، وأجاز سليطاً وكساه أثواباً، فقدم بذلك كله إلى النبي ﷺ، وإلى إكرام سليط وإعطائه الجائزة أشار بقوله: (فلم يسِ) بقلب الهمزة ياءً من أساء ضد أحسن، وإلاّ فهو لم يسلم، بل مات كافراً، فلما قرأ ﷺ كتابه قال: لو سألني سيابةً من الأرض ما فعلتُ، باد وباد ما في يده، فلما انصرف ﷺ من الفتح أخبره جبرائيل عليه السلام بأن هوذة مات، فقال عليه الصلاة والسلام: «أمّا إنّ اليمامة سيظهر بها كذّاب يتنبأ يُقتَل بعدي» فكان كذلك[٤٨].

قال العز بن جماعة: وهٰؤلاء هم الستة الذين بعثهم ﷺ في يوم واحد.

وعمرو عاصٍ لابنَيِ الجُلُندي لِلمُنْذِرِ العَلاءَ فَما تَعدّي

(وعمرو) بن (عاصٍ) ويقال له العاص والعاصي ونكّره الناظم للوزن بعثه ﷺ في ذي القعدة سنة ثمان.

---

(٤٨) انظر زاد المعاد (٦٩٦/٣ - ٦٩٧) وابن سيد الناس (٢٦٩/٢) وشرح المواهب (٣٥٥/٣ - ٣٥٦) والإصابة (٣٧٤/٦ - ٣٧٩).

(لابـني الجُلُندي) بضم الجيم واللام مقصوراً وبفتح اللام ممدوداً، ووهم الجوهري فقصره مع فتح اللام كما في القاموس وهما: جيفر وعبدالله وكانا بعُمان والأمير منهما جيفر، فأسلما وخليّا بين الصدقة والحكم فيما بينهم، ولم يزل بينهم حتى بلغته وفاة النبي ﷺ كما ذكره العز بن جماعة. وفي المواهب: كتب ﷺ إلىٰ ملكي عُمان وبعثه مع عمرو بن العاص:

بسم الله الرحمٰن الرحيم من محمد [ابن] عبدالله ورسوله إلى جيفر وعبدالله ابني الجلندي السلام على من اتبع الهدىٰ أما بعد: أدعوكما بدعاية الإسلام أسلِما تسلما، فإني رسول الله إلى الناس كافةً، لأنذر من كان حيّاً ويحق القول على الكافرين، وإنّكما إن أقررتما بالإسلام ولّيتكما، وإن أبيتما أن تقرا بالإسلام، فإن ملككما زائل عنكما، وخيلي تحل بساحتكما، وتظهر نبوّتي على ملككما، قال عمرو: فلما انتهيت إليهما، بدأت بعبد الله فإنه كان أسهل خلقاً فقلت: إني رسول رسول الله ﷺ إليك وإلىٰ أخيك، فقال: أخي مقدّم عليَّ بالسّن والملك وأوصلك إليه حتّىٰ تقرأ الكتاب عليه، ثم قال: أخبرني بما يأمر به وينهىٰ عنه قلت: يأمر بطاعة الله عزّ وجلّ وينهىٰ عن معصيته، ويأمر بالصلة والبر وينهىٰ عن الظلم والعدوان والزنا وشرب الخمر وعبادة الأوثان، قال: ما أحسن هذا الذي يدعو إليه، ولو كان أخي يتابعني لركبنا حتى نؤمن بمحمد، ولكن أخي أظنه يبخل بملكه، قلت: إن أسلم ملّكه رسول الله ﷺ على قومه، قال: فمكثت ببابه أياماً وهو يصل إلى أخيه كل خبري، فما زالا يقدمان رِجلاً ويؤخران أخرىٰ حتىٰ وفّقهما الله تعالىٰ للإسلام.(٤٩)

(وللمنذر) بن ساوىٰ العبدي ملـك البحـريـن بعـث ﷺ (العلاء) بـن الحضرمي قبل منصرفه من الجعرانة، وقيل: قبل الفتح فأسلم وصدّق، (فلما

---

(٤٩) انظر زاد المعاد (٦٩٣/٣ - ٦٩٦) وابـن سيـد النـاس (٢٦٧/٢ - ٢٦٩) وشرح المواهب (٣٥٢/٣ - ٣٥٥) ونصب الراية (٤٢٣/٤ - ٤٢٤).

تعدّىٰ) عن الحقّ لما رآه فكتب في جواب مكتوبه ﷺ :

أمّا بعد يا رسول الله فإني قرأت كتابك علىٰ أهل البحرين، فمنهم من أحب الإسلام ودخل فيه ومنهم من كرهه، وبأرضي يهود ومجوس فأحدث إليّ في ذلك أمرك، فكتب إليه ﷺ مكتوباً فيه أما بعد:

فإني أذكرك الله عزّ وجلّ، فإنه من ينصح فإنما ينصح لنفسه، وإنه من يطع رسلي فقد أطاعني، وإنّ رسلي قد أثنوا عليك خيراً، وإني قد شفعتك في قومك، فاترك للمسلمين ما أسلموا عليه وعفوت عن أهل الذنوب فاقبل منهم، ومن أقام على يهودية أو مجوسية فعليه الجزية(٥٠).

مُهاجِرٌ لِلْحارِث ابنِ الحِمْيَرِي لِيَمَنٍ مُعاذُهُم وَالأشْعري

(ومهاجر) بن أبي أمية المخزومي (للحارث) بن عبد كلال (الحميري) بتخفيف الياء للوزن وكان باليمن فأجاب بأنه سيظهر في اليمن أمره (ليمن معاذهم) بضم الميم وهو معاذ بن جبل (و) أبو موسى (الأشعري) بعثهما ﷺ إلى اليمن وقت انصرافه من تبوك، وقيل: في شهر ربيع الأول سنة عشر داعيَيْنِ إلىٰ الإسلام فأسلم عامّة أهلها وملوكهم طوعاً من غير قتال، وبعث جرير بن عبدالله البجلي إلى ذي الكلاع وذي عمرو يدعوهما إلى الإسلام فأسلما، وتوفي رسول الله ﷺ وجرير عندهم(٥١)، وبعث عمرو بن أمية الضمـري إلى مسيلمة الكذّب وكتب إليه بكتاب آخر مع السائب بن العوام أخي الزبير فلم يسلم، وبعث إلى فروة بن عمرو الجزامي يدعوه إلى الإسلام، وقيل: لم يبعث إليه، وكان فروة عاملاً لقيصر بعمان فأسلم، وكتب إلى النبي ﷺ بإسلامه

(٥٠) انظر زاد المعاد (٦٩٢/٣ - ٦٩٣) وابن سيد الناس (٢٦٦/٢- ٢٦٧) وشرح المواهب (٣٥٠/٣ - ٣٥٢) والإصابة (٢١٤/٦ - ٢١٦).

(٥١) انظر الإصابة (٤٢٧/٢ - ٤٣٠).

وبعث إليه هدية مع مسعود بن سعد، وهي بغلة شهباء يقال لها: فضة، وفرس يقال لها: الضَرِب وحمار [له] يقال له: يعفور، وأثواب وقباء سندس مخوص بالذهب فقبل النبي ﷺ هديته، وأجاز مسعود بن سعد اثنتي عشرة أوقيةً ونشاً (٥٢).

(كتّابه صلى الله عليه وسلم)

كُتَّابُهُ فَالخُلفاءُ الأَربَعَة   أُبَيٌّ مَعْ زَيدٍ وَثابِتُ مَعَه)

(أما كتابه) فكثيرون جمعهم بعض المحققين للحديث [بعض المحدثين] في تأليف (فالخلفاء الأربعة) منهم أبو بكر فعمر فعثمان فعلي رضي الله عنهم (وأبيّ) بضم ففتح كاتب الوحي كان من سباق الأنصار، وهو أحد الستة الذين حفظوا القرآن على عهده ﷺ توفي بالمدينة سنة تسع عشرة، وقيل: عشرين (مع زيد) بن ثابت بن الضحاك الأنصاري البخاري مشهور بكتْب [بكاتب] الوحي توفي سنة خمسين أو ثمان وأربعين.

(وثابت) بن قيس بن شماس استشهد يوم اليمامة (معه) أي مع زيد ومع من ذكر وهو تتميم للبيت.

فَالخالِدانِ عامِرٌ مُعاوِيَة   وَطَلْحَةُ الزُبَيْر عُمَرُوُ حَنْظَلَة

(فالخالدان) خالد بن الوليد بن المغيرة المخزومي سيف الله المسلول أسلم بين الحديبية والفتح كما سبق، مات سنة إحدى أو اثنتين وعشرين، وخالد بن سعيد ابن العاص بن أُمَيّة (وعامر) بن فهيرة مولىٰ أبي بكر الصديق رضي الله عنه

---

(٥٢) انظر الإصابة (٥/٣٨٦ - ٣٨٧).

(ومعاوية) بضم الميم ابن أبي سفيان صخر بن حرب ولّي لعمر الشام وأقره عثمان رضي الله عنه، قال ابن إسحق: وكان أميراً عشرين سنة، وخليفةً عشرين سنة، وفي مسند الإمام أحمد من حديث العرباض قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «اللّهم عَلِّم معاوية الكتاب والحساب وقه العذاب» (٥٣) أسلم يوم الفتح، وتوفّي في رجب سنة ستين، وقد قارب الثمانين (وطلحة بن عبيدالله القرشي أحد العشرة أسلم قديماً، وشهد المشاهد غير بدر لأنه ﷺ، بعثه مع سعيد بن زيد يتعرّفان خبر عير قريش التي مع أبي سفيان، قتلى يوم الجمل سنة ست وثلاثين، ودفن بالبصرة (والزبير) بن العوام بن خويلد أحد العشرة قتل يوم الجمل ستة ست وثلاثين قتله عمرو بن جرموز بوادي السباع وهو نائم (وعمرو) بن العاص بن وائل السهمي فاتح مصر في خلافة عمر رضي الله عنه، أسلم عام الحديبية، وولّىٰ إمارة مصر مرتينْ، ومات بها سنة نيف وأربعين (وحنظلة) بن الربيع الأسيدي الذي غسلته الملائكة لما استشهد بأحد كما سبق (٥٤).

مُغيرة وأرقَمُ بنُ الأرقَمِ كَذا الجُهيمانُ حُذَيفَةِ اعلَمِ

(ومغيرة) بن شعبة الثقفي، أسلم قبل الحديبية، وولّىٰ إمارة البصرة، ثم الكوفة توفي سنة خمسين على الصحيح و(أرقم) ابن أبي الأرقم المخزومي، أسلم قديماً (و) عبدالله (بن الأرقم) القرشي [القريشي] الزهري، كان يكتب الرسائل عن رسول الله ﷺ إلى الملوك وغيرهم، وكتب بعده لأبي بكر، ثم لعمر بعده، واستعمله على بيت المال، ويقول: ما رأيت أخشىٰ لله منه، مات في

---

(٥٣) رواه أحمد (١٢٧/٤) والبزار (٢٧٢٣ كشف الأستار) والطبراني في الكبير (ج١٨ رقم٦٢٨) وانظر تعليقنا عليه.

(٥٤) حنظلة الكاتب هذا ليس هو الذي غسلته الملائكة، بل هو حنظلة بن عامر.

خلافة عثمان رضي الله عنه (كذا الجُهَيَانِ) تثنية جُهَيم بالتصغير، أحدهما جُهَيم ابن الصلت كما في عيون التواريخ، والآخر لا أستحضره الآن[55] (وحذيفة) بن اليمان من السابقين الأولين، وصح في مسلم أنه ﷺ أعلمه بما كان ويكون إلى أن تقوم الساعة، مات في صدر خلافة علي رضي الله عنه سنة ست وثلاثين (اعلم) تكميل للبيت، قال الشرف الدمياطي: وألزمهم للكتابة معاوية وزيد بن ثابت، وله ﷺ كتّاب أُخَرُ ذكرهم بعض المحدثين وأول كاتب له شُرحبيل بن حسنة كما في المواهب، وأول من كتب له في المدينة: أبيّ بن كعب كما، قاله الحافظ ابن حجر، وأول من كتب له بمكة من قريش عبدالله بن سعد بن أبي سـرح، ثم ارتد ثم عاد إلى الإسلام يوم الفتح، ومن كتّابه: عبدالله بن رواحة الخزرجي الأنصاري شهد بدراً، واستشهد بمؤتة، ومعيقيب كمُفَيْتيح ابن أبي فاطمة الدوسي من السابقين شهد المشاهد، ومات في خلافة عثمان أو علي رضي الله عنهما (و حويطب) بن عبد العزىٰ العامري أسلم عام الفتح مات سنة أربع وخمسين والعلاء بن الحضرمي، وأبو سفيان بن حرب وابنه يزيد أخو معاوية، وكان يزيد من سادات الصحابة أسلم يوم الفتح أمّره عمر رضي الله عنه على دمشق حتىٰ مات بها سنة ست عشرة بالطاعون، فوليها معاوية إلى أن رقىٰ منها إلى الخلافة وأبان بن سعيد بن العاص، ومحمد بن مسلمة، وأبو أيوب الأنصاري.

(أمراؤه صلى الله عليه وسلم)

وَالأُمَرا بازانُ كِسرىٰ وَابنُـهُ مُهاجِرُ وَصَخْرُ حَرْبٍ وَابنُـهُ

(والأمرا) بالقصر للوزن (باذان) بموحدة في أوله وذال معجمة في وسطه ونون في آخره، وقد يقال: باذام بالميم وهو ابن ساسان بن بلاش من أحفاد الملك

(٥٥) انظر الإصابة (١/٥١٢ و ٥٢٤) والثاني هو جهم بن سعد.

يزدجرد بن الملك بهرام جور الفارسي، أمّره رسول الله ﷺ على اليمن كلها بعد موت كسرى، فهو أول أمير في الإسلام على اليمن، وأول من أسلم من ملوك العجم، كما قاله ابن جماعة وغيره وقوله: (كسرى) إما عطف بيان له لأنه كان من ملوك الفرس كما مرّ آنفاً، أو مضافاً إليه للاختصاص لكونه من نوابه، (و) بعد موت (باذان) (ابنه) شهر بن باذان، أمّره ﷺ على صنعاء وأعمالها[٥٦] (ومهاجر) بن أبي أمية المخزومي (و) أبو سفيان (صخر) بن (حرب) بن أمية، أمّره على نجران (وابنه) أي ابن صخر وهو يزيد أخو معاوية، أمّره ﷺ على أهل تيماء.

حَجٌّ وَعثمانُ أبي العَـاصِ العلىٰ ... زيادُ وَابنُ جَـزء صَـديـقُ علي
وَالأشعرِي وعَمرُو عاصِ وَعدي ... عتَّـابُ مَـعْ بني سَعْـدٍ وَعلي

(وزياد) بن لبيد الأنصاري [أنصاري]، أمّره على حضرموت ناحية باليمن (و) الحارث بن (جَزء) بفتح الجيم غير منصرف للضرورة، وهو جزء ابن الحل من خدامه ﷺ (وصدّيق) أبو بكر رضي الله عنه، أمّره ﷺ على إقامة الحج سنة تسع، وبعث في أثره علياً فقرأ على الناس: براءة، فقيل: لأن أولها نزل بعد أن خرج أبو بكر إلى الحج، وقيل: أردفه غوثاً ومساعداً، ولهذا لما قال له الصديق: أمير أو مأمور: بل مأمور، وأما الرافضة [الرفضة] فقالوا: بل عزله وهو من تقوّلهم وافترائهم (وعثمان) بن عفان بن أبي العاص بن أمية، أمّره على الطائف كما قيل (والعلا) بن الحضرمي على البحرين، (وعتّاب) بفتح فتشديد المثناة ابن أُسيد بوزن أُمير، أمّره على مكة وإقامة الموسم والحج بالمسلمين سنة ثمان (مع) بسكون العين خالد (بُنَيْ) بالتصغير وتخفيف الياء للوزن والأولى

---

(٥٦) انظر الإصابة (١/٣٣٨ - ٣٣٩).

نجل (سعيد) ليتخلص عن الضرورة، أمّره ﷺ خالد بن سعيد بن العاص على صنعاء (وعلي) بتخفيف الياء، أمّره على القضاء باليمن سنة عشر، وأرسله أميراً علىٰ النداء: أن لا يحجّ بعد العام مشرك، لما حجّ أبو بكر سنة تسع كما مرّ (و) أبو موسى (الأشعري) أمّره عى زبيد وعدن باليمن، (وعمرو) بن (عاص) أمّره على عمان وأعمالها (وعدي) بتخفيف الياء للوزن وهو عدي بن حاتم الطائي، أمّره على الصدقات، وكان بلال المؤذن على نفقاته، ومعيقيب الدوسي على خاتمه، وكان قيس بن سعد بن عبادة الأنصاري منه ﷺ بمنزلة صاحب الشرطة من الأمير، ووقف المغيرة بن شعبة على رأسه بالسيف كما مرّ يوم الحديبية.

(وأما شعراؤه الذين يذبون عن الإسلام)

ويحاربون [ويجاوبون] عن هجاء المشركين وأشعارهم، فهم: كعب بن مالك السلمي، وعبدالله بن رواحة الخزرجي الأنصاري، وكان يحدو بين يديه في السفر، وحسان بن ثابت الأنصاري الذي دعا ﷺ له بقوله: «اللهم أيّده بروح القدس»[٥٧] فيقال: إن جبرائيل عليه السلام أعانه بسبعين [ألف] بيتاً، وعاش مائة وعشرين سنة، وخطيبه ﷺ: ثابت بن قيس بن شماس، وفارسه: أبو قتادة الأنصاري.

(الذين يضربون أعناق الأعداء بحضرته صلى الله عليه وسلم)

وَضَارِبُو عُنُقِ العدىٰ بحَضرتِهِ　　　زُبَيرُ وَالضَّحاكُ وَابنَ مَسلَمة

(وضاربو) اسم فاعل حذف نون جمعه لإضافته إلى (عنق) بسكون النون

---

(٥٧) رواه أبو داود (٥٠١٥) والترمذي (٣٠٠٣ و ٣٠٠٤) والطبراني في الكبير (٣٥٨٠).

(العدى) بكسر العين وضمها اسم جمع بمعنى الأعداء، والمراد هنا الكفار (بحضرته) ﷺ وهو مثلثه الحاء بمعنى وهو حاضر كحضر [كحضره] وحضرته محركتين.

عَلِيٌّ وَالمِقدادُ وَابنُ عمَّتِهْ وَعاصِمُ بنُ ثابتٍ مُنتظِمَة

(عليّ) بترك التنوين بن أبي طالب، كرّم الله وجهه (والمقداد) بن عمر الكندي (وابن) صفية (عمته) ﷺ وهو (زبير) بن العوام أول مَن سلّ السيف في سبيل الله تعالى، شهد المشاهد كلها معه ﷺ، وفي الحديث: «إن لكل نبي حوارياً أي ناصراً وحواريّ الزبير»[٥٨] (والضحاك) بفتح الضاد ابن سفيان الكلابي (ومحمد بن مسلمة) بفتح فسكون ففتح الأنصاري (وعاصم بن ثابت) ابن أبي الأفلح، وقوله: (منتظمه) تتميم للبيت وهؤلاء منتظمة في سلك النظم والتعداد.

(مؤذنوه صلى الله عليه وسلم)

مُؤذِنوهُ أربعة أعْدُدْ أبا مَحذورَةٍ مِعيرِ عَمرِو بِقُبا

(مؤذنوه) ﷺ أربعة (أُعدُد) منه (بلالاً) بن رباح مولى أبي بكر رضي الله عنه، وهو أول من أذّن له ﷺ، ولم يؤذن لأحد من الخلفاء بعده إلاّ أنّ عمر رضي الله عنه لما قدم الشام حين فتحها، أمره أن يؤذن، فتذكر الناس النبي ﷺ، قال أسلم مولى عمر: فلم أر باكياً أكثر من يومئذ، وفي المواهب: توفي بداريّا قرية بالشام، وله بضع وستون سنة، وقيل: دفن بدمشق وقيل: بحلب انتهى، وقد مرّ تصحيح دفنه بدمشق.

---

(٥٨) رواه البخاري ومسلم (٢٤١٥) وغيرهما.

وأعدد (أبا محذورة) بالذال المعجمة أوس بن مِعيَر الجمحي مؤذناً له بمكة (وعمرو) بترك التنوين ابن أم مكتوم القرشي العامري الأعمىٰ، أعددْ مؤذناً له ﷺ بالمدينة كبلال. (وسعداً) الملقب بسعد القرظي ابن عائذ مولى عمّار بن ياسر، أعدده مؤذناً له ﷺ (بقباء) بالضم والقصر قرية بقرب المدينة كما سبق، وبقي سعد إلى ولاية حجاج [الحجاج] على الحجاز سنة أربع وسبعين.

(دوابه صلى الله عليه وسلم)

وَخَيْلُه الوَرْدُ الّلزازُ السَّكْبُ مَرتَجِزٌ مُلاوِحٌ وَالضَرِبُ

(وخيله) ﷺ كثيرة، سبعة متفق عليها، وقد نظمها بدر الدين بن جماعة [في بيت] فقال:

والخيل سكب لحيف سبحة ظرب لزاز مرتجز ورد لها أسرار

والبواقي مختلف فيه [فيها] (الورد) أهداه له تميم الداري (واللزاز) في القاموس اللزاز ككتاب الخشب التي يكزّ أي يشدُّ بها الباب، وبلا لام فرس له ﷺ، أهداه المقوقس له انتهى، فعلم أن الصواب في النظم لزاز بدون الألف واللام لإستقامة نظم به أيضاً وفي المواهب: وسمي به لشدةِ تلذذه واجتماع خلقه، ويقال لزَّ به الشيء أي لزق به كأنه يلتزق بالمطلوب لسرعته.

(والسكب) من سكب الماء أي انصبَّ، سمي به لكثرة جَريِهِ، وهو أول فرس ملكه ﷺ، اشتراه من أعرابي بعشر أواقي، وكان أغر محجلاً طلق اليمين كميتاً، وقيل: كان أدهم، واسمه عند الأعرابي الضرس بالضاد والسين في آخره ككتف، فغيره ﷺ إلى السكب كما قاله ابن جماعة والمجد في القاموس وغيرهما (ومرتجز) اسم فاعل بجيم وزاء في آخره، سمي به لحسن صهيله من الرجز وكان أبيض.

(وملاوح) اسم فاعل بحاء مهملة في آخره، عدّه منها ابن خالويه.

(وظرب) بالظاء المنقوطة وبالباء في آخره على وزن كتف كما في القاموس، وسكن الناظم الراء للوزن، وفي المواهب الظرب ككتف واحد الظراب سمي به لكبره وسمنه، وقيل لقوته وصلابة حافره انتهى. والطرب بالطاء المهملة ككتف كما في القاموس أيضاً فرس آخر له ﷺ والطرف بكسر المهملة فسكون الراء آخره فاء فرس آخر له كما ذكر ابن قتيبة.

لَحيفُ وَالضَّرِسُ ثَـمَّ سَبْحَـةُ بِغَالُـهُ فَـدُلْـدُلُ وَفِضَّـةُ

(ولحيف) بترك التنوين، وفي المواهب وهو بالحاء المهملة فعيلة بمعنى فاعل سمي به لكبره وسمنه، كأنه يلحف الأرض أي يغطيها بذنبه لطوله، أهداه له ربيعة بن أبي البراء انتهى. وفي القاموس: هو كأمير أو زبير فرس لرسول الله ﷺ، كأنه كان يلحف الأرض بذنبه، انتهى، وقد يقال لخيف بالخاء المعجمة كما قاله البخاري في جامعه.

(والضَرِسُ) بالضاد المعجمة والسين المهملة على وزن كتف، كما رأيناه في النسخ، وكذا في مختصر ابن سيد الناس، لكن قد حققنا آنفاً أن الضرس والسكب واحد، فلعله محرف من الضرمن وهو في الأصل الضرم للفرس العداء، ثم زيدت فيه النون مبالغةً، كما في ضيغن، فإن السهيلي ذكر الضرمن في أفراسه ﷺ.

(ثم) سبحة بفتح فسكون من قولهم فرس سابح أي حسن الجري، قيل اشتراه من أعرابي بعشر من الإبل، ومن أفراسه ﷺ البحر اشتراه من التجار [تجار] من اليمن، فسبق عليه ثلاث مرات، فمسح ﷺ على وجهه، فقال «ما أنت إلا بحر» فسمي به حكاه الدمياطي، ومرتجل وسرحان ذكرهما ابن خالويه، وذو اللمة ذكره ابن حبيب، والسجل والنجيب ذكره ابن قتيبه، واليعبوب

واليعسوب ذكرهما قاسم بن ثابت، والمرواح والمندوب ذكرهما بعضهم.

(وأما بغاله صلى الله عليه وسلم)

(فدلدل) بدالين مضمومين أهداها له ﷺ المقوقس، وكانت شهباء، وقد كبرت حتى زالت أضراسها، وكان علي رضي الله عنه يركبها بعده ﷺ، وروي أن عثمان رضي الله عنه كان يركبها، ثم يركبها الحسن، ثم الحسين ثم محمد ابن الحنفية حتى عميت من الكبر.

(وفضة) أهداها فروة الجزامي.

إبلُــهُ وَمَــا لَــهُ حَميرُ   إلاَّ عَفيرٌ وَكَــذا يعفــورُ

وأيلية أي بغلة منسوبة إلى أيلة بفتح الهمزة بلد بين مصر وينبع، ونسبت إليها لأنها أهداها له ﷺ صاحب أيلة، وكانت شهباء، وله بغلة أخرى أهداها له صاحب دومة الجندل، وأخرى من عند النجاشي، فكان ﷺ يركبها.

(وما له حمير) إلا حمار أهداه [له] المقوقس يقال له (عفير) بالتصغير وكذا له حمار آخر، أهداه فروة الجذاميُّ يقال له (يعفور) ويقال: إنهما واحد، وروي أن سعد بن عبادة أعطى النبيَّ ﷺ حماراً وركبه.

(نعمه صلى الله عليه وسلم)

نَعَمُهُ مِنْ إبِلٍ قَد مَلَكا   عِشْرينَ لقحة لها قَدْ تَرَكا

(نعمه) ﷺ التي كانت له في حياته، وهو مبتدأ خبره الجملة [التي] بعده، وهل النعم بفتحتين شامل للإبل والشاء، أو هو مختص بالإبل قولان، فعلى الأول الأشهر قوله: (من إبل) تخصيص وعلى الثاني بيان، والإبل اسم يقع على الذكر

والأنثى، والواحد والجمع (قد ملكا) ﷺ منها (عشرين لقحة) بكسر اللام وقد تفتح وهي الناقة ذات لبن، واقتصاره على عشرين موافق لما في مختصر ابن سيد الناس، وعبارة القسطلاني كابن جماعة، وكانت له خمس وأربعون لقحة واللام في (لها) زيدت لتقوية العمل لضعف العامل بتقديم معموله عليه كما تقرر في النحو (قد تركا)، الظاهر أن معناه خلفها بعد موته، فينافيه رواية الترمذي في شمائله عن عمرو بن حارث قال: ما ترك رسول الله ﷺ إلا سلاحه وبغلته البيضاء دلدل، وأرضاً جعلها صدقة[59] وروايته أيضاً عن عائشة رضي الله عنها قالت: ما ترك رسول الله ﷺ ديناراً ولا درهماً ولا شاةً ولا بعيراً، قال الراوي: والشك [وأشك] في العبد والأمة[60] وروايته أيضاً من حديث أنس رضي الله عنه: ولقد كان له ﷺ درع عند يهودي أيْ رهناً من آصع شعير، فما وجد ما يفكها حتى مات ﷺ[61]، وقد استشكل عليّ من زمان أمثال هذا مع كلام أهل السير الدال على أنه ﷺ خلّف أشياء كثيرة من نعم وغيرها، ولم أر مَن نبه على الإشكال والجواب، ثم رأيت ابن حجر في شرح الشمائل وأشار إلى الإشكال ولم يتكلم على الجواب بما يشفي، فقال في الحديث الأول:

الظاهر أن الحصر المستفاد من قوله: ما ترك إلاّ سلاحه إلى آخره إضافي، لأنه ترك ثياب بدنه وأمتعة بيته أيضاً، ولعل حكمة سكوت الراوي عن هذه كونها حقيرة بالنسبة للمذكور [للمذكورين] فلم يعتدّ به لكن ذكر بعض أهل السير أنه ﷺ خلّف إبلاً كثيرةً، وأنه كان له عشرون ناقةً يرعونها حول

---

(59) رواه البخاري: (2739 و 2873 و 2912 و 3098 و 4461) وأحمد (279/4) ودلدل غيرها على الأصح، ورواه الترمذي في الشمائل: (399).

(60) رواه الترمذي في الشمائل (405) ورواه مسلم (1635) وغيرهما.

(61) رواه أحمد (103/3 و133 و208 و238) والبخاري (2069 و2508) وغيرهما بألفاظ مختلفة.

المدينة، ويأتون بألبانها إليه كل ليلة، وكان له سَبْعُ بقرات يشربون لبنها كل ليلة انتهى (٦٢).

أقول: يمكن الجمع بأنّ عادته ﷺ أن لا يدّخر لنفسه شيئاً ويدّخر لأزواجه وأهله قوت سنة كما صحّ في الأحاديث، فمن نفى الترك أراد لنفسه ومن أثبته أراد لأهله وضيوفه، وأما معنى: فما وجد ما يفكها في الحديث الآخر، فلعله: فما أمسك ما يفك به رهنه لسعة جوده وسخائه، وإلا فقد وجد من الغنائم ما لا يحصىٰ، فقد صح في البخاري: لما قسّم غنائم حنين فطفق ﷺ يعطي رجالاً المائة من الإبل يتألفهم بذلك الحديث، وصح أنه ﷺ أعطىٰ صفوان بن أمية يوم حنين مائة من الغنم، وأعطىٰ أعرابياً سأله غنماً بين جبلين، وغير ذلك مما هو مشهور في الأحاديث، وفي كتب السيرة، على أن أهل السير مثبتون، وغيرهم نافون، والمثبت مقدم على النافي، لمزيد علمه كما هو مقرر فتأمله، فإن قلت: أداء الدين أحق فلم لم يمسك ﷺ ما يؤدي به دينه؟ قلت: إنما استدان من اليهودي إخفاءً لحاجته عن [من] أصحابه كما هو دأب الكريم، لعلمه بأنهم لا يتقاضون منه الدين، وإعلاناً بجواز المعاملة مع اليهودي، وإلاّ فكان في أصحابه من يكفيه ﷺ ذلك، فلما رهن عنده درعه تساهل في أدائه، وفك الرهن، لعلمه بأن درعه أحسن من آصع شعيره، وقيامه [وقيام رهنه] مقام أدائه، لا لعدم وجدانه ما يفكه، فاندفع بما قررته بحمدالله الإشكالات فاحفظه.

وَالنَّاقَةُ القَصواءُ مَعْ مَهْرَيَه   وَمِائَةُ الغَنَمِ مَعْ شُوَيْهَيَة

---

(٦٢) قال علي القاري في شرح الشمائل (٢/٢٢٤ ـ ٢٢٥) والظاهر أن الإبل الكثيرة هي من إبل الصدقة، وأن النوق والمعز كانت من المنائح كما جاءت به الروايات الصرائح، وسيجيء في رواية عائشة عند المصنف أنه ما ترك ديناراً ولا درهماً ولا شاة ولا بعيراً، فيتعين التأويل الذي ذكرناه.

والعجب من ابن حجر حيث ذكر ما نقل عن أهل السير وسكت عنه.

(و) مما ملكه ﷺ من النعم (الناقة) التي هاجر عليها من مكة إلى المدينة، وكان لا يحمله إذا نـزل عليـه الوحـي غيرهـا وتسمـى (القصـواء) والعضبـاء والجدعاء، ولم يكن بها عضب أي شق الأذن، ولا جدع أي قطع أنف أو أذن، وإنما صارت ألقاباً لها على الأصح، وجزم به في القاموس، وقيل: بل هن ثلاث، والعضباء هي التي كانت لا تُسبق، فجاء أعرابي على قعود فسبقها، فشق ذلك على المسلمين، فقال ﷺ: «إنَّ حقـاً علىٰ الله أن لا يرفع شيئاً إلاّ وضعه» (مع مهريه) بفتح الميم أي ناقة منسوبة إلى مهرة، قبيلة، قال ابن جماعة: أرسل بها إليه سعد بن عبادة من نعم بني عقيل، ورمى ﷺ في حجة الوداع على ناقة صهباء أي شقراء، وغنم ﷺ يوم بدر جملاً مهرياً لأبي جهل في أنفِهِ برة من فضة، فأهداه يوم الحديبية ليغيظ بذلك المشركين، (و) كانت له من النعم أيضاً (مائة من الغنم) لا يريد زيادتها بل لبنها، فكلّما زاد واحدة ذبح مكانها شاة، كما قاله ابن جماعة (مع شويهة) يختص ﷺ بشرب لبنها، وتسمى غوثة أو غيثة، وشويهة تصغير شاة لأن أصلها هاء، وكانت له شاة أخرى تسمى قمرا وغنم [وعنز] تسمى اليُمْنَ.

قال ابن جماعة: وكان له سبع أَعْنُز ذات نتائج ولبن ترعاهنّ أم أيمن، وكان له ديك أبيض، وقال ابن سيد الناس: لم ينقل أنه ﷺ اقتنىٰ من البقر شيئاً انتهىٰ، ويعارضه نقل ابن حجر لسبع بقرات كما مر.

(سلاحه صلى الله عليه وسلم)

سُيوفُهُ المَـأثـورُ ذُوالفِقَـارِ ... غُنِـمَ مِـنْ بَـدْرٍ مَـعَ البَتّـارِ
وَالقَلِعِيُّ وَالحَتْفُ وَالرَسُـوبُ ... وَمِجذَمُ وَالقضْـبُ وَالقَضِيـبُ

(سيوفه) ﷺ (تسعة) (المأثور) بالثاء المثلثة يقال للسيف الذي في متنه أثر، أو متنه حديد أنيث وشفرته حديد ذكر، أو الذي يفعله الجن كما في

القاموس، وهو أول سيف ملكه إرثاً من أبيه، ويقال: إنه قدم به في الهجرة إلى المدينة.

(وذو الفقار) بفتح الفاء وكسرها كما في المواهب لأنه كان في وسطه مثل فقرات الظهر، وكان ﷺ لا يفارقه في حرب (غُنِمَ) ذو الفقار وصار إليه ﷺ (من غزوة بدر) وكان للعاص بن منبّه قتل كافراً، وكانت قائمة ذلك السيف وقبيعته وحلقته وذؤابته وبكراته ونعله من فضة، وأعدد ما مرّ من سيوفه (مع البتّار) أي القاطع (والقَلَعي) بضم القاف وفتح اللام، أصابه من قلع موضع كما في المواهب وفي القاموس: ومرج القلعة محركةً موضع بالبادية، ينسب إليها السيوف (والحتف) وهو في الأصل الموت، وهذه الثلاثة أصابها من بني قينقاع (والرسوب) بفتح الراء وهو الذي يمضي فيما ضُرب فيه ويغيب من رسب إذا ذهب إلى أسفل (وَمخذَم) كمنبر هو القاطع من الخذم بالخاء والذال المعجمتين وهو القطع (والعَضبُ) بسكون الضاد المعجمة وهو في الأصل القطع والضرب أرسله إليه ﷺ سعد بن عبادة حين سار إلى بدر.

(والقضيب) بفتح القاف وكسر الضاد المعجمة أول سيف تقلد به رسول الله ﷺ على ما قاله ابن سيد الناس.

قِسِيَّـهُ سِـتٌّ وَسَبْـعُ أَدْرُعُ ثَلاثُ أَتـراسٍ رِمـاحٌ أَرْبَـعٌ

(قِسِيّه) بكسرتين فمثناة مشدودة جمع قوس بالقلب كما عرف في محله (ست) الزوراء، وثلاثة أصابها ﷺ من بني قينقاع: الروحاء والصفراء والبيضاء، والكتوم كسرت يوم أحد، فأخذها قتادة بن النعمان، والسداد وذكره ابن جماعة وغيره، وقيل: كان قسيه أربعة.

(وسبع أدرع) جمع درع أي وأدرعه سبع، ذات الفضول بالضاد المعجمة لطولها، أرسل بها إليه ﷺ سعد بن عبادة، حين سار إلى بدر، وهي التي رهنها

عند أبي الشحم اليهودي على آصع شعير لعياله، وكان الدين إلى سنة، وذات الوشاح، وذات الحواشي، والسُغدية بضم السين وسكون الغين المعجمة أو المهملة نسبة إلى سُغد، موضع وقيل: إنها درع داود عليه السلام التي لبسها حين قتل جالوت، وفضّة والبتراء لقصرها، والخِرنق سميت باسم ولد الأرنب، وكان ﷺ لبس يوم أحد درعين ذات الفضول، وفضة، ويوم خيبر أيضاً درعين ذات الفضول، والسغدية ذكره القسطلاني.

(أتراسه صلى الله عليه وسلم)

(وله) ﷺ (ثلاث) بحذف التاء للوزن (أتراس) جمع ترس وهو ما يتترس به واحد منها يقال له: الزلوق لزلق السلاح عنه، وآخر يقال له الفتق، وآخر أهدي إليه ﷺ، وفيه تمثال عقاب أو كبش، فوضع يده عليه فأذهب الله ذلك التمثال.

(رماحه صلى الله عليه وسلم)

(وله رماح أربع) المثنى وثلاثة أخر أصابها من بني قينقاع، واحد منها يسمى المثوي لأنه يثبت المطعون به ويُقعِده من الثوى وهو الإقامة قاله في النهاية.

عَنَزَةٌ وَحَرَبَتَانِ جَعْبَةُ   وَمِغفرانِ مِحجَنُ مِخصَرَةُ

وله ﷺ (عَنَزَةٌ) بفتح العين المهملة والنون رُمَيْحٌ أطول من العصىٰ وأقصر من الرمح، وكان يمشي بها وتحمل بين يديه في العيد، وتركز أمامه ويصلي إليها.

(حِرَبُه صلى الله عليه وسلم)

(وحربتان) بفتح الحاء أحداهما كبيرة يقال لها البيضاء والأخرىٰ صغيرة شبه العكاز يقال لها النبعة. (وجعبة) بفتح الجيم وسكون العين كنانة النشاب (و مغفران) تثنية مغفر كمنبر وهو ما ينسج من الدرع يلبس تحت القلنسوة، أحدهما

يقال له ذو السبوغ والآخر الموشح، (ومِحجَن) بكسر الميم وتقديم الحاء على الجيم عصا معوج يشبه الصولجان (ومخصرة) بكسر الميم وسكون الخاء المعجمة تسمى العُرجون، في القاموس: المخصرة ما يتوكأ عليه كالعصا، وما يأخذه الملك يشير به إذا خاطب غيره.

عَصًا قَضِيبٌ رايَةٌ سَوداءُ　　مِنطِقَةٌ قَدْ فُضِّضَتْ لِواءُ

وكانت له ﷺ هراوة، وهي عصاً لها ذكر في حديث الحوض يذود بها عنه (و قضيب) من الشوحط يسمىٰ الممشوق، ومن أسمائه ﷺ: صاحب الهراوة وصاحب القضيب، وفسر القضيب بالسيف وبالعصا الممشوق الذي كان يمسكه، وهو الآن عند الخلفاء، ذكره ابن جماعة، وكانت له ﷺ (راية) وهو العلم الضخم (سوداء) من برد لعائشة رضي الله عنها كما مرّ في غزوة خيبر، وتسمّىٰ العُقاب لأن لونها كلون العقاب.

وروي أنه مكتوب علىٰ راياته: لا إلٰه إلاّ الله محمد رسول الله (ومنطقة) بكسر الميم وفتح الطاء ما يشدّ به الوسط كما في القاموس وغيره، وكانت من أديم مبشور (قد فُضّضت) أي جعلت فيها الفضة، قال ابن جماعة: فيها ثلاث حلق من فضة، زاد ابن سيد الناس وكان ابزيمها فضةً والطرف فضة، وكان له (لواء) وهو العلم الذي يحمل في الحرب يعرف به موضع صاحب الجيش، وقد يحمله أمير الجيش، وقد يدفعه لمقدم العسكر، وصرح جماعة من أهل اللغة بترادف اللواء والراية، لكن روى الإمام أحمد والترمذي عن ابن عباس رضي الله عنهما: كانت راية رسول الله ﷺ سوداء ولواؤه أبيض، ومثله عند الطبراني[٦٣] وهو ظاهر في تغايرهما، فلعلّ التفرقة بينهما عرفية.

---

(٦٣) رواه الترمذي (١٧٣٢) وابن ماجه (٢٨١٨) والطبراني في الكبير (١١٦١ و١٢٩٠٩) والحاكم (١٠٥/٢) والبغوي في شرح السنة (٢٦٦٤) ولم أره عند أحمد.

(أثوابه ولبسه وأثاثه صلى الله عليه وسلم)

أثـوابُـه مُـذ مٰـاتَ وَالأثـاثُ   فجُبَّـةٌ خَميصَــةٌ ثَــلاٰثُ
أو أربَـعٌ لـواطِيئـاً قلانِـســا   ثوبٰا صَحاري قميصٌ وَكسٰا

(أثوابه) ﷺ التي تركها (مذ) حين (مات) (و) كذا (الأثاث) بفتح الهمزة وبالثاء المثلثة متاع البيت يأتي ذكرها، أمّا أثوابه: (فجبّة) يمنية، ولبس ﷺ في وقت جُبّةً شامية ضيقة الكمين، وفي وقت قباء، وفي المواهب تبعاً لابن جماعة: وكان له ﷺ ثلاث جبّات، يلبسها في الحرب، فيها جبة سندس أخضر (وخميصة) كساء مربع أسود له علمان، فإن لم يكن معلماً، فليس بخميصة، وكان له ﷺ (ثلاث أو أربع) شك من الراوي حال كونها (لواطئاً) جمع لاطئة من لطىء أي لزق أي لاصقة بالرأس غير مرتفعة، وليست مثل المضرّبة المرتفعة التي اعتادها أهل الروم، وقوله (قلانسا) جمع قلنسوة ما يلبس في الرأس تحت العمامة تمييز لقوله: ثلاث أو أربع، وكان يلبس القلانس البيض والمزورات وذوات الآذان كما قاله ابن جماعة وله (ثوباً صحاريّ) تركيب إضافي، وصحار بضم الصاد قرية باليمن من أعمال عمان، ينسب إليها الثياب كما في النهاية، وبه يعلم أن حق ما في النظم ثوبا صحار أو ثوبان صحاريين كما عبر به غيره (وقميص) من قطن قصير الطول، وقصير الكمّ إلى الرسغ صحاريّ وآخر سحولي (وكسا) بالقصر للوزن وهو كساء أبيض، ولو قال: ثوبا صحار وقميص وكسا بزيادة الواو على قميص كما قدرته لتخلص مما أوردته، فلعله من تغيير النساخ.

إزارُ ثَـوبٰـا حِبَـرةٍ مِلحَفَــةُ   ثَوبٰـانِ يَـومَ جُمُعَـةٍ عِمامَـةُ

(وله إزار) بترك التنوين للوزن وهو الساتر لما بين السرة والركبة، أو أكثر

إلى الكعبين، وفي الصحيح أن عائشة رضي الله عنها أخرجت كساءً ملبّداً وإزاراً غليظاً فقالت: نزع روح النبي ﷺ في هذا[٦٤] (وثوبا حبرة) بكسر الحاء وسكون الباء للوزن، والإضافة للبيان، وفي النهاية: يقال برد حبرة بوزن عنبة على الوصف والإضافة وهو بُردُ يمان انتهىٰ. قال ابن جماعة كان أحب الثياب إليه القميص والحبرة، وهو ضرب من برود اليمن فيه حمرة، وكان يحب البياض انتهىٰ. (وملحفة) بوزن مِكْنِسَة وهو كالمِلْحَفَةِ واللِّحَاف ما يتغطى به فوق سائر اللباس لدفع البرد ونحوه، وملحفته ﷺ كانت مورسة، وكل ما ذكره الناظم جزم به ابن سيد الناس بأنه من تركته ﷺ، ونقله العز بن جماعة، وعبارته: ترك ﷺ ثوبي حبرة وإزاراً عمانياً، وثوبين صحاريين، وقميصا سحولياً، وجبةً يمانيةً، وخميصة وكساءاً أبيضاً، وقلانس صغاراً لاطئة ثلاثاً أو أربعاً، وإزاراً طوله خمسة أشبار، وملحفةً مورسّة انتهت، ولم يجزم بغير هذه وله (ثوبان) كان يلبسهما (يوم جمعة) غير ثيابه التي يلبسها في سائر الأيام، وعن الواقدي أن بردة النبي ﷺ كانت يمنية طولها ستة أذرع في عرض ثلاثة وشبر، وأن إزاره من نسج عمان طوله أربعة أذرع وشبر في عرض ذراعين وشبر، كان يلبسهما يوم الجمعة والعيدين ثم يطويان، وعن جابر كان يلبس برده الأحمر في العيدين والجمعة[٦٥]، وكان له بردان أخضران وكساءاً أسود وكساءاً أحمر ملبداً وكساءاً من شعر ذكره ابن جماعة، وكانت له (عمامة) تسمى السحاب وهبها علياً، فكان ربما قال إذا رآه مقبلاً وهي عليه: «أتاكم عليّ في السحاب» وكان ﷺ إذا اعتم أرخىٰ عذبته بين كتفيه وكان أحياناً يديرها ويغرزها وراءه[٦٦]. ولبس يوم الفتح عمامة سوداء[٦٧] وروي في لباسه غير ذلك.

(٦٤) رواه أحمد (٦/٣٢ و ١٣١) والبخاري (٥٨١٨) وغيرهما.

(٦٥) رواه البيهقي (٣/٢٤٧) وإسناده ضعيف.

(٦٦) رواه الطبراني في الأوسط من حديث ابن عمر كما في مجمع الزوائد (٥/١٢٠) وانظر سلسلة الصحيحة (٢/٣٤٣ ـ ٣٤٦) لشيخنا محمد ناصر الدين الألباني.

(٦٧) رواه مسلم (١٣٥٨) والنسائي (٨/٢١١) وغيرهما.

(أثاثه صلى الله عليه وسلم)

وَقَــدَحٌ بِفِضَّــةٍ مُضَبَّــبُ كَذا زُجاجٌ قِصعَةٍ وَمِخضَبُ

وأمّا أثاثه فمنها (قدح بفضة) متعلق بقوله (مضبب) ضُبب بسلسلة من فضة في ثلاثة مواضع وكان فيه حلقة يعلق بها، وكان له قدح يسمى [الريان] رَيان، وآخر يسمى مغيثا، وآخر من عيدان، يوضع تحت سريره يتبول فيه من الليل، والقدح بفتحتين إناء يروي الرجلين أو اسم يعم الصغار والكبار (كذا) له (زجاج قصعة) الإضافة بيانية (و) له (مِخضَب) بوزن منبر.

مِنْ شَبَهٍ لأجْلِ حِنّا وَكَتَمْ مُدٌّ سَريرٌ وَفِراشٌ مِنْ أدَمْ
بِحِشوِ ليفٍ مِغسَلٌ مِنْ صُفرِ صاعٌ بِهِ يعطي زُكاةَ الفِطْرِ

(متخذ من شبه) بفتحتين النحاس الأصفر كما في القاموس، اقتناه ﷺ (لأجل) جمع (حِنّا) بكسر الحاء وتشديد النون وبهمزة، وخففها الناظم للوزن، وهو معروف (وكتم) فيه وهو بفتحتين نبت يخلط بالحناء ويخضب به الشعر، فيبقى لونه، وله (مدّ) مكيال يسع رطلاً وثلثاً عند الشافعي رضي الله عنه، ورطلين عند أبي حنيفة رضي الله عنه بالرطل العراقي، (وسريرٌ) لنحو نوم قوائمه من ساج، أهداه له سعد بن زرارة (وفراش من أدَم) بفتحتين أي جلد ملتبساً (بحشو ليف) الحشو ما يجعل في الوسادة ونحوها، والليف بالكسر ليف النخل، وهو معروف عندهم، والإضافة بيانية، كما يصرح به عبارة غيره: فراش من أدم حشوه ليف (ومَغسل من صفر) في القاموس كالصحاح: ومغسل كمقعَد ومنزل موضع اغتسال الميت انتهىٰ. وفي القاموس أيضاً، ومغسل كمنبر ما يغسل به الشيء انتهىٰ، فإن قرىء بفتح الميم فلا بد أن يراد مجرد موضع الغسل لا

بخصوص الميت، ويدل له عبارة القسطلاني وغيره: وله مغتسل من صفر، أو بكسرها فليجعل اسم آلة كمحلب أي آلة يجمع فيه الماء للغسل، ويومىء إليه عبارة العز بن جماعة: وله مِغسل من صفر ومُدْهَن (وصاع به يعطي زكاة الفطر).

تَوْرٌ حِجارٌ خاتِمٌ مِنْ فِضَّة   خُفّانِ وَالمِنديلُ مَعْ قَطيفَه
في رِبْعَةٍ فَمِشطُ عاجٍ فكُحلَة   سِواك مِقَصٌ مِرآةٌ كانَ لَهْ

وله (تور) بفتح التاء المثناة أي إناء (من حجارٍ) أي حجارة فحذف الهاء للوزن، يقال له المخضب يتوضأ منه، وكانت له قصعة تسمّىٰ الغرّاء يحملها أربعة رجال، لها أربع حلق كما في المواهب وغيره، وركوة أي حوض تسمّىٰ الصادرة، وقَعْبٌ أي قدح من خشب يسمّىٰ السعة (وخاتم) متخذ (من فضة) فصّه منه، ونقشه: محمد رسول الله، وهو الذي يتختم به بعد النبي ﷺ أبو بكر ثم عمر ثم عثمان رضي الله عنهم، ثم سقط من عثمان في بئر أريس، ولم يقدر عليه (وخفّان) أهداهما له النجاشي فلبسهما ومسح عليهما، وكان له أربعة أزواج من الخفاف أيضاً، أصابها من خيبر، وكان له نعلان سبتيتان مخصوفتان ذواتا قبالين كما قاله ابن جماعة.

(والمونديل) بكسر الميم يمسح به وجهه من الوضوء (مع قطيفة) كساء له خمل كما في النهاية. وأمّا ما كان ﷺ يجعله (في ربعة) وهو بفتح الراء إناء مربّع مثل جؤنة العطّار، وصندوق المصاحف، أهداها له المقوقس مع ماريّة، ومن ثمة تسمّىٰ الربعة [المربعة] الاسكندرانية (فمشط) بتثليث الميم (من عاج) في القاموس: العاج الذَّبْلُ وعظم الفيل انتهى، وأراد به الذبل، لأن العاج الذي هو عظم الفيل نجس عند الشافعي، وطاهر عند أبي حنيفة رضي الله عنهما، والذبل جلد السلحفاة البحرية، أو عظام ظهر دابة بحرية، يتخذ منها الأمشاط والأسورة

كما في القاموس (ومُكْحلَة) بضم الميم ظرفاً للكحل، وكان يكتحل من إثمد فيها عند النوم ثلاثاً في كل عين، وفي رواية في اليمن ثلاث مرات وفي اليسرىٰ مرتين (وسواك) بترك التنوين (ومـرآة) ينظر فيها، وربما ينظر في الماء إذا لم تكن حاضرةً عنده (ومقصّ) بكسر الميم وهو المقراض كما في القاموس، وفيه كلام بينته في تلخيص درة الغوّاص في أوهام الخواص (وكان له) ما ذكر من المشط وما بعده كلها مجعولاً في الربعة إلى وقت الحاجة.

(صفته صلى الله عليه وسلم) (٦٨)

صِفَتُـهُ حَسْـبَ مَـا قَـد نُقِلاٰ كَان وَضِيئـاً رِبعَـةً مُعتـدِلاٰ

(صفته) أي محاسن ذاته الظاهرة التي جبله الله تعالىٰ عليها ولم تجتمع في مخلوق قط سواه (حسب) أي وفق (ما قد نُقلا) بالبناء للمجهول وألف الإطلاق أي نقله الأئمة الحفاظ في الأحاديث الصحيحة الشهيرة عن أكابر الصحابة كعليّ وأنس بن مالك وأبي هريرة والبراء بن عازب وابن عباس وجابر بن سمرة وعائشة وأم معبد وغيرهم رضي الله عنهم أجمعين، منها أنه ﷺ:

(كان وضيئاً) فعيل من وضأ أي حسن وأشرق فهو بمعنىٰ رواية: كان أزهر اللون أي نيّره وحسنه (ربعةً) بفتح فسكون وقد تحرك لاهناً أي متوسطاً بين الطول والقصر، لكن إلى الطول أقرب كما في رواية البيهقي وغيره، وتأنيث الربعة باعتبار النفس ولذا استوىٰ فيه المذكر والمؤنث (معتدلاً) بدل منه بمعنى رواية ليس بالطويل ولا بالقصير، ورواية ليس بالطويل البائن المفرط ولا بالقصير المتردد أي المجتمع بعضه في بعض، هذا إذا مشى وحده أو مع قصير،

(٦٨) ترى تخريج أحاديث صفته ﷺ في تعليقنا على المحاسن الغرر للمؤلف، ولذلك لم نتعرض لتخريجها هنا.

وإن مشى مع طويل أياً كان غلبه في الطول، وروي أنه كان إذا جلس مجلساً يفوق بكتفه كل من [كان] في ذلك المجلس، وكان ﷺ كما رواه البخاري وغيره.

بَعيدَ مَا بَينَ مَنْكِبَينِ ذَا أَفلَجْ باهٍ ضَلِيعِ الفَمِ أَشنَبْ

(بَعيدَ) بفتح فكسر وقيل: بالتصغير وهو غريب بل في صحته نظر (بين مَنْكِبَيْنِ) أي ما بين المنكبين كما في روايات، ففيه حذف الموصول وهو كثير في الشعر، والمنكب مجمع عظم العضد والكتف والمعنى عريض أعلى الظهر وهو مستلزم لعرض الصدر، ومن ثم فسرّوه بعرض الصدر، وكان ﷺ أشعر المنكبين والذراعين وأعالي الصدر، عظيم الذراعين، رحب الراحة أي واسع الكف سائل الأطراف أي ممتد الأصابع في اعتدال، وكل ذلك يدل على كمال قوته، وكان موصول ما بين اللبة والسرة بشعر يجري كالخط، عاريَ الثديين والبطن مما سوى ذلك (ذا أفلج [فلج]) بفتحتين أي تفرق الأسنان، كما في رواية: أفلج الأسنان أي متفرقها، وفي رواية ابن عباس كان أفلج الثنيتين، إذا تكلم رُئِيَ كالنور يخرج من ثناياه وقوله (باه) اسم فاعل من بَهِي أو بَها نعت أفلج أي فلج واسع ظاهر أو حسن، احتراز عن فلج يشينه، ولا ينبغي عدّه وصفاً آخر له ﷺ بجعله بمعنىٰ واسع الفم من قولهم: بئر باهية أي واسعة الفم لأنه يأبىٰ عنه جرّه، إلاّ بتكلف ويغني عنه قوله: (ضليع الفم) كما رواه مسلم أي واسعه والعرب تمدح بواسع الفم [بسعة الفم] وتذم بصغره (أشنَبَ) أي ذا شَنَب الأسنان وهو رونقها وماؤها، وقيل: رقتها يعني أن أسنانه في غاية اللمعان كما في رواية عليّ: برّاق الثنايا (أزجّ) أي ذا زجج، وهو دقة الحاجبين يعني هو مقوس الحاجبين مع كثرة شعرهما ودقتهما مع طول.

أَبيَضُ لون مشربّاً بحمرةٍ لَمْ يَبْلُغَن في الشَّيبِ عِشري شَعْرَةٍ
شعرهُ يَبلُغُ شحمَيْ أذنِهِ كالبَدرِ وَجهُهُ وَفَوقَ حُسنِهِ

(أبيض لون) بياضاً نيّراً (مشرباً) اسم مفعول بتخفيف الراء وتشديدها، وتعين الأول هنا للوزن أي مشوباً (بحمرة) وهو أحسن ألوان الدنيا. (واعلم) أن الأخبار كثرت وتعارض بعضها في بيان لونه الشريف، وجمع بحمل الأحاديث الدالة على كونه مشوباً بحمرة على الوجه والدالة على البياض الصافي على باقي البدن، ومن ثم قلت في منظومتي المسماة بنظم المحاسن:

تعارضت في لونه الأخبار نحا لجمع معشر أخيار
أبيض وجه مشرب بحمرة وغير وجه أبيض ذو شهرة

(لم يبلغن) ﷺ وهو مؤكد بالنون الخفيفة (في الشيب) أي فيما شاب من رأسه ولحيته (عشري) حذف نونه لإضافته إلى (شعرة) وإنما قلّ شيبه ﷺ لأن النساء يكرهنه غالباً، ومن كره منه شيئاً كفر، ومن ثم صح عن أنس رضي الله عنه: ولم يشنه الله بالشيب (٦٩)، وأما خبر: «الشيب وقار ونور (٧٠)» فأجيب عنه بأنه وإن كان كذلك لكنه يشين عند النساء غالباً كما تقرر (شعره) ﷺ (يبلغ) أحياناً (شحمي) بحذف التاء أي شحمتي (أذنه) إذا طوّله، وأحياناً يبلغ إلى كتفه، وإذا قصّره فإلىٰ أنصاف أذنيه (كالبدر وجهه وفوق حسنه) أي حسن وجهه أحسن من القمر ليلة البدر، وإنّما جرىٰ التشبيه بالبدر على عادة العرب، وإلاّ فلا شيء يحاكي حسنه، روىٰ الشيخان من حديث البراء قال: كان رسول الله ﷺ أحسن الناس وجهاً وأحسنهم خلقاً (٧١)، وعن أبي هريرة رضي الله عنه:

ما رأيت شيئاً أحسن من رسول الله ﷺ كأن الشمس تجري في وجهه رواه

---

(٦٩) رواه أحمد (٣/١٠٨ و ١٧٨ و ١٨٨ و ٢٠١ و ٢٥٤).

(٧٠) لم أره بهذا اللفظ.

(٧١) رواه البخاري (٣٥٤٩) ومسلم (٢٣٣٧).

الترمذي وغيره [٧٢]. وقال الطيبي: شبه جريان الشمس في فلكها بجريان الحسن في وجهه ويحتمل جعله من تناهي التشبيه فجعل وجهه مقرّاً للشمس.

أَسْهَلُ خَـدٍّ واسِـعُ الجَبينِ   أَدعَجُ عَيْنَيْنِ أقنأ العِـرنَينِ

(أسهَل خدٍّ) أي سهل الخدين بمعنى سائلهما من غير ارتفاع في وجنتيه، وذلك أحلىٰ عند العرب، وفي رواية البزار والبيهقي كان أسيل الخدّين وهو بمعنىٰ ما ذكر (واسع الجبين) أي واضحه، والجبين حرف الجبهة بين الصدغ متصلاً بحذاء الناصية، وهما جبينان عن يمين الجبهة وشمالها (أدعج عين) أي شديد سواد حدقة العينين كما في رواية: كان أسود الحدقة وكان أهدب الأشفار أي طويلها جمع شفر بالضم وهو شعر العين، جليل المشاش أي عظيم رؤوس العظام كالمرفقين والركبتين والمنكبين، حسن العنق كأنه جيد دمية في صفاء الفضة، كثّ اللحية بفتح الكاف أي غير دقيقها ولا طويلها مقرون الحاجبين من بعد وغير مقرِنهما من قرب للناظر وبه يجمع اختلاف الروايات في ذلك ضخم اليدين لينهما عظيم الهامة أي الرأس إلى غير ذلك من صفاته ﷺ التي استوعبتها في نظم المحاسن (أقنأ العِرنين) أقنى صفة من القنا كالعصا وهو طول الأنف، ودقة أرنبته مع حدب في وسطه والعِرنين بكسر العين أعلى الأنف، وهو ما تحت مجمع الحاجبين، فهو بمعنى رواية: أقنى الأنف، وفسّر بالسائل المرتفع وسطه، وفي رواية ابن أبي هالة: أقنىٰ العرنين له نور يعلوه يحسبه من لم يتأمله أشمّ، والأشم الطويل قصبة الأنف، فعلم أن أقنى غير مهموز، لكن الناظم قلب الألف همزةً إجراء للوصل مجرى الوقف على لغة ضعيفة تقلب كل ألف همزة في الوقف.

---

(٧٢) رواه أحمد (٢/٣٥٠ و٣٨٠) والترمذي (٣٦٥٠) وفي الشمائل (١٢٢) وأبو الشيخ (ص٢٤٨).

ويجب على كل أحد اعتقاد: أنه ﷺ كان (أجمل خلق الله) تعالى في جميع أعضائه لأن حسن ظاهره دليل على كمال باطنه (أكمل المروة) أي الإنسانية وأصله المروءة بالهمزة، فقلبت واواً وأدغمت (في) ما بين (كتفيه خاتم) علامة (النبوة) وتصريح بعض الروايات بكونه بين كتفيه تقريبي، وإلاّ فالصحيح كما قاله السهيلي: أنه كان عند أعلى كتفه الأيسر، ووقع التصريح به في خبر مسلم (٧٣). واختلفوا هل وُلد ﷺ به أو وضع بعد ولادته قولان، لكن في حديث أبي ذر عند البزار وغيره التصريح بأنه ﷺ: أتاه ملكان ببطحاء مكة فأمر أحدهما صاحبه بشق بطنه وإخراج قلبه وغسلهما، ثم خاط بطنه وجعل الخاتم بين كتفيه (٧٤)، وعند أبي نعيم: أنه لما ولد أخرج الملك صرة من الحرير الأبيض فيها الخاتم فضرب على كتفيه كالبيضة (٧٥)، وأخرج الحاكم في المستدرك عن وهب بن منبه لم يبعث الله تعالى نبياً إلاّ وعليه شامة النبوة في يده اليمنى إلاّ نبينا فإن شامة نبينا بين كتفيه (٧٦)، وعلى هذا فوضع الخاتم بين كتفيه بإزاء قلبه من خصائصه ﷺ، واختلفت أقوال الرواة في بيان كيفيته.

الأول: مثل زر الحجلة، الثاني: جمع عليه خيلان كأنها الثآليل السود عند نغص أي أعلى كتفه الأيسر أو الأيمن، والأول أشهر، الثالث: كبيضة الحمامة، الرابع: شعر مجتمع، الخامس: مثل السلعة، السادس: بضعة ناشزة، السابع: مثل البندقة، الثامن: كالتفاحة، التاسع: كأثر المحجمة القابضة على اللحم، العاشر:

---

(٧٣) رواه مسلم (٣٤٦) من حديث عبدالله بن سرجس.

(٧٤) رواه البزار (٢٣٧١ كشف الأستار) وفيه من هو متكلم فيه.

(٧٥) رواه أبو نعيم في دلائل النبوّة (٣٣٠) من حديث ابن عباس.

(٧٦) رواه الحاكم (٥٧٧/٢).

شامة خضراء مختصرة في اللحم، الحادي عشر: شامة سوداء تضرب إلى الصفرة حولها شعرات كأنها عرف الفرس، الثاني عشر: ثلث شعرات مجتمعات، الثالث عشر: كبيضة حمام مكتوب بباطنها: الله وحده لا شريك له وبظاهرها: توجه حيث شئت فإنك منصور، الرابع عشر: كان نوراً يتلألأ، الخامس عشر: مثل البندقة مكتوب فيه [باللحم] محمد رسول الله، وروي عن عائشة رضي الله عنها أنها كتينة صغيرة تضرب إلى الدهمة، قالت: فلمسته حينما توفي فوجدته قد رفع حكى ما ذكر كله الحافظ مغلطاي وغيره، قال الحافظ شيخ الإسلام ابن حجر في فتح الباري ورواية كأثر المحجم أو كشامة خضراء أو سوداء مكتوب فيها: محمد رسول الله، أو سر فإنك المنصور لم يثبت منها شيء، وتصحيح ابن حبان ذلك وهم منه ولا تغتر به انتهى وأقرّوه[٧٧]، قال بعض الأئمة وليست هذه الروايات مختلفة حقيقة، بل كلّ شبّه بما سنح له عند رؤيته، وتلك الألفاظ كلّها مؤدّاها واحد، وهو قطعة لحم، ومن قال: شعر فلأن الشعر متراكب عليه كما في الروايات الأُخَر، وقال القرطبي: الأحاديث الواردة الثابتة تدل على أن خاتم النبوة كان شيئاً بارزاً أحمر عند كتفه الأيسر إذا قلّل جعل كبيضة الحمام وإذا كبّر جُعِلَ كجمع اليد، وقال القاضي عياض: رواية جمع الكف تخالف بيضة الحمام وزرّ الحجلة، فتأول على وفق الروايات الكثيرة أي كهيئة الجمع لكنه أصغر منه في قدر بيضة الحمام.

---

(٧٧) انظر فتح الباري (٦/٥٦٣) وروى ابن حبان (٢٠٩٧ موارد) من طريق إسحاق بن إبراهيم قاضي سمرقند عن ابن جريج عن عطاء عن ابن عمر قال: كان خاتم النبوة في ظهر رسول الله ﷺ مثل البندقة من لحم عليه مكتوب محمد رسول الله.

قال الحافظ الهيثمي: اختلط على بعض الرواة خاتم النبوّة بالخاتم الذي كان يختم به الكتب..

قال الحافظ ابن حجر: البعض هو إسحاق فهو ضعيف.

قالت: وفيه أيضاً عنعنة ابن جريج وهو مدلس.

(خلقه وشيمه صلى الله عليه وسلم)

(اعلم) أن الخلق بضمتين وبسكون اللام خصّ استعماله بالأفعال السجية والقوى المدركة بالبصيرة كالحلم والكرم وغيرهما وبالفتح مع سكون اللام خصّ استعماله بالهيئات والصور المبصرة، وإن كانا في الأصل بمعنى واحد قاله الراغب. ثم الذي دلت عليه الأحاديث الصحيحة أنّ أصول الأخلاق جبلية لا دخل للإنسان فيها، وزيادتها للكسب دخل فيها، فمن ثمة أمر بالمجاهدة والرياضة لتكميلها وعرّفوا حسن الخلق بأنه ملكة يسهل على صاحبها فعل الجميل وتجنّب القبيح، ولمّا اجتمع فيها ﷺ من خصال الكمال ما لا يحصره حدّ أثنىٰ الله عزّ وجلّ في كتابه الكريم عليه بقوله: [وإنك لعلىٰ خلق عظيم] وفي الموطأ بلاغاً [بعثت لأتمم مكارم الأخلاق](٧٦) فكل خلق حميد اندرج في خلقه ﷺ.

كـان النَّبيُّ خُلُقُــهُ القــرآنُ فَهُـو لِمـا يُغضِبُـهُ غَضبـانُ
وَهُوَ لِما يرضاهُ راضٍ وَهُوَ لَمْ يَكُنْ لأجـلِ نَفسِـهِ بِمُنتَقِمِ

ومن ثمة قالت عائشة رضي الله عنها لما سئلت عن أخلاقه ﷺ: (كان النبي خلقه القرآن)(٧٧) قال السهروردي رحمه الله تعالىٰ في عوارفه: وفي قولها إيماء خفيّ ورمز [غامض] إلى الأخلاق الربانية، فاحتشمت [من] الحضرةَ الإلٰهية

(٧٦م) رواه متصلاً أحمد (٢/٣٩٨) والبخاري في الأدب المفرد (٢٧٣) وابن سعد (١/١٩٢) والحاكم (٢/٦١٣) وتمام في الفوائد ٢٧٦) والقضاعي في مسند الشهاب (١١٦٥) وابن عساكر (٦/١/٢٦٧) وهو حديث صحيح والبزار (٢٤٧٠ كشف الأستار).

(٧٧م) رواه أحمد (٦/٥٣ - ٥٤ و٩١ و٩٤ - ٩٥ و١١١ و١٦٣ و١٨٨ و٢١٦) ومسلم (٧٤٦) وأبو داود (١٣٤٢) وغيرهم.

أن تقول: كان متخلقاً بأخلاق الله تعالىٰ فعبرت عن المعنىٰ بقولها: كان خلقه القرآن، استحياءً [من سبحات الجلال] وستراً للحال بطيب [بلطف] المقال، وهذا من وفور عقلها [علمها] وكمال أدبها انتهىٰ(٧٨).

وقال بعض العارفين: لما خلقه الله أعظم خلق بعثه إلى جميع العالمين، وعلم من كلام عائشة رضي الله عنها: أن كمالات خلقه لا تتناهىٰ كما أن معاني القرآن لا تتناهى، وأن التعرض لحصر جزئياتها غير مقدور للبشر، كما ذكره بعض المحققين (فهو) ﷺ (لما يغضبه) أي يغضب القرآن من أغضبه ضد أرضاه (غضبان) خبر هو أي كان يغضب على ما يغضب عليه القرآن من مخالفة أمر الله تعالىٰ (وهو) ﷺ أيضاً (لما يرضاه) أي يرضا القرآن به من أوامر الله تعالى عزّ وجلّ (راض، وهو لم يكن لأجل نفسه بمنتقم) ولفظ الحديث: كان خلقه القرآن، يغضب لغضبه ويرضىٰ لرضاه، ولا ينتقم لنفسه ولا يغضب لها إلاّ أن تنتهك حرمات الله فينتقم لله، وإذا غضب لم يقم لغضبه أحد».

روى البخاري أن أعرابياً جذبه ﷺ حتىٰ أثرت حاشية البرد في عنقه الشريف من شدة جذبته، فقال: يا محمد مُر لي من مال الله الذي عندك فضحك، ثم أمر له بعطاء(٧٩) وفي رواية أبي داود: ثم أمر له بحمل بعير تمراً أو بعير شعيراً. ورورىٰ الترمذي عن عائشة رضي الله عنها: لم يكن النبي ﷺ فحّاشاً ولا متفحشاً ولا يجزي بالسيئة السيئة ولكن يعفو ويصفح(٨٠)، ولا ينافي ما ذكر أنه لم ينتقم لنفسه، أمره ﷺ كما سبق بقتل عقبة بن أبي معيط وعبدالله بن خطل وغيرهما ممن كان يؤذيه ﷺ لأنهم كانوا مع ذلك ينتهكون حرمات الله فأيس من إيمانهم.

---

(٧٨) عوارف المعارف (ص١٨٦).

(٧٩) رواه البخاري (٣١٤٩ و٥٨٠٩ و٦٠٨٨) ومسلم (١٠٥٧) ولم أره عند أبي داود.

(٨٠) رواه الترمذي في الجامع (٢٠١٧) والشمائل (٣٤٦) وأبو داود الطيالسي (٢٤٢٣) وأحمد (١٧٤/٦ و٢٣٦ و٢٤٦).

وكان ﷺ (أشجع الورىٰ) أي الخلق (وأجود الملا) بقلب الهمزة ألفاً وهو في الأصل الجماعة من الأشراف وأراد به جميع الخلق، وصح عن أنس: كان ﷺ: أحسن الناس وأجود الناس وأشجع الناس وإن أهل المدينة فزعوا ليلةً فخرجوا فرأوه ﷺ راجعاً من جهة الصوت متقلداً سيفه على فرس لأبي طلحة فقال لهم: «لن تراعوا ما رأينا من بأس» (٨١) وصارع ﷺ أبطالاً معروفين بأنهم لا يصرعون فصرعهم وغلبهم، ومن باهر شجاعته ثباته يوم حنين كما سبق، وصحّ أنّ الصحابة قالوا: كنا إذا احمرّ البأس اتقينا برسول الله ﷺ أي جعلناه بيننا وبين العدو وقمنا خلفه نحتمي به (٨٢) (ما قال) ﷺ (لا) أي لا أعطي مثلاً (قط لشيء سُئِلا) مجهول ألفه للإطلاق أي رسول الله ﷺ إياه، لكونه أجود الخلق، وصحّ عن جابر رضي الله عنه: ما سئل رسول الله عن شيء قط فقال: لا (٨٣) أي لا ينطق بالردّ، بل إن كان عنده المسؤول ولم ير حفظه لما هو أهمّ أعطاه، وإلاّ سكت كما في حديث مرسل، ولا ينافي هذا قوله تعالىٰ: ﴿قلتَ لا أجد ما أحملكم عليه﴾ الآية، إذ لا يقولها منعاً للعطاء بل اعتذاراً حيث لا ينفع السكوت لنحو جهل السائل، وصحّ عن أنس رضي الله عنه: ما سئل ﷺ شيئاً إلاّ أعطاه، فجاءه رجل فأعطاه غنماً بين جبلين فرجع إلى قومه فقال: أسلموا فإن محمداً يعطي عطاء من لا يخشى [يخاف] الفقر (٨٤)، وأعطى ﷺ صفوان بن أمية يوم حنين حين أسلم مائة من الغنم [النعم]، ثم مائة، ثم

---

(٨١) رواه البخاري (٢٩٠٨ و٦٠٣٣) ومسلم (٢٣٠٧) وابن ماجه (٢٧٧٢) وألفاظهم قريبة من هذا اللفظ.

(٨٢) رواه أحمد (٦٥٤ و١٠٤٢ و١٣٤٦) من حديث علي بألفاظ مختلفة.

(٨٣) رواه البخاري (٦٠٣٤) ومسلم (٢٣١١) وغيرهما.

(٨٤) رواه مسلم (٢٣١٢) وغيره.

مائة، وقوّموا ما أعطىٰ يوم حنين فكان خمسمائة ألف ألف، وغير ذلك مما هو مشهور في الأحاديث ولهذا الجود الواسع الذي ما سمع لأحد مثله.

ولم يبت في بيته من درهم وكيف وهو منه أصل الكرم
لم يدخر شيئاً سوىٰ لأهله أيسر ما يوجده من سهله

(لم يبت) أي لم يدرك الليل ولم يمكث عنده (في بيته من) زائدة لتأكيد النفي (درهم) ولا دينار، فإن فضل شيء ولم يجد من يأخذه وفجأه الليل لم يرجع إلى منزله حتىٰ يبرىء منه إلى من يحتاج إليه (وكيف) يبيت في بيته ذلك (وهو منه أصل الكرم) وغيره تبع له (لم يدخر) أصله لم يذتخر بالذال المعجمة، والإدّخار هو الإتخاذ والإقتناء أي لم يأخذ ولم يختر (شيئاً) مما آتاه الله تعالىٰ (سوىٰ) قوت عام (لأهله) فقد كان ﷺ يدّخر قوت عياله سنةً كما في الصحيحين[85] حال كون ما ادّخره لأهله (أيسر ما يجده من سهله) بيان ما يجده أي مما كان سهلاً تحصيله عنده، فيكون ما أخذه أسهل من كل سهل.

تمراً شعيراً ثم منه يُؤثِر فَرُبَّما احتاجَ لِما يَدَّخِرُ
وَأصدقُ الناسِ وَأوفىٰ ذِمَّة أهنىٰ عريكةً وأعلىٰ هِمّة

وقوله. (تمراً شعيراً) بدل أو بيان، أو حال من أيسر بإسقاط العاطف أي تمراً وشعيراً ويفرق غير ذلك في سبيل الله (ثم منه) أي مما ادخره لقوت أهله (يؤثر) غير أهله فيعطيهم منه إذا سألوه لأنه كان لا يردّ السائل [سائلاً]، (فربّما احتاج) قبل انقضاء العام إن لم يأته شيء (لما يُدَّخَرُ) بالبناء للمجهول أي

(٨٥) رواه البخاري (٥٣٥٨) ومسلم (١٧٥٧).

احتاج إلى ما يدّخر للإنفاق منه، والأولىٰ حذفه، وعبارة ابن سيد الناس كالغزالي في الإحياء: لا يأخذ مما آتاه الله تعالىٰ إلا قوت أهله عاماً فقط من أيسر ما يجده من التمر والشعير، ثم يؤثر من قوت أهله حتىٰ ربما احتاج قبل انقضاء العام انتهت (٨٦).

(و) كان ﷺ (أصدق الناس) لهجةً أي لساناً، وكان يسمى قبل نبوته الأمين (و أوفىٰ ذمّةً) أي أتم عهداً، وعن عبدالله بن أبي الحماء قال: بايعت النبي ﷺ ببيع قبل أن يبعث وبقيتْ له بقية فوعدته أن آتيه بها في مكانه فنسيت ثم ذكرت بعد ثلاث فجئت فإذا هو في مكانه فقال: يا فتىٰ لقد شققت عليَّ أنا هٰهنا منذ ثلاث أنتظرك (٨٧) (أهنىٰ) أي ألينهم وأسهلهم (عريكةً) أي طبيعة وأكرمهم عشيرةً، وأوسعهم صدراً، وأحسنهم خلقاً، والأخبار بذلك مشهورة (وأعلىٰ) الناس (همةً) بكسر الهاء وقد تفتح يعني ما هِمَّ به الشخص، وكان يهم بمعالي الأمور التي يقصر عن أدناها غيره كما قال حسّان:

له هِمَمٌ لا منتهىٰ لكبارها ... وهمته الصغرىٰ أجل من الدهر

أَجَلُّهُمْ أَشَدُّهُمْ حَيَاءً ... أَخْشَعُهُمْ أعظَمُهُمْ غَنَاء
أعفهم أشدهم إكراماً ... لصحبه يَبدؤُهم سَلاما
لم يتقدم ركبتاه أحداً ... في مجلس ومن يغب تفقدا

وكان ﷺ (أجلّهم أشدّهم حياءاً) وأكثرهم عن العورات إغضاءاً وتغافلاً عن أبي سعيد الخدري كان رسول الله ﷺ: أشد حياءاً من العذراء في خدرها (٨٨) أي في سترها وكان إذا كره شيئاً عرفناه في وجهه (أخشعهم) لله

(٨٦) انظر إحياء علوم الدين (١/٢٩٥).
(٨٧) رواه أبو داود (٤٩٩٦).
(٨٨) رواه أحمد (٣/٧١ و ٧٩ و ٨٨ و ٩١ و ٩٢) وعبد بن حميد (٩٧٧) والبخاري (٣٥٦٢ و ٦١٠٢ و ٦١١٩) ومسلم (٢٣٢٠).

تعالىٰ وهو ظاهر (وأعظمهم غَناءاً) بالفتح والمدّ ضد الفقر كالغنىٰ بالكسر والقصر، وكان أغنى الناس بقلبه، واحتياجه في بعض الأحيان كان باختياره ولو شاء لسارت الجبال معه ذهباً، وكان ﷺ (أعفّهم) ظاهراً وباطناً (وأشدهم إكراماً لصحبه يبدؤهم سلاماً) وعن أنس رضي الله عنه: ما التقم أحدٌ أذن رسول الله ﷺ فينحيَ رأسه حتىٰ يكون الرجل هو الذي ينحّي رأسه، وما أخذ أحد بيده فيرسل يده حتى يرسلها الآخر(٨٩). ولم ير مقدِّماً ركبتيه بين يدي جليس له(٩٠) وكان يبدأ من لقيه بالسلام، ويبدأ أصحابه بالمصافحة، ولم يُرَ قطّ مادّاً رجليه بين أصحابه حتىٰ يضيّق بهما على أحد، ويكرم من يدخل عليه، وربما بسط له ثوبه ويؤثره بالوسادة التي تحته، ويعزم عليه في الجلوس عليها، ويكني أصحابه، ويدعوهم بأحب أسمائهم تكرمةً لهم، ولا يقطع على أحد حديثه حتى يتجوز فيقطعه بانتهاء أو قيام، ومن ثَمّ قال: (لم يتقدم ركبتاه أحداً في مجلس) بل كان لا يخرج شيئاً من أطرفه في المجلس (ومَن يَغِب) عنه مدة من صحبه (تفقّدا) أي سأل عنه.

يعود من مرض من غاب دعا ... له ومن مات عليه استرجعا
ومن يكن ظن أنه وجد ... في نفسه شيئاً لبيته يفد
ويبسط ويستضيف إن يضف ... يكرم أهل الفضل مع أهل الشرف

(يعود) ﷺ (مَن مرض) من الأصحاب (ومن غاب دعا له) برجوعه سالماً وغير ذلك (ومن مات عليه) حال مقدم أي (استرجعا) وقال: إنّا لله وإنا إليه راجعون متأسفاً عليه (ومن يكون) زائدة (ظن) ﷺ وخاف منه (أنه)

---

(٨٩) رواه أبو داود من حديث أنس (٤٧٩٤) بلفظ قريب من هذا،
(٩٠) انظر الحديث (٢٤٩٢) من جامع الترمذي.

أي ذلك الشخص (وَجَد) (في نفسه شيئاً) مما يُهِمُّه (لبيته) أي إلى بيته متعلق بقوله (يَفِد) أي ينطلق إليه حتىٰ يأتيه في منزله، من وفد عليه يَفِدُ أي قدم عليه وورد (ويبسط) أي يباسط بجميل كلامه في منزله، حتىٰ يذهب همّه، وكان ﷺ يخرج إلى بساتين أصحابه (ويستضيف) أي يقبل ضيافتهم ويأكل منها (إن يُضف) بالبناء للمفعول من أضافه إذا أنزله ضيفاً أي أن يعمل له الضيافة (يكرم أهل الفضل مع أهل الشرف) ويؤلفهم ولا ينفّرهم، ويكرم كريم كل قوم ويوليه عليهم.

وليس يطـوي بشره مـــن أحـــد   يجي جميلاً مَن يجيء بــالــردي
يقولُ لا تَمشوا ورائي وَاجعلـوا   ظَهــري لِلأملاكِ أي تَستَقبِــلُ
وإن يكن يـركـب لاَ يَدع مـن   يكـون مـاش معــه أو يحملـن

(وليس يطوي) أي يصرف (بشره) بكسر الباء أي طلاقة وجهه وحسن خلقه (عن أحد) ولا يجفو عليه ويقبل معذرة المعتذر إليه والقوي وضده سواء عنده في الحق، ومع هذا كان من شدة حيائه لا يثبت بصره في وجه أحد (يجي) بالقصر للوزن (جميلاً) أي به ويعطيه (مَن) (يجيء بالردّىٰ) بتخفيف الياء، وكان يمشي خلف أصحابه ولا يدع أحداً يمشي خلفه (ويقول: لا تمشوا ورائي واجعلوا ظهري للأملاك أي تستقبل) الملائكة ظهره (وإن يكن) أي النبي ﷺ (يركب) دابةً (لا يَدَعْ مَن) أي شخصاً (يكون ماشٍ) ولم يقل ماشياً للوزن كما في قوله: «ولو أن واشٍ باليمامة داره» حيث لم يقل واشياً (معه) ﷺ (أو) بمعنى إلاّ أو إلى أن وقوله (يحملن) مؤكد بالنون الخفيفة أي شاذاً للضرورة إذ لا مقتضي لدخوله كما عرف في محله، أي لا يترك إلى أن يحمله.

فـإن أبـىٰ قــالَ تَقَـدّمْني إلىٰ   مكـان مـا تـريـده حتّـى أصِلا

يُخدِمُ مَـن خَـدَمَـهُ لا يَعتلي على العبيـدِ والإمـا في مَـأكَـلِ
أمـره في الشاة إذ صَحَ الخَبَـر في جُمْعِهِ الحَطَبَ وهُوَ في السَّفـر

(فإن أبىٰ) عن الركوب معه تأدباً قال: (تَقَدَّمني إلىٰ مكان ما) أي موضع (تريد) (حتىٰ أصلا) إليه، وكان ﷺ (يخدم مَن خَدَمَه) وفي مختصر ابن سيد الناس قال أنس رضي الله عنه: خدمته لنحو [نحوا] من عشر سنين فوالله ما صحبته في حضر ولا سفر لأخدمه إلا كانت خدمته لي أكثر من خدمتي له وفي الشفاء قال أنس: خدمت رسول الله عشر سنين فما قال: أُفٍّ قط، وما قال لشيء صنعتُه لم صنعتَه؟ ولا لشيء تركتُه لِمَ تركتَه؟ (٩١) وعن أبي قتادة: وَفَد وَفْدٌ للنجاشي فقام النبي ﷺ يخدمهم فقال له أصحابه: نكفيك يا رسول الله، فقال: إنّهم كانوا لأصحابنا مكرِمين وإني أحبّ أن أكافئهم (لا يعتلي) ولا يتكبر (على العبيد والإما) بالكسر والقصر للوزن جمع أمة (في مأكل) أي في الأكل معهم وقال إنما أنا عبد آكل كما يأكل عبد وأجلس كما يجلس عبد وذلك لكونه أشدّ الناس تواضعاً، والأحاديث بذلك شهيرة، وقالت عائشة رضي الله عنها: ما كان أحدٌ أحسن خلقاً من رسول الله ﷺ، ما دعاه أحد من أصحابه ولا أهل بيته إلاّ قال: لبيك ذكره في الشفاء، (وأمره) أي حاله وشأنه ﷺ مشهور خارق للعادة في التواضع (في) قصة ذبح (الشاة إذ صح الخبر في جمعه) بدل من في الشاة أو متعلق بصحّ (الحطب) مفعول جمعه (وهو) ﷺ إذ ذاك كان (في السفر) رُوي أنه ﷺ كان في سفر فأمر بإصلاح شاة فقال رجل يا رسول الله: عليّ ذبحها، وقال آخر: عليّ سلخها وقال آخر: عليّ طبخها، فقال ﷺ: عليّ جمع الحطب، فقالوا: يا رسول الله نحن نكفيك، فقال: قد علمت أنكم تكفوني، ولكني أكره أن أتميز عليكم، فإن الله يكره من عبده أن يراه متميزاً بين أصحابه، فقام وجمع الحطب.

---

(٩١) رواه البخاري (٦٠٣٨) ومسلم (٢٣٠٩) وأبو داود (٤٤٨٤).

كذاكَ حيثُ للصلاةِ نَزَلا ثُمّ أتىٰ ناقَتَه ليعقلا
وَكانَ لاَ يجلسُ أو يقومُ إلاّ علىٰ ذكرٍ وَذا مَعلومُ
وَكانَ حيثُ مَا انتهىٰ إلى نَفَر يَجلِسُ حَيثُ مَا انتهىٰ به المقَر
وكان يُعطي كُلَّ شَخص جالَسَه نَصيبَه باللّطفِ والمؤانَسَة

(كذاك) في السفر وقع له نظير ذلك (حيث للصلاة) متعلق بقوله (نزلا) (ثم أتىٰ) وكرّ راجعاً (ناقته ليعقلا) أي ليعقلها، قالوا نحن نعقلها يا رسول الله، قال: لا يستعن أحدكم بالناس ولو في قضمة سواك (وكان لا يجلس أو لا يقوم) وأو فيه بمعنى الواو (إلاّ على ذكر لله) تعالى لأنه لكماله لا تشغله دنياه عن ربّه (وذا معلوم) ظاهر للصحابة وغيرهم، لأنه كان يذكر الله في كل أحيانه كما في الأحاديث (وكان) ﷺ من فرط تواضعه وحسن معاشرته مع أصحابه (حيث ما) زائدة (انتهىٰ) ووصل (إلى نفر) أي جماعة جلسوا، (يجلس) ﷺ مختلطاً بهم (حيث ما) زائدة أي في مكان (انتهىٰ) (به المقر) أي المجلس فلم يكن يُعرَف مجلسه من مجلس أصحابه (وكان يعطي كل شخص جالسه) أي من المجالسة (نصيبه) مفعول يعطي من حقوق المعاشرة حال كونه ملتبساً (باللطف) والشفقة (والمؤانسة) بالمواجهة إليه وفي حديث ابن أبي هالة: ويعطي كل جلسائه نصيبه، لا يحسب جليسه أنّ أحداً أكرم عليه منه، من جالسه لحاجة صابره، حتىٰ يكون هو المنصرف عنه، ومن سأله حاجةً لم يردّه إلاّ بها، أو بميسور من القول، قد وسع الناس بسطه وخلقه، فصار لهم أباً وصاروا عنده في الحق سواء.

وكان لا يقوّم أن يقعدَ أحَد إليه حَتى ينهض الذي قعَدَ
وإن طرا أمر لديه استأذنا وفي أمورِهِ يرى التَّيامُنا
وعند خلعه اليَسار أوّلاً جلوسه أكثرهُ مُستقبلا
وكان لا يقابلن أحدا بما له يكره وقتاً أبدا

(وكان لا يقوّم) ﷺ (أن يقعد أحد إليه حتىٰ ينهض) يقوم (الذي قعد) إليه (وإن طرا) أي عرض واستعجله ﷺ (أمْرٌ لديه) في حال جلوسه معه (استأذنا) ﷺ ذلك الجالس (و) كان (في أموره) ﷺ من تنعله وترجّله وطهوره وشأنه كله (يرىٰ) ويحب (التيامنا) أي الابتداء باليمين (وعند خلعه) ﷺ لنحو ثوب ونعل يرى (اليسار أوّلاً) (جلوسه أكثره) بدل منه إذا كان ﷺ (مستقبلاً) فيه القبلة، وكان في جلوسه أكثره محتبياً بثوب، وربما جلس القرفصاء، دائم السكوت يعرض عمن تكلم بغير جميل، كثير الذكر، ويستغفر في المجلس الواحد أكثر من مائة مرة، يسمعون ذلك منه، وكان مجلسه مجلس علم وحياء، لا ترفع فيه الأصوات، وإذا تكلم أطرق جلساؤه كأنما على رؤوسهم الطير، وكل ذلك معلوم من الأحاديث (وكان) ﷺ (لا يقابلن) بالنون المؤكدة (أحداً بما له) اللام زائدة لتقوية العمل وهو متعلق بقوله: (يكره وقتاً أبداً) تأكيد، وذلك لشدة حيائه وكرم نفسه، وعن أنس رضي الله عنه عن رسول الله ﷺ أنه كان عنده رجل به أثر صفرة قال: وكان ﷺ لا يكاد يواجه أحداً بشيء يكرهه، فلما قام قال للقوم: «لو قلتم له يدع هذه الصفرة» أي يغسلها كما في رواية رواه الترمذي (٩٢)، وفي حديث عائشة رضي الله عنها: ما ضرب رسول الله ﷺ خادماً ولا امرأةً (٩٣).

ولم يكـــن محتقـــراً فقيرا	لِفَقْـــرِهِ وإن يَكُـــنْ صَغيراً
ولَـم يعظـم ذاغنىً لـمُلكـه	ولا يَهـاب مَلِكـاً لِملكـه
ولَم يَعِبْ شَيْئاً مِنَ الطعامِ	وَيبسُطُ الضيوفَ بالإكرامِ

(٩٢) رواه الترمذي في الشمائل (٣٤٥) وأبو داود (٤١٨٢ و٤٧٨٩) وأحمد (٣/١٣٣ و١٥٤ و١٦٠).

(٩٣) رواه الترمذي في الشمائل (٣٤٧) وابن ماجه (١٩٨٤).

(ولم يكن محتقراً فقيراً لفقره) وإنما احتقره لارتكاب منهي (وإن يكن) ذلك الفقير (صغيراً) (ولم يعظم ذا غنىً لملكه) (ولا يهاب) ولا يخاف (ملكاً) حاكماً أيّاً كان (لملكه) بضم الميم أي سلطنته وعظمته وفيما قبله بتثليث الميم بمعنى الشيء الذي يملكه ويقدر علىٰ التصرف فيه، والمراد أنه ﷺ لم يفرق في الدعوة بين الغني وغيره والملك وغيره، فكان في غاية تواضعه، يجالس المساكين ويؤاكلهم، ويرفع الأصوات عنده فيصبر، ويرىٰ اللعب المباح ولا ينكره، ما لم يكن محرّماً أو مكروهاً، وكان يعظم النعمة وإن قلّت، ولم يذم منها شيئاً (ولم يعب شيئاً من الطعام) قط إن اشتهاه أكله وإلاّ تركه (ويبسط الضيوف بالإكرام) ويكرم كل داخل عليه بالقيام له، حتىٰ ربما بسط ثوبه لمن ليست بينه وبينه قرابة ولا رضاع، فيعزم عليه على الجلوس عليه وما كان يأتيه أحد ذو حاجة من حرّ أو عبد أو أمة إلاّ قام معه في حاجته حتىٰ يقضيها كما في الأحاديث.

ويحفظ الجيران بالإنعام	وأكثر الناس من ابتسام
ولم يكن يمضي إليهم ساعة	في غير ما لله فيه طاعة
ولم يخير بين أمرين معاً	إلا ويختر الأخف الأطوعا

(ويحفظ الجيران) لاسيما الأقارب (بالإنعام) إليهم وكان ﷺ و(أكثر الناس من ابتسام) أي أكثرهم تبسماً فمن زائدة في التمييز قال جرير بن عبدالله: ما حجبني رسول الله ﷺ منذ أسلمت، ولا رآني إلا تبسّمَ(٩٤). وقال عبدالله بن الحارث: ما رأيت أحداً أكثر تبسماً من رسول الله ﷺ(٩٥). وفي

(٩٤) رواه البخاري (٣٠٣٥ و ٣٨٢٢ و ٦٠٩٠) ومسلم (٢٤٧٥) وغيرهما.

(٩٥) رواه الترمذي (٣٦٤٥) وفي الشمائل (٢٢٧).

الشفاء: روي أنه كان لا يجلس إليه أحدٌ وهو يصلي إلاّ خفّف صلاته، وسأله عن حاجته، فإذا فرغ عاد إلى صلاته، وكان أكثر الناس تبسماً وأطيبهم نفساً (ولم يكن يمضي إليهم ساعةٌ في غير ما) أي عمل (لله) متعلق بطاعة (فيه) أي في ذلك العمل (طاعة) وذلك لعصمته من تسلط الشيطان عليه (ولم يخيّر بين أمرين معاً إلاّ) وكان ﷺ (يختار الأخفّ) الأيسر (الأطوعَ) لله تعالىٰ، وإن كان فيه إثم أو قطيعة رحم، كان أبعد الناس إليه كما في حديث الترمذي[٩٦]، وذلك لكمال تواضعه ورأفته بأمته، وقد خُيِّرَ بين أن يكون نبياً ملكاً وبين أن يكون نبياً عبداً فاختار العبودية تواضعاً لله تعالىٰ[٩٧]، ولما كذبه أهل الطائف وأغروا سفهاءهم ليخرجوه من بينهم أتاه جبريل فقال: إن الله قد سمع قول قومك، وقد أمر ملك الجبال لتأمره بما شئت فيهم، فناداه ملك الجبال، وسلم عليه، وقال مرني بما شئت إن شئت أن أطبق عليهم الأخشبين أي هما جبلان بمكة، فقال ﷺ: «بل أرجو أن يخرج الله من أصلابهم من يعبد الله وحده لا يشرك به شيئاً»[٩٨]. وعن عائشة رضي الله عنها والحسن وأبي سعيد الخدري وغيرهم في صفته ﷺ، وبعضهم يزيد في حديثه على بعض: كان ﷺ في بيته في مهنة أهله يغلي ثوبه ويحلب شاته.

يرقع ثوبه ويخصف نعله	ويركب الفرس ثم بغله
كذا الحمار ووراء يُردِفُ	لِصدره من البكاء يسمع

(يرقع ثوبه ويخصف) بسكون الفاء للوزن أي يخرز (نعله) ويخدم نفسه

---

(٩٦) رواه البخاري (٣٥٦٠ هـو ٦١٢٦ و٦٧٨٦ و٦٨٥٣) ومسلم (٢٣٢٧) وأبو داود (٤٧٨٥) والترمذي في الشمائل (٣٤٨).

(٩٧) رواه أحمد (٧١٦٠) والبزار (٢٤٦٢ كشف الأستار) وأبو يعلى.

(٩٨) رواه البخاري (٣٢٣١ و٧٣٨٩) ومسلم (١٧٩٥).

ويَقِمُّ البيت أي يكنسه، ويعقل البعير ويعلق ناضحه، ويأكل مع الخادم، ويعجن معه، ويحمل بضاعته من السوق إلىٰ أهله، قال الغزالي رحمه الله عالج في بيتك من الخدمة ما كان رسول الله ﷺ يعالج في بيته، ثم ذكر هذه وغيرها، ثم قال: فمن طلب التواضع فليقتد به فقد كان سيد المتواضعين وأعظم خلق الله، فلا رفعة لأحد إلاّ إن كان مقتدياً به، ومن رأىٰ في نفسه الإستنكاف من فعل هذه الأمور ولم يرض لنفسه بما رضي به فما أكثر جهله! وليتب إلى الله عزّ وجلّ(٩٩) (ويركب الفرس) أحياناً (ثم) يركب (البغله كذا) ويركب (الحمار) أحياناً وأمّا ركوبه الجمل فأكثر من أن يحصىٰ، ومن ثَمَّ سمي في الكتب السالفة براكب الجمل (و) (وراءَ) أي خلفه (يردف) من الإرداف على الدابة سواء كان ذلك المردَف (عبداً) أم (صبياً) أم (غيره لا يأنف) أي لا يستنكف من فعل ذلك، (لصدره) أي من صدره ﷺ متعلق بيسمع (منَ البكاء) حياءاً من ربه أو خوفاً من هلاك أمته (يسمع لدىٰ صلاته) وعند قراءة القرآن (أزيز) كأزيز المرجل بزائين معجمتين وهو غليان ليس بالشديد، مصدر أزَّ القِدر يئزّ أزيزاً كما في القاموس (يقطع) مجهول أي يقطع ذلك الأزيز في غير نحو الصلاة.

يصوم الإثنين مع الخميس مع — بيض وعاشورا وغالب الجمع
تنام عيناه وعين قلبه — يقظة ينظر وحي ربّه
ينفخ إن نام ولا يغط — ولم ينم جميع ليل قط
بل قائم حتىٰ تورم القدم — لكن كل الليل لم يكن يقم

(يصوم الإثنين مع الخميس مَعْ) أيام (بيض) وكذا أيام سود (و) يوم (عاشورا) بالقصر للوزن وهو عاشر المحرم وكذا يوم عرفة (و) مع (غالب

(٩٩) إحياء علوم الدين (٣/٤٤١ - ٤٤٢).

الجمع) وكان أكثر صيامه في شعبان، وقد صام غير ذلك كما هو مبين في كتب الحديث والفقه.

(خصائصه صلى الله عليه وسلم)

ومن خصائصه ﷺ : أنّه (تنام عينه وعين قلبه يقظة)(١٠٠) بكسر القاف (ينظر) بقلبه (وحيَ ربّه) وأمّا نومه في الوادي حتى فاتته وأصحابه صلاة الصبح فإنما هو للتشريع (ينفخ) بضم الفاء والنفخ ريح تخرج من الفم بلا ريق (إن نام) ﷺ (ولا يغطّ) بكسر الغين المعجمة والغطيط الصوت الذي يخرج مع نفس النائم وهو ترديده حيث لا يجد مساغاً كما في النهاية(١٠١) وفي مختصر ابن سيد الناس: وإذا نام نفخ ولا يغطّ وتبعه الناظم، لكن في البخاري وغيره: أنه ﷺ نام حتى سمع غطيطه(١٠٢) فلعل ما ذكره الناظم غالبيّ (ولم ينم جميع الليل قطّ) بتشديد الطاء أو ضمها (بل هو قائم) بعبادة ربّه ومناجاته (حتى تورّم القدم) (لكنّ كلّ) أجزاء (الليل لم يكن يقم) غالباً ومن ثمة كره لغيره قيام كل الليل إلاّ ليالي مخصوصة كليالي العيدين(١٠٣)، وإلاّ لنحو عارف يلتذّ بمناجاة مولاه عزّ وجلّ.

ولم يكن للصدقات يأكُلُ   أمّا الهديةُ فكان يَقبَلُ
لكِن يُكافي رَبَّها عَلَيها   مع عدم احتياجٍ إليها

---

(١٠٠) رواه البخاري (٣٥٦٩) من حديث عائشة و(٣٥٧٠) من حديث أنس. وورد عن غيرهما.

(١٠١) النهاية (٣/٣٧٢).

(١٠٢) رواه البخاري (١١٧).

(١٠٣) لم يصح في قيام ليالي العيدين شيء.

(ولم يكن للصدقات) فرضاً أو تطوعاً (يأكل) لتحريمها عليه وأمّا غيره من بني هاشم والمطلب فلا تحرم عليه إلاّ صدقة الفرض كالزكاة على الأصح (أمّا الهديةَ) بالنصب (فكان) ﷺ (يقبل) أي يقبلها (لكن يكافي) أي يجازي (ربّها) صاحب الهدية (عليها) أي على الهدية (مع عدم احتياج إليها) والفرق بين الصدقة والهدية أنّ الأولى يقصد بها التوسعة على المتصدق عليه والثانية يقصد بها تعظيم المهدىٰ إليه.

فائدة مهمة: قال ابن حجر في أشرف الوسائل شرح الشمائل: يسنّ التأسّي به ﷺ في قبول الهدية والإثابة عليها، لكن محل ندب القبول حيث لا شبهة قوية فيها، وندبِ الإثابةِ حيث لم يظن المهدىٰ إليه أن المهدِي إنما أهدىٰ له حياءً لا في مقابل، أمّا إذا ظنّ أن الباعث على الإهداء إنما هو الحياء قال الغزالي: كمن يقدم من سفر ويفرّق هداياه خوفاً من العار فلا يجوز القبول إجماعاً، لأنه لا يحل مال امرىء مسلم إلاّ عن طيب نفس ولأنه مكره في الباطن، فهو كالمكره في الظاهر، وأمّا إذا ظنّ أن الباعث عليه إنّما هو الإثابة فلا يجوز القبول إلاّ أن أثابه بقدر ما في ظنّه مما تدل عليه قرائن حاله، وإنما أطلت في ذلك لأن أكثر الناس يستهترون فيه فيقبلون الهدية من غير بحث عنها انتهى.

وكان يعَصِبُ عَلى البَطنِ الحَجَـر جُـوعـاً لِيَقتَـدي بِفِعْلِـهِ البَشَـر

(وكان) ﷺ (يعصب) بكسر الصاد أي يربط (على البطن) أي بطنه الشريف (الحجر) المعروف (جوعاً) أي لتسكين ألم الجوع فإن المعدة إذا امتلأت بالطعام اشتغلت حرارتها الغريزية به، وإذا خلت من الطعام تطلبت رطوبات الجسم وجواهره فيتألم الإنسان بها، فإذا ضمت على المعدة الأحشاء والجلد بربط الحجر عليها قلّت حرارتها لبرودة الحجر، وإنما اختار ﷺ الجوع مع أنه لو شاء لسارت معه جبال الذهب كما يأتي (ليقتدي) بسكون الياء للوزن

(بفعله البشر) لأن الجوع رأس الحكمة وليعلم أصحابه أنه لم يمسك عنده ما يستأثر به عليهم، وليذوق ألم الجوع كسائر الآلام الجسمية حيازةً للثواب وعظيم الأجر،

روىٰ ابن أبي الدنيا أصاب النبي ﷺ جوع يوماً فعمد إلى حجر فوضعه على بطنه، ثم قال: «ألا ربّ نفس طاعمة ناعمة في الدنيا جائعة عارية يوم القيامة، ألا ربّ نفس مكرم لها وهو لها مهين، ألا رُبَّ مُهين لنفسه وهو لها مكرم» [١٠٤].

وعن أنس بن أبي طلحة رضي الله عنه قال: شكونا إلى رسول الله ﷺ الجوع ورفعنا عن بطوننا عن حجر حجر فرفع ﷺ عن بطنه عن حجرين رواه الترمذي [١٠٥].

وفي الحديث الصحيح عن جابر يوم الخندق فقام رسول الله ﷺ وبطنه معصوب بحجر الحديث. [١٠٦]

تنبيه:

أنكر ابن حبّان: أحاديث وضع الحجر على بطنه، وحكم ببطلانها تمسكاً بما في الصحيحين: إنه ﷺ قال: لا تواصلوا، قالوا: إنّك تواصل، قال: لست كأحدكم إني أُطعَمُ وأُسقىٰ. وفي رواية: إني أظلّ عند ربّي يطعمني ويسقيني، قال: فإذا كان الله عزّ وجلّ يطعم رسول الله [رسوله] ويسقيه إذا واصل، فكيف يحتاج إلى شدّ الحجر علىٰ بطنه، قال: وإنما الذي في الأحاديث هو الحجز بالزاء المعجمة وهو طرف الإزار انتهى [١٠٧]. وردّ بأن الحق صحة تلك

---

(١٠٤) ورواه ايضاً ابن سعد في الطبقات (٤٢٣/٧) وهو حديث ضعيف.

(١٠٥) رواه الترمذي في الجامع (٢٤٧٦) وفي الشمائل (٣٧٠) لكن له شاهدان ذكرهما شيخنا في السلسلة الصحيحة (١٥١/٤ - ١٥٢) فهو بهما صحيح.

(١٠٦) رواه البخاري (٤١٠١).

(١٠٧) انظر فتح الباري (٢٠٨/٤).

الأحاديث، والجمع بأن ما ذكر محمول على حالة الوصال والجوع وربط الحجر على غير حالة المواصلة. قلت: ويمكن أن يكون المراد من قوله: إني أُطعم وأُسقىٰ، إني أُعطىٰ قوة الطاعم والشارب ولا ينقصها ألم الجوع خرقاً للعادة، ويؤيده ما في المواهب وغيره: أنه ﷺ مع تألّمه بالجوع لتضعيف الأجر حُفِظَ قوته ونضارة جسمه حتىٰ إن من رآه لا يظن أن به جوعاً، بل جسمه الشريف يرىٰ أشدّ نضارةً من أجسام المترفهين بالنعم، ولا يشكل أيضاً على ما مرّ من ربط الحجر على بطنه جوعاً أحاديث: أنه ﷺ كان يدخر لأهله قوت عام، وأنه قسم بين أربعة من أصحابه ألف بعير مما أفاء الله عليه، وأنا أمر لأعرابي بقطيع من الغنم وغير ذلك، وأنه كان في أصحابه من أرباب الأموال من يبذل نفسه وماله بين يديه، لأن كل ذلك كان في حالة دون حالة، ولأن الجوع كان باختياره تارةً للإيثار، وتارة لكراهية الشبع حكاه في فتح الباري عن الطبري، ولأن ادخار القوت كان أواخر حياته ﷺ كما قاله النووي في شرح مسلم، لكن ربما تعرض عليه حاجة المحتاجين فيصرفه فيها حتى لم يبق عندهم شيء ولم يجدوا ما يشبعهم.

هٰذا وَقَدْ جاءت لَـهُ مفـاتِـحُ   خَزائِنُ الأَرضِ وَذاكَ واضِـحُ

(هذا) أي فعل ﷺ ما ذكر (و) الحال أنه (قد جاءت له مفاتح خزائن) كنوز (الأرض) فأباها لعظم همته الشريفة ونفسه الزكية (وذاك واضح) أي معروف في الأحاديث:

أخرج الترمذي عن أبي أمامة أن رسول الله ﷺ قال: «عرض ربي عليّ ليجعل لي بطحاء مكة ذهباً، قلت: لا يا رب ولكن أجوع يوماً وأشبع يوماً، فإذا جُعتُ تضرعت إليك وذكرتك، وإذا شبعت شكرتك وحمدتك»(١٠٨).

(١٠٨) رواه أحمد (٥/٢٥٤) والترمذي (٢٤٥٢) والطبراني في الكبير (٧٨٣٥) وسنده ضعيف.

وعن ابن عباس رضي الله عنهما قال: كان رسول الله ﷺ ذات يوم وجبرائيل على الصفا فقال ﷺ: يا جبرائيل والذي بعثك بالحق ما أمسى لآل محمد سفّة من دقيق ولا كف من سويق فلم يكن كلامه بأسرع من أن سمع هَدَّةً من السماء أفزعته، فقال ﷺ أمر الله القيامة أن تقوم، قال لا، ولكن أمر اسرافيل فنزل إليك حين سمع كلامك، فأتاه إسرافيل فقال: إن الله سمع ما ذكرت فبعثني إليك بمفاتيح خزائن الأرض، وأمرني أن أعرض عليك أسيّر معك جبال تهامة زمرّداً وياقوتاً وذهباً وفضة، فإن شئت نبياً مَلِكاً وإن شئت نبياً عبداً فأومأ إليه جبرائيل أن تواضع، فقال: بل نبياً عبداً ثلاثاً رواه الطبراني بإسناد حسن[109] فانظر إلى همته العليا كيف اختار العبودية المحضة، وكيف اختار الضيق على التبسط الذي لا يلام عليه لو فعله، وفي شمائل الترمذي عن النعمان بن بشير: لقد رأيت نبيكم ما يجد من الدقل ما يملأ بطنه[110] وفي رواية مسلم يظل اليوم يلتوي ما يجد من الدقل ما يملأ به بطنه[111].

وقالت عائشة رضي الله عنها: إن كنا آل محمد نمكث شهراً ما نستوقد ناراً إن هو إلاّ الماء والتمر[112] وقالت أيضاً: لقد مات ﷺ وما شبع من خبز وزيت في يوم واحد مرتين رواه مسلم[113]، وقالت أيضاً خرج ﷺ من الدنيا ولم يملأ بطنه في يوم من الطعامين [طعامين] كان إذا شبع من التمر لم يشبع من الشعير وإذا شبع من الشعير لم يشبع من التمر أخرجه ابن سعد[114].

---

(١٠٩) رواه الطبراني في الأوسط قال الحافظ الهيثمي في مجمع الزوائد (٣١٥/١٠) وفيه سعدان بن الوليد ولم أعرفه، وبقية رجاله رجال الصحيح.

(١١٠) رواه الترمذي في الجامع (٢٩٧٧) وفي الشمائل (٣٦٨) وأحمد (٢٦٨/٤).

(١١١) رواه مسلم (٢٩٧٧).

(١١٢) رواه أحمد (٢٤٤/٦) والبخاري (٢٥٦٧ و٦٤٥٨) ومسلم (٢٩٧٢) وغيرهم.

(١١٣) رواه مسلم (٢٩٧٠).

(١١٤) رواه ابن سعد (٤٠٦/١).

وفي الصحيحين: ما شبع آل محمد من طعام ثلاثة أيام تباعاً حتىٰ قبض[115] وفي حديث الترمذي وصححه: كان ﷺ يبيت الليالي المتتابعة طاوياً هو وأهله لا يجدون عشاءً وإنما كان خبزهم [من] الشعير[116].

واعلم أنه ورد في بعض الأحاديث أنه ﷺ لم يشبع، ففي الشفاء وغيره قالت عائشة لم يمتلأ جوف النبي ﷺ شبعاً قطّ، وفي حديث الترمذي عن عبدالرحمن ابن عوف: مات ﷺ ولم يشبع هو ولا أهل بيته من خبز الشعير[117] وفي بعضها: أنه شبع كما في بعض الأحاديث المارة، وفي صحيح مسلم في حديث الأنصاري: فلما أن شبعوا ورووا[118] أي النبي وصاحباه أبو بكر وعمر، قال النووي: في الحديث جواز الشبع، وما جاء في كراهته محمول على المداومة عليه[119] وقال غيره: الأولىٰ أن يحمل الشبع المنفي على الشبع المفرط الذي يثقل المعدة ويثبّط صاحبه عن القيام بوظائف العبادة، ويفضي إلى النوم والكسل، وقد تنتهي الكراهية إلى التحريم بحسب ما يترتب عليه من المفاسد، وليس المراد نفي الشبع النسبي المعتاد في الجملة انتهى.

وأكَلَ الدَّجـاجَ والحُبـارىٰ ... والخبزَ بـالخَلِّ وَقَـد أشـارىٰ

(وَأكَلَ) ﷺ (الدجاج) بفتح الدال على الأفصح، ويجوز ضمها وكسرها وفي حديث الترمذي قال أبو موسى الأشعري: رأيت رسول الله ﷺ يأكل لحم الدجاج[120] (والحُبارى) صوّب غير الجوهري: أنّ ألفها للتأنيث لعدم

(١١٥) رواه البخاري (٦٤٥٤) ومسلم (٢٩٧٠).
(١١٦) رواه الترمذي في الجامع (٢٣٦١) وفي الشمائل (١٤٤).
(١١٧) رواه الترمذي في الشمائل (٣٧٦) وسنده ضعيف.
(١١٨) رواه مسلم (٢٠٣٨).
(١١٩) شرح النووي على صحيح مسلم (٢١٤/١٣).
(١٢٠) رواه الترمذي في الجامع (١٨٢٧) وفي الشمائل (١٥٣) ورواه البخاري (٣١٣٣) وفي =

انصرافها معرفة ونكرة، وهو طائر معروف كبير العنق رمادي اللون شديد الطيران جداً، روى أكله الترمذي أيضاً [١٢١] وروى الشيخان: أنه أكل لحم حمار الوحش ولحم الجمل سفراً وحضراً ولحم الأرنب، وروى مسلم أنه أكل من دواب البحر وأكل لحم الضأن أيضاً كما في المواهب وغيره، وأكل اللحم يزيد سبعين قوة قاله الزهري.

وعن عليّ كرم الله وجهه: أنه يصفي اللون ويحسّن الخلق، ومن تركه أربعين ليلة ساء خلقه. وقال الشافعي رضي الله عنه: إن أكله يزيد في العقل، وفي الإحياء وغيره أحب الطعام إليه ﷺ اللّحم، ويقول: هو يزيد في السمع وهو سيد الطعام في الدنيا والآخرة[١٢٢] (و) أكل (الخبز بالخلّ) زاد في الإحياء والبطيخ والسكر [١٢٣] لكن قال القسطلاني وتبعه ابن حجر، ولم يصح أنه رأى السكر فضلاً عن أكله (وقد أشارا) ﷺ إلى مدح الاقتصاد في المأكل والرضى باليسير ما يوجد وإلى أن الخلّ إدام فاضل جيد.

في قوله نعم الإدامُ الخَلّ وبالأصابعِ الثلاثِ الأكل

(في قوله) كما رواه الترمذي (نعم الإدام) بكسر الهمزة وهو ما يؤكل مع الخبز مائعاً أو غيره، وفي رواية: نعم الأُدْمُ بضم فسكون وهو بمعناه (الخلّ) مخصوص بالمدح، لأنه سهل الحصول قامع للصفراء نافع لأكثر الأبدان، ثم الثناء عليه بذلك إنما هو بحسب مقتضى الحال الحاضر، لا لتفضيله على غيره خلافاً لمن ظنه لأن سبب الحديث: أن أهله كما في مسلم قدموا له ﷺ خبزاً فقال: ما من

- أماكن أخرى كثيرة ومسلم (١٦٤٩).

(١٢١) رواه الترمذي في الجامع (١٨٣٠) وفي الشمائل (١٥٤) وأبو داود (٣٧٩٧) وسنده ضعيف.

(١٢٢) انظر إحياء علوم الدين (٢/٤٧٢).

(١٢٣) انظر الإحياء (٢/٤٧١) وتخريج الحافظ العراقي.

أدم؟، فقال: ما عندنا إلاّ خل، فقال: «نعم الأدم الخلّ»[124] جبراً وتطيباً لقلب من قدمه إليه تفضيلاً له على غيره، إذ لو حضر نحو لحم أو عسل أو لبن لكان أحقّ بالمدح منه، وعلم من قوله: من أدم أن أكل الخبز مع الإدام من أسباب حفظ الصحة بخلاف الاقتصار على أحدهما، ومن ثم ورد: «ائتدموا ولو بالماء»[125] (وبالأصابع الثلاث) الإبهام والسبابة والوسطى، ورد في حديث الترمذي وغيره (الأكل) أي أكله ﷺ، ومحله إن كثف الطعام وإلا كما في المائع زاد بقدر الحاجة وعلى المائع يحمل ما في حديث مرسل أنه ﷺ كان إذا أكل أكل بخمس، وإنّما اقتصر ﷺ على الثلاث لأنه الأنفع، إذ الأكل بإصبع أكل المتكبرين ولا يستلذّ به الآكل، وبالخمس يوجب ازدحام الطعام على مجراه، فربما أوجب الموت لانسداد المجرى.

وفي شمائل الترمذي: كان ﷺ إذا أكل لعق أصابعه الثلاث وفي حديث الطبراني في الأوسط. رأيت رسول الله ﷺ يأكل بأصابعه الثلاث بالإبهام والتي تليها والوسطى ثم رأيته يلعق أصابعه الثلاث قبل أن يمسحها، الوسطى ثم التي تليها ثم الإبهام[127]، وفيه بيان الأصابع وكيفية لعقها وفيه كرواية مسلم: أمر بلعق الأصابع، الردّ على من كره لعقها استقذاراً ممن ينسب للرياسة والترفه، وقال بعض الأئمة: والكلام فيمن استقذر ذلك من حيث هو لامع النسبة [نسبته] للنبي ﷺ، وإلاّ خشي عليه الكفر إذ من استقذر شيئاً من أحواله مع

---

(١٢٤) رواه مسلم (٢٠٥٢) وانظر تخريجنا لمسند الشهاب (١٣١٩).

(١٢٥) رواه الطبراني في الأوسط (١٥٩٥) قال الحافظ الهيثمي في مجمع الزوائد (٣٥/٥) وفيه غزيل بن سنان ولم أعرفه، وبقية رجاله ثقات.

(١٢٦) رواه الترمذي في الشمائل (١٣٧) وفي الجامع (١٨٠٤) ومسلم (٢٠٣٤) وأبو داود (٣٨٤٥) من حديث أنس.

(١٢٧) رواه الطبراني في الأوسط (١٦٧٠) قال الحافظ الهيثمي في مجمع الزوائد (٢٨/٥) وفيه الحسين بن إبراهيم الأذني ومحمد بن كعب بن عجرة ولم أعرفها، وبقية رجاله ثقات. والحديث عن كعب بن عجرة.

علمه بنسبته إليه ﷺ كفر، ويسنّ لعق الإناء لخبر ابن ماجه وابن شاهين والدارمي وغيرهم(١٢٨) : « من أكل في قصعة ثم لحسها استغفرت له القصعة » قال الترمذي: حديث غريب. وروى أبو الشيخ: « من أكل ما يسقط من الخوان أو القصعة أمن من الفقر والبرص والجذام، وصرف عن ولده الحمق » والديلمي: « من أكل ما يسقط من المائدة خرج ولده صباح الوجه ونفي عنه الفقر »(١٢٩).

وأكـل البِطيـخَ والقِثّـاء بِـرُطَـبِ وَاتّبـعَ الدُّبـاءَ

(وأكل) ﷺ (البطيـخ) بكسر الموحـدة وتشـديـد الطـاء هـو الأصفـر (والقثاء) بكسر القاف وضمها وتشديد الثاء المثلثة نوع من الخيار أكل كلاً منهما (برطب) كما قاله [رواه] الترمذي وغيره.

وعن عائشة رضي الله عنها: أنه ﷺ أكل البطيخ والرطب جميعاً، وفي الطب لأبي نعيم من حديث أنس: كان ﷺ يأخذ الرطب بيمينه والبطيخ بيساره فيأكل الرطب بالبطيخ، وكان أحب الفاكهة إليه وسنده ضعيف(١٣٠). قال الزين العراقي لم يبين الترمذي: كيفية أكل البطيخ بالرطب، هل تقارنا؟ أو أكل من هذا لقمة ومن هذا لقمة؟ وقد ورد التصريح بالثاني في خبر انتهى يريد خبر الطبراني في الأوسط عن عبدالله بن جعفر قال: رأيت في يمين النبي ﷺ قثاءً وفي شماله رطباً وهو يأكل من ذا مرةً ومن ذا مرةً وفي سنده ضعف(١٣١).

وأشار ﷺ إلى علة أكل القثّاء بالرطب في الخبر الصحيح بقوله: « نكسر

---

(١٢٨) رواه أحمد (٥/٧٦) والترمذي (١٨٠٥) وابن ماجه (٣٢٧١ و٣٢٧٢) والدارمي (٢٠٣٣) وسنده ضعيف.

(١٢٩) راجع كشف الخفاء (٢/٢٣٠).

(١٣٠) حديث أكل البطيخ بالرطب رواه الترمذي (١٨٤٤) وأبو داود (٣٨٣٦) من حديث عائشة، وحديث أكل القثاء بالرطب رواه البخاري (٥٤٤٧ و٥٤٤٩) ومسلم (٢٠٤٣) والترمذي (١٨٤٥) وغيرهم.

(١٣١) لأن في إسناده أحرم بن حوشب وهو متروك.

حرّ هذا ببرد هذا،[١٣٢] أي لأن القثّاء باردة والرطب حارّ، فإذا جمع بينهما حصل الإعتدال وفي الحديث: أنه ﷺ كان مراعياً في أكله صفات الأغذية [الأطعمة] وطبائعها واستعمالها على قاعدة الطب، وفيه أيضاً حلّ أكلهما من غير كراهة، وحل الجمع بين إدامين وأكثر، وأنّ ذلك لا ينافي الكمال والزهد، سيما إن كان لغرض دينيّ، وكراهة بعض السلف له ينبغي حمله على ما فيه سرف أو تكبر أو تكلف في تحصيله كذا في أشرف الوسائل إلى شرح الشمائل (واتّبع) بتشديد التاء والموحدة أصله تتبع بمعنى تطلّب، أدغم التاء الأولىٰ في الثانية، ثم زيد فيه همزة الوصل كاطّهر في تطهّر، أي وتطلّب ﷺ لأكل (الدبّاء) بتشديد الدال والباء وبالمدّ علىٰ الأشهر، وهو اليقطين، يعني أنه كان يأكله ويحبّه، وإنما أحبّ لما فيه من الرطوبة المعتدلة، ولأنه يزيد العقل، ولأنه تعالى خصّصه بالإنبات علىٰ أخيه ﷺ يونس عليه السلام حتىٰ وقاه وتربّىٰ فيه، وما ذلكّ إلاّ لسرّ أودعه الله تعالىٰ فيه،

روىٰ الترمذي عن أنس بن مالك رضي الله عنه قال: إن خيّاطاً دعا رسول الله ﷺ لطعام صنعه، قال: فذهبت معه ﷺ إلى ذلك الطعام، فقرّب إلى رسول الله ﷺ خبزاً من شعير ومرقاً فيه دبّاء وقديد، قال أنس: فرأيت رسول الله ﷺ يتتبع الدبّاء حوالي القصعة فلم أزل أحب الدبّاء من يومئذ[١٣٣].

قال النووي وغيره: يسن محبة الدبّاء لمحبته ﷺ له وكذا كل شيء كان يحبه[١٣٤].

تنبيه: ضبط النساخ اتبع في النظم من الإتباع من باب الإفعال معروفاً،

---

(١٣٢) رواه أبو داود (٣٨٣٦) وفي الأصول، يكسر حر هذا برد هذا، وما أثبتناه هو عند أبي داود.

(١٣٣) رواه البخاري (٢٥٩٢ و٥٣٧٩ و٥٤٢٠ و٥٤٣٣ و٥٤٣٥ و٥٤٣٦ و٥٤٣٧ و٥٤٣٩) ومسلم (٢٠٤١).

(١٣٤) شرح النووي على صحيح مسلم (١٣/٢٢٤).

ولا يظهر له معنى لطيف، ولو قرىء مجهولاً لكان أسهل، وظني: أنه سهو من النساخ، والحق ما قررناه في ضبطه حتى يظهر معناه ويوافق لفظ الحديث، وكذلك فعلنا بكثير من مواضع هذا الكتاب، إذ لا اعتماد على ضبط النساخ، وقد صرّح الأئمة بجواز التصرف لعالم لا يخفىٰ عليه الساقط لعلمه بالقواعد.

تنبيه ثانٍ: في المواهب وغيره: كان ﷺ يأكل من فواكه بلده عند مجيئها ولا يحتمي عنها، وهذا من أعظم أسباب الصحة، فإن الله تعالى بباهر حكمته جعل في كل بلد من الفاكهة ما ينتفع به أهلها في وقته، لحفظ صحتهم واستغنائهم به عن كثير من الأدوية.

وَكانَ لِلْحلوىٰ يُحِبُ وَالعَسَل كَذا ذِراعَ الشاةِ حَتَّى قَدْ أكَلَ

(وكان) ﷺ (للحلوى) بفتح الحاء وبالقصر فتكتب بالألف كما في فتح الباري، وبالمد والقصر كما في القاموس، واللام الجارة زائدة لتقوية العمل (يحب) كما في البخاري (والعسل) أيضاً (١٣٥)

واعلم أن الحلو أكل ما فيه حلاوة، فذكر العسل تخصيص بعد تعميم، وقال الخطابي: يختص الحلوى بما دخلته الصنعة. وقال ابن سيده هو: ما عولج من الطعام بحلوٍ، وقد تطلق على الفاكهة، وفي كتاب فقه اللغة للثعالبي: إنّ حلواه ﷺ التي [كان] يحبها هو المجيع بالجيم بوزن أمير، وهو تمر يعجن بلبن، قال الأئمة: دل الحديث على أن محبته أنواع الأطعمة اللذيذة النفيسة لا تنافي الزهد، لكن من غير تكلف لتحصيلها، ولا محذور في محبته ﷺ للملاذّ بالطبع، لأنه

---

(١٣٥) رواه أحمد (٥٩/٦) والبخاري (٥٢٦٨ و٥٦١٤ و٥٦٧٢و ٥٦٨٢) ومسلم (١٤٧٤) وأبو داود (٣٧١٥) والترمذي في الشمائل (١٦٢) وابن ماجه (٣٣٢٣) وابن سعد (٣٩١/١) والدارمي (٢٠٨١) وأبو الشيخ (ص٢١٩) وتمام في الفوائد (٤٥٣) والبغوي في شرح السنة (٢٨٦٥).

من كمال الخلقة، وإنما المحذور التفات النفس وتكلفها في تحصيلها، وتأثرها لفقدها، ومن ثم قال الخطابي: لم تكن محبته ﷺ للحلوى على معنى كثرة التشهي لها وشدة نزاع النفس إليها، وإنما كان ينال منها إذا أحضرت إليه نيلاً صالحاً، فيعلم بذلك أنها تعجبه.

ثم اعلم أنه لم يكن من عادته الكريمة حبس نفسه الشريفة على نوع من الأغذية، فإن ذلك مضر بالطبيعة، ولو أنه أفضل الأغذية كان ﷺ يأكل ما جرت به عادة بلده بأكله من اللحم والفاكهة والخبز والتمر وغير ذلك ذكره القسطلاني وغيره (كذا ذراع) بالنصب (الشاة) مفعول له أي لحبه لها (قد أكل) وكان ﷺ يعجبه الذراع كما في رواية الترمذي وغيره(١٣٦). وروى الترمذي أيضاً: أطيب اللحم لحم الظهر(١٣٧)، ولا تنافي بينهما لجواز أن تعجبه الذراع لخفتها على المعدة وسرعة انهضامها، وليس بأحب وأطيب إليه، ويدل عليه قول عائشة رضي الله عنها: ما كان الذراع أحب إليه، وكان يعجل إليها لأنها أعجل نضجاً رواه الترمذي(١٣٨). وكان ﷺ ينتهش اللحم أي يقبض عليه بفمه ويزيله من العظم أو غيره، وربما احتزه بالسكين كما في البخاري(١٣٩)، وأكل ﷺ لحم الرقبة كما في حديث ضباعة بنت الزبير(١٤٠)، وكذا أكل الشّواء بكسر الشين وضمها مع المدّ هو اللحم المشوي كما رواه الترمذي(١٤١)، وكذا

---

(١٣٦) رواه الترمذي في الشمائل (١٦٧) وأبو داود (٣٧٨١).

(١٣٧) رواه الترمذي في الشمائل (١٧٠) وابن ماجه (٢٣٠٨) وسنده ضعيف لجهالة شيخ من فهم.

(١٣٨) رواه الترمذي في الجامع (١٨٣٩) وفي الشمائل (١٦٩) وهو ضعيف ومخالف للصحيح من أنه كان أحب اللحم إليه الذراع.

(١٣٩) رواه البخاري (٢٠٨ و ٦٧٥ و ٢٩٢٣ و ٥٤٠٨ و ٥٤٢٢ و ٥٤٦٢) من حديث عمرو بن أمية.

(١٤٠) رواه أحمد (٦/٣٦٠ - ٣٦١) والطبراني في الكبير: (ج ٢٤ رقم ٨٤٤).

(١٤١) رواه الترمذي في الشمائل (١٦٤) وابن ماجه (٣٣١١) من حديث عبدالله بن الحارث. =

القديد كما في حديث في السنن عن رجل قال: ذبحت لرسول الله ﷺ شاةً ونحن مسافرون، فقال: أصلح لحمها فلم أزل أُطعمه منه إلى المدينة.

وَالتَّمرِ بِالزُّبْدِ وَيَشْرَبُ اللَّبَن   أَحَبّ لُبْسِهِ حُبَيراتُ اليَمَن

(و) أكل ﷺ (التمر بالزبد) بضم فسكون هو زبد اللبن[١٤٢]، وأمّا الزبد بفتحتين فهو زبد الماء وغيره (ويشرب اللبن) ويقول: «ليس شيء يقوم مقام الطعام والشراب غيره»[١٤٣] فتارةً يشربه خالصاً، وتارة مشوباً بالماء البارد، وكان ﷺ يستعذب له الماء أي يطلب له الماء الحلو كما في حديث أبي داود[١٤٤]، وقال ابن بطال: واستعذاب الماء لا ينافي الزهد ولا يدخل في الترفه المذموم، فإن شرب الماء الحلو وطلبه مباح قد فعله الصالحون، وليس في شرب المالح فضيلة، وكان ﷺ يشرب العسل الممزوج بالماء البارد لأن فيه من حفظ الصحة، ما لا يهتدي لمعرفته إلاّ أفاضل الأطباء، لأن شرب العسل ولعقه على الريق يزيل البلغم ويغسل خمل المعدة ويجلو لزوجتها ويدفع عنها الفضلات، والماء البارد رطب يقمع الحرارة ويحفظ البدن، وقالت عائشة رضي الله عنها: أحب الشراب إليه ﷺ الماء البارد رواه الترمذي[١٤٥].

قال القسطلاني: ويحتمل أن تريد به الماء الممزوج بالعسل، والذي نقع فيه التمر والزبيب وكان ينبذ له ﷺ أول الليل ويشربه إذا أصبح يومه والليلة التي

= ورواه الترمذي (١٨٣٠) وفي الشمائل (١٦٣) وغيرهما من حديث أم سلمة.

(١٤٢) انظر هديه ﷺ في الأكل زاد المعاد (١/١٤٧ - ١٥٠).

وحديث الزبد والتمر رواه أبو داود (٣٨٣٧) وابن ماجه (٣٣٣٤).

(١٤٣) رواه الترمذي في الشمائل (٢٠٤).

(١٤٤) رواه أبو داود (٣٧٣٥).

(١٤٥) رواه الترمذي (١٨٩٧) وفي الشمائل (٢٠٣) ولكن بلفظ الحلو البارد.

تجيء والغَدَ إلى العصر، فإن بقي منه شيء سقاه الخادم، أو أمر فَصُبّ رواه مسلم(١٤٦). وهذا النبيذ هو ماء يطرح فيه تمر يحليه، وله نفع عظيم في زيادة القوة، وإنما لم يشرب بعد ثلاث خوفاً من تغييره إلى الإسكار، وكان يشرب قاعداً كما رواه مسلم(١٤٧) وفي رواية له: نهىٰ عن الشرب قائماً(١٤٨)، وورد أنه شرب قائماً أيضاً وحملوه على بيان الجواز، وكان يأكل الزيت ويدهن به(١٤٩).

روى الترمذي مرفوعاً: «ثلاثة لا تردّ اللبن والوسادة والدهن»(١٥٠)

وأنشد بعضهم:

قد كان من سيرة خير الورىٰ صلى عليه الله طول الزمن
أن لا يرد الطيب والمسكا واللحم أيضاً يا أخي واللبن

(لبسه صلى الله عليه وسلم)

(أحب لبسه) بكسر اللام أي ثيابه أو بضمها مصدر بمعنى المفعول (حُبِرات اليمن) جمع حُبِيرة تصغير حِبَرة بكسر ففتح ثياب من كتان أو قطن من برود اليمن فيها حمرة وبياض رواه الترمذي(١٥١).

قال ابن حجر: وفي الحديث حل لبس الحِبِرة بل ندبه وإن كان مخططاً، نعم لبسه في الصلاة مكروه.

---

(١٤٦) رواه مسلم (٢٠٠٤).

(١٤٧) لم أره بهذا اللفظ عند مسلم، وإنما روى الترمذي (١٨٨٤) من حديث عبدالله بن عمرو بن العاص رأيت رسول الله شرب قائماً وقاعداً.

(١٤٨) رواه مسلم (٢٠٢٥) من حديث أبي سعيد الخدري بهذا اللفظ.

(١٤٩) لم أره بهذا اللفظ بل روى الترمذي (١٨٥٢ و١٨٥٣) الأمر بذلك.

(١٥٠) رواه الترمذي (٢٧٩١) وفي الشمائل (٢١٧).

(١٥١) رواه الترمذي (١٧٨٨) وفي الشمائل (٦٠) ورواه البخاري (٥٨١٢ و٥٨١٣) ومسلم (٢٠٧٩) وأبو داود (٤٠٦٠) وغيرهم.

وَلَبسَ الكِتَانَ ثُـمَّ الصّـوفَـا أَحيانَهُ وَانتَعَلَ الـمَخْصـوفـا

(ولبس الكتان ثم الصوفا) بألف الإطلاق (أحيانه) أي في بعض أوقاته، وكان ﷺ يلبس ما تيّسر عليه ولا يضيق على نفسه بطلب النفيس، ولا بالاقتصار على صنف بعينه (وانتعل المخصوفا) أي لبس النعل المخصوفة أي المطبقة، من خصف نعله أي وضع طاقاً فوق طاق، والخصف في الأصل الضم والجمع كما في النهاية فيستفاد منه: أن لكل واحدة من نعليه ﷺ طاقين أو أكثر، وعن عمرو بن حريث: رأيت رسول الله ﷺ يصلي في نعلين مخصوفتين رواه الترمذي[١٥٢]. ولم يقل الناظم المخصوفة مع أن النعل مؤنثة لضرورة الشعر كما في قوله: ولا أرض أبقل أبقالها، حيث لم يقل أبقلت.

فإن قلت: قد علم من قوله السابق: ويخصف نعله أنه ﷺ لبس المخصوفة فما فائدة التكرار؟، قلت: المقصود بالذات هناك الإخبار بأنه كان يخرز النعل ويهيئوها بنفسه، ويباشر ذلك تواضعاً، والمقصود هنا الإخبار بلبسها تواضعاً أيضاً.

فإن قلت: أي تواضع في ذلك مع أن الإنتعال من شعارهم حتى لملوكهم؟ قلت: إنّ العرب تمدح برقة النعال وكونها من طاق واحد كما قال بعضهم، ويجعلون ذلك [من] لباس الملوك، فتواضع ﷺ بلبس المخصوفة ذات الطاقين أو أكثر مخالفةً لملوكهم، ولكونها أدفع للأذىٰ.

قال أبو بكر بن العربي: النعل لباس الأنبياء، وإنما اتخذ الناس غيرها لما في أرضهم من الطين وقال المناوي: ربما مشى ﷺ حافياً بلا نعل لاسيما إلى العبادات تواضعاً وطلباً لمزيد الأجر، كما أشار إلى ذلك الحافظ العراقي في ألفيته بقوله:

---

(١٥٢) رواه الترمذي في الشمائل (٧٨).

يمشي بلا نعل ولا خف إلى عيادة المريض حوله الملا

وقد تعرض الحافظ المذكور في نظمه لبيان مقدار نعله الشريفة وضبط هيئتها فقال:

ونعله الكريمة المصونة طوبى لمن مسّ بها جبينه
لها قبالان بسبر وهما سبتيان سبتوا شعرهما
وطولها شبر وإصبعان وعرضها مما يلي الكعبان
سبع أصابع وبطن القدم خمس وفوق ذا فِستٌّ فاعلم
ورأسها محدد وعرض ما بين القبالين إصبعان اضبطها

انتهى.

قال القسطلاني: وقد ذكر ابن عساكر وغيره تمثالها في جزء مفرد، وقد ذكروا من خواصها وبركاتها ما يضيق المحل عن ذكره، ومما جرب من بركات تمثال نعله الشريفة: أنه أمان لحامله من البغاة، وحرز من عين الحساد، ويسهل على المرأة ولادتها إذا حملتها.

وقال القرطبي في مدحها:

ونعل خضعنا هيبةً لبهائها وإنّا متىٰ نخضع لها أبداً نعلوا
وضعها على أعلى المفارق إنّها حقيقتها تاج وصورتها نعل

إلى أن قال:

شفاء لذي سقم رجاء البائس أمان لذي خوف كذا يحب الفضل

أَحَبُّ ثَوْبٍ عِنْدَهُ القَمِيصُ وَالبِيضُ وَالخُضْرُ هُمَا مَخصوصُ

(أحب ثوب عنده القميص) كما رواه الترمذي[١٥٣] لأنه أستر للبدن من

(١٥٣) رواه الترمذي (١٧٦٢) وفي الشمائل (٥٢) وأبو داود (٤٠٢٥).

الإزار والرداء، فهو أحب لبساً إليه ﷺ، والحبرة أحب إليه كما سبق رداءً، فلا تنافي بين الحديثين كما قال بعض المحققين، أو يقال: كانت أحب إليه لوصفها وهيئتها، والقميص أحب إليه لنظافته، أو تلك أحب المخيط وهذا أحب غيره، وأخرج الدمياطي: كان قميصه ﷺ قطناً قصير الطول والكمين، وفي القاموس: لا يكون القميص إلا من القطن وأمّا من الصوف فلا، وبه يعلم أن ما أحبه ﷺ هو المتخذ من القطن لا الصوف، لأنه يؤذي البدن ويدرّ العَرَق ويتأذىٰ برائحته (والبيض) بكسر الباء جمع أبيض (والخُضْر) بضم فسكون جمع أخضر (هما) أي البيض والخضر مبتدأتان خبره (خصوص) ثيابه التي تعجبه، وربما لبس الإزار الواحد ليس عليه غيره.

وَيَلْبَسُ الخَاتَمَ يُمنىٰ الخِنصِرِ ... وَرُبَّمَا لَبِسَهُ فِي الأَيْسَرِ
وَرُبَّمَا رَبَطَ فِيهِ خَيطَا ... لأَجْلِ ذِكرِ حاجَةٍ تَعنيهِ
كَان يُحِبُ الطِّيبَ وَالنِّسَاءَ ... وَطِيبُهُ المِسْكُ إذا ما شَاءَ

(و) كان ﷺ (يلبس الخاتما) من فضة نقشه محمد رسول الله كما مرّ تفصيله، ومن ثم سنّ اتخاذه من فضّة، وكره من حديد ونحاس، وفي بيان مقداره خلاف، ويستحب أن لا يزيد وزنه على مثقال، والمعتمد جواز ما لا يعدّ في العرف إسرافاً (يُمنىٰ الخِنصر) بكسرتين بينهما سكون وقد يفتح الصاد وهي الإصبع الصغرىٰ (وربما لبسه) في الخنصر اليسرىٰ من الجانب (الأيسر) لبيان الجواز (وربما ربط خيطاً فيه) أي في الخاتم (لأجل ذكر حاجة) أي حفظها وعدم نسيانها (تعنيه) صفة كاشفة لحاجة أي تعني تلك الحاجة إياه أي تهمّه من عناني الأمر أي همّني، ولا يقال: عنيته في الأصح، وأما قولهم: عنيت كذا يعني كذا بمعنىٰ قصدته، وليس مما نحن فيه، وروىٰ ابن عدي بسند ضعيف: كان ﷺ إذا أراد الحاجة أوثق في خاتمه خيطاً»[١٥٤] وروىٰ أبو يعلىٰ

---

(١٥٤) رواه ابن عدي في الكامل (٢/٤٤٦) وفي إسناده بشر بن إبراهيم الأنصاري، وهو يضع

كان ﷺ إذا أشفق من الحاجة أن ينساها ربط في أصبعه خيطاً ليذكرها[١٥٥].

قال القسطلاني: وسنده فيه من رمي بالوضع (كان) ﷺ (يحب الطيب) لملاقاة [لملاقاته] الملائكة وغيرهم ولأنه يزيد في العقل الذي هو محل المعارف الإلَهية ولأنه من دواعي الجماع (و) يحب (النساء) أي مناكحتهن ومعاشرتهن لمصالح دينية يضيق المقام عن ذكرها، فترجع محبتهن إلى محبة الله عزّ وجلّ، ومن ثمة قال ﷺ: «حُبِّبَ إلَيَّ مِن دنياكم النساء والطيب وجعلت قرة عيني في الصلاة» رواه الطبراني في الأوسط والحاكم في المستدرك والنسائي في السنن بهذا اللفظ[١٥٦]، زاد الإمام أحمد: «أصبر عن الطعام والشراب ولا أصبر عنهن»[١٥٧].

قال القسطلاني: في محبته النساء والنكاح من كمال الإنسان، ألا ترىٰ خليل الرحمٰن كان عنده سارة أجل النساء في العالمين، مع أنه أحب هاجر وتسرّىٰ بها، وذكر سعد بن إبراهيم عن عامر بن سعد عن أبيه قال: كان الخليل عليه الصلاة والسلام يزور هاجر في كل يوم من الشام على البراق شغفاً بها وقلّة صبر عنها،

وداود عليه الصلاة والسلام كان عنده تسع وتسعون امرأة، فأحب تلك المرأة وتزوج بها، وسليمان عليه الصلاة والسلام كان عنده ثلاثمائة زوجة، ومائة سرية، وقد حلف لأطوفنّ الليلة على مائة امرأة كما في البخاري انتهى[١٥٨].

وقد كان زهّاد الصحابة كثيري الزوجات والسراري، وجعل الأولياء النكاح

= الحديث، وأورده ابن الجوزي في الموضوعات (٧٣/٣).

(١٥٥) ورواه العقيلي (١٥٢/٢) وفي إسناده سالم بن عبد الأعلى وهو كذاب، ولذا أورده ابن الجوزي في الموضوعات (٧٣/٣).

(١٥٦) رواه أحمد (١٢٨/٣ و ١٩٩ و ٢٨٥) والنسائي (٦١/٧) والحاكم (١٦٠/٢) والبيهقي (٧٨/٧) وليس عند النسائي «من دنياكم».

(١٥٧) لم أر هذا عند أحمد في الأماكن الثلاثة.

(١٥٨) رواه البخاري (٣٤٢٤) وأماكن أخرى وانظر فتح الباري (٤٦٠/٦).

والرغبة فيه من شرائط القطبية[159] (وطيبه المسك) المعروف (إذا ما) زائدة [مصدرية] (شاءا) والغالية مع المسك إذا ما شاء ذلك.

لا يترك الثياب من بخور ... بخورة العود مع الكافور
يواظب الكحل بكحل الإثمد ... ويكثر الدهن برأس ويد

(لا يترك الثياب) خالية (من بخور) بفتح الباء ما يتبخر به كسحور بالفتح لما يتسحر به، وأما بالضم فهو مصدر (بخوره) هو كما قبله (العود) وهو خشب معروف طيب (مع الكافور) وهو طيب معروف يكون من شجر بجبال الهند والصين (يواظب الكحل) أي يداوم عليه وهو بفتح الكاف مصدر كحل العين كمنع، فهو بمعنى الاكتحال، وبضمها كل ما يوضع في العين للشفاء، والأول هو المراد (بكحل) بضم الكاف لا غير متعلق بالكحل وإضافته إلى (الإثمد) من إضافة العام إلى الخاص، كشجر الأراك، وهو بكسر الهمزة والميم حجر الكحل المعروف، وأما بفتحها فهو اسم موضع (ويكثر) من الإكثار (الدهن) بفتح الدال مصدر دَهَنَ رأسه أي بلّه بالدهن بالضم، ويكثر التدهين (برأس ويد) قال ابن سيد الناس: وكان لا تفارقه قارورة الدهن في سفره والمكحلة والمرآة والمشط والمقراض والسواك والإبرة والخيط.

لا يترك السّواك عند نومه ... وبعد هبة وعند قومه
يمزح لكن لا يقول إلاّ ... حقاً وكم منقبة وفضلا

(لا يترك السواك) ثلاث مرات (عند) إرادة (نومه وبعد هبة) بفتح الهاء مصدر كالهبوب، وبمعنى الانتباه من النوم (وعند قومه) مصدر قام أي عند

(159) ليس في الإسلام قطبية، وإنما هي من بدع الصوفية المنكرة.

قيامه لصلاة الفجر كما في مختصر ابن سيد الناس.

واعلم أنه ﷺ كان مع أصحابه وأهله وغيرهم على غاية من سعة الصدر ودوام البشر وحسن الخلق، في الإحياء: كان ﷺ إذا جلس مع الناس إن تكلموا في معنى الآخرة أخذ معهم، وإن تحدثوا في طعام وشراب تحدث معهم رفقاً بهم وتواضعاً لهم، وكانوا يتناشدون الشعر بين يديه أحياناً، ويذكرون أشياء من أمور الجاهلية ويضحكون فيتبسم هو إذا ضحكوا، ولا يزجرهم إلاّ عن حرام، ومن ثمة كان ﷺ (يمزح) بفتح الزاء من المزاح وهو الانبساط مع الغير من غير إيذاء له وبه فارق الهزء والسخرية أي ينبسط لهم ويباسطهم من كبير وصغير تألفاً لهم حتى يزول ما عندهم من هيبته ويقدروا على الاجتماع به، وأخذ الأحكام عنه (لكن لا يقول) في مزاحه (إلاّ حقاً) إذ لا يخلو مزاحه عن بشرى عظيمة أو فائدة عزيزة أو مصلحة تامة فهو في الحقيقة جد وليس مزاحاً إلا بحسب الصورة.

عن أبي هريرة قال: قالوا: يا رسول الله إنك تداعبنا أي تمازحنا، قال: « إني لا أقول إلاّ حقاً » رواه الترمذي(١٦٠) فالمزاح الجاري على القانون الشرعي لا ينافي الكمال، بأن يكون على وفق الصدق وبقصد تأليف قلوب الضعفاء وجبرهم وإدخال السرور والرفق عليهم، وأمّا النهي عنه في حديث الترمذي في جامعه وقال غريب: « لا تمار أخاك ولا تمازحه ولا تعده موعداً فتخلفه »(١٦١) فمحمول على الإفراط فيه والدوام عليه، لأنه يورث كثرة الضحك وقسوة القلب، والإعراض عن ذكر الله، وعن التفكر في مهمات الدين، بل ربما يؤول كثيراً إلى الإيذاء، وربما يسقط المهابة والوقار، ومزاحه ﷺ سالم من جميع ذلك، وإنما يقع منه نادراً لمصلحة تامة من مؤانسة أصحابه، فهو بهذا القصد سنة كما صرح به الأئمة، خلافاً لمن قال: إنه مباح.

(١٦٠) رواه الترمذي في الجامع (١٩٩١) والشمائل (٢٣٦) ورواه أيضاً أحمد (٢/٣٦٠) والبغوي في شرح السنة (٣٦٠٢).

(١٦١) رواه الترمذي (١٩٩٦) وسنده ضعيف، فلا حاجة إلى التكلف.

وعن أنس رضي الله عنه: أن رجلاً استحمل رسول الله ﷺ فقال: إني حاملك على ولد الناقة، فقال: يا رسول الله ما أصنع بولد الناقة؟ فقال رسول الله ﷺ: وهل يلد الإبل إلا النوق؟، رواه الترمذي في الشمائل (١٦٢).

وعن الحسن قال: أتت عجوز النبي ﷺ فقالت: يا رسول الله ادع الله أن يدخلني الجنّة، فقال: «يا أمّ فلان إن الجنّة لا تدخلها عجوز» قال: فولّت تبكي، فقال: ﷺ «أخبروها أنّها لا تدخلها وهي عجوز، إن الله عزّ وجلّ يقول: ﴿إنا انشأناهنّ انشاءً فجعلناهن أبكاراً عرباً أتراباً﴾» رواه الترمذي أيضاً (١٦٣) وفي مختصر ابن سيد الناس: وجاءته امرأة فقالت: يا رسول الله إنّ زوجي يدعوك، فقال: «لعلّ زوجك الذي في عينيه بياض» فرجعت وفتحت عين زوجها، فقال: ما لك؟ فقالت: أخبرني رسول الله أن في عينيك بياض، فقال: وهل أحد إلاّ في عينيه بياض.

وعن أنس رضي الله عنه أن رجلاً من أهل البادية كان اسمه زاهراً، وكان يهدي إلى النبيّ ﷺ هدية من البادية، فيجهزه النبيّ ﷺ إذا أراد أن يخرج، فقال النبيّ ﷺ: «إن زاهراً باديتنا ونحن حاضروه» وكان ﷺ يحبه وكان رجلاً دميماً أي قبيح الوجه، فأتاه النبيّ ﷺ يوماً وهو يبيع متاعه فاحتضنه من خلفه ولا يبصره، فقال: من هذا؟ أرسلني فالتفت فعرف النبي ﷺ فجعل لا يألو أي لا يقصر ما ألصق ظهره بصدر النبيّ ﷺ حين عرفه، فجعل ﷺ يقول: من يشتري العبد؟ فقال الرجل: يا رسول الله إذن تجدني والله كاسداً أي رخيصاً لا يرغب فيه أحد، فقال ﷺ لكن عند الله لست بكاسد، أو قال: أنت عند الله غال رواه الترمذي (١٦٤).

---

(١٦٢) رواه أحمد (٢٦٧/٣) وأبو داود (٤٩٩٨) والترمذي في الجامع (١٩٩٢) وفي الشمائل (٢٣٧) وإسناده صحيح على شرط الشيخين.

(١٦٣) رواه الترمذي في الشمائل (٢٣٩) وسنده ضعيف، لكن له شاهد.

(١٦٤) رواه الترمذي في الشمائل (٢٣٧) ورواه أيضاً عبدالرزاق (١٩٦٨) وأحمد (١٦١/٣)

قال المناوي نقلاً عن ابن قتيبة: وقد درج أكابر السلف وأعاظم الخلف على أخلاق المصطفى ﷺ في الطلاقة والمزاح المجانب للكذب والفحش، فكان عليّ كرم الله وجهه يكثر الملاعبة وكذا ابن سيرين، وكان الفرزدق يكثر المزاح بين الصدر الأول ولم ينكر عليه وسأله رجل عن حسان بن هشام فقال: توفي البارحة فجزع الرجل واسترجع فقرأ: ﴿الله يتوفى الأنفس﴾ الآية، وقال الشعبي لرجل: ما صنعتك؟ فقال: رفاء، فقال عندنا دنّ مكسور ترفؤه لنا؟ فقال: هيء لي سلوكاً من رمل ارفؤه به فضحك الشعبي حتى استلقى انتهى(١٦٥).

وروى الإمام أحمد: أن أبا بكر رضي الله عنه خرج تاجراً إلى بُصرى ومعه نُعَيْمانُ وسُوَيْبِط بن حرملة، وكلاهما شهدا بدراً، وكان سويبط على الزاد، فقال له نُعيمان: أطعمني قال حتى يجيء أبو بكر، وكان نعيمان مضحاكاً مَزَاحاً فذهب إلى ناس فقال: ابتاعوا مني غلاماً عربياً فارهاً، فقالوا: نعم، فقال: إنه ذو لسان، ولعله يقول: إني حرّ فإن كنتم تاركيه فدعوني ولا تفسدوه عليّ، قالوا بل نبتاعه فابتاعوه منه بعشر قلائص فأقبل يسوقها وقال: دونكم هو هذا، فقال سويبط: هو كاذب أنا رجل حرّ، قالوا: قد أخبرنا خبرك فطرحوا الحبل في رقبته فذهبوا به، فجاء أبو بكر رضي الله عنه فأخبر به، فذهب هو وأصحابه إليهم فردّوا القلائص فاستردوا سويبطاً، ثم أخبروا النبي ﷺ بذلك فضحك هو وأصحابه منها حولاً كاملاً وأخرجه كذلك أبو داود الطيالسي والروياني(١٦٦).

قال ابن حجر في أسنى المطالب: ويشكل هذا مع ما ورد من النهي عن أن يروّع

= وأبو يعلى (١/١٦٤) وعنه ابن حبان (٢٢٧٦) وهو حديث صحيح على شرط الشيخين، ورواه أيضاً البغوي في شرح السنة (٣٦٠٤).

(١٦٥) انظر شرح المناوي على الشمائل (٢/٣٢).

(١٦٦) رواه أحمد في مسنده (٦/٣١٦).

المؤمن ويؤخذ متاعه جاداً ولاعباً، وقد يقال: يحمل النهي عن الترويع على ما إذا كان من شأنه أنه يؤذي إيذاءً لا يحتمل غالباً، ويحمل الإذن فيه الذي تضمنته هذه القصة على ما إذا صدر ممن عرف بالمزاح والضحك، فإن العلم بحاله يسهل ما يصدر عنه، لأن المتبادر من أحواله المزاح، لا الحقيقة وهذا جمع ظاهر يتعين وإن لم أر من ذكره انتهى.

(وكم منقبةً) بفتح الميم أي معجزةً وخصالاً حميدة (وفضلاً) له ﷺ لم تذكر ولا تدخل في حساب ولا يحويها كتاب.

(معجزاته صلى الله عليه وسلم)

(ذكر شيء من معجزاته ﷺ) اعلم أنه تواتر أنه ﷺ ادّعى الرسالة وظهرت المعجزات على يده، فيكون نبياً: مرسلاً، ووجه دلالة المعجزة على النبوة أنّها بمنزلة صريح التصديق، لأن الرجل إذا قام في محفل عظيم وقال: إني رسول هذا الملك إليكم فطالبوه بالحجة، فقال: يا أيها الملك إن كنت صادقاً في دعوى الرسالة منك، فخالف عادتك وقم من مقامك ثلاثاً ففعل، علم بالضرورة صدقه، وقد أشار الناظم إلى شيء يسير من آيات نبوته فقال:

مِنْ مُعجِزاتِهِ أتى القُرآنُ　　　أعظِمْ بِه فَإنَّهُ بُرهانُ

(من معجزاته) وهو حال مقدم جمع معجزة هو الأمر الخارق للعادة المقرون بدعوى الرسالة على وفق الدعوى مع الأمن من معارضة المنكرين بمثله، وسمّي ذلك الامر معجزة لإعجازه البشر عن الإتيان بمثله، والتاء للمبالغة (أتي القرآن) العزيز من الله عزّ وجلّ إليه ﷺ، وهو في الأصل مصدر قرأ إذا جمع، لجمع السور المختلفة وعلوم الأولين والآخرين (أعظِم به) صيغة تعجب

بمعنى ما أعظمه (فإنه برهان) واضح بنبوته وحجة قاطعة عليها، بل هو أعظم المعجزات وأعجبها حتى من إحياء الموتى وإبراء الأكمه والأبرص، لأنه دعاهم إلى معارضته بالإتيان بمثله أقصر سورة منه ففرّوا إلى سفك دمائهم وسبي حريمهم وجلائهم من [عن] وطنهم، ولم يدع أحد منهم القدرة على ذلك مع كونهم أهل البلاغة وأرباب الفصاحة ورؤساء البيان، فهذا أعجب من عجز من شاهد المسيح يحيي الموتى ويبرىء الأكمه والأبرص، لأنهم لم يطمعوا فيه ولا تعاطوا نحوه، وقريش كانوا يتعاطون الفصاحة والبلاغة، فعجزهم مع ذلك عن المعارضة، وفرارهم إلى ما ذكر دليل قاطع على نبوته ﷺ، ثم وجوه إعجاز القرآن لا تنحصر، منها: إيجازه وبلوغه الطبقة العليا في الفصاحة، ومنها أن قارئه لا يمل وأن سامعه لا يمجه، بل لا يزال مع كثرة تكريره غضاً طرياً تزايد حلاوته، وتتعاظم محبته يؤنس به في الخلوات ويستراح بتلاوته من شدائد الآفات، ومنها الإخبار بما كان مما علموه ومما لم يعلموه، وشهادته على اليهود بأنهم لا يتمنون الموت، وعلى قريش بأنهم لا يأتون بمثله. ومنها اشتماله على علوم لا تحصى مع كون الآتي به أمّياً نشأ بين أظهرهم، لا يحسن نظم الكتاب [كتاب] ولا عقد حساب، ولم يتعلم سحراً ولم ينشد شعراً. ومن آيات نبوته أيضاً ما اجتمع فيه من الأخلاق المرضية وصفاته المتواترة كملازمة الصدق، والإعراض عن الدنيا، ونهاية الجود والشجاعة والفصاحة، والإصرار على الدعوى مع تحمل المشاق، والترفع على الغني والتواضع للفقير وغير ذلك مما لا يكون إلا في الأنبياء، ولله درّ عبدالله بن رواحة حيث قال:

نفسي الفداء لمن أخلاقه شهدت ... بأنه خير مخلوق من البشر
عمت فضائله كل الأنام كما ... عمّ البرية ضوء الشمس والقمر
لو لم تكن فيه آيات مبينة ... لكان منظره ينبيك بالخبر

وَشُقَّ صَدرُهُ كَذا انْشَقَّ القَمَرُ　　لَهُ بِلا شَكٍّ وَقَدْ رأى البَشَر

(و) من المعجزات (شق صدره) الشريف مراراً أربعاً أو خمساً مبالغة في تطهيره وقلبه كما مرّ تفصيله في مبحث رضاعه ﷺ (كذا انشق القمر) نصفين معجزة (له) ﷺ ولم ينشق لأحد غيره وهو من أمهات معجزاته، وقد أجمع المفسّرون وأهل السنة على وقوعه لأجله ﷺ وقوله: (بلا شك) إشارة إلى أن الأخبار بوقوعه متواترة، ومن ثمة قال التاج السبكي في شرح المختصر: والصحيح عندي أن انشقاق القمر متواتر [عليه نص عليه] منصوص عليه في القرآن، مروي في الصحيحين وغيرهما وقال ابن عبد البر: روى حديث انشقاق القمر جماعة كثيرة من الصحابة ثم نقله الجم الغفير وغيرهم إلى أن وصل إلينا، وتأيد بالآية، وقال الخطابي: انشقاق القمر آية عظيمة لا يكاد يعد لها الشيء من آيات الأنبياء لظهوره في ملكوت السمٰوات خارجاً عن جملة طباع ما في هذا العالم، (وقد رأى البشر) ذلك من أهل مكة وغيرهم كما في حديث أبي داود والبيهقي وغيرهما.

وفي الصحيحين من حديث أنس رضي الله عنه: أن أهل مكة سألوا رسول الله ﷺ أن يريهم آية فأراهم انشقاق القمر شقين حتى رأوا حراء بينهما، ومن حديث ابن مسعود قال: انشقاق القمر على عهد رسول الله ﷺ فرقتين فرقة فوق الجبل وفرقة دونه فقال ﷺ: اشهدوا [١٦٧]، وأما إنكار جمهور الفلاسفة ومن وافقهم من المبتدعة انشقاق القمر فمبني على إنكارهم خرق الأجرام العلوية والتيامها، وذلك في جلة كفرهم وتقولهم بمقتضى عقولهم معاندين للشرائع.

ومنها:

---

(١٦٧) انظر تخريج أحاديث انشقاق القمر في المعتبر (ص١٠٨ - ١١٠) للزركشي بتعليقنا.

(إخباره عن شأن بيت المقدس) أي حاله وأوصافه وذلك حين أصبح من ليلة الإسراء وحدث المشركين بذهابه إلى بيت المقدس، ومنه إلى السموات، وبما رأىٰ في تلك الليلة من العجائب، فأنكروا عليه وسألوه عن أوصاف بيت المقدس، فرفعه الله إليه حتى ينظره كما في رواية البخاري، فوصفه لهم كما سألوه(١٦٨). فانقطعت عنهم الحجة كما سبق في بحث [مبحث] الإسراء (و) أخباره عن (العير) بكسر العين أي القافلة (وهو) ﷺ (حاضر في المجلس) أي مجلس قريش وقت إخباره بذلك، وروي أنه: لما رجع ﷺ من سفر الإسراء مرّ في بعض طريقه بعير تحمل طعاماً فيها جمل عليه غرارتان غرارة سوداء وغرارة بيضاء، فلما حاذى بالعير نفرت [منه] واستدارت وانصرع ذلك البعير، وفي رواية: أضلوا بعيراً لهم قد جمعه فلان وفلان، قال ﷺ: فسلمت عليهم فقال بعضهم: هذا صوت محمد ثم أتى إلى مكة قبل الصبح وأخبر قومه بما رأى فقال: إن من آية ما أقول: إني مررت بعير لكم في مكان كذا وكذا وقد أضلّوا بعيراً لهم فجمعه فلان وإن مسيرهم ينزلون بمكان كذا وكذا ويأتونكم يوم كذا وكذا ويقدمهم جمل آدم عليه مسح أسود وغرارتان، فلما كان ذلك اليوم أشرف الناس ينظرون حتى إذا كان قريب من نصف النهار أقبلت العير يقدمهم ذلك الجمل الذي وصفه ﷺ، وفي رواية البيهقي: سألوه آيةً فأخبرهم بقدوم العير يوم الأربعاء، فلما كان ذلك اليوم لم يقدموا حتى كادت الشمس أن تغرب فدعا الله تعالى فحبس الشمس حتى قدموا كما وصف(١٦٩).

---

(١٦٨) رواه البخاري (٣٨٨٦ و ٤٧١٠).

(١٦٩) انظر حديث عبدالله بن عباس عند أحمد (٢٨٢٠) والبزار (٥٦ كشف الأستار) والطبراني في الكبير (١٢٧٨٢) والأوسط (ص٩ - ١٠) مجمع البحرين.
وحديث شداد بن أوس عند الطبراني في الكبير (٧١٤٢) ومسند الشاميين (١٨٩٤) وانظر تعليقنا عليه.

وَمِن قُريشٍ قَد تَعاقَدَ المَلاْ   وَكلُّهُـمْ حَلَـف أنْ سَيُقتَلاْ

(و) منها ما وقع (من قريش قد تعاقد) وتعاهد (الملا) أي الجماعة منهم على قتله ﷺ (وكلهم) بعد إجماعهم على ذلك (حلف) (أن سيقتلا) بالبناء للمفعول والألف للإطلاق، والمستتر نائب الفاعل عائد إليه ﷺ، وذلك الإجماع على قتله بعد مشاورتهم في دار الندوة فيما يصنعون به ﷺ كما مرّ تفصيله في مبحث الهجرة، فلما جاء الليل اجتمعوا على بابه يرصدونه حتى ينام، فيقتلوه، فخرج إليهم ﷺ وهم جلوس على بابه.

فَعِندَما بَدا لَهُمْ وَخَرَجا   لَم يَرْفَعِ الرؤوس حَتّى دَرَجا
قامَ عَلَيهِمْ يَذُرُّ التُّرْبا   وَقال شاهَتِ الوَجُوهُ حَصْبا
فَما أصاب رَجلاً بِذَرِّ   إلاّ ارتَمى بِالقَتل يَومَ بَدرِ

(فعندما بدا) أي ظهر (لهم وخرجا) ﷺ أخذ الله تعالىٰ على أبصارهم وسقطت أذقانهم في صدورهم فلم يره أحد منهم وإليه أشار بقوله: (لم يرفعوا الرؤوس حتى درجا) أي مضى لسبيله، بل قبض كفاً من تراب ثم - (قام عليهم) بضم الميم (يذر) أي ينثر (الترابا) على رأس كل منهم إشارة إلى غاية ذلتهم وخيبتهم وهو يتلو يٓس إلى «فهم لا يبصرون»، والتُّرْبُ بضم فسكون هو التراب (وقال: شاهت الوجوه) أي قبحت وجوه المشركين وخسرت وقوله (حصبا) أصله حصباء بالمد وهو الحصى الصغار فقصر للوزن وهو مفعول المحذوف أي ورماهم حصباء أيضاً، وكأنه أشار إلى اختلاف الروايات في ذلك ففي بعضها أخذ كفاً من الحصى وفي بعضها أخذ كفاً من تراب، وجمع بأنه رمى بهذا مرة وبهذا مرة، وبأنها قبضة واحدة لكنها مخلوطة بالحصى والتراب، ويجوز جعله عطفاً على التربا بإسقاط العاطف وما بينها اعتراضاً ومفعولاً مطلقاً،

مصدر حصبهم أي رماهم بالحصباء، وحالاً من الترابا أي مخلوطاً بالحصباء فيكون إشارة إلى الجمع المذكور، فلما انصرف عنهم ﷺ أتاهم آت فأعلمهم أن على رأس كل منهم ترباً (١٧٠)، وروى الحاكم عن ابن عباس رضي الله عنهما وصححه: ما أصاب رجلاً منهم حصاة إلا قتل يوم بدر كافراً وإليه أشار بقوله:

فما أصـــابَ رَجُلاً بِـــذَرٍّ ... إلا ارتمى بالقَتْـلِ يَـوْمَ بَـدرِ
كذاك ما رَمـى بِـهِ في يَـومِ ... حُنَين مِن تُربَ وجـوه القوم
كذاك في الغار نسيج العنكبا ... ومـا دهـى سراقـةً إذ طلبـا
ومسحه ظهـر عنـاقِ مـا بنـا ... قـط بها فحـل فـدرت لبنـا

(فما أصاب) ﷺ (رجلاً منهم بذرّ) أي بحصى صغير مثل الذرّ وهو النمل الأحمر الصغير واحدتها ذرّة، وسئل ثعلب عنها فقال: إن مائة نملة وزن حبة، والذرّة واحدة منها، وقيل: الذرة ما يُرى في شعاع الشمس ولا وزن لها (إلاّ ارتمى بالقتل يوم بدر، كذاك) أي مثل ما رُمي به يوم بدر في كونه معجزةً (ما رمى به في يوم، حنين) غير منصرف للضرورة (من ترب) بيان ما (وجوه القوم) مفعول رمى وقد سبق تفصيله في غزوة حنين (كذاك) في كونه معجزةً (في الغار) أي غار ثور وهو جبل بأسفل مكة على مسيرة ساعة (نسيج) أي منسوج (العنكبا) أي العنكباء بالمدّ لغة في العنكبوت وقصره للوزن، وذلك في الهجرة، ووجه كونه معجزة: أن الله تعالى أمر العنكبوت فنسجت على وجه الغار وصدّ المشركين بذلك، وقالوا: لو دخله لتفسخ نسج العنكبوت، فهو أبلغ في الإعجاز من مقاومة القوم بالجنود (وما) موصولة أو مصدرية (دهى سراقة) ابن مالك (إذ طلبا) لما تبعه في الهجرة ليأخذه فدعا عليه لما دنا منه فساخت

---

(١٧٠) انظر زاد المعاد (٣/٥١ ـ ٥٢) وفتح الباري (٧/٢٣٦).

قوائم فرسه في الأرض الجلد كما سبق تفصيله، يقال دهاه دهياً أي أصابه بداهية، وضمير دهى لما إن جعلت موصولة عبارة عن نحو دعائه عليه، أو له ﷺ إن جعلت مصدرية (و) منها (مسحه) ﷺ (ظهر عَناقٍ بفتح العين هي الأنثى من أولاد المعز ما لم يتم لها سنة كما في النهاية (ما بنا) أي ما دخل (قط بها فحل) لم ينز عليها الفحل (فدرّت لبنا) تمييز في معنى الفاعل أي كثير لبنها، وما ذكره الناظم تبع فيه ابن سيد الناس في مختصره وفي المواهب وغيره من رواية البيهقي بسنده عن قيس بن نعمان قال: فلما انطلق النبي ﷺ وأبو بكر مستخفيين أي في طريق الهجرة مرّا بعبد يرعى غنماً فاستسقياه اللبن فقال: ما عندي شاة تحلب غير أن ههنا عناقاً حملت في العام الأول وما بقي بها [لها] لبن فَدَعا بِها فاعتقلها ﷺ، ومسح ضرعها ودعى فأنزلت لبناً، فسقى أبا بكر ثم حلب فسقى الراعي، ثم حلب فشرب، فقال الراعي: أشهد أنك نبي، وأن ما جئت به حق فقال له ﷺ: فإذا بلّغك أنّي قد ظهرت فائتنا(١٧١)، وبين الروايتين نوع تخالف، فهما قصتان أو يتكلف في الجمع بينهما.

وشاةُ لأمِّ مَعبَدٍ وما دعا لِعُمَرٍ وعِزِّ الإسلامِ مَعا

(و) منها (شاة أم مَعبَد) بفتح الميم عاتكة بنت خالد الخزاعية كانت امرأةً جلدةً تختبىء بفناء قبتها ثم تسقي وتطعم الناس، مرّ ﷺ مع مَن معه عليها في طريق الهجرة، فسألوها لبناً ولحماً يشترون منها فلم يجدوا عندها شيئاً، وكانت تلك السنة سنة جدب، فنظر ﷺ إلى شاةٍ في كسر الخيمة أي جانبها خلّفها الجهد عن الغنم، فقال ﷺ: «هل بها من لبن؟» فقالت: هي أجهد من ذلك، فقال: «أتأذنين أن أحلبها؟» فقالت: بأبي أنت وأمّي إن رأيت حلباً فاحلبها، فعدا بالشاة واعتقلها، ومسح ضرعها فسمّى الله تعالى، فدرّت لبنها وسقى القوم

(١٧١) رواه البيهقي في الدلائل (٢/٤٩٧) والطبراني في الكبير (ج١٨ رقم٨٧٤) وسنده صحيح.

حتى رووا، ثم شرب آخرهم، ثم حلب مرةً أخرى عَلَلاً بعد نهل وتركوها وذهبوا، فلما جاء زوجها أبو معبد ورأى اللبن عجب وقال: ما هذا يا أم معبد؟ فقالت جاء رجل مبارك من حالة كذا وكذا، فقال: صفيه، فذكرت له القصة وأوصافه ﷺ، فقال: هذا والله صاحب قريش ولو رأيته لاتبعته(١٧٢) وأخرج أبو نعيم وابن سعد: أن تلك الشاة بقيت عندهم يحلبونها ليلاً ونهاراً إلى زمن عمر رضي الله عنه.

(و) منها (ما دعا) أي دعائه فما مصدرية (لعمر) بن الخطاب رضي الله عنه بإسلامه (وعزّ الإسلام به معاً) أي جميعاً حيث قال ﷺ: «اللهم أعزّ الإسلام بأحب هذين الرجلين إليك، بأبي جهل أوْ بعمر» رواه الترمذي وقال: حسن صحيح(١٧٣)، وروى الحاكم من حديث عائشة وقال: صحيح على شرط الشيخين: «اللهم أعزّ الإسلام بعمر بن الخطاب خاصة»(١٧٤) وورد بهذا اللفظ بطرق وجمع بينهما ابن عساكر: بأنه دعا بالأول أولاً فلما أوحي [الله] إليه: أن أبا جهل لن يسلم خصّ عمر بدعائه فأجيب فيه، قال الحافظ السيوطي: وقد اشتهر هذا الحديث الآن بلفظ: «بأحب العمرين» ولا أصل له في شيء من كتب الحديث، والدعاء في الحديث بعز الإسلام به فقط لكنه تضمن الدعا بإسلام عمر أيضاً، إذ العزّة به إنما هي بعد إسلامه، ولذا جمعهما الناظم. (و) منها (دعاؤه لعليّ) كرّم الله وجهه بذهاب الحرّ والبرد عنه كما رواه الطبراني، فكان يلبس في الصيف ثياب الشتاء وفي الشتاء ثياب الصيف ولا يصيبه حر ولا برد(١٧٥).

---

(١٧٢) حديث أم معبد رواه الطبراني في الكبير (٣٦٠٥) وفي الأحاديث الطوال (٣٠) وأبو نعيم في الدلائل (ص٢٨٢ - ٢٨٧) والحاكم (٩/٣ - ١١) والبيهقي في الدلائل (٢٢٨/١ - ٢٢٩) واللالكائي (١٤٣٤ - ١٤٣٧) والبغوي في شرح السنة (٣٧٠٤). وفيه جماعة لم يعرفهم الحافظ الهيثمي.

(١٧٣) رواه الترمذي (٣٦٨٢) وابن سعد (٢٦٧/٣) وأحمد (٥٦٩٦) من حديث ابن عمر.

(١٧٤) رواه الحاكم (٨٣/٣).

(١٧٥) رواه الطبراني في الأوسط (ص٣٤١ مجمع البحرين) من حديث سويد بن غفلة، ورواه =

ولعليّ ما أتىٰ من تفلته لعينه فبَرِئَتْ مِنْ ساعَتِهِ

(و) منها (ما أتى به) ﷺ في غزوة خيبر (من تفلته) أي بصيغة مصدر تفل يتفل بمعنىٰ بصق (لعينه) أي لكلتا عينيه لَمَّا جيء به إليه ﷺ وهو أرمد (فبرئت) عينه من الرمد (من ساعته) أي حين بصق في عينيه ودعا له، حتىٰ كأن لم يكن بهما وجع كما في البخاري وفي رواية الحاكم: فوضع ﷺ رأسي في حجره ثم بزق في راحتيه فدلك بهما في عينيّ زاد الطبراني: فما اشتكيتهما حتى الساعة (١٧٦).

وما ذكرنا في شرح البيت توجيه للمعنى تعمياً للفائدة لا توجيه لإعرابه إلاّ أن يقال بحذف العاطف على ما، وبه يعلم أنه لو قال: «ولعلي وما أتى من تفلته» لكان أحسن، وأما إعرابه على ظاهره فهو أن لعليّ متعلق بأتى بعده، والتقدير: ومنها ما أتى به لعليّ من تفلته في عينيه [عينه] ودعائه له بالشفاء.

وَالعَينُ مِنْ قَتَادَةَ فِي رَدِّهِ لَها وَقَدْ سالَتْ بِوَسْطِ خَدِّهِ
لابنِ عبّاسٍ دَعا بالفِقهِ وَغيرِهِ فهل لَهُ من شبه
وإذ دعا لأنس بالعمرِ وَمالِهِ وولدِهِ بالكثر

(و) منها (العين من قتادة) بفتح القاف ابن النعمان أي معجزته ﷺ (في رده) لها (وقد سالت) يوم أحد من رمية سهم (حتى) وقعت (بوسط خدّه) أي على وجنته فأتي به إلى رسول الله ﷺ فقال: يا رسول الله إنّ لي امرأة أحبها وأخشى إن رأتني تقذرني، فأخذها ﷺ بيده وردّها إلى موضعها وقال: «اللهم

= البزار (٢٥٤٦ كشف الأستار) والطبراني في الأوسط (ص ٣٤١ مجمع البحرين) من حديث علي.

(١٧٦) انظر فتح الباري (٤٧٧/٧).

اكسها جمالاً » فكانت أحسن عينيه وأحدّها نظراً، وكانت لا ترمد إذا رمدت الأخرى، وأخرج أبو نعيم والطبراني عن قتادة قال: كنت يوم أحد أتقي السهام بوجهي دون وجه ﷺ فكان آخرها سهماً ندرت منه حدقتي فأخذتها بيدي وسعيت إلى رسول الله ﷺ، فلما رآها في كفي دمعت عيناه فقال: « اللهم ق قتادة كما وقى وجه نبيك بوجهه فاجعلها أحسن عينيه وأحدها نظراً »(١٧٧).

(و) منها أنه ﷺ (لابن عباس عبدالله دعا بالفقه وغيره) أي غير الفقه فقال كما صح عنه: « اللهم فقهه في الدين وعلّمه التأويل » أي تفسير القرآن، وفي رواية: « اللهم علّمه الحكمة وتأويل القرآن »،(١٧٨) وفي أخرىٰ: « اللهم بارك فيه وانشر منه واجعله من عبادك الصالحين » (فهل له) بسبب الدعاء له (من شبه) ونظير في الفقه وغيره لا، ومن ثمه سمي بعد ذلك بالحبر وترجمان القرآن (و) اذكر معجزاته (إذ دعا لأنس) بن مالك الأنصاري الخزرجي (بالعمر) أي بطول الحياة (ومالِهِ وَوُلْدِهِ) بضم فسكون للجمع والواحد (بالكثر) بضم فسكون بمعنى الكثرة، وذلك أن أمّه أم سليم أتت به إلى النبي ﷺ لما قدم المدينة في السنة الأولى من الهجرة، فقالت له: خذه غلاماً يخدمك فقبله، وقد قالت له يوماً: يا رسول الله أدع له، فقال: « اللهم أكثر ماله وولده وبارك له فيه وأدخله الجنة » (قال: فلقد دفنت من صلبي سوى ولد ولدي مائة وخمسة وعشرين [أي ذكوراً، ولم يرزق إلا بنتين على ما قيل] وإن أرضي لتثمر في السنة مرتين وأنا أرجو الثلاثة(١٧٩). وفي رواية فقال: « اللهم بارك في ماله وَوَلَده

---

(١٧٧) رواه الطبراني في المعجم الكبير (ج١٩ رقم١٢) وفي إسناده ثلاثة مجهولين.

(١٧٨) انظر فتح الباري (١/١٧٠) حول ورود هذين اللفظين.

(١٧٩) الحديث المرفوع في صحيح البخاري (١٩٨٢ و ٦٣٣٤ و ٦٣٤٤ و ٦٣٧٨ و ٦٣٨٠) ومسلم (٦٦٠ و ٢٤٨٠ و ٢٤٨١) والترمذي (٣٨٢٧ و ٣٨٢٨) وغيرهم ولكن لم أر كلمة « وأدخله الجنّة » عند أحد.

وانظر الحلية (٨/٢٦٧) وفيه: فلقد دفنت من صلبي سوى ولد ولدي خمسة وعشرين ومئة، وإن أرضي لتثمر في السنة مرتين، وما في البلد شيء يثمر مرتين غيرها. وما بين =

وأطل عمره واغفر ذنبه » فقال: لقد دفنت من صلبي مائةً إلاّ اثنين وإن ثمرتي لتحمل في السنة مرتين (١٨٠).

كـذا لجابـر وشـأن جمَلِـهِ   وتمرِهِ ومـا وفـى مِـنْ قِبَلِـهِ

(كذا) دعا (لجابر وشأن جمله) (١٨١) عطف تفسير لما قبله فصار سابقاً بعد أن كان مسبوقاً كما في مختصر ابن سيد الناس، وفي الشفاء: ونَخَسَ ﷺ جمل جابر وكان قد أعيا فنشط حتى كان ما يملك زمامه، ولم يذكر أنه دعا له، وقد وقع له ﷺ نظائر ذلك مذكورة في المبسوطات.

(وتمره) أي ودعا له بالبركة في تمره، فأوفى غرماءه وفضل ثلاثة عشر وسقاً كما قال ابن سيد الناس وإليه أشار بقوله: (وما وفى) أي ودعا أيضاً لوفائه حق الغرماء، فما مصدرية يقال وفى فلاناً أي أعطاه حقه كوفّاه بالتشديد وأوفاه (من قِبَله) بكسر ففتح أي من جهة التمر، وفي الشفاء: وكان جابر قد بذل لغرماء أبيه بعد موته أصل ماله فلم يقبلوه، ولم يكن في تمره سنين كفاف دينهم، فجاءه النبي ﷺ بعد أن أمره بجزّها وجعلها بيادر في أصولها فمشىٰ فيها ودعا فأوفىٰ منه جابر غرماء أبيه وفضل مثل ما كانوا يجدون كلّ سنة، وفي رواية مثل ما أعطاهم، قال وكان الغرماء يهود فعجبوا من ذلك (١٨٢).

= المعكوفين من عند المصنف، وأما قوله وأنا أرجو الثلاثة فلم أره عند أحد، وفي الحديث. وأنا أرجو الثالثة أي الدعاء الثالث في الآخرة. فعله حذف من الحديث شيء.

(١٨٠) رواه بهذا اللفظ ابن سعد في الطبقات (١٩/٧) وتمامه ولقد بقيت حتى سئمت الحياة وأنا أرجو الرابعة، وسنده صحيح.

(١٨١) رواه البخاري (٢٧١٨) وفي أماكن أخرى ومسلم (٧١٥) وغيرهما.

(١٨٢) رواه البخاري: (٢١٢٧ و ٢٣٩٥ و ٢٣٩٦ و ٢٤٠٥ و ٢٦٠١ و ٢٧٠٩ و ٢٧٨١ و ٣٥٨٠ و ٤٠٥٣ و ٦٢٥٠) والنسائي: (٢٤٥/٦ ـ ٢٤٦) وأبو داود: (٢٨٨٤).

وعندما استسقىٰ سُقوا واستصحىٰ مِن بعد أسبوع مضىٰ فأصحىٰ
وابن أبي لهب من الدّعاء أكله الأسد بالزرقاء

(وعندما استسقى) أي عند استسقائه ﷺ لما شكوا إليه قحوط المطر وهو ﷺ على المنبر (سُقوا) بالبناء للمفعول أي مطروا أسبوعاً (واستصحىٰ) أي طلب صحو السماء وذهاب غيمها لما شكوا إليه انقطاع السبل بكثرة المطر (من بعد أسبوع) بضم الهمزة (مضىٰ) نعت له (فأصحىٰ) [السماء] أي فانجابت السحابة وفي الصحيحين: أن الناس أصابتهم سنة على عهده ﷺ، فقام أعرابي وهو ﷺ يخطب يوم الجمعة، فقال: يا رسول الله هلك المال وجاع العيال فادع الله لنا فرفع يديه فقال: «اللهم» ودعا بما دعا، وليس في السماء قطعة سحاب، فما وضعها حتى صار السحاب أمثال الجبال، فلم ينزل على المنبر حتى أصابه المطر، واستمر إلى الجمعة الأخرى، فقام ذلك الأعرابي أو غيره فقال: يا رسول الله تهدم البناء وغرق المال فادع الله لنا فرفع يديه فقال: «اللهم حوالينا ولا علينا» فأقلفت السحاب وخرجوا يمشون في الشمس[١٨٣].

(و) منها (ابن أبي لهب) بسكون الهاء لغة في تحريكها واسمه عتيبة مصغراً (من الدعاء) أي دعائه ﷺ عليه حين فارق ابنته ﷺ أم كلثوم بأمر أبي لهب كما مرَّ، وقال له ﷺ كفرتُ بدينك وفارقت ابنتك لا تحبني ولا أحبك، ثم سطى عليه وشق قميصه وهو يريد الخروج إلى الشام تاجراً، فقال ﷺ: «أما إني أسأل الله أن يسلط عليك كلبه، فلذلك (أكله الأسد) في الليل مع شدّة تحفظه (بالزرقاء) موضع في طريق الشام[١٨٤]، روي أن القوم لما نزلوا بالزرقاء

---

(١٨٣) رواه البخاري: (٩٣٢ و ٩٣٣ و ١٠١٤ و ١٠١٥ و ١٠١٦ و ١٠١٧ و ١٠١٨ و ١٠١٩ و ١٠٢١ و ١٠٢٩ و ١٠٣٣ و ٣٥٨٢ و ٦٠٩٣ و ٦٣٤٢) ومسلم: (٨٩٧).

١٨٤) رواه الطبراني في الكبير (ج٢٢ رقم١٠٦٠) مرسلاً وفيه زهير بن العلاء وهو ضعيف.

طاف بهم الأسد ليلاً، فجعل عتيبة يقول: يا ويل أمي هو والله آكلي كما دعا عليَّ محمد ﷺ، فأقبل الأسد يتخطى القوم إلى أن أخذ برأس عتيبة فقتله.

وإذ دَعَا إليـهِ تلك السَّمُـرة فشهـدت بصدقـه مُبتـدِرَة

(و) اذكر (إذ دعا) ﷺ (إليه) أي أمر بالمجيء إليه (تلك السمرة) السمر بضم الميم شجر عظام نوع من الطلح واحدتها سمرة (فشهدت بصدقه) أي النبي ﷺ فيما دعا الناس إليه من التوحيد حالة كون تلك السمرة (مبتدرة) أي مستعجلة في الشهادة.

عن ابن عمر رضي الله عنهما قال: كنا مع النبي ﷺ في سفر فأقبل أعرابيٌّ فلما دنا منه قال له رسول الله ﷺ: «أين تريد؟» قال: إلى أهلي، قال: «هل لك إلى خير؟» قال: وما هو؟ قال: «تشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأن محمداً عبده ورسوله»، قال: هل لك من شاهد على ما تقول؟ قال رسول الله ﷺ «هذه الشجرة السمرة» فدعاها ﷺ، وهي على شاطىء الوادي فأقبلت تخد الأرض أي تشقها، فقامت بين يديه فشهدت ثلاثاً ثم رجعت إلى منبتها؛ الحديث، أخرجه الحاكم بإسناد جبير ورواه الدارمي أيضاً بنحوه (١٨٥) وعن بريدة سأل أعرابي رسول الله ﷺ آية فقال له: قل لتلك الشجرة رسول الله يدعوكِ قال فمالت الشجرة عن يمينها وشمالها وبين يديها وخلفها فتقطعت عروقها ثم جاءت تخد الأرض تجر عروقها مغبرةً حتى وقفت بين يديه ﷺ، فقالت السلام عليك يا رسول الله، قال الأعرابي: مرها فلترجع إلى منبتها، فرجعت فدلت عروقها في ذلك الموضع فاستقرت، فقال الأعرابي إيذن لي أن أسجد لك

(١٨٥) لم أره عند الحاكم وإنما رواه البيهقي في الدلائل (٦/١٤ - ١٥) عن الحاكم، ورواه أيضاً أبو يعلى (٢/٢٦١) والبزار (٢٤١١ كشف الأستار) والطبراني في الكبير (١٣٥٨٢) والدارمي (١٦).

قال: لو أمرت أحداً أن يسجد لأحد لأمرتُ المرأة أن تسجد لزوجها رواه البزار (١٨٦).

وأمَـرَ العِـذقَ فَجـاء وقَـعَـد صدقـاً لـه وردَّه بعـد فـرُدْ
وأقَرَ اثنتين مـن بين الشجـر فـاجتَمَعـا وافترقـا كما أمـر

(وأمر) ﷺ (العذق) بكسر العين وسكون المعجمة و النخلة، وهو بمنزلة العنقود من العنب (فجاء) نازلاً من العلو (وقعد) عنده ﷺ (صدقاً) أي لأجل حصول الصدق أو تصديقاً (له) ﷺ (وردَّهُ) أي أمره بالردّ (بعد) أي بعد تصديقه (فردَّ) بالبناء للمفعول وتخفيف الدال للوزن أي فعاد إلى مكانه.

عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: قال أعرابيٌّ لرسول الله ﷺ بم أعرف أنك رسول الله؟ قال: «إن دعوت هذا العذق من هذه النخلة أتشهد أني رسول الله [أتصدقني؟]» قال: نعم، فدعاه ﷺ، فنزل من النخلة حتى سقط إلى النبي ﷺ قال: «ارجع فعاد» فأسلم الأعرابي رواه الترمذي وصحّحه [الحاكم] (١٨٧).

(وأمر) ﷺ (اثنتين من بين الشجر) أن تلتئما لقضاء الحاجة خلفهما (فاجتمعا وافترقا) الظاهر فاجتمعتا وافترقتا كما لا يخفى، وحذف التاء إما للوزن كما سبق نظيره غير مرة أو لتأويل الشجرتين بالشجرين، وفي حديث جابر: سرنا مع رسول الله ﷺ حتى نزلنا وادياً أفيح، فذهب [رسول الله] ﷺ يقضي حاجته، فاتبعته بإداوة من ماء فنظر [رسول الله] ﷺ فلم ير شيئاً

(١٨٦) رواه البزار (٢٤٠٩ كشف الأستار) لكن لفظه يختلف عن هذا اللفظ كثيراً.
(١٨٧) رواه الترمذي (٣٦٣٢) والطبراني في الكبير (١٢٦٢٢) والحاكم (٢/٦٢٠) وصححه على شرط مسلم ووافقه الذهبي. ورواه أحمد (١/٢٢٣) والبيهقي في الدلائل (٦/١٥ - ١٦) ولكن ليس عندهم «أتصدقني» وهذه الكلمة في نسخة القاضي فقط.

يستتر به، فإذا شجرتان في شاطىء الوادي فانطلق رسول الله ﷺ إلى إحداهما فأخذ بغصن من أغصانها، فقال: «انقادي عليَّ بإذن الله تعالى» فانقادت معه كالبعير المخشوش الذي يصانع به قائده، ثم فعل بالأخرى كذلك، حتى إذا كان بالمَنْصَفِ بينهما مما بينهما قال: «التئما عليّ بإذن الله تعالىٰ» فالتأمتا، الحديث رواه مسلم(١٨٨) وفي رواية قال: يا جابر قل لهذه الشجرة يقول لكِ رسول الله ﷺ الحقي بصاحبتك حتى أجلس خلفكما ففعلت فرجعت حتى لحقت بصاحبتها فجلس خلفها، ثم افترقتا الحديث(١٨٩) وذلك الاجتماع والافتراق (كما أمر) ﷺ وروي بطرق أخر هذه القصة.

وأمـر النخلات فـاجتمعنـا	حتىٰ قضىٰ حـاجتـه فعـدنـا
ونـام في يـوم فجـاءت شجـرة	في الأرض قامت عنده فذكـرت
مـن مـا استيقـظ قـال تلكـم	شجـرة استـأذنـت تسلـم
وسلمـت أيضـاً عليـه الشجـرة	ليـالي البعـث كـذاك الحجـر

(وأمَرَ) ﷺ أنس بن مالك أن ينطلق (إلى النخلات) المتقاربة فيقول لهنّ: أمركنّ رسول الله ﷺ (أن تجتمعنا) [فاجتمعنا] بألف الإطلاق (حتى قضىٰ) ﷺ (حاجته) ثم أمره أن يأمرهن بالعود إلى أماكنهن (فعدنا) بألف الإطلاق أيضاً، وفي الشفاء نحو من هذا لكن مع أسامة بن زيد.

(ونام) ﷺ (في يوم فجاءت شجرة) بالوقف بتاء التأنيث على لغة قليلة، وتلك الشجرة قيل: طلحة وقيل: سمرة (في الأرض) أي تشق الأرض حتى (قامت عنده) وغشيته ثم رجعت إلى مكانها (فذكرت) أي القصة له ﷺ (من

---

(١٨٨) رواه مسلم (٣٠١٢) مطولاً.

(١٨٩) رواه البيهقي في الدلائل (٦/١٨ - ١٩).

بعدما) مصدرية (استيقظ) من النوم (قال) ﷺ (تلكم) أي الشجرة التي ذكرتم أمرها (شجرة استأذنت) ربها في أن (تسلم) عليّ فأذن لها، الحديث رواه البغوي في شرح السنة[١٩٠] (وسلّمت أيضاً عليه) ﷺ (الشجر، ليالي البعث) والوحي إليه تصديقاً له (كذاك الحجر) سلمت عليه.

أخرج البزار وأبو نعيم من حديث عائشة رضي الله عنها قالت: قال رسول الله ﷺ: لما أوحي إليّ جعلت لا أمرّ بحجر ولا شجر إلاّ قال: السلام عليك يا رسول الله[١٩١].

وعن عليّ كرم الله وجهه: كنت مع النبي ﷺ بمكّة فخرجنا في بعض نواحيها فما استقبله جبل ولا شجر إلاّ وهو يقول: السلام عليك يا رسول الله[١٩٢] وكذلك ورد تسليم الجمادات وسجودها له قبل البعث.

واذكر سواد بن قارب مع قصته ... وشهد الضب على نبوته
والجذع مـــنّ نحوه وسبحـــا ... في كفه الحصا كما قد صحّحا

(و) اذكر معجزة له ﷺ (سواد بن قارب في) أي مع (قِصَّتِهِ) العجيبة، وحاصلها أنّه تكرر في النوم عليه نداء الهاتف يأمره بالإسراع إلى النبي ﷺ والإيمان به ففعل[١٩٣]. (وشهد الضب) وهو دويبة معروفة (على نبوته) وحديثه مشهور على الألسنة، قال المازني: لا يصح إسناداً ولا متناً وهو: أن أعرابياً اصطاد ضباً، فلما رأىٰ النبي ﷺ طرحه بين يديه وقال: لا أؤمن بك حتى يؤمن هذا الضب، فقال له: «يا ضب» قال: لبيك وسعديك، قال: «مَن تعبد؟»

(١٩٠) رواه البغوي في شرح السنة (٣٧١٨) والإمام أحمد (١٧٣/٤).
(١٩١) رواه البزار (٢٣٧٣ كشف الأستار).
(١٩٢) رواه أبو نعيم في الدلائل (ص ٣٣١ - ٣٣٢).
(١٩٣) رواه الطبراني في الكبير (٦٤٧٥ و ٦٤٧٦) وانظر تعليقنا عليه.

قال: الذي في السماء عرشه وفي الأرض سلطانه إلىٰ آخر ما قال، ثم قال له: «من أنا؟» قال: أنت رسول ربّ العالمين وخاتم النبيين، فأسلم الأعرابي، الحديث بطوله قيل: وهو موضوع، ورُدّ بأن غايته أنه ضعيف لا موضوع، وفي معجزاته ما هو أكبر منه (194).

(والجذع) بالذال المعجمة واحد جذوع النخل (حَنَّ) أي صوت وفَعَلَ فِعْلَ المشتاق المفارق عن حبيبه وانعطف (نحوه) ﷺ ومال إلى جهته، اعلم أن حنين الجذع ورد عن جماعة من أكابر الصحابة بطرق كثيرة تفيد التواتر أي المعنوي والقطع بوقوعه كما قاله التاج السبكي في شرح المختصر وسبقه إلى ذلك القاضي عياض، وحاصل قصته:

أن ﷺ كان يخطب مستنداً ظهره إلىٰ جذع نخلة من الجذوع المسقوف عليها المسجد، فلمّا وضع [له] المنبر تخطى الجذع يوم جمعة ليخطب على المنبر حتىٰ يبلغ صوته الناس لكثرتهم، فصاح الجذع حتىٰ سمعه جميع من في المسجد، وفي رواية: أنه خار كخوار الثور حتىٰ ارتج المسجد، وفي أخرىٰ حنّ حنين الناقة إلى ولدها فنزل النبي ﷺ وضمّه إليه رحمةً له حتىٰ سكن، وفي رواية: إن هذا بكىٰ لِما فقد عنده من الذكر عنده، وفي أخرىٰ: «والذي نفسي بيده لو لم ألتزمه لم يزل يصوت هكذا إلى يوم القيامة» (195) تحزناً على رسول الله ﷺ، وهذا من أكبر المعجزات، وفي رواية الدارمي: أنه ﷺ خيّره بين أن يعيده إلى مغرسه الذي كان فيه، فيثمر كما كان، وبين أن يغرسه في الجنّة يأكل أولياء الله تعالىٰ منه، ثم أصغى إليه فقال: بل تغرسني في الجنة، فقال ﷺ: «اختار دار البقاء على دار الفناء» وأمر به فدُفِن (196) وكان الحسن إذا حدث بحديث الجذع بكىٰ

---

(194) رواه الطبراني في الصغير (948) والأوسط والبيهقي في الدلائل (6/36 - 38) وانظر تعليقنا على «فوائد في الكلام على حديث الغمامة» لابن القيم.

(195) انظر المعتبر للزركشي وتعليقنا عليه (ص114 - 116).

(196) لم أر هذا عند الدارمي ولا غيره.

ويقول: يا عباد الله الخشبة تحنّ إلى رسول الله ﷺ، فأنتم أحق أن تشتاقوا إليه، ولله درّ القائل في قصيدته:

وفارق جذعاً كان يخطب عنده | فأنّ أنين الأمّ إذ تجد الفقدا
يحنّ إليه الجذع يا قوم هكذا | أما نحن أولىٰ أن نحنّ له وجدا
إذا كان جذع لم يُطِق بعد ساعة | فليس وفاءً أن نطيق له بعدا

(وسبحا) بألف الإطلاق (في كفه) ﷺ (الحصا) حتىٰ سمع له حنين كحنين النخل، ففي حديث أبي ذرّ قال: تناول النبي ﷺ سبع حصيات فسبحن في يده حتى أسمع له حنين، ثم وضعهن في كفّ أبي بكر فسبحن، ثم في يد عمر فسبحن، ثم في يد عثمان فسبحن أخرجه البزار والطبراني في الأوسط(١٩٧) وفي رواية الطبراني: فسمع تسبيحهن من في الحلقة، ثم دفعهن إلينا فلم يسبحن مع أحد منا وحديث تسبيح الحصا رواه جماعة وهو مشهور لكن في سنده ضعف كما قال القسطلاني وغيره. فقوله (كما قد صحا) ينافيه، ولعله أراد بصحته الشهرة، أو أراد الصحة اللغوية لا عند المحدثين أو اطّلع على من يصححه.

كذا الطعام وشكىٰ البعير | إليه والآخر إذ يسير
والآحزان سجدا وصححا | تبادر البدن له أن تدبحا

(كذا) سبح (الطعام) في كفه روى البخاري من حديث ابن مسعود: كنا نأكل مع النبي ﷺ الطعام ونحن نسمع تسبيح الطعام(١٩٨).

---

(١٩٧) رواه البزار (٢٤١٣ و٢٤١٤ كشف الأستار) والطبراني في الأوسط (١٢٦٦) وانظر تعليقنا على المعتبر (ص١١١ - ١١٣) للزركشي.
(١٩٨) رواه البخاري (٣٥٧٩).

(وشكىٰ البعير: إليه) ﷺ قلة العلف وكثرة العمل، وفي حديث صحيح رواه أبو داود وغيره أنه ﷺ دخل حائط رجل من الأنصار، فرآه جمل فحنّ إليه وزَرِقَت عيناه فمسح قريب رأسه من قفاه، ثم قال لصاحبه: «ألا تتقي الله في هذه البهيمة التي ملّكك الله إياها فإنه شكىٰ إليّ أنك تجيعه وتُدْئبُهُ»[١٩٩] أي تتعبه في العمل (و) شكىٰ البعير (الآخر) إليه أيضاً قلة العلف وكثرة العمل (إذ يسير) النبي ﷺ إلىٰ حاجته، عن يعلى بن مرّة الثقفي: بينا نحن نسير مع النبي ﷺ إذ مررنا ببعير يُسنىٰ عليه أي يُسقىٰ عليه، فلما رآه البعير جَرْجَرَ فوضع جرانه فوقف النبي ﷺ فقال: «أين صاحب هذا البعير؟» فجاءه فقال: «إنه شكىٰ كثرة العمل وقلّة العلف فأحسنوا إليه» رواه البغوي في شرح السنة[٢٠٠] (و) البعيران (الآخران سجدا) له ﷺ تعظيماً وتصديقاً ففي حديث أحمد والنسائي: أنّ جماعةً من الأنصار شكوا إليه ﷺ جملهم وأنه امتنع من العمل حتىٰ عطش النخل والزرع، فقال لأصحابه: «قوموا» فقاموا ودخل ﷺ الحائط أي البستان فمشىٰ إلى الجمل فقالوا: يا رسول الله إنه صار كالكلب الكلِب نخاف عليك صولته، فقال: «ليس عليّ منه بأس» فلمّا نظر الجمل إليه أقبل نحوه حتّى خرَّ ساجداً بين يديه، فأخذ بناصيته أذلّ ما كان قط حتىٰ أدخله في العمل[٢٠١] وعن أبي هريرة رضي الله عنه: دخل النبي ﷺ حائطاً فجاء بعير فسجد له، وروى مثله جابر ويعلىٰ بن مرة وغيرهما كما في الشفاء[٢٠٢].

(وصُحّحا) بالبناء للمفعول أي وصح الحديث الذي فيه (تبادر البُدن) بضم فسكون جمع بَدَنَة بفتحتين (له) ﷺ (أن) أي لأن (تذبحا) بالبناء للمفعول

---

(١٩٩) رواه أحمد (١٧٤٥ و١٧٥٤) وأبو داود (٢٥٤٩) ورواه مسلم (٣٤٢ و٢٤٢٩) وابن ماجه (٣٤٠) مختصراً جداً.

(٢٠٠) رواه البغوي في شرح السنة (٣٧١٨).

(٢٠١) رواه أحمد (١٥٨/٣ - ١٥٩) قال ابن كثير في الشمائل (ص٢٥٩) وهذا إسناد جيد.

(٢٠٢) انظر الشمائل (ص٢٥٨ - ٢٧٣) لابن كثير.

وبألف الإطلاق، عن عبدالله بن قرظ: قرب إلى النبي ﷺ بدنات خمس أو ست أو سبع لينحرها يوم عيد فَازدَلَفنَ إليه بِأيهنّ يبدأ (٢٠٣).

وسألته الظبية رفع الأذىٰ كما أخبرته الشاة بالسم إذا

(وسألته) ﷺ (ظبية رفع الأذىٰ) بأن يخلصها من الوثاق لترضع ولدها وتعود، ففي حديث أم سلمة كان النبي ﷺ في صحراء فنادته ظبية: يا رسول الله، قال: ما حاجتك؟ قالت صادني هذا الأعرابي ولي خشفان في هذا الجبل فأطلقني من الوثاق حتى أذهب فأرضعهما وأرجع، قال: وتفعلين؟ قالت عذّبني الله عذاب العشار أي المكّاس إن لم أعد فأطلقها فذهبت ورجعت فأوثقها فانتبه الأعرابي وقال: يا رسول الله: ألك حاجة؟ قال: تطلق هذه الظبية فأطلقها فخرجت تعدو في الصحراء وتقول: أشهد أن لا إلّه إلا الله وأنك رسول الله وطرق هذا الحديث وإن كانت ضعيفة لكن يقوي بعضها بعضاً، بل بالغ بعض فزعم صحته وقول ابن كثير إنه موضوع، ردّوه، وقد صح أن الذئب أخبر بنبوته كما جاء بطرق، وفي حديث ضعيف أن الغنم سجدت له، ونظائر ذلك كثيرة وبعضها مذكورة في الشفاء (٢٠٤).

(و) من معجزاته نطق الجمادات معه كما (أخبرته الشاة) المصلية المسمومة (بالسم) بتليث السين والفتح أفصح أي أخبرته بأن فيها سمّاً قاتلاً لوقته (إذا) أي حين سمّتها زينب بنت الحارث اليهودية امرأة سلام بن مِشكم بمشاورة اليهود، فأجمعوا على هذا السم بعينه، وأكثرت في الذراع والكتف لما قيل لها: إنه

---

(٢٠٣) رواه أحمد (٣٥٠/٤) وأبو داود (١٧٦٥) والنسائي في الكبرى.

(٢٠٤) رواه البيهقي في الدلائل (٣٤/٦) وانظر تعليقنا على المعتبر (ص١١٦ - ١١٧) للزركشي.

ﷺ يحب الذراع، عن أبي هريرة رضي الله عنه: أن يهودية أهدت للنبي ﷺ بخيبر شاة مصلية سمتها، فأكل رسول الله ﷺ منها، وأكل القوم فقال ارفعوا أيديكم فإنها أخبرتني أنها مسمومة فمات بشر بن البراء، وقال لليهودية: ما حملك على ما صنعت؟ قالت: إن كنت نبياً لم يضرك الذي صنعت، وإن كنت ملكاً أرحت الناس منك قال: فأمر بها فقتلت (٢٠٥) وفي روايةٍ عن أبي هريرة رضي الله عنه فأعرض [فما عرض] ﷺ لها (٢٠٦) وفي رواية جابر ولم يعاقبها (٢٠٧).

وقال ابن إسحاق: تجاوز عنها، وأجاب السهيلي تبعاً للبيهقي [للبلقيني]: إنه تركها أولاً لإسلامها، فلما مات بشر تحقق وجوب القصاص عليها فقتلت، وقيل: قتلها بنقض [بنقضها] العهد بما فعلته، وفي رواية: أخبرتني بالسم هذه الذراع، وحديث الشاة المسمومة مشهورة ورد برواياتٍ. (و) من معجزاته الباهرة ما أطلعه الله عليه من الغيوب والأحاديث في هذا الباب بحر لا يعرف [لا يدرك] قعره، ومحل بسط بعضها كتب دلائل النبوة، وفي الشفاء وغيره نبذة يسيرة منها.

وعن مصارع العدو أخبرا   في يوم بدر فكما قال جرىٰ
وإن من من أمته يغزون في   بحر ومنهم بنت ملحان تفي

(فمنها) أنه ﷺ (عن مصارع العدو) أي من المشركين أي أماكن هلاكهم، جمع مصرع، وهو موضع الطرح والهلاك «أخبرا في يوم بدر» حيث قال فيه: لكأني أنظر إلى مصارع القوم» ثم عيَّن، فقال: «هذا مصرع فلان»

(٢٠٥) رواه أبو داود (٤٥١٢).
(٢٠٦) رواه أبو داود (٤٥٠٩).
(٢٠٧) رواه أبو داود (٤٥١٠).

ويضع يده على الأرض هاهنا وهاهنا [٢٠٨] (فكما قال وأخبر جرى) بعد ذلك ولم يتجاوز أحد منهم مكانه (و) أخبر أن طائفة (من) أُمَّتِهِ يغزون في بحر) بركوب السفن (و) أن (منهم) أي من تلك الطائفة أم حزام ويقال أم سليم (بنت ملحان تفي) أي تموت من وفي مخففاً أي تمَّ فكان كذلك في خلافة معاوية رضي الله عنه جزيرة قبرس [قبرص] كما سيأتي [٢٠٩].

وإن عثمان تصيبه بَلا ... فجا كما قال وفيه قُتِلا
كذاك في ليلة قتل العنسي ... وبالذي يقتله إنس

(و) أخبر (أن عثمان) رضي الله عنه (تصيبه بلا) بالقصر للوزن، أي فتنة يقتل فيها ظلماً (فجا) قصر للوزن (كما قال) ﷺ (وفيه) أي في ذلك البلاء في أيام خلافته (قتلا) كما سيجيء (كذاك) أخبر ﷺ في (ليلة) بالإضافة (قتل) الأسود الكذاب على الله تعالى بدعوى النبوة عبهلة بن كعب العنسي بسكون النون وتخفيف الياء نسبة إلى عنس قبيلة باليمن بقتله في تلك الليلة (و) أخبر أيضاً (بالذي يقتله) أي بالذي قتل العنسي (من إنس) بكسر فسكون بيان الذي احتراز عن نحو الجن والملك وذلك القاتل من الإنس هو فيروز الديلمي، عن ابن عمر رضي الله عنهما أتى الخبر إلى النبي ﷺ من السماء في الليلة التي قتل فيها الأسود العنسي [٢١٠]، فخرج ﷺ قبل موته بيوم، فأخبر الناس

---

(٢٠٨) رواه مسلم (١٧٧٩) وأبو داود (٢٦٨١).

(٢٠٩) رواه البخاري (٢٧٨٨ و٢٧٨٩ و٢٧٩٩ و٢٨٠٠ و٢٨٧٧ و٢٨٧٨ و٢٨٩٤ و٢٨٩٥ و٢٩٢٤ و٦٢٨٢ و٦٢٨٣ و٧٠٠١ و٧٠٠٢) ومسلم (١٩١٢) وأبو داود ٢٤٩٠ و٢٤٩١ و٢٤٩٢) والترمذي (١٦٤٥) والنسائي (٦/٤٠ - ٤١) وأم حرام هي أخت أم سليم.

(٢١٠) رواه البخاري (٣٦٧٤ و٣٦٩٣ و٣٦٩٥ و٦٢!٦ و٧٠٩٧ و٧٢٦٢) ومسلم (٢٤٠٣) والترمذي (٣٧١١) من حديث أبي موسى.

بذلك فقال: « قتل الأسود البارحة قتله رجل مبارك » قيل: ومن هو؟ قال ﷺ: « هو فيروز، فاز فيروز » فبشر ﷺ بقتل الأسود وقبض من الغد [٢١١].

فأتى خبر مقتله المدينة في خلافة أبي بكر رضي الله عنه، وقد كان أسود العنسي ومسيلمة الكذاب يضلان أهل بلدهما خفيةً؟ فلما سمع بمرض موته ﷺ ظهر أمرهما، روىٰ ابن عباس رضي الله عنهما.. أنه ﷺ خرج عاصباً رأسه من الصداع، وقال: « إني رأيت البارحة فيما يرىٰ النائم أن في عضدي سوارين من الذهب فكرهتهما فطارا فوقع أحدهما باليمامة والآخر باليمن » فقيل: وما أولتهما؟ قال: « أولتهما هذين الكذابين صاحب اليمامة وصاحب اليمن » [٢١٢] أي مسيلمة والأسود العنسي، ومن أمر الأسود: أنه كان كاهناً مشعبذاً يُري الناس الأعاجيب وكان حلو الكلام يفتتن الناس به، ولقبوه بذي الخمار بالخاء المعجمة لتغطية وجهه بخمار، وقال الكرماني: لأن النساء يجعلن روثه في خمارهن تبركاً، وقيل بالحاء المهملة لأنه كان له حمار إذا قال له: قف وقف، وكان يزعم أن ملكين يكلمانه، قيل: كان له شيطانان: سحيق وشهيق يخبرانه بالحوادث بين الناس، وأطاعه بنو الحارث من أهل نجران وناس من عَنْسٍ وبني مذحج، ومكنوه في بلادهم وارتدوا عن الإسلام، فلما مات باذان الفارسي عامل رسول الله ﷺ بصنعاء استولى الأسود عليها وغلب على اليمن، وخرج معاذ بن جبل هارباً حتى مرّ بأبي موسى الأشعري وهو بمأرب بلاد الأزد، فاقتحما حضر موت، ورجع عمر بن خالد إلى المدينة، فغلب أمر الأسود واستطار استطارة الحريق، فتزوج المرزبانة امرأة باذان الفارسي، وكانت من عظماء فارس فقسرها على ذلك فأبغضته أشدّ البغض، وكانت بنت عم فيروز الديلمي، فكتب ﷺ إلى معاذ ومن معه من المسلمين وأمرهم بحثّ الناس على التمسك بدينهم، وإلى النهوض إلى حرب الأسود، إما غيلة وَإما مصادمة، فاستمدّوا بمن حولهم من

---

(٢١١) انظر الإصابة (٥/٣٨١) ترجمة فيروز الديلمي.

(٢١٢) رواه البخاري (٤٣٧٩) وفي أماكن أخرى.

حمير وهمدان، فدخلوا على زوجته، فقالوا: هذا قتل أباكِ وزوجكِ، فما عندك؟ قالت: هو أبغض خلق الله إليّ وهو مجرّد والحرّس محيطون بقصره إلاّ هذا البيت فانقبوه عليه، فدخل فيروز الديلمي ورجل آخر فقتله فيروز، فخار كأشدّ خوار ثور، فابتدر الحرّس إلى الباب فقالوا: ما هذا؟ فقالت المرأة: النبي يوحى إليه فإليكم عنه، وقد كان يجيئه شيطانه فيوسوس إليه فيغطّ فيعمل بما قال، فلما طلع الفجر نادى المسلمون بالأذان، وقالوا فيه: أشهد أن محمداً رسول الله وأن عبهلة كذّاب، وأغاروا وتراجع أصحابه ﷺ إلى أعمالهم، وكتبوا بالخبر إلى النبي ﷺ فسبقه الوحي إليه.

وأخبر النبي بـــالشهـــادة	جماعة فـرُزقـوا الشهـادة
كثابت وعمـــر بـــالنـــص	فعندما بلغه عـن شخص
بـــأنـــه ارتـــد ومـــات إن	الأرض لا تقبلـه فما دفـــن
إلا وألقتـــه وقـــال وقتـــا	لآكـل الشمال لا استطعتـا

(وأخبر النبي) ﷺ (بالشهادة) أي بقتلهم في سبيل الله (جماعة) من الصحابة (فرزقوا السعادة) الأخروية (كثابت) بن قيس بن شمّاس الأنصاري قال له: «تعيش حميداً وتقتل شهيداً» رواه الحاكم وصححه البيهقي(٢١٣) فقتل يوم اليمامة (وعمر) بن الخطاب وعثمان وعليّ وغيرهم رضي الله عنهم، وروى البخاري: أنه ﷺ كان على أُحُد ومعه أبو بكر وعمر وعثمان، فرجف بهم فضربه ﷺ برجله وقال: «أُثبتْ أُحُد فإنما عليك نبي وصديق وشهيدان»(٢١٤).

(٢١٣) رواه الحاكم (٣/٢٣٤) وصححه على شرط الشيخين ووافقه الذهبي، والبيهقي في دلائل النبوّة (٦/٣٥٦) وفي نسخة القاضي وصحّحه البلقيني.

(٢١٤) رواه البخاري (٣٦٧٥ و ٣٦٨٦ و ٣٦٩٩).

وروي: أنه ﷺ كان على حراء هو وأبو بكر وعثمان وطلحة وعلي والزبير، فتحركت الصخرة فقال ﷺ: «اسكن حراء فما عليك إلا نبي أو صديق أو شهيد» وغير ذلك من الأحاديث فيهم، وأخبر أيضاً بقتل عمار بن ياسر وبقتل الحسين، وأمراء غزوة مؤتة وغيرهم وكذا أخبر بوقعة الجمل وصفين، وقتال عائشة والزبير لعليّ، وبأن معاوية يلي أمر أمته وغير ذلك مما يطول ذكره واشتهر في الأحاديث أمره وذلك (الأخبار بالنص) في الأحاديث (فعندما) مصدرية (بلغه) ﷺ (عن شخص) أي رجل (بأنه) الباء زائدة (ارتدّ) ولحق بالمشركين (ومات) بعد ذلك قال ﷺ (إن، الأرض لا تقبله) بأن يدفن فيها (فما دُفِن) ذلك المرتد (إلاّ وألقته) أي الأرض إلى ظاهرها ولم تقبله.

وفي الشفاء دعا ﷺ على مُحَلِّم بن جثامة فمات لسبع فلفظته الأرض، ثم وروي أي دفن فلفظته مرات فألقوه بين صدّين ورضموا عليه بالحجارة[٢١٥] (وقال) ﷺ (وقتا) أي في وقت (لآكل الشمال) أي لرجل اسمه بسر يأكل بشماله: كل بيمينك فقال كذباً: لا أستطيع، فقال له: «لا استطعتا» دعا عليه.

فما استطاع بعدها رفع يده	ولا يمدّها لنحو جسده
ودخل البيت الحرام عاما	الفتح لما أن رأى الأصناما
ومعه ذاك القضيب وهوا	إذا أشار نحو واحد هوا
والصخرة التي عصت بالخندق	على المعاول فلم تنفلق
فعندما ضربها النبيّ	صارت كثيباً كل ذا مرئي

(فما استطاع)[٢١٦] ذلك الرجل (بعدها) أي بعد الدعوة عليه (رفع يده)

(٢١٥) انظر الإصابة (٥/٧٨٦).
(٢١٦) رواه مسلم (٢٠٢١).

إلى فيه (ولا يمدها) أي اليد (لنحو) سائر (جسده) وقال أيضاً لامرأة: أكلك الأسد فأكلها، ودعا على كسرى بتمزيق ملكه فلم تبق له باقية، ولا بقيت لفارس رياسة في أقطار الدنيا، ودعا على مضر فأُقحطوا حتى استعطفته قريش فدعا لهم فسقوا وغير ذلك، ودخل ﷺ (البيت الحرام) أي الكعبة (عاما) بألف الإطلاق (الفتح) أي فتح مكة، وهو مضاف إليه لعام وجعل ألفه للقطع ضرورة (لما أن رأىٰ الأصناما) المعلقة بالكعبة وهو ﷺ في الطواف، معلقةً بالكعبة وكانت ثلثمائة وستين صنماً مثبتة بالحديد والرصاص كما مرّ في غزوة الفتح (و) كان (معه) في يده (ذاك القُضَيّبُ) المعروف وهو العصا الممشوق أي الطويل كما مرّ (وهو) ﷺ (إذا أشار) بالقضيب كما في المختصر لابن سيد الناس (نحو واحد) من تلك الأصنام المعلقة حول الكعبة (هوا) أي سقط لوجهه مع شدة ثباته حتى تساقط كلها، وفي رواية ابن عباس: فجعل ﷺ يأتي صنماً صنماً ويطعن في عينه أو بطنه بمخصرته ويقول: جاء الحق وزهق الباطل، فينكبّ الصنم لوجه حتى ألقاها جميعاً، وفي رواية غيره صار يطعن الأصنام المثبتة بالحديد والرصاص بمحجنه الحديث(٢١٧).

(و) مما ظهر فيه باهر معجزاته (الصخرة التي عصت) وٱمتَنَعَت (بالخندق) حول المدينة يوم الأحزاب (على المعاول) متعلق بعصت جمع معول بوزن منبر وهو حديد ينقب بها الأحجار والجبال(٢١٨) (ولم تنفلق) أي لم تنشق (فعندما) مصدرية (ضربها النبي) ﷺ ضربةً [ضربتان] أو ثلاثاً (صارت كثيباً) أي تلاً من رمل (أهيل كلّ ذا) أي المذكور (مرئي) للناس.

ففي الصحيحين عن جابر كنا يوم الخندق نحفر فعرضت كدية وهو بضم فمهملة فتحتية قطعة صلبة، فجاؤا للنبي ﷺ، فقالوا: هذه كدية عرضت في

---

(٢١٧) انظر فتح الباري (١٦/٨ ـ ١٧) في شرح حديث ابن مسعود عند البخاري (٤٢٨٧).

(٢١٨) في نسختي ينقر بها الجبال.

الخندق، فقام وبطنه معصوب بحجر ولبثنا ثلاثة أيام لا نذوق ذواقاً، فأخذ ﷺ المعول فضربه فعاد كثيباً أهيل أو أهيم وهما بمعنى[٢١٩]، زاد الإمام أحمد والنسائي بإسناد حسن أن تلك الصخرة لا تعمل فيها المعاول، وأنه ﷺ قال: بسم الله وضربها ضربة فنشر ثلثها فقال: الله أكبر أعطيت مفاتيح الشام وإني والله لأبصر قصورها الحمر الساعة، ثم ضرب فقطع ثلثاً فقال: الله أكبر أعطيت مفاتيح فارس وإني والله لأبصر قصور المدائن البيض، ثم ضرب الثالثة فقال: بسم الله فقطع بقية الحجر فقال: الله أكبر أعطيت مفاتيح اليمن وإني والله لأبصر أبواب صنعاء من مكاني الساعة[٢٢٠].

ويوم بدر لعكاشة عجب ... انكسر السيف فأعطاه حطب
فصار سيفاً لم يكن كحده ... وبعد ذلك لم يزل من عنده

(و) روى ابن اسحاق أنه وقع (يوم بدر لعكاشة) بن محصن الأسدي وهو بضم العين وتخفيف الكاف ويجوز تشديدها لا هنا أي وقع في حقه يومئذ (عجب) أي فعل خارق معجزة له ﷺ وهو أنه (انكسر السيف) أي انقطع سيف عكاشة في القتال (فأعطاه) ﷺ جذلاً (من حطب) فقال له قاتل به فهزه (فصار) في يده (سيفاً) طويل القامة شديد المتن أبيض الحديدة فقاتل به حتى فتح الله على المسلمين (لم يكن كحده) أي لم يوجد حد سيف كحده وحد السيف بفتح الحاء شبابة أي حد طرفه وذلك السيف يسمى العون[٢٢١]. (وبعد ذاك) أي بعد بدر لم يزل السيف (من عنده) وشهد به المشاهد كلها معه ﷺ

---

(٢١٩) رواه البخاري (٤١٠١)

(٢٢٠) رواه أحمد (٣٠٣/٤) من حديث البراء بن عازب والنسائي (٤٣/٦ - ٤٤) عن رجل من أصحاب النبي.

(٢٢١) سيرة ابن هشام (٢٧٧/٢ - ٢٧٨).

واستشهد في قتال أهل الردة وهو عنده ودفع ﷺ يوم أُحد عسيب نخل لعبدالله ابن جحش، وقد ذهب سيفه فعاد في يده سيفاً كما في الشفا.

وإذ أتت امـرأة معهـا صبي — أقرع فاستولـت بـه يـد النبي
فنبـت الشعـر ولم يبـق أذىً — فسمعـت أهل اليامـة بـذا
فجـاءت أخرى بصبي آخـر — إلى مسيلمـة ذاك الفاجـر
وكان مثل ذاك أيضاً أقرعـا — فعنـد مسـه لـه تصلعـا
وورث الصلـع كـل نسلـه — فانظر لسر المصطفى وفضله

(و) اذكر (إذ أتته امرأة معها صبي) لها إليه ﷺ (أقرعُ) نعت صبي (فاستولت به) أي عليه (يد النبي) يعني مسح رأسه (فنبت الشعر) بفتح الشين على رأسه (ولم يبق) به ببركة يده ﷺ (أذىً فسمعت أهل اليامة) بلد مشهور باليمن فيها مسيلمة الكذّاب (بذا) أي بشفاء ذلك الصبي بمسحه ﷺ له (فجاءت) امرأة (أخرى بصبي آخر) بكسر الراء للوزن (إلى مسيلمة ذاك الفاجر) أي الكذّاب على الله تعالى بدعوى النبوّة (وكان) ذلك الصبي (مثل ذلك) الصبي الذي أتي به إلى النبي ﷺ (أيضاً) تأكيد (أقرعا، فعند مسّه) أي مسح مسيلمة (له) أي لرأس ذلك الصبي (تصلعا) أي انحسر ما بقي من شعر رأسه ليظهر شؤمه (وورث الصلع) بفتح اللام هو انحسار شعر مقدم الرأس وأراد به هنا جميع الرأس (كلٌّ) فاعل ورث (نسلِهِ) أي ذرية ذلك الصبي (فانظر لسرّ) النبي (المصطفى) ﷺ (وفضله) على الخلق بظهور الخوارق على وفق دعواه لصدقه، وانظر إلى افتضاح ذلك اللعين بظهور الخارق على ضد دعواه لكذبه على الله تعالى، ولما سمع اللعين أن النبي ﷺ مجّ في بئر فكثر ماؤها، وتفل في عين علي فبرىء، تفل اللعين في بئر فغار في الأرض ماؤها، وفي عين بصير فعمي، ومسح ضرع شاة حلوب فارتفع درّها ويبس ضرعها، وإلى

ذلك أشار العلامة القراطسي في قصيدته النبويّة يمدح بها النبي ﷺ ويذم مسيلمة الكذاب:

ومرّت البئر واغورّت بمجته [لمجته] فيها وأعمى بصير العين بالتفل
وأيبس الضرع منه شؤم راحته من بعد إرسال رسل منه منهمل

ووقع له ﷺ نظائر، مذكورة بعضها في الشفاء: **منها** أنه مسح صدر صبي لامرأة به جنون فبرىء [٢٢٢] **ومنها** أنه رُمِيَ كلثوم بن الحصين يوم أُحُد في نحره فبصق ﷺ فيه فبرىء [٢٢٣] **ومنها** أنه نفث في عيني فُدَيك وكانتا قد ابيضتا فعوفي، فكان يدخل الخيط في الإبرة وهو ابن ثمانين سنة [٢٢٤]

أليس من صاع شعير أطعما ألفاً وما زال الطعام أعظما

(أليس) استفهام إنكار (من صاع شعير) وشاة (أطعما) ﷺ (ألفاً)، فعن جابر رضي الله عنه قال: قلت لامرأتي في غزوة الخندق: هل عندك شيء فإني رأيت برسول الله ﷺ جوعاً شديداً، فأخرجت جراباً فيه صاع من شعير ولها بهيمة داجن أي شاة سمينة، فذبحتها أي أنا وطحنت أي زوجتي الشعير حتى جعلنا اللحم في البرمة، ثم جئته ﷺ وأخبرته الخبر سرّاً وقلت له تعال أنت ونفر معك، فصاح يا أهل الخندق إن جابراً صنع سوراً بسكون الواو بلا همزة أي

---

(٢٢٢) رواه أحمد (٢١٣٣ و٢٢٨٨ و٢٤١٨) والطبراني في الكبير (١٢٤٦٠) والدارمي (١٩) وفيه فرقد السبخي وهو ضعيف.

(٢٢٣) انظر ترجمة كلثوم هذا في الإصابة.

(٢٢٤) ومن طريق ابن أبي شيبة رواه الطبراني في الكبير (٣٥٤٦) والبيهقي في الدلائل (١٧٣/٦) وفيه من لم يعرفهم الحافظ الهيثمي.

طعاماً يدعو الناس إليه، واللفظة فارسية كما في النهاية، فحيهلا بكم أي هلمّوا مسرعين، فقال ﷺ: لا تنزلن برمتكم ولا تخبزن عجينكم حتىٰ أجيء، فجاء برجال، فأخرجت له عجيناً فبصق فيه وبارك، ثم عمد إلى برمتنا فبصق فيه وبارك، ثم قالت: ادعي خابزةً لتخبز معكِ واقدحي أي اغرفي من برمتك ولا تنزلوها، وهم ألف فأقسم بالله لأكلوا حتىٰ تركوه وانحرفوا وإن برمتنا لتغط أي تغلي ويُسمَع لها غطيطها كما هي، وإن عجيننا ليخبز كما هو، رواه البخاري ومسلم[٢٢٥] وبه يعلم أن قوله (ومازال الطعام أعظما) أي أكثر مما كان عليه كما في مختصر ابن سيد الناس، لا يوافق ما في الحديث من أن العجين والبرمة كما هي فتأمله.

والجيش قد أطعمهم من تمر قُلّ فَعَمَّ كلهم بالكُثر
واذكر لهم إذ فضل أزوادٍ جمع وعندما فرّقها على النطع

(والجيش) العظيم (قد أطعمهم) ﷺ (من تمر) في بعض غزواته (قُلّ) بضم القاف (فعمّ) [أي] قليل [فعم] ذلك التمر ببركة دعائه (كلهم بالكثر) بضم فسكون بمعنى الكثرة أي بسبب كثرته، ففي الشفاء قال أبو هريرة أصاب الناس مخمصة فقال لي رسول الله ﷺ: «هل من شيء؟» قلت نعم شيء من التمر في المِزوَد، قال: «فائتني به» فأدخل يده فأخرج قبضةً فبسطها ودعا بالبركة، ثم قال: «ادعو عشرةً» فأكلوا حتى شبعوا، ثم عشرةً كذلك حتى أطعم الجيش كلهم وشبعوا، قال: «خذ ما جئت به، وأدخل يدك واقبض منه ولا تكبّه» فقبضت على أكثر مما جئت به فأكلت منه، وأطعمت أي غيري حياةَ رسول الله ﷺ وأبي بكر وعمر إلى [أن] قتل عثمان، فانتُهبَ مني فذهب،

---

(٢٢٥) رواه البخاري (٣٠٧٠ و ٤١٠١ و ٤١٠٢) ومسلم (٢٠٣٩).

وفي رواية: فقد حملت من ذلك التمر خمسين وسقاً في سبيل الله تعالىٰ، وفي رواية: إن التمر كان بضع عشرة تمرة، وذلك في غزة تبوك.

(و) اذكر معجزةً له ﷺ (لهم) متعلق بجمع بعده (إذ فضل الأزواد) جمع زاد أي ما فضل من أزوادهم في أوعيتهم (جمع) ﷺ في غزوة تبوك (وعندما) مصدرية (فرّقها) أي فضلات أزوادهم للقوم على (النطع) فيه لغات أفصحها كسر النون وفتح الطاء، وهو بساط من أدم، فعن أبي هريرة رضي الله عنه قال:

أصاب الناس في غزوة تبوك مجاعة، فقال عمر: يا رسول الله ادعهم بفضل أزوادهم، ثم ادع الله لهم عليها بالبركة، فقال: نعم، فدعا بنطع، فبُسِط ثم دعا بفضل أزوادهم فجعل الرجل يجيء بكفّ ذرة، والآخر بكسرة حتىٰ اجتمع شيء يسير، ثم دعا ﷺ بالبركة، ثم قال: خذوا في أوعيتكم فأخذوا في أوعيتهم حتىٰ ما تركوا في العسكر وعاءً إلاّ ملأوه، قال: فأكلوا حتى شبعوا وفضلت فضلة، فقال رسول الله ﷺ: أشهد أن لا إلٰه إلاّ الله وأني رسول الله لا يلقىٰ الله بهما عبد غير شاك فحجز عن الجنّة، رواه مسلم(٢٢٦).

وإذ أتىٰ أبو هـريـر في غَـدِه ... بتمـرات صفهـن في يَـدِه
قـال ادع لي في هـذه بـالبركـة ... فعنـدمـا دعـىٰ النبي تـركـه
بمـزودٍ لـه وبعـد قـال قـد ... أخرجت منه طول عمري ما نفد
واذكـر مضيفـه لأهـل الصفـة ... وجمعـه الثريـد وسـط القصعـة

(و) اذكر (إذ أتىٰ أبو هـريـر) بحذف التاء للوزن، كنّاه ﷺ بأبي هريرة واسمه عبدالرحمٰن على الأصح من نحو ثلثين قولاً (في غده) أي في بكرة يومه إلى النبي ﷺ (بتمرات) قليلة (صفهن في يده) وظاهره أن هذه القصة غير

(٢٢٦) هو عند مسلم (٢٧) وانظر دلائل النبوّة (٦/١٠٩ - ١١١) للبيهقي.

قصة إطعام الجيش من التمر اليسير، وبه يشعر ما في مختصر ابن سيد الناس، وظاهر ما مرّ عن الشفاء أنهما واحدة، وأن تلك التمرات هي التي بقيت من طعام الجيش، ثم طلب أبو هريرة منه ﷺ أن يدعو فيها بالبركة، وبه صرّح العراقي في ألفيته (قال) أبو هريرة يا رسول الله (أدع لي في هذه بالبركة فعندما دعى النبي) ﷺ بالبركة فيها (تركه) أي أبو هريرة ذلك التمر (بمزود) أي فيه وهو بكسر الميم وسكون الزاء وعاء الزاد (له) نعت (وبعد قال قد، أخرجت منه) أي من التمر الذي في المزود للطعام والإطعام (طول عمري) أي في مدة حياتي إلى الآن (ما نفد) بكسر الفاء أي ما فقد [٢٢٧].

(واذكر مضيفه) مصدر ميمي أي ضيافته ﷺ (لأهل الصفة) بضم الصاد وتشديد الفاء، وهم كما في النهاية فقراء المهاجرين، ولم يكن له منزل من غيرهم كالأضياف فكانوا يبيتون في صفة مسجده ﷺ، وهي موضع فظلّل من المسجد (و) اذكر أيضاً (جمعه الثريد) وهو الخبز المفتوت في الإدام وغالب إطلاقه ما يكون بمرق اللحم (وسط القصعة) التي دعا إليها أهل الصفة قال أبو هريرة لما أكل أهل الصفة من قصعة الثريد جعلت أتطاول ليدعوني حتىٰ قام القوم، وليس في القصعة إلاّ اليسير في نواحيها فجمعه ﷺ فصار لقمةً فوضعها على أصابعه وقال: كل بسم الله فوالذي نفسي بيده: مازلت آكل منها حتىٰ شبعت رواه ابن سيد الناس في مختصره.

وفي الشفاء وغيره عن أبي هريرة قال: أمرني رسول الله ﷺ أن أدعو أهل الصّفة فتبعتهم حتى جمعتهم فوُضِعتْ بين أيدينا صحفة فأكلنا ما شئنا وفرغنا وهي مثلها حين وضعت إلاّ أن فيها أثر الأصابع رواه أبو نعيم والطبراني [٢٢٨]، وعنه أيضاً أُهدِيَ إليه ﷺ لبن في قدح وكان بي جوع فأمرني: أن أدعو أهل

---

(٢٢٧) رواه الترمذي: (٣٨٣٨) والبيهقي في الدلائل: (١٠٩/٦).

(٢٢٨) رواه الطبراني في الأوسط (ص ٣٣٢ مجمع البحرين).

الصفة، فقلت ما هذا اللبن فيهم؟ كنت أحق أن أصيب شربةً منه أتقوّىٰ بها فدعوتهم فشربوا حتّىٰ رووا جميعهم، ثم أمرني أن أشرب فشربت، ثم قال: اشرب ومازال يقولها وأشرب حتى قلت: لا، والله الذي بعثك بالحق ما أجد له مسلكاً، فأخذ ﷺ القدح فحمِد الله تعالىٰ وسمّىٰ وشرب الفضلة (٢٢٩).

رواه عياض في الشفاء، فهذه ثلاث واقعات إن صحت كلّها، وورد في تكثير الطعام ببركته ﷺ نظائر لما ذكر [بالبركة بدعائه ﷺ نظائر كما ذكر] لا يسع المقام ذكرها.

كذاك نبع الماء من أصابعه   كما روىٰ رائيه عند سامعه

(كذاك) أي من معجزاته الباهرة التي لم يسمع بها من غير نبينا ﷺ (نبع الماء) أي في عدة مواضع [مواطن] في مشاهد عظيمة، وورد بطرق كثيرة يفيد مجموعها العلم القطعي بوقوعه كما قاله القرطبي وغيره (من) بين (أصابعه) أي من بين عظمه ولحمه وعصبه ودمه، وهو أبلغ من نبع الماء من الحجر بضرب موسىٰ عليه الصلاة والسلام، لأن الحجر يؤلف منه خروج الماء ولا كذلك البدن قاله المزني صاحب الشافعي رضي الله عنه (كما روىٰ) ذلك (رائيه) أي من رأىٰ نبع الماء بعينه (عند سامعه) أي عند من سمعه وحفظه ولم ينكر عليه، وهو متعلق بروىٰ، يعني أن رواة حديث نبع الماء قد رووه وأشاعوه وذكروا حضور الجمع العظيم له، ولم ينكر أحد من السامعين عليهم أنهم ما شاهدوه، فصار كتصديق جميعهم له، ومن تلك المواطن ما في الصحيحين عن أنس رضي الله عنه: أن الناس احتاجوا لصلاة العصر فلم يجدوا الماء فأُتي رسول الله ﷺ بوَضوء فوضع يده في ذلك الإناء فنبع الماء من بين أصابعه حتىٰ توضأوا كلّهم، زاد البخاري:

---

(٢٢٩) رواه البخاري (٦٢٤٦) والترمذي (٢٤٧٩).

وكانوا ثمانين وأن الماء نبع من بين أصابعه وأطراف أصابعه (٢٣٠) وفيهما عن جابر أنه ﷺ يوم الحديبية كان يتوضّأ من ركوة، فجاؤوه يشتكون العطش فوضع يده في الركوة فجعل الماء يفور من بين أصابعه كأمثال العيون فتوضّأوا كلهم وشربوا وكانوا ألفاً وخمسمائة، بل قال جابر: لو كنا مائة ألف لكفانا (٢٣١) ووقع نظير ذلك في غزوة بواط كما في مسلم، وفي غزوة تبوك كما في رواية ابن شاهين.

وما شكوا إليه في تبوكِ وهم عطاش خشية الملاكِ
والماء لا يكفي لفرد نفس ناولهم سهماً لأجل غرس

(و) من معجزاته (ما) مصدرية (شكوا إليه) ﷺ (في) غزوة (تبوك) (وهم عطاش) بالكسر جمع عطشان (خشية الملاك) أي حال كونهم يخشون الهلاك أو مفعول له لشكوا (والماء) أي الذي وردوا عليه (لا يكفي) لقلته (لفرد نفس) بسكون الفاء أي لا يروي شخصاً واحداً والإضافة كجرد قطيفة (ناولهم) أي أعطاهم (سهماً) من كنانته (لأجل غرس) أي أمرهم بغرسه فيه.

ففار الماء وارتوى الملا وهم ثلاثون ألوفاً كمّلا
وجاء قوم فشكوا إليه ملوحة الماء فأتى عليه

(ففار) بالفاء أي غلىٰ وبرز متدفقاً (الماء وارتوىٰ الملا) أي القوم والجماعة معه (وهم ثلاثون ألوفاً) مفعول لمقدر من نحو أعلىٰ لا تمييز، وإلاّ وجب إفراده (كُمّلا) بضم فتشديد جمع كامل، واختلفوا في عدد من معه ﷺ في تبوك،

---

(٢٣٠) رواه البخاري (١٦٩ و ١٩٥ و ٢٠٠ و ٣٥٧٢ و ٣٥٧٣ و ٣٥٧٤ و ٣٥٧٥) ومسلم (٢٢٧٩) والنسائي (١/٦٠) والترمذي (٣٦٣٥).

(٢٣١) رواه البخاري (٣٥٧٦ و ٤١٥٢ و ٤١٥٣ و ٤١٥٤ و ٤٨٤٠ و ٥٦٣٩) ومسلم (١٨٥٦).

فقيل ثلاثون ألفاً وقيل أربعون ألفاً وقيل سبعون ألفاً، ثم الذي ذكره من وضع سهم من كنانته في محل الماء يوم تبوك تبع فيه مختصر ابن سيد الناس.

وفي البخاري وغيره: إن وضع السهم كان يوم الحديبية وعليه اقتصر القاضي عياض والقسطلاني وغيرهما وورد في تبوك: أنهم شكوا إليه العطش فطلب فضلة الماء فأوتي بها في صحيفة، ثم وضع ﷺ راحتيه فيها فتخللت عيون بين أصابعه فرووهم وإبلهم وتزوّدوا رواه ابن شاهين، وصحّ علىٰ مقال في بعض رواته: أن العطش اشتدّ بهم في تبوك حتى كادت رقابهم تنقطع، وكان الرجل ينحر بعيره فيعصر فرثه فيشربه ويجعل الباقي على كبده، فرغب إليه ﷺ أبو بكر أن يدعو لهم، فقال: أتحبون ذلك قالوا نعم، فرفع ﷺ يده ولم يراجعها حتىٰ قالّت السماء أي تهيأت للمطر فانسكبت حتىٰ ملأوا ما معهم من آنية، ثم ذهبوا ينظرون فلم يجدوها حتىٰ جاوزت العسكر (وجاء قوم فشكوا إليه) ﷺ (ملوحة الماء) أي بالقصر أي ماء بئرهم (فأتي) ﷺ عليه وسلم واقفاً (عليه) مع نفر من أصحابه كما في مختصر ابن سيد الناس.

وقال في بئرهم فتفلا فانفجر الماء وفي الحال حلا
واذكر إذا ما كسرت رجل أبي رافع لمسها كف النبي
فلم يكن شاكيها من بعد وصار مما كان أقوى يعدو
وكم له معجزة ما ذكرت ولو يرام حصرها ما انحصرت

(وقال) أي أشار (في بئرهم) أي إليها (فتفلا) أي بزق فيها (فانفجر الماء وفي الحال) أي حال تفله فيها (حلا) أي صار الماء حلواً، ورُوِيَ أنه ﷺ مجّ في دلو من بئر ثم صبّ فيها ففاح منها رائحة المسك، وبزق في بئر كانت في دار أنس فلم يكن بالمدينة أعذب منها وسكب من فضل وضوئه في بئر قباء فما نزفت بعد، ومرّ على ماء فسأل عنه فقيل له: اسمه بيسان وماؤه

ملح فقال: بل هو نعمان وماؤه طيب فطاب ذكرها في الشفاء، (واذكر) معجزةً له (إذا ما كسرت رجل أبي رافع إذ) بدل من إذ السابق (لمسها) ومسحها (كفّ النبي) ﷺ (فلم يكن) أبو رافع (شاكيها) أي تلك الرجل (من بعد) أي من بعد لمسه ﷺ (وصار) أبو رافع (مما كان) مفضّل عليه مقدم وهو جائز بقلة (أقوى) أفعل التفضيل منصوب بقوله (يعدو) الخبر لصار، وفي الشفا: ونفث ﷺ على ضربة بساق سلمة بن الأكوع يوم خيبر فبرئت، وعلى رجل زيد بن معاذ حين أصابها السيف في قتل كعب بن الأشرف فبرئت، وعلى ساق علي بن الحكم يوم الخندق إذ انكسرت فبرىء مكانه وما نزل عن فرسه، وبصق أثر سهم في رجل أبي قتادة في يوم ذي قرد فعوفي انتهى(٢٣٢).

وقد تقدم أن عبدالله بن عتيك انكسر ساقه لما قتل أبا رافع اليهودي، فقال ﷺ له: «ابسط رجلك» فمسحها فكأنه لم يشتكها قط، وأما أبو رافع الذي ذكره الناظم تقليداً لمختصر ابن سيد الناس فلا أستحضر الآن من هو؟ مع شدة الفحص عنه (وكم له) أي كثير له ﷺ (معجزة ما ذكرت) أي هنا، وقد ذكرت في أثناء الشرح بعضاً منها زيادةً على ما ذكر (ولو يرام) أي يطلب (حصرها) في كتاب أو ديوان وحساب (ما انحصرت) إذ ما من معجزة لنبي قبله إلاّ وله ﷺ مثلها أو أعظم منها كما بينه الأئمة ولا يسع المقام بيانه، ثم زاد ﷺ عليهم بمعجزات لم يصحّ ولم يقع نظيرها لأحد منهم كالقرآن وانشقاق القمر وحنين الجذع، وأعظم المعجزات وأشهرها: القرآن فإنه لا يكاد تنحصر معجزاته، والإشارة إلى وجه ذلك أن ما وقع به الإعجاز، أقلّه سورة الكوثر أو آية في قدرها، وذهب بعض المحققين إلى أنّ كل آية منه كيف كانت معجزة، وإذا كان هذا فقد تعدد الإعجاز بعدد السور والآيات، ثم إعجازه من جهة

---

(٢٣٢) انظر نسيم الرياض (١٠٥/٣ و١٠٩ - ١١٠) شرح الشفاء.

بلاغته ومن جهة نظمه، فصار في كل جزء من هذا العدد معجزتان، فتضاعف العدد من هذا الوجه، ثم فيه وجوه إعجاز أخر من الإخبار بعلوم الغيب، فقد يكون في سورة واحدة إخبار بأشياء من الغيب كل خبر فيها بنفسه معجزةٌ مستقلة، فتضاعف العدد مرةً أخرى، وهكذا فلا يكاد يحوي الحصر معجزات القرآن مع قطع النظر عن غيرها.

وكم لـه مـن بعـده مـن آيـة | تبلـغ في تصـديقـه النهـايـة
كـل كـرامـة أتـت لأمتـه | فـإنها تكـون مـن معجـزتـه

(وكم) أي كثير (له من بعده) أي بعد وفاتِهِ (من آية) معجزة، وسميت المعجزة في القرآن آيةً وبرهاناً في مواضع [موضع] (تبلغ) تلك الآيات (تصديقه) أي في دعوى النبوة (النهاية، إذ كل كرامة) خارقة للعادة (أتت لأمته) أي لصلحاء أمته (فإنّها تكون من معجزاته) في الحقيقة لأنه السبب والوسيلة في ذلك، فتدلّ على تصديقه حيث نال أولياء أمته باتباعهم له ذلك، ثم تسمية ذلك معجزةً مجاز أو جري على اصطلاح السلف كالإمام أحمد وغيره، فإنهم يطلقون المعجزة علىٰ كل أمر خارق ليس بسحر كما قاله القسطلاني، لكن الأشهر الذي عليه أكثر أهل العلم والكلام وغيرهم: أن المعجزة لا تطلق حقيقةً إلاّ على الأمر الخارق المقرون بدعوىٰ النبوّة الدال على صدق مدّعيها، وأما الخارق قبل النبوة كظلال الغمام وشق الصدر، وخمود نار فارس، وغيرها مما مرّ لنبيّنا ﷺ إرهاصات، أي تأسيسات [فيسمى إرهاصاً أي تأسيساً] للنبوّة، وأمّا الخارق بعده مما وقع لخواص أمته في كل زمن مما لا يحصى فيسمّىٰ كرامةً.

كـذاك كـل حسنـات تفعلُ | فـإن أجـرهـا لـه يكمَّـلُ
لأنـه الذي أتـىٰ بـالـدليـل | صلى عليـه الله كـل حين

(كذاك كل حسنات تفعل) في أمته إلى قيام الساعة فهي زيادة في [من] كرامته وسبب لرفعته (فإنّ أجرها) أي تلك الحسنة مع عدم النقص من أجر صاحبها (له) ﷺ (يكمّل) (لأنه الذي أتىٰ بالدين) القويم الناسخ لسائر الأديان (صلّى عليه الله كل حين) فيه حسن الختام حيث ختم ما يتعلق بسيرته ﷺ بما ختم به الديباجة من الصلاة عليه قد كمّل بحمدالله وحسن توفيقه شرح سيرته ﷺ من ذات الشفاء، وأرجو الله أن يمنَّ عليّ من هامع جوده وكرمه وواسع فضله ونعمه بإتمام شرح سيرة الخلفاء منها، إنه على ما يشاء قدير والمنّ بذلك عليه يسير.

(سيرة الخلفاء الراشدين)

أمـا أبـو بكـر فبعـده ولي وذاك بـالإجاع أو نـص جلي

خلافة أبي بكر الصديق رضي الله عنـه (أمّا أبو بكر) الصديق كان اسمه في الجاهلية عبد الكعبة فسمّاه النبي ﷺ: عبدالله كما قاله القسطلاني وغيره، وقيل: اسمه عتيق لقوله ﷺ فيه: «هذا عتيق من النار» كما روىٰ عنه [عن] عائشة رضي الله عنها، وقيل: لجماله إذ العتق الجمال قاله ابن سعد، وقيل: لقول أمّه له لما استقبلت به البيت هذا عتيقك من الموت فهبه لي، فعاش بعد أن كانت لا يعيش لها ولد وقيل: غير ذلك.

(فبعده) أي بعد وفاته ﷺ (وَلِيَ) الخِلافة قطعاً (و) اختلفوا هل (ذاك) أي ثبوت خلافته حقاً (بالإجماع) من الصحابة فقط (أو) به مع (نص جلي) واضح علىٰ خلافته، والأصح الذي عليه الجمهور أي جمهور أهل السنة والمعتزلة: أنه ﷺ لم ينص على أحد بالخلافة، وإلاّ هلكت الأمة لو خالفوا ذلك النص، فاقتضت المصلحة ووفور شفقته على أمته أن لا ينص عليها لأحد، وإنما أشار

أنها لأبي بكر بأشارات تقرب من الصريح، ويدلّ علىٰ عدم النص: ما أخرجه البزار في مسنده عن حذيفة رضي الله عنه قال: قالوا: يا رسول الله ألا تستخلف علينا، قال: إني إن أستخلف عليكم فتعصون خليفتي ينزل عليكم العذاب (٢٣٣).

وأخرجه الحاكم بسند فيه ضعف (٢٣٤) وما في الصحيحين عن عمر رضي الله عنه قال حين طعن: إن أستخلف فقد استخلف مَن هو خير مني أي أبو بكر، وإن أترككم فقد ترككم من هو خير مني أي رسول الله ﷺ (٢٣٥)، وما رواه الإمام أحمد وغيره بسند حسن عن علي كرم الله وجهه أنه قال يوم الجمل: إنّ رسول الله ﷺ لم يعهد إلينا في هذه الإمارة شيئاً حتى رأينا من الأمر أن نستخلف أبا بكر، الحديث (٢٣٦) وكذا نفى عثمان رضي الله عنه النص لأحد كما قاله البخاري، وقيل: إنه ﷺ نصّ عليها لأبي بكر وعليه جماعة من المحدثين قيل: وهو الحقّ، لأن من تأمّل الأحاديث علم من أكثرها أنه نصّ عليها نصاً ظاهراً، ومن الظواهر أو الصرائح علىٰ خلافته: ما أخرجه مسلم أنه ﷺ قال لعائشة في مرض موته· ادعي لي أبا بكر، وأخاك حتىٰ أكتب كتاباً فإني أخاف أن يتمنىٰ متمن ويقول قائل: أنا أولىٰ، ويأبىٰ الله والمؤمنون إلاّ أبا بكر (٢٣٧) وفي رواية: اكتب لأبي بكر كتاباً لا يختلف فيه أحد، ثم قال: دعيه معاذ الله أن يختلف المؤمنون في أبي بكر (٢٣٨) وغير ذلك من الأحاديث، وقال الحافظ

---

(٢٣٣) رواه البزار (١٥٧٠ كشف الأستار) وفي إسناده أبو اليقظان عثمان بن عمير وهو ضعيف.

(٢٣٤) رواه الحاكم (٣/٧٠) بنفس الإسناد.

(٢٣٥) رواه البخاري (٧٢١٨) ومسلم (١٨٢٣) والترمذي (٢٢٢٦) وأبو داود (٢٩٣٩).

(٢٣٦) رواه أحمد (٩٢١) ولفظه «إن رسول الله ﷺ لم يعهد إلينا عهداً نأخذ به في إمارة، ولكنه شيء رأيناه من قبل أنفسنا، ثم استخلف أبو بكر، رحمة الله على أبي بكر، فأقام واستقام... الحديث. وأما إن إسناده حسن فلا، لأن في إسناده رجل مبهم فهو ضعيف.

(٢٣٧) رواه مسلم (٢٣٨٧) وأحمد (٦/٤٧ و ١٠٦ و ١٤٤).

(٢٣٨) رواه البزار كما في الفتح (١٣/٢٠٦).

مغلطاي في سيرته: لم ينص ﷺ على أحد بالخلافة، والأحاديث ليست نصاً في ذلك انتهى. وجمع بعضهم بين القولين بأن مراد من نفاه أنه لم ينصّ عند الموت على أحد بالخلافة، ومراد من أثبت أنه ﷺ نصّ عليه أو أشار إليه قبل ذلك، ولا شك أن النص على ذلك [قيل] قبل قرب الوفاة يتطرق إليه احتمالات ولو على بعد بخلاف ما عند الموت، فلذا نفى الجمهور النصّ كعمر وعلي وعثمان رضي الله عنهم، ويؤيده قول بعض الأئمة الأصوليين أن معنى لم ينصّ لأحد لم يأمر بها لأحد.

فائدة: ذكر الأصوليون أن الإجماع أقوى من النصّ الذي لم يتواتر لأن مفاد الإجماع قطعي ومفاد النص ظنّي فثبوت الإجماع على خلافة أبي بكر كاف ولو لم يرد نص.

وهو أبو بكر بن عثمان بن عامر عمرو كعب سعد بن

(وهو) إذا ذكر نسبه فهو (أبو بكر ابن عثمان) المكنى بأبي قحافة (ابن عامر بن عمرو بن كعب بن سعد) بالتنوين للوزن.

تيم بن مرة الإمام التيمي بويع بالإمرة ثاني يوم
وفاته ثالث عشر شهرِ وبيعهم سنة إحدى عشرِ

(ابن تيم بن مرّة) بضم الميم ابن كعب بن لؤي فهو قريشي يلتقي معه ﷺ في مرّة، (فهو الإمام التيمي) نسبة إلى تيم من أجداده، وأمّه أم الخير سلمى وقيل: ليلى بنت صخر بن عامر، أسلمت قديماً حين كانوا في دار الأرقم، وأسلم أبوه يوم الفتح، وتوفي في خلافة عمر رضي الله عنه، قال بعضهم: لم يكن أحد من المهاجرين والأنصار أسلم هو وأبوه وأمه وبنوه وبناته غير أبي بكر.

فائدة: من صفاته رضي الله عنه أنه كان نحيفاً خفيف اللحم أبيض خفيف العارضين معروق الوجه أي قليل لحمه حتى يتبين حجم العظم، ناتىء الجبهة، غائر العينين، أجناء بالجيم والهمزة صفة مشبهة من جنيء كفرح أي أشرف كاهله على صدره كما في القاموس، وفي النهاية: هو من الجَنَاء وهو الميل في الظهر أو العنق، وكان يخضب بالحنّاء والكتم.

(بويع) رضي الله عنه من جميع الصحابة (بالإمرة) أي الولاية والخلافة وهو بكسر الهمزة اسم مصدر، وجعل الجوهري له مصدراً من أمر علينا أي ولّى، خطّأه القاموس وإنما مصدره الأمر (في ثاني يوم) بالإضافة إلى (وفاته) ﷺ، ويوم وفاته يوم الإثنين ثاني عشر ربيع الأول كا مرّ، وكانت البيعة قبل دفنه لأنّها أهمّ لتسكين الفتنة كما جزم به السيوطي والقسطلاني وغيرهما، قال الجلال الدواني في شرح العضدية: روي أن الصحابة اجتمعوا يوم وفاته ﷺ في سقيفة بني ساعدة. قال الأنصار للمهاجرين: منّا أمير ومنكم أمير فقال لهم أبو بكر: منّا الأمراء ومنكم الوزراء، واحتجّ عليهم بقوله ﷺ: الأئمة من قريش، فاستقرّ رأي الصحابة بعد المراجعة والمشاورة على خلافة أبي بكر وأجمعوا على ذلك، وبايعه بعد ذلك عليّ ولقبه بخليفة رسول الله ﷺ بعد توقف منه لحزنه فصارت إمامته مجمعاً عليها انتهى[٢٣٩]، وكان ثاني يوم وفاته يوم الثلاثاء (ثالث عشر شهر ربيعهم سنة إحدىٰ عشر) من الهجرة. واعلم أن البيعة وقعت مرةً يوم السقيفة يوم وفاته ﷺ، ومرّةً أخرىٰ من الغد بيعة عامة بحضور ملاء منهم فكشف الله الكُربة كما صرّحوا به، فلعلّ الناظم أراد البيعة الثانية.

وعندما قد أفضت الخلافة	**إلى الإمام ابن أبي قحافة**
خطب ثم بعد حمد وثنا	**يا أيها الناس اعلموا أني أنا**

(٢٣٩) شرح الجلال الدواني على العقائد العضدية (٢/٢٨٣).

وليت في يومي هذا أمركم ولست فيا قد علمت خيركم
وأكيس الكيس ملاك التقوى وأحق الحمق الفجور الأغوى

(وعندما) مصدرية (قد أفضت) من أفضىٰ أي وصلت (الخِلافة) بكسر الخاء (إلى الإمام) الأجل أبي بكر (بن أبي قحافة) بضم القاف اسمه عثمان كما مرَّ (خطب) عقب البيعة العامة ثاني يوم الوفاة كما في رواية ابن إسحاق ثم قال: (بعد حمد وثنا له) بالقصر أي لله تعالىٰ (يا أيها الناس اعلموا أني أنا) تأكيد (وُلّيت) بضم فتشديد بالبناء للمفعول أي جعلت والياً (في يومي هذا أمركم ولست فيا قد علمت) أي في علمي وظني بنفسي (خيركم) خبر ليس، وهذا تواضع منه وحسن أدب مع ربّه عزّ وجلّ نظير قوله ﷺ: «لا تفضلوني على الأنبياء»(٢٤٠) (وأكيس) أفعل التفضيل من كاس يكيس فهو كيّس بوزن سيّد أي عاقل، (الكيس) بفتح فسكون هو العقل، وفي الحديث: «الكيّس أي العاقل من دان نفسه وعمل لما بعد الموت»(٢٤١) ثم اتسع في الكيس فأطلق على كل فعل حسن ولذا سمي في الحديث: طلب الولد عند الجماع كيساً، والمعنى هنا: وأعقل الأفعال وأحسنها (ملاك التقوى) أي ما يحصل به التقوى ويقوم به أمره، في النهاية ملاك الشيء بكسر الميم وفتحها قوامه ونظامه وما يعتمد عليه فيه (وأحق الحمق) بضم فسكون وهو قلة العقل كما في القاموس، وفي النهاية هو وضع الشيء في غير محله مع العلم بقبحه، فالمعنى هنا: وأقبح الأمور (الفجور) بضم الفاء أي الفسق والخروج عن طاعة الله عزّ وجلّ، وقوله:

---

(٢٤٠) لم أره بهذا اللفظ وإنما ورد بلفظ «لا تخيروا بين الأنبياء»، «لا تخيروني على موسى»، لا تفضلوا بين انبياء الله» رواه البخاري (٢٤١١ و٣٤٠٨ و٣٤١٤) ومسلم (٢٣٧٣).

(٢٤١) رواه أحمد (٣٢٥/٤) والترمذي (٣٥٧٧) وابن ماجه (٤٢٦٠) والحاكم (٥٧/١ و٣٢٥/٤) والطبراني في الكبير (٧١٤٣) وفي إسناده أبو بكر بن أبي مريم وهو ضعيف. وانظر تعليقنا على المعجم.

(الأغوىٰ) أي الأضلّ نعت الفجور مجاز للمبالغة إذ هو حقيقة وصف لصاحب الفجور، ثم قال: إنّ أقواكم عندي الضعيف حتىٰ آخذ له بحقّه وإنّ أضعفكم عندي القوي حتىٰ آخذ منه الحق.

وإنما أنـا لـديكـم متبـع ... ولست فيما أبتغـي بمبتـدع
فـإن أحسنـت سـاعـدوني ... وإن زغـت فقـوّمـوني
أين الملوك والذين قـد بنـوا ... وعمّـروا وشيـدوا وحصّنـوا
راحـوا جميعـاً للقبـور والبلا ... وأكمـل الخطبـة ثم نـزلا
وبعد أن ولّـي قـام مصبحـا ... يحمل أثواباً إلى السوق ضحـى

(و) اعلموا أيها الناس (إنّما أنا لديكم متبع) لكتاب الله وسنّة رسوله (ولست فيما أبتغي) أي أطلبه من أمور الخلافة (بمبتدع) شيئاً ليس في الكتاب والسنّة (فإن أنا أحسنت) في القضاء بينكم (ساعدوني) أي أعينوني بقوة ومال (وإن أنا زِغُت) بكسر الزاء وضمها من زاغ يزيغ، وزاغ يزوغ أي ملت عن الحق (فقوّموني) أي عن اعوجاجي، ثم قال: أين الوضاة الحَسَنَةُ وُجوههم المعجبون بشبابهم (أين الملوك) الماضية (والذين قد بنوا) المدائن (وعمّروها وشيّدوها وحصّنوها) بالحيطان تضعضع بهم الدهر فأصبحوا في ظلمات القبور، الوحاء الوحاء، النجاء النجاء كذا ساقه ابن سيد الناس(٢٤٢). وقوله: والذين من عطف العام على الخاص أو عطف تفسير، لأن من يبني المدائن هم الملوك غالباً، (راحوا جميعاً للقبور والبِلا) بالكسر والقصر (وأكمل الخطبة ثم نزلا).

وروىٰ الحاكم وصحّحه عن عبدالرحمن بن عوف رضي الله عنه قال: خطب أبو بكر فقال: والله ما كنت حريصاً على الإمارة يوماً ولا ليلةً قط ولا كنت

---

(٢٤٢) انظر المستدرك (٣٨٣/٢ ـ ٣٨٤).

راغباً فيها ولا سألتها الله تعالى في سرّ و[لا] علانية ولكني أشفقت من الفتنة، ومالي في الإمارة من راحة، لقد قلّدت أمراً عظيماً مالي به من طاقة إلاّ بتقوى الله تعالى[٢٤٣] (وبعد أن ولي) أبو بكر (قام مصبحاً) أي داخلاً في الغداة حال كونه (يحمل أثواباً) ذاهباً (إلى السوق) وقت (ضحىً) تأكيد لما قبله.

وهي علىٰ عنقه ليتجرا فصادف الإمام عمرا
وقال ما تريد قال السوقا إذ ضيعة العيال لن أطيقا
ففرضوا من أصل بيت المال له في اليوم نصف الشاة غير كاملة
وسار بالعدل على هدي النبي وارتد في ذا العام بعض العرب

(وهي) أي الأثواب المحمولة (على عنقه ليتجر) بضم الجيم (فيها فصادف) أي لقي أبو بكر (الإمام عمرا) مع أبي عبيدة رضي الله عنهما (وقال) الإمام عمر (ما تريد) يا خليفة رسول الله ﷺ (قال) أريد (السوقا) بألف الإطلاق وقالا: ما تصنع بالسوق؟ وقد ولّيت أمر المسلمين، قال: فمن أين أطعم عيالي وهو معنى تعليله بقوله (إذ ضيعة العيال) بكسر العين ما يعوله الرجل ويهتم لنفقته (لن أطيقا) ورجعوا به (ففرضوا من أصل بيت المال) أي بيت المال المعدّ للمسلمين (له) متعلق بفرضوا (في اليوم) أي في كل يوم (نصف الشاة) مفعول فرضوا، وقوله: (غير كاملة) حال مؤكدة إذ نصفها لا يكون إلاّ غير كاملة (وسار) مدة خلافته (بالعدل) والقيام بالحقّ (على هَدي) بفتح الهاء وسكون الدال أي سيرة (النبي، وارتدّ) عن الإسلام في (ذا العام) أي عام وفاته ﷺ وهو [أول] عام خلافته (بعض العرب) ذكر البغوي وغيره: أنه لما انتشر خبر وفاته ﷺ ارتدّ [عامة] العرب إلاّ أهل الحرمين وأهل البحرين من

(٢٤٣) رواه الحاكم: (٦٦/٣ - ٦٧) وصححه على شرط الشيخين ووافقه الذهبي.

عبد القيس حتى لم يبق في بسيط الأرض مسجد يعبد الله عزّ وجلّ فيه إلاّ مسجد مكّة ومسجد المدينة ومسجد بجوثا من أرض البحرين فيه جمع من الأزد محصورون، إلىٰ أن فتح الله اليمامة بقتل مسيلمة الكذّاب اللعين، ثم المرتدّون منهم من عاد إلى ما كان عليه من عبادة الأصنام، ومنهم من تابع مسيلمة في زعمه النبوّة كبني حنيفة وقبائل غيرهم، ومنهم من تابع الأسود العنسي في زعمه النبوّة أيضاً باليمن، وهؤلاء اتفقت الصحابة على قتالهم وسبيهم، ثم لم ينقرض عصر [زمن] الصحابة حتى أجمعوا على أن المرتد لا يُسبىٰ كما في النهاية نقلاً عن الخطابي، واعترض على حكاية الإجماع ببقاء الخلاف في إلحاق المرتدين بالكفار في السبي، ومنهم من أنكر فرض الزكاة ووجوب أدائها إلى الإمام، وهؤلاء كانوا في الحقيقة أهل بغي لقرب عهدهم بزمان النسخ، لكن أضيفوا إلى أهل الردّة حيث كانوا في زمانهم ومختلطين بهم، فانسحب عليهم اسمها، وأما بعد ذلك فمن أنكر فرضية ركن من أركان الإسلام كفر بالإجماع كما في النهاية، فهمّ أبو بكر رضي الله عنه بقتال مانعي الزكاة، فأنكر عليه الصحابة ذلك لبقاء توحيدهم، فأصرّ أبو بكر على قتالهم، حتىٰ قال: والله لو خذلني الناس كلهم لجاهدتهم بنفسي، وكان من أشد المنكرين عليه: عمر رضي الله عنه حتىٰ شرح الله صدره لمقالة أبي بكر.

وقال بعض الأئمة: لقد قام أبو بكر مقام النبي ﷺ من الأنبياء في قتال أهل الردة، وروىٰ أنس رضي الله عنه قال: كرهت الصحابة قتال مانعي الزكاة، وقالوا: هم أهل القبلة فتقلد أبو بكر سيفهُ وخرج وحده، فلم يجدوا بُدّاً من الخروج معه، وقال ابن مسعود: كرهنا ذلك في الابتداء ثم حمدناه عليه في الانتهاء.

وروىٰ ابن إسحاق عن عائشة رضي الله عنها قالت: لما توفي ﷺ عظمت مصيبة المسلمين وارتد العرب ونجم النفاق، وصار المسلمون كالغنم المطيرة في

الليلة الشاتية لفقد نبيهم حتىٰ جمعهم الله على أبي بكر، ولقد نزل بأبي بكر ما لو نزل بالجبال الراسيات أي الثابتات لهضّها أي كسرها، وذكر ابن هشام: أنّ أهل مكّة همّوا أيضاً بالارتداد حتىٰ اختفى أميرهم: عتّاب بن أسيّد خوفاً منهم، فقام سهيل بن عمرو خطيباً فوعظهم وثبّتهم فتابوا، وروي أنه قدم على أبي بكر رضي الله عنه عيينة بن حصن والأقرع بن حابس في أشراف من العرب، وقالوا: قد ارتد عامة من وراءنا، وعزموا على منع الزكاة، فإن تجعلوا لنا جعلاً نكفيكم مَن وراءنا فاستحسن المهاجرون والأنصار ذلك، وقالوا: لا طاقة لنا بقتال جميع العرب، فأبىٰ أبو بكر وقال: إنّ الله تعالى ناصر دينه ولا نرشوا على الإسلام أحداً، بل نجاهدهم كما جاهدهم النبي ﷺ وكان ممن ارتدوا: أزد، وغطفان من أهل الضاحية، وعامة بني تميم، وطوائف من بني سليم عصية وعميرة وخفاف وبنو عوف بن امرىء القيس وذكوان، وارتد أهل اليمامة كلهم وأهل البحرين وبكر بن وائل، وأهل عمّان والنمر وكلب، ومن أقاربهم [قاربهم] من قضاعة وعامة بني عامر بن صعصعة، وفزارة رئيسهم عيينة بن حصن.

وثبت على الإسلام ما بين المسجدين وأسلم وغفار وجهينة ومزينة وكعب وثقيف وطيّ كلها وهذيل وأهل السراة وبجيلة وخثعم، ومن قارب تهامة من هوازن، وقام الجارود في عبدالقيس فثبتهم على الإسلام، وكذا لم يرتد أحد من أهل دوس ومن همدان، ومن الأبناء بصنعاء كذا ساقه صاحب الخميس، وفيه نوع مخالفة لما مرّ عن البغوي فتأمله.

وروي أنه ﷺ لما رجع من الحج سنة عشر بعث البعوث لأخذ الصدقات، فهم عدي بن حاتم على أسد وطي، ومالك بن نويرة علىٰ بني يربوع، والأقرع بن حابس على بني دارم، والزبرقان على صدقات قومه، وغيرهم إلى غيرهم، فلما بلغهم وفاته ﷺ اختلفوا، فمنهم من حبسها ولم يؤدّ إلىٰ أبي بكر بل فرّقها علىٰ مَن أخذها منهم كمالك بن نويرة والأقرع بن حابس وخارجة بن حصن الفزاري، ومنهم مَن أدّاها كأسد وغفار وجهينة ومزينة، سلّموا صدقاتهم إلى

كعب بن مالك الأنصاري، فأتىٰ بها إلىٰ أبي بكر رضي الله عنه، فاستعان بها على قتال أهل الردّة، وكان عدي بن حاتم والزبرقان بن بدر الفزّاري حبسا إبل الصدقة ليبعثا بها إلىٰ أبي بكر إذا وجدا فرجة، فاستردّها قومهما فأبيا، فلما ارتدّ بنو أسد وهم جيران طيّ، طلب طيّ من عدي ردّ صدقاتهم، فقال: والله لا أنقض عهدي أتريدون أن يسب حاتماً في قبره عديّ ابنه من بعده؟، ولئن أبيتم لأقاتلنكم، وإن لرسول الله ﷺ خليفةً، وإن لدين الله تعالىٰ أقواماً ينصرونه، ثم أتى عديّ مع ابنه بإبل الصدقة خفيةً، وهي ثلاثمائة بعير إلى المدينة، فأعطىٰ أبو بكر رضي الله عنه عدياً ثلاثين بعيراً منها، وكذلك الزبرقان قدم بصدقات قومه إلىٰ أبي بكر، فحصل لعدي والزبرقان شرف على غيرهما بذلك.

وقام كـذّابهـم مسيلمـة وراح أمـره علىٰ أغيلمـة

(وقام كذّابهم) أي كذّاب بني حنيفة من أهل اليمامة وطوائف أخر من العرب زاعماً للنبوة، وذلك الكذّاب هارون بن حبيب رئيس بني حنيفة، وكنيته أبو ثمامة ولقبه (مسيلمة) كان قبيح الخلقة، دميم الصورة على عكس أوصاف النبي ﷺ، وكان يزعم أن جبرائيل يأتيه بالوحي، وسمّى نفسه رحمان اليمامة، لزعمه أن الذي يأتي اسمه رحمان، أو هو من تعنتهم في الكفر، ولما قدم في وفد من قومه إلى النبي ﷺ سأله أن يشركه في أمر النبوّة، فأبىٰ ﷺ، وقال له: «ما أراك إلاّ الذي رأيته»[٢٤٤] أي في النوم كما مرّ تعبيره في قتل العنسي، فلما رجع إلى اليمامة ارتدّ عدو الله، وزعم الشركة في النبوة معه ﷺ، وكتب إليه: من مسيلمة رسول الله إلى محمد رسول الله ﷺ، أمّا بعد فإني قد أشركت في الأمر معك، وإنّ لنا نصف الأرض، ولقريش نصفها،

(٢٤٤) رواه البخاري: (٤٣٧٣).

فكتب ﷺ: «بسم الله الرحمٰن الرحيم من محمد رسول الله ﷺ إلى مسيلمة الكذّاب، السلام على من اتبع الهدىٰ، أمّا بعد فإن الأرض لله يورثها من يشاء والعاقبة للمتقين وقد أهلكتَ أهل الحجر أبادك الله ومن صوّب معك» فلما بلغه الكتاب أخفاه، وكتب كتاباً آخر عنه ﷺ افتراءً وأثبت فيه الشركة بينهما وأخرجه لقومه، فافتتنوا به.

وفي ربيع الأبرار: قال الحافظ [الجاحظ]: كان مسيلمة قبل ادعاء النبوّة يدور في الأسواق التي كانت بين دور العرب والعجم كسوق الأُبلة وسوق الأنبار وسوق الحيرة يلتمس علم الحِيَل واحتيالات أصحاب الرُقا والنجوم، ومن حيله: أنه صبّ علىٰ بيضة من خلّ حاذق قاطع فلانت حتىٰ إذا مدّها استطالت واستدقت كالعلك، ثم أدخلها إلىٰ قارورةً ضيقة الرأس وتركها حتى انضمت واستدارت وعادت كهيئتها الأولىٰ، فأخرجها إلى قومه وهم قوم أعراب، وادّعىٰ النبوّة فافتتن به جماعة سفهاء، وإليه أشار بقوله: (وراج أمره) وافتراؤه كما تروج السلعة (على أُغَيْلِمَةٍ) في الصحاح: الغلام معروف وتصغيره: غُلَيِّم والجمع غِلْمَةٌ وغِلْمانٌ واستغنوا بِغِلْمَةٍ عن أَغْلِمَةٍ، وتصغير الغِلْمَةِ أُغَيْلِمَةٌ على غير مُكَبَّرِهِ كأنهم صغروا أَغْلِمَةً وإن لم يسمع [وإن كانوا لم يقولوه] كما قالوا: أُصَيْبِيَةٍ في تصغير صِبْيَةٍ، وبعضهم يقول: غُلَيْمَةٌ على القياس انتهىٰ(٢٤٥).

فظهر أن التصغير لتحقيرهم وتشبيههم بالصبيان والمجانين، ثم إن اللعين في آخر أمره وضع عن قومه الصلاة وأحلّ الخمر والزنا ونحو ذلك، واتفق معه بنو حنيفة إلاّ أفذاذاً من ذوي العقول، ومن أعظم ما فتن به قومه شهادة الرّجال بن عَنْفُوَة له بإشراك النبي ﷺ إياه في الأمر، وكان الرّجال قدم وافداً على النبي ﷺ فقرأ القرآن وتعلم السنن، وكان يأتي أُبياً يقرئه فقدم اليمامة، وشهد لمسيلمة افتراءً على الله تعالىٰ بإشراكه ﷺ له في الأمر من بعده، وكان ابن عمير

(٢٤٥) الصحاح (١٩٩٧/٥).

اليشكري من سراة أهل اليمامة وأشرافهم مسلماً يكتم [إيمانه و] إسلامه، وكان قبل صديقاً للرّجال فقال شعراً فشا في اليمامة حتى عند الصبيان، فقال:

يا سعاد الفؤاد بنت أثال	طال ليلي بفتنة الرجال
فتن القوم بالشهادة واللهُ	عزيز ذو قوة ومحال
لا يساوي الذي يقول من الأمر	قبالاً وما احتذىٰ من قبال
إن ديني دين النبي وفي القوم	رجال على الهدى أمثالي
هلك القوم محكم بن طفيل	ورجال ليس لنا برجال
بزّهم أمرهم مسيلمة اليوم	فلم يرجعوه أخرىٰ الليالي
قلت للنفس إذ تعاظمها الصبرُ	وساءت مقالة الأقوال
ربما تجزع النفوس من الأمر	له فرجة كحل العقال
إن تكن ميتتي على فطرة الله	حنيفاً فإنني لا أبالي

ومما ازداد به عتق مسيلمة في دين الله ضلالةً: سجاح: امرأة من بني تميم زعمت النبوة والوحي، فاتفق معها قومها، واتخذت مؤذناً وحاجباً ومنبراً، ثم إنها جهّزت جيوشاً لحرب مسيلمة، فلما قدمت عليه عزّها وقال لها: تعالَيْ نتدارس النبوّة أينا أحق بها، فقالت له: قد أنصفتَ، ثم اختلىٰ بها ووقع بينهما ما يحق الإعراض عن ذكره، وقيل: إنه بعث إليها بهدية وخطبها فأجابت، وسارت إلى اليمامة خوفاً من خالد بن الوليد لما سمعت بقهره للمرتدين من العرب، فتزوجها وجعل مهرها إسقاط صلاتي الفجر والعشاء انتهى.

ولما قتل مسيلمة أخذها خالد فأسلمت ورجعت إلى ما كانت عليه، وبقيت إلى زمن معاوية وصارت مقبولة الإسلام، ولما اتفق أكثر بني حنيفة، أخرجوا ثمامة بن أثال عامل رسول الله ﷺ على اليمامة، وكتب إليه ﷺ بذلك، ثم كتب بعد وفاته ﷺ إلى أبي بكر بأن أمر مسيلمة قد استغلظ، ولما رأىٰ أبو

بكر ما رأىٰ من ارتداد العرب ومنعهم للصدقة، أمر بالجهاد لِقتالهم كما قال:

فانتدب الصديقُ للقتال وجهّز الجيوش بالأبطال

(فانتدب الصديق) رضي الله عنه (للقتال) يقال: ندبته لأمر فانتدب أي دعوته له فأجاب كما في الصحاح وغيره، فكأن المرتدين بشقاقهم وبغيهم دعوا أبابكر إلى قتالهم، فأجاب أو أراد بالانتداب هنا مجرد التهيأ والإستعداد مجازاً، وإلاّ فالأحسن أن يقول: فندب الصديق لأنه الداعي إلى قتالهم (جهّز الجيوش) هيأ جهاز سفرهم مشحونة (بالأبطال) أيّ الشجعان، فخرج أبو بكر رضي الله عنه في مائة من المهاجرين والأنصار، وأعطى اللواء خالد بن الوليد حتّىٰ نزلوا بذي القصّة، ينتظر لحوق الناس به، وخلّف محمد بن مسلمة ليحث الناس على الخروج، وأقام بها أيّاماً حتى تلاحقوا، وبعث إلى النواحي من غفار ومزينة وأسلم، فتجلبوا حتىٰ شحنت منهم المدينة، ثم سألهم أبو بكر بعد أن لم يبق أحد من أهل بدر إلاّ خرج: عمن يبدأ به من أهل الردة، فاختلفوا فقال أبو بكر: نبدأ بقتال هذا الكذّاب علىٰ الله وعلىٰ كتابه طليحة بن خويلد، وكان رجلاً من بني أسد أشجع العرب يُعدل بألف فارس، قدم على النبي ﷺ في وفد بني أسد سنة تسع من الهجرة وأسلموا، ولما رجعوا إلى قومهم ارتد طليحة، وادّعىٰ النبوة في حياته ﷺ، ولما توفي النبي ﷺ، ظهر أمره وقويت شوكته، وتبعه عيينة بن حصن الفزّاري مع قومه بعد ارتدادهم، وكان طليحة يزعم أن الملك يأتيه، ورفع السجودَ عن [قومه في] الصلاة، وأول ما صدر عنه مما ضل به الناس أنه كان في سفر مع نفر من قومه فعطشوا ولم يجدوا ماءً، فقال: اركبوا إعلالاً واضربوا أميالاً تجدوا بلالاً، وإعلال اسم فرس له، ففعلوا فوجدوا الماء، فكان سبب وقوع الأعراب في الفتنة ولم يشعروا بحيلته في ذلك، ولما عزم أبو بكر رضي الله عنه على الخروج معهم بنفسه ألحّ عليه عمر وعليّ رضي الله عنهما في

رجوعه إلى المدينة، لئلا يقتل فيعلو الباطل على الحق، وأمر[ه] بالاستخلاف، فدعا زيد بن الخطاب لذلك وأبىٰ فقال: يا خليفة رسول الله كنت أتمنىٰ الشهادة مع رسول الله ﷺ فلم أرزقها، وأرجو أن أُرزقها من هذا الوجه، وإن أمير الجيش لا ينبغي أن يباشر القتال بنفسه، فدعا أبا حذيفة بن عتبة لذلك، فأجاب بجواب زيد، ثم دعا سالماً مولىٰ أبي حذيفة فأبىٰ أيضاً، ثم قال: أيها الناس سيروا على بركة الله فأميركم خالد بن الوليد، ثم اختلىٰ بخالد فقال: عليك بتقوىٰ الله وإيثاره علىٰ ما سواه، والجهاد في سبيله، فقد وليتك على المهاجرين والأنصار من أهل بدر، ثم أمره بالرفق بمن معه لاسيما المهاجرين والأنصار، وبمشاورتهم فيما نزل به، وأن يمضي حتى يقدم اليمامة، ثم قال له: خوفي على أهل اليمامة، فاستعن بالله علىٰ قتالهم، فقد بلغني أنهم ارتدوا بأسرهم، فادعهم إلى الإسلام والنصح في الدين، فإن أجابوا وإلاّ فقاتلهم أشد القتال بالسيف والحرق بالنار حتىٰ لا يبقىٰ منهم أحد، فإن الله ناصر دينه، فأقم بينهم حتى يأتيك [يأتيكم] أمري، ثم سار خالد ورجع أبو بكر رضي الله عنه وبقيت العشرة في نفر من المهاجرين والأنصار إلى المدينة، فلما نزل خالد بزاخة ومعه عدي بن حاتم في ألف رجل من طي، همّ خالد أن يقاتل جديلة، وهم بطن من طيّ أرادوا الارتداد، فاستمهل لهم عدي الى أن يدعوهم إلى الإسلام، فدعاهم فأجابوا كلّهم، فجاء بهم إلى خالد فحمدالله تعالى وفرح بهم، واعتذروا عن اعتزالهم فدعا لهم خالد، ثم انتهوا إلى طليحة الأسدي، وقد ضربت له قبة من أُدْم وحوله عسكره، فدنا منه خالد ودعاه إلى الإسلام والتوبة عن الارتداد فأبىٰ وقال:

أشهد أن لا آله إلا الله وأنا رسوله يأتيني ذو النون بالنبوّة، كما كان جبرائيل يأتي محمداً ﷺ بالنبوّة، وذوالنون: ملك عظيم في السماء، ثم هيأ خالد لقتاله، فدفع اللواء الأعظم لزيد بن الخطاب، ولواء الأنصار لثابت بن قيس، ولواء طيّ لعدي بن حاتم، فسوّى صفوف المسلمين علىٰ رجليه، وطليحة سوىٰ صفوف أصحابه على راحلته، فخرج إليهم طليحة بأربعين غلاماً أقوياء من جنوده

مُرداً، فأقامهم بالميمنة، وأمرهم بالضرب فتضعضع الناس ولم يقتل أحد، ثم أقامهم بالميسرة ففعلوا مثل ذلك وانهزم المسلمون، فنادىٰ خالد: يا معشر الأنصار الله الله واقتحم وسط القوم، وكرّ عليه أصحابه وضرّس في القتال حتىٰ اختلطت الصفوف، ويقولون: يا خالد الله الله فإنك الأمير، ولا ينبغي لك التقدم فيقول: والله أخاف هزيمة المسلمين، وما رأيتني أصبر، وفي رواية لما رأىٰ حملة أولئك الأربعين غلاماً حمل عليهم، فما رجع حتى لم يبق منهم أحد، واجتمع الناس إليه بعد الهزيمة، وقاتل خالد يومئذ بسيفين حتى كسرهما، ولما رأىٰ طليحة ذلك تزمَّل بكسائه ينتظر بزعمه نزول الوحي عليه، وعيينة بن حصن قاتل دونه يومئذ بسبعمائة من فزارة قتالاً شديداً، فلما ضجوا عن سيوف المسلمين أتىٰ عيينة إلى طليحة وهو في كسائه، فقال له: لا أبا لك، هل أتاك الوحي؟، فيقول تحت الكساء: لا، والله، فلما طال عليهم ذلك ضجّوا، وظهر عندهم كذبه، فقال عيينة: يا فزارة هذا والله كذّاب، فانهزموا فأسر عيينة وأفلت أخوه، فأراد خالد قتله فتكلم فيه رجل من بني مخزوم فتركه، ولما رأىٰ طليحة: أنّ شيطانه أسلمه وأعجزه وثب على فرسه، وحمل امرأته توارِ وراءه وهرب إلى الشام، وتفرق أصحابه، وفي هذه الوقعة قتل عكاشة بن محصن وثابت بن أرقم، وكانا فارسين قتلهما طليحة، وقيل: إن ثابتاً قتله مسيلمة أخو طليحة، ثم لما فشا القتل والأسر في أصحاب طليحة أمر خالد بالحظائر والأسرىٰ، فأوقد عليهم ناراً فأحرقهم من بين أهل الردة لشناعة ردتهم، ولما قيل له في ذلك قال: هذا عهد أبي بكر إليّ إن أظفرني الله عليهم، وعن عبدالله بن عمر رضي الله قال: شهدت بزاخة فأظفرنا الله تعالىٰ على طليحة، وكذا كلما أعزنا الله على قوم سبينا ذراريهم وقسمنا أموالهم.

ثم إنّ طليحة أقام بالشام حتىٰ توفي أبو بكر، وعادت القبائل إلى الإسلام، ثم أسلم وحسن إسلامه وحجّ في خلافة عمر رضي الله عنه، وله آثار جيلة في قتال الفرس بالقادسية في زمن عمر، ثم استشهد في حرب نهاوند، ولما فعل خالد ببني

أسد وفزارة ما فعل هابت منه العرب، وبثّ سراياه، ورغبوا في الإسلام، وأطاعه بنو عامر وغيرهم، ثم بعث عيينة بن حصن وقرّة بن هبيرة إلى أبي بكر موثقين، فكان غلمان المدينة ينخسون عيينة في وثاقه، ويقولون: يا عدو الله أكفرت بعد إيمانك؟، ثم كتب أبو بكر لهما أماناً وأطلقهما، ثم أظهر خالد أن أبا بكر عهد إليه أن يسير إذا أظفره الله تعالىٰ إلى أرض بني تميم وإلى اليمامة، فقال ثابت بن قيس صاحب لواء الأنصار: ما عهد إلينا ذلك وقد كَلَّ المسلمون عن الحرب، فقال خالد: وأنتم بالخيار، فسار خالد بمن معه من المهاجرين وغيرهم، ثم ندم الأنصار عن التخلف ولحقوا خالداً بعد نحو يومين، فاستقبلهم خالد بمن معه إكراماً لهم، فساروا جميعاً حتىٰ انتهوا إلى البطاح من أرض بني تميم، وعليها مالك بن نويرة فلم يجدوا بها جمعاً، وكان مالك أمرهم بالتفرّق، وكان في وصية أبي بكر لهم إذا نزلتم: فأذّنوا وأقيموا، فإن أذن القوم وأقاموا فكفّوا عنهم، وإلاّ فلا شيء إلاّ الإغارة والقتل، ففرق خالد السرايا ولقي سرية فيها أبو قتادة الأنصاري اثنىٰ عشر رجلاً من بني ثعلبة فيهم مالك بن نويرة فأخذوهم وحملوهم إلى خالد، وكان مالك قد بعثه ﷺ لأخذ صدقات قومه بني حنظلة، فلما بلّغته وفاته ﷺ ردّها إلى أربابها، فحنق المسلمون على مالك وعاهد خالد لئن أخذه ليقتلنه، ثم ليجعلن هامته أثفيةً للقدر، فلما أتي به أسيراً فيمن أخذ اختلفوا في إسلامهم، فشهد أبو قتادة الأنصاري أنهم قد أذنوا وأقاموا وصلّوا، وشهد بعض مَن في السرية أنهم لم يفعلوا ذلك ولم يسلموا، ووافقهم رأي خالد فأمر بقتلهم فقتلوا، وتزوّج امرأة مالك أم متمم من ليلته، وكانت جميلة قيل: لعلها كانت مطلقةً وانقضت عدتها، إلاّ أنها كانت محبوسة عنده على عادة الجاهلية، أو انقضت بالوضع عقب قتله وعلى كل حال فجلالة خالد تأبىٰ أن يظن به رذيلة خلافة الشرع، فقال أبو قتادة: هذا عملك يا خالد؟ فزبره خالد فغضب فأتىٰ أبا بكر فأخبره، فقال عمر: إن في سيف خالد رهقاً وأمر أبا بكر برجمه، فقال: والله لا أفعل إن كان خالد تأوّل أمراً فأخطأه.

وفي شرح المواقف: فأشار عمر إلى أبي بكر بقتل خالد قصاصاً، فقال أبو بكر: لا أغمد سيفاً شهره الله على الكفار، ولما أقبل خالد إلى المدينة قبل ذهابه إلى اليمامة كما في عيون التواريخ أو بعدها كما في كتاب الخميس وهو الأصح، قال له عمر رضي الله عنه: يا عدو الله عدوت على رجل مسلم فقتلته، ثم تزوجت امرأته لئن أمكنني الله منك لأرجمنك، وخالد ساكت لا يردّ جواباً لظنه أن ذلك عن رأي أبي بكر، فلما دخل علىٰ أبي بكر عاتبه في قتل مالك، فاعتذر إليه بأنه سمع منه ما استحلّ به قتله، فقبل أبو بكر عذره، ويقال إن ما سمعه منه: أنه قال حين يكلم خالداً أن صاحبكم قد توفي، فعلم خالد أنه أراد: أنه ﷺ ليس بصاحب له فتعين ردته فقتله، ومما يدل على أنّ مالكاً مات مرتداً أنّ متمماً أنشد عمر مراثيه في أخيه مالك، فقال عمر: وددت أني أحسن الشعر فأرثي أخي زيداً بمثل ما رثيت به أخاك، فقال متمم: لو أن أخي مات على ما مات عليه أخوك ما رثيته، فقال عمر: ما عزّاني أحد عن أخي ما عزّاني به متمم، وأنّ عمر لما أفضت الخلافة إليه، لم يتعرض لخالد ولم يعاتبه بكلمة، فدلّ على أنه ظهر له حقيقة ما فعله أبو بكر، فرجع عن اعتراضه.

ولما بلغ أهل اليمامة مسير خالد رضي الله عنه إليهم خافوا وتحيّروا، وأراد مُحكم بن طفيل سيد أهل اليمامة أن يرجع إلى الإسلام فلم يوفق، فقيل له: هذا خالد بن الوليد في المسلمين، فقال: رضي خالد أمراً ورضينا غيره، وما ينكر خالد أن يكون في بني حنيفة من يشركه في الأمر، فسيرىٰ خالد ما يلقى منّا ثم خطب لهم فقال: يا معشر أهل اليمامة إنكم تلقون قوماً يبذلون أنفسهم دون صاحبهم، فابذلوا أنفسكم دون صاحبكم، فإن أسداً وغطفان إنما أشار إليهم خالد بذباب السيف، فكانوا كالنعام الشارد، وقد تظاهر خالد وقال: هل حنيفة إلاّ كمن لقينا، وقام ثمامة بن أثال الحنفي في بني حنيفة، وكان عامل رسول الله ﷺ على اليمامة، فقال: اسمعوا وأطيعوا أمري ترشدوا، إنه لا يجتمع نبيّان بأمر واحد وإنّ محمداً ﷺ لا نبيّ بعده، ولا نبيّ يرسل معه، ثم قرأ:

[بسم الله الرحمٰن الرحيم حمٓ تنزيل الكتاب من الله العزيز العليم غافر الذنب وقابل التوب شديد العقاب ذي الطول لا إلٓه إلاّ هو إليه المصير﴾ هذا كلام الله عزّ وجلّ أين هذا من: يا ضفدع كم تنقنقين أعلاك في الماء وأسفلك في الطين، لا الشراب تمنعين ولا التراب تكدّرين إنكم لترون هذا الكلام ما يخرج من إلٍّ أي أصل ومعدن، وتوفي رسول الله ﷺ وقام بهذا الأمر رجل بعده هو أفقههم في أنفسهم، لا تأخذه في الله لومة لائم، ثم بعث إليكم رجلاً لا يسمى باسمه ولا باسم أبيه يقال له: سيف الله ومعه سيوف الله فانظروا لأمركم.

فلما سمعوا منه ذلك أخرجوه من بينهم، ولما نزل خالد بالعِرض واد باليمامة قدّم مائتي فارس، وأمرهم بأخذ من أصابوه فلقوا مجاعة بن مرارة الحنفي في ثلاثة وعشرين رجلاً من قومه قد خرجوا في طلب ثأر، ولم يشعروا بمجيء خالد، فقالوا لهم مَن أنتم؟ قالوا من بني حنيفة، فظنوهم رسل مسيلمة فجاؤوا بهم إلى خالد، فقال لهم: ما رأيكم في مسيلمة؟ فقالوا: إنه رسول الله فضرب أعناقهم إلاّ مجاعة ورجلاً آخر، فتركهما لما قيل له: إن مجاعة سيد قومه، فلعلّه يكون عوناً على حربك وسلمك، ثم أوثقهما بالحديد، ودفع مجاعة إلى امرأته أم متمم التي تزوجها بعد قتل مالك بن نويرة وأمرها أن تحسن إساره، وكان خالد كلما نزل منزلاً دعا مجاعة فأكل معه وحدثه، ثم مضى خالد بمن معه حتىٰ نزلوا عقرباء موضع قريب اليمامة، وكذلك نزل بها مسيلمة بعسكره، واختلفوا [واختلف] في أيهما أسبق إليها وفحص المسلمون على الرجّال فإذا هو على مقدمة مسيلمة، فلعنوه وشتموه، فتسوى الفريقان صفوفهما ودفع خالد رايته إلى زيد بن الخطاب، وراية الأنصار إلى ثابت بن قيس، فتقدم بها وجعل على مَيْمَنَتِهِ أبا حذيفة بن عتبة، وعلى ميسرته شجاع بن وهب، واستعمل على الخيل البراء بن مالك، ثم عزله واستعمل عليها أسامة بن زيد، لما بعثه أبو بكر أن يلحق بخالد بعد رجوعه من الشام في أربعمائة، ثم أمر بسرير فوضع في فسطاطه، فاضطجع عليه يتحدث مع مجاعة، ومعه أم متمم وأشراف الصحابة يتحدث

معهم، وأقبلت بنو حنيفة قد سلّت السيوف، فقال خالد: أبشروا فقد كفاكم الله عدوكم، وما سلّوا السيوف إلاّ ليرهبونا وإنّ هذا الجبن منهم، فقال مجاعة: كلاّ ولكنها الهندوانية خشوا من تحطّمها والغداة بارة فأبرزوها للشمس لتسخن متونها إلى أن يلقوكم، فلما دنوا صاحوا وتعلّلوا سل سيوفهم بذلك. قال عبيدالله ابن عبدالله بن عتبة: ثم اقتتلو قتالاً شديداً وصبر الفريقان حتى كثرت القتلىٰ فيها، وأول قتيل [من قتل] من المسلمين: مالك بن أوس، قتله محكم بن الطفيل، واشتد القتل في حملة القرآن واختلط العسكران وانهزما مراراً، وكلما انكشف المسلمون، أراد المشركون حمل مجاعة معهم فتركوه لشدة وثاقه ولتبادر المسلمين إليهم بالسيوف، فإذا رأىٰ المسلمون ذلك وثبوا على مجاعة وقالوا: اقتلوا عدو الله فإنه رأسهم، فلم تزل أم متمم تردهم عنه لكونها أجارته، وكان مجاعة أيضاً قد أجارها من المشركين مراراً من قتلها بهذا الوجه، وقال عكرمة: حملت بنو حنيفة أول مرة وخالد على سريره حتى خلصوا إليه، فجرد سيفه وجعل يسوقهم سوقاً حتىٰ قتل منهم كثيراً، ثم كرّوا حتىٰ انتهوا إلى فسطاط خالد، فجعلوا يضربون الفسطاط، وأرادوا قتل أم متمم، فردّهم مجاعة وسبّهم، وقال: إني لها جار. وجعل ثابت بن قيس صاحب راية الأنصار ينادي: يا معشر الأنصار والمسلمين بئس ما عودتم أنفسكم بالفرار، فلما رأىٰ زيد بن الخطاب هزيمة المسلمين ومعه راية خالد نادىٰ: أمّا الرّجال فلا رجال [مرتين] اللّهم إني أعتذر إليك من فرار أصحابي، ومما جاء به مسيلمة ومحكم بن الطفيل، فتقدم وضارب حتى قتل رحمه الله تعالىٰ، وفي الصفوة لابن الجوزي: زيد بن الخطاب أسلم قبل أخيه عمر، وكان أسنّ منه طوالاً أسمر، فلما رجع عبدالله بن عمر قال له عمر رضي الله عنه: ألا هلكت قبل زيد، فقال: قد كنت حريصاً علىٰ ذلك، ولكن الله أكرمه بالشهادة، وفي رواية قال له: ما جاء بك وقد هلك زيد ألا واريت وجهك عنّي.

قال: ثم أخذ الراية سالم مولىٰ أبي حذيفة فقالوا له: يا سالم نخاف أن يأتينا

العدوّ من قبلك فقال: بئس حامل القرآن أنا إن أُتيتم من قبلي، ونادت الأنصار ثابت بن قيس: الزم الراية فإنما ملاك القوم الراية، فتقدم سالم فحفر برجليه حتى بلغ أنصاف ساقيه، ومعه راية المهاجرين، وحفر ثابت لنفسه مثل ذلك ولزما رايتهما، حتىٰ قتل سالم رحمه الله تعالىٰ وقتل مولاه أيضاً أبو حذيفة رحمه الله تعالىٰ فوجد رأس أحدهما عند رجلي الآخر وبالعكس، وفي الصفوة أخذ سالم اللواء يوم اليمامة بيمينه فقطعت، ثم بشماله فقطعت، ثم اعتنقه وجعل يقرأ: ﴿وما محمد إلاّ رسول قد خلت من قبله الرسل﴾ الآية إلى أن قتل رحمه الله.

وعن عمر رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله ﷺ: وذكر سالماً «إنّ سالماً شديد الحب لله عزّ وجلّ» (٢٤٦) فلما قتل مكثت الراية لا يرفعها أحد، ثم حملها يزيد بن قيس وكان بدرياً حتى قتل، ثم حملها الحكم بن سعيد بن العاص فقاتل دونها طويلاً، ثم قتل، وقال وحشي: اقتتلنا يوم اليمامة قتالاً شديداً، فهزموا المسلمين ثلاث مرّات، وكرّ المسلمون في الرابعة وتاب الله عليهم فصبروا لوقع السيوف، واختلفت بينهم وبين بني حنيفة السيوف حتىٰ رأيت شهاب [شهب] النار تخرج من خلالها، فأنزل الله علينا نصره فهزمهم وقتل مسيلمة.

وقال ابن عمر رضي الله عنهما: لقد رأيت عمّاراً علىٰ صخرة قد أشرف يصيح: يا معشر المسلمين أمِنَ الجنة تفرّون أنا عمّار بن ياسر هلمّوا إليّ وأنا أنظر إلىٰ أذنه تذبذب وقد قطعت، وقال سعد القرظي: لقد رأيته يومئذ يقاتل قتالاً لا يحصل من عشرة [يقاتل قتال عشرة]، وقال شريك الفزاري: لما التقينا صبر الفريقان صبراً لم أر قطّ مثله، وجعل أهل السوابق والنيات يتقدمون فيقتلون حتى فنوا، ولقد أحصيت لنا ثلاث انهزامات، وما أحصيت لهم إلاّ

---

(٢٤٦) رواه أبو نعيم في الحلية (١/١٧٧) وهو حديث موضوع. وفي نسخة القاضي «كان شديد الحب» وليست كلمة كان عند أبي نعيم.

واحدةً وهي التي ألجأناهم فيها إلى الحديقة يقال لها: حديقة الرحمٰن، وبعد ذلك سمّيت حديقة الموت،وقال ضمرة بن سعد المازني: لم يلق المسلمون عدوّاً أشدّ لهم من بني حنيفة، قد أصلتوا السيوف قبل النبل والرماح وصبر المسلمون فكان المعول يومئذ علىٰ أهل السوابق، ونادىٰ عبّاد بن بشر وهو يضرب بالسيف وما هو إلاّ كالنمر الحرب أي الشجاع المحارب، فلقي رجلاً من بني حنيفة فقال: يا أخا الخزرج أتحسب قتالنا مثل من لاقيت؟ فعمد له عبّاد وابتدره الحنفي بالضرب بسيفه فانكسر سيفه ولم يصنع شيئاً، وضرب عباد فقطع رجليه وجاوزه، وتركه ينوء على ركبتيه، فناداه: يا ابن الأكارم أجهز عليّ فكرّ عليه عبّاد فضرب عنقه، ثم قام آخر مقامه فاختلفا ضربات وعبّاد على ذلك كثير الجراح، فضربه عبّاد ضربةً أبدا بها سُحْرهُ أي ريته، ثم جاوزه وأثخن فيهم القتل حتى قتل [منهم] أكثر من عشرين، والجرحى لا يحصون فكانوا إذا رأوا جراحاً بالرجل منهم، يقولون: هذا ضرب مجرب القوم عبّاد.

وعن رافع بن خديج، قال: خرجنا من المدينة ونحن أربعة آلاف وأصحابنا من الأنصار ما بَين خمسمائة إلى أربعمائة، وعلى الأنصار ثابت بن قيس، فانتهينا إلى قوم باليمامة هم الذين قال الله تعالى في حقهم ﴿ستدعون إلى قوم أولي بأس شديد تقاتلونهم أو يسلمون﴾ الآية فلما سوينا صفوفنا، لم يلبثوا أن حملوا علينا، فهزمونا مراراً فنعود إلى مصافّنا وفيهم خلل، وذلك أن صفوفنا كانت مختلطةً بكثير من الأعراب، فينهزم أولئك بالناس فيستخفون أهل البصائر والنيات حتى كثر ذلك منهم، ثم رزقنا الله الظفر، وذلك: أن ثابت بن قيس نادىٰ خالداً أخلصنا، فقال ذلك إليك، فأخذ الراية ونادى: يا للأنصار فتسلّلنا إليه رجلاً رجلاً، فنادىٰ خالد يا للمهاجرين فأحدقوا به، ونادى عدي بن حاتم ومكنف ابن زيد الخيل بطيّ فأحد قوابها، وكانوا أهل بلاء حسن، وعزلت الأعراب عنا غلوةً أي رمية سهم أو أكثر، وإنما كُنّا نؤتى من الأعراب، قال رافع: وأعجلهم أهل السوابق، فهم في نحورهم ما يجد أحد مدخلاً إلاّ أن يقتل رجلاً منهم

فيخلف مقامه آخر حتىٰ أوجعنا فيهم، وبان خلل صفوفهم، وضجّوا من السيف حتى أقحمناهم الحديقة، فضاربوا فيها حتىٰ قتلنا مسيلمة، وقيل لرافع: أي القتلىٰ أكثر؟ فقال: قتلاهم ضعف قتلانا مرتين، وقالت أم عمارة: رأيت عدي ابن حاتم يومئذ يصيح بطيّ صبراً فداكم أبي وأمي، وقال أبو خيثمة: لما انكشف المسلمون يوم اليمامة تنحيت ناحيةً، وكأني أنظر إلى أبي دجانة يومئذ ما يوتي ظهره منهزماً، وكان يختال في مشيته عند الحرب ما يستطيع غير ذلك، وكرّت عليه طائفة منهم، فما زال يضرب بالسيف أمامه وعن يمينه وعن شماله حتىٰ انفرجوا عنه، ونكص على أعقابهم والمسلمون مولّون، ثم تلاحق الأنصار والمهاجرون فدفعوهم حتىٰ أقحمناهم الحديقة، فقال أبو دجانة: القوني على التَّرسة حتى أشغلهم وكانوا قد أغلقوا الباب من الحديقة، فألقَوهُ على التَّرسَةِ ورفعوها على رؤوس الرماح حتىٰ وقع في الحديقة وهو يقول: لا ينجيكم الفرار منّا، فضاربهم حتىٰ فتحها، ودخلنا عليه مقتولاً رحمه الله، وروي أن البراء بن مالك هو المرمي في الحديقة، والأول أثبت.

ولما وصل عبّاد بن بشر إلى باب الحديقة ألقىٰ درعه ثم دخل بالسيف صلتاً يجالدهم حتى قتل. وقال أبو سعيد الخدري: سمعت عبّاد بن بشر يقول حين فرغنا من بُزاخة: يا أبا سعيد رأيت الليلة كأن السماء فرجت ثم أطبقت عليّ فهي الشهادة إن شاءالله، قال: فأنظر إليه يوم اليمامة وهو يصيح: يا للأنصار، ويقول: أخلصونا أخلصونا فأخلصوا أربعمائة رجل لا يخلطهم أحد، يقدمهم البراء بن مالك وأبو دجانة سماك وعباد بن بشر حتىٰ انتهوا إلى باب الحديقة، قال أبو سعيد فرأيت بوجه عبّاد يعني بعد قتله ضرباً كثيراً، وكان أبو بكر رضي الله عنه لما انصرف إليه أسامة من الشام بعثه في أربعمائة ليلحق بخالد، فأدركه قبل اليمامة بثلاثة أيام، فاستعمله خالد علىٰ الخيل مكان البراء بن مالك، وأمر البراء أن يقاتل راجلاً، فلما انكشف المسلمون يوم اليمامة انكشف أسامة بأصحاب الخيل، فصاح المسلمون: يا خالد، ولِّ البراء فعزل أسامة وردّ الخيل إليه، فركب البراء فرسه

والخيل متفرقون في النواحي، وما هي إلاّ الهزيمة، فصاح البراء: يا للأنصار يا خيلاه يا خيلاه، أنا البراء بن مالك فاجتمعوا إليه من كل ناحية فارسهم وراجلهم قال أبو سعيد: فقال لنا: احملوا عليهم فداكم أبي وأمي حملةً صادقةً تريدون الموت، ثم أظهر التكبير وكبّرنا معه، فما كان لنا ناهيةً إلا باب الحديقة، وقد أغلقت دوننا فازدحمنا عليهم، فلم نزل حتّىٰ فتحها الله تعالىٰ وظفرنا وله الحمد.

وروي: أن البراء كان فارساً وإذا حضرته الحرب أخذته رعدة حتّىٰ يضبطه الرجال ملياً، ثم يفيق فيبول بولاً أحمر كأنه نقاعة الحنّاء، فلما رأىٰ ما بالناس يومئذ أخذ ما كان يأخذه فلما أفاق صار كأنه أسد وهو يقول:

أسعدني ربّي على الأنصار كانوا يداً طرّاً على الكفار
في كل يوم ساطع الغبار فاستبدلوا النجاة بالفرار

ثم ضرب بسيفه حتىٰ خاض غمرتهم وانفرجوا له وثابَتْ إليه الأنصار كأنها النحل ثاوي إلى يعسوبها، وروي عن خالد قال: شهدت عشرين زحفاً فلم أرَ قوماً أصبر لوقع السيوف ولا أضرب بها من بني حنيفة، إنا لما فرَغنا من طليحة ولم تكن له شوكة، قلت: والبلاء موكل بالقول: ما بنو حنيفة؟ ما هي إلاّ كمن لقيناهم، فلما لقيناهم لم يشبهوا قوماً، ولقد صبروا لنا من طلوع الشمس إلى العصر حتىٰ قتل عدو الله، فما ضرب أحد منهم بعده بسيف، ولقد لقيت رجلاً منهم في الحديقة وأنا فارس وهو فارس، فوقعنا على الأرض فتعانقنا، فأجاءه بخنجر في سيفي وجعل يجاؤني بمعول في سيفه فجرحني سبع جراحات، وقد جرحته جرحاً أثبته فاسترخىٰ في يدي، ومالي به من حركة من الجراح [وما بي حركة من الجراح]، إلاّ أنه سبقني بالأجل، فالحمدلله على ذلك.

وحدّث ضمرة أنه خلص يومئذ إلى محكم بن طفيل وهو يقول: يا بني حنيفة ادخلوا الحديقة سأمنع عنكم، فدخلوها وأغلقوها عليهم، ورمىٰ عبدالرحمٰن بن أبي بكر محكماً بسهم فقتله، وروى غير ضمرة أن خالداً هو الذي قتله، وبه جزم صاحب القاموس، وهو أنه لما رأى محكم ما رأىٰ من قتل قومه صاح: يا أبا سليمان أدن فقد جاءك الموت، فبلغ خالداً وهو في مؤخر الناس فأجابه: ها أنا ذا أبو سليمان وكشف المغفر عن وجهه، ثم حمل على ناحية محكم يخوض بني حنيفة، فأقحم عليه فضربه ضربةً ارتعش منها، ثم ثنىٰ بأخرىٰ وهو يقول: خذها وأنا أبو سليمان فوقع ميتاً، وكان عبدالرحمٰن بن أبي بكر قد رماه بسهم قبل ذلك ولم يصنع شيئاً، واشتد قتال بني حنيفة بعد قتل محكم، فقالوا: لا حياة بعد محكم، ثم قالوا لمسيلمة: أين ما وعدتنا؟ قال: أما الدين فلا دين، ولكن قاتلوا عني أحسابكم، فاستيقنوا أنهم كانوا على غير شيء، قال وحشي: لما اختلطنا في الحديقة نظرت إلى مسيلمة وما أعرفه، ورجل أنصاري يريده، فربّنا أعلم أيّنا قتله إلاّ أني سمعت امرأة فوق الدير تقول: قتله العبد الحبشي.

وفي البخاري قال وحشيّ: خرجت مع الناس فإذا رجل قائم في ثلمة جدار كأنه جمل أورق ثائر الرأس فرميته بحربتي فوضعتها بين ثدييه حتى خرجت من بين كتفيه، ووثب إليه أنصاري فضرب بسيفه هامته، فقالت جارية على ظهر بيت: وا أمير المؤمنين قتله العبد الأسود (٢٤٦) وفي المنتقىٰ: لا شك أن الأنصاري الذي ضربه أبو دجانة سماك، وقال أبو الحارث: ما رأيت أحداً يشك أنّ عبدالله ابن زيد الأنصاري ضرب مسيلمة، ورماه وحشي فقتلاه جميعاً وهذا هو الأصح فروىٰ غير واحد عن عبدالله يقول: أنا قتلته.

وعن أمّه أمّ عمارة بنت كعب تقول: إن ابني عبدالله هو الذي قتله، وذلك

(٢٤٦م) رواه البخاري (٤٠٧٢).

أنّ ابنها خبيب بن زيد أخذه مسيلمة قبل يوم اليمامة فقطعه عضواً عضواً ثم أحرقه بالنار، حيث لم يقرّ بنبوته وأقرّ بنبوة محمد ﷺ، فلما بعث أبو بكر خالداً إلى اليمامة استأذنت أم عمارة في الخروج فقال لها: قد عرفناكِ ومثلك لا يمنع من الخروج، فخرجت وعاهدتِ الله لئن رأت مسيلمة لتقتحمن عليه أو تقتل دونه، قالت: فلما اختلطت السيوف بيننا وبينهم في الحديقة وخرّس القوم فلا صوت إلاّ وقع السيوف حتى بَصُرتُ بعدوّ الله فشددت عليه، وعرض لي رجل منهم فضرب يدي فقطعها، فوالله ما عرّجت عليها حتىٰ انتهيت إلى الخبيث وهو صريع، وأنّ ابني عبدالله قد قتله، وفي رواية: وابني عبدالله يمسح سيفه بثيابه، فقلت: أقتلته؟ قال: نعم يا أمي فسجدت لله شكراً، وقطع الله دابرهم.

وعن محمد بن يحيىٰ قال: جُرِحَت أم عمارة يومئذ أحد عشر جرحاً سوىٰ قطع يدها، وكان خالدٌ كثير التعاهد حسن الصحبة لها، وقتل يومئذ ثابت بن قيس، وكان قد ضرب فقطعت رجله فرمى بها قاتله فقتله، وحكي عنه بعد موته أشياء دلّت على عظم منزلته، يطول ذكرها، وممن قتل يومئذ: حاجب ابن زيد وأبو عقيل وبشر بن عبدالله وثابت بن عامر العجلاني، فلما رأى مجاعة هذه المقتلة من قومه احتال في المصالحة مع خالد فأرسل إلى قومه أن ألبسوا السلاح النساء والذرية والعبيد، ثم إذا أصبحتم فقوموا مستقبلي الشمس على حصونكم حتى يأتيكم أمري وبات خالد والمسلمون يدفنون موتاهم، فلما أصبح خالد أمر بمجاعة وسيق إليه في الحديد، ثم فتش عن الخبيث مسيلمة فوقف عليه مقتولاً، وقال: يا مجاعة هذا صاحبكم الذي فعل بكم ما فعل، وظنّ خالد أنه لم يبق منهم مقاتل، فقال مجاعة: قد كان ذلك يا خالد، ولا تظن أن الحرب انقطعت وقد قتلت صاحبهم، والله ما جاءك إلاّ سرعان، وإنّ جماعة الناس لفي الحصون، فانظر، فرفع خالد رأسه وهو يقول: قاتلك الله ما تقول؟ فنظر خالد، فإذا الخلق بسلاحهم على الحصون، فرأىٰ أمراً مهولاً،

أدركته الحمية، فنادىٰ: يا خيل الله اركبي، ودعا بسلاحه وأمر صاحب الراية أن يقدمها، والمسلمون كارهون قد ملّوا من الحرب، وعامة من بقي جريح، وقال مجاعة: يا خالد إني لك ناصح إن السيف قد أفناك وأفنىٰ غيرك، فتعال أصالحك عن قومي، فرقّ خالد لأصحابه وأحب الموادعة، فاصطلحا على الصفراء والبيضاء والحلقة والكراع ونصف السبي، ثم قال مجاعة: آتي القوم فأعرض عليهم ما صنعت، فذهب ورجع وأخبر أنهم أجازوه، وأنكر بعض الصحابة الصلح، ومن أشدّهم أُسيد بن حضير، فقال له خالد: أفناكم السيف، قال: وأفنىٰ غيرنا أيضاً وقتلنا رأسهم فلا ندخل في الصلح حتى يظفرنا الله، أو نبيد من آخرنا، وبينما هم كذلك، إذ ورد عليهم كتاب أبي بكر فيه: فإذا جاءك كتابي فإن أظفرك الله فلا تبق منهم رجلاً جرت عليه الموسىٰ، فقالت الأنصار: أمر أبي بكر فوق أمرك فلا تبق منهم، فقال خالد: والله ما صالحتهم إلا بما رأيت من رقتكم وقد صالحتهم ومضى الصلح فيما بيني وبينهم، ولما بان لخالد ما فعل مجاعة، قال: ويلك يا مجاعة قد خدعتني مرتين، فقال: لم أجد بدّاً من ذلك، ثم إنّ خالداً قد خطب إلى مجاعة ابنته، وكانت أجمل أهل اليمامة، فقال له: مهلاً ولا أرغب عنك، ولكن القالة عليك كثيرة، فقال له: زوجنيها فليس هذا بأمر عظيم، فقال: قد نصحتك وهل يكون عيباً إلاّ عليك؟ فزوّجه وبلغ ذلك أبا بكر فغضب، فقال لعمر: إن خالداً لحريص على النساء حين يصاهر عدوه، وينسى مصيبته، فازداد غيظ عمر رضي الله عنه عليه، فكتب إليه أبو بكر: يا خالد إنك لفارغ تنكح النساء وتعرس بهنّ وببابك دماء ألف ومئتي مسلم، لم تجفّ بعد، ثم خدعك مجاعة عن رأيك فصالحت وقد أمكن الله منهم، فكتب في جوابه كتاباً فيه حسن الاعتذار إلى أبي بكر، وأرسله مع أبي برزة الأسلمي، فلما قرأ أبو بكر كتابه رقّ له بعض الرقة، وعمر باق على شدّته مع رهط من قريش، فقام أبو برزة وعذر خالداً، وقال: يا خليفة رسول الله ما يُؤْبَنُ خالد بجبن ولا خيانة، ولقد أقحم في الحرب حتىٰ أعذر، وصبر حتى

ظفر، وما صالح القوم إلاّ على رضاه، وما أخطأ رأيه بصلح القوم إذ لا يُرى النساء في الحصون إلاّ رجالاً فقال له: صدقت، وكلامك أحبّ إليّ من عذره في كتابه، ولما صالحهم خالد أمر بالحصون ففتحت وأخرج ما فيها من الأموال، ثم ألزمها الرجال، وحلّف مجاعة أن لا يغيب شيئاً مما فيها، ثم أخرج السبي فقسمه قسمين وأقرع بينهما، ثم قسم قسمه مع سائر الأموال وعزل الخمس حتىٰ قدم به على أبي بكر مع وفد اليمامة، فلما دخل المدينة لم يبق دار إلاّ وفيها باكية لكثرة القتلىٰ، فبكىٰ أبو بكر لما رأىٰ ذلك، فقال لِخالِدِ سَمّ لي أهل البلاء، فقال: يا خليفة رسول الله: البلاء للبراء بن مالك والناس تبع له.

فثاني العام ربيع الأول وذاق مسيلمة شر مقتل

(فثاني العام) منصوب بتقدير في ظرف لذاق الآتي أي ففي ثاني العام من خلافة الصديق رضي الله عنه (ربيع الأول) بدل بعض مما قبله أي ففي شهر ربيع الأول من ثاني العام كانت وقعة اليمامة (وذاق) (مسيلمة) الكذاب فيها مقتلا (شر مقتل) ضربه وحشي بحربة بين كتفيه وأنصاري بسيفه فقتلاه جميعاً كما مرّ تفصيله ولاِ يخفىٰ أن ربيع الأول تركيب توصيفيّ لا إضافيّ ولا يستعمل بدون لفظ شهر كما مرّ أول الكتاب ففي النظم حذف شهر، وتنوين ربيع، لكن يقتضي نصب الأول وهو لا يوافق مقتل المجرور بالإضافة، فالصواب أن يقول [يقال]: في ثاني العام ربيع الأول حتى يكون ربيع بدلاً مجروراً فتأمله.

وعدد من استشهد يوم اليمامة ألف ومائتان كما في كتاب أبي بكر السابق، وجرح من لم يُقتل، وعدد مَن قُتِلَ من القراء سبع مائة، وروي عن سالم بن عبدالله: أنه قتل من قريش سبعون ومن الأنصار مثله ومن غيرهم خمسمائة. وعن أبي سعيد الخدري: قتلت الأنصار في مواطن أربعة سبعين سبعين يوم أحد سبعين، ويوم بئر معونة، ويوم اليمامة، ويوم خيبر أبي عبيد كذلك، وفي المنتقىٰ

للقسطلاني كان عدد بني حنيفة أربعين ألفاً، فقتل من المسلمين ألف ومائتان، وقيل: ألف وثمانمائة، ومن المشركين نحو عشرين ألفاً، وقيل: عشرة آلاف، فلما أُتي أبو بكر بالسبايا أعطىٰ عليّاً الحنفية فولدت له محمد المشهور بابن الحنفية.

[فائدة] بلد مسيلمة مدينة اسمها اليمامة، ويقال لها: حجر اليمامة وجوّ اليمامة وهي بلد معروف باليمن، وقيل: اليمامة اسم امرأة زرقاء يقال لها: زرقاء اليمامة تضرب بها الأمثال في حدة البصر، وهي اليمامة بنت مرّة من ذرية آدم بن سام ابن نوح فسميت البلدة بها.

سنة ثلاث عشرةً أولها	**جهّز من جيوشه أجلها**
بعضاً إلى الشام العراق ثم	**حتىٰ استقام علم الإسلام**

(سَنَهْ) باسكان الهاء اجراءً للوصل مجرىٰ الوقف (ثلاث عشرةً) بالتنوين للوزن (أولها) بالنصب بدل مما قبله ظرف لقوله (جهّز) أي الصديق (من جيوشه أجلها أي أحسنها شجاعة وصبراً على الحرب وغير ذلك فبعث (بعضاً من جيوشه (إلىٰ) حرب (العراق) وولّىٰ عليهم خالد بن الوليد بعد رجوعه من اليمامة إلى المدنة، وقيل: ولآه ذلك وهو باليمامة فسار بمن معه إلى العراق، حتّىٰ نزل قصور الحيرة بكسر الحاء بلدة قريب الكوفة، فخرج إليه أشرافهم مع قبيصة بن إلياس الطائي أميرهم من جهة كسرىٰ بعد النعمان بن المنذر، فقال له خالد: أدعوكم إلى الإسلام، فإن أجبتم فلكم ما لنا وعليكم ما علينا، فإن أبيتم فالجزية، فإن أبيتم فقد آتيتكم بأقوام هم أحرص على الموت منكم على الحياة، فنجاهدكم حتى يحكم الله بيننا وبينكم، فقال له قبيصة: لا حاجة لنا بحربك فنعطيك الجزية، فصالحهم علىٰ تسعين ألف دينار، فكانت أول الجزية [جزية] في العراق، وقيل: خرج إليه عبدالمسيح بن عمرو بن نفيلة وكان معمراً له ثلاثمائة وخمسون سنة، وقيل: أربعمائة، وكان نصرانياً، فقال له خالد بعد

كلمات: أدعوكم إلى الإسلام، فإن أبيتم فالجزية، فصالحهم على ما ذكر، ويمكن الجمع بوقوع المصالحة مرتين، لرواية أنه لما صالح أهلها، وتحول عنهم نقضوا العهد فبعث خالد إليهم مثنىٰ بن حارثة فحاصرهم، فخرج عبدالمسيح إلى خالد فصالحه.

وروي أن عبدالمسيح لما أتاه وجد في كفه شيئاً يقلّبه، فقال له خالد: ما هذا؟ قال: وأمانة الله سمٌّ ساعة، قال: وما تصنع به؟ قال: إن كان عندك ما يوافق قولي [قومي] قبلته، وإن كانت الأخرىٰ لم أكن أول من ساق على قومه ذلاً، وقد أشرفت على الموت فأشربه وأستريح، قال خالد: هاته لن تموت نفسي حتىٰ تأتي علىٰ أجلها، فقال: بسم الله وبالله ربّ الأرض والسماء لا يضرّ مع اسمه [شيء ولا] داء؛ فأهووا إليه ليمنعوه فبادرهم وابتلع السَّمَّ ولم يضره، فقال عبدالمسيح: والله يا معشر العرب لتملكن ما أردتم ما بقي منكم أحد أيها القرن، ثم أقبل على أهل الحيرة فأخبرهم وأمرهم بالمصالحة، ثم بعث أبو بكر بعضاً آخر من جيوشه إلى البحرين إلى أهل الردة، وولّىٰ عليهم علاء بن الحضرمي قال الدميري: ولما بعثهم سلكوا مفازةً وعطشوا حتىٰ خافوا الهلاك، فنزل العلاء وصلّىٰ ركعتين، ثم قال: يا حليم يا عليم يا علي يا عظيم اسقِنا، فجاءت سحابة كأنها جناح طائر، فأمطرت عليهم حتى ملؤوا الآنية وسقوا الركاب، قال الراوي: ثم انطلقنا حتى أتينا دارَيْنا بيننا وبينهم البحر فلم نجد سُفُناً، وكان المرتدون قد أحرقوا السُفُن فصلّىٰ ركعتين، ثم قال: يا حليم يا عليم يا عليّ يا عظيم أجزنا، ثم أخذ بعنان فرسه ثم قال: جوزوا بسم الله، قال: أبو هريرة فمشينا على الماء، فوالله ما ابتلّ لنا قدم ولا خفّ ولا حافر، وكان الجيش أربعة آلاف، وفي رواية: وكان البحر مسيرة يوم، وفي رواية: حُبِس لهم البحر حتّىٰ جاوزوه أي العلاء وأصحابه مشياً على أرجلهم، وكانت تجري فيه السفن قبل ثم جرت فيه بعد، فقاتلهم فأظفره الله عليهم، وأسلموا [وسلموا] له ما منعوه من

جزية صالحهم عليها رسول الله ﷺ، وفي ذلك يقول عفيف بن المنذر وكان معهم:

ألم تـــر أنّ الله ذلّـــل بحره وأنزل بالكفار إحدى الجلائـل
دعانا الذي شق البحار فجاءنـا بأعظم من خلق البحار الأوائـل

(غزو الروم)

(ثم) جهّز أجمل الجيوش وأمّر عليهم أمراء ووجّههم إلى غزو الروم على (الشام، حتى استقام علم الإسلام) وطارت هيبته في قلوب الأعداء، وبيان ذلك: أن أبا بكر رضي الله عنه لما فرغ من أهل الردة واستقامت له العرب عزم على غزو الشام، فشاور أكابر الصحابة من العشرة وغيرهم، فاستصوبوا رأيه وأطاعوه، فخطب ورغّب الناس في الجهاد، ثم أمر بلالاً أن يؤذن في الناس بالخروج إلى جهاد عدوهم الروم بالشام، وأمّر عليهم خالد بن سعيد، وكان من عمّاله ﷺ على اليمن كما مرّ، ثم عزله بأمر عمر رضي الله عنه، ودعا يزيد بن أبي سفيان، وأبا عبيدة بن الجراح وشرحبيل بن حسنة فقال لهم: إني مُؤَمِّرُكُمْ على هذا الجيش. وأمدّ كلاً منكم بالرجال ما قدرت، فإذا أجمعتم على حرب عدوكم فأميركم أبو عبيدة، فإن لم يلقكم فيزيد بن أبي سفيان، ثم أمر بالعسكر مع هؤلاء الثلاثة، وبلغ خالد بن سعيد عزله ولم يتكدر، فقال لأبي بكر إنك غير متهم: ورأيك حسن فافعل فيّ ما ترى [تريد]، فخرج هو وإخوته وغلمته، فكانوا أول من خرج إلى المعسكر، ثم كتب أبو بكر كتاباً مع أنس إلى اليمن يدعوهم إلى الجهاد، حتى انتهى إلى ذي الكُلاع الحميري، فلما قرأ الكتاب دعا بفرسه وسلاحه ونهض في قومه، فجاء بجموعٍ كثيرةٍ بأولادهم ونسائهم مسرعين إلى المدينة، ففرح أبو بكر، قال أنس: وجاء قيس بن هبيرة المرادي بجمع كثير، فقال لأبي بكر: ما تنتظر؟ قال: قدومكم، قال: قدمنا فابعث

الناس الأول فالأول، فإن هذه البلدة ليست ببلدة خفّ ولا كراع.

فعقد أبو بكر ليزيد بن أبي سفيان لواءً وأمره أن يخرج بجيشه قِبل الشام، فشيعه أبو بكر ماشياً ويزيد راكب، فقال له: إمّا أن تركب وإمّا أن تأذن لي بالمشي، فقال أبو بكر: ما أنا براكب وما أنت بنازل[٢٤٧] سمعت رسول الله ﷺ يقول: «من اغبرّت قدماه في سبيل الله تعالىٰ حرّمها الله على النار»[٢٤٨] ثم أوصاه وودّعه، ثم أمر شرحبيل في اليوم الثالث بالخروج فودعه كما فعل بيزيد، وبقي عظيم الجيش مع أبي عبيدة يصلي بهم في المعسكر وينتظر الإذن بالخروج، وأبو بكر ينتظر قدوم العرب عليه من كل ناحية [مكان] لقوّة عدوهم من الروم، فاجتمعت جموع كثيرة من حمير فيهم ذو الكلاع، ومذحج فيهم قيس بن هبيرة، وطيّ فيهم حابس بن سَعد الطائي، وأزد فيهم جندب بن عمرو، وجماعة من قبائل قيس.

وأما ربيعة وتميم فكانوا بالعراق، ثم أمر أبا عبيدة بالخروج، فشيعه وأوصاه وودّعه ولما تهيأ خالد بن سعيد للخروج مع أبي عبيدة قيل له: ابن عمّك يزيد ابن أبي سفيان أولىٰ بذلك، فقال: ابن عمّي أحب إليّ في قرابتي وهذا أحب إليّ في دينه، وكان أخي في ديني في عهده ﷺ، فقام من الغد هو وإخوته وغلمته وأتباعه، فصلّوا الصبح مع أبي بكر ثم جلسوا إليه، فحمد الله وأثنىٰ على رسوله ثم قال: هات يدك يا أبا بكر، فإنّا لا ندري أنلتقي في الدنيا أم لا؟، فإن بقينا فنسأل الله عفوه، وإن افترقنا فعرّفنا الله وإياك وجه النبي ﷺ في جنّات النعيم، فأخذ أبو بكر بيده فبكىٰ، وبكىٰ خالد والمسلمون، ثم خرج الناس معه، قال أنس: فما رأيت أحداً شيّعه أكثر مما شيع خالداً يومئذ، ثم ودّعهم أبو بكر ودعا لهم، ثم أتى محمد بن خليفة الطائي أخو عدي بن حاتم لأمه، ومعه ستمائة من طيّء،

---

(٢٤٧) إلى هنا رواه الطبراني في الكبير (ج٢٢ رقم٦٠٧) بسند منقطع.

(٢٤٨) هذا الحديث المرفوع رواه البزار (١٦٦٠) بإسناد فيه كوثر بن حكيم وهو متروك.

فقالوا لأبي بكر: اختر لنا والياً صالحاً، فقال: الحقوا بأبي عبيدة، فنعم الرفيق فلحقوه بالشام، ثم قدم من خثعم قريب من ألف بنسائهم وذراريهم فلحقوا بيزيد، ثم بلغ ذلك هرقل وهو بفلسطين، فقيل له: إن العرب قد جمعت جموعاً عظيمة يريدون الاستيلاء على بلادك، ومعهم نساؤهم وأولادهم تصديقاً لإخبار نبيّهم: بأنهم سيملكون هذه البلاد فاشتدّ علىٰ هرقل، وجمع أشراف الروم من البلاد، ومن كان على دينه من العرب، فحصّنهم على التمسّك بدينهم والثبات علىٰ حربهم، ثم خرج إلى دمشق فوصاهم بذلك، ثم إلى حمص كذٰلك، ثم إلى أنطاكية وأقام بها وبعث إلى الروم ليجتمعوا بها، فاجتمع ما لا يحصىٰ لخوفهم من العرب، ثم أقبل أبو عبيدة فمرّ بوادي القرىٰ، ثم بالحجر: أرض صالح النبي عليه الصلاة والسلام، ثم سار إلىٰ مآب بعمّان من أرض البلقاء بالشام، فخرج إليهم الروم فهزمهم المسلمون، فحاصروهم في مدينتهم، فصالح أهل مآب عليها، فكانت أول مدائن الشام صلحاً، ثم دنا أبو عبيدة من الجابية قرية بدمشق فأخبروه: أن هرقل قد جمع بأنطاكية ما لم يجمع أحد قبله، فكتب إلى أبي بكر بذلك، فكتب إليه: أن جمعه بأنطاكية وتحوّله من ملكه بلا قتال جبن وهزيمة، وأن من معك من المسلمين قوم يحبون الموت في الجهاد حُبَّ عدوهم الحياة، ورجل منهم عند الحرب خير من ألف من المشركين، فالقهم بجندك ولا تستوحش فإن الله معك، وأنا مع ذلك ممدّك بالرجال حتى تكتفي والسلام.

وكتب يزيد أيضاً إلى أبي بكر رضي الله عنه: إنّ هرقل ألقى الله الرعب في قلبه وتحوّل إلى أنطاكية وخلف أمراء على جند الشام لقتالنا، ثم استنفر أهل مملكته وجاؤوا يجرّون الشوك والشجر فمرنا بأمرك وعجّل والسلام، فأجابه بنظير ما أجاب به أبا عبيدة، ثم بعث أبو بكر هاشم بن عتبة في ألف عوناً لأبي عبيدة ثم عامر بن سعيد في أكثر من سبعمائة عوناً ليزيد، فشهدوا معه يوم العربة ويوم الداثنة، وهما أول وقعة بالشام وليسا من الأيام العِظام، ثم قدم على أبي بكر حمزة بن مالك الهمداني في ألف أو أكثر فلحقوا بابي عبيدة، فما زال أبو

بكر يوجه الجنود من قبائل تأتيه من كل ناحية نصرةً للإسلام، ولما رأىٰ أهل مدائن الشام أن العرب جاشت عليهم من كل ناحية بعثوا إلى ملكهم يسألونه المدد، فكتب إليهم: أن مدينةً من مدائنهم فيها أكثر من جميع ما جاءكم منهم فكيف تستمدونني، ومع ذلك لأبعثن إليكم ما تضيق به الأرض، فقاتلوهم حيث وجدتموهم، فكتب أبو عبيدة بذلك إلى أبي بكر، فدعا أشراف قريش من المهاجرين وأشراف الأنصار، وأمّر عليهم عمرو بن العاص، وأمرهم أن يلحقوا بأبي عبيدة، فكانوا نحو ألفين، فسُرَّ أبو عبيدة بعمرو، لأنه كان ذو رأي في الحرب وتجربة في الأمور، وقد أشار الناظم إلىٰ بعض فتوح العراق والشام إجمالاً فقال:

فابن الوليد فتح الأُبلَّة وَوقعت في الفرس أي ذلة

(فابن الوليد) خالد (فتح الأُبُلَّة) بضم الهمزة والباء وفتح اللام المشدّدة مدينة صغيرة بالبصرة حسنة عامرة، يجري فيها أنهار الأبلة طيبة جداً نضرة الأشجار متدفقة الأنهار، حتّىٰ عدّت من جنان الدنيا (ووقعت في الفرس) بسبب انهزامهم مرة بعد أخرىٰ لما قاتلهم خالد رضي الله عنه (أي ذلّه) أيْ ذلة أيُّ ذلة أيْ ذلة عظيمة، على حدّ مررت برجل أيّ رجل.

وبيان ذلك أن خالداً لما قدم الأبلّة لقي هرمزاً في ثمانية عشر ألفاً، فانهزم أهل فارس وقتل منهم كثير، وقسم خالد الأسلاب، وبعث بالخمس مع سعيد ابن النعمان، وبلغ الخبر أردشير فبعث الأندر في خلق كثير، فلقوا خالداً فهزمهم، ومات الأندر عطشاً في البراري، وبلغت قتلاهم سبعين ألفاً كما في عيون التواريخ، ثم قصد خالد الأنبار وهي مدينة قديمة أول بلاد العراق ففتحها، واستخلف عليها الزبرِقان بن بدر وقصد عين التمر موضع قرب الكوفة، فامتنع أهلها، فحاصرهم حتىٰ أنزلهم وضرب أعناقهم وسبا منهم كثيراً،

ووجد في بيعتهم أربعين غلاماً يتعلمون الإنجيل، عليهم باب مغلق فكسره عنهم وقسمهم في العسكر، منهم سيرين أبو محمد بن سيرين، ثم خلف على عين التمر عويمر الأسلمي فسار إلىٰ دومة الجندل فقاتله أهلها فانهزموا، وتحصن أقوام بالحصن فلم ينفعهم، وقلع خالد باب الحصن، وسبا ابنة الجودي صاحب دومة، وكانت موصوفةً بالجمال، ولما بلغ الروم ما صنع خالد حميت واستعانت بمن يليهم من الفرس، ومن تغلب، وأنمار، وغيرهم، فأمدّوهم ثم ناهزوا خالداً حتى إذا صار الفرات بينهم قالوا: إما أن تعبروا إلينا وإمّا أن نعبر إليكم، قال خالد: بل اعبروا إلينا فعبروا واقتتلو قتالاً طويلاً، فهزمهم الله تعالىٰ وبلغ قتلاهم أزيد من مائة ألف، وأقام خالد هناك بعد الوقعة، ثم أمر عاصم بن عمرو أن يسير بالقوم إلىٰ الحيرة، وخرج خالد حاجاً مكتتماً، يعتسف البلاد في طريق لم يسلكه أحد في أسرع زمن شكراً لله عزّ وجلّ، فلما علم أبو بكر رضي الله عنه ذلك عتب إليه، ونهاه أن يعود لمثله خوف ضياع المسلمين، وأمره أن ينصرف من العراق إلى الشام، ويغيث عسكر المسلمين من الروم كما قال الناظم:

وجاء إلى الشام من العراق يجوب ذاك البر باختراق

(وجا) أي خالد في أصحابه الذين كانوا معه، وهم ثمانمائة وخمسون كلهم ذوو نية وبصيرة، وفيهم ثلاثمائة من المهاجرين والأنصار، كما قاله قيس بن حازم وحذف همزة جاء لالتقاء الهمزتين (إلى الشام) هي بلاد واسعة وحّده: من الفرات إلى العريش كما ذكره ابن الملقن، وهي الأرض المقدسة مهبط وحي الأنبياء، وأهلها أحسن الناس خَلْقاً وخُلُقاً قال بعضهم: إن الشام خمس شامات الأولىٰ: غزّة والرملة وفلسطين والثانية: الأُردن وطبرية والغور، والثالثة: الغوطة ودمشق وسواحلها، والرابعة: حمص وحماه وقنسرين وحلب، والخامسة: أنطاكية والعواصم وطرسوس، وقيل: لما كان الشام في أيدي الروم مقسوماً على أربعة أقسام بعث أبو بكر إلىٰ كل جنداً، وأمّر عليهم أميراً (من العراق) ناحية

مشهورة وهي من الموصل إلى عبّادان طولاً ومن القادسية إلى حلوان عرضاً، أرضها أعدل أرض الله مولداً، وأصحّها تربةً، وأهلها أصحاب الأبدان الصحيحة، والعقول الوافرة كما ذكره المؤرخون، روي أنه لما نزل أبو عبيدة الجابية قرية بدمشق كتب إلى أبي بكر رضي الله عنه: إنّ الروم ومن تبعهم أجمعوا علىٰ حربنا ونحن نرجو النصر وأحببت إعلامك لترينا رأيك والسلام.

فقال أبو بكر رضي الله عنه: والله لأنسيَنَّ الروم وساوس الشيطان بخالد بن الوليد، وكان خالد إذ ذاك يلي حرب العراق فكتب إليه: أمّا بعد فدع العراق وخلّف فيه أهله وامض مختفياً في أهل القوة من أصحابك حتى تأتي الشام فتلتقي أبا عبيدة ومن معه فإذا لقيتهم فأنت أمير الجماعة والسلام.

ويروىٰ أنه كان فيما كتب إليه: فلتهنك النعمة والحظوة أبا سليمان، ولا يدخلنك عجب فتخسر وتخذل فوافاه الكتاب وهو بالحيرة منصرفاً من حجّة حجّها مكتتماً كما مرّ، وذلك بعد فراغه من إيقاعه بالروم ومن أعانهم من جموع فارس بالفتراض [بالفراض]، هو موضع بين البصرة واليمامة كما في القاموس، وكان قد اشتدت هيبة أهل العراق من خالد، لأنه إذا نزل بقوم من المشركين كان عذاباً من عذاب الله تعالىٰ عليهم، فلما قرأ الكتاب قال: أمّا إذ ولآني فقد سررت، فقد كنت أرجو أن يفتح الله على يدي العراق، وإن في الشام خلفاً منه، فقيل له: ما الشام إلاّ كجانب من العراق، فقال: إن بالشام أهل الإسلام، وقد تجمع لهم الروم، فإنما أنا مغيث، ويروى: أن أبا بكر أمره بالخروج في شطر الناس، ويخلّف المثنىٰ بن حارثة على الشطر الآخر ففعل، وأوصىٰ المثنىٰ أن لا يقصر في الجهاد، وقال لهم: إن فرغنا عاجلاً عجلنا إليكم، وإن أبطأتُ رجوت أن لا تهنوا حتى يفتح الله عليكم هذه البلاد، وخليفة رسول الله ﷺ لا يترك إمدادكم (يجوب) أي يقطع خالد في مجيئه من العراق إلى الشام (ذاك البرّ) الأقفر (باختراق) أي باختراقه وقطعه له بغير طريق على خلاف العادة، ذكره

الطبري: أنه لما أراد المسير إلى الشام، دعا بالأدلّة، فارتحل من الحيرة ثم طعن في البرّ إلى قِرَاقِرَ، ثم قال: كيف لي بطريق أخرج فيه من وراء جموع الروم، فإني إن استقبلتها حبستني عن غياث المسلمين، فقالوا: لا نعرف إلاّ طريقاً لا يحمل الجيش، فإياك أن تهلك المسلمين، ولم يجبه إلى ذلك إلاّ رافع بن عميرة الطائي، وحرضهم على المسير وحسن النيّة.

وذكر غير الطبري: أنه لما أراد المسير قيل له: اجعل كوكب الصبح على حاجبك الأيمن، ثم أُمَّه حتى تصبح، فإنك لا تجوب، فجرّبه فوجده كذلك، ثم أخذ في السماوة حتىٰ انتهىٰ إلىٰ قراقِرَ، ففوزاء أي سلك في المفازة من قراقر إلى سُوىٰ، وهما منزلان بينهما خمس ليال، فلم يهتدوا للطريق، فدُلّ خالد على رافع ابن عمير الطائي، فقال له خفّف الأثقال واسلك هذه المفازة إن كنت فاعلاً، فكره خالد أن يخلف أحداً وقال: قد أتـاني أمر لا بدّ من إنفاذه وأن نكون جميعاً قال: فوالله إن الراكب المنفرد ليخاف على نفسه أن يسلكها، فكيف أنت بمن معك؟ قال: لا بدّ من ذلك، ثم قال لخالد: ابغني عشرين جزوراً سِماناً عظاماً مساناً أي كباراً فأتاه بها فظمّأهن حتى إذا جهدهنّ عطشاً سقاهنّ حتىٰ أرواهن، ثم قطع مشافرهنّ ثم عكمهنّ أي شدهنّ بثوب، ثم قال لخالد: سِرْ بالخيول والأثقال، فكلّما نزل منزلاً نحر من تلك الشرف أي الإبل الهرمة الكبار أربعاً، فافتظّ أي عصر ماءهنّ فسقاه الخيول وشرب الناس مما تزودوا، حتىٰ إذا كان آخر ذلك، قال خالد لرافع: ويحك ما عندك؟ قال: أدركك الرِيّ إن شاءالله تعالىٰ، انظروا هل تجدون شجرة عوسج على ظهر الطريق قالوا: لا، قال: إنّا لله إذاً والله هلكت وأهلكت انظروا فوجدوها، فكبّر وكبّروا، وقال: احفروا في أصلها فاحتفروا فوجدوا عيناً فشربوا وارتووا، فقال: والله ما وردت هذه الماء إلاّ مرة مع أبي وأنا غلام، قال راجز من المسلمين:

لله درّ رافـع أنّـى اهتـدىٰ ... فـوّز من قـراقـر إلى سُـوىٰ

أرضاً إذا ما سارها الجيش بكا ما سارها من قبله إنس يُرىٰ

وروي أنه لما أقبل خالد من عين التمر موضع قريب الكوفة إلىٰ الشام كتب إلى المسلمين: أمّا بعد فإن كتاب خليفة رسول الله ﷺ أتاني بالمسير إليكم وقد شمّرت، وكان قد أظلت عليكم خيلي ورجالي، فأبشروا بإنجاز موعد الله وحسن ثوابه للمجاهدين والسلام.

وإلى أبي عبيدة كتاباً آخر فيه: أمّا بعد فإني أسأل الله لنا ولك [ولكم] الأمن يوم الخوف والعصمة في دار الدنيا من كل سوء، وقد أتاني كتاب خليفة رسول الله ﷺ بالمسير إلى الشام وبالقيام علىٰ جندها والتولي لأمرها، والله ما طلبت ذلك ولا أردته قط، فأنت على ما كنت عليه لا نعصيك، فأنت سيد المسلمين لا ننكر فضلك، ولا نستغني عن رأيك والسلام.

ولما بلغهم ذلك شقّ على المسلمين تولية خالد على أبي عبيدة، وأمّا أبو عبيدة فلم يتغيّر منه شعرة فقال: بارك لخليفة رسول الله ﷺ فيما رأىٰ، وحيّا الله خالداً، وكتب أبو بكر إلى أبي عبيدة:

أمّا بعد فإنّي قد ولّيت خالداً قتال العدوّ بالشام، فاسمع له وأطعه، فإني لم أبعثه عليك أن لا تكون خيراً منه، ولكن ظننته أعلم بأمور الحرب، أراد الله بنا وبك خيراً والسلام، ولمّا خرج خالد من عين التمر إلى الشام، أغار في الطريق على كل من قدر عليه من بني تغلب وغيرهم، وعن قيس بن أبي حازم قال: أقبل بنا خالد حتّىٰ مرّ بأركة أي قرية قرب تدمر أي بوزن تنصر، مدينة فتحصنوا منه، فأحاط بهم فلم يقدر عليهم، فقال حين أراد الانصراف عنهم: والله لو كنتم في السحاب لاستنزلناكم وظهرنا عليكم، فإن لم تصالحوني في هذه المرّة لأرجعنّ إليكم، ثم لا أرحل عنكم حتىٰ أقتلكم وأسبي ذراريكم، فقال علماؤهم: هٰؤلاء هم الذين كنا نتحدث أنهم يظهرون علينا فافتحوا لهم، فصالحوا خالداً. وعن سراقة بن عبد الأعلىٰ قال: لمّا مرّ خالد علىٰ حوران أغار عليهم،

فغنم وقتل وأقام عليهم أياماً، فجاء لهم الإمداد من بعلبك، وهي أرض دمشق ومن بصرىٰ، وهي مدينة حوران من أرض دمشق أيضاً، فخرج خالد إليهم وصفّ بالمسلمين، ثم تجرّد في مائتي فارس فحمل على مدد بعلبك، وهم أكثر من ألفين، فما وقفوا حتى انهزموا ودخلوا المدينة، ثم انصرف يوجف بأصحابه [في أصحابه] حتىٰ كان بحذاء مدد بصرىٰ، فحمل عليهم وهم أكثر من ألفين فهزمهم أيضاً، فدخلوا المدينة، ثم أظهر الله عليهم المسلمين فصالحوا خالداً، وقال أهل حوران:

لما جاءنا المدد خرجنا لنقاتلهم وكنّا أكثر من أصحاب خالد بعشرة أضعاف، فلما دنونا صاروا في وجوهنا كأنهم الأسد فانهزمنا، وفينا فارس يعدّ بألف فارس، فحلف لئن رأىٰ أميرهم ليقتلنه، فلما رأىٰ خالداً قيل له: هو هذا فحمل عليه وإنا لنزجو من بأسه أن يقتله، فأقدم خالد [عليه] بفرسه فضربه وقتله، فما كان لنا همّ إلاّ الصلح.

وعن قيس بن أبي حازم قال: كنت مع خالد حين مرّ بالشام حتىٰ نزل ببصرىٰ مدينة حوران، ففتحها بعد مقتلة عظيمة، وما نحن إلاّ ثمانمائة وخمسون رجلاً، وكانوا أكثر من خمسة آلاف والكثير والقليل عند خالد سواء لجرأته عليهم، ثم خرج منها فأغار على غسّان في جانب مرج راهط بالشام انتهىٰ، قالوا: إن بصرىٰ أول ما افتتح من بلاد الشام على يد خالد بمن معه من العراق.

واجتمعوا في يوم أجنادينا   ما بين رملة إلى جبرينا

(واجتمعوا) أي خالد بمن معه مع أمراء الشام قبله بمن معهم فوافوا جميعاً بأجنادين لحرب الروم (في يوم) وقعة (أجنادَينا) بفتح الدال كما في النهاية وإشباع النون للوزن موضع بالشام كما بينه الناظم بقوله (ما بين رملة) بفتح الراء وسكون الميم هي المدينة المشهورة المسماة بفلسطين وهي أيضاً اسم محلّة

بسرخس، ومكان ببغداد خربت الآن، وقرية بالبحرين لبني عامر، ورملة بناحية نجد، وليست مرادةً هنا (إلىٰ جِبرينا) بالجيم وبالنون في آخره بوزن غسلين بُليدة بالشام قرب غزة وبها حصن، ذكر سعد بن الفضل وغيره: أن خالداً لما دخل الغوطة مرّ بثنيّة ومعه راية تدعى العُقاب فسميت ثنيّة العقاب، ثم نزل ديراً فسمي دير خالد وهو [وهي] مما يلي باب شرقي دمشق، وجاء أبو عبيدة فنزل بباب الجابية، فبينما هما مقيمان على قتال عدوهما، وشنّ الغارات في الغوطة بلغهما أن وردان صاحب حمص جمع الجموع لشرحبيل وهو ببصرىٰ، وأن جموعاً من الروم نزلت بأجنادَين، وأن أهل البلاد ومن مرّوا بهم قد سارعوا إليهم، فهالهما هذا الخبر، فتشاورا، فقال أبو عبيدة نغيث شرحبيل ثم نلقى عدونا جميعاً، وقال خالد: إن جمع الروم بأجنادَين هنا، وإن سرنا إلى شرحبيل تبعونا، فالرأي أن نبعث إليه من يحذره، ونأمره أن يوافينا بأجنادين، وكذلك نبعث إلى يزيد وعمرو بن العاص، فيلحقا بنا بأجنادين، ثم نقاتل عدونا فاستحسنه أبو عبيدة، فكتب إلى كل أن يوافوه بأجنادَين، ثم خرجا بالناس إلى أهل أجنادين، والمسلمون سراع إليهم جرآء عليهم فراعهم أهل دمشق في آثارهم، فلحقوا في جمع كثير أبا عبيدة في أخريات الناس وهو في نحو مائتي رجل، فأحاطوا به فقاتلهم أشد القتال، فبلغ خالداً وهو في أمام الناس مع الفرسان، فرجع في أسل القوة مسرعين فلحقوه، وهو في أحسن قتال معهم، فحمل عليهم خالد بخيله، وقذفهم ثلاثة أميال حتى أدخلهم دمشق، ثم انصرف وهو ينتظر قدوم أصحابه عليه، فأقبل شرحبيل ويزيد بن أبي سفيان بمن معهما خالداً وأبا عبيدة، ثم ساروا إلى أجنادين فوافاهم عمرو بن العاص بمن معه، فاجتمعوا بأجنادين، وكذلك لحق وردان أمير حمص في جمع الروم بأجنادين، واشتدّ أمرهم.

فتزاحف الناس غداة السبت، فأنزل خالد أبا عبيدة في الرجال، ومعاذ بن جبل على الميمنة وسعد [سعيد] بن عامر على الميسرة، وسعيد بن زيد على

الخيل، وكان خالد لا يقرّ في مكان، يحرض الناس على القتال وأمر النساء أن يقمن وراء الناس، يدعون الله تعالىٰ ويستغثنه، وكلما مرّ بهنّ رجل رفعن أولادهنّ، وقلن: قاتلوا دون أولادكم ونسائكم، وأمر خالد كل قبيلة بتقوى الله وبقتال من كفر بالله فقال: لا تنكصوا علىٰ أعقابكم، ولا تهابوا من عدوكم، وأقدموا كإقدام الأسد، لو ينجلي الرعب وأنتم أحرار كرام، قد أوتيتم الدنيا، واستوجبتم ثواب الآخرة، ولا يهولنكم كثرتهم، فإنّ الله تعالىٰ منزل عقابه بهم، فإن [فإذا] حملت عليهم فاحملوا معي، وكان خالد بطلاً مجرّباً بصيراً بالحروب مبارك الولاية، وكان من رأيه أن يدافعهم ويؤخرهم إلى صلاة الظهر عند مهب الأرياح، لأنها الساعة التي أحب ﷺ القتال فيها، فعجل الروم وحملوا عليهم مرتين، من قبل معاذ وسعيد بن عامر، فلم يتحرك لهم أحد، فنودي: يا خالد علام نستهدف لهؤلاء الأعلاج وقد رشقونا بالنشّاب، فأمر خالد بالحملة فحملوا بأجمعهم فما واقفوهم فواقاً وهزمهم الله تعالىٰ.

وكان ذاك اليوم أيّ ملحمة وظهرت للعرب أيّ مكرمة

(وكان ذاك اليوم) أي يوم وقعة أجنادين ملحمة وقتال (أيُّ ملحمة) أي ملحمة عظيمة نصر الله المسلمين على الروم حتى قتلوا منهم في المعركة ثلاثة آلاف، ثم اتبعوهم يأسرونهم ويقتلونهم كيف شاؤوا، فبلغ فُلُّ الروم أي منهزموهم إلى إيليا وقيثارية ودمشق وحمص، فتحصنوا في المدائن خوفاً منهم (وظهرت) في ذلك الحرب كغيره (للعُرب) بضم العين وسكون الراء (أيُّ مكرُمَة) بضم الراء أي مكرمة ومنقبة عظيمة، لأن الله تعالىٰ أظفرهم على عدوهم مع عِظَم عِدّتهم كما عرفت، وقتل من المسلمين جماعة منهم: أبان بن سعيد أخو خالد بن سعيد، ويعبوب بن عمرو، وقاتلا أشدّ القتال، وسلمة بن هاشم المخزومي، ونعيم بن عدي بن صخر العدوي، وهشام بن العاص أخو عمرو بن

العاص، وعبدالله بن عمرو بن الطفيل الدوسي، وكان من فرسان المسلمين رحمهم الله تعالىٰ، ثم كتب خالد إلى أبي بكر:

من خالد بن الوليد سيف الله المسلول على [الأعداء و] المشركين إلى عبدالله أبي بكر خليفة رسول الله ﷺ سلام عليكم، فإني أخبرك أيها الصديق إنا التقينا نحن والمشركون، وقد جمعوا لنا بأجنادين وقد رفعوا صليبهم، وتقاسموا بالله لا يفرّون، حتىٰ يفنونا أو يخرجونا من بلادهم، فخرجنا واثقين بالله، فطاعنّاهم بالرماح شيئاً، ثم صرنا إلى السيوف فقارعناهم بها مقدار جزر جزور، ثم إن الله تعالىٰ أنزل نصره وأنجز وعده وهزم الكافرين، فقتلناهم في كل فجّ شعب وغائط، فالحمدلله على اعتزاز دينه وإذلال عدوه وحسن الصنع لأوليائه والسلام.

فلما بلغ أبا بكر وهو في مرضه الذي توفي فيه كما في كتاب الخميس وغيره قال: الحمدلله الذي نصر المسلمين وأقرّ عيني بذلك. قال سهل بن سعد: كانت هذه الوقعة أول وقعة عظيمة كانت بالشام سنة ثلاث عشرة سلخ جمادىٰ الأولىٰ يوم السبت قبل وفاة أبي بكر بأربع وعشرين ليلة.

وقبض الصديق ذاك الأولىٰ ثاني عشرين جمادىٰ الأولىٰ

(وقبض) أي توفي إلىٰ رحمة الله تعالىٰ (الصديق) أبو بكر رضي الله عنه (ذاك الأولىٰ) أي الأفضل الأحق بالخلافة بعده ﷺ (ثاني عشرين) تركيب إضافي ظرف قبض، وفي صحّة هذه الإضافة نظر، وقد تكرّر نظيره من الناظم فيما يأتي، ويأتي له زيادة إيضاح، والتقدير هنا: في ثانٍ وعشرين من (جَمادى) بوزن حبارىٰ (الأولىٰ) بضم الهمزة وهذا ينافي ما في رواية سهل بن سعد المذكور آنفاً، وكذا رواية ابن اسحٰق: توفي يوم الجمعة لليالٍ بقين من جمادىٰ الآخرة سنة ثلاث عشرة، وكذا رواية غيره من أهل السير: توفي ليلة الإثنين لثمان بقين من جمادىٰ الآخرة، قيل: وعليه الأكثر، وكذا رواية الواقدي والحاكم

عن عائشة رضي الله عنها قالت: كانت بدء مرض أبي بكر أنه اغتسل يوم الاثنين لسبع خلون من جمادىٰ الآخرة وكان يوماً بارداً فحمّ خمسة عشر يوماً لا يخرج إلى الصلاة [صلاة]، وتوفي ليلة الثلاثاء لثمان بقين من جمادىٰ الآخرة وله ثلاث وستون سنة (٢٤٩) فلو قال: ثاني عشرين جمادىٰ الأخرىٰ لكان أصوب، ثم رأيت في شرح العقائد العضدية ما يوافق كلام الناظم.

وطيبة ارتجت من البكاء ... كيوم مات خير الأنبياء
وجاء عليّ وهو يجري مسرعاً ... لبابه ثم بكىٰ واسترجعا

(وطيبة) من أسماء المدينة المشرفة كطابة كما سبق سمّاها ﷺ بذلك لطيبها وخلوصها من الشرك، أو لطيب عيشها بدعائه ﷺ (ارتجّت) أي اضطربت باضطراب أهلها (من) الحزن وكثرة (البكاء، كيوم) بفتح الميم وكسرها (مات) رسول الله ﷺ (خير الأنبياء. وجا) بالقصر للوزن (عليّ) بن أبي طالب كرّم الله وجهه لما بلغه الخبر (وهو يجري) أي يمشي حال كونه (مسرعاً، لبابه) أي باب أبي بكر رضي الله عنه (ثم بكىٰ واسترجعا) أي قال: إنا لله وإنا إليه راجعون اليوم انقطعت النبوّة، ثم وقف على باب بيت أبي بكر رضي الله عنه فقال: رحمك الله يا أبا بكر لقد كنت إلْفَ رسول الله ﷺ وأنيسه وثقته وموضع سرّه ومشورته، وكنت أول القوم إسلاماً وأخلصهم إيماناً وأشدّهم إيقاناً وأخوفهم لله وأعظمهم غناءً في دين الله، وأحوطهم على رسول الله ﷺ، وأحسنهم صحبةً وأكثرهم مناقب، وأفضلهم سوابق، فجزاك الله عن رسوله وعن الإسلام أفضل الجزاء، كذا ساقه ابن سيد الناس في مختصره.

---

(٢٤٩) رواه الحاكم (٣/٦٣).

وكــان مما قــال مــن ثنــاء جللت يا صديق عن بكــاء
وعظمــت لــدى السما رزيتــك نعم وهدّت القوىٰ مصيبتــك

(وكان مما قال) عليّ (من ثناءَ) أي ثنائه على أبي بكر كما ذكره ابن سيد الناس أيضاً لقد (جللت) بكسر اللام أي عظمت (يا صديق عن بكاء) الناس (وعظّمت لدى السما) بالقصر أي عند أهلها (رزيتك) بفتح الراء المهملة وكسر الزاء وتشديد الياء أي مصيبتنا بموتك، إذ الرزية المصيبة (نعم وهدّت) أي كسرت (القُوىٰ) بضم القاف جمع قوة أي قوى الأنام وهو مفعول هدّت وفاعله (مُصيبتُك) رضينا عن الله قضاءه وسلمنا إلى الله أمره، والله لن يصاب المسلمون بعد رسول الله ﷺ بمثلك أبداً، ولما مات أوصىٰ أن تغسله زوجته أسماء بنت عُميس، فهي أول امرأة غسلت زوجها في الإسلام، وأوصىٰ أيضاً أن يدفن إلىٰ جنبه ﷺ وقال: إذا متُّ فجيئوا بي على الباب فإن فتح لكم فادفنوني، قال جابر: فانطلقنا به إلى الباب، وقلنا: هذا أبو بكر الصدّيق قد أحب أن يدفن عند النبيّ ﷺ ففتح الباب، ولا ندري من فتحه كذا في الصفوة لابن الجوزي، في شواهد النبوة سمعوا صوتاً يقول: ضمّوا الحبيب إلى الحبيب [للحبيب]، ودفن ليلاً في بيت عائشة رضي الله عنها ونزل في قبره عثمان وطلحة وابنه عبدالرحمٰن، وصلّى عليه عمر رضي الله عنه في مسجده ﷺ.

(ذكر شيء من فضائله ومناقبه رضي الله عنه)

قد كان خير الخلق بعد المصطفى اتفــاق النــاسِ ممن سلفـــا

(قد كان) الصديق رضي الله عنه (خير الخلق) وأفضلهم قطعاً عند إمام أهل السنة أبي الحسن الأشعري، وظناً عند القاضي أبي بكر الباقلاني واختاره إمام الحرمين في الإرشاد (وبَعدَ) محمد (المصطفى) ﷺ كما صحت به الأحاديث: منها ما ورد من طرق تقتضي الحسن بل الصحة كما أشار إليه ابن

كثير عن أبي الدرداء أن رسول الله ﷺ قال: [ما طلعت الشمس ولا غربت علىٰ أحد أفضل من أبي بكر إلاّ أن يكون نبيّاً] (٢٥٠) وفي لفظ: [ما طلعت الشمس على أحد بعد النبيين والمرسلين أفضل من أبي بكر] (٢٥١) (هذا) أي كون أبي بكر أفضل الأمة بعد نبيّها (اتفاق الناس) أي إجماع علماء الأمة (ممن سلفا) بألف الإطلاق حكى الإجماع على ذلك أبو منصور السمعاني وغيره، ولا عبرة بخلاف الشيعة في تقديمهم علياً، ولا بمخالفة من فضّل غيره كعمر عليه، فقد تواتر عن عليّ كرّم الله وجهه: خير هذه الأمة بعد نبيّها أبو بكر وعمر (٢٥٢) وقال: لا يفضلني أحد على أبي بكر وعمر إلاّ جلّدته حدّ المفتري كما أخرجه ابن عساكر (٢٥٣).

أعلم أن الذي أطبق عليه عظماء الملّة وعلماء الأمّة: أنّ أفضل هذه الأمة الصدّيق، ثم عمر، ثم اختلفوا فالأكثرون ومنهم الإمام الشافعي وأحمد وهو المشهور عن مالك أنّ الأفضل بعدهما عثمان ثم عليّ، وجزم الكوفيون ومنهم الثوري بتفضيل علي على عثمان.

---

(٢٥٠) رواه ابن أبي عاصم في السنة (١٢٢٤) والطبراني في الكبير والقطيعي في زيادات فضائل الصحابة (١٣٧)، وفي إسناده بقية بن الوليد وابن جريج وهما مدلسان ولم يصرحا بالسماع.

وقال ابن أبي حاتم في العلل (٣٨٤/٢) عن أبيه: هذا حديث موضوع، سمع بقية هذا الحديث من هشام الرازي عن محمد بن الفضل عن ابن جريج، فترك الإثنين من الوسط. قال أبي: محمد بن الفضل بن عطية متروك الحديث. وليس عندهم كلمة « إلا أن يكون نبيّاً ».

(٢٥١) رواه أحمد بن جعفر القطيعي في زيادات فضائل الصحابة للإمام أحمد (١٣٥) وفي إسناده عبدالله بن سفيان وهو ضعيف وتدليس ابن جريج ولم يصرح بالسماع.

(٢٥٢) رواه أحمد في المسند (١١٠/١) وفي فضائل الصحابة (٤٥).

(٢٥٣) رواه عبدالله بن أحمد في زيادات فضائل الصحابة (٤٩) وإسناده ضعيف لضعف أبي عبيدة ابن الحكم.

رویٰ البخاري عن ابن عمر رضي الله عنهما قال: كنا نخيّر بين الناس في زمن النبيّ ﷺ فنخيّر أبا بكر، ثمّ عمر، ثم عثمان[٢٥٤] زاد الطبراني: فيعلّم بذلك النبيّ ﷺ، ولا ينكره[٢٥٥]. وروىٰ الترمذي عن عمر رضي الله عنه قال: أبو بكر سيدنا وخيرنا وأحبنا إلى رسول الله ﷺ[٢٥٦] وغير ذلك من الأحاديث.

أوّل من صدّق بالرسالة ... فانظر لحسّان وما قد قاله

(أوّل) بالرفع على أنه خبر محذوف، وبالنصب عطفاً علىٰ خير بإسقاط العاطف (مَن صدّق) من الرجال كما سبق تفصيله (بالرسالة) وآمن بها ثم علّل ما ذكره بقوله (فانظر) للإستدلال على ذلك (لحسّان) فعلان من الحسّ فهو غير منصرف أو فعّال من الحسن وهو منصرف.

وهو حسّان بن ثابت الأنصاري من شعرائه ﷺ، وقد أمدّه جبرائيل عليه السلام بأبيات كما سبق، وقد قال ﷺ له: «وروح القدس معك» (وما قد قاله) أي فانظر إلى ما قد قاله حسّان في مدح أبي بكر رضي الله لتعلم منه ما ذكرنا، إذ قول الصحابي حجّة في مثل ذلك وعن الشعبي: أنه قال أول من صلّى أبو بكر ثم تمثل بقول حسّان رضي الله عنه:

إذا تذكرت شجوا من أخي ثقة ... فاذكر أخاك أبا بكر بما فعلا
خير البرية أتقاها وأعدلها ... بعد النبي وأوفاها بما حملا
الثاني التاليَ المحمود مشهده ... وأول الناس حقاً صدّق الرسلا

---

(٢٥٤) رواه البخاري (٣٦٥٥).

(٢٥٥) رواه الطبراني في الكبير (١٣١٣٢) والأوسط (ص٣٣٤ مجمع البحرين) ومسند الشاميين (١٧٦٤).

(٢٥٦) رواه الترمذي (٣٦٥٧).

سمّاه خير الأنبياء صدّيقا — وكان في الغار له رفيقا
وأنفق الأموال في الإسلام — على النبي وصحبه الكرام

(سمّاه خير الأنبيا) بالقصر (صديقاً) لتصديقه بخبر الإسراء حين كذّبه قريش كما مرّ في مبحث الإسراء (وكان) أبو بكر (في الغار) أي غار ثور (له رفيقا) وقت الهجرة إلى المدينة وهو من أشرف فضائله، وقد سبق تفصيله في مبحث الهجرة (وأنفق الأموال) الكثيرة التي كان يملكها في مصارف الخير (في الإسلام) حتى لم يبق له شيء (على النبيّ) بتخفيف الياء للوزن أي على حبّه ورضاه أو على نفسه وأهله، أخرج ابن عساكر: أنه أسلم وله أربعون ألف دينار، وفي رواية أربعون ألف درهم، فأنفقها على رسول الله ﷺ، وروى الترمذي أنه ﷺ قال: «ما لأحد عندنا يد إلاّ وقد كافأناه ما خلا أبي بكر، فإنّ له عندنا يداً يكافئه الله بها يوم القيامة، ولا نفعني مال أحد قطّ مثل ما نفعني مال أبي بكر»(٢٥٧) والطبراني: أنه ﷺ قال: «ما أحد عندي أعظم يداً من أبي بكر، واساني بنفسه وماله وأنكحني ابنته»(٢٥٨) والإمام أحمد وغيره عن جماعة من الصحابة أنّه ﷺ قال: ما نفعني مال قط ما نفعني مال أبي بكر، وبكىٰ أبو بكر وقال: هل أنا ومالي إلاّ لك يا رسول الله(٢٥٩) وصحّ عن عمر رضي الله عنه أنه ﷺ أمرنا أن نتصدق فوافق ذلك مالاً عندي، فقلت في نفسي اليوم أسبق أبا بكر فجئته بنصف مالي، فقال ﷺ: «ما أبقيت لأهلك؟» قلت: مثله، فأتىٰ أبو بكر بجميع ماله، فقال: «يا أبا بكر ما أبقيت لأهلك؟» قال أبقيت لهم الله ورسوله، فقلت: لا أسبقه إلى شيء أبداً(٢٦٠) (وصحبه الكرام) وقد اشترىٰ جماعةً أسلموا فعذّبهم أهل مكّة عذاباً شديداً فأعتقهم، ومنهم بلال كما سبق،

---

(٢٥٧) رواه الترمذي (٣٦٦٢).

(٢٥٨) رواه الطبراني في الكبير (١١٤٦١) وفيه أرطاة أبو حاتم وهو ضعيف.

(٢٥٩) رواه أحمد (٢/٢٥٣) وابن ماجه (٩٤) وفيه عنعنة الأعمش.

(٢٦٠) رواه أبو داود (١٦٧٨) والترمذي (٣٦٧٦) وقال: حسن صحيح.

ومن إنفاقه رضي الله عنه في وجوه الخير والمصالح العامة إعطاؤه ثمن محلّ مسجد النبي ﷺ لما اشتراه النبي ﷺ من بني النجار، فكان سبباً في وصول ثوابه العظيم إلى حدّ لا يحصى.

يكفيه قول المصطفى هل أنتُم   لي تاركون صاحبي يعظّمُ

(يكفيه) شرفاً وفضلاً على غيره (قول المصطفى) ﷺ في حقّ أبي بكر مخاطِباً للصحابة (هل أنتم لي) متعلق بقوله (تاركون صاحبي) في الغار وغير ذلك، والتقدير: هل أنتم تاركون صاحبي لي أي تجعلونه صاحباً لي فقط، ولا تجعلونه صاحباً لكم، ولا تعظّمونه، فقوله: لي مفعول ثان لتاركون لأنّ ترك بمعنى صيّر يقتضي مفعولين، والاستفهام للإنكار، والأولى: أن يجعل الاستفهام للتقرير والطلب فهو أمر أخرج مخرج الاستفهام، على حدّ قوله تعالى ﴿فهل أنتم شاكرون﴾ أي اشكروا والمعنى هنا: اتركوا صاحبي لي خاصة ولا تؤذوه، وقوله (يُعَظِّمُ) من كلام الناظم حال من المصطفى أي حال كونه ﷺ يعظم أبا بكر بهذا القول وينهاهم عن ترك احترامه، أو استئناف كأنه قيل: ما أراد صلى الله بهذا القول حتى يكفيه، فأجاب بأنه يعظم أبا بكر به، روى البخاري عن أبي الدرداء قال: كنت جالساً عند النبي ﷺ إذ أقبل أبو بكر فسلّم وقال: [كان] بيني وبين عمر بن الخطاب شيء فأسرعت إليه ثم ندمت، فسألته أن يغفر لي فأبى فأقبلت إليك، فقال: يغفر الله لك يا أبا بكر، ثم إنّ عمر ندم فأتى منزل أبي بكر فلم يجده، فأتى النبيّ ﷺ، فجعل وجهه ﷺ يتمعر حتّى أشفق أبو بكر فجثى على ركبتيه فقال: يا رسول الله: أنا كنت أظلم منه أنا كنت أظلم منه فقال ﷺ: إن الله بعثني إليكم فقلتم كذبت وقال أبو بكر: صدقت، وواساني بنفسه وماله، فهل أنتم تاركو لي صاحبي؟ فما أوذي أبو بكر بعدها(٢٦١).

(٢٦١) رواه البخاري (٣٦٦١ و ٤٦٤٠) من حديث أبي الدرداء.

تاركو في الحديث مضاف إلى صاحبي ولذا حذف نون الجمع، ولي متعلق بتاركو فصل له [به] بين المضاف والمضاف إليه كما صرّح به ابن هشام وغيره وهو جائز في السعة، وأمّا الناظم فغيّر لفظ الحديث وجعل صاحبي مفعولاً لا مضافاً إليه، ولذا أعاد نون الجمع.(٢٦٢)

وكم لـه منـاقـب لا تحصىٰ — وعم له فضل يفوت الإحصا
وكان قبل أن تولَّىٰ يَحلِبُ — للحي أغنـامهـم ليشربـوا
فعندما بويع قـالـت جـاريـة — من الذي يحلب لي أغنـامية

(وكم له) أي كثير له (مناقبٌ) بالتنوين أي خصال حميدة (لا تحصىٰ) بمثل هذه الرسالة (وكم له فضل يفوت الإحصا) كالتأكيد لما قبله، ومن غرر فضائله أنه اجتمعت الأمة على تسميته بالصدّيق لأنه بادر إلى تصديقه ﷺ، ولازم الصدق ولم يقع منه وقفة ما في حال، ومنها قصة يوم ليلة الإسراء وثباته وجواب الكفار في ذلك كما مرّ.

ومنها هجرته معه ﷺ وترك عياله وأطفاله وملازمته له في الغار وسائر

---

(٢٦٢) قال الحافظ في الفتح (٢٥/٧ - ٢٦) بعد أن ذكر أن في الرواية التي رواها البخاري في التفسير «تاركون لي صاحبي»: وهي الموجهة، حتى قال أبو البقاء: إن حذف النون من خطأ الرواة، لأن الكلمة ليست مضافة، ولا فيها ألف ولام، وإنما يجوز الحذف في هذين الموضعين، ووجهها غيره بوجهين:

أحدهما: أن يكون «صاحبي» مضافاً وفصل بين المضاف والمضاف إليه بالجار والمجرور، عناية بتقديم لفظ الإضافة، وفي ذلك جمع بين إضافتين إلى نفسه تعظيماً للصديق، ونظيره قراءة ابن عامر (وكذلك زين لكثير من المشركين قتل أولادهم شركاءهم) بنصب أولادهم وخفض شركائهم، وفصل بين المضافين بالمفعول.

والثاني: أن يكون استطال الكلام فحذف النون كما يحذف من الموصول المطول، ومنه ما ذكره في قوله تعالى (وخضتم كالذي خاضوا).

الطريق، ومنها كلامه يوم بدر ويوم الحديبية، حين اشتبه على غيره الأمر في تأخر دخول مكّة كما مرّ أيضاً.

ومنها بكاؤه وفهم مراده ﷺ حين قال: إنّ عبداً خيره الله بين الدنيا والآخرة كما مرّ أيضاً.

ومنها: ثباته في وفاته ﷺ وخطبته الناس كما مرّ أيضاً.

ومنها قيامه في قضية البيعة للمصلحة، وثباته في بعث جيش أسامة إلى الشام، وفي قتال أهل الردة كما مرّ كله. ومن أجلّ فضائله استخلافه لعمر رضي الله عنه (وكان) أبو بكر (قبل أن تولّىٰ) أمر الناس وبويع بالخلافة (يحلب للحي) من أحياء العرب (أغنامهم) بإشباع الميم (ليشربوا) من ألبانها (فعندما) مصدرية (بويع) بالخلافة (قالت جارية) من الحي (من الذي يحلب لي أغنامية) بالحاق هاء السكت توهمت أنه ولّي الخلافة لا يباشر مثل هذه الأعمال.

فسمع القول فقال إني ... أرجو إلهي لا يغيرني
عن خلق قد كنت فيه قبلها ... وكان بعد ذاك حالبا
وقال قبل الموت مذ ولينا ... أمر ابن آدم أجمعينا
لم نتناول ما لهم من شيء ... وليس باقياً لهم من فيء

(فسمع) أبو بكر رضي الله عنه (القول) أي قول الجارية (فقال إني أرجو إلٓهي) أن (لا يغيرني) بالنون المؤكدة لكون الفعل منفياً (عن خُلُقٍ) بضمتين يستعمل في الأخلاق السجية الباطنة كالحلم والكرم والتواضع، وأمّا الخَلْقُ بفتح فسكون ففي الصور الظاهرة (قد كنت فيه) أي في ذلك الخلق وهو التواضع بحلب أغنامهم لهم (قبلها) أي الخلافة (وكان) رضي الله عنه (بعد ذاك) أي بعد أن ولّىٰ الخلافة (حالباً) أغنامهم (لها) ولهم كما كان يفعله قبل ذلك، لأن

ازدياد نعم الله تعالى على العبد مقتضٍ لمزيد الشكر والتواضع، لا للغرور والترفع (وقال) رضي الله عنه كما رواه ابن أبي الدنيا عن أبي بكر بن حفص (قبل الموت) أي لما احتضره الموت لعائشة رضي الله عنها يا بنية (مُذْ وَلِينا) بفتح الواو وكسر اللام من الولاية أو بضمّها وتشديد اللام من التولية (أمْرَ بني آدم) من المسلمين (أجمعينا) بألف الإطلاق (لم نتناول) أي لم نأخذ ما (لهم من شيء) دينار أو درهم بغير حق، ولفظ رواية ابن أبي الدنيا ولّينا أمر المسلمين فلم نأخذ لنا ديناراً ولا درهماً، ولما غيّر الناظم: لنا، إلى لهم، احتيج إلى تقدير ما كما قدرنا فافهم، وتتمة الحديث: ولكنّا أكلنا من جريش طعامهم ولبسنا من خشن ثيابهم (وليس) باقياً (عندنا) ما (لهم) أي للمسلمين (من فيء) ويجوز جعل لهم حالاً مقدماً لا نعتاً لعدم جواز تقدم النعت على المنعوت، فعلى هذا من في من فيء زائدة.

غير كسا وناضح وعبد فأوصلوه للإمام بعدي
وبعد موته بالأمر وصّىٰ لعمرٍ منه بعهد خصّا

(غير) بالنصب على الاستثناء (كِسا) بالقصر للوزن (و) بعير (ناضح) للسقي (وعبد) حبشي وجرد قطيفة، فإذا مت (فأوصلوه) أي ما ذكر (للإمام) الذي يلي من (بعدي) وهو عمر رضي الله عنه أخرج الطبراني عن الحسن بن علي كرم الله وجهه قال: لما احتضر أبو بكر قال: يا عائشة انظري اللقحة التي كنا نشرب من لبنها، والجفنة التي كنا نصطبع فيها، والقطيفة التي كنا نلبسها، فإنا كنا ننتفع بذلك حين نلي أمر المسلمين، فإذا متّ فارددِيه إلى عمر رضي الله عنه، فلما مات أرسلت به إلى عمر فبكىٰ، ثم قال: رحم الله أبا بكر لقد أتعب من بعده[٢٦٣] (وبعد موته) حال مقدم من الأمر في قوله

(٢٦٣) انظر الحديث (٣٨) من المعجم الكبير للطبراني وابن سعد (٣/١٩٢ - ١٩٣).

(بالأمر) أي أمر الخلافة ينقل حركة الهمزة إلى اللام للوزن متعلق بقوله: (وصّى) ولا يجوز تعلق بعد به أيضاً لأن التوصية في حياته لا بعد موته، والتقدير: وصّى بالأمر حال كونه بعد موته (لعمر) رضي الله عنه منصرف للوزن ثم (منه) أي من جهة أبي بكر (بعهد) متعلق بقوله (خصّا) بالبناء للمفعول وألف الإطلاق، والمعنى خصّ عمر رضي الله بعهد الخلافة كائناً من جهة أبي بكر رضي الله عنه ثانياً بعدما وصّى به له في الملأ، أخرج الواقدي من طرق أن أبا بكر لما ثقل دعا عبدالرحمٰن بن عوف فقال: أخبرني عن عمر بن الخطاب فقال: ما تسألني عن أمر إلاّ وأنت أعلم به مني، فقال أبو بكر: وإنّ، فقال عبدالرحمٰن: هو والله أفضل من رأيك فيه، ثم دعا عثمان رضي الله عنه فقال: أخبرني عن عمر بن الخطاب، فقال: اللّهم علمي به أنّ سريرته خير من علانيته وأن ليس فينا مثله، وشاور معهما سعيد بن زيد وأسيد بن حُضير وغيرهما من المهاجرين والأنصار، فقال أسيد: اللهم أعلمه الخير يرضي للرضى، ويسخط للسخط الذي يسرّ خير من الذي يعلن، ولن يلي هذا الأمر أحد أقوى منه، ودخل عليه بعض الصحابة، فقال له: ما أنت قائل لربك إذا سألك عن تولية عمر علينا وقد ترى غلظته، فقال أبو بكر الصديق: أبالله تخوفني؟ أقول: أللّهمّ استخلفت عليهم خير أهلك، وأتقى عبادك، أبلغ عني ما قلت من وراءك، ثم دعا عثمان فقال: اكتب بسم الله الرحمٰن الرحيم هذا ما عهد به أبو بكر بن أبي قحافة في آخر عهده بالدنيا خارجاً منها وعند أول عهده بالآخرة داخلاً فيها: [إني] استخلفت عليكم بعدي عمر بن الخطاب فاسمعوا له وأطيعوه، فإن عدل فذلك ظنّي فيه وعلمي به، وإن بدّل فلكل امرىء ما اكتسب، والخير أردت، ولا أعلم الغيب وسيعلم الذين ظلموا أيّ منقلب ينقلبون والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته ثم أمر بالكتاب فختمه(٢٦٤).

---

(٢٦٤) انظر طبقات ابن سعد (٣/١٩٩ - ٢٠٠) والواقدي متروك.

ثم أمر عثمان فخرج بالكتاب فبايع الناس عمر رضي الله عنه ورضوا به، ثم دعا أبو بكر عمر خالياً فأوصاه بوصايا مذكورة في الإحياء وغيره، وأخرج ابن عساكر عن يسار بن حزة قال: لما ثقل [مرض أبي] أبو بكر أشرف على الناس من كوة فقال: أيها الناس إني قد عهدت عهداً أفترضون به؟ فقال الناس: رضينا يا خليفة رسول الله ﷺ، فقام عليّ فقال: لا نرضى إلاّ أن يكون عمر، قال: فإنه عمر.

[فائدة] اختلف في سبب موته رضي الله عنه، فعن ابن عمر رضي الله عنهما أن سببه الوجد والكمد على موته ﷺ فمازال يذبل جسمه حتىٰ مات.

وصحّ عن الإمام الأكبر ابن شهاب الزهري: أن سببه السم في خزيرة أهديت له. وذكر الواقدي أنّ سببه الاغتسال في ماء [يوم] بارد، فحمّ ومرض ومات منه. وعن الزبير بن بكّار: أنه مات بالسلّ، قلت: لا مانع أن يكون به الكل، وأن يكون لكل منها دخل في موته.

(خلافة عمر بن الخطاب رضي الله عنه)

هو ابن خطّاب نفيل عبد عزّىٰ بن رياح وهو ابن عبد
الله قرط رزاح عدي وهو ابن كعب من الغدِ
فكان أولى خطبة خطبها من بعد حمد وثناء أيها
الناس إن الله قد هدانا سبيله وبالنبيّ كفانا
فليس يبقىٰ بعد ذا إلا الدعا والاتباع والهدى والاقتدا
أعوذ بالله إلهي أن أزلّ أو أن أضلّ وأتم ونزل

(هو) أي عمر (ابن خطّاب) بن (نفيل) بالتصغير ابن (عبد عزّىٰ) بن (رِياح) بالياء المثناة بوزن كتاب كما في القاموس (وهو ابن عبدالله) بقطع

الهمزة للضرورة ابن (قرط) بفتح القاف وسكون الراء ابن (رزاح) بفتح الراء المهملة والزاء وهو في الأصل البعير الهالك هزالاً بن (عدي) بتخفيف الياء للوزن (وهو ابن كعب) بن لؤي فهو يلتقي معه ﷺ في كعب (فأتىٰ) الإمام عمر (من الغد) من يوم خلافته (فكان أولى خطبة خطبها) كما قاله سالم بن عبدالله (من بعد حمدٍ) لله تعالىٰ (وثناء) عليه (أيها الناس) بقطع الهمزة للوزن (إن الله قد هدانا) أي دلنا وأوصلنا (سبيله) أي دين الإسلام (وبالنبي) بتخفيف الياء أي نبيه وهو الفرد الكامل (كفانا) في إيضاح سبيله (فليس يبقىٰ بعد ذا) المذكور من الهداية والكفاية (إلاّ الدعا) بالقصر أي التضرع إلى الله تعالىٰ في كل الأمور (والاتباع) لرسوله فيما أمر به وفيما نهىٰ عنه (والهدىٰ والاقتدىٰ) بالقصر إطناب للتأكيد (أعوذ بالله إلّهي) أي معبودي بالحقّ (أن) أي من أن (أزل) بفتح الهمزة وكسر الزاء وفتحها من باب ضرب وعلم أي أزلِقُ، وغالب استعمال الزلق [الزلل] في الخطأ في المنطق (أو) من (أن أضلّ) بضم الهمزة وفتحها أي أضلّ غيري، أو أضلّ بنفسي عن طريق الحقّ، ثم قال الدواني وصاحبيّ كنفر ثلاثة سلكوا طريقاً، فأخذ أحدهم مهله إلى داره وقراره، ثم تلاه الآخر فسلك سبيله واتبع أثره حتّى أفضىٰ إليه سالماً، ثم تلاه الثالث فإن سلك سبيلها واتبع أثرهما أفضىٰ إليهما سالماً ولاقاهما، وإن هو زلّ يميناً أو شمالاً لم يجتمع بهما أبداً ذكره ابن سيد الناس (وأتم) الإمام الخطبة (ونزل) عن المنبر، وأخرج ابن سعد عن شدّاد قال: أول كلام تكلّم به عمر رضي الله عنه حين صعد المنبر قال: أَللّهمّ إني شديد فليّنّي، وإني ضعيف فقوّني وإني بخيل فسخّني(٢٦٥).

---

(٢٦٥) رواه ابن سعد (٢٧٤/٣ - ٢٧٥) من طريق جامع بن شداد عن ذي قرابة له قال: سمعت عمر بن الخطاب يقول: ثلاث كلمات إذا قلتها فهيمنوا عليها، اللهم إني ضعيف فقوني، اللهم إني غليظ فليني، اللهم إني بخيل فسخني.

وروي لفظ المصنف (٢٧٤/٣) من طريق جامع بن شداد عن أبيه فذكره.

وسار بعد صاحبيه في سنن يقيم فرض الله فيها والسنن

(وسار بعد صاحبيه) أي النبي ﷺ وخليفته أبي بكر رضي الله عنه (في سَنَن) بفتح السين والنون أي سار في طريقتها وسيرتها، كأنه قيل: ما فعل حين سار في طريقتها فقال: (يقيم فرض الله) الإضافة للعموم أي كل فرض له تعالى على عباده (فيها) أي في تلك الطريقة (و) يقيم (السنن) فيها أيضاً وهو بضم السين جمع سُنَة أريد بها ما عدىٰ الفروض، قال الإمام ابن شهاب الزهري: استخلف عمر يوم توفي أبو بكر، فقام بالأمر أتم قيام وكثرت في أيامه الفتوحات كثرةً عظيمةً لم يقع مثلها لأحد بعده.

(صفة عمر رضي الله عنه)

قال ابن قتيبة: الكوفيون يرون أنّ عمر آدم أي أسمر شديد الأدمة، وأهل الحجاز يرون أنه أبيض أمهق أي شديد البياض، وفي الصفوة لابن الجوزي: كان طويلاً أصلع أي انحسر شعر مقدم رأسه، شديد حمرة العينين، خفيف العارضين، وعن سماك بن حرب: كان عمر رضي الله عنه أروح أي يتدانا قدماه إذا مشى، كأنه من طوله راكباً والناس يمشون. وفي المختصر الجامع: كأنه راكب جمل والناس مشاة، كأنه من رجال سدوس خرّجه الحافظ السلفي، وقال وهب: صفته في التوراة: قرن من حديد أمين شديدٌ، القرن الجبل الصغير.

(كتابه رضي الله عنه)

ومن كتابه: عبدالرحمٰن بن خلف وزيد بن ثابت، وعلى بيت المال زيد بن أرقم.

(قضاته رضي الله عنه)

ومن قضاته شريح بن الحارث الكندي بالكوفة، ويقال إن شريحاً هذا أقام قاضياً خمساً وسبعين سنة إلى أيام الحجّاج، وامتنع عن الحكم في فتنة ابن الزبير، فلما تولّى الحجّاج استعفاه فأعفاه، وتوفي، سنة تسع وسبعين وله مائة وعشرون سنة، وقيس بن أبي العاص بمصر، ثم كعب بن يسار.

(أمراؤه رضي الله عنه)

من أمرائه عمرو بن العاص بمصر، ثم صرفه إلى الصعيد، وردّ أمره إلى عبدالله بن أبي سرح العامري، ومعاوية بالشام.

(ذكر ما كان في أيامه رضي الله عنه من الفتوحات وغيرها)

سنة أربع عشرة وسط رجب　　في دمشق بعد حصر وتعب

اعلم أنّ عمر رضي الله عنه لما استخلف عزل خالداً عن ولاية الشام، واستخلف أبا عبيدة، فالتقىٰ المسلمون والروم حول دمشق، فاقتتلوا قتالاً شديداً، ثم انهزم الروم وتحصنوا في دمشق فرابطهم المسلمون ستة أشهر، حتى فتحوها علىٰ إعطاء الجزية على يد خالد، واستحيي أبو عبيدة أن يعلمه بكتاب عزله في هذه المدة، فكان يصلي خلف خالد، ولما فتحت أظهر ذلك، فلامه خالد على ترك إعلامه، والصلاة خلفه في هذه المدة، فقال أبو عبيدة: لا بأس إنما نحن إخوان وكان (سنة أربع) بسكون العين إجراءً للوصل مجرىٰ الوقف (عشرة) بسكون الشين وبالتنوين للوزن (وَسْطَ) بسكون السين على لغة قليلة منصوب بتقدير في (رجب) الأصم (فتح دمشق) بكسر الدال وفتح الميم بلدة معروفة بالشام، ورد في فضائلها وفضائل جامعها الكبير أحاديث ليس هذا محل بسطها (بعد حصر) وتضييق شديد على أهلها (وتعب) بفتح العين أي مشقة

عظيمة في فتحها، وما ذكره الناظم هو ما جزم به صاحب عيون التواريخ وغيره.

وقال ابن اسحٰق: بل فتحها سنة ثلاث عشرة.

ثـم بها جسرُ أبي عبيـده   ومصرت بصرتهم بـأيـده

(ثم بها) أي في سنة أربع عشرة (جَسْرُ) بفتح الجيم وكسرها هو المعبر، وجمعه: أجسر وجسور (أبي عُبَيْدَه) بحذف التاء للوزن، قيل: إن جسر أبي عبيدة كان على نهر دجله ليعبر عليه جيش المسلمين [الإسلام] إلى العراق، (و) فيها أيضاً كما قيل ومشىٰ [عليه] الناظم عليها، والأصح أنه في سنة سبع عشرة كما في عيون التواريخ وغيره (مصّرت) مجهول التفعيل أي جعلت مصراً وبلداً (بصرتهم) بتثليث حركة الباء كما حكاه الأزهري وغيره، وأفصحها الفتح، وهي في الأصل حجارة رخوة فيها بياض، وبها سميت البصرة، وإضافتها في النظم إلى المسلمين لملابسة أنهم بنوها وسكنوا فيها (بأيده) أي بقوة وسلطان للمسلمين عليها، إذ الأيدي جمع يد بمعنى القوة والجماعة، ويجوز جعله من باب الاكتفاء المقرر في البيان، والأصل بأيديهم أي الصحابة. فاكتفى ببعض الكلمة، ثم إنها بناها عتبة بن غزوان المازني شهد بدراً بأمر عمر رضي الله عنه، ويقال لها قبة الإسلام وخزانة العرب، لم يُعبَد صنم قط بأرضها، وهي أقوم البلاد قبلةً، لأنها قبالة باب الكعبة والمقام، وليس بينها وبين مكة بلد كما في النجم الوهّاج وغيره، وهي مدينة على قرب البحر، سبخة التربة، ملحة الماء، كثيرة النخيل والأشجار، وأحصيت مساجدها، فكان بها مائة ألف مسجد وسبعة عشر ألفاً، وكان بها خلق لا يحصون ولها نخيل متصلة علىٰ أزيد من خمسين فرسخاً كأنما غرست في يوم واحد، وأحصيت أنهارها فكانت مائة ألف وعشرين ألفاً، قيل: ومن عجائبها عدم وجدان ذبابة علىٰ رطبها ومعاصرها،

ذكروا أن ذلك لطلسم، وفي سنة سبع عشرة أيضاً كما في عيون التواريخ وغيره بناء الكوفة البلدة المعروفة الكبيرة على جانب الفرات، قبة الإسلام ودار الفضل وهجرة المسلمين، وهي في الأصل الرملة الحمراء المستديرة، وبها سميت الكوفة مصّرها سعد بن أبي وقاص كما في القاموس وغيره، وكان منزل نوح عليه السلام وذلك: أن الصحابة لما استوخموا المدائن انتقلوا منها إلى الكوفة، فأمر سعد ببنائها بعد أمر عمر رضي الله عنه بذلك، ومن قال: مصّرها عمر رضي الله عنه كما قال النووي في تهذيب الأسماء أراد أنه أمر بذلك، وقيل: بناها عليّ بعد البصرة بسنتين وهو غريب، ويمكن أن يقال: إنه زاد فيها بعد بنائها فنسب إليه.

ثم بها وقعة مرج الصفر ويوم فِحل وهروب قيصر

(ثم بها) أي في السنة المذكورة (وقعة) أي حرب المسلمين مع الروم في (مرج) بفتح فسكون (الصفّر) بضم الصاد المهملة وتشديد الفاء المفتوحة موضع بغوطة دمشق كما في النهاية، وعن أمامة كان بين وقعة أجنادين وبين وقعة مرج الصفّر عشرون يوماً قبل وفاة أبي بكر بأربعة أيام، ثم رجع المسلمون إلى محاصرة دمشق ونزل كل منهم منزلهُ الأول، وضيقوا عليهم، فبلغهم وفاة أبي بكر رضي الله عنه ذكره صاحب كتاب الخميس، وما ذكره الناظم لا يتمشىٰ عليه، وكذا ما روىٰ غير ابن اسحٰق أنّ خالداً لما فرغ من أجنادين سار بمن معه إلى دمشق، فنزل بديره المعروف إلى الآن بدير خالد مما يلي باب شرقي دمشق على ميل منه، ونزل أبو عبيدة بباب الجابية، ويزيد بباب آخر، فضيقوا عليهم في الحصار، وخرجوا ذات يوم ودنوا من أبوابها يرجون فتحها، فرماهم أهلها بالحجارة والنبل من فوق السور، فبينما هم كذلك إذ بلغهم أن هذا جيش بعثه ملك الروم إليكم، فنهض خالد بالناس، وقدم الأثقال مع يزيد بن أبي سفيان،

ووقف هو وأبو عبيدة من وراء الناس، ثم استقبلوا الجيش فإذا هو درنجار في خمسة آلاف من أهل القوة والبأس ليغيثوا أهل دمشق، وانضم إليهم من أهل دمشق وحمص فبلغوا نحو خمسة عشر ألفاً، فحمل خالد بمن معه على عظم جمعهم فهزمهم الله تعالىٰ وقتلوهم كل قتلة، فرجع بعضهم إلى دمشق وبعضهم إلى حمص وبعضهم إلى قيصر، انتهى.

وعن عمرو بن محصن: أنَّ قتلاهم يومئذ وهو يوم مرج الصفّر خمسمائة في المعركة وأسراهم كذلك. (و) بها أيضاً وقعة (يوم فِحْلٍ) بكسر الفاء وسكون الحاء المهملة موضع بالشام، كان به حرب عظيم بين المسلمين والروم، فنسبت تلك الوقعة إليه، وقيل لمن شهدها فِحليّ كما يقال لمن شهد بدراً: بدري ذكره عزّالدين الجزري في تهذيب الأنساب، وذكر أخوه ابن الأثير في النهاية مثله (و) بها (هروب قيصر) ملك النصارىٰ إلى أقصىٰ مملكته لانهزام جيشه مرّات.

سنة خمس وقعة يَرموكِ وقادسية المجوس النوك

(سنة خمس) بعد عشرة كما قاله الواقدي وغيره، وقيل: سنة ثلاث عشرة في جمادىٰ الآخرة، بُعَيد وفاة أبي بكر رضي الله عنه كانت: (وقعة اليرموك) بفتح [الياء] المثناة وسكون الراء المهملة واد بناحية الشام كما في القاموس، وعبارة غيره: موضع وبلدة بالشام من أرض حوران، كانت من أعظم الوقائع، كان المسلمون فيها أكثر من عشرين ألفاً وجيش قيصر أزيد من مائة ألف فارس، فقتل منهم يومئذ أزيد من النصف أو أقلّ، واستشهد من الصحابة جماعة كما قاله صاحب الخميس، وفي كتاب عيون التواريخ: كان المسلمون ستةً وثلاثين ألفاً، والمشركون مائة ألف وأربعين ألفاً، فالتحم بينهما فهزم الله الروم، وأصيبت يومئذ عين أبي سفيان فصار أعمىٰ لذهاب عينه الأخرىٰ يوم الطائف كما قاله ابن قتيبة (و) في سنة خمس أيضاً، وقيل: أربع عشرة في أول المحرم كانت

وقعة (قادسية) بالقاف وكسر الدال والسين المهملتين بُلَيدة بقرب الكوفة، ذات نخيل ومياه كثيرة، وتطلق على مواضع أُخَر ليست مرادةً هنا وقوله: (المجوس) نعت قادسية باعتبار أهلها أي عبدة النار لأنهم الفرس (النُوُك) بضم النون جمع أنوك بمعنى أحمق نظير حُمُر جمع أحمر وهو صفة ذم [للمجوس].

روي أنّ عمر نادى في الناس فجمعهم وأخبرهم باجتماع الجموع على كسرى يزدجرد بقصد إهلاك العرب، فشاورهم في الخروج إليهم بنفسه، فأشاروا إليه أن يبعث واحداً، فبعث سعد بن أبي وقاص، وولاّه حرب العراق، فخرج في سبعة آلاف فارس، ثم كتب إلى جرير بن عبدالله والمثنىٰ أن يجتمعوا إلى سعد، فانضم إليه أزيد من ثلاثين ألفاً فشهدوا القادسية وأصابوا في الطريق غنائم من فارس، فبلغهم أنّ كسرىٰ ولّى على الحرب رستم الأرمني، وقد عسكر بالمدائن ومعه الخيول والفيول، فسار سعد إليهم [إلى يزدجرد] فانهزم الفرس إلى أن لحقوا بنهاوند، وبعث إلى يزدجرد مَن يدعوه إلى الإسلام، فأبىٰ وأغلظ في الجواب، ثم وجّه رستم في ستين ألفاً، وجعل على مقدمته جالينوس في أربعين ألفاً، ثم انضم إليهم ما صاروا به فوق مائتي ألف، وفيهم أزيد من ثلاثين فيلاً، فنزلوا القادسية، وكان سعد رضي الله عنه مريضاً لا يستطيع الركوب ولا الجلوس، فجمع الناس، فوعظهم وحرّضهم على الجهاد، فالتقى الجمعان واقترن ثلاثون ألفاً من أهل فارس بالسلاسل لئلا يهربوا، ثم زحف المسلمون عليهم، فاقتتلوا إلى غروب الشمس، ثم تراجعوا ثم في اليوم الثاني كذلك، ثم في الثالث، قتل من المسلمين ألفان، ومن المشركين عشرة آلاف، واشتدّ الأمر على الفريقين، وقدم هشام بن عتبة من الشام في سبعمائة فارس بعد فتح دمشق، وتقاتلوا في الليل أشدّ القتال، وكان كلامهم الهرير فسميت ليلة الهرير، وأقبل سعد على الدعاء، وكان مجاب الدعوة، فلما أصبحوا اقتتلوا حتىٰ قامت الظهيرة، وهبت ريح عاصف، فهال الغبار على المشركين، فانتهىٰ القعقاع وأصحابه إلى سرير رستم، وقد قام عنه فاستظل بظل بغل عليه المال، فضرب هلال بن علقمة الحمل

الذي استظل به فقطع حباله، فوقع على رستم أحد العِدلَيْنْ، فهرب نحو الجسر ورمىٰ نفسه، واقتحم هلال عليه فأخذ برجله، ثم أخرجه فقتله فرماه بين أرجل البغال، ونادىٰ على سريره قتلت رستم وربِّ الكعبة، فانهزم المشركون وتهافتوا في الماء، وقتل المسلمون منهم ثلاثين ألفاً، وقتلوا منهم في المعركة عشرة آلاف سوىٰ من قتل منهم قبل ذلك، وقتل من المسلمين في القادسية ستة آلاف، ولما انهزموا أمر سعد زهرة باتباعهم فقتل الجالينوس وخلقاً كثيراً منهم، ثم رجع بأصحابه فبات بالقادسية، واستكثر سعد سلب الجالينوس، فكتب إلى عمر رضي الله عنه بذلك فأمره بإعطائه لمن قتله، فأعطاه سعد إيّاه فباعه بسبعين ألفاً، وأعطى أيضاً هلالاً قاتل رستم سلبه فباعه بتسعين ألفاً، وجمع من الأسلاب والأموال ما لم يجمع مثله، ثم إنّ الفرس لما انهزموا أرادوا الجمع بنهاوند قرب همذان، فبعث سعد في طلبهم حتىٰ انتهوا إلىٰ جلولاء فكانوا بها إلى أن وقعت وقعتها.

سنة ست حلب انطاكية وعمر القدس وجاء الآتية

(سنة ست) وعشرة من الهجرة، وقيل: سنة خمس، وقيل: أربع [فتح] (حلب) مدينة عظيمة بالشام كثيرة الخيرات طيبة الهواء صحيحة التربة، كان بها مقام إبراهيم الخليل عليه السلام، وفيها أيضاً [فتح] (أنطاكية) بفتح الهمزة وكسرها وسكون النون وكسر الكاف وفتح المثناة الخفيفة مدينة عظيمة موصوفة بالنزاهة، وهي قصبة البلاد الخمسة بالشام المسماة بالعواصم كما تقدم، بنتها أنطاكية بنت الروم بن عيص، ولها سور عظيم، وسماها الروم مدينة الله تعظيماً لها، ومدينة الملك، وأم المدن، لأن عندهم أول مدينة ظهر فيها دين النصرانية، وفيها مسجد حبيب النجار وقبره هناك يزار ويتبرك به (و) فيها أيضاً في شهر ربيع الاول كما في مثير الغرام، أو شهر ربيع الآخر كما قاله الحافظ أبو محمد

القاسم، وفي فضائل بيت المقدس لابن الجوزي: أن فتح بيت المقدس سنة خمس عشرة من الهجرة، ويوافقه ما في صحيح البخاري، وقيل: سنة سبع عشرة (عُمِّرَ) مجهول من التعمير (القدس) أي بيت القدس [بضم الدال وسكونها لغتان، والثاني متعين هنا، وهو كالبيت المقدس] من أسماء مسجد الأقصىٰ كما مرّ، واسم مدينة بيت المقدس إيلياء ككبرياء وجاز فيه القصر، وتعمير بيت القدس على يد عمر بن الخطاب رضي الله عنه، فإنه لما دخل بيت المقدس وجد على الصخرة زِبلاً عظيماً مما طرحه الروم غيظاً لبني إسرائيل، وفي رواية جعلت صخرة بيت المقدس مزبلةً عظيمة مما ألقته النصارىٰ عليها مضارةً لليهود، حتى إن كانت المرأة لتبعث بخرق دمها من رومية فتلقىٰ عليها، فبسط عمر رضي الله عنه رداءه وجعل يكنس ذلك الزبل، وجعل المسلمون يكنسون معه حتى طهرها، وصلّىٰ في محراب داود عليه السلام، ثم بنىٰ للمسلمين مسجداً في موضع مسجد سليمان بن داود عليها السلام في مقدم الصخرة، مما يلي الغرب، وكان قد سأل كعباً [كعب الأحبار]: أين ترىٰ أن نجعل المسجد؟، فقال: اجعله خلف الصخرة فتجتمع القبلتان، قبلة موسىٰ عليه السلام، وقبلة محمد ﷺ، فقال له عمر رضي الله عنه: قد ضاهيتَ اليهود يا أبا اسحٰق، خير المساجد مقدمها، فبنىٰ في مقدم بيت القدس مسجده، ولم يزل القدس الشريف من لدن الفتح العمري في أيدي المسلمين أيّام الخلفاء فمن بعدهم إلى سنة سبعين من الهجرة، فبنى عبدالملك بن مروان قبة الصخرة ومسجد بيت المقدس، يقال: إنه صرف في بنائه خراج مصر سبع سنين.

وفي مرآة الزمان لسبط ابن الجوزي: أنّ عبدالملك ابتدأ في بنيانه [بنائه] سنة تسع وستين، وفرغ منه سنة اثنتين وسبعين من الهجرة، ثم إنه زيّن المسجد الأقصىٰ بأنواع الذهب والفضة والطيب مما يحيّر الفكر، وكان فيه خمسون باباً، وستمائة عمود من رخام، وسبعة محاريب، وأربعمائة سلسلة، وخمسة آلاف قنديل، ورتب له ثلاثمائة خادم، وغير ذلك مما يطول ذكره، ثم إنه لم يزل مع خراب

بعضه بأيدي المسلمين إلى سنة إحدى وثمانين وأربعمائة.

(استيلاء الفرنج على القدس)

فاستولى عليه الفرنج ضحى يوم الجمعة من سنة اثنتين وثمانين وأربعمائة، وقتل من المسلمين كثير، حتى قتل في المسجد الأقصى أكثر [أزيد] من سبعين ألفاً، وانزعج بسبب ذلك بلاد الإسلام، ثم استولى على بلاد السواحل وما فيها من الحصون، ولم تزل القدس وما والاها من بلاد السواحل في أيدي الفرنج المخذولين نيفاً وتسعين سنة، إلى أن جاء السلطان الـمَلِك الناصر صلاح الدين أبو المظفر يوسف بن أيوب، فاستنقذها من أيديهم وطردهم من جميع البلاد التي أخذوها فَسَّح الله له في الجنان وسقى ضريحه صوب الرضوان.

ثم إن الفرنج قد بنوا على الصخرة كنيسة ومذبحاً، وزينوها بالصور والتماثيل، وعيّنوا بها مواضع الرهبان ومحط الإنجيل، فأمر السلطان بتطهيرها من هذه الأنجاس، وأعادها كما كانت في الزمن القديم، ورتب في قبة الصخرة إماماً قارئاً حسن الصوت جداً، ورتب للمسجد وظائف عظيمة يطول شرحها، ثم لم يزل القدس المعظم في أيدي المسلمين إلى الآن وإلى يوم القيامة إن شاءالله تعالى (٢٦٦).

واعلم أنه ورد في كيفية فتح بيت المقدس آثار كثيرة مختلفة الطرق والألفاظ: منها ما روي عن شدّاد بن أوس الأنصاري قال: إنا لما فرغنا من قتال اليرموك سرنا إلى ناحية فلسطين فحاصرنا البيت المقدس فتعذر الفتح علينا حتى قدم

---

(٢٦٦) عند إنشاء دولة اليهود على أرض فلسطين الإسلام سنة ١٩٤٨ سلمت القدس الغربية إلى اليهود، ثم احتل اليهود جميع القدس إلى نهر الأردن سنة ١٩٦٧ ولا زالوا محتليها إلى الآن، وأعلنوا القدس عاصمة لدولتهم، والمسلمون مشغولون بمنازعاتهم، بل بالتسابق لخدمة الشرق أو الغرب الذين أيدوا اليهود منذ انشاء دولتهم.

ولن ترجع القدس إلى المسلمين إلا بالإتحاد والعمل بكتاب الله وسنّة نبيّه وإعلان الجهاد الإسلامي، وسيكون ذلك كما أخبر به الرسول ﷺ.

عمر رضي الله عنه في أربعة آلاف راكب، فنزل على جبل بيت المقدس، ونحن على حصارنا محيطون بها، وانحدر علينا من أصحاب عمر رضي الله عنه يقاتلون بنشاط، فسررنا بذلك ورجونا الفتح، فقاتلناهم ملياً، ثم أرسل إلينا عمر بالكفّ عن قتالهم، فقال: إن رسول الله ﷺ أخبرني أني أفتحها بغير قتال، فصالحهم على أداء الجزية وأن يعطيهم الأمان على دمائهم وأموالهم وكنائسهم.

ومنها ما روي عن عطاء الخراساني أن المسلمين لما نزلوا ببيت المقدس قال رؤساؤهم: إنا قد أجمعنا على مصالحتكم وقد عرفتم منزلة المسجد الأقصىٰ ونحن نحب الفتح على يد ملككم، فبعث المسلمون إلى عمر رضي الله وفداً، وبعث الروم معهم إليه وفداً حتّى أتوا المدينة، فجعلوا يسألون عن أمير المؤمنين، فاشتدّ عجب الروم وقالوا: هذا الذي غلب الروم وفارس وأخذ كنوز كسرىٰ و قيصر، وليس له مكان يعرف بهذا غلب الأمم، فوجدوه قد ألقىٰ نفسه حين أصابه الحرّ نائماً فازدادوا تعجباً، فلما قرأ كتاب أبي عبيدة أتىٰ بيت المقدس وفيه اثنىٰ عشر ألفاً من الروم وخمسين ألفاً من غيرهم، فصالحهم على أداء الجزية وإخراج الروم منها وأجّلهم ثلاثة أيام.

ومنها ما في مثير الغرام: أن أبا عبيدة رضي الله عنه جمع العسكر [عسكره] بالأردن وكتب إلىٰ أهل إيلياء و سكانها: بسم الله الرحمٰن الرحيم من أبي عبيدة ابن الجراح إلىٰ أهل إيلياء وسكانها سلام على من اتبع الهدىٰ وآمن بالله ورسوله: أمّا بعد فإنا ندعوكم إلى شهادة أن لا إلٓه إلاّ الله، وأنّ محمداً رسول الله وأن الساعة آتية لا ريب فيها وأن الله يبعث من في القبور، فإذا شهدتم بذلك حرمت علينا دماؤكم وأموالكم وكنتم لنا إخواناً، وإن أبيتم فأدّوا الجزية عن يد وأنتم صاغرون، وإن أبيتم سرت إليكم بقوم هم أشد حباً للموت منكم لشرب الخمر، ثم لا أرجع عنكم حتىٰ أقتل مقاتلكم وأسبي ذراريكم، فلما بلغهم أبوا أن يأتوه وأن يصالحوه، فسار إليهم فحاصرهم وضيّق عليهم، فخرجوا ذات يوم

لقتال المسلمين، فشدّ عليهم المسلمون من كل جانب حتىٰ أدخلوهم الحصن، وكان الذي يلي قتالهم يومئذ خالد بن الوليد، ويزيد بن أبي سفيان، فلما رأى أهل إيلياء أنهم لا طاقة لهم بحربهم، قالوا لأبي عبيدة: نحن نصالحك ولكن أرسل إلى خليفتكم عمر فهو الذي يعطينا هذا العهد ويكتب لنا الأمان، فاستحلفهم بالأيْمان المغلظة والمواثيق المؤكدة إن قدم عليهم أمير المؤمنين عمر وكتب لهم كتاب الصلح ليقبلنه وليؤدين الجزية، فكتب أبو عبيدة:

بسم الله الرحمٰن الرحيم لعبدالله عمر من أبي عبيدة سلام عليك، فإني أحمد إليك الله الذي لا إلٓه إلاّ هو أمّا بعد فإنا أقمنا على أهل إيلياء، فظنوا أن لهم في مطاولتهم فرجاً، فلم يزدهم الله تعالىٰ، إلاّ ضيقاً وذلاً، فَسألوا: أن يقدم عليهم أمير المؤمنين، فيكون هو المعطي لهم العهد، فأخذنا عليهم المواثيق المؤكدة لقبول ذلك، فإن رأيت أن تقدم فافعل فإن لك أجراً وصلاحاً يسّر الله أمرك، والسلام.

فلما قرأ الكتاب استشار الصحابة فأشار إليه عثمان رضي الله عنه بعدم المسير، حتى يروا أنه مستحقر لشأنهم ويزدادوا رعباً فينزلون عن الحكم ويعطون الجزية، وأشار عليّ كرم الله وجهه بالمسير إليهم حقناً لدماء المسلمين، ولأنهم طلبوا المنزلة التي فيها الذّل والصغار لهم، والفتح والعزّ العاجل للمسلمين في عافية قال: وفي قدومك عليهم أجر في كل ظمأ ومخمصة وقطع كلّ واد، ثم قال عمر رضي الله عنه: قد أحسن عثمان النظر في مكيد العدوّ، وأحسن عليّ النظر لأهل الإسلام، سيروا على اسم الله تعالىٰ فإني سائر.

فخرج من المدينة في وجوه الأنصار والمهاجرين والعرب، واستخلف علياً كرم الله وجهه، فلما دنا من الشام أقام بعسكره حتىٰ لحق من تخلف، فلما طلعت الشمس أقبل الجنود على الخيول بالرايات والرماح يستقبلون أمير المؤمنين ويسألون عنه، فلما رأوه اقتحموا عن خيولهم فناداهم عمر رضي الله عنه لا

تفعلوا، ثم طلع أبو عبيدة في عظم الناس يستقبل عمر رضي الله عنه، فإذا هو على ناقة مخطومة بخطام ليف لابساً سلاحه، فلما رأىٰ عمر أناخ إبله [ناقته] وأناخ عمر رضي الله عنه أيضاً بعيره، ولما دنا منه أخذ أبو عبيدة يده ليقبّلها تعظيماً له، فأهوى عمر إلىٰ رجل أبي عبيدة ليقبّلها فقال: مه يا أمير المؤمنين، وقال عمر مه يا أبا عبيدة، فتعانقا ثم ركبا يتسايران، وسار الناس أمامها، ثم قال للناس: انصرفوا، ودخل بيت أبي عبيدة فلم يجد فيه سوى سيفه وترسه وقوسه ورحله، فبكىٰ عمر رضي الله عنه وقال لأصحابه: تمنّوا، فقال واحد منهم: أتمنّىٰ [أن يكون] ملىء هذه الدار ذهباً أنفقه في سبيل الله، وقال آخر: جوهراً أنفقه كذلك، فقال عمر رضي الله عنه: وأنا أتمنىٰ ملىء هذه الدار [البيت] رجالاً مثل أبي عبيدة. وروي عن ابن شهاب قال: لما قدم عمر الشام عرضت له مخاضة، فنزل عن بعيره وأمسك جرموقيه بعد نزعها وخاض الماء ومعه بعيره فقال له أبو عبيدة: لقد صنعت اليوم صنعاً عظيماً عند أهل الأرض، فصكّ عمر في صدره، وقال: لو غيرك يقولها يا أبا عبيدة، إنكم كنتم أذلّ الناس وأقلّ الناس فأعزّكم الله بالإسلام، ومهما تطلبوا العزّ بغيره يذلكم الله (٢٦٧).

ووردت في كيفية كتاب الصلح لهم واشتراط الشروط عليهم روايات للبيهقي وغيره ليس هنا محل بسطها (وجا) بالقصر للوزن في السنة (الآتية) أي سنة سبع عشرة، وقيل: فيما قبلها، وقيل: فيما بعدها.

(٢٦٧) رواه الحاكم (٣/٨٢) من حديث طارق بن شهاب. نعم كان العرب أذلاء قبل الإسلام فأعزّهم الله بالإسلام مع قلتهم وفقرهم، والآن وصل عدد المسلمين إلى ألف مليون بل أكثر، وهم أذلاء بيد أعداء الإسلام، لأنهم تركوا الإسلام وراء ظهورهم، وبدلوا به القوانين الوضعية واغتروا بالمدنية المزيفة، مما جعلهم بعيدين عن الإسلام الذي يعز من تمسك به، ولن يرجع إليهم عزّهم إلا برجوعهم إلى كتاب ربّهم وسنّة نبيّهم يطبقونها في جميع مجالات الحياة، فحينئذ سيصبحون أعزّاء بعد أن كانوا أذلاّء.

عام الرمادة به استسقىٰ عمرُ ثم أتىٰ جابية وما عبر

(عام الرمادة) فاعل جاء أي ابتداؤه كان فيها، في القاموس كالصحاح: عام الرمادة أعوام جدب تتابعت في أيام عمر رضي الله عنه، فهلك فيه الناس والأموال، من رمدت الغنم ترمد رمداً أي هلكت انتهىٰ.

وفي عيون التواريخ: وفي ثمان عشرة كان عام القحط وهو عام الرمادة، أصاب الناس مجاعةٌ شديدة وقحط، وكانت الريح تسفي التراب كالرماد فسميت عام الرمادة، واشتد الجوع، حتى كانت الوحش تأوي إلى الإنس، وكان الرجل يذبح الشاة فيعافُها من قبحها، وفيها كان طاعون عمواس، وكتب أبو عبيدة إلى عمر رضي الله عنه: أن نفراً من المسلمين شربوا الخمر، منهم ضرارٌ وأبو جندل فسألناهم فتأوّلوا وقالوا: خيّرنا فاخترنا قال تعالىٰ: ﴿**فهل أنتم منتهون**﴾ ولم يعزم علينا، فكتب إليه عمر رضي الله عنه: معناه انتهوا، وقال: فادعهم على رؤوس الناس، فإن قالوا: الخمر حرام فاجلدهم ثمانين، وإن قالوا: حلال فاضرب أعناقهم، فسألهم فقالوا: بل حرام، فجلدهم، وندموا على لجاجتهم وقال: ليحدثن فيكن يا أهل الشام حدث فحدث الرمادة، وأقسم عمر رضي الله عنه: لا يذوق سمناً ولا لبناً حتى يحيىٰ الناس، فقدم السوق عكة سمن ووطب لبن فاشتراهما غلام لعمر بأربعين درهماً، فقال: يا أمير المؤمنين قد أبر الله يمينك قدم السوق عكّة من سمن ووطب من لبن، ابتعتهما بأربعين درهماً، فقال: تصدّق بهما، فإني أكره أن آكل إسرافاً، فقد أغليت بهما، ثم كتب إلى الأمصار يستعينهم لأهل المدينة ومن حولها، فكان أول من قدم عليه أبو عبيدة بأربعة آلاف راحلة من طعام، فولاّه قسمتها فيمن حول المدينة، فقسمها وانصرف إلى عمله وتتابع الناس، واستغنىٰ أهل الحجاز، ولم ير الناس بعد الرمادة مثلها، وفي تلك المدة كان عمر رضي الله عنه كالمحصور عن أهل الأمصار.

(استسقاء عمر رضي الله عنه بالعباس)

(به) أي في عام الرمادة (استسقىٰ عمر) أي [دعاه] وطلب السقي من الله تعالىٰ بالعباس عمّ النبي ﷺ فَسُقوا، وفي البخاري: أن عمر رضي الله عنه كان إذا قحطوا استسقىٰ بالعباس رضي الله عنه، فقال: أللهم إنّا كنّا نتوسّل إليك بنبيّنا محمّد ﷺ إذا قحطنا فتسقينا، وإنّا نتوسل إليك بعمّ نبيّك فاسقنا، فيسقون[٢٦٨]. وفي تأريخ دمشق: أن الناس كرّروا الإستسقاء عام الرمادة سنة سبع عشرة من الهجرة فلم يُسقوا، فقال عمر رضي الله عنه: لأستسقينّ غداً بمن يسقيني الله به، [فقال الناس: بمن؟ بعلي بحسن بحسين؟] فلما أصبح غدا إلىٰ منزل العباس رضي الله عنه، فدق عليه الباب فقال: مَن؟ قال عمر، قال: ما حاجتك؟ قال: اخرج حتى نستسقي الله بك، قال: اقعد فأرسل إلى بني هاشم أن تطهّروا والبسوا من صالح ثيابكم فأتوه، فأخرج طيباً فطيّبهم، ثم خرج وعليّ أمامه بين يديه، والحسن عن يمينه، والحسين عن يساره، وبنو هاشم خلف ظهره، وقال: يا عمر لا تخلط بنا غيرنا، ثم أتى المصلّىٰ فوقف فحمد الله وأثنىٰ عليه وقال: أللهم إنك خلقتنا ولم تؤامرنا، وعلمت ما نحن عاملون قبل أن تخلقنا فلم يمنعك علمك فينا عن رزقنا، أللهم فكما تفضلت علينا في أوله فتفضل علينا في آخره[٢٦٩].

وأخرج الحاكم أن عمر لما استسقىٰ بالعباس خطب فقال: يا أيها الناس إن رسول الله ﷺ كان يرىٰ للعباس ما يرىٰ الولد لوالده، يعظّمه ويبرّ قسمه، فاقتدوا برسول الله ﷺ في عمّه العباس، واتخذوه وسيلة إلى الله عزّ وجلّ فيما نزل بكم[٢٧٠]، وأخرج ابن عبدالبرّ بطرق عن عمر أنه لما استسقىٰ به قال: أللهم

---

(٢٦٨) رواه البخاري (١٠١٠ و ٣٧١٠).

(٢٦٩) رواه ابن عساكر في تاريخ دمشق ترجمة العباس (ص١٨٧).

(٢٧٠) رواه الحاكم (٣/٣٣٤) وفي إسناده داود بن عطاء المدني قال الحافظ الذهبي في تلخيص المستدرك: متروك.

إنّا نتقرب إليك بعم نبيّك ونستشفع به فاحفظ فيه نبيك كما حفظت الغلامين بصلاح أبيهما، وأتينا مستغفرين مستغيثين[٢٧١]. وأخرج ابن سعد أن كعباً قال لعمر: أن بني إسرائيل كانوا إذا أصابتهم سنة استسقوا بعصبة نبيهم، فقال عمر: هذا العباس انطلقوا بنا إليه، فأتاه فأخذه بيده وأجلسه معه على المنبر وقال: اللهم إنّا قد توجهنا إليك بعمّ نبيّك، ثم دعا العباس[٢٧٢]، وفي عيون التواريخ أن عمر رضي الله عنه: لما استسقى خطب وأوجز وصلّى ثم جثىٰ على ركبتيه وقال: أللهم عجزت عنا أبْصارنا وعجز عنّا حولنا وقوتنا وعجزت عنّا أنفسنا ولا حول ولا قوة إلاّ بالله، اللهم فاسقنا وأحيي البلاد، وأخذ بيد العباس، ودموع العباس تتحادر على شيبته فقال: اللهم إنّا نتقرب إليك بعمّ نبيّك وبقية آبائه وأكبر رجاله مستغيثين به ومستغفرين، ثم أمر الناس بالاستغفار، وكان العباس قد طال عمره وعيناه تذرفان وهو يقول: اللهم أنت الراعي فلا تهمل الضالة، ولا تدع الكبير بدار مضيعة، فقد ضرع الصغير ورقّ الكبير، وارتفعت الشكوىٰ وأنت تعلم السر وأخفىٰ، اللهم فأغنهم بغناك قبل أن يقنطوا فيهلكوا- اللهم إنك لم تنزل بلاءً إلا بذنب ولم تكشفه إلا بتوبة وقد توجه القوم بي إليك فاسقنا الغيث، ثم زاد بكاؤه، فطلعت سحابة ثم التأمت، فوالله ما برحوا حتى علقوا الحذاء وقلصوا المآزر، فطفق الناس يمسحون أردان العباس ويقولون هنيئاً لك ساقي الحرمين ودموعه تتحادر وفيه قال حسّان رضي الله عنه:

سأل الإمام وقد تتابع جدبنا ... فسقى الإمام بغرة العباس
عمّ النبيّ وصنو والده الذي ... ورث النبيّ بذاك دون الناس
أحيا الإلٓه به البلاد فأصبحت ... مخضرة الأجناب بعد الياس

(٢٧١) انظر الاستيعاب (٨١٥/٢) لكنه لم يذكر الأسانيد حتى تنظر فيها.
(٢٧٢) ورواه ابن عساكر في تاريخ دمشق (ص١٨٥).

(طاعون عَمواس)

(ثم) في تلك السنة (أتى) عمر رضي الله عنه قاصداً للشام حتىٰ وصل (جابية) قرية من قرىٰ دمشق بناحية حوران، وهو بالجيم في الأصل الجماعة والحوض الضخم، فسمع أن بالشام طاعوناً فرجع بالناس (وما عبر) منها إلى بقية الشام من القدس وغيره.

مِن عمواس وهو طاعون وقع ثم جلولا ليس مثلها سمع

(من) خوف (عمواس) بفتح العين والميم قرية بين الرملة والقدس (وهو) أي عمواس من ذكر المحل وإرادة الحال فصح تفسيره بقوله (طاعون وقع) سنة سبع، وكان أول ظهوره في عمواس، ولذا نسب إليه فقيل: طاعون عُمواس، مات فيه خمسة وعشرون ألفاً، منهم أبو عبيدة ومعاذ بن جبل كما في الخميس وغيره.

وفي الصحيحين: أن عمر رضي الله عنه خرج إلى الشام، فأخبر أن بها وباء فاستشار المهاجرين فاختلفوا، والأنصار فاختلفوا، فدعا من كان هناك من أشياخ قريش من مهاجرة الفتح فاتفق رأيهم أن يرجع بالناس، ولا يقدمهم على ذلك الوباء، فهمّ بالرجوع، فقال أبو عبيدة بن الجراح: أفراراً من قدر الله يا أمير المؤمنين؟ فقال عمر: لو غيرك قالها لأوجعته ضرباً، نعم نفرّ من قدر الله إلى قدر الله، وكان عبدالرحمن بن عوف غائباً، فلما جاء قال: إنّ عندي في هذا علماً: سمعت رسول الله ﷺ يقول: « الطاعون رجس أرسل على بني إسرائيل أو علىٰ من كان قبلكم، فإذا سمعتم به بأرض فلا تقدموا عليه، وإذا وقع بأرض وأنتم بها فلا تخرجوا فراراً منه » فحمد الله تعالىٰ عمر رضي الله عنه، ثم انصرف (٢٧٣).

---

(٢٧٣) رواه البخاري (٥٧٢٩ و ٥٧٣٠ و٦٩٧٣) ومسلم (٢٢١٩).

قال الحافظ أبو محمد القاسم: قدم عمر الشام أربع مرات مرتين في سنة ست عشرة ومرتين في سنة سبع عشرة ولم يدخلها في الأولى من الأخيرتين.

(وقعة جلولاء)

(ثم) كانت في تلك السنة وقيل سنة ست عشرة وقعة (جلولاء) بفتح الجيم وبالقصر للوزن قرية ببغداد من ناحية فارس، والنسبة إليها جلوليّ على غير قياس كحروري في حروراء (ليس مثلها) أي وقعة جلولاء في عظم الغنيمة وكثرة القتلىٰ من المجوس الفرس (سمع) قال: سيف بن عمر بلغت الغنائم ثلاثين ألف ألفِ درهم، فطلع سهم كل فارس تسعة آلاف وسبع دوابّ، وبلغت قتلاهم مائة ألف، قيل: اشتهرت الوقعة بجلولاء لما جلّلته من قتلاهم.

روي أن المسلمين لما توطّنُوا المدائن وبعثوا بالأخماس إلى عمر رضي الله عنه بلغهم أن مهران قد عسكر بجلولاء وخندق، وأن أهل الموصل قد عسكروا بتكريت، فكتب سعد إلى عمر بذلك، فكتب إليه: أن سَرِّحْ هاشم بن عتبة إلى جلولاء في اثني عشر ألف، واجعل على مقدمته القعقاع بن عمرو، وعلىٰ الساقة عمرو بن مرّة الجهني، وكان الفرس لما هربوا من المدائن إلى جلولاء قالوا: إن افترقتم لم تجتمعوا أبداً فلنجتمع على العرب، ونقاتلهم، فحفروا الخندق واجتمعوا على مهران، ونفذ يزدجرد إلى حلوان، ونزل بها وسيّر إليهم الرجال والأموال، فرحل هاشم بن عتبة بن أبي وقاص بالناس من المدائن في اثني عشر ألفاً، فيهم وجوه المهاجرين والأنصار فقدم بهم إلى جلولاء فحاصرهم، فخرجوا على المسلمين فاقتتلوا، وبعث الله عليهم الريح فأظلمت الأقطار عليهم، فتهافت فرسانهم في الخندق، واشتدّ القتال فهزمهم الله تعالىٰ، وتبعهم المسلمون يقتلونهم كيف شاؤوا، وطلبهم القعقاع حتىٰ أدرك مهران فقتله، فلما بلغ خبر الهزيمة يزدجرد سار من حلوان نحو الجبل، ولجأ إلى الترك وزال ملكه بعد انهزام عسكره مرّات.

(وعظم الطاعون) أي طاعون عمواس (في) سنة (ثمان) وعشرة، وأصاب الناس من الموت ما لم يروا مثله قط، حتى طمع العدو فيهم لمكث الطاعون فيهم شهوراً، وكذلك أصاب الناس بالبصرة مثله.

وفي عيون التواريخ عدة من مات في طاعون عمواس خمسة آلاف ألف، وفيه أيضا أن عمر رضي الله عنه لما بلغه طاعون عمواس كتب إلىٰ أبي عبيدة ليستخرجه منه، فأبىٰ ألاّ يشارك المسلمين رِضاً بقضاء الله تعالىٰ، ثم كتب إليه أن يرتفع بالمسلمين عن تلك الأرض، فدعا أبو عبيدة أبا موسىٰ الأشعري وقال: ارتَدِ للمسلمين موضعاً، فرحل بالناس حتىٰ نزل الجابية، وكان أبو عبيدة قد قام في الناس فقال:

يا أيها الناس إنّ هذه الوجع رحمة لكم ودعوة نبيّكم، وإن أبا عبيدة يسأل الله أن يقسم له منه حظّه فطُعِنَ فمات. واستخلف على الناس معاذ بن جبل فخطب مثل خطبته فطعن في راحته فمات، واستخلف عمرو بن العاص، فخرج بالناس إلى الجبال فرفعه الله عنهم، ولم ينكر عمر رضي الله عنه ذلك منه.

ثم استخلف عمر معاوية على دمشق وخراجها بعد موت أخيه يزيد بن أبي سفيان، وفي ثمان عشرة أيضاً (فتحوا الموصل) بفتح الميم وكسر الصاد هي المدينة العظمىٰ المشهورة إحدىٰ قواعد الإسلام، لها سور وخندق عظيم، وبها من الأولياء والعلماء خلق كثير، وجوامعها الكبير [وجامعها الكبير] من أكبر جوامع بلاد الإسلام حتىٰ قيل ليس أكبر [بأكبر] منه، لكن الآن خرب معظمه، قال بعض الأولياء: يدخله الأبدال كل ليلة (مع حرّان) بفتح الحاء وتشديد الراء مدينة مشهورة بالجزيرة في ديار ربيعة، ويطلق على مواضع أخرىٰ ليست مرادةً هنا، منها قرية من قرىٰ حلب، وقرية من قرىٰ غوطة دمشق، وقرية بالبحرين،

وفتحوا أيضاً نصيبين والجزيرة وآمد وديار بكر والرُّها المشهور الآن بِعُرْفَة وغيرها من بلاد الجزيرة بين دجلة والفرات.

سنة تسع فتح تكريت وفي عشرين غزة وما معها اصطفي
ثم نهاوند بعام إحدىٰ وأهل كوفة تشكو سعدا

(سنة تسع) وعشرةٍ كان (فتح تكريت) بفتح أوله بلد قديم قريب من الموصل سمي باسم تكريت بنت وائل (وفي) سنة (عشرين) كان فتح (غزة) بفتح الغين المعجمة وبالزاء بلدة بين الشام ومصر علىٰ أطراف الرمال، فتحها معاوية بن أبي سفيان، وليس لها ماء جار بل أبيار، وتطلق أيضاً على بلدة بأفريقية وقرية بدمشق (وما معها) أي غزة من الغنائم والأموال (اصطفي) بالبناء للمجهول أي صفي بأن أخرج منه الخمس، ثم قسم بين الغنائم، فهو تتميم للبيت، أو المعنى: وما معها من قراها فتح أيضاً، واصطفى من الشرك والرجس (ثم) كان فتح (نُهاوند) بضم النون وفتح الواو وسكون النون الثانية مدينة بالجبل بقرب همذان، يقال: إنها من بناء نوح عليه السلام، وأصله: نوحاوند فقلبوا الحاء هاءً (بعام إحدىٰ) وعشرين كما قاله ابن اسحٰق، وقيل في عام تسع عشرة، وقيل: في ثمان عشرة غزو نُهاوند وعراق العجم، وفي تسع عشرة تتمة عراق العجم، وبعض مازندران، وتتمة فارس وكرمان وخراسان، وهرب يزدجرد من خراسان إلى فرغان بعدما هرب من عراق العرب إلى خراسان، وقصته: ما روي أن النعمان بن مقرّن كتب إلى عمر رضي الله عنه أن سعد بن أبي وقاص استعمله في جباية الخراج، وأنه يحب الجهاد، فكتب عمر إلى سعد أن ابعث به إلى نهاوند، وكان قد اجتمع بها من الأعاجم خمسون ومائة ألف، فسار النعمان بمن معه حتىٰ أشرفوا على عساكر العجم فقال النعمان: أيها الناس: قد علمتم ما أعزكم الله به من هذا الدين، وما وعدكم من الظهور، وقد أنجز لكم

هوادي ما وعدكم، وإنما بقيت إعجازه، والله منجز وعده ولا يكوننّ على دنياهم أحرص منكم على دينكم، فإنكم تنتظرون إحدىٰ الحسنيين، إمّا شهيد حيّ مرزوق، أو فتح قريب، فاستعدّوا فإني حامل عليهم إن شاءالله تعالىٰ، فإذا حَملتُ فاحملوا معي، اللهم أعزّ دينك وانصر عبادك، واجعل النعمان أول شهيد، فلما حمل مكبّراً، حمل الناس معه، واقتتلوا قتالاً عظيماً، وزلق فرس النعمان به في الدماء وأصيب، فتناول الراية منه نعيم بن مقرّن، وسُجّي النعمان بثوب، وأتىٰ حذيفة فأقام اللواء، وقال المغيرة: اكتموا مصاب أميركم حتّىٰ ننظر ما يصنع الله فينا وفيهم، فلما أظلم الليل انهزم المشركون، وتبعهم المسلمون، فلم يفلت منهم إلاّ اليسير، حتىٰ قتل منهم أكثر من مائة ألف، وبلغ المنهزمون إلىٰ همدان، والخيل في أعقابهم، ثم دخل المسلمون نهاود، واحتووا علىٰ ما فيها وما حولها، فأصاب الفارس من الفيء ستة آلاف، والراجل ألفين.

وفي سنة إحدىٰ وعشرين، وقيل سنة عشرين، وقيل سبع عشرة، (وأهل كوفة) وقد مرّ تفصيلها تَشَكَوْا إلى عمر رضي الله عنه، وهم قوم من بني أسد من أهل الكوفة زعموا أنّ (سعداً) بن أبي وقّاص أحد العشرة المبشرة غير عادل فيهم، فبعث عمر مَن سأل أهل الكوفة عنه، فقالوا: لا نعلم منه إلاّ خيراً وسكت قوم، وقال رجل يقال له أُسامة: إنه لا يعدل في الرعية ولا يقسم بالسوية، وكان سعد مجاب الدعوة لقوله ﷺ: «اللهم سدّد رميه وأجب دعوته» وفي رواية: «اللَّهُمّ استجب لسعد إذا دعاك» فدعا على ذلك الرجل بقوله: اللهم إن كان كاذباً فأطل عمره وأدِم فقره وعَرِّضه للفتن، فوقع له جميع ذلك، وكان يقول: شيخ سوء أصابتني دعوة سعد، ثم عزله عمر عن الكوفة، فأمّر عليهم أبا موسىٰ الأشعري، فشكوا منه أيضاً، فأشخصه إلى البصرة، فأمّر المغيرة بن شعبة، وفي سنة عشرين أو قبلها فتح سوق الأهواز، وتُستَر، ورامهرمز، وفيها أُسِرَ الهرمزان، وكان عمر رضي الله عنه قد كتب إلى سعد: أن ابعث إلى الأهواز بعثاً كثيفاً مع النعمان بن مقرّن، وابعث معه سويد بن

مقرّن، وجرير بن عبدالله، فينزلوا بأزاء الهرمزان، وكتب إلى أبي موسىٰ أن ابعث إلى الأهواز جنداً كثيفاً، وأمّر عليهم سهل بن عدي، وابعث معه البراء ابن مالك في جماعة سماهم، فخرج النعمان في أهل الكوفة، وكان الهرمزان يومئذ برامهرمز، فلما سمع بمسير النعمان بادره والتقيا واقتتلوا قتالاً شديداً، ثم إن الله هزم الهرمزان وكان قد صالح المسلمين ونقض فأُسِر، وأُوتي به إلى عمر رضي الله عنه فهدّده بالقتل، ووبّخه على نقض العهد فأسلم.

وكان تكميل فتوح مصر وسنة اثنتين فتح عمرو

(وكان) في سنة إحدىٰ وعشرين (تكميل فتوح) جميع بلاد (مصر) والإسكندرية على يد عمرو بن العاص، وأمّا ابتداء فتوحها ففي سنة إحدى وعشرين على الأصح، وقيل: قبلها، وفي أخبار الدول: مصر مدينة مشهورة ناحيتها أربعون مرحلة في مثلها، سميت باسم بانيها مصر بن مصر بن سام بن نوح عليه السلام، ذكر السيوطي عن عبدالله بن عمر رضي الله عنهما قال: لما خلق الله آدم عليه السلام مثل له الدنيا شرقها وغربها فلما رأىٰ مصر ونيلها دعا لها بالبركة والرأفة، وقيل: إن يوسف عليه السلام لما ولي مصر وأقام بها قال: اللهم إني غريب فحببها إليّ وإلى كل غريب، فمضت [فاستجاب] دعوة يوسف عليه السلام، فليس يدخلها غريب إلاّ أحب المقام بها، واختلف العلماء فيها هل فتحت صلحاً أو عنوة؟ فعن ابن اسحٰق قال: لما فرغ عمر بن الخطاب رضي الله عنه من الشام كلها أمر عمرو بن العاص أن يسير إلى مصر وأردفه بالزبير بن العوام مع جماعة آخرين، ففتحوا جميع البلاد صلحاً، وكتب لهم [كتاب] الأمان بعد قتال يسير وعمّر الفسطاط، ونزلها المسلمون. وعن ابن شهاب فتح بعضها صلحاً وبعضها عنوةً، ولقد لخص القضاعي في قصة فتح مصر وخبرها، فقال: لما كانت سنة ثمان عشرة من الهجرة قدم عمرو بن العاص من

عند عمر بن الخطاب رضي الله عنه إلى فتح مصر، وكان أول موضع قوتل فيه القَرَما قتالاً شديداً، وأمير الحصن يومئذ المندفور من قبل المقوقس بن قُرقُب اليوناني، وكان المقوقس ينزل الإسكندرية وهي في سلطان هرقل، وأقام المسلمون على باب الحصن محاصرين للروم سبعة أشهر، فلما ضيّقوا عليهم طلب مقوقس الصلح، فصالحه عمرو بن العاص، وكان فتحها يوم الجمعة مستهل المحرم سنة عشرين، وعدد الجيش الذين كانوا مع عمرو بن العاص خمسة عشر ألفاً وخمسمائة، ثم سار عمرو إلى الاسكندرية في شهر ربيع الأول سنة عشرين، وأقام في حصارها وفتحها ستة أشهر، ثم إنه لما فتح الاسكندرية همّ أن يسكنها، فكتب إلى عمر رضي الله عنه يستأذنه في ذلك، فسأل عمر رضي الله عنه الرسول: هل يحول الماء بيني وبين المسلمين، قال: نعم يا أمير المؤمنين إذا جرى النيل، فكتب أمير المؤمنين إلى عمرو بن العاص: إني لا أحب أن تنزل المسلمين منزلاً يحول الماء بيني وبينهم في شتاء ولا صيف، فتحول إلى الفسطاط [أي وهي] المدينة المشهورة بمصر بناها عمرو بن العاص، وسميت بالفسطاط، لأن عمرو بن العاص نصب فسطاطه أي خيمته هناك مدة إقامته، ثم بنى المدينة موضعه فسميت بالفسطاط (و) في (سنة اثنتين) وعشرين كان (فتح عمرو) بن العاص أيضاً.

ناحية الغرب وفيها فتحت دينور وآذربيجان تلت

(ناحية الغرب) أي أول مدائن المغرب وهي طرابلس الغرب وما يليها من السواحل، وأمّا فتح تمام بلاد المغرب، ففي خلافة عثمان رضي الله عنه كما سيأتي (وفيها) أي في سنة اثنتين وعشرين (فتحت، دِينَوَر) بكسر الدال وفتح النون والواو، وهو منصرف للوزن وفتحت فيها أيضاً همدان وجرجان والريّ من بلاد العجم كما في كتاب الخميس.

(وآذربيجان) بفتح الهمزة وسكون الذال المعجمة، وفتح الراء المهملة وكسر الموحدة، مملكة واسعة بها مدن كثيرة وقرىً وجبال وأنهار كبيرة، وبها نهر الرّس، وهو نهر عظيم شديد الجريان، لا تجري السفن فيه لكثرة الحجارة في أرضه، وله أجواف هائلة، زعموا أن من عبر الرّس ماشياً إذا مسح برجله ظهر امرأة عسرت ولادتها وضعت، وقد جرّب مراراً، وهو نهر مبارك كثير ما ينجو غريقه كذا في أخبار الدول، وهو مبتدأ، وقوله (تلت) خبره أي تبعت ما ذكر من البلاد في فتحها في سنة اثنتين وعشرين، وعدّ ما فتح في أيامه رضي الله عنه غير ما ذكرنا من البلاد، منها كُوَرُ دجلة والأُبلّة على يد عتبة بن غزوان، وكور الأهواز والجابية على يد أبي موسى، ومنها النَّوْبَة والبربر، مملكة واسعة بأرض الغرب كما ذكره المحب الطبري، وخابور وبليسان والري، وما يليها كما ذكره الدميري، وأُرمية وناحيتها إلى تبريز، وفي تقديم بعضها على بعض خلاف، ومما عدّ فتحه في أيامه: اصطخر، وسيصرح الناظم بأن فتحها في أيام عثمان رضي الله عنه ولعلّها فتحت مرتين لنقض العهد، قال الواقدي: فتحها سنة ثلاث وعشرين مجاشع بن مسعود بعدما قتل من الفرس مقتلةً عظيمة، وغنم غنائم جمّة، وبعث بالفتح والخمس إلى عمر رضي الله عنه، ثم ذكر أن عثمان بن أبي العاص افتتح حدراً بعد قتال عظيم [شديد]، وذكر بعضهم أن سارية بن زنيم قصد مدينة فَساوَ دارېجرد، فاجتمعت له جموع عظيمة من الفرس والأكراد، ورأى عمرُ رضي الله عنه معرُكتهم في منامه وعددهم وأنهم في صحراء، وهناك جبل إن استندوا إليه لم يُؤتوا إلاّ من وجه واحد، فنادىٰ عمر من الغد: الصلاة جامعة، ثم صعد المنبر فخطب الناس وأخبرهم بما رأىٰ، ثم قال: يا سارية الجبل يا سارية الجبل، ثم قال: إن لله جنوداً لعلّ بعضها يبلّغهم، فقدم رسول الجيش بعد أيام، فسأله عمر رضي الله عنه فقال: يا أمير المؤمنين هُزمنا، فبينما نحن كذلك إذ سمعنا منادياً ينادي: يا سارية الجبل، فاستندنا ظهورنا إلى الجبل فهزمهم الله تعالى، ووردت كيفية هذه القصة بروايات أخر.

[فائدة] مات في خلافته رضي الله عنه أبو قحافة والد الصديق، وأم معاوية هند بنت عتبة، وأبو عبيدة أمين هذه الأمة، كان طويلاً نحيفاً معروق الوجه، خفيف اللحية، قتل أباه يوم بدر غيرة على الدين، فنزل فيه: ﴿لا تجد قوماً يؤمنون بالله واليوم الآخر﴾ الآية، وأبو سفيان بن الحارث بالمدينة وسعد ابن عبادة أحد النقباء، شهد العقبة مع السبعين والمشاهد كلها إلاّ بدراً فإنه تهيأ للخروج فلدغ فأقام، وكان جواداً، وكانت جفنته من ثريد تدور مع رسول الله ﷺ في بيوت أزواجه أينما دار، وكان يكتب في الجاهلية بالعربية، ويحسن العوم أي السباحة والرمي، والعرب تعدّ مَن له هذه كاملاً، مات بحوران من أرض الشام بغتةً لكونه بال في مَنفَق فرماه الجن فقتلوه، وعتبة بن غزوان المازني شهد بدراً، ومعاذ بن جبل، وشرحبيل بن حسنة، وأبو مالك الأشعري الثلاثة بالطاعون في اليوم الذي طُعِنَ فيه أبو عبيدة، ويزيد بن أبي سفيان، وأبي بن كعب سيد القرّاء مات بالمدينة، وبلال بن رباح بالشام، وعمرو بن أم مكتوم بالمدينة، وأُسَيد بن حضير الأنصاري أحد النقباء، وخالد بن الوليد الأمير البطل الكرّار أبو سليمان المخزومي مات على فراشه عن ستين سنة في بعض قرى حمص علىٰ ميل من حمص سنة إحدىٰ وعشرين بعدما باشر الحروب العظيمة، ولم يبق في جسده شبر إلاّ وهو عليه طابع الشهداء، ويضرب بشجاعته المثل، سمّاه النبيّ ﷺ سيف الله المسلول كما قاله الذهبي، ولما عزله عمر رضي الله عنه، واستخلف أبا عبيدة على الشام أمره أن يشاور خالداً وأن لا يستغني عن رأيه، ثم لم يزل مرابطاً بحمص حتىٰ مرض، فدخل عليه أبو الدرداء عائداً فقال: إن خيلي وسلاحي على ما جعلته عليه في سبيل الله، وداري بالمدينة صدقة قد أشهدت عليها عمر بن الخطاب، ونعم العون هو على الإسلام، وجعلت وصيتي وإنفاذ عهدي إلى عمر، فلما بلغ ذلك عمر قبلها وترحم عليه.

وعن عبدالرحمٰن بن أبي الزناد عن أبيه أن خالداً لما احتضر بكىٰ وقال: لقد رأيت كذا وكذا زحفاً وما في جسدي شبراً إلاّ وفيه ضربة بسيف أو رمية بسهم

أو طعنة برمح، وها أنا أموت على فراشي فلا نامت أعين الجبناء.

وعن شقيق بن سلمة قال: لما مات خالد اجتمعت نساء بني المغيرة في دار خالد يبكين عليه، فقيل: لعمر رضي الله عنه: انهَهُنَّ فقال عمر: ما عليهنّ أن يُرِقنَ دموعهن على أبي سليمان ما لم يكن نقع أي شق، أو لقلقة أي صوت، ومات في خلافته أيضاً العلاء بن الحضرمي وطليحة الأسدي وقتادة بن النعمان وغيرهم.

سنة ثلاث سادس عشرين مِن ذي الحجة استشهد فاروق الزمن

(سَنَهْ) بإسكان الهاء إجراء للوصل مجرىٰ الوقف (ثلاث) وعشرين من الهجرة (سادس العشرين) هو كما قبله ظرف لاستشهد الآتي أي في سادس والعشرين على الأصح وقيل: في الثالث والعشرين (من) شهر (ذي الحجة) بكسر الحاء كما مرّ.

تنبيه قضية كلام ابن مالك في ألفيته، وكلام شرّاحها امتناع نحو خامس عشرين، سادس عشرين بغير واو، ولذا قدرت الواو في كلام الناظم، لكن قال القاضي زكريا: وفي ذلك الامتناع توقف فاعرفه (استُشهد) بالبناء للمجهول أي جعل شهيداً (فاروق الزمن) بفتح الميم بمعنى العصر أي الفارق بين الحق والباطل في عصره وقد مرّ سبب تسميته بالفاروق، وأن النبي ﷺ سمّاه بذلك في مبحث إسلامه.

روي أنّ كعباً قال له: أجدك في التوراة تُقتَل شهيداً، فقال: وأنىٰ لي بالشهادة، وأنا بجزيرة العرب. وأخرج البخاري عنه: أنه قال: اللّهم ارزقني شهادة في سبيلك واجعل موتي في بلد رسولك [٢٧٤].

(٢٧٤) رواه البخاري (١٨٩٠).

ضربه الكلب أبو لؤلؤة وهو يصلي الصبح في الخاصرة

(ضربه) ضربة أدته إلى القتل (الكلب) لقبه به لما روي أنه حين ضربه قال: أكلني الكلب أو قتلني الكلب وهو (أبو لؤلؤة) فيروز النصراني كما روي عن عمرو بن ميمون، أو المجوسي كما قاله القلعي وغيره. روي أن عمر رضي الله عنه كان لا يأذن لمشرك احتلم أن يدخل المدينة، حتى كتب إليه المغيرة بن شعبة والي الكوفة يستأذنه في غلام له اسمه فيروز، فقال: إن له أعمالاً كثيرةً، حدّاد ونجّار، ونقّاش، وكان يعمل الأرحاء أيضاً، فأذن له في دخول المدينة، فأرسل به، وضرب عليه المغيرة كل شهر مائة درهم، وفي رواية: كل يوم أربعة دراهم، وفي أخرىٰ درهمين فشكىٰ إلى عمر رضي الله عنه ثقل الخراج [خراجه]، وقال: كلّم المغيرة يخفّف عني، فسأله عمر عن صناعاته فأخبره بأعماله، فقال له: اتق الله وأحسن إلى مولاك وما خراجك بكثير، فغضب فقال: قد وسّع الناسَ كلّهم عدله غيري، فأضمر له القتل، فاستعمل له خنجراً له رأسان نصابة في وسطه، وبالغ في حدّه وسُمّه، ثم كمن له في الغلس في بعض زوايا المسجد، حتى خرج عمر رضي الله عنه يسوّي صفوف الناس لصلاة الصبح، فقام ذلك الكلب حذاءه في الصف وضربه بالخنجر (وهو) رضي الله عنه (يصلي الصبح) ثلاث ضربات في كتفه (في الخاصرة) فسقط، وطعن معه ثلاثة عشر رجلاً، كما روي عن عمرو بن ميمون مات منهم سبعة، وفي رواية تسعة، وقيل: ستة، وألقىٰ عليه رجل من أهل العراق ثوباً، فلما اغتم فيه وعلم أنه لا ينجو قتل نفسه، وحمل عمر رضي الله عنه إلى أهله، وكادت الشمس تطلع، فصلىٰ عبدالرحمٰن بن عوف بالناس بأقصر سورتين، ثم سقوه لبناً فخرج كما هو من جرحه، فعلم عمر أنه يموت، وقال الناس له: لا بأس عليك، فقال: إن يكن بالقتل بأس فقد قُتِلتُ، ثم قال: الحمدلله الذي لم يجعل ميتتي بيد رجل يدعي الإسلام.

فيـا لها مصيبـــةً في الأرض عمت جميع طـولها والعـرض

(فيا لها) أي يا للفعلة والواقعة، والنداء للتعجب (مصيبةً) تمييز للفعلة الراجع إليها الضمير بقرينة السياق، ومن تفصيله مع توجيه آخر في مبحث وفاته ﷺ (في الأرض) (عمّت) تلك المصيبة (جميع) الخلق في (طولها) أي الأرض (والعرض) لأن الدين ما زال في إقبال وعزّة منذ أسلم، ومازال في إدبار وذلة منذ مات كما في الأحاديث وسبق بعضها.

وعن كعب الأحبار أنّه قال لعمر رضي الله عنه: إنا لنجدك في التوراة علىٰ باب من أبواب جهنّم تمنع الناس أن يقعوا فيها، فإذا مت لم يزالوا يقتحمون فيها إلى يوم القيامة، وقد صحّ أنّ الشمس انكسفت يوم موته وناحت الجنّ عليه، وسيأتي زيادة مما يتعلق بموته ودفنه.

(فضل الفاروق ومناقبه رضي الله عنه)

ذكر شيء من فضل الفاروق ومناقبه رضي الله عنه

لو لم يكن يذكر من مناقبه إلاّ بأن ديننا قد عزّ به

(لو لم يكن يذكر) بالبناء للمجهول (من مناقبه) وفضائله (إلاّ بأنَّ) الباء زائدة أو استثناء من المقدر المفهوم من السياق، والتقدير: لو لم يكن يذكر من مناقبه ولم يوصف بشيء منها إلاّ بأنّ (ديننا قد عزّ به) وجواب لو محذوف لدلالة الكلام عليه، أي لكفاه ذلك شرفاً وفضلاً، ونظائره كثيرة في القرآن وغيره، وعزّة دين الإسلام به رضي الله عنه معلومة من دعائه ﷺ له بذلك كما مرَّ، ومن الأحاديث الشهيرة السابق بعضها، ومن الفتوحات العظيمة التي عرفنها في خلافته، ومن غير ذلك، وإذا تقرر عظم مناقبه:

فما عسايَ ذاكراً فضله وزهده وخيره وعدله

(فما عسايَ) أي فما توقعت وقاربت أن أكون (ذاكراً) مناقبه الجليلة (من فضله) وشرفه على من بعده (وزهده) في الدنيا حتى قال بعضهم: ما منّا أحد

إلاّ مال إلى الدنيا، أو مالت الدنيا إليه ما خلا عُمَرَ وَابْنِهِ (وخيره) ونفعه للناس (وعدله) فيهم وكل ذلك مذكور ومشهور في كتب الأحاديث والسير وسيذكر الناظم جلة منها.

[تنبيه] عسىٰ من أفعال المقاربة عمله كعمل كان، والغالب في خبره المضارع بأن، وقلّ تجرده عنها نحو:

عسى الكرب الذي أمسيت فيه — يكون وراءه فرج قريب

وأقل منه كون خبره مفرداً كما قاله ابن مالك وغيره كقوله:

لا تكثرن أني عسيت صائماً

ورده ابن هشام بأن الخبر مثله محذوف أي عسيت أن أكون صائماً لأن المرجو كونه صائماً لا نفس الصيام، وقد يتصل بعسىٰ ضمير منصوب نحو عساني وعساك وعساه، فعن سيبويه أنها أجريت مجرىٰ لعلّ في نصب الاسم ورفع الخبر نحو عساه قائم، وعن الأخفش أنها باقية على عملها عمل كان، ولكن استعير ضمير النصب مكان المرفوع، فعلم أن في النظم اتصال الضمير المنصوب بعسىٰ وهو قليل، وحذف نون الوقاية مع الياء وهو شاذ، وكون الخبر مفرداً وهو قليل أيضاً، وارتكاب مذهب الأخفش مع أن الأصح مذهب سيبويه لظهور الخبر مرفوعاً في مثل قوله: فقلت عساها نارُ كاسٍ، وإنما قدرتُ أن أكون على ذاكراً رعايةً لمذهب ابن هشام لجزالة المعنىٰ، ولو قال: فما عسيت ذاكراً من فضله لكان أسهل.

أول مـن عسّى وثـاني الخلفـا — وأفضل الخلق سوىٰ مَن قد سلفا
ألم يكن قام خطيباً في البشر — إزاره رفعه اثنتا عشر
ألم تلمه حفصة في لبسه — وأكله وشأنه في نفسه

وهو رضي الله عنه، (أول من عسّ) أي طاف بالليل لمحافظة الناس، يقال عسّ عسّاً وعسساً واعتسّ أي طاف بالليل وكان يطوف في الأسواق، وعلى عاتقه الدرة يؤدّب الناس بها، فهو أول من أدّب بها (وثاني الخلفا) بعد رسول الله ﷺ بالإجماع كما مرّ (و) هو (أفضل الخلق) من هذه الأمة (سوىٰ من سلفا). أي سبقه وهو أبو بكر رضي الله عنه لما تقدم من إطباق علماء الأمة على أنّ أفضل هذه الأمة الصديق ثم عمر رضي الله عنهما (ألم يكن) الاستفهام للتقرير (قام خطيباً) وهو خليفة (في البشر) كما روي عن الحسن رضي الله عنه، وعليه (إزاره) وهو ما يستر بين السرة والركبة (رُقَعُه) جمع رقعة وهي ما يرقع به الثوب أي رقعه التي فيه (اثنتا عشر) رقعة بعضها من أدم، قال أبو عثمان الفهري رأيت على عمر إزاراً مرقوعاً بأدم، وحذف التاء من عشرة للوزن لوجوب تأنيث الجزءين إذا كان التمييز مؤنثاً في مثله كما لا يخفىٰ (ألم تَلُمْه) بفتح التاء من اللوم (حفصةُ) بالتنوين بنته رضي الله عنه أم المؤمنين (في لبسه) بضم اللام مصدر لبس الثوب، أي في لبسه من أردء الثياب وأخشنه، ويجوز جعله من اللبس بكسر اللام لما يُلبس، والأول أوفق لقوله (وأكله وشأنه) أي حاله (في حقّ نفسه).

روي أنها قالت له: لو أكلت طعاماً أطيب من طعامك، ولبست ثياباً ألين من ثيابك، فقد وسع الله الرزق وأكثر الخير، فقال لها: أما تذكرين ما كان رسول الله ﷺ يلقىٰ من شدّة العيش، أما تذكرين ما كان أبو بكر يلقىٰ بعده.

حتى أجابها بما أبكاها ... إذ نهج صاحبيه قد تلاها
وإذ علي قد رآه سالكا ... في شدة الحرّ فقال ما لكا
قال بعير من جمال الصدقة ... نـدَّ وإني مسرع لألحقه
فقال أتعبت الذي يستخلف ... فقال لا تلم فإني أحلف
لو أن شاةً بالفرات تذهب ... في ضيعة كنت بها أعذّب

فما زال يذكّرها (حتى أجابها بما أبكاها إذ نهج) بفتح فسكون أي طريق (صاحبيه) أي النبي ﷺ وأبي بكر رضي الله عنه (قد تلاها) أي قرأها وذكّرها إياها كما مرّ، وتأنيث الضمير الراجع إلىٰ نهج لكونه بمعنى السنة والطريقة أو هو كالطريق والسبيل، يذكر ويؤنث، أو العائد إليه محذوف، والضمير المذكور، لحفصة على الحذف والإيصال أي قد تلاه لها، وفي رواية قال له عبدالله وحفصة وغيرهما: لو أكلت طيباً كان أقوىٰ لك على الحق، قال: أكلكم علىٰ هذا الرأي؟ قالوا: نعم، قال: لقد علمت نصحكم، ولكن تركت صاحبيّ على جادة، فإن تركت جادتهما لم أدركهما في المنزل، وقال مرةً أخرىٰ: لمن كلّمه في طعامه: ويحك آكل طيّباتي في حياتي الدنيا وأستمتع بها، وقد مرّ أنه في عام الرمادة لم يأكل سمناً ولا سميناً حتى وسع الله على الناس، ومن ثم تغيّر لونه من أكل الزيت في ذلك العام (و) اذكر (إذ عليّ) كرّم الله وجهه قد رآه (سالكاً) في طريق يعدو وهو راكب على قتب (في) وقت (شدة الحر فقال) علي (ما لكا) يا أمير المؤمنين (قال) عمر رضي الله عنه (بعير من جمال الصدقة) أي إبل الزكاة (ندّ) فرّ وشرد (وإني مسرع) في طلبه (لألحقه) وأردّه (فقال) عليّ كرّم الله وجهه (أتعبتَ) أي أوقعت في تعب (الذي يُستخلف) أي يجعل خليفةً بعدك لأنه ينبغي أن يتسيّر بسيرتك فتكون سبباً لتعبه وذلّته (فقال له) عمر رضي الله عنه: (لا تَلُمْ) أي لا تلمني يا أبا الحسن (فإني أحلف) بالله الذي لا إلٓه إلاّ هو (لو أن شاةً) من شياة الصدقة (بـ) شاطىء (الفرات) نهر معروف (تذهب في) مكان ذي (ضيعة) مصدر ضاع يضيع (كنت بها أُعذَّب) أي بسبب ضياع تلك الشاة مع بعده عنّي (أُعَذَّب) وأوخذ يوم القيامة فكيف بالقريب مني (وكان) رضي الله عنه (في الدَّبَر) بفتحتين جمع دبرة وهي قرحة البعير (منها) أي البعير المفهوم من ذكر الدبر، وهو نعت الدبر، وفي الدبر

متعلق بقوله (يُدْخِلُ) راحته أي يده وهو (يقول) إني أخاف أن أكون (عنك) خطاب للبعير أي عما بك من الدبر (أُسأل) يوم القيامة.

وربما كان لنار أوقدا ثمت ويداني من لهيبها اليدا
يقول هل تطيق في ذا تصبر والله إن لم تتقي يا عمر
لتهلكن وكان بالليل يمر بآية يبكي لها حتى يخر

(وربما كان) رضي الله عنه (لنار) مفعول لقوله (أوقدا) واللام زائدة لتعدية العامل لضعفه بسبب تقديم معموله كما في نحو لزيد ضربت (ثُمَّتَ) إذا لحق ثم تاء التأنيث اختص بعطف الجملة على الجملة، فلا يجوز نحو جاء زيد ثمت عمرو (ويداني) أي يقرب (من لهيبها) أي لهيب النار الخالص من الدخان (اليدا) أي يده وهو (يقول) يا ابن الخطاب (هل تطيق) بضم التاء من الإطاقة (في ذا) اللهيب (تَصبِرُ) أي مع كونه أنقص حرارةً بمراتب من لهب نار القيامة، وإذا لم تطق فكيف من يعذّب بمثل هذه النار من عصاه ثم يقول (والله إن لم تتقي) بإثبات الياء للضرورة (يا عمر لتهلكن) مع الهالكين يوم القيامة (وكان) رضي الله عنه (بالليل) أي فيه (يمرّ بآية) في ورده فيها ذكر النار (يبكي لها) أي لأجل ما فيها من الإنذار (حتىٰ يَخِرْ) بحذف إحدى الرائين للوزن أي يسقط ويعاد مريضاً منها أيّاماً.

ذكر النووي في التبيان: أنّ عمر رضي الله عنه صلّى الصبح بالجماعة فقرأ سورة يوسف، فبكىٰ حتى سالت دموعه على ترقوته، وفي رواية كان يصلي العشاء، فهما روايتان واقعتان، وفي رواية بكى حتى سمعوا بكاءه من وراء الصفوف، فالبكاء حال القراءة من صفات العارفين، وشعار عباد الله الصالحين وقال تعالى ﴿ويخرّون للأذقان يبكون ويزيدهم خشوعاً﴾ وقد وردت في ذلك

أحاديث: منها: ﴿اقرأوا القرآن وابكوا فإن لم تبكوا فتباكوا﴾[٢٧٥] وآثار كثيرة لا تحصر:

منها ما روي عن هشام أنه قال: ربما سمعت بكاء محمد بن سيرين في الليل وهو في الصلاة، قال الإمام الغزالي: البكاء مستحب مع القراءة وعندها، وطريق تحصيله أن يحضر في قلبه الخوف [الحزن] بأن يتأمّل ما فيه من التهديد والوعيد والوثائق والعهود، ثم يتأمّل تقصيره فيها، فإن لم يحضره حزن وبكاء، كما يحضر الخواص، فليبكِ علىٰ نفسه فإنه من أعظم المصائب انتهىٰ[٢٧٦].

وليلـة رآه طلحـــة ولـــج	بيتاً وبعـده مـن آخـر خـرج
فـرحـت ذلـك البيـت إذا	عجوز عميا مخرج عنها الأذىٰ
وليلة من التجـار لما عـرسـوا	إذ لابن عـوف امش نحرس
باتا يحرسـان جميعـاً اذ سمـع	بكـا صبي فـأتـاه ورجـع
فعـاد للبكـا فعـاد ثـانيـاً	فعـاد ثـالثـاً فعـاد جائيـاً

وكان عمر رضي الله عنه يأخذ نبتةً من الأرض، ويقول: يا ليتني كنت هذه النبتة يا ليتني لم أكن شيئاً ليت أمّي لم تلدني (وليلة رآه) أي عمر رضي الله عنه (طلحةُ) رضي الله عنه كما حكىٰ عن نفسه (ولج) أي دخل عمر رضي الله عنه (بيتاً وبعده) أي بعد ولوج ذلك البيت (من) بيت (آخر) بنقل حركة الهمزة إلى النون للوزن (خرج، قال) طلحة (فرحت ذلك البيت) الأول (إذا) فيه (عجور) غير منصرف للوزن (عَمْيا) بالقصر مقعدة (مخرج عنها) أي بيتها (الأذىٰ) أو القاذورات، فقلت لها: ما بال هذا الرجل يأتيك؟ قالت: إنه

---

(٢٧٥) رواه ابن نصر عن سعد بن أبي وقاص.

(٢٧٦) التبيان (ص٣٥٦) المطبوع في آخر الجزء العاشر من المجموع.

يتعاهدني (و) يخرج الأذىٰ (و) اذكر ما روي عن ابن عمر رضي الله عنهما أنه قدم المدينة (ليلة) رفقة من (التجار) جمع تاجر (لما عرّسوا) أي حين نزلوا آخر الليل بالمصلّىٰ من التعريس وهو النزول آخر الليل للاستراحة، (إذ قال) بدل من قوله: لما عرّسوا (لِـ) عبدالرحمٰن (بن عوف امش) معي (نحرس) أي نحرسهم الليلة من اللصوص (باتا) أي صار عمر وابن عوف رضي الله عنهما (جميعاً) أي معاً (يحرسان)، أولـئك التجار في وقت تعريسهم، ويصليان النوافل (إذ) للمفاجأة (سَمِعْ) عمر رضي الله عنه (بكاء صبيّ فأتاهُ وَ)قال لأمه: اتقي الله وأحسني إلى صبيّكِ ثم (رجع) إلى مكانه (فعاد) الصبي (للبكا) بالقصر، ثانياً (فعاد) عمر رضي الله عنه إلى الصبيّ (ثانياً) وقال لأمه: مثل ما قال أوّلا، ثم رجع إلى مكانه (فعاد) الصبيّ إلى البكاء (ثالثاً) فسمعه عمر (فعاد) رضي الله عنه حال كونه (جائيا) إليه.

قال اتقـي في طفلـك وأحسني	قالت له دعني فقـد أبـرمتني
أعجلته الفطام إذ لا يفـرض	إلا لمن يفطـم هـذا الغـرض
فقـال وأرضعيـه ثم جـاء	صلاة فجـر يسمـع البكـا
وأمـر النـداء في الأنـام	فـرضي لكـل ولـد الإسلام
وليلة الصغار كيف قد حَمَل	والدقيـق والذي عمـل

ثم (قال) لأمه في الثالث كالأول والثاني: ويحكِ إني أراكِ أُمَّ سوء (اتقي) الله (في) حق (طفلك) بإشباع الكاف للضرورة (وأحسني) إليه بالإرضاع وغيره، ثم قال: ما لي أرىٰ صبيّك لا يقرّ الليلة (قالت) أمه (له) أي لعمر رضي الله عنه (دعني) عن هذه المعاودة (فقد أبرمتَني) يقال: أبرمه فبرم وتبرّم أي أملّه (أعجلته) أي الصبي (الفطام) أي إراوده على الفطام والقطع عن الرضاع فيأبىٰ، قال عمر: ولم ذاكِ قالت: (إذ لا يفرض) أي لا يقدّر عمر من

بيت المال (إلا لمن يُفطم) أي يقطع من الرضاع (هذا) هو (الغرض) والباعث على تعجيل الفطام (فقال) عمر: كم له من الشهور؟ قالت: كذا وكذا شهراً، فقال: لا تعجلي عليه - (وأرضعيه ثم جاآ) بإشباع الفتحة أي عمر (صلاة فجر) أي صبح وما تستبين قراءته في الصلاة من البكاء خوفاً مما وقع لذلك الصبي بسبب فرضه وأشار بقوله: (يُسمِع) من الإسماع أي ويسمع الناس في الصلاة (البكاء) أي بكاءه فلما سلم قال: بؤس لعمر كم قتل من أولاد المسلمين (وأمر النداء) أي بالنداء بأن أمر منادياً ينادي (في الأنام) أي الناس لا تعجلوا على صبيانكم بالفطام فإن (فرضي) ثابت (لكل ولد الإسلام) أي لكل مولود في الإسلام رضيعاً كان أم لا؟ (و) اذكر ليلة الأولاد (الصغار) الجائعين عند امرأة بحرة المدينة (كيف قد حمل) عمر رضي الله عنه بنفسه لهم (الشحم والدقيق) (و) اذكر (الذي عمل) في تلك الليلة، وقصته:

ما روي عن زيد بن أسلم عن أبيه قال: خرجنا مع عمر إلى حرّة واقم حتى إذا كنا بضرار رأى عمر ناراً توقد، فقال لي: يا أسلم إني لأرى ههنا رَكباً قد قصر بهم الليل والبرد فانطلق بنا إليهم فخرجنا نهرول حتى دنونا منهم، فإذا بامرأة معها صِبيان صغار وقدْرٌ مَنصوبَةٌ على النار وصبيانها يتضاغون أي يضجون ويصيحون، فقال عمر رضي الله عنه: السلام عليكم يا أصحاب الضوء، وكره قول: يا أصحاب النار، قالت: وعليك السلام، قال: أأدنو؟ قالت: ادنُ بخير أو دع، وقال: ما لكم؟ ما بالكم؟ قالت: قصر بنا الليل والبرد، وقال: ما بال هؤلاء الصبية؟ قالت: الجوع، قال: فما في هذا القدر؟ قالت: ماء أسكتهم به حتى يناموا، والله بيننا وبين عمر، فقال: رحمك الله، وما يدري عمر بكم؟ قالت: يتولىٰ أمرنا ثم يغفل عنّا، قال أسلم: فأقبل عليّ وقال: انطلق، فخرجنا نهرول حتىٰ أتينا دار الدقيق، فأخرج عِدلاً من دقيق وكُبَّةً من شحم، فقال: احمله عليّ فقلت: أنا أحمله عنك قال: احمله عليّ فراجعته، فقال: ويحك احمله عليّ، أنت تحمل عنّي وزري يوم القيامة لا أمّ لك، فحملته عليه، فانطلقنا

حتىٰ انتهينا إلى المرأة، فألقىٰ الدقيق عندها، وأخرج منه شيئاً وقال [لها]: ذري عليّ وأنا أحرّك عنكِ وجعل ينفخ تحت القدر حتىٰ أنضجها، ثم قال: ابغني شيئاً فأتته بصحيفة فأفرغ فيها وهو يقول: أطعمي الصغار وأنا أسطح لهم. فلم يزل كذلك حتىٰ شبعوا وترك ما بقي عندها، ثم قام فقمت معه فجعلت المرأة تقول: جزاك الله خيراً كنت أولىٰ بهذا من أمير المؤمنين، فيقول لها: قولي خيراً ثم تنحىٰ فربض مربضاً فقلت: لك غير هذا، قال: لا تكلمني فلم يزل رابضاً حتى رأيت الصبية يصطرعون، ثم ناموا فقال: يا أسلم: الجوع أسهرهم، وأبكاهم فأحببت أن لا أنصرف حتىٰ أرىٰ ما رأيت.

وليلةً أبصر ناراً توقد ... ذهب إذ مرأة شخص تلد
فارتد مسرعاً أتىٰ بزوجته ... تقبلها وكل ذا في ليلته

(و) في (ليلة) أخرىٰ (أبصر) عمر رضي الله عنه (ناراً توقد، ثم ذهب) إلى تلك النار (إذ) للمفاجأة (مرأة شخص) [غريب] غريبة (تلد) أي شرعت في الطلق وقربت من الولادة (فارتدّ) أي انصرف إلى منزله، وفيما رأينا من النسخ فردّ، ولعلّه من سهو النساخ لأن ردّ متعدّ بمعنى صرفه لا لازم بمعنى رجع وانصرف حال كونه (مسرعاً أتىٰ بزوجته) أم كلثوم بنت عليّ كرّم الله وجهه إلى تلك المرأة (تقبلها) استئناف بياني من قبلت المرأة كنصر ينصر، أو من أقبلت أي أخذت الولد عند خروجه من الأم، ومنه القابلة (وكل ذا) أي المذكور من رؤية النار وذهابه إليها وانصرافه وإتيانه بزوجته وكونها قابلة (في ليلتِهِ) أي ليلة واحدة، وتفصيل ذلك: ما روي عن ابن عمر وأنس رضي الله عنهما قالا: بينما عمر رضي الله عنه يعسّ المدينة إذ مر برحبة من رحابها فإذا هو ببيت من شعر فسمع منه أنين امرأة، ورأىٰ رجلاً قاعداً عندها، فسلّم عليه، ثم قال: ما هذا الصوت الذي في البيت؟ قال: امرأة غريبة تمخض، قال: هل

عندها أحد ؟ قال: لا فانطلق عمر إلى منزله فقال: لامرأته أم كلثوم بنت عليّ كرّم الله وجهه: هل لك في أجر ساقه الله إليك، قالت: وما هو ؟ قال: امرأة غريبة تمخض وليس عندها أحد، قالت: نعم، قال فخذي ما يصلح للمرأة عند ولادتها من الخرق والدهن، وائتيني ببرمة وشحم وحبوب، فأتته بها فحملها وهي تمشي خلفه حتى انتهىٰ إلى منزل المرأة، فقال لامرأته ادخلي إليها، ثم قعد إلى الرجل فأوقد ناراً تحت البرمة حتىٰ أنضجها وولدت المرأة، فقالت أم كلثوم: يا أمير المؤمنين بشّر صاحبك بغلام، فلما سمع الرجل قولها: يا أمير المؤمنين هابه وتنحّىٰ عنه، فقال له عمر: مكانك كما أنت، ثم حمل البرمة فوضعها على الباب وقال لزوجته: أشبعيها ففعلت، ثم أخرجت البرمة فأخذ عمر فوضعها بين يدي الرجل وقال: كل فإنك قد سهرت، فأكل، ثم قال لامرأته: اخرجي، وقال للرجل: إننا غداً نأمر لك بما يصلحك ففعل الرجل.

هــذا ولما جــاءه الموت بقــوا يبالغــون في الثنــا وصــدقــوا

فأجازه عمر رضي الله عنه وأعطاه (هذا) أي خذ هذا الذي ذكرناه في سيرته العجيبة واقتدِ بها (ولما جاءه) وحضره (الموت بقوا) بضم القاف أي الناس الذين حوله وجعلوا (يبالغون في الثنا) بالقصر أي يثنون عليه خيراً (وصدقوا) أي الناس في ثنائهم عليه جملة معترضة من كلام الناظم.

قــد وددت أنجــو منهــا عفواً كفافا لا أُسأل عنها
وعندمـا احتضر قـال يـا بني اذهـب إلى عـائشـةٍ لـدفني
قــل عمــر ولا تقــل أمير فـإنني الآن امـرء مـأمــور
يسألــك الإذن لــه في قبره مع صاحبيه المصطفى وصهره
إن أذنت فيا لها مــن فــرحــة أو منعـت دفنـت مـع الأمـة

فعنـد بلغهـا قـالــت نعــم   وذا لدفني ادخرت مـن قـدم

فقال بعضهم: أبشر يا أمير المؤمنين فقد أحيا الله بك سنناً وأظهر بك عدلاً (فقال) عمر رضي الله عنه (قد وددت) بكسر الدال أي أحببت أن (أنجو منها) أي من أمور الخلافة والسؤال عنها يوم القيامة والحساب (عفواً) أي معفواً مغفوراً (كفافاً) بفتح الكاف أي لا لي أجر ولا عليّ عقاب وأن يَسلِم لي صحبة رسول الله ﷺ وقوله: (لا أُسأل) بالبناء للمفعول وقلب الهمزة ألفاً بعد نقل حركتها إلى السين (عنها) بيان لما قبله (وعندما احتضر) بالبناء للمفعول أي حضره الموت كان رأسه في حَجر ابنه عبدالله، فقال له: ضع رأسي بالأرض، فقال: يا أبتا وهل الأرض وحجري إلاّ سواء، قال: ضع رأسي بالأرض لا أم لك، قال فوضعته فجعل يمسح وجهه بالتراب، ويقول: ويلي إن لم يرض [يرحمني] ربي ثم (قال) لابنه عبدالله (يا ابني اذهب إلى عائشةٍ) بالتنوين أم المؤمنين، واستأذنها (لدفني) مع صاحبَي في بيتها (قل عمرٌ) بالتنوين (ولا تقل أمير) المؤمنين (فإنني الآن) لست أميراً بل أنا (امرؤ مأمور) بالارتحال إلى دار القرار، وقوله (يسألك الإذن له في قبره) في بيتك ليدفن فيه (مع صاحبيه المصطفى) ﷺ (وصهره) أبي بكر رضي الله عنه خبر لقوله عمر، والمجموع مقول: قل وما بينهما اعتراض (إن أذنت) عائشة بذلك (فيا لها) النداء للتعجب كما مرّ نظيره غير مرة أي يا لهذه الحالة وقوله (من فرحة) بيان للحالة الراجع إليها الضمير بدلالة السياق، وتنكير فرحة للتعظيم، (أو منعت) أي الإذن (دُفنت بين الأمة) أي في مقابر المسلمين (فعندما) مضى عبدالله وسلم عليها وهي قاعدة تبكي على عمر رضي الله عنها (بلّغها) الخبر فقال: إن عمر يقرئكِ السلام ويستأذنِك أن يُدفَن مع صاحبيه (فقالت نعم) وقال له: إنّ (ذا) المكان (لدفني) فيه قد كنت (ادّخرت) أي ادخرته (من قِدَم) بوزن عنب أي من زمان مديد، وأصل القدم ضد الحدوث، ثم استعمل في القدم الإضافي مجازاً.

لكنــــه مني أولىٰ وأحـــق كم كنت أسمع النبيّ وصدق
يقـول إني وهما قــد كنــت دخلت معهما كـذا خـرجـت
وجعل الإمرة شورىٰ بعد في ستة فـالختنـان سعـد
وطلحة وابن عوف مع زبير جـاءت لعثمان بجمـع خيّـر

(لكنّه منّي) بفتح الياء متعلق بقوله (أولىٰ وأحقّ) بذلك المكان، ولآثرنه اليوم على نفسي، فلما رجع ابنه عبدالله قال: ما لديك؟ قال: الذي تحب يا أمير المؤمنين أذنت، قال: الحمدلله ما كان شيء أهمّ إليّ من ذلك، ثم قال لابنه: إذا قبضت فاحملوني، ثم سلّم وقل: يستأذن عمر فإن آذنت لي فأدخلوني وإن ردتني فردّوني إلى مقابر المسلمين، فلما مات، استأذنا عائشة رضي الله عنها، فأذنت، فأدخل ودُفِن مع صاحبيه، وظاهر سياقه أن قوله (كم) أي كثير (كنت أسمع النبي) ﷺ من كلام عائشة رضي الله عنها، والذي في الأحياء إنه كلام عليّ كرّم الله وجهه برواية ابن عباس (وَصدقَ) النبيّ ﷺ جملة معترضة (يقول: إني وهما) أي أبو بكر وعمر رضي الله عنهما مقترنان أو مشتركان في أمرين يأتي بيانهما (قد كنت، دخلت معهما) في الدنيا (وجعل عمر رضي الله عنه (الإمرة) بكسر الهمزة أي الخلافة (شورى) أي ذات شورىٰ (بعد) أي بعد موته (في ستة) ثم فصّلهم بقوله (فالختنان) تثنية ختن محركة، وهو زوج بنت الرجل، أراد عثمان وعلياً رضي الله عنهما (وسعد) بن أبي وقّاص (وطلحة) بن عبيدالله (و) عبدالرحمٰن (ابن عوف) غير منصرف للوزن (مع زبير) بن العوام، روي أنه لمّا احتضر قيل له: أوص يا أمير المؤمنين واستخلف، قال: ما أرىٰ أحداً أحقّ بهذا الأمر من هٰؤلاء الذين توفّى رسول الله ﷺ وهو عنهم راض، فذكر الستة، وقال: ليشهد عبدالله بن عمر معهم وليس له من الأمر شيء، فإن أصابت الإمرة سعداً فذاك، وإلاّ فليستعن به أيكم أمِّر فإني لم أعزله عن عجز ولا خيانة، ثم أوصي الخليفة من بعـدي بتقوى الله تعالى، وأوصيه بـالمهـاجـريـن

والأنصار، وأوصيه بأهل الأمصار خيراً، فلما فرغوا من دفنه ورجعوا، اجتمع هؤلاء الستة، فقال عبدالرحمن بن عوف: اجعلوا أمركم إلى ثلاثة منكم، فقال الزبير: جعلت أمري إلى عليّ، وقال سعد: جعلت أمري إلى عبدالرحمن وقال طلحة: جعلت أمري إلى عثمان، ثم اختلى هؤلاء الثلاثة، فقال عبدالرحمن: أنا لا أريد بها، فأيكما أمّر فعليه بصلاح الأمة، فسكت الشيخان علي وعثمان، فقال عبدالرحمن: اجعلوه إليّ قالا: نعم ثم خلّى بعليّ فقال: لك من القدم في الإسلام والقرابة من رسول الله ﷺ ما قد علمت، الله عليك لئن أمّرتك لتعدلن، ولئن أمّرت عليك لتسمعنّ ولتطيعن قال: نعم، ثم خلا بعثمان فقال له: كذلك، فلمّا أخذ ميثاقهما، شاور أكابر الصحابة فرأى ميل أكثرهم إلى عثمان، فبايع عثمان، ثم بايعه عليّ[٢٧٧]، وكانت مبايعته بعد موت عمر بثلاث ليال، ولما جلس عبدالرحمن للمبايعة قال في جملة كلامه: إني رأيت الناس يأبَوْن إلاّ عثمان كما أخرجه ابن عساكر، وفي رواية قال:

أما بعد فيا علي إنّي قد نظرت في الناس، فلم أرهم يعدلون بعثمان فلا تجعلني على نفسك سبيلاً، ثم أخذ بيد عثمان فقال: نبايعك على سنة الله وسنة رسوله وسنة الخليفتين بعده، فبايعه عبدالرحمن وبايعه المهاجرون والأنصار، وإلى ذلك أشار بقوله: (جاءت) خمسة من الستة المذكورة (لعثمان) أي إليه واجتمعوا عنده للمشاورة وأمر الخلافة ملتبسين (بجمع خير) وصلاح ديني ودنيوي

(خلافة عثمان بن عفان) رضي الله عنه

هو ابن عفانِ فهو أدنى العشره   بعد علي في التقاء الشجرة

(هو) أي عثمان (بن عفّان) بن (أبي العاص) بن أمية بن عبد شمس بن عبد مناف جدّ النبي ﷺ (فهو) أي عثمان رضي الله عنه (أدنى) أي أقرب

(٢٧٧) انظر الحديث (٣٧٠٠) حول استشهاد عمر رضي الله عنه ووصيته واستخلاف عثمان رضي الله عنه.

(العشرة) المبشرة بالجنة المشهورة (بعد علي في التقاء الشجرة) أي في التقائه مع النبي ﷺ في عبد مناف، بخلاف غيره ممن عدا علياً، فإنّهم يلتقون معه ﷺ فيمن فوق عبد مناف، وأمّا عليّ كرّم الله وجهه فهو يلتقي معه ﷺ في عبدالمطلب فهو أقرب من الكل.

(مبايعة عثمان رضي الله عنه بالخلافة)

بويع بالإمرة منهم أجمع ... في أول السنة عام أربع

(بويع بالإمرة) أي الخلافة والولاية (منهم) أي من الستة وغيرهم من الصحابة (أجمع) تأكيد للضمير (فيّ أول السنة عام) بدل من السنة (أربع) وعشرين من الهجرة، فثبت خلافة عثمان رضي الله عنه وإجماع الصحابة عليها، وأن علياً بايعه وأقام الحدود بين يديه.

(صفات عثمان رضي الله عنه)

(صفة) عثمان رضي الله عنه، قال ابن عبدالبر في الاستيعاب: كان ربعة معتدلاً حسن الوجه رقيق البشرة كثيف اللحية عظيمها أسمر اللون كثير الشعر ضخم الكراديس، بعيد ما بين المنكبين، كان يشد أسنانه بالذهب انتهى(٢٧٨) وكان رضي الله عنه ذا جمال باهر، وعن الحسن: نظرته فإذا هو حسن الوجه وبوجهه أثر الجدري وشعره قد كسى ذراعيه. وقال البغوي: مشرف الأنف من أجمل الناس انتهى، ولكثرة شعره سمّاه أعداؤه نِعثَلاً بمعنى عظيم اللحية طويلها.

(ذكر ما كان في أيامه من الفتوحات وغيرها)

سنة ست زاد أرض المسجدِ ... وفتح سابورَ بصلح جيد

(سنة ست) وعشرين من الهجرة (زاد) عثمان رضي الله عنه (أرض المسجد) الأعظم للنبي ﷺ بالمدينة المشرفة بأن أدخلها في المسجد، وصحّ أن

---

(٢٧٨) انظر الاستيعاب (٣/١٠٥١ - ١٠٥٢) لابن عبدالبر.

المسجد الشريف كان على عهده مبنياً باللبن وسقفه الجريد وعمده خشب النخل، وبناه ﷺ مرتين، وكان في المرة الأولى سبعين ذراعاً في ستين ذراعاً أو أكثر، وفي الثانية جعل طوله مما يلي القبلة إلى مؤخره مائة ذراع، وكذا في عرضه، ثم لم يزد فيه أبو بكر رضي الله عنه شيئاً، ثم زاد عمر رضي الله عنه من جهة القبلة الرّواق المتوسط بين الروضة ورواق المحراب العثماني، وبناه باللبن والجريد كما في عهده ﷺ، ثم غيّره عثمان رضي الله عنه وزاد فيه زيادات كثيرة، فبنى جداره بالحجارة المنقوشة والجص، وجعل عمده من حجارة منقوشة، وسقفه بالساج، قال أهل السير: وجعل عثمان رضي الله عنه طول المسجد مائة وستين ذراعاً وعرضه مائة وخمسين، وجعل أبوابه ستة كما في عهد عمر رضي الله عنه، ثم زاد الوليد بن عبدالملك فيه، فجعل طوله مائتي ذراع، وعرضه في مقدمه مائتين، وفي مؤخره مائةً وثمانين ثم زاد المهدي فيه مائة ذراع من جهة الشام فقط، والحديث الصحيح وهو: «صلاة في مسجدي هذا أفضل من ألف صلاة فيما سواه من المساجد»(٢٧٩) إنما يتناول ما كان في عهده ﷺ دون بقية الزيادات كما صرّح به النووي في الإيضاح وغيره، ووافقه جمع، واعترض آخرون بأشياء، أجيب عنها(٢٨٠). لكن قالوا: إذا صلى في جماعة فالتقدم إلى الصف الأول، ثم ما يليه أفضل وإن كان من جملة الزيادات ولما ضاق المسجد بأهله في عهده ﷺ اشترى عثمان بقعةً بعشرين ألف درهم من خالص ماله، وأدخلها النبي ﷺ في المسجد وبشّره بالجنة كما في الحديث الصحيح(٢٨١) فحصل لعثمان رضي الله عنه

---

(٢٧٩) رواه البخاري (١١٩٠) ومسلم (١٣٩٤) وفي آخر الايضاح المسجد الحرام، وعندهما من حديث أبي هريرة.

(٢٨٠) انظر الايضاح (ص٢٢٧ - ٢٢٨) مع حاشية الفقيه ابن حجر الهيثمي، والصواب أن المسجد يعم كل ضم إلى المسجد النبوي.

(٢٨١) رواه الترمذي (٣٧٠٤) والنسائي (٦/٤٦ - ٤٧ و٢٣٥) وله طرق وشواهد فهو بها حسن.

الفضل العظيم إلى يوم القيامة بالزيادة في المسجد مرتين. (و) كان فيها أيضاً وقيل فيما قبلها(فتح سابور) بلدة بأرض فارس بناها سابور بن أردشير، بها أنهار جارية وثمار دانية حتى قيل: من دخلها لم يزل يشم رائحةً طيّبةً حتّىٰ يخرج منها لكثرة رياضها وأزهارها، وكان فتحها على يد عثمان رضي الله عنه ابن أبي العاص (بصلح جيّد) على ثلاثة آلاف ألف وثلاثمائة ألف في كل سنة كما في الخميس.

سنة سبع قد غزا معاوية قبرس ثم فتحهم افريقيه

(سنة سبع) وعشرين (قد غزا معاوية) بن أبي سفيان (قبرس) بضم القاف وسكون الموحدة وضم الراء جزيرة للروم واسعة عريضة ثمانون فرسخاً طولاً، وفيها أنهار ومزارع وأنواع الثمار، وفيها قصور عالية، وهي مع ذلك كثيرة الخيل والبغال والحمير، وكان معاوية يلحّ على عمر رضي الله عنه في غزوة قبرس وركوب البحر لها فمنعه منها لخطر ركوب البحر، ولمّا استخلف عثمان رضي الله عنه أعاد الإلحاح والمشاورة لعثمان رضي الله عنه في غزوها، فلم يأذن له لكراهية الإمام عمر لذلك، ثم قال له: فإن أبيت فاحمل معك أهلك وولدك، اعلم أنّ البحر هيّن ليّن كما تقول، ففرح معاوية بذلك رضي الله عنه، ثم ركب البحر بأهله وجيشه، فلما هاجت الريح واقتحموا لجة البحر فزعوا وندم على أخذ أولاده وأهله فتضرعوا إلى الله تعالىٰ فسكّن الله الريح وأمنوا وساروا إلى قبرس في عافية، وأرسوا مراكبهم علىٰ ساحل قبرس فخرجوا منها، وأغاروا على قبرس ففتحوا، وصالحه ملك قبرس علىٰ أداء سبعة آلاف دينار ومائتي دينار في كل سنة، ومما فتحه معاوية أيضاً جزيرة روذس بضم الراء وكسر الذال المعجمة جزيرة تجاه الإسكندرية على ليلة منها، بعد استيذانه عثمان رضي الله عنه، فلما ساروا إليها غنموا غنائم عضيمة، ثم بعد مدة خربت روذس الى الآن. (ثم) كان

(فتحهم) أي المسلمين وأمير الجيش عبدالله بن سعد بن أبي سرح أمير مصر جزيرةً (إفريقية) بكسر الهمزة وسكون الفاء وكسر الراء والقاف بلاد واسعة بالمغرب قبالة الأندلس كثيرة الخيرات، وبها معادن الذهب والفضة والحديد والنحاس والرصاص، وبها أيضاً عين تنبع بالمداد ويكتبون بها، استأذن ابن أبي سرح في غزوها عثمان رضي الله عنه، فلم يأذن له وكان كارهاً لذلك، ثم لما رأى تشوّف المسلمين إلى غزوها، أذن لهم، فبعث جيشاً من أهل المدينة، وأمّر عليهم مروان بن الحكم بن أبي العاص، ووصّاه بالإحسان إليهم، فساروا حتى قدموا على عبدالله بن أبي سرح بمصر فتهيأ للخروج إلى إفريقية، فخرج في ثلاثة وعشرين ألفاً، فساروا حتىٰ دخلوا بلاد إفريقية وانتشروا بها وبثّوا السرايا، فأصابوا غنائم كثيرة من الحيوان وغيرها، فبينما هم على ساحل البحر سائرين إذا بمراكب إفريقية قد أرسيت على الساحل فأخذوها بما فيها من الغنائم، ثم أحرقوا المراكب، وتوسطوا بلاد إفريقية ونزلوا هناك وبعث عبدالله بن أبي سرح رضي الله عنهم إلى ملكهم بالإسلام أو أداء الجزية فأبىٰ، ثم أقبل في ستين ألف أو يزيدون، فوقع بين الفريقين مقتلة عظيمة حتى ولّت الكفار وهرب ملكهم إلى أقصى الإفريقية، ثم سأل الصلح والكف عنه على الجزية، فصالحه عبدالله على ألفي ألف دينار وخمسمائة ألف دينار، فرجعوا إلى مصر، وما تعذر نقله من أثاث إفريقية وحيواناتها، اشتراه مروان من ابن أبي سرح الأمير بمائة ألف نقداً أكثرها، ثم جاء سابقاً مبشراً بفتحها فترك عنه عثمان بقية الثمن جزاءاً لبشارته، فإن قلوب المسلمين كانت في غاية القلق والإضطراب لشدة أمر إفريقية، وللإمام أن يعطي المبشر ما يراه لائقاً بتعبه وخطر مشقته فلا اعتراض عليه.

سنة تسع فتحوا اصطخرَ مَعْ فارس بعدها خراسان جع

(سنة تسع) وعشرين (فتحوا) أي المسلمون وأمير الجيش عبدالله بن عامر

ابن كريز، وهو جواد من سادات قريش شاب ابن خمسة وعشرين سنة (إصطخر) بكسر الهمزة وفتح الطاء، وجوز بعضهم فتح الهمزة أيضاً كما قاله النووي، بلدة معروفة بإقليم فارس قديمة لا يعرف بانيها، وذلك أنّ عثمان رضي الله عنه عزل أبا موسىٰ الأشعري عن نيابة البصرة لشكاية جند أعماله شحّه، ولأنّ جند الكوفة نقموا عليه بعض الأشياء، فخاف عثمان الفتنة، فولّىٰ على البصرة عبدالله بن عامر بن كريز، وكتب له كتاباً ووصّىٰ أهل البصرة بإطاعته، فلما استقرّ بالبصرة اشتدّ غضب أهل فارس على عثمان بن عفان، وأقبل سَهرَكُ ابنُ ماهَكِ في ثلاثين ألفاً من شجعان الفرس يريد انتزاع ما في أيدي المسلمين من بلادهم، فبلغ ذلك عثمان رضي الله عنه، فكتب إلى عبدالله بن عامر بن كريز أن يسير إلى إصطخر لفتحها ومنع الفرس منها، ثم يسير إلى سائر بلاد خراسان، وكان علىٰ بلاد فارس قبل ذلك عثمان بن أبي العاص فعزله عثمان بن عفان، وجعل الولايتين أي ولاية البصرة وفارس لابن كريز، ولما بلغه كتاب عثمان رضي الله عنه جمع أهل البصرة وقرأ عليهم الكتاب ورغبهم في الجهاد فأجابوه، فخرج في جمع كثير حتّىٰ وصل فارس، فبلغ ذلك سهرُك بن ماهك، فجمع أمراء الفرس وأعطاهم الخلع ومنّاهم بالأماني وأمرهم بأخذ الأهبة، ثم التقاهم ابن كريز بجيشه، واقتتلوا قتالاً شديداً، فانهزم الفرس وتبعهم المسلمون بالسيوف حتىٰ قتلوا منهم الألوف، ومن نجا منهم دخل مدينة اصطخر إلاّ سَهرُك فدخل مدينة أخرىٰ ثم حاصروا اصطخر كذا في كتاب الفتوح حتىٰ فتحوها، وصالحوهم على إعطاء الجزية، وأرسل ابن كريز إلى سهرك ورجع إليه خاضعاً فولاّه علىٰ إصطخر، كذا في كتاب الفتوح، وفي كتاب الخميس أن إصطخر فتحت بالسيف لا بالصلح، فقال: وفي سنة تسع وعشرين فتح أمير الجيش عبدالله بن عامر بن كريز مدينة إصطخر بعد قتال عظيم، فحلف ابن كريز: لئن ظفر بها ليقتلن بها حتى يسيل الدم من باب المدينة، فلما فتحها أسرف في القتل، والدم لا يجري، فقيل له: أفنيتهم فأمر بالماء فصُبَّ على الدم

فجرى انتهى، (مع فارس) أي حال كـون إصطخـر مـع بقيـة بلاد فـارس ومصاحبته لها في أنّها فتحت سنة تسع، وإنما قدرت المضاف على فارس، لأن إصطخر من أعظم مدن فارس، فلا يصحّ إخراجها منها، ومما فتحه ابن كريز من أرض فارس جورا وغيرها وفي الفتوح: ولمّا فتح ابن كريز إصطخر وما والاها بعث جيشاً أمّر عليهم مجاشع بن مسعود البصري إلى بلاد كرمان، ففتحها، ثم فتحوا (بعدها) أي بلاد فارس إقليم (خراسان جع) بضم الجيم وفتح الميم تأكيد، والمدائن العظام لخراسان أربعة نيسابور، وهراة، وبلخ، ومرو وتفصيل بعض ذلك: أن ابن كريز لما فرغ من بلاد فارس خرج إلى بلاد خراسان، وعلى مقدمته الأحنف بن قيس التميمي، فسار إلى أن وصل إلى بلاد قُهُستان بضم القاف والهاء ناحية بخراسان بين هراة ونيسابور ففتحها كلها، ثم سار إلىٰ نيسابور فقاتل أهلها شهراً، وكان يبعث السرايا لإغارة قراها، وبعث ملك طوس إلى ابن كريز بالأمان، والمصير إليه للانتصار فأجابه إلى ذلك، فاجتمع مع ابن كريز لمحاصرة نيسابور فدام الحرب بينهم أياماً، فحلف ابن كريز أن لا يبرح عنها إلىٰ أن يفتحها أو يموت، ثم فتحها وأسر منهم وغنم وولّى عليها ملك طوس، وقيل فتحت نيسابور صلحاً وبه صرّح الناظم فيما بعد، ولما بلغ فتح نيسابور إلى بقية خراسان خافوا، وأرسلوا رسلهم إلى ابن كريز يسألونه الصلح، فأقبل إليه ملك اهراة فصالحه على ثلاثة آلاف ألف درهم كما في الفتوح، وفي الخميس: أنّ هراة استقبلوا ابن كريز فقاتلوهم فهزمهم، ويمكن الجمع بينهما فاعرفه، وصالحه أيضاً ملك سرخس على مائة ألف درهم وألف جريب حنطة وشعير، وبعث إليه ملك مرو بالصلح فصالحه ابن كريز على ألفي ألف درهم ومئتي ألف في السنة.

ثُمّـتَ فيهـا كثر الفتـوحُ فحُثِي الأمـوال لا تـروحُ

(ثمت) بتاء التأنيث الحرفية كما مرّ إيضاحه (فيها) أي في سنة تسع وعشرين

وما بعدها إلى إحدىٰ وثلاثين كما يدل عليه السياق والوفاق (كثر الفتوح) فبعث ابن كريز جيشاً أمّر عليهم ابن عمّه عبدالرحمٰن بن سمرة إلى بلاد سجستان ففتح منها زالق [فالق] وغيرها، وصالح أهل مدينة زَرَنْج بفتح الزاء والراء وسكون النون بعدها جيم قصبة سجستان على إعطاء ألفِ وصيفٍ مع كل وصيف جام من ذهب، ثم سار إلى مدينة كابل بضم الباء ناحية معروفة من الهند (٢٨٢)، وفتحها بعد قتال ومحاصرة سنةً، ثم أخبر عبدالرحمٰن عبدالله بن كريز بما فتح الله على يديه ففرح به، وبعث ابن كريز أيضاً الأحنف بن قيس إلى نواحي الجرجان وطخارستان في أربعة آلاف فارس، فاجتمع لحربه أهل تلك النواحي وقائدهم طوغان شاه، فاقتتلوا قتالاً شديداً، ثم انهزم المشركون.

وفي الخميس: فتح المسلمون في أشهر معدودة نحواً من عشرين مدينة، وفي سنة ثلاثين فتح سعيد بن العاص طبرستان بعد محاصرة انتهىٰ، وفي سنة تسع وعشرين أيضاً فتح المسلمون أصفهان، ثم خلف ابن كريز الأحنف بن قيس على خراسان، وخرج من نيسابور محرماً بالحج من موضعه شكراً لله تعالىٰ على هذه الفتوح، كما في الخميس وغيره فدخل مكة وطاف، ثم أتىٰ وافداً على أمير المؤمنين عثمان رضي الله عنه بالمدينة، ولما سمع أهل مرو وغيرهم خروجه من أرض خراسان للحجّ اجتمع منهم أكثر من ثلاثين ألفاً، وبلغ ذلك الأحنف فأمر بالاجتماع، ثم سار بجيشه حتىٰ نزل بالقصر الذي يعرف بقصر الأحنف، فالتقوا مع المشركين، واقتتلوا قتالاً شديداً، ثم حمل الأحنف على علج منهم فقتله، ثم علىٰ آخر فقتله، ثم انهزموا وقتل منهم أُلوف، وأخذ المسلمون غنائم عظيمة، ثم أقبل الأحنف إلى مدينة بلخ، فصالح أهلها على أربعمائة ألف درهم وخمسمائة جريب من الحنطة والشعير، ثم جعل الأحنف يفتح بلداً بلداً ويجمع أموالها ويبعث الخمس إلى عثمان رضي الله عنه، فكان الأحنف على طوائف خراسان إلى

---

(٢٨٢) بل هي عاصمة أفغانستان الحالية.

نهر بلخ، وعبدالرحمن بن سمرة على بلاد سجستان كذا في كتاب الفتوح، وقتل يزدجرد آخر ملوك الأكاسرة في خراسان بمرو كما في كتاب الخميس، وقد سبق أنه هرب في أيّام عمر رضي الله عنه إلى أقصىٰ مملكته، ثم إلى فرغانة من أقصى بلاد خراسان، ويقال: أخذ المسلمون من خزائن كسرىٰ يزدجرد مائة ألف بدرة من الذهب وزن كل بدرة أربعة آلاف، ثم إن المدينة المشرفة صارت دار الأمان وقبة الإسلام يجيء إليها خراج الممالك من جميع النواحي، فأمر عثمان رضي الله عنه باتخاذ الخزائن [العظيمة] بالمدينة لتلك الأموال كما ذكره صاحب الخميس وإليه أشار الناظم بقوله (وحُثي) بالحاء المهملة والثاء المثلثة على البناء للمفعول أي رُمي ووضع على الأرض كحثىٰ التراب (الأموال) العظيمة التي تجتمع من الخمس المرصّد للمصالح حال كون تلك الأموال (لا تروح) أي لا تذهب ولا ترجع إلى مراح معين لعدم الخزائن لها، من راحت الإبل تروح أي رجعت إلى المراح، وفيما رأينا من النسخ: خشي بالخاء والشين المعجمتين علىٰ البناء للفاعل ولا يصح إلاّ بتكلّف فتأمّله.

فـاتخذَتْ خـزائـنُ لأجلهـا   وفـرّقـت في وقتهـا لأهلهـا
وكان يعطي مائـة الألوف   لواحـد مـن غير مـا وقـوف
فـاتسعـت عليهـم الأمـوال   وبطـرت مـن ذلـك الجهّـال

(فاتُخِذَت) في المدينة بأمر عثمان رضي الله عنه (خزائن) بالتنوين للوزن (لأجلها) أي لحفظها عن الضياع إلى وقت صرفها (وفرقت في وقتها) أي في وقت الاحتياج إليها (لأهلها) من المستحقين (وكان) عثمان رضي الله عنه يقسم الأموال بين الناس (ويعطي ماله من الألوف) أي يعطي مائة ألف درهم كما في عبارة غيره من أهل السير (لواحد) من الأشخاص (من غيرما) زائدة (وقوف) لكثرة ما عنده من الأموال (فـاتسعـت عليهـم) أي على الصحابـة وغيرهـم

(الأموال) والدنيا وكثرت حتى كادت الفَرَسُ تشترىٰ بمائة ألف، وكان البستان يباع بالمدينة بأربعمائة ألف درهم (وبطرت) بوزن فرحت والبطر الطغيان بالنعمة، وكراهية الشيء من غير أن يستحق الكراهية (من ذلك) أي من كثرة الأموال وسعة الدنيا عليهم (الجهّال) أي الغافلون بالتمتع بالنعم عن شكر الله عزّ وجلّ المنعم بذلك، وهذا تعريض بأن مَن عاب على عثمان رضي الله عنه بأمور وقعت في خلافته، حتّىٰ أدىٰ ذلك إلى حصاره وذبحه كما يأتي، جهّال ظالمون، وسببه البطر بالنعمة، قال الذهبي في دول الإسلام:

ولما فتحوا أقاليم الدنيا واطمأنوا بطر الناس بكثرة الأموال والخيل والنعم، فأخذوا ينقمون على خليفتهم عثمان رضي الله عنه لكونه يعطي المال لأقاربه، ويولّيهم الولايات الجليلة، ولأنه صار له أموال عظيمة وله ألف مملوك (٢٨٣) فهمّ الجهّال بعزله كما سيأتي تفصيله إن شاءالله تعالى.

سنة إحدىٰ غـزوة الأساوِدَة　　　وفتـح نيسـابـور بـالمجـاودَة
وفي اثنتين وغل ابـن صخـرِ　　　في الروم في البر وجوّ البحـرِ

(سنة إحدىٰ) وثلاثين كانت (غزوة الأساودة) بفتح الهمزة وكسر الواو موضع في البحر كما في الخميس (و) فيها كان (فتح نيسابور) بفتح النون وسكون المثناة التحتية من أحسن مدن خراسان، وأجمعها للخيرات سميت بذلك لأن سابور لما رآها قال: يصلح أن يكون ههنا مدينة، وكانت قصباً، فأمر بقطع القصب وبناء المدينة، فقيل نيسابور، والنِّيُّ القصب، وقد جمع الحاكم أبو عبدالله في تأريخ علمائها ثمان مجلدات (بالـمُجاوَدَة) أي المصالحة، وقد مرّ أن بعضهم قال: فتحت بالسيف وأن فتحها كانت سنة تسع، ويدل عليه قوله المذكور:

---

(٢٨٣) دول الإسلام (١٢/١) للذهبي.

خراسان جمع لأنها من مدن خراسان كما عرفت، ويمكن أن يقال: هذا فتح ثان لها لنقض عهدهم، أولاً إذ هم كانوا لقهر السيف يصالحون أهل الإسلام، وإذا رأوا فرحةً عادوا إلى ما كانوا عليه لضعف إسلامهم، وبهذا تيسر الجمع بين الاختلاف في أوقات الفتوح، لأن كثيراً مما فتح في زمن عثمان رضي الله عنه، قد قيل بفتحها في زمن عمر رضي الله عنه كما سبق (وفي) سنة (اثنتين وثلاثين (وَغَل) من وغل في الشيء يَغِلُ وغولاً أي دخل وتوارىٰ، أي بعد وذهب، ويقال أيضاً: أوغل في البلاد أي ذهب وبالغ وأبعد (ابن صخر) أي معاوية بن أبي سفيان بن صخر بن حرب بن أمية (في) غزو [غزوه] بلاد (الروم) مملكة واسعة وبلاد عظيمة وهم من نسل عيصو بن إسحٰق عليه السلام، وكانوا قديماً على دين الفلاسفة إلىٰ أن ظهر لهم دين النصارىٰ، ويسمّىٰ ملوكهم القياصرة، وهم من أكثر الناس عَدداً وعُدداً، وبلادهم بلاد بربر وهي كثيرة الخيرات (في البرّ) بدل من قوله: في الروم، فأوغل معاوية رضي الله عنه بجيشه في بلاد الروم حتى وصل إلى المضيق قرية قرب القسطنطينية، فكان بها وقعة مع الروم، وقيل: غزا معاوية رضي الله عنه القسطنطينية أيضاً ووغل أيضاً في بلاد سواحل الروم (وجوّ) أي داخل أو هواء (البحر) لفتح الجزائر فيه، والجو الهواء وداخل البيت وغيره، وبعث معاوية رضي الله عنه جيشاً أمّر عليهم حبيب ابن مسلمة الفهري إلى بلاد أرمينية كورة بالروم لمحاربة من بها من الفرس بأمر عثمان رضي الله عنه له بذلك، فلما وصل حبيب بجيشه إلى قرب شمشاط ونواحيها بلغه أنه أقبل رجل من الروم في نيف وثمانين ألفاً، فأخبر معاوية بذلك، فأخبر هو عثمان رضي الله عنه بذلك، فأمر عثمان رضي الله عنه عامل الكوفة وليد بن عقبة بن أبي معيط الأموي أخا عثمان لأمه، أسلم يوم الفتح، أن يمدّهم بعشرة آلاف، وقيل: باثني عشر ألفاً، فأمدّهم الوليد بذلك، وأمّر عليهم سلمان بن ربيعة الباهلي، فهزم حبيب بن مسلمة جيش الكفار، قبل وصول جيش الكوفة إليهم، فطلبوا مشاركة أهل الشام في الغنيمة، وقالوا إنما غلبتم

بريحنا فأبىٰ أهل الشام، وتنازعوا فأمر عثمان رضي الله عنه أن يشتركوا فيها فأطاعوا ثم أقام حبيب بن مسلمة في موضعه، وسار سليمان بن ربيعة بأمر عثمان رضي الله عنه إلى بلاد أرمينية، فصار يفتح بلداً بلداً حتىٰ قتل فيها مع جميع جيشه بموضع يقال له الآن: قبور الشهداء كما في الفتوح، وفي الخميس: إن مما فتح سليمان بن ربيعة: بردعة من أرض آذربيجان، انتهى.

ثم سار حبيب بن مسلمة بعد مقتل سليمان بأمر عثمان رضي الله عنه إلى بلاد أرمينية ففتحها ثم عزله وولّىٰ على تلك البلاد حذيفة بن اليمان، ثم عزله وولّى عليها المغيرة بن شعبة.

وفي ثلاث كان غزو قبرس أيضاً وقتل قارن بفارس
ثم بها أيضاً معاوية ملطية حصن المرآة أفرنطية

(في ثلاث) وثلاثين (كان غزو) المسلمين جزيرة (قبرس)(أيضاً) أي مرة ثانية إمّا لنقض العهد منهم أو لفتح تمام حصونها، وإليه يومىء كلام الخميس، وقد مرّ أن معاوية غزاها وفتحها بنفسه أوّلاً (و) فيها أيضاً كان (قتل قارن) المجوسي الذي جمع جمعاً عظيماً بأرض هراة، وأقبل إلى بلاد فارس في أكثر من أربعين ألفاً، وقام بأمر المسلمين عبدالله بن حازم السلمي، وسار إليه في أربعة آلاف فالتقوا فانهزم قارن وقتل (بفارس) وتمزّق جمعه وغنم المسلمون سبياً عظيماً وأموالاً، ثم تقرر ابن حازم على نيابة خراسان (ثم بها) أي في ثلاث وثلاثين (أيضاً غزا معاوية) ابن أبي سفيان (مَلَطْية) بفتح الميم واللام وسكون الطاء المهملة مدينة كانت من ثغور الروم، والآن في بلاد الإسلام كما قاله عزّ الدين الجزري، وفي القاموس: مليطية بسكون الطاء المهملة وتخفيف الياء بلد، وتشديد الياء خطأ، وغزا أيضاً (حصن الْمَرَاةِ) بنقل حركة الهمزة إلى الراء وحذفها، لم أطلّع إلى الآن على مراده بذلك مع شدّة الفحص، ويحتمل أن يراد حصن مآرب

لأن المرآة اسم من أسماء مآرب ناحية باليمن[٢٨٤] وغزا أيضاً (افرنطية) وفي خلافة عثمان رضي الله عنه نقض الاسكندرية بالمغرب بقرب مصر عهدَهم، فغزاهم عمرو بن العاص ثانياً فقتل منهم وسبى، والاسكندرية من عجائب البلدان وفيها بنيان عجيب، ومنارة على أربعة أساطين طولها ثلاثمائة ذراع، وكان في القديم على تلك المنارة مرآة كبيرة صنعها بليناس الحكيم تلميذ أرسطو طاليس الحكيم، يطلّع بها على القسطنطينية، وبلاد الروم والأفرنج وعلى دمشق بالشام وهراة بخراسان وسمرقند وراء النهر وبروع بآذربيجان.

وابـــن أبي سرح بـلاد الحبـــش في أربع ذات الصواري في الحُرَّش

(و) عبدالله (بن) سعد بن (أبي سرح) ولاّه عثمان رضي الله عنه ولاية مصر، بعد أن عزل عنها عمرو بن العاص لشكاية أهل مصر منه مراراً كما عزله عمر رضي الله عنه لذلك، لكن عمر ردّه إلى مصر لما ظهر له كذبهم في شكايتهم، ولهذا يجاب عن اعتراض الخوارج عليه بتولية ابن أبي سرح بدله، على أن ابن أبي سرح، وإن ارتد في حياته ﷺ فأهدر دمه يوم الفتح، أسلم وصلح حاله، وفتح على يديه نواحي كثيرة، وكفاه فخراً أن عبدالله بن عمرو بن العاص قاتل تحت رايته ككثير من الصحابة، بل وجده أحسن سياسة من عمرو ابن العاص، ومن محاسنه: اعتزاله عن الفريقين لما قتل عثمان رضي الله، ولم يقاتل

---

(٢٨٤) قال العمري في شرحه: (حصن) بالنصب بدل من ملطية (المراة) مضاف إليه للحصن، وأصله المرأة فنقل حركة الهمزة إلى الراء وأبدلها ألفاً كما في راس وباس وقوله (افرنطية) بكسر الهمزة وسكون الفاء وفتح الراء بعدها نون ساكنة فمهملة فياء مخففة بدل من المراةِ، لأن صاحبة ملطية امرأة من الأرمن كانت تسمى إفرنطية.

ثم عرض بالمصنف فقال: ولبعض الناس هنا كلام يفضي إلى العجب، وما ذكرناه هو المراد.

مسلماً بعد قتاله المشركين، فسار عبدالله بن أبي سرح بجيشه إلى المغرب وغزا (بلاد الحبش) بفتحتين كالحبشة جنس من السودان وجمعه الحُبْشان كحمل وحملان كما في الصحاح، وهي بلاد واسعة جداً وأكثرهم نصارىٰ، وكان النجاشي بها كما سبق، ولمّا وصل ابن أبي سرح قرب مدينة القيروان بفتح القاف بلد بافريقية بالمغرب التقىٰ مع الكفار، وهم نحو مائتي ألف وملكهم جِرجِر فاقتتلوا ونزل النصر، فانهزم الكفار، وقتل جرجر، وكانت وقعة عظيمة هائلة بحيث طلع سهم الفارس من الغنيمة ثلاثة آلاف دينار، وغزا ابن أبي سرح أيضاً (في) سنة (أربع) وثلاثين غزوة (ذات الصواري) جزيرة في البحر وتبعث في شرح هذه العبارة صاحب كتاب الخميس وعبارته: وغزا ابن أبي سرح نائب مصر الحبشة فأخذ بعضها وغزا غزوة الصواري موضع في البحر وقوله: (في الحرّش) إما بضم الحاء وفتح الراء المشددة جمع حارش من حرش الضب أي صاده، أو من حرشه أي خدشه، ومنه تحارش الكلاب أي تهاوشت فيكون وصفاً لها باعتبار أصلها وصف ذم أو مدح لهم بالشجاعة والقوة، وإمّا بفتح الحاء والراء المخففة بمعنى الخشونة، فيكون وصفاً لها بذلك الاعتبار للمبالغة، أو على حذف المضاف علىٰ قياس زيد عدل وهو على الوجهين تتميم للبيت، وذكر صاحب كتاب الفتوح من جملة ما فتحه معاوية جزيرة صقلية وورومية الكبرىٰ، وقسطنطينية، وكانت جزيرة صقلية واسعةً حصينة مسيرة أيام طولاً وعرضاً، وفيها عيون عذبة وذروع وأشجار رخيصة الأسعار، واسعة الأرزاق، ومرساها أعجب المراسي البحرية، وبها مدينة عتيقة أنيقة تعرف بخضرة الصقلية، فيها كنيسة تعرف بكنيسة الأبطال، قد رصعت كلها بفصوص الذهب، وفي حيطانها أشجار من الفصوص الخضر، وللكنيسة صومعة مرفوعة على سواري من الرخام الملوّن، ولها قبة علية نظم أعلاها بالشمسات المذهبات من الزجاج فتسمّىٰ بصومعة السواري، فهي أعجب ما يكون من البنيان، فلما أراد معاوية المسير إليها أسرع المسلمون في أخذ أهبتهم، فسار بهم إلى ساحل البحر، ونزلوا في

ثلاثمائة مركب ورفعوا المراسي واقتحموا اللجة، وبلغ ذلك صاحب صقلية، فأغضبه ذلك لاستبعاده وصول العرب إلىٰ مثل ما هنالك، فجمع جمعاً عظيماً لحرب المسلمين، فحصل بين الفريقين مراسلات ومراجعات يطول ذكرها، ثم اقتتلوا ونزل النصر، فهزمهم المسلمون وفتحوها، وغنموا غنائم عظيمة انتهى ملخصاً.

قلت: ويشبه أن يكون مراد الناظم بذات الصواري هذه الجزيرة، لأن صومعتها تسمّىٰ صومعة السواري كما علمت، ويكون ذات وصفاً للصومعة، فيكون من ذكر الجزء وإرادة الكل، وهي مجموع الجزيرة إلاّ أنّ المانع من ذلك أمران، أحدهما: أنّ سوق كلامه يدل كنص كلام الخميس، على أنّ فاتح ذات الصواري ابن أبي سرح، وقد علمت من كلام الفتوح: أن فاتح صومعة السواري معاوية، ويمكن أن يجاب بصرف النظم عن ظاهره، ويقرأ ذات فيه بالرفع فيكون إخباراً بفتحها في أربع وثلاثين مع قطع النظر عن فاتحها، أو بأن يحمل كلام الفتوح علىٰ المرجوح، وثانيهما أن ذات الصواري بالصاد، وصومعة السواري بالسين، ويمكن أن يجاب بأن التغيير من النساخ، أو بأن السين كثيراً ما يقلب صاداً، حتىٰ قيل: لا يصلح الصاد في محل إلاّ ويصلح فيه السين غالباً، فعلى هذا تكون لفظة ذات الصواري واضحة والله أعلم.

هذا آخر ما أردنا ايراده من شرح هذه الفتوحات متحرياً أوجز العبارات، منتخباً من الكتب المعتبرة مكتفياً بالإجمال عن التفصيل لأنه الحريّ بالمغازي وعليه التعويل، كيف؟ وقد قال الإمام أحمد رضي الله عنه: إن كتب المغازي من الكتب التي لا أصل لها، لكن قال الخطيب في جامعه: كلامه محمول على كتب مخصوصة في هذا الفن، لا يعتمد عليها لعدم عدالة ناقلها. قال الشافعي رضي الله عنه: كتب الواقدي في المغازي كذب، ومن أشهر كتب المغازي: كتب محمد ابن اسحق، إلاّ أنه يأخذ عن أهل الكتاب، وليس في المغازي أصح من مغازي موسى بن عقبة انتهىٰ.

[فائدة] مات في خلافة عثمان رضي الله عنه جماعة أكابر أجلاّء ، منهم:

حكيم الأمة وعالم الشام أبو الدرداء الأنصاري ، آخىٰ ﷺ بينه وبين سلمان الفارسي ، وكان أبو الدرداء مقرىء دمشق وقاضيهم ، يهابه معاوية ويتأدب معه ، مات بدمشق ، ومنهم عبدالرحمن بن عوف ، ومنهم العباس رضي الله عنه كما مرّ ، ومنهم أبو سفيان بن صخر بن حرب ابن عمّ عثمان رضي الله عنه ، وكان أعمى كما مرّ في وقعة اليرموك ، ومنهم ابن مسعود خادمه ﷺ وصاحب نعليه كما مرّ أقام بالكوفة متولياً على بيت المال وتفقه بطائفة ، وقدم في آخر عمره إلى المدينة ومات بها ، وصلّىٰ عليه عثمان رضي الله عنهما قيل: إنه خلّف تسعين ألف دينار ، وكان قصيراً جداً .

ومنهم: أبو ذرّ الغفاري أحد السابقين ، كان من أكابر العلماء والزهاد ، كبير الشأن ، كان عطاؤه في السنة أربعمائة دينار ، وكان لا يدخر شيئاً ، مات بالربذة كما مرّ .

ومنهم كعب الأحبار بن [ماتع] وهو من حمير ، كان يهودياً أدرك زمنه ﷺ ولم يره ، أسلم في خلافة أبي بكر وقيل في خلافة عمر رضي الله عنهما ، وكان يسكن باليمن وقدم المدينة ،ثم خرج إلى الشام فسكن حمص وتوفي بها كما في الصفوة لابن الجوزي وغيره .

ومنهم المقداد بن الأسود من البدريين ، ومنهم أبو طلحة الأنصاري شهد بدراً ، وكان أكثر الأنصار مالاً يضرب بشجاعته المثل ، ومن ثم استلب عشرين يوم حنين ، كما مرّ توفي بالمدينة على الاصح .

سنـــــة خمس وثلاثين الحصر عثمان ظلماً وابتلاؤهُ حضر

ومنهم عبّادة بن الصامت أحد النقباء (سنة خمس وثلاثين) كما في الاستيعاب

لابن عبدالبر وغيره (انحصر) في داره مع ستمائة رجل من أتباعه (عثمان) الخليفة رضي الله عنه (ظلماً) بشهادة النبيّ ﷺ له بذلك، وبكونه مظلوماً يوم قتله، وأنه على الهدىٰ كما رواه الترمذي وغيره، و[قد] مرّ: أن الجهّال لما بطروا باتساع الدنيا عليهم تكلّموا في خليفتهم بأنه لا يصلح للخلافة، وهمّوا بعزله ونقموا عليه أموراً، بعضها مختلق صِرف، وبعضها له تأويل صحيح مذكور في المطوّلات منها:

توليته عبدالله بن أبي سرح، وعزله عمرو بن العاص، وكذا عزله أبا موسىٰ الأشعري، وقد عرفت جوابها ومنها: أنه نفى أبا ذرّ إلى الربذة، وردّ عمّه الحكم بن أبي العاص إلى المدينة، وقد نفاه ﷺ إلىٰ الطائف، والجواب عن الأول: أن أبا ذر كان يزهد الناس في الدنيا، ويفرقهم عن عثمان، ويغلظ الكلام في وجهه. وعن الثاني: أن ردّه كان بإذن منه ﷺ في حياته كما قاله غير واحد.

ومنها: أنه كان يعطي أموالاً كثيرة لأقاربه، ويوليهم الولايات العظيمة، والضابط في الجواب أنّ كل ما فعله عثمان رضي الله عنه من ذلك كان على اجتهاد منه، وعلى جهة المصلحة، فإن أصاب في ذلك فله أجران، وإن أخطأ فله أجر، فلا اعتراض عليه بوجه، كيف؟ وقد شهد له الصادق بأنه الإمام الحق، وأنه يقتل مظلوماً، وأنه من أهل الجنّة، وأن الذين يريدون خلعه عن الإمامة مارقون كما ثبت ذلك كله في الأحاديث(٢٨٥)

(وابتلاءه) الذي أخبر به الصادق ﷺ (حضر) فقد أخبر ﷺ بقتله ظلماً في أحاديث منها: الحديث الصحيح أنه ﷺ ذكر فتنة، فمرّ رجل فقال ﷺ: [يقتل هذا فيها يومئذ ظلماً] قال ابن عمر رضي الله عنهما راوي الحديث:

---

(٢٨٥) ينظر في هذا الموضوع كتاب العواصم من القواصم لابن العربي فإنه أحسن كتاب في هذا الموضوع.

فنظرت فإذا هو عثمان رضي الله عنه [٢٨٦] وفي سيرة مغلطاي: حاصره الكوفيون وعليهم مالك الأشتر النخعي، والمصريون وعليهم عبدالرحمن بن عديس وعمرو ابن الحمق وسودان بن حمران ومحمد بن أبي بكر انتهىٰ.

وقال ابن خلكان: قدم المدينة مالك الأشتر النخعي في مائتي رجل من أهل الكوفة ومائة وخمسين من أهل البصرة رئيسهم حكيم بن جبلة العبدي وستمائة رجل من أهل مصر كلهم مجمعون على خلع عثمان من الخلافة، فبعث إليهم المغيرة ابن شعبة وعمرو بن العاص ليدعوهم إلى كتاب الله وسنة رسوله، فردّوهما ولم يسمعوا كلامهما، فبعث علياً كرّم الله وجهه إليهم فردّهم إلىٰ ذلك، وضمن لهم ما يعدهم به عثمان، وكتبوا علىٰ عثمان كتاباً بإزاحة علتهم والسيرة فيهم بكتاب الله عزّ وجلّ وسنّة رسول الله ﷺ، وأخذوا عليه عهداً بذلك، واستشهدوا علىٰ عليّ أنه ضمن ذلك، ثم اقترح المصريون علىٰ عثمان رضي الله عنه عزل عبدالله بن أبي سرح وتوليته محمد بن أبي بكر بدله، فأجابهم إلى ذلك وولاّه، فافترق الجمع كل منهم إلى بلده، فلما وصل المسلمون [المصريون] إلى أيلة وجدوا رجلاً علىٰ نجيب لعثمان ومعه كتاب مختوم بخاتم عثمان على لسانه: إلىٰ عبدالله بن أبي سرح بقتل محمد بن أبي بكر وفلان وفلان، ورفعهم إلى جذوع النخل، فرجع المصريون والبصريون والكوفيون لما بلغهم ذلك، وأخبروه الخبر، فحلف عثمان: أنه ما فعل ذلك ولا أمر به، فقالوا: هذا أشدّ عليك، يؤخذ خاتمك ونجيب من إبلك وأنت لا تعلم، وما أنت إلا مغلوب على أمرك، ثم سألوه: أن يعتزل فأبىٰ فاجتمعوا على حصاره كما قال الناظم رحمه الله.

ولم تزل جهّال مصر تحصر حتىٰ عليه الدار هَجماً عبروا

(٢٨٦) رواه الترمذي (٣٧٠٨).

(ولم تزل جهّال مصر) وكذا جهّال الكوفة والبصرة كما عرفت، وإنما اقتصر على جهّال مصر لكونهم أعظم الفرق الثلاثة وأشدهم عليه (تحصر) أي تحبس عثمان بمن معه في داره عن الخروج، وضيّقوا عليه ليخلع نفسه عن الخلافة، أو يعطيهم مروان، ومنعوه من الصلاة في المسجد، ومدة حصاره أربعون ليلة وفي رواية: أكثر من عشرين.

وكان طلحةُ، وفي رواية علي يصلي بالناس في هذه المدة، وامتدّ حصاره حتى عزموا قتله فتسوروا الجدار ونقبوه فدخلوا عليه بغتةً كما أشار إليه بقوله: (حتىٰ عليه) متعلق بقوله: هجما علىٰ رأي بعض المحققين من جواز تقديم معمول المصدر عليه إذا كان ظرفاً و(الدار) مفعول قوله: عبروا و(هجما) مصدر هجم عليه أي دخل بغتةً وبغير إذن، وقوله (عبروا) من غير السبيل أي شقه وقطعه والتقدير: حتى عبروا الدار وشقوا جدارها هجماً عليه، والأولىٰ أن يجعل عليه متعلقاً بعبروا على التضمين أي عبروا الدار متسورين ومتسلقين عليه هجماً، والذين هجموا عليه ثلاثة: محمد بن أبي بكر ورجلان آخران وإنما نسب العبور إلى الجميع لتسببهم في ذلك، أو من ذكر الكل وإرادة البعض، وهكذا قوله:

فـذبحـوه تـالي القـرآن	بين يـديـه المصحـف العثماني
وقت صلاة الظهر يوم الجمعة	ثامِنَ عشر قد مضىٰ في الحجـة

(فذبحوه) حال كون عثمان الشهيد رضي الله عنه (تالِيَ القرآن) (بين يديه المصحف) الذي اتخذه لنفسه ليقرأ فيه خاصة، وإليه أشار بقوله: (العثماني) بتخفيف الياء أي المنسوب إلى عثمان، وكتب رضي الله عنه مصاحف أخر بعثها إلى أمهات بلاد الإسلام كما فُصِّلَ في محله، يقال لها أيضاً: المصاحف العثمانية، فاستشهد رضي الله عنه في الدار بين يديه المصحف، ونضح الدم هذه الآية: ﴿فسيكفيكهم الله وهو السميع العليم﴾ وفي الشفاء أنه ﷺ قال: يقتل عثمان وهو

يقرأ في المصحف، وأنه يسيل دمه على قوله: فسيكفيكهم الله وهو السميع العليم، (وقت) ظرف فذبحوه (صلاة الظهر يوم الجمعة ثامن عشر قد مَضت [مضى] في الحجة) أي من شهر ذي الحجة كما في الاستيعاب وغيره، والأصح أنه قتل في أوسط أيام التشريق، ومن ثم قال حسّان رضي الله عنه:

ضحّوا أبا شمط عنوان السجود له يقطّع الليل تسبيحاً وقرآنا

وعمره بضع وثمانون سنة على خلاف طويل فيه، وصلّى عليه الزبير لوصيته له بذلك، واختلفوا فيمن باشر قتله بنفسه: أخرج ابن عساكر عن جمع أن قاتله رجل من أهل مصر أزرق أشقر يقال له حِمار، وقيل: مالك الأشتر النخعي، وقيل: سودان بن حمران، وقيل: جبله بن الأيهم من المصريين، وقيل: رومان وقيل: سودان بن رومان، وقيل: غير ذلك، وقال الذهبي في دول الإسلام: لما طارت الأخبار بقتل الشهيد عثمان رضي الله عنه حزن عليه المسلمون، ولاسيما أهل دمشق، وأتى البريد بثوبه بالدماء فنصب على منبر دمشق ونعاه معاوية إلى أهلها فتعاقدوا على الطلب بدمه وكانوا ستين ألفاً[٢٨٧] فلما وقع يوم الجمل وسمعوا بذلك تحرك جيش الشام إلى عليّ، فوقعت صفّين انتهى، وسيأتي تفصيل ذلك.

فأنزل الله عليهم لعنه إذ كان ذا أول كل فتنة

(فأنزل الله عليهم لعنه) دعاء من الناظم على قاتليه، أو إخبار، وورد أن عامة الّذين ساروا إلى عثمان رضي الله عنه جنّوا (إذ كان ذا أول كل فتنة) وبلاء على الأمة بعد نبيّهم، أخرج ابن عساكر عن حذيفة صاحب رسول الله

(٢٨٧) دول الإسلام (١/ ١٤).

ﷺ في علم الفتن والملاحم والوقائع بعد وفاة رسول الله ﷺ أنه قال: أول الفتن قتل عثمان، وآخرها خروج الدجال، والذي نفسي بيده لا يموت رجل وفي قلبه مثقال حبّة من حبّ لقاتل عثمان إلاّ تبع الدجال إن أدركه، وإن لم يدركه آمن به في قبره.

وعن ابن عباس رضي الله عنهما أنه قال: لو لم يطلب الناس بدم عثمان لرموا بالحجارة من السماء، وصحّ عن عليّ أنه قال: يوم الجمل: اللهم أبرأ إليك من دم عثمان، ولقد طاش عقلي يوم قتل عثمان، وأنكرت نفسي وجاؤوني للبيعة فقلت: والله إني لأستحي من الله عزّ وجل أن أبايع وعثمان لم يدفن بعد فانصرفوا، فلما رجع الناس فسألوني البيعة قلت: اللهم إني أُشفق مما أقدم عليه، ثم جاءت عزيمة فبايعت، فقالوا: يا أمير المؤمنين فكأنما صدع قلبي، وقلت: اللهم خُذ منّي لعثمان حتىٰ تـرضىٰ، وقال كرّم الله وجهه أيضاً كما أخرجه ابن عساكر: إن بني أميّة يزعمون أني قتلت عثمان، ولا، والله الذي لا إلٓه إلاّ هو ما قتلت ولا ماليت، ولقد نهيت فعصوني.

وأخرج عبدالرزّاق عن عبدالله بن سلام: كان يدخل علىٰ محاصري عثمان فيقول: لا تقتلوه، فوالله لا يقتل رجل منكم إلاّ لقى الله تعالىٰ أجذمُ لا يدَ له، وإن سيف الله لم يزل مغموداً، وإنّكم إن قتلتموه ليسلّه الله ثم لا يغمد عنكم أبداً، وما قتل نبيّ قط إلاّ قتل به سبعون ألفاً، ولا خليفة إلا قتل به خمسة وثلاثون ألفاً قبل أن يجتمعوا. واعلم أنه ورد في بيان قتله رضي الله عنه والأشياء التي نقموها منه روايات، وأصحها: ما رواه الأئمة عن ابن شهاب الزهري قال قلت لسعيد بن المسيب: هل أنت مخبري عن كيفية قتل عثمان ولِـمَ خَذَلَهُ أصحاب محمد ﷺ؟ فقال: ما حاصله:

قتل عثمان مظلوماً، وقاتله ظالم، ومن خذله من الصحابة كان معذوراً، لأنه لما ولّى [الناس] اثنىٰ عشرة سنة رضوا عنه ست سنين وفرحوا به أكثر من

فرحهم بعمر للينه وشدّة عمر رضي الله عنهما، ثم في الستة الأخيرة وقع في نفوسهم شيء، لأنه ولّى فيها أقاربه وأهل بيته ممن ليست له صحبة جميع الأعمال، وأعطاهم الأموال معتقداً أنّ ذلك من صلة الرحم، ففعل أمراؤه ما أنكره الصحابة وشكوا إليه، فلم يعزلهم لحسن ظنّه بهم ومبالغته في توصيتهم بتقوىٰ الله عزّ وجلّ، وانضم إلى ذلك ما كان منه إلى عبدالله بن مسعود وإلى أبي ذرّ وإلى عمّار بن ياسر مما أوجب غضب قبائل هٰؤلاء الثلاثة لأجلهم، فغضب لابن مسعود هذيل وبنوزهرة ولأبي ذرّ بنو غفّار ولعمّار بنو مخزوم، وجاء أهل مصر يشتكون إليه أميرهم عبدالله بن أبي سرح، فكتب إليه كتاباً يهدّده، فلم يزدد إلاّ طغياناً، وضرب بعض من شكاه فقتله، فخرج من أهل مصر سبعمائة رجل فنزلوا المسجد الشريف وشكوا إلى الصحابة، فكلّم طلحة عثمان بكلام شديد، وكذلك عائشة، وعلي وغيرهم وأشاروا عليه بعزل ابن أبي سرح والانتقام منه بالحقّ، فقال: اختاروا رجلاً، فأشاروا عليه بتولية محمد بن أبي بكر رضي الله عنهما ففعل، وخرج معه عدد من المهاجرين والأنصار ينظرون فيما بين أهل مصر وابن أبي سرح، فلما كانوا علىٰ مسيرة ثلاثة أيام من المدينة، رأوا غلاماً على بعير مجدٍّ يخبط الأرض خبطاً كأنه يَطلُب أو يُطلَب، فقالوا له: ما قصدك [قصتك] قال: أنا غلام أمير المؤمنين إلى عامل مصر، فقيل له: هذا عامل مصر هنا، فقال: غير هذا أريد، فأمر محمد بن أبي بكر بإحضاره وسأله فقال مرةً أنا غلام أمير المؤمنين، وأخرىٰ قال: أنا غلام مروان، ثم سأله عن مكتوب أرسل به فأنكره، ففتّشوه فلم يجدوا شيئاً، وكان معه إداوة قد يبست فيها شيء يتغلغل فشقوها فرأوا كتاباً من عثمان إلى ابن أبي سرح، فجمع محمد الصحابة وغيرهم، وفك ختم الكتاب بحضرتهم، فإذا فيه: إذا أتاك محمد وفلان وفلان فاحْتَلْ في قتلهم وأبطل كتابه، وقرّ على عملك حتى يأتيك رأيي واحبس من يجيء يتظلم منك، ففزعوا، وختم الكتاب محمد بخواتيم نفر معه، ودفعه لرجل منهم ورجعوا إلى المدينة، فجمعوا طلحة والزبير وعلياً وسعداً وبقية الصحابة

رضي الله عنهم، ثم فضّوا الكتاب وأقرأوه عليهم وأخبروهم بقصة الغلام، فلم يبق أحد من أهل المدينة إلاّ حنق علىٰ عثمان، وزاد ذلك أولئك القبائل الثلاث غيظاً، فحاصر الناس عثمان وأجلب عليه محمد بن أبي بكر بني تميم وغيرهم فدخل عليه عليّ ومعه أهل بدر بالكتاب والغلام والبعير، وسألوه عن ذلك، فاعترف بأن الغلام والبعير والخاتم له، ثم أكّد في الحلف أنه لم يكتب هذا الكتاب ولا أمر به ولا علم به، فبرّوه وعرفوا أنه لا يحلف بالله كاذباً لأنه لم يكذب منذ أسلم، وعلموا أن الخطّ خط مروان، إلاّ أنّ قوماً قالوا: لا يبرأ عثمان من قلوبنا إلاّ أن يدفع إلينا مروان لنعرف حال الكتاب، وكيف يأمر بقتل رجلين من أصحاب محمد ﷺ، فأبىٰ أن يدفعه إليهم خوفاً من القتل، وإيثاراً على نفسه الشريفة، فخرج الصحابة من عنده غضاباً ولزموا بيتهم فاشتدّ حصار أهل مصر ومن تبعهم من الأخلاط له حتىٰ منعوه الماء، فأشرف على الناس، فقال: أفيكم عليّ فقالوا: لا، قال: أفيكم سعد، قالوا: لا، ثم قال: ألا أحد يبلغ عليّاً فيسقينا ماءً، فبلغ ذلك علياً فأرسل إليه ثلاث قرب فلم تصل إليه إلاّ بعد أن جرح بسببها كثير من موالي بني هاشم وبني أمية، ثم بلغ علياً أنهم يريدون قتل عثمان فغضب وقال: إنما أردنا منه مروان، وأمّا قتل عثمان فلا، ثم أمر الحسنين أن يقفا بسيفيهما على بابه، ولا يدعا أحداً يصل إليه، وبعث أيضاً عدةً من الصحابة أبناءهم لذلك، فكرر الناس عليه طلب مروان فأبىٰ أن يخرجه إليهم فرموه بالسهام، فأصاب بعضها وجه الحسن فخضبه بالدماء وهو على بابه، وكذا خضب محمد بن طلحة وشجّ قنبر مولىٰ علي، فخشي محمد بن أبي بكر غضب بني هاشم للحسن لو رأوا الدم على وجهه، وأن ينكشف الناس عن عثمان لغضبهم، فأخذ بيد رجلين وتسوّروا عليه من دار أنصاري حتى دخلوا عليه من غير أن يعلم بهم أحد ممن كان معه في داره، لأن كل من كان معه كانوا فوق البيوت، ولم يكن معه إلا امرأته، فمنع محمد صاحبيه حتى تسترت امرأته، فلما دخل ذهب فأخذ بلحيته فقال له: لو رآك أبوك لساءه مكانك منّي، فتراخت يده ودخل

الرجلان عليه فذبحاه، وخرجوا هاربين من حيث دخلوا، فصاحت امرأته فلم يسمع صوتها، فأشرفت على الناس فأخبرتهم بقتله، فبلغ ذلك الخبر علياً وطلحة والزبير وسعداً وغيرهم، فخرجوا وقد طاشت عقولهم لذلك الخبر حتى دخلوا عليه فوجدوه مقتولاً فاسترجعوا، فقال عليّ لابنيه كيف قتل أمير المؤمنين وأنتما على الباب ورفع يده فلطم الحسن وضرب صدر الحسين، وشتم محمد بن طلحة وعبدالله بن الزبير، وخرج وهو غضبان حتىٰ أتىٰ منزله، وجاء الناس يهرولون إليه، فقالوا له: نبايعك فمدّ يدك فلا بد للناس من أمير، فقال كرّم الله وجهه ليس ذلك إليكم، إنما ذلك لأهل بدر، فأتاه أهل بدر فقالوا: أنت أحق بها مدّ يدك نبايعك، فمدّ يده فبايعوه، وهرب مروان وولده، وجاء عليّ إلى امرأة عثمان فقال لها: مَن قتل عثمان؟، قالت: لا أدري، دخل عليه رجلان لا أعرفهما، ومعهما محمد بن أبي بكر، فدعا علي محمداً فقال له: لم تكذب زوجته والله دخلت عليه مريداً قتله فذكرني أبي فقمت عنده، وأنا تائب إلى الله عزّ وجلّ والله ما قتلته ولا أمسكته، فقالت زوجته: صدق ولكنه أدخلهما، انتهىٰ(٢٨٨). وسيأتي ما ترتب على هذه الفتنة.

(ذكر ما كان في فضل ذي النورين ومناقبه رضي الله عنه)

مَن مثل عثمان الزكيِّ الطاهِرِ تالي القرآن للبلاء صابِرِ

(من مثل عثمان) أي لا أحد مثله في الفضل بعد الشيخين كما عليه الجمهور، كيف؟ وهو (الزكيّ) سيرته (والطاهر) سريرته وعلانيته، فالوصفان مرفوعان لقطعهما عن المنعوت، ويجوز نصب الأول، وجرّهما على الأصل، ومن زكاء سيرته رضي الله عنه: أنه لم يضع يمينه على فرجه، منذ بايع بها رسول الله ﷺ

(٢٨٨) إن غالب ما ورد في هذه الرواية كذب فليراجع كتاب العواصم من القواصم.

ولا زنى ولا سرق، جاهليةً ولا إسلاماً كما في حديث ابن عساكر (تالي القرآن) بنقل حركة الهمزة إلى الراء وحذفها للوزن أي في أكثر أوقاته، وهو أول من جمع القرآنْ على عهد رسول الله ﷺ كما رواه ابن عساكر (للبلاء) أي لوقت نزوله أو عليه (صابر).

أخرج ابن عساكر عن عبدالرحمٰن بن المهدي قال: خصلتان لعثمان ليستا لأبي بكر ولا لعمر رضي الله عنهم صبره على نفسه حتىٰ قتل، وجمعه الناس على المصحف. وأخرج أحمد رضي الله عنه عن المغيرة بن شعبة أنه دخل على عثمان وهو محصور، فقال له: إنك إمام العامة وقد نزل بك ما ترىٰ، وإني أعرض عليك خصالاً ثلاثاً اختر إحداهنّ، إما أن تخرج فتقاتلهم ونحن معك وأنت على الحق وهم علىٰ الباطل، وإمّا أن تخرق لك باباً سوىٰ الباب الذي هم عليه، فتركب راحلتك وتلحق بمكة، فإنهم لم يستحلوك وأنت بها، وإمّا أن تلحق بأهل الشام ففيهم معاوية، فقال عثمان رضي الله عنه: أمّا أن أخرج فأقاتل، فلن أكون أول من خلف رسول الله ﷺ في أمته بسفك الدماء، وأما أن أخرج إلى مكّة فإني سمعت رسول الله ﷺ يقول: «يُلحد رجل من قريش بمكة عليه نصف عذاب العالم فلن أكون أنا»، وأمّا أن أخرج إلى الشام فلن أفارق دار هجرتي ومجاورة رسول الله ﷺ (٢٨٩).

عـــاليَ المقـــام زوجَ الابنتين   من أجل ذا سمّي ذا النوريـن
يكفيـه أن المصطفــى أخبره   بهذه البلـــوىٰ كما بشّـــره

(وروي نحوه عن عليّ كرّم الله وجهه، وأنه القائل له ذلك وهو رضي الله عنه (عالي المقام) والهمة شريف النفس، ذو حياء عظيم يستحيي منه الملائكة،

(٢٨٩) رواه أحمد (١/٦٧).

روي عن شرحبيل بن مسلم أنّ عثمان رضي الله عنه كان يطعم الناس طعام الإمارة ويدخل بيته فيأكل الخبز والزيت، وعن الحسن رضي الله عنه قال: رأيت عثمان يقيل في المسجد وهو يومئذ خليفة ثم يقوم وأثر الحصىٰ في جنبه، ومما يدلّ على علو مقامه أنه: (زوّج الابنتين) أنكحه رسول الله ﷺ ابنته رقية، فماتت والنبيّ ﷺ ببدر، ولذلك خلّفه لها، وضرب له بسهمه، وجعله من أهل البدر كما مرّ، لأنه إنما تخلّف طاعةً لله ولرسوله، ثم أنكحه أم كلثوم فماتت في السنة التاسعة من الهجرة، ولما ماتت قال ﷺ: «زوجوا عثمان لو كان لي ثالثة لزوجته، وما زوجته إلاّ بوحي من السماء» أخرجه الطبراني [٢٩٠].

وأخرج ابن عساكر عن عليّ كرّم الله وجهه قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول لعثمان: «لو أنّ لي أربعين ابنة زوجتك واحدةً بعد واحدة حتىٰ لا يبقىٰ منهن واحدة» (من أجل ذا) المذكور من نكاح الابنتين له (سمّي عثمان) رضي الله عنه (ذا النورين) قال الأئمة: ولا يعرف أحد تزوّج بنتي نبي غيره، ولذا سمّي ذا النورين.

وعن عائشة رضي الله عنها قالت: لما زوّج النبيّ ﷺ عثمان رضي الله عنه بنته أم كلثوم قال لها: «إن بعلك أشبه الناس بجدي إبراهيم وأبيك محمد» ﷺ أخرجه ابن عدي [٢٩١]. (يكفيه) شرفاً وفضلاً (أنّ) النبيّ (المصطفى) المختار على الخلق ﷺ (أخبره بهذه البلوى) أي الفتنة المذكورة، وأنه يقتل ظلماً كما مرّ.

بجنّــة المأوىٰ وبــالشهــادة　　　ما بعده ذا فضل ولا سعـادة

---

(٢٩٠) رواه الطبراني في الكبير (ج١٧ رقم٤٩٠) من حديث عصمة بن مالك الخطمي، وفي إسناده الفضل بن المختار وهو ضعيف.

(٢٩١) رواه ابن عدي في الكامل (١٧٨٤/٥) وفي إسناده عمرو بن الأزهر العتكي وهو متروك.

أَلم يكن جهّز جيش العسرة من ذهب هو مآت عشرة
جاء بها جميعها فصبها في وسط حجر المصطفى وكبها

(كما بشّره بجنة المأوىٰ وبالشهادة ما بعد ذا) أي ليس بعد [بعد ماذلك من البشارات] ما ذكر من الشهادة بكونه من أهل الجنّة وكونه شهيداً (أفضل ولا سَعَادَة) لأن البشارة بما ذكر تتضمن جميع الفضائل والكمالات.

روى البخاري عن أبي موسىٰ الأشعري رضي الله عنه أنه كان مع النبيّ ﷺ في حائط من حيطان المدينة فجاء رجل يستفتح فقال ﷺ: «افتح له وبشّره بالجنّة» فإذا أبو بكر ففتحت له وبشّرته بالجنّة، ثم استفتح رجل آخر فقال له: «افتح وبشّره بالجنة» ففتحت له فإذا عمر وبشّرته بالجنّة، ثم استفتح رجل آخر وكان ﷺ متكئاً فقال: «افتح له وبشّره بالجنة على بلوىٰ تصيبه» فإذا هو عثمان، ففتحت وبشّرته بالجنة وأخبرته بالذي قال، قال: الله المستعان (٢٩٢).

وعن أنس رضي الله عنه: أن النبيّ ﷺ: صعد أُحُداً فتبعه أبو بكر وعمر وعثمان رضي الله عنهم فرجف بهم أحد فقال ﷺ: «اسكن فإنما عليك نبي وصديق وشهيدان» (٢٩٣) والأحاديث في معنى هذين الحديثين كثيرة شهيرة، (ألم يكن) عثمان رضي الله عنه (جهّز) أي هيّأ ما يقيم (جيش العُسرة) أي جيش غزوة تبوك كما مرّ إيضاحه، ووجّه تسمية جيشها بذلك (من ذهب هو مئاتٌ) بالتَّنْوين (عشرة) بيان لعدد المئات فيكون ألف دينار (جاء) عثمان رضي الله عنه في غزوة تبوك (بها) أي بتلك المئات العشر، وفي رواية: أتىٰ عثمان رضي

(٢٩٢) رواه البخاري (٣٦٧٤ و٣٦٩٣ و٣٦٩٥ و٦٢١٦ و٧٠٩٧ و٧٢٦٢) ولفظه لفظ رواية البخاري الثانية.

(٢٩٣) رواه البخاري (٣٦٧٥ و٣٦٨٦ و٣٦٩٩) وأقرب رواية للبخاري وهي الأخير تقرب من رواية المصنف ونصّها: صعد النبي أحدا ومعه أبو بكر وعمر وعثمان، فرجف، فقال: «أسكن أحد - أظنه ضربه برجله - فليس عليك إلا نبي وصديق وشهيدان».

الله عنه بعشرة آلاف (جيعها) تأكيد للضمير المجرور (فصبّها في وسط) بسكون السين (حجر) بتثليث الحاء وسكون الجيم حصنن الإنسان (المصطفى) ﷺ (وكبّها) من كب الشيء أي قلبه، والمعنى قلبها عثمان رضي الله عنه من كمّه إلى حجره ﷺ فهو بمعنى فصبّها، والأحسن نظراً إلى المعنىٰ أن يرجع المستتر في كبّ إلى النبي ﷺ، والمعنى: أنه أدخل يده فيها وقلبها في حجره ناظراً إليها شكراً.

فقـال عنـه مخبراً للقــوم	ما ضرّ ما عمل بعد اليوم
وبات طول الليل شكـراً منـه	ربّ رضيت عنه فارض عنـه
وحط في تبوك عند الشدة	ألـف بعير كـاملات العـدة

(فقال) ﷺ: (عنه) متعلق بقوله (مُخبرا) أي حال كونه ﷺ مخبراً عن حال عثمان (للقوم) من الصحابة وغيرهم (ما ضرّ) مقول قال أي ما ضر عثمان (ما عمل) أي عمله على سبيل الفرض (بعد اليوم) وأصل ذلك:

ما رواه الترمذي عن عبدالرحمٰن بن سمرة رضي الله عنه قال: جاء عثمان في جيش العسرة بألف دينار فصبّها في حجر النبيّ ﷺ، فرأيت النبيّ ﷺ يُدخِل يده فيها فيقلبها ويقول: «ما ضرّ عثمان بن عفان ما عمل بعد اليوم»(٢٩٤) وفي رواية ذكرها الطبري في الرياض النضرة عن حذيفة رضي الله عنه: أنّ عثمان أتىٰ بعشرة آلاف دينار فصبّت بين يدي رسول الله ﷺ، فجعل ﷺ يقلبها ويقول: «غفر الله لك يا عثمان ما أسررت وما أعلنت وما هو كائن إلى يوم القيامة، ما يبالي بما عمل بعدها» (وبات) ﷺ أي دخل في الليل، وقوله (طول الليل) ظرف لقوله: (شكراً) أي يشكر شكراً (منه) أي من أجل ما فعله عثمان رضي الله عنه.

(٢٩٤) رواه الترمذي (٣٧٠٢) ورواه أيضاً أحمد (٦٣/٣) وإسناده حسن.

روي عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه أنه قال: رأيت رسول الله ﷺ رافعاً يديه تلك الليلة يدعو لعثمان ويقول: يا (ربّ) عثمان بن عفان قد (رضيت عنه فارض عنه) فما زال كذلك حتى طلع الفجر (وحطّ) أي وضع عن ماله في سبيل الله تعالىٰ (في) غزوة (تبوك) (عند الشدّة) على الناس لقلة الأهبة وشدّة الحرّ (ألف بعير كاملات العدة) بضم العين أي كاملات الأسباب من الأحلاس والأقتاب. روىٰ الترمذي أنه ﷺ حضّ على جيش العسرة، فقال عثمان: يا رسول الله عليّ مائة بعير بأحلاسها وأقتابها في سبيل الله ثم حضّ ﷺ، فقال عثمان يا رسول الله عليّ مائتا بعير بأحلاسها وأقتابها في سبيل الله ثم حضّ ﷺ فقال عثمان: يا رسول الله عليّ ثلاثمائة بعير بأحلاسها وأقتابها في سبيل الله ثم حضّ رسول الله ﷺ فقال عثمان: يا رسول الله عليّ أربعمائة بعير في سبيل الله فنزل ﷺ وهو يقول: «ما على عثمان ما فعل بعد هذه»(٢٩٥).

وفي رواية مشىٰ عليها الناظم حمل عثمان رضي الله عنه في جيش العسرة على ألف بعير وسبعين فرساً، واقتصاره على ذكر البعير لا ينافي ذكر الفرس في الرواية، لأن العدد لادلة له على نفي ما عداه كما تقرّر في الأصول، ويحتمل أنه مشىٰ على ما ذكره ابن سيد الناس من أن عثمان قال في غزوة تبوك: يا رسول الله عليّ جهاز من لا جهاز له، فجهّز المسلمين بألف بعير بأقتابها وأحلاسها، وتصدّق بأموال كانت له على المسلمين انتهىٰ.

ذا غير أموال له في الناس وهبها منهم لكي يواسي

وإلى قوله آخرا وتصدّق بأموال إلى آخره أشار بقوله (ذا) أي المذكور في غزوة تبوك من ألف بعير وكذا ألف دينار (غير أموال) كائنة (له) أي لعثمان

---

(٢٩٥) رواه الترمذي (٣٧٠١) من حديث عبدالرحمٰن بن خباب.

رضي الله عنه (في الناس) أي عليهم (وهَبَها) أي تلك الأموال التي كانت عليهم (منهم) وتصدّق بها يومئذ عليهم (كَيْ يواسي) أي ليواسيهم ويخفف عليهم يقال: واساه من ماله أي أناله منه، ويحتمل أن يكون ذا إشارة إلى أعم من تلك الأموال لأن له في الناس في كلّ عصر عطايا جمة لكثرة ماله جاهليةً وإسلاماً، ولما قدم النبيّ ﷺ المدينة ولم يكن بها ماء يستعذب غير بئر رومة، وكانت ليهودي قال: «من حفر بئر رومة أو اشتراها فله الجنة» فاشتراها عثمان بعشرين ألف درهم، وأنفق في تعميقها لزيادة الماء مالاً كثيراً، ثم تصدّق بها على المسلمين الضعيف منهم والقويّ فيها سواء، وصحّ عن أبي هريرة رضي الله عنه أنه قال: اشترىٰ عثمان الجنّة من النبيّ ﷺ مرتين حين حفر بئر رومة، وحين جهّز جيش العسرة، وكذلك صحّ أنه ﷺ قال: «من اشترىٰ هٰذا المِربَد ويزيده في مسجدنا فله الجنّة» قال عثمان: فاشتريته بعشرين ألف درهم وزدته في المسجد فيكون هذه مرة ثالثة.

وعندما جاءت له تجاره فرّقها من قبل تأتي داره
وكم له منقبة وفضل يضيق عن إيرادها المحل

(وعندما جاءت) أي قدمت ورجعت (له تجارة) أي من الشام وفيها برّ كثير وفي الناس قحط شديد، جاء التجار ليشتروا فأعطوه ربحاً كثيراً، فقال لهم عثمان رضي الله عنه: زادني غيركم، فقالوا: مَن زادك؟ ونحن تجار المدينة، قال: زادني الله عزّ وجلّ، فجعل لكل درهم عشرةً إلى أضعاف كثيرة، ثم قال: أشهدكم أني قد جعلت هذا كله صدقةً على الفقراء والمساكين رواه ابن سيد الناس.

وإليه أشار بقوله (فرّقها) أي ما في تلك التجارة (من قبل أن تأتي داره) أي قبل وصولها إليها، وصحّ أنّ الميرة انقطعت من المدينة فجاعت الناس

فاشترى خمس عشرة راحلةٍ طعاماً فأخذ ثلاثاً لنفسه وأعطىٰ النبيّ ﷺ اثنتي عشرة، فدعا له بالبركة فيما أعطىٰ وفيما أمسك (وكَمْ) أي كثير (له منقبة) بفتحتين بينهما سكون أي خصلة حميدة (وفضل، يضيق عن إيرادها المحلّ) أي ذات الشفاء لبنائها على غاية الاختصار، وزدنا على ما ذكره مناقب في أثناء الشرح كما عرفت، وممّا لم يذكر: أنه رابع أربعة في الإسلام وأنه ما مضىٰ [عليه] جمعة منذ أسلم إلاّ وأعتق فيها رقبةً، وأنه رفيقه ﷺ في الجنة، وأنه وليّه ﷺ في الدنيا وفي الآخرة، وأنه أول من هاجر إلى الله بأهله بعد لوط عليه السلام وذلك حين هاجر إلى الحبشة وغير ذلك، كما ثبت ذلك كله في الأحاديث.

(خلافة علي كرّم الله وجهه)

وبعده قد بايعوا عليّاً البطل المؤيّد المرضيا

خلافة علي بن أبي طالب كرّم الله وجهه (وبعده) أي بعد قتل عثمان رضي الله عنه (قد بايعوا) أي كبار المهاجرين والأنصار وغيرهم من جميع الصحابة، ويقال: إنّ طلحة والزبير بايعا كارِهَينِ غير طائعين (عليّاً) كرّم الله وجهه، وتلك المبايعة كانت لِغَدٍ من مقتل عثمان رضي الله عنه كما جزم به ابن حجر في أسنىٰ المطالب وغيره، أو بعد ثلاثة أيام، أو خمسة من قتله، كما قاله الدواني في شرح العقائد العضدية، قال: فقيل الخلافة بعد تمنّع كثير منها وقيل: غير ذلك[٢٩٦] (البطل) وهو بفتحتين الشجاع الذي تبطل عنده دماء الأقران (المؤيّد المرضيّا) من الله عزّ وجلّ إذ هو أحد السابقين المهاجرين والعلماء الربانيّين والشجعان المشهورين والزهاد المعروفين.

---

(٢٩٦) انظر شرح العضدية (٢/٢٨٤) للدواني.

(صفاته كرّم الله وجهه)

كان آدم شديد الأدمة عظيم العينين أقرب إلى القصر، ذا بطن، كثير الشعر، عريض اللحية، أصلع أبيض الرأس، لم يخضب إلاّ نادراً، كذا في صفوة ابن الجوزي، وفي ذخيرة [ذخائر] العقبى للمحب الطبري: كان ربعةً معتدلاً، أدعج العينين عظيمها، حسن الوجه كأنه قمر، عظيم البطن إلى السمن، وفي رواية: أغيد كأنّ عنقه بريق فضة أصلع ليس في رأسه شعر إلاّ من خلفه، شديد الساعد واليدين إذا مشىٰ إلى الحرب هرول، ما صارع أحداً إلاّ صرعه، خفيف المشي ضحوك السن.

فقـام في جـد وفي اجتهـاد ... يقصـد وجـه الله بـالسـداد
أول عـام الست ثم كـانـا ... نَـدِم مَـن لم ينصروا عثمانـا

(فقام) في أمور الخلافة (في) أي مع (جدّ) بكسر الجيم أي سعي بليغ (وفي اجتهاد) عطف تفسير، والأول في المصالح العامّة الدنيوية، والثاني في الأحكام الدينية (يَقصِد) بكسر الصاد أي يريد في ذلك (وجه) أي ذات (الله) تعالىٰ حال كونه ملتبساً (بالسّداد) بفتح السين هو الاستقامة في الدين كالسدد، وأمّا بكسرها فهو ما يسدّ به نحو المنفذ، ويحتمل أن يجعل الباء للسببية متعلقاً بقوله: يقصد أي ما ذكر من قيامه وقصده بسبب استقامته في دين الله وإخلاصه فيه، وفيه إيماء إلى أنه الإمام الحقّ، والمنازع له باغ عليه كما يأتي تقريره.

وفي شرح المقاصد عن بعض المتكلمين: أن الإجماع انعقد على كونه الحقيق بالخلافة بعد الأئمة الثلاثة، ووجه انعقاده الإجماع في زمن الشورىٰ علىٰ أنها له أو لعثمان، فحين خرج عثمان بقتله من البين بقيت لعلي إجماعاً.

قال إمام الحرمين: ولا عبرة بقول من قال: لا إجماع على إمامة علي، فإن

الخلافة لم تنكر له، وإنما هاجت الفتنة لأمور أخرىٰ وقوله (أول عام الست) وثلاثين ظرف لقوله المذكور فقام (ثم كانا) بألف الإطلاق أي ثم كان الشأن في أول العام المذكور (ندم) بكسر الدال أي حزن وتأسّف (من) أي الذين (لم ينصروا عثمانا) رضي الله عنه ورأوا أنهم قد قصروا في نصرته، فخرجوا على الإمام الحق عليّ كرّم الله وجهه للانتقام من قتله عثمان رضي الله عنه، واجتهدوا أن ذلك واجب عليهم، وأنّ علياً كرّم الله وجهه مقصر في حقّه، وهذا سبب لخروجهم، لا للطلب في الرياسة والنزاع في الإمامة وهم:

طلحة والزبير مع عائشة	فقام هؤلاء في طائفة
وقصدوا في السر نحو البصرة	لعل أن يحصل فيها النصرة
فساق من خلفهم الفتىٰ علي	وكان من ذلك يوم الجمل
أثارها جهال كل فرقة	أقبح بشأن الخِلف وما أشقه

(طلحة والزبير مع عائشة) وكانت عائشة بمكة، فخرج طلحة والزبير من المدينة إليها، فأخذاها (فقام هؤلاء في طائفة) من أتباعهم فخرجوا إلى العراق (وقصدوا) (في السير نحو البصرة) أي جهتها وطريقها (لعل) أي رجاء (أن يحصل فيها النصره) أي المعونة والإمداد من أهلها لما قصدوه من الانتقام من قتلة عثمان رضي الله عنه، وإنّما لم يأمر عليّ بذلك لأن قتلة عثمان رضي الله عنه التفّوا علىٰ عليّ وصاروا من رؤوس الملأ، وخاف أن ينتفض الناس لو انتقم منهم، ويحتمل أن علياً اجتهد أنه لا يستحق القتل إلاّ من باشر قتل عثمان رضي الله عنه دون محاصريه، وقد هرب المباشر لقتله في الحال كما مرّ، ويؤيده سؤال علي امرأة عثمان عن قاتله حتى قالت: لا أدري كما تقدم فتأمله، (فساق) أي سار بعسكره (من خلفهم) أي الخارجين (الفتى) الكريم (عليّ) بيان للفتىٰ وحذف الياء للوزن من المدينة إلى العراق، ومعه جميع رؤوس قتلة عثمان رضي

الله عنه، فلقي بالبصرة طلحة والزبير وعائشة ومن معهم (وكان من ذلك) وقعة (يوم الجمل) بلا علم ولا قصد للقتال وإنّما (أثارها) أي هيّج الفتنة والوقعة بالتحام القتال (جهّال كل فرقة) وغوغاؤهم من الجانبين، وخرج الأمر عن علي وعن طلحة والزبير وقتل من الفريقين نحو عشرين ألفاً كما قاله الذهبي في دول الإسلام (٢٩٧) وفي رواية: سبعة عشر ألفاً وفي أخرىٰ: ثلاثة عشر ألفاً، وفي أخرىٰ: ثمانية آلاف، وكانت الوقعة في جمادىٰ الأخرىٰ سنة ست وثلاثين، وذكر أنه قطع على خطام جمل عائشة رضي الله عنها سبعون يداً كلّما قطعت يد نابت عنها أخرىٰ، وقتل في تلك الوقعة طلحة والزبير، أمّا طلحة فوعظه عليّ كرّم الله وجهه، فتأخّر ووقف في بعض الصفوف، فجاءه سهم في ركبته فقتله، وسنه أربع وستون على الأشهر، ودفن بالبصرة، وجاءه عليّ فجعل يمسح التراب عن وجهه ويقول: رحمة الله عليك يا أبا محمد يعزّ عَلَيَّ أن أراك منجدلاً أي ساقطاً على الأرض.

وأمّا الزبير فدعاه عليّ لما تقاربت الصفوف وهو راكب بغلة رسول الله ﷺ، فأقبل الزبير إليه، حتىٰ اختلفت [أعناق] دوابها فقال له: نشدتك الله أتذكر يوم مرّ رسول الله ﷺ بك ونحن في مكان كذا، فقال يا زبير: «أتحب علياً؟» فقلت: ألا أحب ابن خالي وابن عمي وهو على ديني، فقال: «يا زبير والله لتقاتلنه وأنت ظالم له» فقال: بلىٰ والله نسيته منذ سمعته من رسول الله ﷺ، ثم ذكرته الآن، والله لا أقاتلك، ثم أدبر راجعاً فقال له: ولده عبدالله: ما بك؟ فذكر له القصة، فقال: لم تجيء للقتال بل لتصلح بين الناس.

وفي رواية: أنه قال له: جُبْناً جبناً، فقال: قد علم الناس أني لست بجبان، ولكن ذكّرني حديثاً فحلفت أن لا أقاتله، وفي رواية: أن سبب رجوعه أنه قال لأصحاب عليّ: أفيكم عمّار بن ياسر، قالوا: نعم، فأغمد سيفه، وقال: سمعت

---

(٢٩٧) دول الإسلام (١٥/١) للذهبي.

رسول الله ﷺ يقول له: «ستقتلك الفئة الباغية» وجمع بينهما بأنه قال ذلك أولاً ثم ذكّره عليّ بالحديث زيادة في إعلامه ثم سار الزبير، فلما وصل وادي السباع نام فجاءه رجل فقتله، وسنه سبع وستون سنة على الأشهر، وقال لابنه عبدالله قبل اجتماعه بعليّ: ما أراني إلاّ سأقتل اليوم مظلوماً، ثم أكّد عليه في أن يبيع ماله ويقضي دينه من أرضين له: منها الغابة، وبضع عشرة داراً، وقدر دينه ألفا ألف ومائتا ألف، وقد أخبر النبيّ ﷺ بوقعة الجمل وقتال عائشة والزبير علياً كما أخرجه الحاكم وصحّحه والبيهقي عن أم سلمة قالت:

ذكر رسول الله ﷺ خروج أمهات المؤمنين فضحكت عائشة فقال: «انظري يا حميراء أن لا تكوني أنت» ثم التفت إلى عليّ فقال إن وليت في أمرها شيئاً فارفق بها (٢٩٨).

وأخرج البزار وأبو نعيم عن ابن عباس رضي الله عنهما مرفوعاً: «أيّتكنّ صاحبة الجمل الأحمر تخرج حتىٰ ينبحها كلاب الحوءب، فيقتل حولها قتلىٰ كثيرة تنجو بعدما كادت تهلك» (٢٩٩).

وأخرج الحاكم وصحّحه البيهقي عن أبي الأسود قال: شهدت الزبير خرج يريد علياً فقال: أنشدك الله، هل سمعت رسول الله ﷺ يقول: «تقاتله وأنت له ظالم؟» فمضى الزبير منصرفاً وفي رواية لأبي يعلىٰ والبيهقي، فقال الزبير: ولكن نسيته (٣٠٠) فعلم من هذا ومما مرّ من الإجماع على إمامة عليّ أن من خرج

---

(٢٩٨) رواه الحاكم (١١٩/٣) وعنه البيهقي (٤١١/٦) قال الحافظ ابن كثير في البداية والنهاية (٢١٢/٦) وهذا حديث غريب جداً.

(٢٩٩) رواه البزار (٣٢٧٣ كشف الأستار) قال ابن أبي حاتم في العلل (٤٢٦/٢) عن أبيه: لم يرو هذا الحديث غير عصام، وهو حديث منكر، لا يروى من طريق غيره. ويقصد أنه حديث فرد لأن عصام ثقة. وصحّ الحديث من حديث عائشة، وانظر سلسلة الصحيحة (رقم٤٧٥) لشيخنا محمد ناصر الدين الألباني وفتح الباري (٥٥/١٣).

(٣٠٠) رواه الحاكم (٣٦٦/٣) والبيهقي في الدلائل (٤١٥/٦).

عليه باغٍ مجتهد مخطىء له أجر واحد، وعليّ مجتهد مصيب له أجران. وسيأتي إيضاحه وإلى ذلك أشار بقوله: (أقبِحْ بشأن الخِلفِ) بكسر الخاء [المعجمة] وضمّها بمعنى المخالفة، وأقبح من صيغ التعجب، أي ما أقبح شأن المخالفة والخروج عن الإمام الحق لكونه سبباً للفتنة وذهاب النفوس الشريفة (وما أشقه) صيغة تعجب أيضاً أي شيء عظيم جعله شاقاً وصعباً على الناس، وهو كالتأكيد لما قبله، ثم إن علياً كرّم الله وجهه أقام بعد وقعة الجمل بالبصرة خمس عشرة ليلة، ثم انصرف إلى الكوفة، ولما سمع معاوية بذلك خرج ومعه جيش الشام من الذين بايعوا معه على الطلب بدم عثمان رضي الله عنه وهم ستون ألفاً كما سبق، ومن غيرهم فبلغ ذلك علياً كرّم الله وجهه فسار إليه فالتقى الفريقان بصفّين.

(معركة صفين)

وعـــام سبـــع وثلاثيـــن غِيَر   فوقَعَت صفين أثناء صفـر
وبقـي الحرب عليهـا مـدة   والمسلمـون في أذىً وشـدة

التقى الفريقان بصفين كما قال: (وعام) بالنصب بتقدير في أي حصلت في عام (سبع وثلاثين غِيَر) بكسر الغين المعجمة وفتح الياء المثناة بمعنى الحوادث والشدائد، وفي القاموس: غير الدهر كعنب أحداثه، فهو مرفوع بالظرف أو خبر له على اختلاف القولين في مثله، ويجوز أن يجعل ماضياً من غبر الشيء بفتح المعجمة والباء الموحدة أي بقي إذ الغابر جاء بمعنى الباقي والماضي فهو من الأضداد كما في الصحاح وغيره، والضمير فيه عائد إلى الخلف المذكور أي وفي عام سبع وثلاثين غبر، وبقي الخلف والنزاع بين عليّ كرّم الله وجهه وبين الباغين عليه، وأن يجعل بفتحتين أيضاً اسماً بمعنى الغبار، كناية عن غبار الحروب وشدائده وأن يقرأ عَبَرَ بفتح المهملة والموحدة اسماً لسخنة في العين تبكيها، أي

وفي ذلك العام ما يسخّن عين كل أحد وتبكيها الشدّة ما وقع فيه، وأما جعل عام مبتدأ وعَبر ماضياً من العبور خبره كما في النسخ فلا يستقيم، لاقتضائه وقوع صفّين فيما بعد عام سبع وثلاثين، وهو خلاف ما صرحوا به إلاّ بتكلف، ثم فصّل ما أجمله بقوله (فوقعت صفين) بكسر المهملة وتشديد الفاء المكسورة أي وقعتها (أثناء) بفتح الهمزة الأولى ونصب الثانية أي في أثناء شهر (صفر) في القاموس صفّين كسجّين موضع قرب الرقة بشاطىء الفرات كانت به الوقعة العظيمة بين عليّ ومعاوية غرّة صفر سنة سبع وثلاثين، فمن ثمّة احترز الناس السفر في صفر، انتهىٰ.

ثم أقام الفريقان بصفّين (وبقي) أي استمر (الحرب) بينهما (عليها) أي في صفّين (مدة) مائة يوم وعشرة أيام حتى كانت بينهما تسعون وقعة كما في كتاب الخميس، وجيش عليّ تسعون ألفاً وجيش معاوية مائة ألف وعشرون ألفاً (والمسلمون) من الفريقين (في أذىً وشدة) لكثرة القتلىٰ فيه منهم، حتى ملّ الفريقان من القتال، وتداعيا إلى الحكومة كما يأتي.

فقد روينا عن فتىٰ سيرينا ... إن الذي عُدّ على صفّينا
سبعون ألفاً من قتيل ثمه ... كاد انتصار لعليّ أن يتم
فراغ للخداع فيها عمرو ... وفي خداع الحرب يأتي المكر

(فقد روينا) بالإسناد (عن) الإمام المحدث العابد الوارع ذي فنون من العلوم المكنّىٰ بأبي بكر مولىٰ أنس بن مالك وهو محمد (فتى سيرينا) أي ابنه، والفتىٰ يقال للشاب وللرجل الكريم، وألف سيرينا للإطلاق، قال خلف بن هشام: أعطي ابن سيرين هَدياً وصَمتاً وخشوعاً، فكان الناس إذا رأوه ذكروا الله تعالىٰ، وكان إذا سئل عن مسألة من الحلال والحرام تغير لونه ويقول: اللهم هذا رأيي، والرأي قد يخطىء ويصيب، مات سنة عشر ومائة عن سبع وسبعين سنة

(إن الذي) بمعنى الذين كما في قوله تعالىٰ: ﴿وخضتم كالذي خاضوا﴾ وهو لغة (عُدّ) بالبناء للمفعول أي عدّه الرواة من القتلىٰ (علىٰ) أي في وقائع (صِفّينا) (سبعون ألفاً) خبر أنّ وهو في الحقيقة خبر الذي باعتبار المعنىٰ، وإفراد الضمير في عدّ للحمل على اللفظ (مِن قتيل) بمعنى مقتول (ثَمَّ) بفتح المثلثة أي في صفّين (ثُمّ) حرف عطف (كاد) أي قرب (انتصار) وغلبة (لعلي) كرّم الله وجهه ولجيشه (أن يتمّ) بوزن يفرّ من المضاف، وتخفيف الميم فيه وفي ثم للوزن، لكن لم ينهزم أحد من الفريقين وظهر الضعف في جيش الشام (فراغ) من راغ يروغ أي مال (للخداع) مصدر خادع أي مال إلى المخادعة والمكر (فيها) أي في الوقعة أو في الخلافة حتى تتم لمعاوية (عمرو) بن العاص الصحابي الجليل كان من دهاة العرب معروفاً بجودة الرأي، وكان مع معاوية رضي الله عنهما، ولما كان فطنة أن يقال: كيف يجوز للصحابي الجليل المكر والخديعة مع أنه ورد «أن المكر والخديعة في النار»[٣٠١] أي صاحبها، دفعه بقوله: (وفي خداع الحرب) الخدع في الحرب أن تعمل حيلة ترفع الحرب من البين (يأتي المكر) أي يجوز لوجود المصلحة فيه.

أمَرَهم أن يرفعوا المصاحفا   يطلبوا التحكيم والتآلفا

ففي الصحيحين: «الحرب خدعة»[٣٠٢] روي بتثليث الخاء المعجمة والفتح أشهر، وبوزن هُمَزَة أي ينقض الحرب وينطفي بها، فإن قلت: الخداع بمعنى المكر كما مرّ فيكون المعنىٰ: وفي خداع الحرب يأتي الخداع، ولا معنىٰ له قلت: الأول مقيد والثاني مطلق فيكون المعنىٰ: أن المكر المطلق يأتي جوازه في هذه الصورة الخاصة (أمَرَهُمْ) أي عمرو بن العاص أهل الشام (أن يرفعوا المصاحفا)

(٣٠١) انظر مسند الشهاب الأحاديث (٢٥٣ و ٢٥٤ و ٣٥٤) وتعليقنا عليها.
(٣٠٢) انظر مسند الشهاب الأحاديث (٨ - ١٢) وتعليقنا عليها.

جع مصحف، فرفع أهل الشام المصاحف يدعون إلى ما فيها من طاعة الله ورسوله كيداً وحيلةً من عمرو بن العاص (و) أن (يطلبوا التحكيم) أي جعل أحد حكماً يحكم بينهم ويختار لهم خليفةً (والتألّفا) مصدر التفعّل بمعنى الصلح ورفع النزاع، ولما رأى الناس ذلك كرهوا الحرب وتداعوا إلى الصلح، لفرط سآمتهم من الحرب، فحكم عليّ وأهل الكوفة أبا موسى الأشعري ورضوا به، ومعاوية وأهل الشام عمرو بن العاص ورضوا به، وكتبوا بينهم كتاباً أن يوافوا رأس الحول بأذرُح بفتح الهمزة وسكون الذال المعجمة وضم الراء موضع بالشام بجنب جرباء موضع آخر به وغلط من قال: بين البلدين ثلاثة أيّام كما في القاموس، حتىٰ ينظروا في أمر الأمة، فتفرق الناس على هذا، ورجع معاوية إلى الشام وعليّ إلى الكوفة.

قال الذهبي في دول الإسلام: وعينوا للخلافة يوم الحكمين إلى مضيّ المدة عبدالله بن عمر رضي الله عنهما، ولما جرىٰ التحكيم بينه وبين أهل الشام غضب جمع كثير أكثر من عشرة آلاف من جيش علي وأنصاره وقالوا: لا حكم إلاّ لله لقوله تعالى﴿ إن الحكم إلا لله﴾ وأكفروا علياً بفعله ذلك واعتزلوه(٣٠٣) كما قال.

فكان ما قدر في الكتاب — وخرجت طوائف الكلاب
وهم أنصارٌ على علي — وكفّروه وهم الكفار

(فكان) أي وجد وظهر (ما قدّر) وجوده (في الكتاب) أي اللوح المحفوظ وأخبر به النبيّ ﷺ كما في الأحاديث (و) هو أنه (خرجت طوائف الكلاب) الإضافة بيانية إشارة إلى قوله ﷺ: [الخوارج كلاب النار] (على عليّ) متعلق

---

(٣٠٣) انظر دول الإسلام (١٥/١ - ١٦).

بخرجت أي خرجوا عن طاعته (وهُمُ) بضم الميم أي والحال أنّهم قبل ذلك (أنصار) له لكونهم من جيوشه وأعوانه قبل التحكيم (وكفّروه) من التكفير أي نسبوه إلى الكفر وهو [من] استعمال الفقهاء والمتكلمين كما في المصادر وغيره، وإلاّ فالذي ثبت في اللغة بمعنى ذلك، أكفره من باب الإفعال أي دعاه بالكفر ونسبه إليه، وإنما كفّروه أي علياً لرضاه بالتحكيم المذكور، وقالوا له: حكمت في دين الله والله يقول: إن الحكم إلاّ لله، (و) لكن الخوارج (هم الكفار) لتكفيرهم علياً الذي شهد له النبيّ ﷺ بأنه لا يبغضه إلا شقي، وأن الخوارج عليه كلاب النار وغير ذلك.

ثم عسكروا واجتمعوا بحروراء بالمدّ وقد يقصر بلد بالكوفة، وأظهروا الشقاق، وسفكوا الدماء وقطعوا الطرق كما قاله المحب الطبري، فبعث إليهم عبدالله بن عباس رضي الله عنهما ليبيّن لهم أنهم على الباطل، فخاصمهم وغلبهم بالحجة، فرجع منهم كثيرون وثبت الباقون، فساروا إلىٰ النهروان، فخرج إليهم عليّ بمن معه فعاتبهم ونصحهم، فأبوا إلاّ القتال فقاتلهم بالنهروان، واستأصل جمهورهم وقتلهم شر قتلة، ولم ينج منهم إلاّ القليل، وقتل كبيرهم ذا الثدية الذي أخبر به النبيّ ﷺ كما قال:

ووقعت بين الفريقين علىٰ	النهروان وقعة وقُتِلا
خلائق وذاك شأن الفتنة	سنة أربعين ليل الجمعة

(ووقعت) سنة ثمان وثلاثين (بين الفريقين) أي جيش عليّ كرّم الله وجهه وجيش الخوارج (علىٰ) أرض (النهروان) بفتح النون وضم الراء بُليدة قديمة بالقرب من بغداد، ولها عدة نواحي خربت كذا في لباب الإنسان لعزالدين الجزري، وفي أخبار الدول: نهروان كورة واسعة بين بغداد وواسط، وهو اسم للنهر الذي يشق في وسطه، كانت من أجل النواحي، أصابها عين الزمان

فخربت، وفي القاموس: النهروان بفتح النون وتثليث الراء وضمّها ثلاث قرىً أعلىٰ وأوسط وأسفل هنّ بين واسط وبغداد (وقعة) عظيمة وهو فاعل وقعت (وقُتِلا) بألف الإطلاق في تلك الوقعة (خلائق) أكثر من أربعة آلاف من الخوارج (وذاك) أي المذكور كله (شأن الفتنة) والنزاع مع الإمام الحق.

وأول الفتن منازعة عثمان رضي الله عنه وقتله كما مرّ، فأدّت إلى هذه المفاسد، ومن ثمة انعقد الإجماع بعد الصدر الأول على حرمة الخروج على الإمام، ولو كان جائراً تسكيناً للفتن، ولم يتهيأ للمسلمين في هذه السنين جهاد ولا فتح لشيء من بلاد الكفار، بل اشتغلوا بالفتنة، وكذلك وجد في زمان عليّ كرّم الله وجهه غلاة الرافضة، كعبدالله بن سبأ وجماعة معه.

وفي لباب الإنسان: النصيرية طائفة من غلاة الرافضة الشيعة نسبوا إلى رجل اسمه نصير، وكان في جماعة نحو سبعة عشر رجلاً زعموا: أن علياً كرّم الله وجهه هو الله تعالىٰ عن ذلك علواً كبيراً، وكان ذلك [في] زمن عليّ، فلمّا سمع مقالتهم أمرهم بالتوبة وتجديد الإسلام فامتنعوا فأمر بإحراقهم فأحرقوا، فقال بعضهم: تحققت أنه الله تعالىٰ فقد بلغنا أن النبي ﷺ قال: «لا يعذّب بالنار إلاّ ربّها» وهرب منهم نصير، واشتهر منهم هذا الكفر الشنيع نعوذ بالله منه، وفي أسنىٰ المطالب: لما فرغ عليّ من قتال الخوارج سنة ثمان وثلاثين اجتمع الناس من الفريقين بأذرح الموعود في شعبان هذه السنة، وحضرها سعد بن أبي وقّاص وعبدالله بن عمر وغيرهما من الصحابة.

واجتمع الحكمان: عمرو بن العاص، وأبو موسى الأشعري، فكاد عمرو أبا موسىٰ حتّىٰ وافقه أن كلاً منهما يخلع من حكّمه، ويختار للمسلمين خليفةً وأن أبا موسىٰ يتقدم بخلع عليّ ثم يخلع عمرو معاوية، فتقدم أبو موسىٰ وتكلّم ثم خلع علياً، ثم تكلم عمرو فأقرّ معاوية وبايع له، وتفرق الناس على هذا، وصار عليّ في خلاف من أصحابه حتّىٰ صار يعضّ علىٰ أصبعه ويقول: أعصى ويطاع معاوية،

وذلك لكونه الإمام الحقّ، وكون معاوية باغياً عليه وإن كان له أجر اجتهاده، ولم ينظر عليّ إلى ما وقع من أبي موسىٰ لأنه كان ناشئـاً عن مكر وخديعة، وما هو كذلك لا ينظر إليه ولا يعوّل عليه[٣٠٤] هذا، وما مرّ ملخص تلك الوقائع، وبسطها لا يسعها هذه العجالة على أن الاختصار هو اللائق لقوله ﷺ: «إذا

---

(٣٠٤) هذا كله من الكذب الصراح وروجه أعداء الإسلام والمؤرخون المغفلون، لأن معاوية لم يكن خليفة ولم يدع بالخلافة حتى يحتاج إلى خلعه، وإنما كان يطالب بحكم شرعي وهو إقامة الحد على قتلة عثمان رضي الله عنه. وإنما اتفق الحكمان على أن يعهد بأمر الخلافة على المسلمين إلى الموجودين على قيد الحياة من أعيان الصحابة الذين توفي رسول الله ﷺ وهو عنهم راض.

واعتقادنا في هذه المسألة هو ما يقول الإمام أحمد وأكثر أهل الحديث وأكثر أئمة الفقهاء، وقول أكابر الصحابة والتابعين لهم بإحسان. وهو أن الصواب أن لا يكون قتال، وكان ترك القتال خيراً للطائفتين، فليس في الاقتتال صواب، ولكن علي كان أقرب إلى الحق من معاوية، والقتال قتال فتنة، ليس بواجب ولا مستحب، وكان ترك القتال خيراً للطائفتين مع أن علياً كان أولى بالحق.

وهو قول عمران بن حصين رضي الله عنه، وكان ينهى عن بيع السلاح في ذلك القتال، ويقول: هو بيع السلاح في الفتنة، وهو قول أسامة بن زيد ومحمد بن مسلمة وابن عمر وسعد بن أبي وقاص وأكثر من بقي من السابقين الأولين من المهاجرين والأنصار رضي الله عنهم، ولهذا كان من مذهب أهل السنة الإمساك عمّا شجر بين الصحابة، فإنه قد ثبت فضائلهم، ووجبت محبتهم وموالاتهم.

وأبو موسى رضي الله عنه كان رجلاً تقياً فقيهاً عالماً، أرسله النبي ﷺ مع معاذ إلى اليمن قاضياً، وقدمه عمر وأثنى عليه بالفهم، واختصه بكتابه الشهير في القضاء، ولم يكن أبله كما صوره هؤلاء المؤرخون الذين يجمعون كل قول ويختلقون ما يشاؤون.

وأما عمرو بن العاص رضي الله عنه فقال فيه رسول الله ﷺ: «أسلم الناس وآمن عمرو بن العاص» وهذه منقبة عظيمة له، لا يجوز الطعن فيه، ولاسيما وقد علمت أنه لم يبايع لمعاوية كما زعم الإخباريون، بل اتفق هو وأبو موسى رضي الله عنهما على ما ذكرناه اجتهاداً منهما وليس اتباعاً للهوى.

نسأل الله العصمة.

وانظر العواصم من القواصم (ص ١٢٥ - ١٣١).

ذكر أصحابي فأمسكوا »(٣٠٥).

وقد صرّح الأئمة بوجوب الامتناع [الكف] عمّا شجر بين الصحابة، ووجوب اعتقاد أنهم مأجورون، وذلك لأنهم كلهم عدول باتفاق أهل السنة سواء من لابس الفتن أو من لم يلابسها كفتنة عثمان ووقعة الجمل وصفّين لوجوب إحسان الظن بهم، وحملاً لهم في ذلك على الاجتهاد، فإن تلك أمور مبناها عليه، وكل مجتهد مصيب، أو المصيب واحد وهو الأصح والمخطىء معذور ومأجور كما في الحديث، وقد ثبت ثناء الله وثناء رسوله عليهم كما في آيات وأحاديث مبينة في كتب الأصول وغيرها، قال ابن الأنباري: وليس المراد بعدالتهم ثبوت العصمة لهم واستحالة وقوع المعصية منهم، وإنّما المراد قبول رواياتهم لنا في أحكام ديننا من غير تكلّف بحثنا عن أسباب العدالة وطلب التزكية، ولم يثبت لنا إلى وقتنا هذا شيء يقدح في عدالتهم، فنحن على استصحاب ما كانوا عليه في زمنه ﷺ حتى يثبت خلافه، ولا التفات إلى ما يذكره بعض أهل السير، فإن ذلك لا يصحّ، وإن صحّ فله تأويل صحيح.

وما أحسن قول عمر بن عبدالعزيز: تلك دماء طهّر الله منها أيدينا فلا نلوّث بها ألسنتنا، وكيف يجوز الطعن في ديننا فمن طعن في الصحابة فقد طعن في دينه، فيجب سدّ الباب عنهم رأساً، لاسيّما الخوض في أمر معاوية وعمرو بن

---

(٣٠٥) رواه الطبراني في الكبير (١٠٤٤٨) وابن عدي في الكامل (٢٤٩٠/٧) من حديث ابن مسعود وكذا رواه أبو نعيم في الحلية (١٠٨/٤).

ورواه الطبراني في الكبير (١٤٢٧) وأبو طاهر الزيادي في ثلاثة مجالس من الأمالي (٢/٢٩١) من حديث ثوبان.

ورواه ابن عدي في الكامل (٢١٧٢/٦) والسهمي في تاريخ جرجان (ص٢٥٤ - ٢٥٥ و٣١٥) من حديث ابن عمر.

ورواه عبدالرزاق في الأمالي (١/٣٩/٢) من مرسل طاووس، ولهذه الطرق والمتابعات فهو حديث حسن.

العاص وأمثالها، ولا تغتر بما نقله بعض الروافض عن أهل البيت من كراهيتهم لهؤلاء، قال المحقق الكمال بن أبي شريف في حاشية جمع الجوامع: وليس المراد بما شجر بين عليّ ومعاوية المنازعة في الإمارة كما توهّمه بعضهم، وإنما كانت المنازعة بسبب تسليم قتلة عثمان رضي الله عنه إلى عشيرته ليقتصوا منهم، فإن علياً رأىٰ أن تأخير تسليمهم أصوب إذ المبادرة بالقبض عليهم مع كثرة عشائرهم واختلاطهم بالعسكر يؤدي إلى اضطراب أمر الإمامة العامة، فإن بعضهم عزم على الخروج على الإمام علي كرّم الله وجهه، كما نادىٰ يوم الجمل بأن يخرج عنه قتلة عثمان.

ومعاوية رأىٰ أنّ المبادرة إلى تسليمهم للاقتصاص منهم أصوب، فكل منهما مجتهد مأجور. فهذا هو المراد بما شجر بينهم انتهىٰ.

وإلى ذلك أشار الشيباني في عقيدته بقوله:

ونسكت عن حرب الصحابة فالذي جرىٰ بينهم كان اجتهاداً مجرّداً
وقد صحّ في الأخبار أن قتيلهم وقاتلهم في جنّة الخلد خلّدا

فإن قلت: ما معنى قول الأئمة: يجب الإمساك عمّا شجر بينهم [بين الصحابة]، فإن كان المراد عدم معرفة أخبارهم وسيرهم فقد دوّنها الأئمة في كتبهم وبينوها، وإن كان المراد عدم تفضيل بعضهم على بعض، فقد صرّحوا بأن المحق في ذلك عليّ، ومعاوية ونحوه باغ عليه مأجور في اجتهاده، قلت: قال المحقق ابن حجر في كتاب الأصلين والتصوّف ما معناه: أنه يجب علىٰ عالم متأهل إعطاء كل منهم ما يستحقه شرعاً، وغيره يلزمه اعتقاد ما عليه أهل السنة فيهم تفصيلاً إن سهل عليه، وإلاّ فإجمالاً أي بأن يعتقد أنهم مجتهدون مأجورون من غير اعتقاد فسق واحد منهم، أو جواز لعن عليه كما يعتقده الجهلة، لا أنه يجب الكف عن معرفة أخبارهم وسيرهم، إلاّ لمن خشي عليه من معرفتها أن يعتقد في

بعضهم ما لا يليق به كما هو الغالب على العوام عند سماعها ممن لا يبيّن لهم الحق عند أهل السنة في مشكلها فتأمله، فإنه الحق الذي تشهد له القواعد، ولهذا لم يبالوا بإطلاق الوجوب الموهم انتهىٰ كلامه فاحفظه فإنه نفيس.

ويستفاد منه أن الواجب على العوام أن لا يسمعوا ذلك إلاّ من عالم ماهر يبين لهم الحقّ عند أهل السنة، ثم لما طال النزاع بين معاوية وعليّ رضي الله عنهما واشتدّ الخلاف على الناس اجتمع ثلاثة من الخوارج بمكة، وهم: عبدالرحمٰن بن ملجم المرادي (٣٠٦) وآخران تميميان وتعاهدوا وتعاقدوا ليقتلُنّ هٰؤلاء الثلاثة عليّاً ومعاوية وعمرو بن العاص لتنطفىء الفتنة ويستريح العباد، فقال ابن ملجم: أنا لكم بعليّ، وقال آخر: أنا لكم بمعاوية، وآخر: أنا لكم بعمرو بن العاص، وتعاهدوا على أن يكون ذلك ليلة حادي عشر أو سابع عشر من رمضان، ثم توجه كل منهم إلى البلد الذي فيه صاحبه، فقدم ابن ملجم الكوفة، فلقي أصحابه من الخوارج فكاتمهم ما يريده، واستمرّ إلى ليلة الجمعة سابع عشر رمضان سنة أربعين كما جزم به ابن حجر في عدة كتب خلاف ما يأتي من الناظم، فلم ينم عليّ تلك الليلة وهو يدخل ويخرج، وينظر إلى السماء على خلاف عادته، ويقول: والله ما كَذَبتُ ولا كُذِبت، وإنها الليلة التي وُعِدْتُ وقال لابنه الحسن في السحر: رأيت الليلة رسول الله ﷺ فقلت: يا رسول الله ما لقيت من أمر أمّتك، فقال: ادعُ الله عليهم، فقلت: اللهم أبدلني بهم خيراً لي منهم وأبدِ لهم شراً لهم منّي، وأقبل عليه الإوزّ يَصِحْنَ في وجهه فَطَرَدَهُنَّ، فقال: دعوهنّ فإنهنّ نوائح، فدخل المؤذن فقال: الصلاةُ، فخرج عليّ من الباب ينادي: أيها الناس الصلاة الصلاة، فشدّ عليه شبيب الخارجي الموافق لابن الملجم في قتله،

---

(٣٠٦) عبدالرحمن بن ملجم مرادي من عرب اليمن وليس فارسياً كما زعمه بعض الجهلة المعاصرين.

وانظر في كلمة المرادي اللباب لابن الأثير.

فضربه بالسيف فوقع سيفه بالباب، ثم ضربه ابن ملجم بسيفه فأصاب جبهته إلى قرنه، ووصل دماغه علىٰ الكيفية التي أخبر بها النبيّ ﷺ كما يأتي، أمّا شبيب فدخل منزله ودخل عليه رجل من بني أمية فقتله، وأمّا ابن ملجم فهرب وشدّ عليه الناس من كل جانب، فلحقه رجل من هَمْدان، فطرح عليه قطيفةً ثم صرعه وأخذ السيف منه، وجاء به إلىٰ عليّ فنظر إليه وقال: النفس بالنفس، إذا مت فاقتلوه، وإن سلمت رأيت فيه رأيي، وفي رواية: فالجروح قصاص فأمسكه وأوثقه وإلى ذلك أشار الناظم بقوله.

(استشهاد عليّ كرّم الله وجهه)

(سنة أربعين) من الهجرة (ليل) بدل بعض مما قبله ظرف قتل الآتي (الجمعة) أي في صبح ليلة الجمعة كما عرفت، وإنما أطلق عليه الليل لبقاء ظلمته وقت الفجر ومجاورته له.

سابع عشر رمضان قتلا ... عليّ الشهيد أشرف الملا
قتله أشقىٰ الورىٰ ابن ملجم ... فَلْيُهنَ بالخلود في جهنّم

(سابع) نعت لليل أو حال منه، وفي جواز إضافته إلى (عشر) كلام مرّ، وهو مضاف بحذف النون إلى (رمضان قتلا) مجهول بألف الإطلاق (عليّ الشهيد) بشهادة النبيّ ﷺ له بذلك في أحاديث، منها: ما أخرجه أبو يعلىٰ عن عائشة رضي الله عنها أنها قالت: رأيت النبيّ ﷺ التزم علياً وقبّله وهو يقول له: «بأبي الوحيد الشهيد [بأبي الوحيد الشهيد]»(٣٠٧). (أشرف الملا) بقلب الهمزة ألفاً، والملأ الجماعة والأشراف والقوم.

وفي حديث البيهقي وغيره أنه ﷺ قال: «أنا سيد العالمين، وعليّ سيد

---

(٣٠٧) قال الحافظ الهيثمي في مجمع الزوائد (٩/١٣٨) وفيه من لم أعرفه.

العرب »[٣٠٨] وهو ضعيف بل رمي بالوضع، وبفرض صحته حملوا سيادته لهم على أنها من حيث النسب أو نحوه فلا ينافي تفضيل الخلفاء الثلاثة قبله عليه للأدلة الصريحة في ذلك (قتله أشقىٰ الورىٰ) أي الخلق وذلك الأشقىٰ هو عبدالرحمٰن (ابن ملجم) المرادي كما مرّ.

أخرج الإمام أحمد والحاكم بسند صحيح عن عمار بن ياسر أن النبي ﷺ قال لعلي: أشقى الناس رجلان: أحيمر ثمود الذي عقر الناقة والذي يضربك يا عليّ على هذه يعني قرنه حتّىٰ يبل منه هذه يعني لحيته، وروي بطرق أُخَر، وروى الطبراني وأبو يعلىٰ بسند؛ رجاله ثقاة إلا واحداً منهم فإنه موثق أيضاً: أنه ﷺ قال له يوماً: من أشقىٰ الأولين قال: الذي عقر الناقة يا رسول الله، قال: صدقت، قال فمن أشقى الآخرين؟ قال: لا علم لي به، قال الذي يضربك على هذه وأشار ﷺ إلى يافوخه، فكان عليّ رضي الله يقول لأهل العراق أي عند تضجره منهم وددت أنه قد انبعث أشقاكم فخضب هذه يعني لحيته من هذه ووضع يده على مقدم رأسه[٣٠٩] (فليُهنَ) بـالبناء للمفعول أي فليسرّ وليبشّـر (بالخلود) السرمدي (في) دركات (جهنم) وهذا تهكم به واستهزاء كقوله تعالىٰ [فبشّرهم بعذاب أليم]، ثم إنّ علياً كرّم الله وجهه أقام بعد ضربه يوم الجمعة والسبت، وتوفّي ليلة الأحد، وغسله الحسن والحسين وعبدالله بن جعفر ومحمد بن حنفية يصبّ الماء، وصلّىٰ عليه الحسن وكبّر سبعاً، ودفن بدار الإمارة بالكوفة ليلاً، أو بالقرىٰ موضع يزار الآن، أو بين موضعه أي منزله والجامع الأعظم فيه أقوال، ثم قطعت أطراف ابن ملجم وجعل في قوصرة وأحرق بالنار، وكان

---

(٣٠٨) رواه الحاكم (١٢٤/٣) وهو حديث موضوع.

(٣٠٩) رواه أحمد (٢٦٣/٤ و٢٦٤) والحاكم (١٤٠/٣ ـ ١٤١) وصحّحه على شرط مسلم ووافقه الذهبي.

رضي الله عنه في شهر رمضان الذي قتل فيه، يفطر ليلة عند الحسن، وليلة عند الحسين، وليلة عند عبدالله بن جعفر، ولا يزيد على ثلاثة لقم، ويقول: أحب أن ألقىٰ الله وأنا خميص، وقيل: إن اللعين ابن ملجم عشق خارجية اسمها قطام، فاشترطت عليه أن يصدقها ثلاثة آلاف درهم، وعبداً، وقينة، وقتل عليّ كرّم الله وجهه.

وفي أسنى المطالب بعد ذكره لهذا: ولا مانع من أن سبب قتله مركب من هذا وما مرّ وعمّى قبره رضي الله عنه لئلا ينبشه الخوارج، وقال شريك: نقله الحسن إلى المدينة.

وفي رواية أخرجها ابن عساكر: أنهم حملوه ليدفنوه مع رسول الله ﷺ، فبينما هم في مسيرهم إذ ندّ الجمل الذي هو عليه فلم يُدرَ أين ذهب، ولم يقدر عليه، فلذلك قال بعض الشيعة: إنه في السحاب. والأصح أنّ عمره ثلاث وستون. ولما مدح بعض الخوارج وهو عمرو بن حطّان ابنَ ملجم في قتله لعلي كرّم الله وجهه يقول:

يا ضربةً من تقي ما أراد بها ... إلاّ ليبلغ من ذي العرش رضوانا
إني لأذكر يوماً فأحسبه ... أوفىٰ البرية عند الله ميزانا
أكْرِمْ بِقَومٍ يطوف الأرض أقبرهم ... لم يخلطوا دينهم بغياً وعدوانا

وبلغ ذلك إمام الشافعية القاضي أبا الطّيب الطبري أجابه بقوله:

إني لأبرأ مما كنت قائله ... في ابن ملجم ذا الملعون بهتانا
إني لأذكره يوماً فألعنه ... دينا وألعن عمرو بن حطّان
عليك ثم عليه الدهر متصلاً ... لعائن الله إسراراً وإعلانا
فأنتم من كلاب النار جاء لنا ... نص الشريعة برهاناً وتبيانا

(ذكر شيء من مناقبه رضي الله عنه)

ماذا يقول الشخص في وصف عليّ   وفضله جا في الكتاب المنزلِ

ذكر شيء من مناقب أسد الله الغالب كرّم الله وجهه ورضي الله عنه (ماذا يقول الشخص) أي المادح لعليّ كرّم الله وجهه، أي لا يقدر على حصر ما ورد (في) بيان (وصف عليّ) بتخفيف الياء وذلك لكثرة فضائله ومآثره وكراماته وكلماته الحكيمة وكثرة ثناء الصحابة [والسلف] عليه مما لا تحتمله هذه العجالة، حتىٰ قال الإمام أحمد: ما جاء لأحد من الفضائل مثل ما جاء لعلي.

وقال النسائي وغيره: لم يُروَ [يرد] في حقّ أحد من الصحابة بالأسانيد الحسان أكثر مما جاء في عليّ قال بعض الأئمة: وسبب ذلك والله أعلم أن الله تعالىٰ أطلع نبيّه ﷺ علىٰ ما كان وما يكون بعده، مما ابتلي به من المنازعة، وخروج الخوارج عليه، وكثرة أعدائه، فاقتضى ذلك إشهار فضائله نصحاً للأمة لتحصل النجاة لمن تمسّك بها ممن بلغته (وفضله جا) بالقصر أي جاء من الله (في الكتاب) أي القرآن (المنزل) عن ابن عباس رضي الله عنهما قال:

كان عند عليّ أربعة دراهم فتصدق بدرهم ليلاً وبدرهم نهاراً وبدرهم سرّاً وبدرهم جهراً فأنزل الله تعالىٰ فيه ﴿الذين ينفقون أموالهم بالليل والنهار سراً وعلانية فلهم أجرهم عند ربّهم ولا خوف عليهم ولا هم يحزنون﴾(٣١٠) وذكر المفسرون أنّ علياً رضي الله عنه كان يصلي فسأله سائل فأعطاه خاتمه راكعاً، فأنزل الله تعالىٰ ﴿ إنما وليكم الله ورسوله والذين آمنوا الذين يقيمون الصلاة

---

(٣١٠) ذكره الرافضي من رواية الثعلبي، فردّه شيخ الإسلام ابن تيمية في منهاج السنة (٤/٦٢) وقال:

إن هذا كذب ليس بثابت، فراجعه فإنه فصل القول في ذلك.

ويؤتون الزكاة وهم راكعون﴾ .(٣١١) قال الأئمة: والمراد بالولي المحب والناصر، وبالذين يقيمون الصلاة الآية عليّ وأمثاله، فلا شاهد للشيعة في الآية على أن المراد بالولي: المتصرف في أمور المسلمين، حتى يلزم منه أنه الخليفة بعده ﷺ، وتوضيح الردّ عليهم في الكتب الكلامية، وغير ذلك من الآيات.

أليس قال المصطفىٰ لحيدرٍ قال في الراية يوم خيبرِ

(أليس قال المصطفى) ﷺ، همزة الاستفهام للإنكار أي أنه قال، لأن إنكار النفي نفي له ونفي النفي إثبات، وهذا مراد من قال في مثله: الهمزة للتقرير، أي لحمل المخاطب على الإقرار بما دخله النفي، وهو هنا أنه قال (لحيدر) الحيدر والحيدرة الأسد والغلام السمين أو الحسن الجميل كما في القاموس. روي أنه لما ولد كان أبوه غائباً وسمته أمه بحيدرة، فلما رجع أبوه سمّاه علياً، ومما اشتهر عنه في كتب السير أنه قال لمرحب اليهودي يوم خيبر:

أنا الذي سمتني أمي حيدرة كليث غابات كريه المنظرة

فعلىٰ هذا يكون حيدر في النظم محذوف التاء (ما قال) أي الذي قاله (في الراية) أي العلم (يوم خيبر) ظرف قال، أو نعت للراية، والإبهام في الموصول للتفخيم مثل﴿ فغشيهم من ٱليمّ ما غشيهم﴾ وهو ما في الصحيحين وغيرهما أنه ﷺ قال يوم خيبر: «لأعطين الراية غداً رجلاً يفتح الله على يديه يحب الله ورسوله ويحبه الله ورسوله، فلما أصبح أعطاها لعلي كما مرّ في غزوة خيبر.

---

(٣١١) هذا أيضاً كذب، انظر منهاج السنة (٢/٤ - ٩) لشيخ الإسلام ابن تيمية.

أليس لا يحبه الاّ تقي ولم يكن يبغضه إلا شقي
ألم يكن من النبيّ بمنزله هارون من موسىٰ كما قد قال له

(أليس) الشأن أنه (لا يحبّه إلاّ) رجل (تقي) بتخفيف الياء بمعنى المتقي، بلىٰ إنه لا يحبّه إلاّ مؤمن تقي (ولم يكن يبغضه) بضم الياء يقال أبغضه أي مقته (إلاّ شقي) منافق، أخرج مسلم عن عليّ كرّم الله وجهه أنه قال: «والذي فلق الحبة وبرأ النسمة إنّه لعهد النبيّ الأمّي [إلي] أنه لا يحبني إلاّ مؤمن ولا يبغضني إلاّ منافق»(٣١٢).

وأخرج الترمذي عن أبي سعيد الخدري قال: كنّا لنعرف المنافقين ببغضهم علي بن أبن طالب(٣١٣). (ألم يكن) عليّ كرّم الله وجهه (من) جهة (النبيّ) بتخفيف الياء للوزن (بمنزلة هارون) مضاف إليه أي بالمنزلة الكائنة له (من) جهة (موسىٰ) بلىٰ إنه كذلك (كما قد قال) ﷺ (له) أي لعليّ ذلك يوم استخلفه في غزوة تبوك.

روىٰ الشيخان والإمام أحمد والبزار والطبراني أن رسول الله ﷺ خلّف عليّ ابن أبي طالب في غزوة تبوك فقال: يا رسول الله: تخلّفني في النساء والصبيان؟ فقال: «أما ترضىٰ أن تكون منّي بمنزلة هارون من موسىٰ إلا أنه لا نبي بعدي»(٣١٤) واستخلافه على المدينة لا يستلزم أولويته بالخلافة بعده ﷺ من كل معاصريه، كما تقوله الشيعة، بل يقتضي أن له بعض المنازل الكائنة لهارون من موسىٰ عليهما السلام، وأنه أهل للإمامة في الجملة، كيف؟ وقد استخلف

(٣١٢) رواه مسلم (٧٨) والترمذي (٣٧٣٧) والنسائي (١١٧/٨).
(٣١٣) رواه الترمذي (٣٧١٨).
(٣١٤) رواه البخاري (٣٧٠٦ و٤٤١٦) ومسلم (٢٤٠٤) والترمذي (٣٧٣١) من حديث سعد ابن أبي وقاص وكذلك أحمد (١٧٠/١ و١٧٣ و١٧٤ - ١٧٥ و١٧٥ و١٧٧ و١٧٩ و١٨٢ - ١٨٣ و١٨٤ و١٨٥).

ﷺ على المدينة مراراً غيره، ولم يلزم من ذلك أنه أولىٰ بالخلافة بعده، وزعم الآمدي أن الحديث غير صحيح، مردود بتصحيح أئمة الحديث له.

وصحّ من قول النبيّ المرسلِ من كنتُ مولاه فمولاه علي

(وصحّ) حال كونه بعضاً (من قول النبي المرسل) إلى العالمين ﷺ (مَن كنت مولاه) أي حبيبه وناصره (فمولاه عليّ) أي حبيبه وناصره عليّ كرّم الله وجهه، فهو حبيبنا وسيّدنا، ولم يعهد لغةً ولا شرعاً كون الولي بمعنى الإمام حتّى يكون نصّاً في خلافة عليّ بعده ﷺ كما زعمته الشيعة الشنيعة كما [كذا] في شرح الطوالع، وفيه أيضاً أن أحداً من أئمة العربية لم يذكر: أن مَفعلاً جاء بمعنى أفعل حتّىٰ يكون المولىٰ بمعنى الأولىٰ للإمامة والتصرف كما زعموه أيضاً، ولئن سلّم فهو الأولىٰ في غير الإمامة كالقرابة ونحوها، ولئن سلّم فهو الأولىٰ بالإمامة في المآل بعد الأئمة الثلاثة قبله، وذلك أنه ﷺ قال يوم غدير خُمّ بضم الخاء والميم المشددة، وهو موضع على ثلاثة أميال من الجحفة بين الحرمين مرجعه من حجّة الوداع بعد أن جمع الصحابة وأقبل عليهم:

« ألست أولىٰ بكم من أنفسكم؟ » ثلاثاً وهم يجيبون في كل مرة بالتصديق والاعتراف، ثم رفع يد عليّ وقال: « من كنت مولاه فعليّ مولاه، اللهم والِ مَن والاه وعادِ من عاداه، وأحب من أحبّه وأبغض من أبغضه، وانصر من نصره، واخذل من خذله، وأدِرِ الحقّ من حيث دار ». وأخرجه جماعة كالترمذي والنسائي والإمام أحمد وطرقه كثيرة جدّاً حتّىٰ رواه ستة عشر صحابياً وفي رواية لأحمد أنه سمعه من النبيّ ﷺ ثلاثون صحابياً، وشهدوا به لعليّ لما توزع أيام خلافته، وكثير من أسانيده صحاح وحسان(٣١٥)، وبذلك ردّوا على جماعة

(٣١٥) لم أر في طريق من طرقه « وأدر الحق من حيث دار » وأما « وانصر من نصره واخذل من ـ

طاعنين في صحته كأبي داود السجستاني وأبي حاتم الرازي وغيرهم.

وقـولـهِ قـم يـا أبـا تـرابِ ويوم أعطىٰ درعه الأعـرابي
ويـوم بيـت المال وهـو ممتلي فـرّقـه وقـولـه في العسـلِ

(و) صحّ أيضاً من (قوله) ﷺ لعليّ ملاطفاً له وماسحاً عنه التراب (قم يا أبا تراب).

روى الشيخان عن سهل أنّ النبي ﷺ وجد علياً مضطجعاً في المسجد وقد سقط رداءه عن شقه فأصابه تراب، فجعل النبي ﷺ يمسح التراب عنه ويقول: «قم يا أبا تراب»[٣١٦]. فلهذا كانت هذه الكنية أحب الكُنىٰ إليه، لأنه صلى الله كنّـاه بها (و) ذكر فضله (يوم أعطىٰ) عليّ كرّم الله وجهه (درعه الأعرابي) السائل منه شيئاً فلم يجده فأعطاه درعه، قوله الأعرابي مفعول ثانٍ وخفّف ياؤه للوزن.

روي أن علياً كرّم الله وجهه كان يوماً جالساً على الفرات فأتاه أعرابي من بني أسد فقال: يا أمير المؤمنين والله ما تركت في بيتي شيئاً فأعطني، قال: أوليس قد أعطيتك إعطاءك قال: بلىٰ ولكنه نَفد، قال: لا يجوز لنا أن نعطيك حتى نعطي الناس، قال أعطني من مالك، قال: والله ما أصبح في بيتي فضلة عن قوتي، فولّىٰ الأعرابي وهو يقول: والله لتسألنّ عن وقوفي بين يديك يوم القيامة، فبكىٰ عليّ بكاءً شديداً وقال لغلامه: ائتني بدرعي الفلانية فدفعها إلى الأعرابي،

= خذله» فقد ورد من حديث علي، قال شيخنا في سلسلة الصحيحة (٣٤٤/٤) ففي ثبوته عندي وقفة، وانظر سلسلة الصحيحة (٣٣٠/٤ - ٣٤٤) فإنه فيه تخريج جميع طرق الحديث وألفاظه. وعند البزار (٢٥٤٢) كشف الأستار «وأحب من أحبه وأبغض من أبغضه».

(٣١٦) رواه البخاري (٤٤١ و٣٧٠٣ و٦٢٠٤ و٦٢٨٠) ومسلم (٢٤٠٩).

وقال له: لا تَخدعنّ عنها، فطال ما كشفت بها الكرب، عن رسول الله ﷺ، فقال له قنبر مولاه: كان يكفي هذا عشرون درهماً، فقال: والله ما يسرّني أن لي بها زنة الدنيا فضّةً وذهباً، وإن الله تعالىٰ يسألني عن موقفه بين يديّ يوم القيامة (و) اذكر هذه وفضله أيضاً (يوم) جاءه رجل فأخبره بامتلاء (بيت المال) من صفراء وبيضاء أي الذهب والفضة، فقال. الله أكبر، ثم قام حتى وقف على بيت المال (وهو ممتلي) من المال فقال: ائتوني بأشياع الكوفة فنودي في الناس فأعطاهمُ (فرّقه) عليهم حتى لم يبق دينار ولا درهم إلاّ أخرجه وهو يقول: يا صفراء يا بيضاء غرّا غيري، ثم أمر بنضح البيت الذي فيه المال وصلّى فيه ركعتين (و) اذكر أيضاً (قوله) الدال على كمال عدله وزهده (في العسل) الذي جاءه من اليمن من بيت المال.

روي الفُقَيميّ عن قنبر مولىٰ علي كرّم الله وجهه قال: دعاني الحسن بن علي رضي الله عنهما فقال لي: يا قنبر عندي أربع نسوة حرائر والله ما بقي في بيت واحدة منهن فضل عن قوتها، فاستلقِ لي درهماً اشتري به طعاماً لهٰذا الضيف، فأتيته بدرهم واشتريت به طعاماً، فقال: هذا الطعام يعني الخبز فأين الأدم؟ ثم قال: هٰذه زقّ عسل جاءت من اليمن، فأعطنا منها مقدار ما يأتدم به الضيف، فقلت: كيف أعطيك قبل أن يقسمها أمير المؤمنين، فقال: إن لنا فيها حقاً فإذا أعطانا حقّنا رددنا ما أخذنا، قال قنبر: فقمت إلىٰ زق منها فأخذت منه مقدار رطل، فلما كان من الغد جاء علي كرّم الله وجهه ليقسم العسل، فلمّا نظر إلىٰ ذلك الزّق قال: يا قنبر حدث في هذا حدثٌ، فأخبرته بالقصة فغضب وقال: عليّ بالحسن فأتي به فرفع الدّرة [عليه] ليضربه. فأقسم عليه حتى سكن غضبه فقال: ما حملك على ما صنعت؟ أخذت من العسل قبل أن أقسمه، فقال: يا أمير المؤمنين إنّ لنا فيه حقاً، فإذا أعطيتنا رددنا ما أخذنا، فقال: فداك أبوك ليس لك أن تنتفع بحقك قبل المسلمين، لولا أني رأيت رسول الله ﷺ يقبل هذا منك لأوجعتك ضرباً، ثم دفع إلى قنبر درهماً ليشتري به أجود عسل، ففعل

ثم أمره أن يفرغه في الزّق وعليّ يبكي، ويقول: اللهم اغفرها للحسن، فإنه لم يعلم.

تالله إن فضله لا يحصىٰ ووصفه الجميل لا يُستقصىٰ

(تالله إن فضله لا يُحصىٰ) كما أشرنا إلى ذلك أولاً (ووصفه الجميل لا يستقصىٰ) إطناب للمدح.

(خلافة الحسن بن عليّ رضي الله عنهما)

وقام بعده ابنه السبط الحسن ونجل صخر في الخلاف ما سكن
سنة إحدىٰ في ربيع الآخر تنازل الجمعان بالعسكر
قريب الأنبار بأرض مسكن وظهر القدر بجيش الحسن

(وقام) بالخلافة والولاية بمبايعة أهل الكوفة أجمعين (بعده) أي بعد قتل عليّ كرّم الله وجهه (ابنه) فاعل قام وهو (السبط) بكسر السين وسكون الباء أي سبط رسول الله ﷺ وريحانته، والسبط لغة ابن بنت الرجل (الحسن) عطف بيان وهو آخر الخلفاء الراشدين، وخلافته حقّ وصدق بنص جدّه ﷺ عليها كما سيأتي بيانه، وبإجماع أهل الكوفة كما مرّ، ومن ثمة لما قال في خطبة الصلح الآتي: إن معاوية نازعني حقاً هو لي دونه الخ، أقرّ له معاوية بذلك ولم يردّ عليه، وإلى ذلك أشار بقوله: (ونجل صخر) أي معاوية بن أبي سفيان بن صخر ابن حرب، والنجل بالنون والجيم الولد كما مرّ (في الخلاف) أي المخالفة والنزاع مع الإمام (ما سكن) بل استمرّ على ذلك، ثم إن الحسن رضي الله عنه أقام بالخلافة ستة أشهر، وبعد ذلك سار إلى معاوية في أربعين ألفاً أو أكثر (سنة إحدى) وأربعين (في) شهر (ربيع الآخر) وقيل في شهر ربيع الأول وقيل في جمادى الأولى، وسار إليه معاوية بجمع عظيم، ثم (تنازل الجمعان) أي جماعة

الحسن وجماعة معاوية رضي الله عنهما، حال كون كل من الجمعين ملتبسين (بالعساكر) المختلفة من قبائل شتىٰ (قريبَ) منصوب بتقدير في ظرف تنازل أي في موضع قريب (الأنبار) بنقل حركة الهمزة، إلى اللام للوزن وبالنون الساكنة مدينة قديمة أول بلاد العراق على شاطىء الفرات، أقام بها السفاح أول خلفاء بني عباس إلى أن مات وقوله: (بأرض مسكِن) بدل من قريب والإضافة للبيان، في القاموس: ومسكن بوزن مسجد موضع بأرض الكوفة (وظهر الغدر) بفتح الغين المعجمة الخيانة وعدم الوفاء بالعهد (بجيش الحسن) وهذا الكلام يوهم أن الذين بايعوه ظهر من بعضهم الخيانة، وكان ذلك مؤيداً لاختيار الصلح، ويؤيده: ما روي أنّ أخاه الحسين رضي الله عنه، لما أراد المسير إلى أهل الكوفة ليبايعوه حين خروجه على يزيد، نهاه ابن عباس رضي الله عنهما، وبين له غدرهم وقتلهم لأبيه وخذلانهم لأخيه، فأبىٰ فبكىٰ ابن عباس وقال: واحسيناه.

والذي يأتي عن البخاري يدل على أن اختيار الصلح لمجرد حقن دماء المسلمين، لا مع ضعف وخيانة بجيشه فتأمله وفي كتب السير ولما تراآ أي الجمعان علم الحسن أنه لن يغلب إحدى الفئتين حتىٰ يذهب أكثر الأخرى، فكتب إلى معاوية يخبره بأنه يصير الأمر إليه على أن تكون له الخلافة من بعده، وعلى أن لا يطلب أحداً من أهل المدينة والحجاز والعراق بشيء مما كان في أيام أبيه، وعلى أن يقضي عنه ديونه، فأجابه معاوية إلى جميع ذلك حتىٰ بعث إليه برق أبيض، وقال له: اكتب ما شئت فيه فأنا ألتزمه وإلى هذا أشار بقوله.

ولم يكن من رأيه سفك الدما   فاختار فصل الصلح تحقيقاً لما
قد قال جدّه النبيّ أحمد   أن ابني الحسن هذا سيّد

(ولم يكن من رأيه) أي رأي الحسن واجتهاده في أمر دينه (سفك الدما) بالقصر للوزن أي إراقة دماء المسلمين بقتلهم في طلب الخلافة (فاختار قصد

الصلح) مع معاوية (تحقيقاً لما، قد قال) وأخبر به من جملة المغيبات (جدّه النبي أحمد) المصطفى ﷺ، وهو في البخاري عن أبي بكرة رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله ﷺ وهو على المنبر، والحسن على جنبه ينظر إلى الناس مرةً وإليه مرة يقول: (إن ابني الحسن هذا سيّد) ولعل الله أن يصلح به بين فئتين من المسلمين، وفي رواية: أن الحسن رقي المنبر ورسول الله ﷺ يخطب فأمسكه والتفت إلى الناس فقال: «إن ابني هذا سيّد ولعلّ الله أن يصلح به بين فئتين عظمتين من المسلمين.

فراسل ابن صخر في الصلح على ... شروط اشترطها فقبلا
فسلم الأمر له وراح ... وأقام في طيبة واستراح

(فراسل) الحسن معاوية (بن) أبي سفيان بن (صخرَ) غير منصرف للوزن (في) إمضاء (الصلح على شروط اشترطها فقبلا) بألف الإطلاق أي فقبلها معاوية كما اشترطها (فسلّم) الحسن (الأمر) أي الخلافة العامة (له) أي إلى معاوية، فسمّي حينئذ أمير المؤمنين بحق، وقيل: كان ذلك باغياً لكنه مأجور باجتهاده (وراح) أي ارتحل من الكوفة (وأقام في طيبة) أي المدينة المطهرة (واستراح) من النزاع في أمر الخلافة، فكان أصحابه يقولون له: يا عار المؤمنين فيقول: العار خير من النار، وقال له رجل: السلام عليك يا مذلّ الإسلام والمؤمنين، فقال: لست بمذلّ المؤمنين ولكن كرهت أن أقتلكم على الملك، وما أفهمه كلام الناظم ككلام أهل السير من أن البادىء بطلب الصلح هو الحسن ينافي ما في صحيح البخاري عن الحسن البصري قال: استقبل الحسن بن علي رضي الله عنهما معاوية رضي الله عنه بكتائب أمثال الجبال، فقال عمرو بن العاص: إني لأرىٰ كتائب لا تُولّىٰ حتى تقتل أقرانها، فقال له معاوية وكان والله خير الرجلين أي عمرو إن قتل هؤلا هٰؤلا، وهٰؤلا هؤلا مَن لي بأمور الناس،

من لي بنسائهم، من لي بضيعتهم؟ فبعث إليه رجلين من قريش من بني عبد شمس، عبدالرحمن بن سمرة وعبد الرحمٰن بن عامر بن كريز، فقال: اذهبا إلى هذا الرجل، فاعرضا عليه، وقولا له، واطلبا إليه، فأتياه فدخلا عليه فتكلما، وقالا له وطلبا إليه، فقال لهما الحسن بن علي رضي الله عنهما: إنّا بنو عبدالمطلب قد أصبنا من هذا المال، وإنّ هذه الأمة قد عاثت في دمائها، قالا: فإنه يعرض عليك كذا وكذا، ويطلب إليك ويسألك، قال فمن لي بهذا؟ قالا: نحن لك به، فما سألهما شيئاً إلاّ قالا: نحن لك به فصالحه انتهى(٣١٧).

قال بعض المحققين ويمكن الجمع بينهما بأن معاوية أرسل إليه أولاً ثم كتب إليه الحسن بطلب ما ذكر من الشروط وصورة ما كتبه [الحسن] لمعاوية في الصلح: بسم الله الرحمٰن الرحيم هذا ما صالح عليه الحسن بن علي معاوية بن أبي سفيان، صالحه على أن يسلّم إليه ولاية المسلمين، على أن يعمل فيهم بكتاب الله وسنة رسوله ﷺ وسيرة الخلفاء الراشدين المهديين، وليس لمعاوية بن أبي سفيان أن يعهد إلى أحد من بعده عهداً، بل يكون الأمر بعده شورىٰ بين المسلمين، وعلى أن الناس آمنون حيث كانوا من أرض الله تعالىٰ في شامهم وعراقهم وحجازهم ويمنهم، وعلى أن أصحاب عليّ آمنون على أنفسهم وأموالهم ونسائهم وأولادهم حيث كانوا، وعلى معاوية بذلك عهد الله وميثاقه، وأن لا يبتغي للحسن بن عليّ ولأخيه الحسين ولا لأحد من بيت رسول الله ﷺ غائلةً سرّاً ولا جهراً، ولا يخيف أحداً منهم في أفق من الآفاق، أشهد عليه فلان بن فلان وكفىٰ بالله شهيداً(٣١٨)، ولما تم الصلح طلب معاوية من الحسن رضي الله عنهما أن يتكلم في جمع من الناس، ويعلمهم أنه قد سلّم الأمر إلى معاوية وبايعه فأجاب إلى

---

(٣١٧) رواه البخاري (٢٧٠٤ و٣٦٢٩ و٣٧٤٦ و٧١٠٩) والترمذي (٣٧٧٥) والنسائي (١٠٧/٣) وأبو داود (٤٦٦٢).

(٣١٨) رواه البخاري (٢٧٠٤) وانظر التعليق قبله. وانظر فتح الباري (٦١/١٣ - ٦٨).

ذلك، وصعد المنبر فحمد الله تعالىٰ وأثنى عليه، إلىٰ أنه قال: وقد علمتم أن الله تعالىٰ هداكم بجدّي، وأنقذكم من الضلالة، وأعزّكم به بعد الذلّة وكثّركم به بعد القلّة إن معاوية نازعني حقاً هو لي دونه، فنظرت لصلاح الأمة وقطع الفتنة، وقد كنتم بايعتموني على أن تسالموا من سالمني، وتحاربوا من حاربني، فرأيت أن أسالم معاوية وأضع الحرب بيني وبينه، وقد بايعته ورأيت أن حقن الدماء خير من سفكها، ولم أرد بذلك إلاّ صلاحكم وبقاءكم، وإن أدري لعلّه فتنة لكم ومتاع إلى حين.

وكان أشبه الورىٰ بالمصطفىٰ وخير أهل عصره وأشرفا

وبما شرح الله به صدره من هذا الصلح ظهرت معجزة النبيّ ﷺ في قوله المذكور، وأخرج الدولابي: أن الحسن قال: كانت جماجم العرب بيدي يسالمون من سالمني ويحاربون من حاربني، فتركتها ابتغاء وجه الله تعالىٰ وحقن دماء المسلمين (وكان) الحسن رضي الله عنه (أشبه الورى بالمصطفى) ﷺ.

أخرج ابن سعد عن عبدالله بن الزبير قال: أشبه أهل النبي ﷺ به وأحبهم إليه الحسن[٣١٩]، رأيته يجيء وهو ساجد فيركب رقبته، أو قال ظهره فما ينزله حتى يكون هو الذي ينزل، ولقد رأيته وهو راكع فيفرّج له بين رجليه حتى يخرج من الجانب الآخر.

وفي الصحيحين عن البراء: رأيت رسول الله ﷺ والحسن على عاتقه وهو يقول: «اللهم إني أحبّه فأحِبَّه»[٣٢٠] وفي رواية عن أبي هريرة: «اللهم إني أحبّه

(٣١٩) صح ذلك عن أنس رواه عبدالرزاق (٢٠٩٨٤) والترمذي (٣٨٦٧) والطبراني في الكبير (٢٥٤٣) وأبو يعلى (٢/١٦٩) ورواه البزار (٢٦٣١ كشف الأستار) كاملاً من حديث عبدالله بن الزبير وفيه علي بن عابس وهو ضعيف.

(٣٢٠) رواه البخاري (٣٧٤٩) ومسلم (٢٤٢٢) والترمذي (٣٧٨٤).

فأحبّه وأحبَّ من يحبُّه »[٣٢١].

(و) كان (خير أهل عصره وأشرفا) سيداً حليماً كريماً زاهداً ذا سكينة ووقار جواداً ممدوحاً، خرج من مال الله مرتين، وقاسم لله ماله ثلاث مرات حتى إن كان ليعطي نعلاً ويمسك نعلاً ويعطي خفاً ويمسك خفاً، وسمع رجلاً يسأل ربّه عزّ وجل عشرة آلاف درهم، فبعث بها إليه، وأخرج أبو نعيم في الحلية أنه قال: إني لأستحي من ربّي أن ألقاه ولم أمش إلى بيته، فحجّ عشرين حجّةً ماشياً[٣٢٢]، وأخرج الحاكم عن ابن عمر رضي الله عنهما قال: لقد حجّ الحسن خمساً وعشرين حجّةً ماشياً، وأن النجائب لتقاد بين يديه[٣٢٣].

وشكىٰ إليه رجل حاله وفقره بعد أن كان ذا ثروة فأعطاه خمسمائة دينار وخمسين ألف درهم، ثم اعتذر إليه أنه لم يجد غيرهما.

وأخرج ابن عساكر أنه قيل له: إن أبا ذرّ يقول: الفقر أحبّ إليّ من الغنىٰ، والسقم أحب إليّ من الصحة، فقال: رحم الله أبا ذرّ، أمّا أنا فأقول: من اتكل إلى حسن اختيار الله له، لم يتمن أنه في غير الحالة التي اختار الله تعالىٰ له. وفضائله لا تفي بذكرها هذه العجالة.

وههنا تمت ثلاثون سنة خلافة النبوة المعينة

(وهٰهنا) للإشارة إلى المكان القريب، وقد يستعار للإشارة بها إلى الزمان كما هنا أي وقت نزول الحسن عن الخلافة لمعاوية، في شهر ربيع الآخر أو الأول كما مرّ (تمت) وكملت (ثلاثون سنة) التي هي (خلافة النبوة المعينة) وهو الخلافة التي أخبر النبي ﷺ أنها تكون بعده خلافة كاملة، ثم يصير ملكاً عضوضاً أي بعض الناس يجور أهله وعدم استقامتهم في الدين، ويصيب الرعية فيه ظلم،

---

(٣٢١) رواه البخاري (٢١٢٢ و ٥٨٨٤) ومسلم (٢٤٢١).

(٣٢٢) رواه أبو نعيم في الحلية (٣٥/٢).

(٣٢٣) رواه الحاكم (١٦٩/٣).

وذلك ما رواه أصحاب السنن الأربعة وصحّحه ابن حبان وغيره من أنه ﷺ قال: «الخلافة ثلاثون عاماً، ثم يكون بعد ذلك الملك» وفي رواية: «الخلافة بعدي ثلاثون سنة ثم تصير ملكاً عضوضاً»(٣٢٤) قال بعض الأئمة: لم يكن في الثلاثين بعده ﷺ إلاّ الخلفاء الأربعة، وأيام الحسن، فيكون هذا الحديث دليلاً واضحاً نصاً في حقيقة خلافة الحسن كالأربعة قبله، وهذا ما مشىٰ عليه الناظم، وما في طوالع البيضاوي في بيان الثلاثين سنة الواردة في الحديث من خلافة الشيخين كانت ثلاث عشرة سنة وخلافة عثمان اثنتي عشرة وخلافة علي خمس سنين، فلعله لم يذكر أيام الحسن لقلتها ولاندراجها في خلافة أبيه وفي شرح المقاصد: أن خلافة أبي بكر كانت سنتين وخلافة عمر عشر سنين وخلافة عثمان اثنتي عشرة سنة وخلافة عليّ ست سنين، والحقّ أن خلافة أبي بكر سنتين وأربعة أشهر وخلافة عمر عشر سنين ونصفاً وخلافة عثمان عشر سنين وخلافة علي أربع سنين وتسعة أشهر، والباقي للحسن رضي الله عنهم انتهىٰ فتأمله.

ثم مات الحسن رضي الله عنه مسموماً من زوجته شهيداً كما نصّ عليه جماعة من المتقدمين والمتأخرين سنة تسع وأربعين كما صحّحه الواقدي، أو سنة تسع وخمسين كما عليه الأكثرون، ووراء ذلك أقوال، ودفن بالبقيع وقبره مشهور فيه، وعمره سبع وأربعون سنة، كان منها مع رسول الله ﷺ سبع سنين، ثم مات أبوه وله منها ثلاثون سنة، ومدّة خلافته ستة أشهر ثم عاش بعد ذلك تسع سنين ونصف وبيان ذلك: أن معاوية كان يحبه حبّاً مفرطاً ويعطيه عطاءً باهراً، فخشي يزيد بن معاوية أن يموت أبوه ويولي الخلافة الحسن لا غير، فسعىٰ في

---

(٣٢٤) رواه أبو داود الطيالسي (٢٥٩٤) وأحمد (٥/٢٢٠ - ٢٢١) وفي فضائل الصحابة (٧٨٩ و ٧٨٠ و١٠٢٧) وأبو داود (٤٦٤٦ و٤٦٤٧) والترمذي (٢٢٢٧) وحسنه والنسائي في المناقب (٥٢) والطبراني في الكبير (١٣ و ١٣٦ و٦٤٤٢) وابن حبان (١٤٣٤ و١٤٣٥) وابن أبي عاصم في السنة (١١٨١) والحاكم (٧١/٣ و ١٤٥) والبيهقي في المدخل (٥٢) ولم يروه ابن ماجه كما وهم المصنف.

قتله، فأرسل إلى زوجته جعدة بنت الأشعث بن قيس الكندي أن سمّيه بهذا السُمّ وأنا أتزوجك، وبذل لها مائة ألف درهم ففعلت، ومرض أربعين يوماً فمات، ثم أرسلت إلى يزيد تطلب منه ما وعدها فأبىٰ لخيانتها كذا جزم به ابن حجر في أسنىٰ المطالب وغيره (٣٤٥)، ونقل في شرح الأربعين إرشاء يزيد لقتله بقوله قبل، وكأنه تردّد في صحة ثبوته عنه فيه.

وبعد حتى عصرنا ليس يُـرىٰ   مثل فتىٰ عبدالعـزيـز عمـرا

(وبعد) أي بعد مدة الخلافة الكاملة وهي الثلاثون المذكورة (حتىٰ عصرنا) الذي نحن فيه وقد مرّ بيانه في شرح الخطبة (ليس يُرىٰ) بالبناء للمفعول أي ليس يعرف من الخلفاء بالعدالة (مثل فتى عبدالعزيز) بإضافة فتى إلى عبدالعزيز أي ابنه الكريم العادل المشهور (عمر) بيان فتىٰ، ويوهم كلام الناظم أن عمر بن عبدالعزيز أفضل من معاوية وليس كذلك، فإن الجمهور على أن الصحابة أفضل من جميع من جاء بعدهم حتى المهدي المنتظر، وشذ ابن عبدالبر فذهب إلى أنه يمكن أن يكون فيمن بعدهم من هو أفضل منهم لحديث أبي داود والترمذي: «يأتي أيام للعامل فيهن أجر خمسين منكم» (٣٢٦).

وللحديث الحسن أو الصحيح: «مثل أمتي مثل المطر لا يدرىٰ آخره خير أم أوله» (٣٢٧) ويعارض ذلك بحديث الصحيحين: «لا تسبّوا أصحابي فوالذي نفسي بيده لو أنفق أحدكم ملء الأرض ذهباً ما أدرك مدّ أحدهم ولا

---

(٣٢٥) قال الحافظ ابن كثير في البداية والنهاية (٨/٤٣) وعندي أن هذا ليس بصحيح، وعدم صحته عن أبيه معاوية بطريق الأولى والأخرى.

(٣٢٦) رواه أبو داود (٤٣٤١) والترمذي (٣٠٦٠) وابن ماجه (٤٠١٤).

(٣٢٧) رواه أحمد (٣/١٣٠ و١٤٣) من حديث أنس وله طرق عن جمع من الصحابة انظر مسند الشهاب (١٣٤٩ - ١٣٥٢) وتعليقنا عليه.

نصيفه»(٣٢٨) وحديث البزار: «إن الله تعالىٰ اختار أصحابي على العالمين سوى النبيين والمرسلين»(٣٢٩). على أن الأفضلية والخيرية أمر نسبي، فقد يكون في المفضول مزية أو مزايا ليست في الفاضل، لكن يكون في الفاضل ما يفوق ذلك بمراتب، فلا يلزم من مجرد زيادة الثواب في بعض أعمال من بعدهم أفضليتهم، وقد صرحوا بأن فضيلة صحبة النبيّ ﷺ ورؤية وجهه الكريم لا يعادلها عمل، وكذلك لما سئل عبدالله بن المبارك عن عمر بن العزيز ومعاوية، أيّهما أفضل؟ قال: للغبار الذي دخل في أنف فرس معاوية مع رسول الله ﷺ خير من مائة مثل عمر بن عبد العزيز.

إذا عرفت ذلك فمعنى كلامه ليس يُرىٰ مثله في جزئيات تتعلق بالخلافة، كالعدالة الباهرة حتىٰ ورد بطرق أن الذئاب في أيام خلافته كانت ترعىٰ مع الشياه فلم تعدُ عليه إلا ليلة موته، وكالزهد والتشفّق فيها لا في جميع الفضائل حتى يلزم تفضيله على معاوية رضي الله عنهما وقد أشرت إلى ذلك في كلامه فاعرفه.

نبذة من عظيم صلاحه وعدله وجميع أحواله: هو عمر بن عبدالعزيز بن مروان، لما وُلِّيَ الخلافة أظهر من العدل ما لم يعهد إلاّ في زمن الخلفاء الراشدين، ومن ثم قال السفيان الثوري كما رواه عنه أبو داود: الخلفاء الراشدون خمسة: أبو بكر وعمر وعثمان وعليّ وعمر بن عبدالعزيز،(٣٣٠) وإنما لم يَعُدْ الحسن مع عظم صلاحه، لقصر زمنه، ولعدم اتفاق الناس عليه، وكذا لم يَعُد عبدالله بن الزبير مع كونه خليفةً حقاً كما قاله الذهبي، وكونه على جانب عظيم من الصلاح

---

(٣٢٨) رواه أحمد (١١/٣ و٥٤) والبخاري (٣٦٧٣) ومسلم (٢٥٤١) وأبو داود (٤٦٥٨) والترمذي (٣٨٦٠) والنسائي في فضائل الصحابة (٢٠٣) من حديث أبي سعيد.

(٣٢٩) رواه البزار (٢٧٦٣ كشف الأستار) وفي إسناده من هو ضعيف.

(٣٣٠) انظر سير أعلام النبلاء (١٣٠/٥ - ١٣١).

والزهد والعبادة، وأنه أول مولود في الإسلام، وحنكه الرسول ﷺ لأنه لم يتم له نفاذ الكلمة، واجتماع الأمة مثل ما تم لعمر بن عبدالعزيز، وبهذا يعتذر لكلام الناظم أيضاً فاعرفه.

وكان ابن الزبير ممن أبىٰ البيعة ليزيد بن معاوية، فلما مات يزيد دعا إلى بيعة نفسه البيعة الكاملة وتسمّىٰ بالخلافة، فأطاعه أهل الحجاز واليمن والعراق وخراسان، وأطاع أهل الشام ومصر معاوية الصالح بن يزيد الفاسق، ولما مات معاوية، بايعوا ابن الزبير أيضاً، بل قال سعيد بن المسيب: إنما الخلفاء ثلاثة: أبو بكر وعمر وعمر، فقيل له: مَن عمر الثاني؟ فقال للقائل: إن عشتَ أدركته، وإن مت كان بعدك، هذا مع أن ابن المسيب مات قبل أن يلي عمر بن العزيز.

وصحّ أنه رضي الله عنه خرج إلى الصلاة وشيخ يتوكأ على يده، ثم قال له رباح بن عبيدة: من ذا الشيخ المتوكىء على يدك؟ قال: رأيته يا رباح قال: نعم، قال: ما أحسبك يا رباح إلاّ رجلاً صالحاً ذاك أخي الخضر أتاني ثم أعلمني أني سأَلي أمر هذه الأمة، وقال لي إني مساعدك فيها (٣٣١)، وأمه بنت عاصم بن عمر ابن الخطاب رضي الله عنه.

يروىٰ أنه بينما كان عمر بن الخطاب رضي الله عنه يعِسّ بالمدينة ذات ليلة إذ سمع امرأة تقول لبنتها قومي إلى ذلك اللبن فشوبيه بالماء، فقالت: يا أمّاه أولم تسمعي منادي أمير المؤمنين: أن لا يشاب اللبن بالماء، فقالت لها: أين أنت الساعة من مناديه، فقالت: هب أن مناديه لا يراني، أما يراني ربّ مناديه، فأعجب عمر رضي الله عنه كلامها، فلما أصبح دعىٰ بالمرأة وابنتها، فسأل هل لها من زوج قالت: لا، فقال لأولاده من يتزوج هذه، فلو كان لي حاجة إلى النساء لتزوجتها، فزوّجها عاصم فولدت له بنتاً فجاءت تلك البنت بعمر بن عبدالعزيز، وكان عمر بن الخطاب يقول: من ولدي رجل بوجهه شجّة يملأ

---

(٣٣١) هذا كذب لم يصح عنه، والخضر مات وليس حيّاً.

الأرض عدلاً ، وفي رواية كما ملئت جوراً ، فكان ذلك عمر بن عبدالعزيز ، وكان بوجهه شجة من دابة ضربته في جبينه وهو غلام ، فجعل أبوه يمسح الدم عن وجهه ويقول: إن كنت أشجّ بني أمية إنك لسعيد ، فصدق ظن أبيه فيه.

ومن عظيم عدله أنه ردّ جميع مظالم بني أمية وجورهم وما غصبوه واستولوا عليه بغير حقّ إلى أربابها حتّى أفقرهم وأذلهم.

روي أنه لما وُلّيَ قدّمت إليه مراكب الخلفاء فقال: ما لي ولها؟ نحّوها عنّي وقرّبوا إليّ بغلتي فتركها ، فجاء صاحب الشرطة يمشي بين يديه بالحربة ، وقال تنحّ عنّي ما لي ولك؟ إنما أنا رجل من المسلمين ثم أمر بالستور والثياب التي تبسط للخلفاء فحملت ، وأمر ببيعها وإدخال ثمنها في بيت المال ، ثم ردّ جميع المظالم إلى أربابها ، وسمعوا من منزله بكاءً عالياً فقيل له : ما هذا؟ فقيل: إن أمير المؤمنين خيّر جواريه ، فقال: إنه قد نزل بي أمر شغلني عنكن ، فمن أحبّت أن أعتقها ، أعتقتها ومن أحبّت أن أمسكها أمسكتها ، ولم يكن مني إليها شيء فبكين يأساً منه رحمه الله تعالىٰ.

قال جرير بن حازم: لما استخلف عمر بن عبدالعزيز قوّموا ثيابه التي عليه باثني عشر درهماً ، وقال يزيد بن حوشب: ما رأيت أخوف من الحسن وعمر بن عبدالعزيز ، كأن النار لم تخلق إلا لهما ، ولقد أكثر البكاء حتى بكى الدم ، وكان يجمع العلماء والفقهاء كل ليلة ، فيتذاكرون الموت والقيامة ، ويبكون حتى كأنّ بين أيديهم جنازة ، ودخل يوماً بيته فقال لامرأته فاطمة بنت عبدالملك: هل عندك درهم أو قيمته يعني فلوساً أشتري به عنباً؟ فقالت: أنت أمير المؤمنين ، ولا تقدر على درهم ، قال: يا فاطمة هذا أهون من معالجة الأغلال يوم القيامة.

والأخبار في زهده وورعه وخوفه والإقبال بكله على الله تعالىٰ كثيرة لا تنضبط بهذه العجالة ، ولما رأىٰ بنو أمية ما رأوا من عدله وانتقامه منهم للمظلومين ، امتلأوا منه غيظاً وتسبّبوا في قتله بالسّم.

قال مجاهد: قال عمر بن عبدالعزيز: ما تقول الناس فيّ؟ قلت يقولون: مسحور قال: ما أنا بمسحور، وإني لأعلم الساعة التي سُقيتُ فيها السمّ، ثم دعا غلاماً له، فقال له: ويحك ما حملك على أن تسقيني السم؟ قال: ألف دينار أُعطيتها، وعلى أن أُعتق، قال له: هاتها فجاء بها فألقاها في بيت المال وقال: اذهب حيث لا يراك أحد [٣٣٢] ثم توفي رحمه الله بدير سِمعان بكسر السين من أعمال حمص لعشر بقين من رجب سنة إحدىٰ ومائة عن تسع وثلاثين سنة وستة أشهر، وكانت مدة خلافته سنتين وخمسة أيّام، وقيل: وخمسة وعشرين يوماً وقيل له: لو أتيت المدينة، فإن مت دفنت بها في موضع قبر الرابع مع رسول الله ﷺ قال: والله لأن يعذبني الله بكل عذاب إلاّ النار أحب إليّ من أن يعلم الله مني أني لذلك الموضع أهل [٣٣٣]. ونزل على الذين يسوّون التراب على قبره كتاب من السماء فيه أمان من الله تعالىٰ لعمر بن عبدالعزيز من النار.

لكن ملوك قد غزوا وعدلوا وذكرهم في غير هذا أجلُ

(لكن) مضى في الإسلام (ملوك) وأمراء لا خلفاء، لأن الخلافة بعده ﷺ ثلاثون سنة كما مرّ، وبعد ذلك تسمّىٰ ملكاً لكن ينبغي حمله على الخلافة الكاملة كما أشرنا إليه سابقاً، لورود الأحاديث بتسميته من بعد الثلاثين خليفةً كما في الخلفاء الإثني عشر الذين وردت أحاديث في كونهم بعده ﷺ خلفاء (قد غزوا) جاهدوا في سبيل الله (وعدلوا) في الرعية واجتهدوا في صلاح الأمّة (وذكرهم في) كتاب (غير هذا) الكتاب الموسوم بذات الشفاء (أجمل) أي أحسن لأن هذا لبنائه على الاختصار البالغ غايته لا يفي بذكرهم وذكر أحوالهم، ومن

---

(٣٣٢) انظر سير أعلام النبلاء (١٤٠/٥).

(٣٣٣) رواه الفسوي في المعرفة والتاريخ (٦٠٨/١) وابن سعد (٤٠٤/٥).

الأمراء العادلين والخلفاء المهتدين الخليفة المهتدي: محمد بن الواثق بن المعتصم، وكان من الصلاح والعدل على جانب عظيم بحيث أنه عدّ في خلفاء بني عباس، كعمر بن عبدالعزيز في خلفاء بني أمية لكنه لفساد زمانه لم يجد ناصراً ومعيناً، ولما ولّي الخلافة أخرج الملاهي وحرّم سماع الغناء والشراب، وأمر بنفي المغنيات وتغيير المنكرات وردّ المظالم، وحضر بعض الناس عشاءه في رمضان فكان ملحاً وخلاً وزيتاً، وذكر عنده أبوه الواثق القائل بخلق القرآن، فقال: لو جاز لي أن أتبرأ من أبي لتبرأت منه، وكان يلبس جبّة صوف وكساءً يصلي فيهما بالليل، ولما تألم الأمراء والرؤساء من أفعاله وتشديده في الحقّ، أجمعوا على قتله، فقتله بعض المتجبرين من أمرائه من الأتراك في رجب سنة ست وخمسين ومائتين، فكانت خلافته سنة إلاّ خمسة عشر يوماً (٣٣٤).

كابن سبكتكين وابن زنكـي   فيوسف الناصر فاسمع واحكي

ثم ذكر بعضاً من الملوك العادلين بقوله (كابن سبكتكين) وهو السلطان محمود صاحب السيرة المرضية والمناقب العلية ابن سبكتكين، وشرح بعضهم هذا الإجمال: أن سبكتكين ورد بخارا في أيام نوح بن منصور أحد الملوك السامانية وكان وروده في صحبة أبي إسحٰق وهو صاحبه، ولما خرج أبو إسحٰق المذكور واليا إلى غزنة التي هي من أنزه البلاد وأحسنها، خرج معه سبكتكين وعليه مدار أموره، فلم يلبث أبو إسحٰق أن توفي، ثم اتفقوا على سبكتكين فبايعوه، فلمّا تمكّن شرع في الغزو والإغارة على أطراف الهند، فافتتح قلاعاً كثيرةً، وجرت بينه وبين الهنود حروب كثيرة، ثم إنه وصل إلىٰ مدينة بلخ فمرض بها واشتاق إلى غزنة، فخرج إليها فمات في الطريق في شعبان سنة سبع وثمانين وثلاثمائة ونقل تابوته إلى غزنة، ومدة ملكه ثلاث وثلاثون سنة.

(٣٣٤) انظر العبر (١/٣٦٧) وسير أعلام النبلاء (٥٣٥ - ٥٤٠).

وتولّىٰ الملك بعده ابنه السلطان إسماعيل بعهد منه إليه، وكان أخوه السلطان محمود بخراسان مقيماً ببلخ، فلمّا بلغه موت أبيه وتولية أخيه إسماعيل خرج إليه بجيش عظيم، فظفر به وحبسه واستولىٰ على الملك، ولما انتظم أمره سيّر له الإمام القادر بالله العبّاسي خلعة السلطنة ولقبه بسيف الدولة، ثم يمين الدولة وفرض السلطان محمود على نفسه غزو الهند في كل عام، ولم يزل يفتح من بلاد الهند حتى انتهىٰ إلى مكان لم يبلغه الدعوة في الإسلام ولا راية ولم يتل به قط آية ولا سورة، فوصل إلى بلد فيه الصنم المعروف بسومَنات، وكان الهنود يزعمون أن هذا الصنم يحيي ويميت ويفعل ما يشاء، وأن الأرواح إذا فارقت الأجسام اجتمعت لديه على مذهب أهل التناسخ، فينشئوها فيمن يشاء، ولم يبق من بلاد الهند والسند أحد إلاّ وقد تقرّب إلى هٰذا الصنم بما أحبه، حتى بلغت أوقافه عشرة آلاف قرية مشهورة وامتلأت خزائنه من أصناف الأموال، وكان ألف رجل يخدمونه، وثلاثمائة رجل يحلقون رؤوس حجيجه ولحاهم عند الورود عليه، وثلاثمائة رجل وخمسمائة امرأة يغنّون ويرقصون عند بابه، ولكل طائفة من هٰؤلاء رزق معلوم ذكر كله صاحب أخبار الدول وغيره.

وكان بين المسلمين وبين القلعة التي فيها هذا الصنم مسيرة شهر في مفازة صعبة المسالك قليلة الماء، فسار إليها السلطان محمود في ثلاثين ألف فارس منتخب، فلما وصلوا إلى القلعة وجدوها حصناً حصيناً، ففتحوها في ثلاثة أيام، ودخلوا بيت الصنم المذكور، فإذا حوله من أصنام الذهب المرصع بالجواهر عدّة كثيرة محيطة بعرشها، يزعمون أنها الملائكة وأحرق المسلمون الصنم المذكور فوجد في أذنه نيفاً وثلاثين حلقة، فسألهم السلطان محمود [عن ذلك]؟ فقالوا: كل حلقة عبادة ألف سنة، وكانوا يزعمون قدم العالم، وأن هذا الصنم يُعبَد أكثر من ثلاثين ألف سنة، فدحّض عن هذا البلد أدناس الكفر وأنجاس الشرك فرحمه الله تعالىٰ.

ومناقبه كثيرة وفي هذه الجملة كفاية، ولد في عاشوراء سنة إحدىٰ وستين

وثلاثمائة وتوفي، في شهر ربيع الآخر سنة اثنتين وعشرين وأربعمائة، ومدة ملكه نحو خمس وثلاثين سنة، ثم تولّىٰ بعده أولاده، وكانت دولة بني سبكتكين مائة سنة واثنتين وسبعين سنة (و) كنور الدين الشهيد محمود الملك العادل الزاهد المجاهد (ابن) الملك عماد الدين (زنكي) بن أوقْسَنقر التركي مملوك السلطان ملك شاه السلجوقي.

كان عماد الدين المعروف بزنكي: شديد الهمّة عظيم السياسة، فَوُلّي على الموصل وواسط مدينة بين البصرة والكوفة، ثم صار في سنة اثنتين وعشرين وخمسمائة إلى حلب فاستولى عليها، ثم استولىٰ علىٰ حماة وحمص وبعلبك وحاصر دمشق ولم يملكها، ثم توجه لفتح قلعة جعبر فحاصرها فأصبح مقتولاً على فراشه قتله بعض خواصه، فدفن بالرقة بلد معروف على الفرات واسطة ديار ربيعة، ولما استولى ابنه سيف الدين على الموصل وابنه الآخر محمود وهو نور الدين علىٰ حلب، ولد نور الدين الشهيد محمود يوم الأحد سابع عشر شوّال سنة إحدىٰ عشرة وخمسمائة بمدينة حلب، كان رحمه الله حسن الصورة، ملكاً زاهداً حنفي المذهب عابداً عادلاً مُغرماً بالجهاد، فغزا وأظهر العدل، وفتح نيفاً وخمسين حصناً، ثم قصد دمشق مرتين وملكها في الثالثة. وحصّن سورها وضبط أمورها، فبنىٰ بها المدارس والمساجد ونشر العلم ووقف لها أوقافاً كثيرةً، وكان الفرنج يَومئِذ ملكوا القدس وسواحل الشام إلى عسقلان، ثم طمعوا في دمشق، وكان أهلها يؤدون الضريبة للفرنج، وذلك بعد اختلال ملك بني العباس، وزواله من الآفاق واستيلاء الأعداء عليها، حتّىٰ لم يبق لهم إلاّ مجرد الاسم في بغداد، ثم زال ملكهم عنها وتحولوا إلى مصر وانقطعوا، وكان رحمه الله عالماً فقيهاً متواضعاً محبّاً لأهل الدين، وأحب الناس إليه العلماء والفقراء، ثابت القدم في الحروب، يتقدم الجيش في القتال رجاءً للشهادة، وأقطع للعرب إقطاعاً [إقطاعات] لئلا يتعرضوا للحجّاج، وانقمعت البدعة في أيّامه، واتسع ملكه حتى خطب له بالحرمين وباليمن، ومن محاسنه: أنّه لم يسمع منه كلمة فحش في رضاه وفي غضبه

حتى قضىٰ ليله ونهاره على عدل وعبادة، وكان مقتصداً في الإنفاق، ولا ينفق لنفسه وعياله إلاّ مما يخصه من ملكه باشتراء أو غيره، وإذا أراد أن يصرف من بيت المال استفتىٰ العلماء، فيأخذ ما أفتوا بحلّه، ولم يستعمل قطّ ما حرمه الشرع من حرير ونحوه، ومنع الناس من شرب الخمر وبيعها في جميع البلاد، ومن جملة عدله: أنه أبطل المكوس في جميع مملكته من الشام والجزائر والموصل وغيرها، وسبب ذلك أن وزيره خالد بن القيرواني قال له: رأيت في المنام كأني أغسُل ثيابك ففكّر ساعة، ثم أمر بإبطال جميع المكوس، وأرسل إلى البلاد وأمر الخطباء أن يسألوا الناس ليحاللوه في الزمن الماضي، وكان إذا أقبل عليه واحد من العلماء والصوفية يقوم من حين رآه، ويُجلسه معه على السجادة ويصله بصلات كثيرة، ومع هذا التواضع كان له وقار وهيبة عظيمة مع أمرائه وأجناده، فلا يجلس في مجلسه أمير إلاّ بإذنه، وإذا أعطىٰ أحداً من العلماء والصوفية يقول تسكيناً لقلوب من عنده من الأكابر: هٰؤلاء لهم حق في بيت المال، فإذا أقنعوا منّا ببعضه فلهم المنّة علينا.

وَلَمّا التقى المسلمون والفرنج علىٰ تلّ حازمٍ موضع، انفرد نور الدين على التلّ، وصلّىٰ ركعتين وجعل يتمرّغ في التراب، ويقول: يا ربّ إن نصرتَ دينك فلا تمنعهم النصر بذنوب محمود فاستجاب الله تعالىٰ دعاءه ونصرهم على الفرنج. ومناقبه أجلّ من أن تحصىٰ، ويكفيه فخراً ومنقبة قول الإمام العلاّمة شهاب الدين أبي شامة شيخ النووي: نظرتُ في سير الملوك فما رأيت بعد عمر بن عبدالعزيز مثل نور الدين الشهيد، ويكفيه أيضاً: أنه رأىٰ النبيّ ﷺ ثلاث مرّات في ليلة واحدة وهو يقول كل مرة: يا محمود أنقذني من هذين الشخصين وهما أشقران، فذكر ذلك لوزيره فقال: هذا أمر حدث بالمدينة ليس له غيرك، فتجهّز بمقدار ألف راحلة حتىٰ دخل المدينة على حين غفلة من أهلها، فأظهر أنه جاء ليتصدّق على أهلها، فعمل ضيافة وأمر بجميع أهلها إليها فلم يَرَ الرجلين الأشقرين، ثم كرّر الضيافة وجدّ في طلبها، فلما رآهما قال للوزير: هذان فدعا

بها [فدعاهما] فسألهما فقالا : جئنا للمجاورة، فقال: أصدقاني وعاقبهما فأقرّا أنهما من النصارى، وأنهما دخلا المدينة لكي ينقلاه من الحجرة الشريفة باتفاق من ملوكهما، ووجدهما قد حفرا الأرض من تحت حائط المسجد القبلي، وجعلا التراب في بئر عندهما، فقتلهما عند الشباك وأحرقهما، ثم رجع إلى الشام بعد أن حفر خندقاً حوالي الحجرة وسكب فيه الرصاص كذا في أخبار الدول.

وتوفي رحمه الله يوم الأربعاء حادي عشر شوّال سنة تسع وستين وخمسمائة، ودفن بقلعة دمشق، ثم نقل إلى تربته داخل المدرسة التي أنشأها بقرب سوق الخوّاصين، ومدة ملكه ثمانية وعشرون سنة. ثم ذكر الناظم من أجلّ الملوك العادلين يوسف الناصر، ولكونه عقب نور الدين الشهيد ومشابهاً به في العدل وغزو الفرنج عطفه على ما قبله بالفاء فقال:

(فيوسف) السلطان صلاح الدين الملك (الناصر) لقبه وكنيته أبو المظفر فاتح الفتوح بركة أهل زمانه وهو ابن الملك الأفضل أيوب الملقب بنجم الدين، كان مولد أبيه بدُوين بضم الدال وكسر الواو بلدة قرب إربِل وهي بلدة الأكراد كما في تأريخ ابن خلكان، لكن خربت أكثر ديارها، ولم يبق لها إلاّ الاسم، واشتهرت تلك الولاية في لسان الأكراد بولاية صوران، فيوسف المذكور كرديّ الأصل، ثم انتقل أيوب إلى تكريت، فولد بها ابنه المذكور سنة اثنتين وثلاثين وخمسمائة ثم قدم به أبوه إلى دمشق وهو رضيع ونشأ في حجر والده، وسمع الحديث من جماعة معتبرين، وكان ذكياً تقياً، ثم اتصل أبوه نجم الدين بالملك نور الدين الشهيد فخدمه هو وولده يوسف الناصر خدمةً بالغةً، فصارا مقرّبَيْنِ عنده، ولما ضعف حال المصريين الفاطميين عن مقاومة الفرنج بديار مصر استنصر خليفتهم العاضد بنور الدين الشهيد في دمشق، فجهّز نور الدين عسكراً أمّر عليهم أسد الدين وبعث معه أخاه نجم الدين وولده صلاح الدين يوسف فدخلوا مصر آمنين، ثم لما قتل وزير العاضد تولّى أسد الدين الوزارة للعاضد، ثم مات وتولّى صلاح الدين المذكور بعده الوزارة واستفحل

أمره إلى أن صار في الحقيقة هو السلطان وبقي للعاضد مجرد الاسم، ثم توفي العاضد وقبض صلاح الدين على الفاطميين بأسرهم، واستولىٰ على القصر وخزائنه وفيها أموال لا تحصىٰ، فأباد ملك [الخلفاء] الفاطميين الروافض، وأهان الرفض ونصر السنة، وكان الفاطميون قد بلغوا في سوء السيرة والعقيدة إلى حد أفتىٰ علماء الإسلام بإباحة دمائهم ووجوب قتالهم لإلحادهم وزندقتهم.

وفي أسنىٰ المطالب: عبدالله بن عبيد جدّ بني عبيد وهم خلفاء المصريين الروافض بل أكثرهم ملاحدة كفار، ومن عجيب أمرهم أنّهم يزعمون الشرف وأنهم من أهل البيت، وتسمّوا بالفاطميين، وجدّهم مجوسي كما ثبت ذلك في محضر خط أكابر أئمتنا الشافعية وغيرهم انتهى.

ثم تحركت همة السلطان صلاح الدين يوسف لغزو الفرنج وانتزاع البلاد من أيديهم، فآل أمره إلى أن استولىٰ بعد نور الدين الشهيد على الشام وأنقذ بيت المقدس من أيدي الفرنج بعد أن كان في أيديهم قريباً من مائة سنة كما مرّ في مبحث تعمير القدس.

والإشارة إلى شيء يسير من ذلك أن السلطان صلاح الدين يوسف الناصر لما كثرت في البلاد التي استولىٰ عليها الفرنج من فتوحاته وأوجعت في أهل الكفر سهامه وسطواته كان لا يتجاسر على فتح بيت المقدس لكثرة ما فيه من الأبطال والعُدد والرجال، كما لم يتجاسر عليه نور الدين الشهيد قبله لذلك، وكان فيه من الفرنج أكثر من مائة ألف، والمقاتلون الشجعان منهم ستون ألفاً، فصار إذ ذاك كرسيّ مملكة النصارىٰ، فكتب بعضهم أبياتاً على لسان القدس وأرسلها إلى السلطان الناصر وهي هذه:

يا أيها الملك الذي لمعالم الصلبان نكّس
جاءت إليك ظلامة تسعىٰ من البيت المقدس
كل المساجد طهرت وأنا على شرفي منجس

فأخذته غيرة الإسلام وصارت الأبيات هي الداعية له على فتح بيت المقدس، فنهض من دمشق كنهوض الأسد لاستنقاذ القدس سنة ثلاث وثمانين وخمسمائة في مستهل المحرم، وبايع الله ورسوله على نصرة الإسلام، فكتب إلى الأقطار والبلاد يستدعي الجموع للجهاد، فقدم بجيوشه الصائلة وعساكره المتواصلة إلى بلاد السواحل، فجالت خيوله وسالت سيوله، والتوفيق يسايره والسعد يظاهره، والعزّ يسامره، والظفر يجاوره، والإسلام شاكره، والله عزّ وجلّ ناصره، حتىٰ انتهىٰ الفتح به إلى عسقلان واستولىٰ على ما كان في أيديهم من البلدان، ومحىٰ رسم النحوس وأقام جاه الأذان، وانكسر ناموس الناقوس، وخمدت توراة القسوس، ثم قام السلطان من عسقلان للقدس الشريف طالباً، ولذيل العز ساحباً، فلما بلغهم خبر وصوله، بفروعه وأصوله، امتلأت قلوب الفرنج رعباً وطاشت، واضطربت أفئدتهم من جيش الإسلام وجاشت، وتمنت الفرنج أنها ما عاشت، فقام بالتدبير للإدبار أواخرهم وأوائلهم، وضاقت بهم منازلهم، ثم تقاسموا على بذل المهج في القتال، كقتال الأُسْد على الأشبال، فجاء السلطان إلى أن نزل غربي القدس يوم الأحد خامس عشر رجب، وقلب الكفر قد وجب، فقام ستون ألف مقاتل من الفرنج دون البلد، يبارزون ويحاجزون ويعاجزون ويقدمون ويحجمون، ثم نادوا كل واحد منا بعشرين، وكل عشرة بثمانين، فقاتلوا أشدّ قتال، ونازلوا أشدّ نزال، فدارت بينهما الحرب، واستمر الطعن والضرب، إلى أن ضيّق جيش الإسلام على الفرنج المسالك، ووسّعت عليهم مهامهِ المهالك، ونصبوا عليهم المجانيق والمدافع، وليس لها دافع، فكأنّ شرار نجوم من السماء تنقض، أو صخور من الأرض ترفضّ، حتى طلع من أفق الفتح أنوار، وطفق شمل الفرنج في الانتشار، فجاء رئيسهم يتضرع إلى السلطان، بحلفه وموثقه ويطلب الأمان، لقومه وفريقه فتمنّع السلطان، وقال: لا صلح لكم ولا أمان، إلا أن نديم لكم الهوان، وننزلكم بالصغار على حكم القرآن، فقالوا للسلطان إذا أيسنا من أمانكم، وحرمنا من إحسانكم، وأيقنّا أن

لا نجاة ولا نجاح، ولا صلح ولا صلاح، فالسبيل أن نقاتل قتال الدّم، ونقابل الوجود بالعدم، ونرمي أنفسنا في الحرب والنار، ولا نلقينا بأيدينا إلى تهلكة العار، ثم إنا نقلع الصخرة، ونبقي لكم عليها الحسرة، ونخرّب الدور ونخرق القبة، ونجعل لكم بالشح بأماننا السُّبه، وأمّا ذرارينا فإنا نعدمها بالقتل ولا نبقيها، وأمّا أموالنا فنغطيها في الأرض ولا نعطيها، فرب سبة جاءت من الشحّ، ولا يصلح السوء سوى الصلح.

فَعَقَد السلطان مجلساً للمشورة، فشاور أكابر جيشه المنصورة، فقالوا له: قد خصك الله بالسعادة، وأخلصك لهذه العبادة، ورأيك راشد وعزمك لضالة النصر ناشد، فاستقرّ الحال بعد مراودات ومعاودات، وضراعات من الفرنج وشفاعات، على صلح يشترون به أنفسهم وأموالهم، ويخلصون نساءهم وأطفالهم، ثم ضرب عليهم صغيرهم وكبيرهم خارجاً بالحق، على من عجز عن وفائه بعد أربعين يوماً رضي بالرّق، ثم سلّموا البلد يوم الجمعة السابع والعشرين من رجب، ثم شرع الفرنج في بيع ما عندهم من الأمتعة في سوق الهوان، بأبخس الأثمان.

فمن أراد الخروج خرج، ومن أقام رضي بذل الجزية وعدم الفرج، ثم دخل السلطان البلد على هيئة التواضع والوقار، ولقيه الأكابر والأخيار، والعيون من فرط المسرة تدمع، والقلوب للفرح بالنصر تخضع، ثم أمر بتقديس القدس عمّا أحدثه الفرنج، فبطل الإنجيل، وتُلِيَ القرآن والتنزيل، فطهّر المحراب وصفت العبادات، وأقيمت الصلاة وتليت الآيات، ونطق الأذان وخُرس الناقوس، وأدبرت النحوس وغاب القسوس، واستبشر الزهّاد والعبّاد، والأبدال والأوتاد (٣٣٥) والراكع والساجد، والخاشع والمجاهد، ثم طار صيت هذا الفتح، الشريف في المشارق والمغارب، وجاءت المكاتيب إلى السلطان نظماً ونثراً للتهنية

---

(٣٣٥) أحاديث الأبدال لا يصح منها شيء، وليس في الأوتاد حديث.

بهذا الفتح من كل جانب، ورتب السلطان في القدس من وجوه القربات ما يطول شرحه، فالحمدلله ربّ العالمين. توفي السلطان رحمه الله تعالىٰ في صفر سنة تسع وثمانين وخمسمائة، ووقائع هذا السلطان مع الفرنج ونكايته فيهم وضبط حصونهم وتشريدهم من البلاد، لا يسعها المحل، ولولا خوف الإطالة لزيّنا شرحنا ببعض غزواته.

(فاسمع) ما ذكر من سيرهم وأحوالهم (واحكِ) ذلك لغيرك لعلّه يتخلق بها.

وكملت ذات الشفا في سيرة — المصطفى والخلفاء الخمسة
أبياتها جاءت ثوان كُملا — عام حساب صح ذاك جمّلا

(وكملت ذات الشفا في) علم يبحث فيه عن (سيرة المصطفى) ﷺ (والخلفاء الخمسة) وقد كمل شرح ذلك ولله الحمد (أبياتها) المذكور فيها (جاءت) وحصلت حال كونها (ثوان) وأصله ثواني لكونه منصوباً وحذف الياء للوزن كما في قوله: «ولو أن واشٍ باليمامة داره» أي معدودة بما دلّ عليه الثاء المثلثة في أول ثوان بحساب الجمّل وهو خمسمائة بيت تقريباً، وإنما قيدنا بقولنا تقريباً لأنا عددنا من أولها إلى هذا البيت مراراً فكان أربعمائة وتسعين إلاّ أن يكون إسقاط هذا الناقص من النساخ في أثناء الأبيات، ولا يجوز عدّ ما بعد هذا البيت منها لتكميل خمسمائة لتصريحه بأنه كالتتمة والخاتمة وليس من ذات الشفاء فظهر أن كتابة النساخ الجيم من جاءت والكاف من كملا بالحمرة إشارة إلى الحساب من أوهامهم، وفي قوله ثوان إشارة إلىٰ أن أبياتها مثنىٰ مثنىٰ يعني جعل كل بيتين بيتين بيتاً لأن الأصح شطور الرجز أن كل شطر بيت على حدة، هذا إذا لم يزدوج بين شطرين شطرين كما في قوله:

أزمان أبدت واضحاً مفلّجا   أغرّ برّاقاً وطرفاً أبرجا

وفاحماً ومرسناً مسرّجاً، إلى آخرها

وأمّا الأراجيز المشطورة المزدوجة فالأولى أن يعدّ كل شطرين بيتاً كما في مثل ألفية ابن مالك، ولو قال لإفادة هذا المعنى مثان بدل ثوان لكان أظهر فتأمله؛ ثم استأنف لتاريخ عام إتمامها فقال (كملا) أي النظم المسمّى بذات الشفاء (عام حساب) (صحّ ذاك) أي المذكور من عدد أبياتها ومن تاريخ عام إتمامها (جمّلا) بضم الجيم وتشديد الميم، ويجوز تخفيفها أي حساب الجمل، وهو حساب حروف أبي جاد كما مرّ تفصيله أول الكتاب، أي عام ثمان وتسعين وسبعمائة، كما دلّ عليه الحاء والصاد والذال الممتازة في الكتابة بالحمرة أوائل الكلمات المذكورة إشارةً إلى الحساب.

خامس عشر الحجة المحرّمة   ثالث يوم من وقوع الملحمة

أعني بني الأصفر لما اقبلوا   وتحت رايات الوفاء وصلوا

وكان ذلك (خامس عشري) شهر ذي (الحجة المحرّمة) من ذلك العام (ثالث يوم) بدل مما قبله (من وقوع الملحمة) وهي الوقعة العظيمة التي كثر فيها القتل (أعني) بهذه الملحمة ملحمة المسلمين مع (بني الأصفر) أراد بهم ملوك الروم سمّوا بذلك لأنهم أولاد الأصفر بن روم بن عيصو بن إسحٰق عليه السلام، أو لأن جيشاً من الحبشة غلب عليهم الروم فنكحوا نساءهم فولد لهم أولاد صفر من سواد الحبشة وبياض الروم كما في القاموس وغيره، وذلك (لما أقبلوا) إلى بلاد الإسلام (وتحت رايات) جمع راية أي أعلام (الوفاء) أي الصدق وعدم الفرار والخيانة (وصلوا) وتعاهدوا على الاتفاق لقهر الإسلام.

يقدمهم ملك الأنكروس   في الآرض والفرنج ثم الروس

والسرف والافلاق والبلغار ونحوهم من سائر الكفارِ
فاجتمع الكل بقلب واحدِ على ابن عثمان الفتى المجاهد
قالوا جميعاً معشر الأبطال إن لم تقوموا قومة الرجال

(يقدمهم) بضم الدال من قدم كنصر أي يتقدمهم ويجرّهم (ملك الأنكروس) بنقل حركة الهمزة إلى اللام للوزن قيل: هي مدينة عظيمة حصينة دار ملك كبير النصارى الذي يسمونه قرال (في الآص) أي مع ملك الآص وطائفة (الفرنج) بفتح الفاء والراء وسكون النون بعد جيم، ويقال أيضاً: الإفرنج وأرضهم واسعة جداً فيها نحو مائة وخمسين مدينة لكنها لرداءتها لا تصلح للزرع ولهم صبر وشدة في الحرب يرون القتل عندهم أسهل من الفرار (ثم) طائفة (الرّوس) بضم الراء وهم أمة عظيمة من الترك بلادهم متاخمة، وهم بيض شقر لهم لغة مخالفة لسائر الترك، وهم أنحس خلق الله تعالىٰ، لا يحترزون عن النجاسة كما في أخبار الدول وغيره.

(و) مع ملك (السرف) (و) مع ملك (الأفلاق) (و) ملك (البلغار) مدينة عظيمة على ساحل البحر مبنية من خشب الصنوبر وسورها من خشب البلوط وحولها من أمم الترك ما لا يحصىٰ، والبرد عندهم شديد لا يكاد الثلج ينقطع عن أرضهم صيفاً ولا شتاءً (و) مع طوائف أخرىٰ (نحوهم من سائر الكفار) منهم قرال ألمان وأمير لاطين وأمير بوسنه وصاحب بوليه وغيرهم (فاجتمع الكلّ) من أولئك الكفار ومن تبعهم ملتبسين في المجيء إلى بلاد الإسلام (بقلب واحد) تركيب إضافي أو توصيفيّ أي بما في قلب واحد من عدم التردّد والاختلاف (على) سعد إيلد روم بايزيد كما سيصرّح به (ابن) السلطان مرادخان ابن السلطان أورخان ابن السلطان (عثمانَ الفتىٰ) الشجاع الكريم (المجاهد) في سبيل الله، وهما نعت لابن إذ هو المقصود بالإيضاح لا عثمان وإن كان موصوفاً بذلك وعثمان هذا أبو السلاطين العثمانية كما سبق

تفصيله في شرح الخطبة (قالوا) أي الكفار المجتمعين على ابن عثمان المجاهد بعضهم لبعض (جميعاً) يا (معشر الأبطال) جمع بطل وهو الشجاع الذي يبطل عنده دماء الأقران (إنْ لم تقوموا) لحرب الإسلام (قومةً) أي قيام (الرجال) الشجعان الثابتين في الحرب ولم تقهروا المسلمين.

لَيُأخُـذنكـم بلـداً بعـد بلـد	ولم يكن يترك منكم من أحَـد
فاستوعبـوا ممالـك النصـارىٰ	وجمعـوا الصغـار والكبـارا
وانتخبـوا كـل شجـاع بطـل	يظـن أن يـرد ألـف رجـل
وفعلـوا ذلـك في سنينـا	وبلغـوا الآلاف مـن مئينـا
غرهم البابا فجاؤوا كلهـم	وجنـدهـم وخيلهـم ورجلهـم

(ليأخذنكم) بالنون الخفيفة أي ليأخذن ابن عثمان بلادكم (بلداً بعد بلد، ولم يكن يترك منكم من أحَدٍ فَاستَوعَبوا) أي جمعوا ما استطاعوا (ممالك) جمع مملكة وهي عزّ الملك وسلطنته أي أهل كل مملكة من ممالك (النصارىٰ، وجمعوا الصغار والكبارا) عطف تفسير للجملة قبله أي جمعوا من كان يصلح للقتال منهم أو هو كناية عن كثرة جمعهم (وانتخبوا) أي اختاروا (كل شجاع) بتثليث الشين وهو الشديد القلب عند البأس والحرب (بطل) وهو الشجاع الذي تبطل عنده جراحاته لا يبالي بها، أو تبطل عنده دماء الأقران (يظن) ذلك البطل ويقدر في نفسه، أو هو مجهول أي يظنه غيره (أن) الشأن (يردُّ) بالرفع لجعل أن مخففةً من المثقلة رافعةً لضمير الشأن كما قررنا، وجعلها مصدريةً ناصبة بعيد (ألف رجل، وفعلوا ذلك) الجمع العظيم (في سنينا) بألف الإطلاق لأنّ مثل هذه العِدَّة والعُدّة لا يتم غالباً في سنة ولا في سنتين (وبلغوا) في الكثرة (الآلافَ) جمع ألف وأقله ثلاثة آلاف (من مئينا) جمع مائة وأقله ثلاثمائة فيكون أقل ما جمعوه من العساكر ثلاثمائة ألف (غرّهم) أي خدعهم وأطمعهم

بالباطل (البابا) الذي تطيعه الفرنج وهو عندهم بمنزلة الإمام لا يخالفون رأيه، ومسكن البابا رومية الكبرىٰ التي هي من عجائب الدنيا ودار رياسة الروم والآن في يد الفرنج وهي في شمال غربي القسطنطينية (فجاؤوا كلهم) لاغترارهم بقول البابا (و) جاء (جندهم) أي عساكرهم وهو بدل ممّا قبله ثم بين الجند بقوله: (وخيلهم) أي فرسانهم (ورجلهم) بفتح وسكون الجيم اسم جمع لراجل كصحب وركب لصاحب وراكب.

فَحَضَّهم علىٰ قتال الترك	وقهرِ الإسلام وأخذ الملك
الروم والشام وبيت المقدس	هذا الذي أضمره الأنكروسي
والله من ورائهم محيط	وكيدهم في نحرهم يحيط
فقطعوا النهر الطويل طونه	على زها ألفين من سفينة
واجتهدوا في حصر نيكابول	فانقلبوا بخيبة المأمول

(فحضّهم) أي حرضهم البابا المذكور (علىٰ قتال الترك) أي قتال سلطان المسلمين من الترك لأن السلاطين العثمانية أصلهم من الأتراك كما عرفت سابقاً (وقهر) دولة (الإسلام وأخذ الملك) من أيدي سلاطين الإسلام (الرومِ) بالجر بيان لِمَلِكِ الإسلام (و الشام وبيت المقدس) من ذكر الخاص بعد العام لشرفه (هذا) المذكور من قهر جميع الإسلام هو (الذي أضمره) في نفسه ثم أظهره لأتباعه قرال (الأنكرُسي). بتخفيف الياء للوزن نسبة إلى انكروس بحذف الواو في النظم (والله) عزّ وجلّ (من ورائهم) وهم غافلون (محيط) بهم أي لا يفوتونه كما لا يفوت المُحاط المحيط (وكيدهم) لأهل الإسلام (في نحرهم) أي صدرهم (يحبط) فعاقبة مكرهم التدمير والإهلاك لهم، والله متم نوره ولو كره الكافرون. (فقطعوا النهر الكبير) المحوّج إلى السفن وهو الذي يسمىٰ نهر (طونه) ويقال أيضاً نهر ثونه بالثاء المهموسة راكبين (علىٰ زها) بضم

الزاء والقصر للوزن وأصله المدّ من زهوته بكذا أي قدرته حكاه الصغاني قلبت الواو همزةً لتطرفها أثر ألف زائدة كما في كساء أي على قدر (ألفين من سفينة) مملوءة من الخيل والرجال (واجتهدوا في حصر نيكابولي) أي في حصارها والتضييق على أهلها ليأخذوها (فانقلبوا) ورجعوا (بخيبة) (المأمول) أي ملتبسين بالخيبة والحرمان عن مقصودهم الذي هو قهر الإسلام، ثم بين ذلك بقوله:

وأخذوا وقتّلوا تقتيلا	وَنُكّل العزىٰ بهم تنكيلا
بسعد بايزيد أولى من ملك	أيّده الله بآلاف ملك
فهو الذي كسرهم بنفسه	كما أذاقهم أليم بأسه
فلم يرد منهم مخبّراً	إلا قليلاً مثله لا يذكر

(وأخذوا) أخذاً ذريعاً (وقتّلوا تقتيلا) بكل فجّ (ونُكّلَ العزّى) تأنيث الأعز، وقد مرّ أنّ العزىٰ سمرة كانت غطفان يعبدونها فقطعها خالد بن الوليد فهي صنم للعرب لا للنصارىٰ، وإنّما هم عبّاد الصليب، لكن الأصنام لاشتراكها في البطلان في حكم واحد (بهم تنكيلا) يقال نكّل تنكيلا أي صنع به صنيعاً عجيباً يعتبر كل من رآه به، وذلك التنكيل والتكبيل والإهانة والتذليل كائن (بسعد) إيلد روم (بايزيد) كنيته وأصله أبا يزيد فخفّف بحذف الهمزة كقولهم في مثل أبا ذرّ (أَوْلىٰ) أي أحسن (من ملك) أمور الناس إذ كان رحمه الله من خيار ملوك الأرض مجاهداً مرابطاً، وقد فتح من بلاد الكفار ما لم يبلغه أحد.

قال في أخبار الدول: توفي في أسر تيمور الذي فعل ما فعل من مفاسد الأمور، وذلك أن تيمور أقبل على السلطان بايزيد بجيش لا قبل لهم به بغتةً من غير تهيئة للسلطان، وكان قد حلف قبل ذلك أن لا يفرّ من تيمور، فانهزم جيش السلطان وبقي في القلب وحده فأخذ وأُسِرَ ومات في الأسر، (أيّده الله)

دعاء له من الناظم (بآلاف ملك) من الملائكة (فهو الذي كسرهم) وهزمهم (بنفسه كما) انهزم المسلمون وبقي هو وحده في القلب ولم ينهزم فتضرع إلىٰ الله تعالىٰ وحارب حتّىٰ انهزم الكفار ونصر الله المسلمين فقتلوهم (وأذاقهم أليم بأسه) وصولته في الحرب (فلم يردّ منهم مخبّرا) بتشديد الباء أي لم يبق منهم مَن يخبر مَن وراءهم بما فعل بهم المسلمون من القتل والأسر إلاّ قليلاً مثله أي مثل ما وقع بهم من عظيم القتل والأسر والغنيمة (لا يذكر) في حرب من الحروب قال صاحب كتاب أخبار الدول: وفي سنة سبع وأربعين وثمانمائة نزل السلطان مرادخان ابن السلطان محمد ابن السلطان السعد بايزيد ابن السلطان مرادخان عن السلطنة، وخلع نفسه لابنه السلطان محمد خان، واختار العزلة في مدينة مغنيسا وشاع هذا الخبر في الآفاق، فسمع الكفار باعتزاله ونزوله عن السلطنة لابنه، فقال بعضهم لبعض: إن ابنه صغير لا هيبة له ولا يُخشىٰ منه، فاتفق قرال أنكروس وقرال ألمان وصاحب أفلاق وطائفة الفرنج وغيرهم من ملوك النصارىٰ على قتال المسلمين، وأن لا يتركوا من بلاد الإسلام حجراً علىٰ حجر، فلمّا بلغ ذلك أركان الدولة وأعيانهم خافوا واستصوبوا أن يردّوا السلطان مراد من مغنيسا تبرّكاً به، لأنه شاعت بذكره الأخبار، وطالما أوجع سطواته الكفار، فأرسلوا إليه فامتنع وقال: سلطانكم دونكم وخلّوني فلم يزالوا به حتّىٰ رضي وسار مع ولده السلطان إلى جبهة العدو، فلما تصافّ الطائفتان والتقى الجمعان تكابر كل من الفريقين على الآخر واتفق أن انهزم المسلمون، وجعل الكفار يطردونهم ويقتلونهم، ولم يبق إلاّ السلطان مرادخان في القلب، فلمّا شاهد هذه الحالة رفع يديه إلى السماء وتضرع إلى الله عزّ وجلّ، وسأله النصر، واستغاث بالنبي ﷺ (٣٣٦) فلم يمض ساعة إلاّ اغتر قرال أنكروس هو كبيرهم، فبرز من عسكره، وانفرد ودعا السلطان مراد إلى مبارزته، ثم هجم على المسلمين فتقطر به

(٣٣٦) الاستغاثة بغير الله كفر، ولذلك لا نظن أن السلطان فعل ذلك.

فرسه، فتسارع إليه المسلمون فقطعوا رأسه ورفعوه على رمح وصاحوا: هذا رأس قرال الملعون، فلما رأى الكفار ذلك انهزموا عن آخرهم، وساق المسلمون خلفهم يقتلونهم قتلاً ذريعاً، فكان ذلك اليوم يوم غمّ وسرور والعاقبة للمتقين.

وأمّا الغنائم والأسارىٰ فلا تحصىٰ، ثم إن السلطان لما رجع من الغزو أمضى سلطنة ابنه وعاد إلى مغنيسا إلى أن تحرّكت طائفة الينكجرية فعاثوا ونهبوا بيوت الأمراء، فأعادوا السلطان مراد إلى سرير الملك وجلس ابنه محمد مكان أبيه في مغنيسا، واستمرّ السلطان مراد يغزو إلى أن توفي سنة خمس وخمسين وثمانمائة انتهىٰ ملخصاً وهذه الوقعة مثل الذي ذكرها الناظم لكنه نسبها إلى السعد بايزيد، وهذه نسبها صاحب أخبار الدول إلى ابن ابنه السلطان مراد، فإن صحّ فإنها واقعتان فلا اختلاف، وإلاّ فبين وقتيها، وكذا بين صاحبيها اختلاف يحتاج إلىٰ الترجيح، فيرجّح ما ذكره الناظم بكونه معاصراً للواقعة وشاهداً لها كما تقرّر في الأصول.

فـأبشروا بفتـح قسطنطينيـة فلم تكن من بعـد ذا لتعصيـه

ثم بشّر الناظم بفتح القسطنطينية مع تأخر فتحها عن عصره بكثير كما يأتي فقال: (فأبشروا) أيها السلاطين العثمانية يقال: بشرته بمولود فأبشر، ويقال: أبشر بخير بقطع الهمزة وبشرت بكذا كعلمت أي استبشرت به، وجاء أبشر متعدياً أيضاً كبشرته وبشّرته كما في الصحاح، والمعنى اللازم هنا أنسب كما لا يخفىٰ (بفتح قسطنطينية) على أيديكم وهي بضم القاف وسكون السين وفتح الطاء الأولىٰ وسكون النون وكسر الثانية وسكون الياء المثناة بعدها نون مكسورة أعظم مدائن الروم، بناها قسطنطين الملك فنسبت إليه، وهو أول من تنصّر من ملوك الروم كذا ذكره عزّ الدين الجزري في الأنساب.

فإن قلتَ بم علم الناظم أنها ستفتح على أيديهم حتى بشر بها؟ قلت كأنه

استنبط من حديث مكحول عن معاذ بن جبل بطرق قال: قال رسول الله ﷺ: [عمران بيت المقدس خراب يثرب وخراب يثرب خروج الملحمة وخروج الملحمة فتح القسطنطينية، ثم خروج الدجال] (٣٣٧) فتفاءل بحمل ملحمة السلطان بايزيد على المذكورة في الحديث، وبعدها فتح القسطنطينية، وإن قال الأئمة إن محمل الحديث الملحمة زمن المهدي، ثم فتحها بعدها كما يدل عليه ما جاء في عدة طرق أنه ﷺ قال: «الملحمة العظمىٰ وفتح قسطنطينية وخروج الدجال في سبعة أشهر (٣٣٨)، وفي رواية «تسع سنين» (٣٣٩) قال أبو داود في سننه: وهذه أصح من الأولىٰ، وإن البشارة بذلك كرامة له، وقد قال الأئمة: إن لم يكن العلماء أولياء فليس لله وليّ (فلم تكن) القسطنطينية (من بعد ذا) أي من بعد فتحها (لتعصيه) اللام لام الجحود والهاء زيدت لضرورة الوقف أي فلم تكن بعد فتحها عاصية على المسلمين إنشاءالله تعالىٰ، وهذا في حيز المبشر به، وقد حقّق الله تعالىٰ رجاءه بفتحها وعدم عصيانها إلىٰ الآن، والإشارة إلى شيء من فتحها أن الملك الفاضل النبيل المجاهد السلطان محمد ابن السلطان مراد ابن السلطان محمد ابن السلطان السعد بايزيد لما تسلطن وكان مغرماً بالجهاد، متوكلاً على الله تعالىٰ خرج إلى قتال صاحب قرمان فخاف منه وصالحه، ثم عاد ولم يكن له هـمّ إلاّ فتح المدينة الكبرىٰ قسطنطينية، وهي من أعظم البلدان وأمنعها حصناً لإحاطة البحر بها من كل جانب إلاّ الطرف الغربي، وهو يسير وقد حصّنوه

---

(٣٣٧) رواه أحمد (٢٤٥/٥) وأبو داود (٤٢٩٤) والطبراني في المعجم الكبير (ج٢٠ رقم٢١٤) وفي مسند الشاميين (٣٥١١) والبغوي في شرح السنة (٤٢٥٢) من حديث مكحول عن جبير بن نفير عن مالك بن يخامر عن معاذ.

(٣٣٨) رواه أبو داود (٤٢٩٥) والترمذي (٢٢٣٩) وابن ماجه (٤٠٩٢).

(٣٣٩) رواه أبو داود (٤٢٩٦) ولفظه «بين الملحمة وفتح المدينة ست سنين، ويخرج المسيح الدجّال في السابعة». وبهذا علمت ما في نقل المصنف.

وكتبه حمدي عبدالمجيد السلفي
٤ ربيع الأول ١٤٠٧

بثلاثة أسوار وعدة خنادق فشرع في مهماتها بسبك المدافع الكبار ونحوها، فلما تكاملت الآلات والأسباب نهض في أوائل جمادى الأولى سنة سبع وخمسين وثمانمائة بجيش عظيم وعزم صارم، فخيّم على قسطنطينية فحاصروها، وقاتلهم من جهة البر والبحر أحداً وخمسين يوماً، حتى عجز المسلمون عن أمرها، وكان أهلها لما سمعوا بقصد المسلمين لهم استمدّوا من الأفرنج، فأمدّوهم بجيش الأفرنج وبشّر الشيخ شمس الدين وزيره أحمد باشا بالنصر، استفتح الله القسطنطينية إن شاءالله تعالى على يد المسلمين من هذا العام، وسيدخلونها من الموضع الفلاني في اليوم الفلاني من هذا العام وقت الضحوة الكبرى وأنت تكون حينئذ واقفاً عند السلطان محمّد، فبشّر الوزير السلطان بما أبشر [أسر] به الشيخ من الفتح، فلما صار ذلك الوقت الموعود ولم تفتح القلعة خاف الوزير من جهة السلطان فذهب إلى الشيخ فمنعوه من الدخول لأنه أوصى بذلك، فرفع الوزير أطناب الخيمة فنظرنا فإذا العسكر قد دخلوا بأجمعهم ففتح الله تعالى ببركة دعائه [دعاء الشيخ] في ذلك الوقت، وكانت دعوته تخرق سبع طباق [السماء]، فلما دخل السلطان محمد المدينة نظر إلى جانبه فإذا وزيره واقف عنده فقال: هذا ما أخبر به الشيخ وقال: ما فرحت بهذا الفتح، وإنما فرحي بوجود مثل هذا الرجل في زماني، وكان الفتح يوم الأربعاء من جمادى الأخرى سنة سبع وخمسين وثمانمائة، فغنم المسلمون ما لم يسمع بمثله في عصر، فلمّا شاع خبر الفتح هابه الملوك فأرسلوا إليه يهنّونه بالفتح، وكم رامه من الأوائل فلم ينالوه وإنما خبّأه الله تعالى لهذا السلطان لحسن سيرته وإخلاص نيته، وضمّن بعضهم هذا المعنى في تاريخ الفتح، فقال:

رام أمر الفتح قوم أولون حازه بالنصر قوم آخرون

وقع لفظة آخرون تاريخ الفتح بحساب الجمّل، وهي بلدة طيّبة صحيحة

الهواء عذبة الماء من الإقليم الخامس، ولما دخل السلطان المدينة سار إلى كنيستها العضمىٰ فطهرها من أنجاس الكفر، وصلّىٰ فيها وحمد الله تعالىٰ وجعلها جامعاً للمسلمين، ورتّب له معالم وأوقافاً، ثم التمس من الشيخ شمس الدين أن يريه موضع قبر أبي أيوب الأنصاري، وكان مدفوناً هناك، وانطمس قبره فتوجه الشيخ ساعةً، ثم قال: احفروا هذا الموضع وهو من جانب الرأس من القبر مقدار ذراعين يظهر لكم رخام عليه خط عبراني، فلمّا حفروا ظهر رخام كذلك فقرأه من يعرفه فإذا هو قبر أبي أيوب الأنصاري، فتحيّر السلطان محمّد وغلب عليه الحال حتىٰ كاد أن يسقط لولا أن أمسكوه، فأمر ببناء القبة عليه وببناء الجامع والحجرات.

وفي سنة ستين وثمانمائة عزم السلطان بلاد أنكروس، فانتصر عليهم ثم اتسع فتوحه إلى ما لم يسمع بمثله. توفي سنة خمس وثمانين وثمانمائة خامس شهر ربيع الأول، ووصىّٰ بالملك لولده بايزيد خان. ثم ذكر الناظم ما هو كالتعليل للتبشير بالفتح السابق فقال:

لعلّ ذي الملحمةُ المذكورة	والله ربّنا مُتِمّ نوره
والحمدلله على أن نصرا	نبيّه ودينه وأظهرا
صلىٰ عليه ربّنا وسلما	وردّ كيد من بغىٰ وسلما

(لعلّ ذي) أي ملحمة بني الأصفر مع السلطان السعد بايزيد هي (الملحمة المذكورة) المشهورة في الأحاديث بأن عقبها فتح قسطنطينية، أو التقدير: لعلّ الملحمة المذكورة) المشهورة في الأحاديث بأن عقبها فتح قسطنطينية، أو التقدير: لعلّ الملحمة الواردة في الأحاديث هذه الملحمة المذكورة في النظم، وحذف اسم لعلّ ونحوه جائز في الضرورة كما بينته في كتابي تحفة الخلان في الألغاز النحوية (والله ربّنا متمّ « بالتنوين » نوره) ولو كره الكافرون (والحمدلله

على أن نصرا، نبيّه) الفرد العلم محمداً ﷺ بإعزاز كلمته وإعلاء ذكره (و) نصر (دينه) في كل عصر بإقامة طائفة لنصرته وإذاعته (وأظهرا) دينه على الدين كله ولو كره المشركون (صلى عليه ربّنا وسلّما) أي جعله سالماً من كل نقص (وردّ) عن أهل الإسلام (كيد من بغىٰ) عليهم وأراد قهرهم وذلّهم (وسلّما) أي سلم إلى أهل الإسلام وأظفرهم عليه من قولهم: سلمته إليه فتسلّمه أي أعطيته فتناوله، وبما ذكرنا من معنى سلّما في الموضعين ظهر في كلامه حسن الجناس وفيه أيضاً ما لا يخفى من حسن الختام، نسأل الله عزّ وجلّ حسن الختام في كل الأمور وتحويل كل معسور إلى ميسور وأحمده على أن منّ عليّ بإكمال هذا الشرح المحرّر، كالوشي المحبّر، بل الكبريت الأحمر، تاسع عشر المحرّم سنة ثمانين ومائة بعد الألف من هجرة السيد المكرّم، ﷺ واستغفر الله وأنا جامعه الحقير الشهير بابن الحاج، من كل تعسّف في هذا الشرح وسوء نيّة فيه واعوجاج، ومن كلّ تصنع في عباراته، ورياء في طيّ إشاراته، وإعجاب بحسن تحريراته، وأتضرع إليه أن يتداركني بفضله العميم، وأن يجعله خالصاً لوجهه العظيم، وخدمةً لجناب نبيّه الكريم، تُعرّفني لديه، وتقربني إليه، يوم انكبّ فللشفاعة على يديه، إن ربّي على كل شيء قدير، وإجابة ذلك عليه يسير، إنه أرحم الراحمين، حقيق برجاء الراجين، وصلى الله على سيّدنا محمد وآله أجمعين، ثم إني أجزت لأولادي وأقاربي وأحبائي وتلاميذتي ولأهل بلدي وإقليمي بل ولمن أدرك حياتي من المسلمين على مذهب من يرى ذلك من أئمة الحديث في القديم والحديث رواية ما ذكرته في هذا الشرح عنّي نفعاً للعامة.

وأوصي كل من يتأهل من الناظرين فيه أن يسامحني فيما زلّ به القدم، أو طغىٰ فيه القلم، وأن يقيم عذري بالانتصار، إذ لم أُسبَق إليه في الابتكار، وهذه نسخة المسودة ثنيت عليها النظر، فأبرزتها لتكتب وتشتهر، ولكن لا أجيز أحداً يكتب منها نسخة، إلاّ أن يصحّحها ويقابلها بأصلها لأن التأليف إنما يغيّره

النّساخ حتى يصير إلى المسخ والانفساخ، فمن بدّله بعدما سمعه فإنما إثمه على الذين يبدّلونه

والسلام

تمت بعون الله وحسن توفيقه كتابة هذا الشرح المسمىٰ برفع الخفا على ذات
الشفاء للإمام الماهر الذي حجّ حجتين الموسوم المشهور مولانا
وسيدنا بمحمّد بن حاج حسن الذي مات في السنة
التي كتبت فيها وهي سنة تسع وثمانين
ومائة بعد الألف في ولاية العقرة
بعد هجرته من قرية هزار مرد لشورش العجم
رحمه الله تعالىٰ وأنا كاتبه الحقير
عبدالله بن ملا يوسف المشهور

بنفسه لنفسه وحباً لرسوله ﷺ غفر الله لنا ولآبائنا ولامهاتنا ولسائر المسلمين
آمين يا رب العالمين بحرمة سيد المرسلين والسلام.

قابلت بتمامه
بحسب الطاقة من النسخة التي قوبلت من نسخة الشارح رحمه الله تعالى
وهو نسخة ملا علي المشهور بآغجه لري
غفر الله لهم أجعين آمين يا ربّ العالمين

وما قابلت أولاً إلاّ قليلاً لأني وقعت في أفكار الدنيا لضيق المعاش
فإن وجدت فيه خطأ فلا تلمني لأن ضيق المعاش كاد أن يقع الإنسان في الكفر
ثم رزقني الله تعالىٰ.

وفي نسخة القاضي: كتب هكذا:

وقع الفراغ من تحرير هذا الشرح المسمى برفع الخفاء الواقع
على ذات الشفاء في شهر رمضان يوم الخميس ومضىٰ
من الشهر أربعة عشر يوماً من يـد عبدالله
البيراني ويد الفقيه النجيب الحبيب ملا
عبا بكر السيد كيّ غفر الله تعالىٰ له
ولآبائنا ولأقاربنا المحب لنا
ببركة صواحب هذه السير
إنه غفور رحيم
آمين يا ربّ
العالمين.

قد وقع الفراغ من تحرير هذا الكتاب
في سنة ألف ومائة وتسعين
وخمس من هجرة النبوية
المصطفوية عليه أفضل
الصلاة والسلام
م

فهرس المحتويات

الصفحة

أسماؤه ﷺ ٥
زوجاته ﷺ ٨
أولاده ﷺ ١٦
أعمامه ﷺ ٢١
عماته ﷺ ٢٢
جداته ﷺ ٢٢
إخوانه [إخوته] ﷺ في الرضاعة ٢٣
مواليه وإماؤه ﷺ ٢٣
خدّامه [خدمه] ﷺ ٢٨
حرّسه ﷺ ٢٩
رسله ﷺ ٣٠
كتّابه ﷺ ٣٨
أمراؤه ﷺ ٤٠
شعراؤه الذين يذبون عن الإسلام ٤٢
الذين يضربون أعناق الأعداء بحضرته ﷺ ٤٢
مؤذنوه ﷺ ٤٣
دوابه ﷺ ٤٤
بغاله ﷺ ٤٦
نعمه ﷺ ٤٦
سلاحه ﷺ ٤٩

أتراسه ﷺ ٥١
رماحه ﷺ ٥١
حِربُه ﷺ ٥١
أثوابه ولبسه وأثاثه ﷺ ٥٣
أثاثه ﷺ ٥٥
صفته ﷺ ٥٧
خلقه وشيمه ﷺ ٦٣
خصائصه ﷺ ٧٦
لبسه ﷺ ٨٩
معجزاته ﷺ ٩٨
مبحث شاة أم معبد ١٠٤
مبحث دعائه لعمر ١٠٥
مبحث تفلته ﷺ في عين علي ١٠٦
مبحث دعائه ﷺ لابن عباس ١٠٦
مبحث دعائه ﷺ لجابر ١٠٨
مبحث دعائه على ابن ابي لهب ١٠٩
مبحث مجيء السمرة إليه ﷺ ١١٠
مبحث سواد بن قارب ١١٣
مبحث حنين الجذع ١١٤
مبحث تسبيح الحصا ١١٥
مبحث شكاية البعير ١١٦
مبحث أخبار الشاة المسمومة ١١٧
مبحث أخباره ﷺ يقتل العنسي ١١٩
مبحث دخوله الكعبة عام الفتح ١٢٢
مبحث سيف عكاشة ١٢٤

مبحث مسحه على رأس الأقرع ١٢٥
مبحث زيادة الطعام بدعائه ١٢٧
مبحث أهل الصفة ١٢٨
مبحث نبع الماء بين أصابعه ١٣٠
مبحث زيادة الماء بدعائه ١٣١
مبحث كرامات أمته معجزات له ﷺ ١٣٤
سيرة الخلفاء الراشدين ١٣٥
خلافة أبي بكر الصديق (رضي الله عنه ١٣٥
مبحث نسب أبي بكر الصديق (رضي الله عنه) ١٣٧
مبحث مبايعة أبي بكر (رضي الله عنه) ١٣٨
مبحث المرتدين ١٤١
مبحث مسيلمة الكذاب ١٤٤
مبحث حيل مسيلمة ١٤٥
مبحث شهادة الرجال لمسيلمة الكذاب ١٤٥
مبحث انتداب الصديق لقتال المرتدين ١٤٧
مبحث طليحة الأسدي ١٤٨
مبحث معارضة مسيلمة الكذاب للقرآن الكريم ١٥٤
مبحث حديقة الموت ١٥٥
مبحث قتل خالد محكم بن طفيل ١٥٨
مبحث تزويج ابن مجاعة ١٦٠
مبحث قتل مسيلمة ١٦١
مبحث عدد من استشهد يوم اليمامة ١٦١
مبحث بلد مسيلمة ١٦٢
مبحث تجهيز الجيوش (غزو الروم) ١٦٤
مبحث يوم العربة ويوم الدائنة ١٦٦

مبحث ابن سيرين ١٦٨
مبحث حد الشام والعراق ١٦٨
مبحث ذهاب خالد إلى العراق للشام ١٦٩
مبحث اجتماع خالد بأمراء الشام ١٧٢
مبحث وقعة أجنادين ١٧٤
مبحث وفاة الصديق ١٧٥
مبحث ارتجاج المدينة بموته (رضي الله عنه) ١٧٦
ذكر شيء من فضائله ومناقبه (رضي الله عنه) ١٧٧
تسمية أبي بكر (رضي الله عنه) بالصديق ١٨٠
وصيته لعمر (رضي الله عنهما) بالخلافة ١٨٤
مبحث سبب وفاته (رضي الله عنه) ١٨٦
خلافة عمر بن الخطاب (رضي الله عنه ١٨٦
صفة عمر (رضي الله عنه) ١٨٨
كتابه (رضي الله عنه) ١٨٨
قضاته (رضي الله عنه) ١٨٩
أمراؤه (رضي الله عنه) ١٨٩
ذكر ما كان في أيامه (رضي الله عنه) من الفتوحات وغيرها ... ١٨٩
مبحث وقعة مرج الصفر ١٩١
مبحث وقعة اليرموك ١٩٢
مبحث معركة القادسية ١٩٣
مبحث بناء مسجد القدس ١٩٥
استيلاء الفرنج على القدس ١٩٦
مبحث كيفية فتح بيت المقدس ١٩٦
مبحث خروج عمر إلى بيت المقدس ١٩٨

مبحث عام الرمادة ٢٠٠
استسقاء عمر (رضي الله عنه) بالعباس ٢٠١
طاعوان عمواس ٢٠٣
وقعة جلولاء ٢٠٤
مبحث عدد من مات في طاعون عمواس ٢٠٥
مبحث أكبر جوامع الإسلام ٢٠٥
مبحث نهاوند ٢٠٦
مبحث دعاء سعد على أسامة ٢٠٧
مبحث فتح مصر ٢٠٨
مبحث فتح دينور وآذربيجان ٢٠٩
مبحث استشهاد الفاروق ٢١٢
فضل الفاروق ومناقبه (رضي الله عنه) ٢١٤
مبحث أول من عسّ بالليل ٢١٥
مبحث تفقد أحوال الرعية ٢١٩
مبحث طلبه من عائشة في قبره مع صاحبيه ٢٢٤
مبحث جعله الأمر شورى بعد موته ٢٢٥
خلافة عثمان بن عفان (رضي الله عنه) ٢٢٦
مبايعة عثمان (رضي الله عنه) بالخلافة ٢٢٧
صفات عثمان (رضي الله عنه) ٢٢٧
ذكر ما كان في أيامه من الفتوحات وغيرها ٢٢٧
مبحث ركوب معاوية البحر ٢٢٩
مبحث سهرك بن ماهك ٢٣١
حلف بن كريز ٢٣١
مبحث ذات الصواري ٢٣٩

مبحث وفاة أجلاء من أصحابه ﷺ في خلافة عثمان (رضي الله عنه) ٢٤١
مبحث انحصار عثمان (رضي الله عنه) ٢٤١
ذكر ما كان في فضل ذي النورين ومناقبه (رضي الله عنه) ٢٤٩
مبحث تجهيزه جيش العَسرة ٢٥٢
خلافة علي كرّم الله وجهه ٢٥٦
صفاته كرّم الله وجهه ٢٥٧
مبحث خروج طلحة والزبير مع عائشة ٢٥٨
مبحث وقعة الجمل ٢٥٩
معركة صفين ٢٦١
مبحث وقعة النهروان ٢٦٥
مبحث اجتماع الحكمين ٢٦٦
مبحث الامتناع عما شجر بين الصحابة ٢٦٨
مبحث الكف عما شجر بين الصحابة عن عمر بن عبد العزيز ٢٦٨
مبحث اجتماع الثلاثة على قتل علي ومعاوية وعمرو ٢٧٠
استشهاد علي كرّم الله وجهه ٢٧١
ذكر شيء من مناقبه (رضي الله عنه) ٢٧٤
مبحث من كنت مولاً فمولاه علي (رضي الله عنه) ٢٧٧
خلافة الحسن بن علي رضي الله عنهما ٢٨٠
مبحث صلح الحسن مع معاوية ٢٨١
مبحث شبه حسن بجده المصطفى ﷺ ٢٨٤
مبحث مدة الخلافة ثلاثون سنة ٢٨٥
مبحث عمر بن عبد العزيز ٢٨٧
مبحث صلاحه وعدله (رضي الله عنه) ٢٨٨
مبحث ذكر بعض الملوك العادلين ٢٩١

مبحث ابن سبكتكين ٢٩٢
مبحث نور الدين الزنكي ٢٩٤
مبحث السلطان صلاح الدين الأيوبي ٢٩٦
مبحث وفاة السلطان صلاح الدين ٣٠٠
مبحث تسمية الروم بني الأصفر ٣٠١
مبحث البشارة بفتح القسطنطينية ٣٠٧
مبحث تعريف قسطنطينية ٣٠٨
مبحث تأريخ الفتح ٣٠٩
مبحث عزم السلطان على بلاد أنكروس ٣١٠